

تأملات شيخ الإسلام ابن تيمية

في

القرآن الكريم

"سورة النحل"

رقية محمود الغرابي

الفهرس

2	الفهرس
3	الفهرس (2)
15	مقدمة سورة النحل
17	النحل 1-21
60	النحل 20-22
138	النحل 38-41
197	النحل 50-65
203	النحل 69-71
243	النحل 90-111
321	النحل 119-120
358	النحل 128-120

الفهرس(2)

2	الفهرس
15	مقدمة سورة النحل
15	سورة النعم
16	النعم نوعان

النحل-1 21

17	في لغة العرب يسمى المفعول باسم المصدر
19	المضاف الى الله نوعان
20	الفرق بين أمر الله الديني وخلقه الكوني
20	الأمر بتسبيحه يقتضي إثبات صفات الكمال له
20	تعاليه عن الشركاء يقتضي اختصاصه بالإلهية
21	أضاف الله كثيرا من الحوادث إليه وأضافه إلى بعض مخلوقاته
21	الله تعالى يؤيد رسالته بالملائكة وبالهداي
22	أصل الإيمان توحيد الله والإيمان برسالته
23	جواز بعثة رسول لا يعرف ما جاءت به الرسل قبله
23	الملائكة رسل الله في تنفيذ أمره الكوني
24	{ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونَ }
25	تنال النفس كمالها بسعادتها ونجاتها بالفطرة المكملة بالشرعية المنزلة
25	{ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ }
28	أن الله لم يخلق شيئاً ما إلا لحكمة
29	{ وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ }
29	إذا ذكر حكمة للفعل لم يلزم أن لا تكون له حكمة أخرى
30	كانت سنة رسول الله أنه يطعم ما يجده ويلبس ما يجده ويركب ما يجده
31	السبيل العادلة
32	الصراط المستقيم هو الذي ينالون به ولادة الله
37	ما شاء الله كان وما لم يشاً لم يكن
37	أضاف الله كثيرا من الحوادث إليه وأضافه إلى بعض مخلوقاته
38	الله سبحانه خلق الأسباب والمسببات
40	الله سبحانه خلق المخلوقات وسخرها لبني آدم
41	الله هو الذي يستحق الشكر المطلق العام التام

لفظ العقل في القرآن يتضمن ما يجلب به المنفعة وما يدفع به المضرة
مدح الله وأثنى على من كان له عقل
فيه حكم أخرى
نفي الحكم بالاستحباب لانتفاء دليل معين من غير تأمل باقي الأدلة خطأ عظيم
الله تعالى بسط الأرض للأنام وأرساها بالجبال لئلا تميد
{وَعَلَامَاتٍ وَبِالْجُمْهُرِ هُمْ يَهْتَذُونَ}
الله متعال عن السمي والند والمثل فلا يكون شيء مثله
كل محدث من الأعيان والصفات والأفعال فان الله خالق كل ذلك جميعه
الفعل والكلام صفة كمال
الله أحق الموجودات بصفات الكمال وهو المستحق للعبادة
لم يكن إشراكهم أنهم جعلوهم خالقين بل أن جعلوهم وسائط في العبادة
المشركون جعلوا الله مala يرضونه لأنفسهم
من قدر شيئاً فاعلا للازم الذي لا يفارقه بحال كان مخالفًا لصريح المعقول
مطالعة آلاء الله ونعماته يثير ذلك عنده باعثاً لمحبة الله
كل ما لا حياة فيه يسمى مواتاً وميتاً
الدعاء قصد المدعى والتوجه إليه
لطائف لغوية

النحل 40-60

التوحيد يكون من الله لنفسه
﴿فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْكَنِرُونَ﴾
من دعا إلى الضلالة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيمة " "
التقليد الباطل المذموم فهو قبول قول الغير بلا حجة
الرد على الذين أنكروا عذاب القبر والبرزخ
الإلتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد ومحو الأسباب أن تكون أسباباً تغيير في وجه العقل والأعراض عن
الأسباب بالكلية قدح في الشرع
إثبات الملائكة وأفعالها وكلامها وتأثيرها في العالم
من الإيمان بالله بالإيمان بما وصف به نفسه
الأمر الذي كتبه الله على نفسه أو حرمه على نفسه لا يكون إلا مقدوراً له سبحانه
ظلم النفس جنس عام يتناول كل ذنب
السيئات هي عقوبات الأعمال
المشركون يتربدون بين البدعة وبين الاحتجاج بالقدر على مخالفة أمر الله

76 ليس لأحد أن يخرج عن طاعة الرسول لا من الخواص ولا من العوام
77 إنما اعتل بالقدر إبليس

79 جميع بنى آدم العقلاة لا بد لهم من أمور يأمرنون بها وأمور ينهون عنها
80 عامة ما نذم الله به المشركين في القرآن من الدين المنهي عنه إنما هو الشرك والتحريم
81 الاحتاج بالقدر حجة باطلة داحضة باتفاق كل ذي عقل ودين
83 القدرة المشركية

84 لا يحتاج أحد بالقدر إلا لاتباع هواه بغير علم
87 من لم يقف عند أمر الله ونهيه فليس من المتقين

88 من تاب أشبه أباه آدم ومن أصر واحتاج بالقدر أشبه إبليس
91 الأمر الشرعي غير مستلزم للإرادة الكونية القدرة

93 الاحتاج بالقدر باطل في فطر الخلق وعقولهم

95 اتخاذ ما ليس بمشروع دينا أو تحريم ما لم يحرم دين الجاهلية والنصارى
96 أهل السنة في باب أسماء الله وصفاته وسط بين أهل التعطيل وبين أهل التمثل

96 يجب على الخلق الاقرار بما جاء به النبي
97 كلما ازداد العبد تحقيقاً للعبودية ازداد كماله

98 تعليق النجاة والفلاح واقتضاء السعادة في الآخرة بالتوحيد

99 الانبياء جميعهم وأمهم كانوا مسلمين مؤمنين موحدين
99 ان اصل دينهم الذي انزل الله به الكتب وأرسل به الرسل ليس فيه شرك

100 الله تعالى قد بعث في كل قوم نبيا

102 خلق الله الخلق لتكون كلمة الله هي العليا

102 أصل الإيمان توحيد الله والإيمان برسله

103 {ومَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينُ}

104 الدين واحد وإن تفرقت الشريعة والمنهج

105 التوحيد هو أعظم العدل والشرك وهو أعظم الظلم

106 دين الله العام الذي لا يقبل من أحد سواه وبه بعث جميع الرسل

108 من خرج عن النبوات وقع في الشرك وغيره

108 أبقى الله سبحانه آثار المكذبين لنعتبر بها ونتعظ

109 الدعوة إلى الله تكون بدعاوة العبد إلى دينه وأصل عبادته وحده لا شريك له

110 ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا

112 العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال

112 الهدى هو العلم الذي بعث الله به رسوله والعمل به

113 كان النبي صلى الله عليه وسلم يحقق التوحيد ويعلم أمهاته

115	الاعتراف بالرب والاقرار به من غير عبادة يكون وبالا على صاحبه
115	المسلم مأمور أن يفعل ما أمر الله به ويدفع ما نهى الله عنه وان كانت أسبابه قد قدرت
116	توحيد الله قلب الدين والإيمان
117	الطاغوت كل من تحومك اليه بغير كتاب الله
118	أن الله ألزم الخلق التوحيد وأمرهم به وقضى به وحكم
119	من تقدم من أمم موسى وعيسى هل هم مسلمون أم لا ؟
119	محبة الله ورسوله من أعظم واجبات الإيمان وأكبر أوصله وأجل قواعده
120	تجريد التوحيد لله رب العالمين
121	لفظ العبادة يتضمن كمال الحب والذل والإجلال والإكرام والتوكيل
122	الفرق بين البعث الكوني والبعث الديني
124	الهدى هدى الله
125	أن الله خالق أفعال العباد وأنه هو الذي يقلب قلوب العباد
126	التعليم والتنذير والإنذار والهدى له فاعل وله قابل
126	خلق الله الأشياء بأسباب
127	الرسول أعلم الخلق بالحق وبيانه للحق أكمل من بيان كل أحد
128	في مبعث الخلق يوم القيمة مقاصد غير بيان المختلف
128	الفرق بين خطاب التكوين وبين خطاب التكليف
130	كلام الرب غير مخلوق لأن الله لم يخلق شيئا إلا بـ كن
130	المؤقت بظرف معين لا يكون قدما أزليا
131	ثبوت الإرادة عند وجود المراد
132	المسيح خلق بكلمة من كلمات الله
132	علم صفة الربوبية و علم صفة الإلهية
133	الله تعالى ليس له شريك في الخلق والتقوين
134	لطائف لغوية

النحل 64-41

138	ثواب الآخرة أعظم وإنما يذكر الثواب والعقاب في الدنيا تبعا
139	الجهاد سلام العمل وجميع الأحوال الشريفة
140	المهاجر من هجر ما نهى الله عنه
141	لا بد من التقوى بفعل المأمور والصبر على المقدور
142	اثبات جنس الرسالة
143	الاستشهاد بأهل الكتاب

144	{ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ }
144	ليس في النساء نبية
145	القرآن جاء بالبينات والهدى بالآيات البينات وهى الدلائل اليقينيات
146	الأمر بسؤال العلم
146	السلطان الذى أيد الله به رسوله من أنواع الحجج المعجزات أعظم مما أيد به غيره
147	القرآن مما اختص به من الذكر
147	النبي صلى الله عليه وسلم بين لأصحابه معانى القرآن كما بين لهم ألفاظه
148	كل ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن
149	يجب على الخلق الاقرار بما جاء به النبي
149	الله علم الانسان البيان
151	الرد على من قال ان هناك معانى باطنية لا يعلمها عامة الناس
151	الله ليس مماثلا لخلقه
152	السجود اسم جنس وهو كمال الخضوع لله
153	سجود القرآن
153	عبادة المخلوقات وتسبيحها هو من جهة الإلهيته سبحانه وتعالى
155	جعل الله في الجمادات قوى تفعل وقد أضاف الفعل إليها
156	الله سبحانه وتعالى هو العلي الأعلى وهو فوق كل شيء
159	توحيد الله لنفسه
160	توحيد الإليةة هو الذي بعث الله به رسالته وأنزل به كتبه
161	الله تبارك وتعالى حق لا يشركه فيه أحد لا الأنبياء ولا غيرهم
162	حرم الله تعالى الشرك كله
163	لا يزول فقر العبد وفاقتة إلا بالتوحيد
164	الدين الحق هو طاعة الله وعبادته
166	{ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ }
167	لا يأتي بالحسنات إلا الله ولا يذهب السيئات إلا الله
167	الله تعالى هو الذي يخلق بتأثير الاسباب ويدفع الموانع
168	الله هو الذي يرزق جميع عباده مسلمهم وكافرهم
169	القسم الممدوح هم أهل الصبر والشكر
170	الله هو الذي يستحق الشكر المطلق العام التام
171	مطالعة آلاء الله ونعماته تعلق القلوب به
172	قطب رحمي الدين
173	الرد على ابن عربي ونحوه من الملاحدة حيث قالوا ما في أحد من الله شيء

174	التوحيد هو أصل الدين
175	العلم الإلهي لا يجوز أن يستدل فيه بقياس تمثيل ولا بقياس شمولي
177	المشركون كانت أنفسهم عندهم أعظم من الله سبحانه
179	التسبيح يقتضي التنزية والتعظيم
179	الله سبحانه هو المتصف بصفات الكمال وهو المستحق للعبادة
180	الأقىسة العقلية
183	طرق إثبات صفات الكمال
184	القرآن يستعمل في إثبات الإلهية قياس الاولى
186	كل من سوى بين الله وبين المخلوق في شيء من الأشياء فهو مشرك
187	الرسول صلى الله عليه وسلم شفيع الخانق
187	المغفرة العامة
188	{ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ }
188	يجيء الوصف في القرآن مستعملا في الكذب
189	مبدأ الاعتقاد الباطل والإرادة الفاسدة من لمة الشيطان
189	أهل الكتاب تفرقوا واختلفوا قبل إرسال محمد إليهم
190	بين الله الفرقان بين الحق والباطل بكتابه ونبيه
191	بين الرسول العمليات أحسن بيان
191	البدعة احب الى ابليس من المعصية
192	الرحمة تحصل بالقرآن
192	لفظ الاختلاف في القرآن يراد به التضاد والتعارض
193	كل ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن
193	لطائف لغوية

197	النحل 70-65
197	جماهير المسلمين يقرؤن بالأسباب
198	سمع الحق يوجب قبوله
199	العلم الحقيقي الراسخ في القلب يمتنع أن يصدر معه ما يخالفه
199	القدرة والرحمة في إخراج طيب من بين خبيثين
200	العقل يسمى به العلم الذي يعمل به والعمل بالعلم
201	الوحى هو الاعلام السريع الخفى
201	لطائف لغوية
203	النحل 89-71

204	كل فعل ما لا ينفع باطل لأنه ليس له غاية موجودة محمودة
205	المعبود لابد أن يكون مالكا للنفع والضر
206	القياسات العقلية التي مضمونها نفي الملزم لانتفاء لازمه
206	الكمال لازم لواجب الوجود
207	الله سبحانه لا يقاس بخلقه
209	من الإيمان بالله بالإيمان بما وصف به نفسه
210	كل لفظ جاء به الكتاب والسنة من اسماء الله وصفاته هو حق يجب الإيمان به
210	المثلان ضربهما الله سبحانه لنفسه المقدسة ولما يعبد من دونه
211	الله سبحانه يبين أنه هو المستحق للعبادة وأنه لا مثل له
212	الحق يظهر صحته بالمثل المضروب له
212	أعظم الكفر والإلحاد الذين سووا الله بكل موجود
215	المشركون يسرون بين الله وبين آهتهم في المحبة والعبادة
216	القدرة والملك والاحسان صفة كمال
217	القراططة الباطنية من اعظم الناس شركا
218	حمد الله والثناء عليه توحيد الله
219	{ إنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }
221	ما تعلقت به المشيئة تعلقت به القدرة
221	"إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسست فسد الجسد كله ألا وهي القلب "
225	العينان أشد الأعضاء إرتباطا بالقلب
226	ذكر الله في سورة النحل أصول النعم وتمامها
227	أفعال العباد حادثة بمشيئة الله وقدرته وخلقه
230	المساكن من جنس الملابس كلامها جعل في الأصل للوقاية ودفع الضر
232	يجب على الخلق الاقرار بما جاء به النبي
233	الأمر المطلق يقتضي وجوب الطاعة وذم المتولى عن الطاعة
233	الدعاء قصد المدعو إما على وجه المسألة وإما على وجه العبادة المحضة
234	النار دركات
234	لا يجوز لأحد أن يعدل عما جاء في الكتاب والسنة واتفق عليه سلف الأمة
235	تکفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة
236	في كتاب الله الأمر باتباع السنة واتباع سبيل المؤمنين
237	الفتن القولية والعملية هي من الجاهلية بسبب خفاء نور النبوة عنهم
237	الرد على من قال ان هناك معانٍ باطنٍ لا يعلمها عامة الناس
238	الإسلام هو الإستسلام لله وهو الخضوع له والعبودية له

239	{ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مَّنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ }
239	أسماء القرآن
240	لطائف لغوية

النحل-90

243	الأمر الكوني والأمر الديني
244	تنوع دلالة اللفظ في عمومه وخصوصه بحسب الإفراد والاقتران
245	أوجب الله العدل لكل أحد على كل أحد في كل حال
246	الوعظ في القرآن هو الامر والنهي والترغيب والترهيب
247	الأمر اعم من النهي والأعم أفضل
248	"وَاللَّهُ إِنْ لَهُ لَحْوًا وَإِنْ عَلَيْهِ لَطْلَوَةٌ"
249	أعظم العدل التوحيد وأعظم الظلم الشرك
249	{ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ }
251	جميع أموربني آدم لا بد لهم فيها من عقد وقدرة
252	ضلال من إعتقدوا تنافى القدر والشرع
254	"مَا مِنْ قَلْبٍ مِنْ قُلُوبِ الْعَبَادِ إِلَّا وَهُوَ بَيْنِ إِصْبَاعَيِ الرَّحْمَنِ"
255	الله سبحانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن
256	اسم اليمين جامع للعقد الذي بين العبد وبين ربه
257	لم يجيء اعداد العذاب المهين في القرآن الا في حق الكفار
257	استعمال لفظ الذوق في ادراك الملائم والمنافر
258	حصول الهدایة والفلاح للمؤمنين دون غيرهم
259	لا يحيط جميع الحسنات إلا الكفر
260	الثواب والعقاب إنما يكون على عمل وجودي بفعل الحسنات
260	الثواب الموعود به في الآخرة لا يكون إلا لمن آمن وعمل صالحا
262	يعق الواجب بالشرط لبيان حكم من الأحكام
263	المؤمن يبتلى بوساؤس الشيطان وبوساؤس الكفر
264	"إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعْنَتْ فَاسْتَعْنْ بِاللَّهِ"
265	من كان متبعاً للأنبية نصره الله سبحانه بما نصر به الأنبياء
266	الشيطان يأمر بخلاف ما يأمر به الرسول
267	المبدأ في شعور النفس وحركتها هم الملائكة أو الشياطين
268	كل من عبد غير الله فإنما يعبد الشيطان
268	أولياء الله هم المؤمنون المتقوون

269	الشياطين لا سلطان لهم على قلوب الموحدين
271	الشيطان يوالي الإنسان بحسب عدم إيمانه
272	الكمال المطلق للإنسان هو تكمل العبودية لله علماً وقصدأ
274	نفسك إن لم تشغليها بالحق شغلتك بالباطل
275	اذا فعل العبد ما يغار عليه فقد يعاقبه على ذلك بقدر ذنبه
276	خلاصة الدعوة النبوية
277	القرآن المحتلو هو القرآن العربي الذي نزله روح القدس من الله بالحق
279	روح القدس هو جبريل وهو الروح الأمين
280	القرآن الكريم كلام الله ليس لجبريل ولا لمحمد فيه إلا التبليغ والأداء
282	القرآن الذي هو لفظ ومعنى كلام الله
284	النزول في كتاب الله عز وجل ثلاثة أنواع
285	هذه الآية تبطل قول من يقول أن القرآن العربي ليس منزلاً من الله بل مخلوق
291	النبي سمع القرآن من جبريل وجبريل سمعه من الله تعالى
292	الملائكة أحياء ناطقون يأتونهم عن الله بما يخبر به
292	من الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه فلا ينفعون عنه ما وصف به نفسه
293	كل من أرسله الله لا بد أن يكون صادقاً في كل ما يبلغه عن الله
294	الله يصطفى من الملائكة رسلاً و من الناس
295	الإسلام هو الإستسلام لله وهو الخضوع له والعبودية له
297	{ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمٌ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ }
298	بين سبحانه ظهور كذبهم فيما افتروه
300	المسان العربي أكمل الألسنة وأحسنها بياناً للمعاني
300	أسماء القرآن
300	الكافر يستحقوا الوعيد لزوال التصديق والإيمان من قلوبهم
302	المكره هو من يدفع الفساد الحاصل بإحتمال أذناهما
303	من كفر بالله من بعد إيمانه من غير إكراه فهو مرتد
304	الكلام والفعل المتضمن للاستخفاف والاستهانة مستلزم لعدم التصديق النافع
308	ذم الله في كتابه من يرتد ويفتن ولو اكره
309	يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله
310	الله سبحانه خالق كل شيء وربه ومليكه وقد خلق الأشياء بأسباب
311	يدخل مقصود المسموع وفائدة في مسماه نفياً وإثباتاً
312	قبول توبة من كفر بعد اسلامه وانهم لا يعذبون في الدنيا ولا في الآخرة
315	الردة على قسمين ردة مجردة وردة مغلظة

315	الاعتبار بكمال النهاية لا بنقص البداية
317	الأرض لا تقدس احدا وإنما يقدس العبد عمله
317	الفتنة الردة والكفر
318	جميع المؤمنين يخاطبون بالجهاد ابتداء
318	الظلم ممتنع من الله سبحانه وتعالى
318	لطائف لغوية

النحل 119-112

321	إن الله ذم الإنسان بكونه كفورا غير شكور
321	ليس في القرآن لفظ إلا مقوون بما يبين به المراد
324	ضرب الأمثال هو القياس العقلي الذي يهدي به الله من يشاء من عباده
324	كون الأرض دار كفر ودار إيمان ليست صفة لازمة لها بل هي صفة عارضة
325	لفظ القرية يتناول المساكن والسكان
326	يثبت الله بالإيمان والتقوى لا بالبلد والنسب
327	محبة الله وتوحيده هو الغاية التي فيها صلاح للنفس
328	مسائل فقهية
328	1-الأصل في جميع الأعيان أن تكون حلالا وأن تكون طاهرة
329	2-المحرمات نوعان
329	-حريم الشيء مطلقا يقتضي حريم كل جزء منه
331	4-حكم عظم الميتة وقرنها وظفرها وما هو من جنس ذلك
333	5-حكم التداوى
333	6-إذا وقع الذبح حقيقة لغير الله كانت حقيقة التحرير قد وجدت فيه
337	7-موارد الشريعة ومصادرها مبنية على قوله تعالى {فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ}
338	8-لا يبغي في أكله ولا يتعدى
338	9-أكل الميتة للمضرر واجب عليه
339	10-الخبائث جميعا تباح للمضرر
339	11-الضرورة بسبب محظوظ لا تستباح بها المحرمات
340	ان هذا الدين يسر ولن يشاد الدين احد الا غلبه
341	الحرير باق على اليهود بعد مبعث محمد لا يزول إلا بمتابعته
343	يجيء الوصف في القرآن مستعملا في الكذب
343	ما حرم المشركون لم يحرمه على لسان موسى ولا لسان محمد
344	الله سبحانه الحكم العدل الذي لا يظلم مثقال ذرة

الأمر الذي كتبه الله على نفسه أو حرمه على نفسه لا يكون إلا مقدورا له سبحانه	345
ظلم النفس جنس عام يتناول كل ذنب	347
الانسان هو فاعل السيئات وانه يستحق عليها العقاب	348
السيئات فمنشئها الجهل والظلم	348
المغفرة لكل ذنب للتائب منه	350
فالنوبة قد يكون من تمامها عمل صالح يعمله	353
"أن الله يحب البصر النافذ عند ورود الشبهات ويحب العقل الكامل عند حلول الشهوات "	354
من عمل بخلاف الحق فهو جاهل وإن علم أنه مخالف للحق	355
لطائف لغوية	356

الحل 120	358
شرع من قبنا شرع لنا لا سيما شرع إبراهيم	358
إبراهيم الخليل إمام الحنفاء المخلصين	358
ابراهيم ومحمد كل منهما خليل الله	359
بكمال عبودية القلب لله يبرئه من الكبر والشرك	360
حب الله تعالى هو من تمام عبادته	361
القوت في اللغة دوام الطاعة	362
توحد الملة وتعدد الشرائع وتنوعها	364
تنوع الشرائع لا يمنع أن يكون الدين واحدا	365
احسان العمل سبب لاحسان الله	366
الصالح هو الذى أصلح جميع امره فاستوت سريرته وعلانيته على ما يرضى ربه	367
ما عليه اليهود والنصارى ينافي ملة إبراهيم	367
لا اسلام بعد مبعث محمد الا فيما جاء به وطاعته وهى ملة ابراهيم	368
أصح الطرق وأبعدها من الشبه اتباع الكتاب والسنة قولًا وفعلا	368
أهل الكتاب تفرقوا واختلفوا قبل إرسال محمد إليهم	368
{ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ }	369
الحكمة والموعظة الحسنة والجدل الاحسن تجمع نوعي العلم والعمل	370
الرد على من يقول آيات المجادلة والمحاجة للكفار منسوخات بأية السيف	372
الجدل لا يدعى به بل هو من باب دفع الصائل	374
القرآن يحتاج بالمقدمات البينة البرهانية لتقرير المخاطب بالحق	374
أصل الدعوة إلى الله وحقيقة ومقصودها	376
دخول الأعمال في مسمى الإيمان حقيقة لا مجازا	380

380	الشائع جاء بتحصيل المصالح وتكميلاً لها وتعطيل المفاسد وتقليلاً لها
381	الشريعة مبنها على العدل
383	درجة الحلم والصبر والعفو عن الظلم افضل اخلاق اهل الدنيا والآخرة
385	" ما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً "
388	الله سبحانه أوجب على عباده العدل في الصلح كما أوجبه في الحكم
390	القرآن جمع بين العدل والفضل على غاية الكمال
391	شرع القصاص في النفوس والأموال والاعراض بحسب الامكان
392	التمثيل في القتل فلا يجوز إلا على وجه القصاص
393	الأمور منها ما يباح فيه القصاص ومنها مالا يباح فيه القصاص
393	{وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ}
396	من عبد الله بغير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح
397	لإيذاف المؤمن من الكفار والمنافقين ولا يحزن عليهم
398	إخبارهم بأن الله معهم يوجب زوال الضيق من مكر عدوهم
399	" أكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق "
399	المعية في كتاب الله على وجهين
402	المعية الإلهية المتضمنة للنصر هي لما جاء به إلى يوم القيمة
402	إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ بِالْهُدَى وَالنَّصْر وَالإِعْانَةِ
403	المعية تختلف أحكامها بحسب الموارد
405	الجمع بين علو رب عز وجل وبين قربه من داعيه وعباديه
406	الله مع الخلق كلهم بالعلم والقدرة والسلطان ويخص بعضهم بالاعانة والنصر والتأييد
407	من الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه من غير تحريف ولا تعطيل
408	عامة الأشفاع التي في القرآن انقسم الناس فيها قسمة رباعية
409	الإحسان يجمع كمال الإخلاص لله ويجمع الإتيان بالفعل الحسن
409	جماع الدين العام التعظيم لأمر الله والرحمة لعبد الله
409	لا تتم السياسة الدينية إلا بالجمع بين التقوى والإحسان إلى الناس
410	لطائف لغوية

مقدمة سورة النحل

سورة النعم

والله تعالى ذكر في **سورة النحل** انعامه على عباده و تسمى سورة النعم ذكر في أول السورة أصول النعم التي لا يعيش بمن بـنـو آدم إلا بها وذكر في أثنائها تمام النعم التي لا يطيب عيشهم إلا بها ذكر في أولها الرزق الذي لا بد لهم منه وذكر ما يدفع البرد من الكسوة بقوله **{وَالْأَنْعَامُ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ}** {النحل} 5 ثم في أثناء السورة ذكر لهم المساكن والمنافع التي يسكنونها مساكن الحاضرة والبادية ومساكن المسافرين فقال تعالى **{وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَناً}** {النحل} 80 الآية ثم ذكر أنعامه بالظلال و ما يقي الحر و ذكر الأسلحة و ما يقي القتل فقال **{وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلًاً وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا}** {النحل} 81 إلى قوله **{كَذَلِكَ يُتْمِنُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ}** {النحل} 81 ولم يذكر هنا ما يقي من البرد لأنه قد ذكره في أول السورة وذلك في أصول النعم لأن البرد يقتل فلا يقدر أحد أن يعيش في البلاد الباردة بلا دفء بخلاف الحر فإنه أذى لكنه لا يقتل كما يقتل البرد و لهذا قال بعض العرب البرد بؤس و الحر أذى فان الحر قد يتقوى بالظلال واللباس وغيرهما وأهله أيضا لا يحتاجون إلى وقاية كما يحتاج إليه البرد بل أدنى وقاية تكفيهم وهم في الليل وطرف النهار لا يتذمرون به تأدinya كثيرا بل لا يحتاجون إليه احيانا حاجة قوية فجمع بينهما في قوله **{سَرَابِيلَ تَقِيمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيمُ بَأْسَكُمْ}** {النحل} 81¹

وما يصيب الإنسان إن كان يسره فهو نعمة ببينة وإن كان يسوءه فهو نعمة لأنه يكفر خطاياه و يثاب عليه بالصبر و من جهة أن فيه حكمة و رحمة لا يعلمه العبد **{وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}** {البقرة} 216 الآية و كلتا النعمتين تحتاج مع الشكر إلى الصبر أما الضراء فظاهر و أما نعمة السراء فتحتاج إلى الصبر على الطاعة فيها كما قال بعض السلف إبتلينا بالضراء فصبرنا و ابتلينا بالسراء فلم نصبر فلهذا كان أكثر من يدخل الجنة المساكين لكن لما كان السراء اللذة و في الضراء الألم إشتهر ذكر الشكر في السراء و الصبر في الضراء قال تعالى **{وَلَئِنْ أَدْقَنَا إِلَيْهِ إِلَيْكُمْ مَنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَّعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَوْسُوسُ كُفُورُ هود} 9 إلى قوله **{إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ}** هود 11 الآية وأيضا صاحب السراء أحوج إلى الشكر و صاحب الضراء أحوج إلى الصبر فإن صبر هذا و شكر هذا و اجب و أما صبر السراء فقد يكون مستحبا و صاحب الضراء قد يكون الشكر في حقه مستحبا و إجتماع الشكر و الصبر يكون مع تألم النفس و تلذذها و هذا يعسر على كثير و بسطه له موضع آخر والمقصود أن الله تعالى منع بهذا كله و إن كان لا يظهر في الإبتداء لأكثر الناس فإن الله يعلم و أنت لا تعلمون و أما ذنوب الإنسان فهي من نفسه و مع هذا فهي مع حسن العاقبة نعمة و هي نعمة على غيره لما يحصل له بها من الإعتبار و من هذا قوله **اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي عَبْرَةً لِغَيْرِي** ولا تجعل غريبي أسعد بما علمتني مني و في دعاء القرآن **{فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}** يومنس 85 و كما فيه **{وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَقْبَلِينَ إِمامًا}** الفرقان 74 و اجعلنا أئمة لمن يقتدي بنا و لا تجعلنا فتنة لمن يضل بنا و الآلاء في اللغة هي النعم و هي تتضمن القدرة والله**

¹ مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 256 و مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 160

تعالى في القرآن يذكر آياته الدالة على قدرته وربوبيته ويدرك آياته التي فيها نعمه إلى عباده ويدرك آياته المبينة لحكمته وهي متلازمة لكن نعمة الإنفاق بالماكل والمشارب والمساكن والملابس ظاهرة لكل أحد فلهذا يستدل بها في **سورة النحل** وتسما **سورة النعم** كما قاله قنادة وغيره و على هذا فكثير من الناس يقول الحمد أعم من الشكر من جهة أسبابه فإنه يكون على نعمة وغيرها والشكر أعم من جهة أنواعه فإنه يكون بالقلب واللسان واليد فإذا كان كل مخلوق فيه نعمة لم يكن الحمد إلا على نعمة و الحمد لله على كل حال¹

النعم نوعان

إن نعم الله على عباده تتضمن نفعهم والإحسان إليهم وذلك نوعان أحدهما أن يدفع بذلك مضرتهم ويزيل حاجتهم وفاقتهم مثل رزقهم الذي لو لا هو لماتوا جوعاً ونصرهم الذي لو لا هو لأهلهم عدوهم ومثل هداهم الذي لو لا هو لضلوا ضلالاً يضرهم في آخرتهم وهذا النوع من النعمة لا بد لهم منه وإن فقدوه حصل لهم ضرر إما في الدنيا وإما في الآخرة وإما فيما ولهم وهذا كان في **سورة النحل وهي سورة النعم** في أولها أصول النعم وفي أثنائها كمال النعم والنوع الثاني النعم التي تحصل بها من كمال النعم وعلو الدرجة ما لا يحصل بدونها كما أنهم في الآخرة نوعان أبرار أصحاب يمين ومقربون سابقون ومن خرج عن هذين كان من أصحاب الجحيم وإذا كانت النعمة نوعين فالخلق كانوا محتاجين إلى إرسال محمد من هذين الوجهين وحصل بإرساله هذان النوعان من النعمة فإن الناس بدونه كانوا جهالاً ضاللين أميين وأهل الكتاب منهم ولم يكن قد بقي من أهل الكتاب أتباع المسيح من هو قائم بالدين الذي يوجب السعادة عند الله في الآخرة بل كانوا قد بدلوا وغيروا وأيضاً فلو قدر أنهم لم يبدلوا شيئاً ففي إرساله من كمال النعم وتواصلها وعلو الدرجات في السعادة ما لم يكن حاصلاً بالكتاب الأول فكان إرساله أعظم نعمة أنعم الله بها على أهل الأرض من نوعي النعيم²

¹ مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 209-211

² الجواب الصحيح ج: 5 ص: 87

النَّحْلٌ ٢١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ أَتَيْ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ } ١ { يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ
بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَذْرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَّهُ
فَإِنَّهُمْ } ٢ { خَلَقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ } ٣ { خَلَقَ
الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ } ٤ { وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعٌ
وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ } ٥ { وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيْخُونَ وَحِينَ تُسْرَحُونَ } ٦ { وَتَحْمِلُ
أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْغَيْرِ إِلَّا بِشَقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ } ٧ {
وَالْخَيْلَ وَالْبَيْغَالَ وَالْحَمِيرَ لَتَرْكِبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ } ٨ { وَعَلَى اللَّهِ
قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهُدَاكُمْ أَجْمَعِينَ } ٩ { هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ
السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسْيِمُونَ } ١٠ { يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ
وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ النَّمَراتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَةً لِقَوْمٍ
يَتَفَكَّرُونَ } ١١ { وَسَخَرَ لَكُمُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٍ
بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ } ١٢ { وَمَا ذَرَّا لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا
أَوْلَاهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَةً لِقَوْمٍ يَذَكَّرُونَ } ١٣ { وَهُوَ الَّذِي سَخَرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ
لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ مَوَاحِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ
فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } ١٤ { وَالْأَقْيَ في الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا
وَسُبُلاً لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } ١٥ { وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ } ١٦ { أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ
لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ } ١٧ { وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوْهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ
رَّحِيمٌ } ١٨ { وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلَنُونَ } ١٩ { وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلُقُونَ } ٢٠ { أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ
يُبَعْثُثُونَ } ٢١ }

في لغة العرب يسمى المفعول باسم المصدر

في لغة العرب التي نزل بها القرآن أن يسمى المفعول باسم المصدر فيسمى المخلوق خلقاً لقوله هذا خلق الله ويقال درهم ضرب الأمير أي مضروب الأمير ولهذا يسمى المأمور به أمراً والمقدور قدرة وقدراً والمعلوم علماً والمرحوم به رحمة ك قوله تعالى **{أَتَيْ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعِجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}** {النحل} 1 و قوله تعالى **{وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَقْدُورًا}** {الأحزاب} 38 و قوله **{هَذَا حَلْقُ اللَّهِ}** {لقمان} 11¹

الالفاظ المصادر يعبر بها عن المفعول فيسمى المأمور به أمراً والمقدور قدرة والمرحوم به رحمة والمخلوق بالكلمة كلمة فإذا قيل في المسيح أنه كلمة الله فالمراد به أنه خلق بكلمة قوله كن و لم يخلق على الوجه المعتمد من البشر و إلا فعيسى بشر قائم بنفسه ليس هو كلاما صفة للمتكلم يقوم به و كذلك إذا قيل عن المخلوق أنه أمر الله فالمراد أن الله كونه بأمره قوله **{أَتَيْ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعِجِلُوهُ}** {النحل} 1 و قوله **{فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَّهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِيلٍ مَنْضُودٍ}** هود 82²

ولفظ الأمر يراد به المصدر والمفعول فالمعنى مخلوق كما قال **{أَتَيْ أَمْرُ اللَّهِ}** {النحل} 1 و قال **{وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَقْدُورًا}** {الأحزاب} 38 فهنا المراد به المأمور به ليس المراد به أمره الذي هو كلامه وهذه الآية التي إحتاج بها هؤلاء تضمنت الشرع وهو الأمر والقدر وقد ضل في هذا الموضوع فريقان الجهمية الذين يقولون كلام الله مخلوق ويحتاجون بقوله **{وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَقْدُورًا}** {الأحزاب} 38 و يقولون ما كان مقدورا فهو مخلوق وهؤلاء الحلوية الضالون الذين يجعلون فعل العباد قد يدعا بأنه أمر الله وقدره وأمره وقدره غير مخلوق ومثار الشبهة أن إسم القدر والأمر والشرع يراد به المصدر ويراد به المفعول ففي قوله **{وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَقْدُورًا}** {الأحزاب} 38 المراد به المأمور به المقدور وهذا مخلوق وأما في قوله **{ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ}** {الطلاق} 5 فأمره كلامه إذا لم ينزل إلينا الأفعال التي أمرنا بها وإنما أنزل القرآن وهذا ك قوله **{إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤْدُوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا}** {النساء} 5 فهذا الأمر هو كلامه فإذا إحتاج الجهمي الذي يقول أمره إلى أن يجعله حالاً في المخلوقات بقوله **{وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَقْدُورًا}** {الأحزاب} 38 قيل له المراد به المأمور به كما في قوله **{أَتَيْ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعِجِلُوهُ}** {النحل} 1 وكما يقال عن الحوادث التي يحدثها الله هذا أمر عظيم وإذا إحتاج الحلوى الذي يجعل صفات الرب تقارن ذاته وتحل في المخلوقات بقوله **{وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَقْدُورًا}** {الأحزاب} 38 وقال الأفعال قدره وأمره غير مخلوق وقدره غير مخلوق قيل له أمره وقدره الذي هو صفتة كمشينته وكلامه غير مخلوق فاما أمره الذي هو قدر مقدور فمخلوق فالمقدور مخلوق والمأمور به مخلوق وإن سميأً أمراً وقدراً ثم يقال لهؤلاء الضالين هب أن المأمور به يسمى أمراً وشرعاً فالمبني عنه ليس هو مأموراً به ولا مشروعاً وإنما هو مخالفة للأمر والشرع وهو منهي عنه فكيف سميت الكفر والفسق والعصيان شرائع وليس من الشرائع ولكن هي مما نهت عنه الشريعة و لما قال سبحانه **{ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا}** {الجاثية} 18 هل

¹ الجواب الصحيح ج: 4 ص: 66 و مجموع الفتاوى ج: 4 ص: 227 و مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 420
ومجموع الفتاوى ج: 18 ص: 215

² مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 285

دخل في هذه الشريعة الكفر والفسق والعصيان وهل أمر الرسول بإتباع ذلك بإجتنابه وإتقائه وأما قول السائل ما الحجة على من يقول أن أفعال العباد من الحركات وغيرها من القدر الذي قدر قبل خلق السموات والأرض فيقال له من قال هذا القول فقد أحسن وأصاب وليس عليه حجة بل هذا الكلام حجة على نقىض مطلوبه فإن لفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي رواه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو عنه صلى الله عليه وسلم قال إن الله قادر مقادير الخالق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة فقدر أعمالهم وأرزاهم وصورهم وألوانهم وكل ذلك مخلوق فعل ذلك على أن الأعمال من المقدورات المخلوقة وهل يقول عاقل أن عمل العبد كان موجوداً قبل وجوده وعمل العبد حركة التي نشأت عنه فكيف يكون ذلك موجوداً قبله ومن فسر كلامه وقال أنا لم نرد الحركة ولكن أردنا ثوابها فيقال له كل ما سوى الله فهو مخلوق وكلمه وصفاته ليست خارجة عن مسماه بل كلامه داخل في مسمى إسمه ولو قال قائل ما سوى الله وصفاته فهو مخلوق ليزيل هذه الشبهة كان قد قصد معنى صحيحها وكذلك إذ قال كما قال من قال من السلف الله الخالق وما سوى مخلوق إلا القرآن فإنه كلام الله منزل غير مخلوق منه بدا وإليه يعود فهو لاء إستثنوا القرآن لأن لا يتوجه المستمع أن القرآن المنزل مخلوق¹

المضاف إلى الله نوعان

قال النبي الرَّبِيعُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ أَيُّ مِنْ الرُّوحِ الَّتِي خَلَقَهَا اللَّهُ فَاضْافَةً إِلَيْهِ مُلْكَ لَا إِضَافَةً وَصَفَ إِذْ كُلَّ مَا يَضَافُ إِلَيْهِ اللَّهُ إِنْ كَانَ عَيْنًا قَائِمَةً بِنَفْسِهَا فَهُوَ مُلْكٌ لَهُ وَإِنْ كَانَ صَفَةً قَائِمَةً بِغَيْرِهَا لَيْسَ لَهَا مَحْلٌ تَقْوِيمُ بِهِ فَهُوَ صَفَةُ اللَّهِ فَالْأَوَّلُ كَوْلُهُ {نَاقَةُ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا} الشَّمْسُ 13 وَقَوْلُهُ {فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا} مَرْيَمُ 7 وَهُوَ جَبْرِيلٌ {فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا} 17 {قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ نَقِيًّا} 18 {قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكَ لَا أَهَبُ لَكَ غُلَامًا زَكِيًّا} 19 مَرْيَمُ 17-19 وَقَالَ {وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْفَانِتِينَ} التَّحْرِيمُ 12 وَقَالَ عَنْ آدَمَ {فَإِذَا سَوَيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ} الْحَجَرُ 29 وَالثَّانِي كَوْلُنَا عِلْمُ اللَّهِ وَكَلَامُ اللَّهِ وَقُدْرَةُ اللَّهِ وَحِيَاةُ اللَّهِ وَأَمْرُ اللَّهِ لَكُنْ قد يعبر بلفظ المصدر عن المفعول به فيسمى المعلوم علماً والمقدور قدرةً والمأمور به أمراً والمخلوق بالكلمة فـيكون ذلك مخلوقاً كـ قوله {أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ} النَّحْلُ 1 وـ قوله {إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكُ بِكَلِمَةٍ مِنْ أَسْمَهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيَهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنْ الْمُقْرَبَيْنَ} آل عمران 45 وـ قوله {إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ} النساءُ 171 ومن هذا الباب قوله إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة انزل منها رحمة واحدة وامسك عنده تسعة وتسعين رحمة فإذا كان يوم القيمة جمع هذه إلى تلك فرحم بها عباده ومنه قوله في الحديث الصحيح للجنة انت رحمتى ارحم بك من اشاء من عبادي كما قال للنار انت عذابي اعذب بك من اشاء ولكل واحدة منكما ملؤها²

¹ مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 412-414

² مجموع الفتاوى ج: 9 ص: 291

الفرق بين أمر الله الديني وخلقه الكوني

إن الله سبحانه قد فرق بالقرآن وبالإيمان بين أمره الديني وخلقه الكوني فإن الله سبحانه خالق كل شيء ورب كل شيء وملكيه سواء في ذلك الذوات وصفاتها وأفعالها وما شاء الله كان وما لم يشاً لـ يكن لا يخرج عن مشيئته شيء ولا يكون شيء إلا بمشيئته وقد فرق الله في كتابه بين القسمين بين من قام بكلماته الكونيات وبين من اتبع كلماته الدينيات وذلك في أمره وإرادته وقضاءه وحكمه وإننه وبعثه وارسله فقال في الأمر الديني الشرعي {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤْدُوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا} النساء 58 وقال في الأمر الكوني القرى {أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ} النحل 1 وبهذا الجمع والتفريق تزول الشبهة في مسألة الأمر الشرعي هل هو مستلزم للإرادة الكونية أم لا فان التحقيق أنه غير مستلزم للإرادة الكونية القدرة وإن كان مستلزمـاً للإرادة الدينية الشرعية¹

الأمر بتسبيحه يقتضي إثبات صفات الكمال له

قال تعالى {أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} النحل 1 والأمر بتسبيحه يقتضي أيضاً تنزيهه عن كل عيب وسوء و إثبات صفات الكمال له فإن التسبيح يقتضي التنزيه و التعظيم و التعظيم يستلزم إثبات المhammad التي يحمد عليها فيقتضي ذلك تنزيهه و تحميده و تكبيره و توحيدـه²

تعاليه عن الشركاء يقتضي اختصاصه بالإلهية

قال تعالى {أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} النحل 1 فقد تضمن العلو الذي ينعت به نفسه في كتابه أنه متعال عما لا يليق به من الشركاء والأولاد فليس كمثله شيء و هذا يقتضي ثبوت صفات الكمال له دون ما سواه و أنه لا يماثله غيره في شيء من صفات الكمال بل هو متعال عن أن يماثله شيء و تضمن أنه عال على كل ما سواه قاهر له قادر عليه نافذة مشيئته فيه و أنه عال على الجميع فوق عرشه وهذه ثلاثة أمور في إسمه العلى و إثبات علوه على ما سواه و قدرته عليه و قهره يقتضي ربوبيته له و خلقه له و ذلك يستلزم ثبوت الكمال و علوه عن الأمثال يقتضي أنه لا مثل له في صفات الكمال و هذا و هذا يقتضي جميع ما يوصف به في الإثبات و النفي ففي الإثبات يوصف بصفات الكمال و في النفي ينزعه عن النقص المناقض للكمال و ينزعه عن أن يكون له مثل في صفات الكمال كما قد دلت على هذا و هذا سورة الإخلاص {قُلْ هُوَ}

¹ مجموع الفتاوى ج: 2 ص: 411

² مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 126

الله أَحَدُ {1} اللَّهُ الصَّمَدُ {2} الْاَخْلَاصُ 1-2 وتعاليه عن الشركاء يقتضي إختصاصه بالإلهية وأنه لا يستحق العبادة إلا هو وحده¹

أضاف الله كثيرا من الحوادث إليه وأضافه إلى بعض مخلوقاته

وأما على قول جمهور أهل السنة الذين يقولون إنها مفعولة للرب لا فعل له إذا فعله ما قام به والفعل عندهم غير المفعول فيقولون إنها مفعولة للرب لا فعل له وإنها فعل للعبد كما يقولون في قدرة العبد إنها قدرة للعبد مقدورة للرب لا أنها نفس قدرة الرب وكذلك إرادة العبد هي إرادة للعبد مرادة للرب وكذلك سائر صفات العبد هي صفات له وهي مفعولة للرب مخلوقة له ليست بصفات له وما يبين ذلك أن الله تعالى قد أضاف كثيرا من الحوادث إليه وأضافه إلى بعض مخلوقاته إما أن يضيف عينه أو نظيره كقوله تعالى {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكَ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمَّى} الزمر 42 وقال تعالى {وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّ أَكُمْ بِاللَّيلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ} الأنعام 60 مع قوله تعالى {قُلْ يَتَوَفَّ أَكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِلَ بِكُمْ} السجدة 11 وقوله {تَوَفَّهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ} الأنعام 61 وقال تعالى {يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزَلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا} الحديد 4 وقال تعالى {يَنْزِلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ} النحل 2 وقال {نَزَّلْنَاهُ رُوحُ الْأَمِينِ} الشعراء 193 وقال {وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلَ} الإسراء 105 وقال {وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً} المؤمنون 18²

قال تعالى {يَنْزِلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ} النحل 2 فنزول الملائكة هو نزولهم بالوحى من أمره الذى هو كلامه وكذلك قوله {تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ} القدر 4 يناسب قوله {فِيهَا يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٌ} 4 أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ 5 الدخان 4-5 وهذا شبيه بقوله {قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدْسِ} النحل 102³

الله تعالى يؤيد رسالته بالملائكة وبالهدى

قال تعالى {يَنْزِلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ} النحل 2 الله تعالى يؤيد رسالته بالملائكة وبالهدى⁴

¹ مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 124

² منهاج السنة النبوية ج: 3 ص: 243

³ مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 249

⁴ الجواب الصحيح ج: 3 ص: 196

و قال تعالى {أَوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ} المجادلة 22 و قال تعالى {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهَدِي بِهِ مَنْ نَشَاءَ مِنْ عِبَادِنَا} الشورى 52 و قال تعالى {يُنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ} النحل 2 لما ينزله الله في قلوب أنبيائه مما تحيا به قلوبهم من الإيمان الخالص يسميه روحًا و هو ما يؤيد الله به المؤمنين من عباده¹

فما أنزله يسمى هدي الله وروح الله ونبي الله ونور الله ونحو ذلك²

أصل الإيمان توحيد الله والإيمان برسله

أن الله ألزم الخلق التوحيد و أمرهم به و قضى به و حكم فقال {وَقَضَى رَبُّكَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَاهُ} الإسراء 23 و قال {يُنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونَ} النحل 2 و قال {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} النحل 36 الآية و قال تعالى {وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهِيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِنِّي أَنَا هُوَ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ إِلَّا هُوَ سُبْحَانُهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} النحل 51 و قال {وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانُهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} التوبه 31 {وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنْفَاءِ} البينة 5 و هذا كثير في القرآن يوجب على العباد عبادته و توحيده و يحرم عليهم عبادة ما سواه فقد حكم و قضى أنه لا إله إلا هو فلفظ الإله يقتضي أنه يستحق العبادة فإذا أخبر أنه هو المستحق للعبادة دون ما سواه كان ذلك أمراً بما يستحقه و ليس المراد هنا بالله من عبده عابد بلا استحقاق فإن هذه الآلهة كثيرة و لكن تسميتهم آلهة و الخبر عنهم بذلك و اتخاذهم معبدين أمر باطل كما قال تعالى {إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ} النجم 23 و قال {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ} الحج 62 فالآلة التي جعلها عابدوها آلة يعبدونها كثيرة لكن هي لا تستحق العبادة فليست بالآلة كمن جعل غيره شاهداً أو حاكماً أو مفتياً أو أميراً و هو لا يحسن شيئاً من ذلك ولا بد لكل إنسان من إله يألهه و يعبده تعس عبد الدينار و عبد الدرهم فإن بعض الناس قد أله ذلك محبة و ذلا و تعظيمها كما قد بسط في غير هذا الموضع فإذا شهد الله أنه لا إله إلا هو فقد حكم و قضى بأن لا يعبد إلا إيه قال {يُنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ} النحل 2 إلى غير ذلك من الآيات و قد علم بالتواتر و أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونَ الأنبياء 24 معلوم من جهة كل من بلغ عنه كلامه و لهذا قال تعالى {أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَلْهَةً قُلْ هَأْتُوا بُرْهَانُكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مَنْ مَعَيْ وَذِكْرٌ مَنْ قَبْلِي} الأنبياء 3

¹ مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 285

² الجواب الصحيح ج: 3 ص: 409

³ مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 171-173

و أصل الإيمان توحيد الله بعبادته وحده لا شريك له والإيمان برسله كما قال تعالى {فَوَرَبِّكَ لَنْسَأْلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ} 92 {عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ} 93 الحجر 92-93 قال أبو العالية خلطان تسأل العباد يوم القيمة عنهم مما كانوا يعملون وعما اجابوا الرسل ولهذا يقرر الله هذين الأصلين في غير موضع من القرآن بل يقدمهما على كل ما سواهما لأنهما أصل الأصول ومن هذا قوله تعالى {يُنَزَّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونَ} النحل 2¹

جواز بعثة رسول لا يعرف ما جاءت به الرسل قبله

قال تعالى {يُنَزَّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونَ} النحل 2 قوله تعالى {لِلْخَرِجَنَّكَ يَا شَعِيبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرِيبَتَنَا أَوْ لَتَعْوِدُنَّ فِي مِلَّتِنَا} الأعراف 88 الآية وما في معناها التحقيق أن الله سبحانه إنما يصطفي لرسالته من كان خيار قومه حتى في النسب كما في حديث هرقل ومن نشأ بين قوم مشركين جهال لم يكن عليه نقص إذا كان على مثل دينهم إذا كان معروفاً بالصدق والأمانة وفعل ما يعرفون وجوبه وترك ما يعرفون قبحه قال تعالى {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا} الإسراء 15 فلم يكن هؤلاء مستوجبين العذاب وليس في هذا ما ينفر عن القبول منهم ولهذا لم يذكره أحد من المشركين قادحاً وقد إنتفعوا على جواز بعثة رسول لا يعرف ما جاءت به الرسل قبله من النبوة والشرع وإن من لم يقر بذلك بعد الرسالة فهو كافر والرسل قبل الوحي لا تعلمهم فضلاً عن أن تقر به قال تعالى {يُنَزَّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونَ} النحل 2 وقال {يُلْقِي الرُّوحُ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ} غافر 15 فجعل إنذارهم بالتوحيد كالإنذار بيوم التلاق وكلاهما عرفوه بالوحى وما ذكر أنه بغضت إليه الأوثان لا يحب أن يكون لكلنبي فإنه سيد ولد آدم والرسول الذي ينشأ بين أهل الكفر الذين لا نبوة لهم يكون أكمل من غيره من جهة تأييد الله له بالعلم والهدى وبالنصر والقهر كما كان نوح وإبراهيم ولهذا يضيف الله الأمر إليها في مثل قوله {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ} الحديد 26 الآية {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ} آل عمران 33 الآية وذلك أن نوحًا أول رسول بعث إلى المشركين وكان مبدأ شركهم من تعظيم الموتى الصالحين وقوم إبراهيم مبدأه من عبادة الكواكب ذات الشرك الأرضي وهذا السماوي ولهذا سد ذريعة هذا وهذا²

الملائكة رسل الله في تنفيذ أمره الكوني

¹ مجموع الفتاوى ج: 27 ص: 278

² مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 31

إن اسم الملائكة والملك يتضمن أنهم رسول الله كما قال تعالى { جَاعِلُ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا } فاطر ١
فالملائكة رسول الله في تنفيذ أمره الكوني الذي يدير به السموات والأرض وأمره الديني الذي تنزل
به الملائكة فإنه قال {يَنْزِلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ } النحل ٢^١

أن الملائكة لا تزال تنزل بالليل والنهر إلى الأرض كما قال تعالى { وَمَا نَنْزَلَ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ } مريم ٦٤ وفي الصحيحين عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهمما عن النبي أنه قال يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج اليه الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي فيقولون اتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون وكذلك ثبت في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي أنه قال إن الله ملائكة سياحين فضلاً يتبعون مجالس الذكر فإذا مرروا على قوم يذكرون الله تعالى ينادون هلموا إلى حاجتكم فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا قال فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم ما يقول عبادي قال فيقولون يسبحونك ويكتبونك ويحمدونك ويمجدونك وفي روایة لمسلم ان الله ملائكة سيارة فضلاً عن كتاب الناس يتبعون مجالس الذكر فإذا وجدوا مجلساً فيه ذكر قعدوا معهم وحف بعضهم بعضاً حتى يملأوا ما بينهم وبين سماء الدنيا فإذا تفرقوا عرجوا أو صعدوا إلى السماء قال فيسألهم الله عز وجل وهو أعلم بهم من أين جئتم فيقولون جئنا من عند عبادك في الأرض يسبحونك ويكتبونك ويحمدونك ويسائلونك الحديث بطوله^٢

{ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونَ }

وتوحيد الله وإخلاص الدين له في عبادته واستعانته في القرآن كثير جداً بل هو قلب الإيمان وأول الإسلام وأخره كما قال النبي صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وقال إني لأعلم كلمة لا يقولها عند الموت أحد إلا وجد روحه لها روحها وقال من كان آخر كلامه لا إله إلا الله وحيث له الجنة وهو قلب الدين والإيمان وسائل الأعمال كالجوارج له وقول النبي إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل أمرى ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إمرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر اليه فبين بهذا أن النية عمل القلب وهي أصل العمل وإخلاص الدين الله وعبادة الله وحده ومتابعة الرسول فيما جاء به هو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ولهذا أنكرنا على الشيخ يحيى الصرصري ما ي قوله في قصائده في مدح الرسول من الاستغاثة به مثل قوله بك أستغيث وأستعين وأستتجد ونحو ذلك وكذلك ما يفعله كثير من الناس من استجاد الصالحين والمتشبهين بهم والاستغاثة بهم أحياها وأمواتها فإني أنكرت ذلك في مجالس عامة وخاصة وبينت للناس التوحيد ونفع الله بذلك ما شاء الله من الخاصة وال العامة وهو دين الإسلام العام الذي بعث الله به جميع الرسل كما قال تعالى { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنَبُوا }

^١ مجموع الفتاوى ج: 4 ص: 119

² مجموع الفتاوى ج: 5 ص: 370-371

الظَّاغُوتَ} النَّحْل 36 وَقَالَ {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} الْأَنْبِيَاء 25 وَقَالَ النَّبِيُّ لِمَعَاذَ بْنِ جَبَلَ يَا مَعَاذَ أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ قَلَتِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ حَقُّهُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا أَتَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ أَنْ لَا يَعْذِبُهُمْ وَقَالَ لَابْنِ عَبَّاسٍ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأُلِ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعْنَتْ فَاسْتَعْنِ بِاللَّهِ {أَنْ أَنْذِرُوا

تناول النفس كمالها بسعادتها ونجاتها بالفطرة المكملة بالشريعة المنزلة

قال تعالى {خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ} تعاليٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ {3} خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ {4} النحل-3 جاءت الكتب الإلهية بخطاب الناس بالمعقولات الصحيحة الفطرية فإن الرسل بعثوا بتقرير الفطرة وتمكيلها لا بتغيير الفطرة وتحويلها والنفس إنما تتال كمالها بسعادتها ونجاتها بالفطرة المكملة بالشرعية المنزلة ولهذا حيث ذكر الله في كتابه شيئاً من هذه الأسماء التي تدل على الفعل لم يعقل العقلاً من ذلك إلا أنه محدث ك قوله تعالى {خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ} تعاليٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ {النحل 3} إلى أمثل ذلك من الخطاب الذي قد علم بالإضطرار معناه وأن بناءها أمر حادث كان بعد أن لم يكن²

خلق السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ

قال تعالى {خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} {3} خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ} {4} النحل-3-4 أن الله سبحانه حكيم رحيم وقد أخبر أنه لم يخلق المخلوقات إلا بحكمته كما قال في قوله تعالى {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظُنُونُ الَّذِينَ كَفَرُوا} {ص 27} و قال تعالى {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ اللَّيلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لَّا يُؤْلِي إِلَّا لِبَابِ} {190} الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقَنَا عَذَابَ النَّارِ} {191} آل عمران 190-191 وقال تعالى {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَا عِيْنَ} {16} لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتْخِذَ لَهُمَا لَا تَخْدُنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ} {17} الأنبياء 16-17 وقال وهذا يبين أن معنى قوله في سائر الآيات بالحق هو لهذا المعنى الذي يتضمن حكمته كما قال {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ} {الأنعام 73} و قوله {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيهِ فَاصْفَحْ الصَّفَحَ الْجَمِيلَ} {85} إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَقُ الْعَلِيمُ} {86} الحجر 85-86 وبعض الناس يظن أن قوله {هُوَ الْخَلَقُ} {الحجر 86} إشارة إلى أنه خالق أفعال العباد فلا ينبغي التشديد في الإنكار عليهم بل يصف عنهم الصفح الجميل لأجل القدر وهذا من أعظم الجهل فإنه سبحانه قد عاقب المخالفين له ولرسله وغضب عليهم وأمر بمعاقبتهم وأعد لهم من العذاب ما ينافي قول

¹مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 72

الصفية ج: 2 ص: 159²

هؤلاء المعطلين لأمره و نهيه و وعده و قوله { فَاصْفَحِ الصَّفَحَ الْجَمِيلَ } الحجر 85
 تعلق بما قبله و هو قوله { وَإِنَّ السَّاعَةَ لَا تَبْيَهُ فَاصْفَحِ الصَّفَحَ الْجَمِيلَ } الحجر 85
 فإن لهم موعدا يحزون فيه ن كما قال تعالى في نظائر ذلك { فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ } الرعد 40
 فذَكَرَ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ } 21 { لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ } 22 { إِلَّا مَنْ تَوَلَّ إِلَى كُفَّارٍ } 23 { فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ
 الْأَكْبَرُ } 24 { إِنَّ إِلَيْنَا إِيَّاهُمْ } 25 { ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابُهُمْ } 26 { الغاشية 21-26
 و قوله { فَقَوْلَ عَنْهُمْ حَتَّى حِينَ } الصافات 174 و قوله { فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسُوفَ يَعْلَمُونَ } الزخرف 89
 ولم يعذر الله أحداً قط بالقدر ولو عذر به لكان أنبياؤه وأولياؤه أحق بذلك و آدم إنما حج موسى لأنه
 لامه على المصيبة التي أصابت الذريه فقال له لماذا أخرجتنا و نفسك من الجنة و ما أصاب العبد من
 المصائب فعليه أن يسلم فيها الله و يعلم أنها مقدورة عليه كما قال تعالى { مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا
 بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ يَهْدَ قُلْبُهُ } التغابن 11 قال علامة وقد روى عن ابن مسعود هو الرجل تصيبه
 المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضي و يسلم فالعبد مأمور بالتفوي و الصبر فالتفوي فعل ما أمر به
 و من الصبر على ما أصابه وهذا هو صاحب العاقبة المحمودة كما قال يوسف عليه السلام { إِنَّمَا مَنْ
 يَتَّقَ وَيَصْبِرُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ } يوسف 90 و قال تعالى { وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ
 ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأَمْوَارِ } آل عمران 186 و قال { وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضْرُكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا } آل
 عمران 120 و قال { بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مَنْ فَوْرَهُمْ هَذَا يُمْدِدُكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافِ مِنَ
 الْمَلَائِكَةِ مُسَوَّمِينَ } آل عمران 125 لابد لكل عبد من أن يقع منه ما يحتاج معه إلى التوبة و
 الإستغفار و يبتلى بما يحتاج معه إلى الصبر فلهذا يؤمر بالصبر و الإستغفار كما قيل لأفضل الخلق
 { فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ } غافر 55 و قد بسط
 الكلام في غير هذا الموضع على مناظرة آدم و موسى فإن كثيراً من الناس حملوها على محامل
 مخالفة للكتاب و السنة و إجماع الأمة و منهم من كذب بالحديث لعدم فهمه له و الحديث حق يوجب
 أن الإنسان إذا جرت عليه مصيبة بفعل غيره مثل أبيه أو غير أبيه لا سيما إذا كان أبوه قد تاب منها
 فلم يبق عليه من جهة الله تبعة كما جرى لآدم صلوات الله عليه قال تعالى { وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ
 فَغَوَى } 121 { ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى } 122 { طه 121-122 و قال { فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ
 قَتَابَ عَلَيْهِ } البقرة 37 و كان آدم و موسى أعلم بالله من أن يحتاج أحدهما لذنبه بالقدر و يوافقه الآخر
 و لو كان كذلك لم يحتاج آدم إلى توبة و لا أهبط من الجنة و موسى هو القائل { رَبِّ إِنِّي ظُلِمْتُ
 نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي } القصص 16 و هو القائل { أَنْتَ وَلِيَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ
 الرَّاحِمِينَ } الأعراف 151 و هو القائل { أَنْتَ وَلِيَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ
 } الأعراف 155 و هو القائل لقومه { قُتُّوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ
 } البقرة 54 فلو كان المذنب يعذر بالقدر لم يحتاج إلى هذا بل كان الإحتاج بالقدر لما حصل من
 موسى ملام على ما قدر عليه من المصيبة التي كتبها الله و قدرها و من الإيمان بالقدر أن يعلم
 العبد أن ما أصابه لم يكن ليخطئه و ما أخطأه لم يكن ليصيبه فالمؤمن يصبر على المصائب و يستغفر
 من الذنوب و المعائب و الجاهل الظالم يحتاج بالقدر على ذنبه و سيئاته و لا يعذر بالقدر من أساء
 إليه و لا يذكر القدر عند ما ييسره الله له من الخير فعكس القضية بل كان الواجب عليه إذا عمل
 حسنة أن يعلم أنها نعمة من الله هو يسرها و تقضي بها فلا يعجب بها و لا يضيفها إلى نفسه كأنه
 أخلاق لها و إذا عمل سيئة يستغفر و تاب منها و إذا أصابته مصيبة سماوية أو بفعل العباد يعلم أنها
 كانت مقدرة مقضية عليه و هذا مبسوط في موضعه والمراد هنا أنه سبحانه بين أنه إنما خلق
 المخلوقات لحكمته و هذا معنى قوله بالحق و قد ذم من ظن أنه خلق ذلك باطلأ و عثا
 فقال { أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَّاتٍ وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ } المؤمنون 115 و قال { أَيْحَسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ

يُنْزَكِ سُدَى } القيامة 36 و قال { إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاحْتِلَافِ اللَّيلِ وَالنَّهَارِ لِآيَاتٍ لِأَوْلِي الْأَلْبَابِ } 190 { الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيمًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَكَبَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ } 191 { آل عمران 190-191 فلابد من جزاء العباد على أعمالهم فلهذا قيل { فَاصْفَحْ الصَّفَحَ الْجَمِيلَ } الحجر 85 والله سبحانه في كل ما يخلقه حكمة يحبها ويرضاها و هو سبحانه أحسن كل شيء خلقه و أتقن كل ما صنع فما وقع من الشر الموجود في المخلوقات فقد وجد لأجل تلك الحكمة المطلوبة المحبوبة المرضية فهو من الله حسن جميل و هو سبحانه محمود عليه و له الحمد على كل حال و إن كان شرا بالنسبة إلى بعض الأشخاص و هذا موضوع عظيم قد بسط في غير هذا الموضع فإن الناس في باب خلق الرب و أمره و لم فعل ذلك على طرفين و وسط فالقدرة من المعتزلة و غيرهم قد صدوا تعظيم الرب و تنزيهه بما ظنوه قبيحا من الأفعال و ظلما فأنكروا عموم قدرته و مشيئته و لم يجعلوه خالقا لكل شيء و لا أنه ما شاء كان و ما لم يشأ لم يكن بل قالوا يشاء ما لا يكون و يكون ما لا يشاء ثم إنهم و ضعوا لربهم شريعة فيما يجب عليه و يحرم بالقياس على أنفسهم و تكلموا في التعديل و التجويز بهذا القياس الفاسد الذي شبهوا فيه الخالق بالمخلوق فضلوا و أضلوا و قابلهم الجهمية الغلاة في الجبر فأنكروا حكمة الله و رحمته و قالوا لم يخلق لحكمة و لم يأمر بحكمة و ليس في القرآن لام كي لا في خلقه و لا في أمره وزعموا أن قوله { وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ } الجاثية 13 و { خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً } البقرة 29 و قوله { لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى } النجم 31 و قوله { وَلَتُكْمِلُوا الْعِدَةَ وَلَا تَكْبُرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَأْكُمْ } البقرة 185 و قوله { إِنَّمَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ } النساء 165 و أمثل ذلك إنما اللام فيه لام العاقبة كقوله { فَالْتَّقَطَهُ أَلْ فِرْعَوْنُ لِيَكُونُ لَهُمْ عَذَّابًا وَحَرَنًا } القصص 8 و قول القائل لدوا للموت و ابنيوا للخراب و لم يعلموا أن لام العاقبة إنما تصح من يكون جاهلا بعاقبة فعله كفرعون الذي لم يكن يدرى ما ينتهي إليه أمر موسى أو من يكون عاجزا عن رد عاقبة فعله كعجزبني آدم عن دفع الموت عن أنفسهم و الخراب عن ديارهم فاما من هو بكل شيء عليم و على كل شيء قادر و هو مريد لكل ما خلق فيمتنع في حقه لام العاقبة التي تتضمن نفي العلم أو نفي القدرة و أنكر هؤلاء محبة الله و رضاه لبعض الموجودات دون بعض و قالوا المحبة و الرضا هو من معنى الإرادة و الله مريد لكل ما خلقه فهو راض بذلك محب له و زعموا أن ما في القرآن من نفي حبه و رضاه بالكفر و المعاصي كقوله { وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ } البقرة 205 { وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفُرَ } الزمر 7 محمول على عباده الذين لم يقع ذلك منهم أو أنه لم يرده دينا يثيبهم عليه و زعموا أن الله لا يحب و لا يرضي ما أمر به من العبادات إلا إذا و قع فيريده كما يريد حينئذ ما وقع من الكفر و المعاصي إلى غير ذلك من قولهم المبسوطة في غير هذا الموضع و كثير من المؤاخرين يظن أن هذا قول أهل السنة و هذا مما لم يقله أحد من سلف الأمة و أئمتها بل جميع مثبتة القدر المتقدمين كانوا يفرقون بين المحبة و الرضا وبين الإرادة و لكن أبو الحسن الأشعري إتبع جهما في ذلك قال أبو المعالي الجوني و مما اختلف أهل الحق في إطلاقه و عدم إطلاقه المحبة و الرضا فصار المتقدمون إلى أنه سبحانه لا يحب الكفر و لا يرضاه و كذلك كل معصية و قال شيخنا أبو الحسن المحبة هي الإرادة نفسها و كذلك الرضا والإصطفاء و هو سبحانه يريد الكفر و يرضاه كفرا معاقبا عليه و هو كما قال أبو المعالي فإن المتقدمين من جميع أهل السنة على ما دل عليه الكتاب و السنة من أنه سبحانه لا يرضي ما نهى عنه ولا يحبه وعلى ذلك قداء أصحاب الأئمة الأربع أصحاب أبي حنيفة و مالك و الشافعي أحمد كأبي بكر عبدالعزيز و غيره من قدمائهم و لكن من المؤاخرين من سوى بين الجميع كما قاله أبو الحسن و هو في الأصل قول لجهنم فهو الذي قال في

القدر بالجبر و بما يخالف أهل السنة و انكر رحمة الله تعالى و كان يخرج إلى الجذم ففيقول أرحم الرحيمين يفعل هذا فنفي أن يكون الله أرحم الراحمين وقد قال الصادق المصدوق لله أرحم بعباده من الوالدة بولده و هذه مسائل عظيمة ليس لها موضع بسطها و إنما المقصود هنا التبيه على الجمل فإن كثيرا من الناس يقرأ كتابا مصنفة في أصول الدين وأصول الفقه بل في تفسير القرآن و الحديث و لا يجد فيها القول الموافق لكتاب و السنة الذي عليه سلف الأمة وأئمتها و هو الموافق لصحيح المنقول و صريح المعقول بل يجد أقوالا كل منها فيه نوع من الفساد و التناقض فيحار ما الذي يؤمن به في هذا الباب و ما الذي جاء به الرسول و ما هو الحق و الصدق إذ لم يجد في تلك الأقوال ما يحصل به ذلك و إنما الهدى فيما جاء به الرسول الذي قال الله فيه {وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} {52} صِرَاطٌ اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ} {53}

¹ الشورى 52-53

أن الله لم يخلق شيئاً ما إلا لحكمة

قال تعالى {خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} {3} خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ {4} وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دُفَءٌ وَمَنَافِعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ {5} وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْيَحُونَ وَحِينَ تُسْرَحُونَ {6} وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلْدٍ لَمْ تَكُنُوا بِالْغَيْرِ إِلَّا بِشَقْ الأنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ {7} وَالْخَيْرُ وَالبُغْلَانِ وَالْحَمِيرِ لِتَرْكُبُوهَا وَزَيْنَةٌ وَبِخَلْقٍ مَا لَا تَعْلَمُونَ {8} النحل-3-4 و العدم المحسوس ليس بشيء حتى يضاف إلى الله تعالى و أما إن كان الشيء موجودا كالألم و سبب الألم فينبغي أن يعرف أن الشر الموجود ليس شرًا على الإطلاق و لا شرًا محسوسا و إنما هو شر في حق من تالم به و قد تكون مصائب قوم عند قوم فوائد و لهذا جاء في الحديث الذي رويناه مسلسلًا آمنت بالقدر خيره و شره و حلوه و مره و في الحديث الذي رواه أبو داود لو أنفقت ملء الأرض ذهبا لما قبله منك حتى تؤمن بالقدر خيره و شره و تعلم أن ما اصابك لم يكن ليخطئك و ما اخطأك لم يكن ليصيبك فالخير و الشر بما بحسب العبد المضاف إليه كالحلو و المر سواء و ذلك أن من لم يتآلم بالشيء ليس في حقه شرًا و من تنعم به فهو في حقه خير كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم من قص عليه أخوه رؤيا أن يقول خيرا نلقاه و شرًا نوقاء خيرا لنا و شرًا لأعدانا فإنه إذا أصاب العبد شر قلب عدوه فهو خير لهذا و شر لهذا و من لم يكن له ولية ولا عدوا فليس في حقه لا خيرا و لا شرًا و ليس في مخلوقات الله ما يؤلم الخلق كلهم دائمًا و لا ما يؤلم جمهورهم دائمًا بل مخلوقاته إما منعمه لهم أو لجمهورهم في غالب الأوقات كالشمس و العافية فلم يكن في الموجودات التي خلقها الله ما هو شر مطلقا عاما فعلم أن الشر المخلوق الموجود شر مقيد خاص و فيه وجه آخر هو به خير و حسن و هو أغلب وجهيه كما قال تعالى {أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ} {السجدة} 7 و قال تعالى {صُنْعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ} {النمل} 88 و قال تعالى {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ} {الحجر} 85 و قال {وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا} {آل عمران} 191 وقد علم المسلمون أن الله لم يخلق شيئاً ما إلا

¹ مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 98-102

لحكمة فتلك الحكمة وجه حسنها وخيرها ولا يكون في المخلوقات شر محض لا خير فيه ولا فائدة
فيه بوجه من الوجوه وبهذا يظهر معنى قوله¹ و الشر ليس إليك

والله تعالى ذكر في سورة النحل انعامه على عباده فذكر في أول السورة أصول النعم التي لا يعيش
بنو آدم إلا بها وذكر في أثنائها تمام النعم التي لا يطيب عيشهم إلا بها فذكر في أولها الرزق الذي
لابد لهم منه وذكر ما يدفع البرد من الكسوة بقوله {وَالْأَنْعَامُ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعٌ وَمِنْهَا
تَأْكُلُونَ} النحل²

{وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ}

أن الله سمى نفسه وصفاته بأسماء وسمى بعض عباده وصفات عباده بأسماء هي في حقهم نظير
تلك الأسماء في حقه سبحانه وتعالى فسمى نفسه رؤوفا رحيمما بقوله {وَتَحْمِلُ أَنْقَالَكُمْ إِلَى بَلْدَنْ
تَكُونُوا بِالْغَيْرِ إِلَّا بِشَقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ} النحل⁷ وسمى بعض عباده رؤوفا رحيمما
بقوله {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ}³
التوبه 128 وليس الرؤوف كالرحيم كالرحيم وليس هو في ذلك مماثلا لخلفه³

إذا ذكر حكمة للفعل لم يلزم أن لا تكون له حكمة أخرى

قال تعالى {وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ} 5 {وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ
وَحِينَ تَسْرَحُونَ} 6 {وَتَحْمِلُ أَنْقَالَكُمْ إِلَى بَلْدَنْ تَكُونُوا بِالْغَيْرِ إِلَّا بِشَقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ
رَّحِيمٌ} 7 {وَالْخَيْلَ وَالْبَيْعَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكُبُوهَا وَزِينَةٌ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ} 8 النحل⁵⁻⁸ ومعلوم أن
في هذه الدواب منافع غير الركوب وذلك لا يقتضي أنه إلا لهذا بل مثل هذا كثير معروف في لسان
العرب وغيرهم وفي ذلك حكم أخرى ومثل ذلك كثير في كلام الله عز وجل وغير كلام الله إذا ذكر
حكمة للفعل لم يلزم أن لا تكون له حكمة أخرى لكن لا بد لتصحص تلك الحكمة بالذكر في ذلك
الموضع من مناسبته وهذا كالمناسبة في قوله {لِتُنذَرَ قَوْمًا مَا أُنذَرَ آباؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ} 6 سورة يس
الآية 6 فإن هؤلاء كانوا أول المنذرين وأحقهم بالإذار فكان في تخصيصهم بالذكر فائدة لا أنه
خصصهم لانتقاء إذار من سواهم⁴

¹ مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 20-21

² مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 256

³ الجواب الصحيح ج: 4 ص: 423

⁴ الجواب الصحيح ج: 1 ص: 429

سنة رسول الله أنه يطعم ما يجده ويلبس ما يجده

قال تعالى { وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ }⁵ { وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِحُّونَ وَحِينَ تَسْرِحُونَ }⁶ { وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلْدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالغَيْرِ إِلَّا بِشَقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَوُوفٌ رَّحِيمٌ }⁷ { وَالْخَيْلُ وَالْبَيْعَالُ وَالْحَمِيرُ لِتَرْكَبُوهَا وَزَيْنَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ }⁸ كان الصحابة رضوان الله عليهم يركبونها وامتن الله عليهم بذلك في قوله تعالى **{ وَالْخَيْلُ وَالْبَيْعَالُ وَالْحَمِيرُ لِتَرْكَبُوهَا }** النحل⁸ وكان النبي بغلة يركبها وروي عنه أنه ركب الحمار¹

قوله { وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلْدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالغَيْرِ إِلَّا بِشَقِّ الْأَنْفُسِ } النحل⁷ ليس المراد ما كنتم بالغيه في الماضي بل هذه حالهم دائما²

أن ما خلقه الله فيسائر الأرض من القوت واللباس والمراكب والمساكن لم يكن كل نوع منه كان موجودا في الحجاز فلم يأكل النبي من كل نوع من أنواع الطعام القوت والفاكهه ولا لبس من كل نوع من أنواع اللباس ثم ان من كان من المسلمين بأرض أخرى كالشام ومصر والعراق واليمن وخراسان وأرمينية وأذربيجان والمغرب وغير ذلك عندهم أطعمة وثياب مجلوبة عندهم أو مخلوبة من مكان آخر فليس لهم أن يظنو ترك الإنفاق بذلك الطعام واللباس سنة لكون النبي لم يأكل مثله ولم يلبس مثله إذ عدم الفعل إنما هو عدم دليل واحد من الأدلة الشرعية وهو أضعف من القول باتفاق العلماء وسائر الأدلة من أقواله كأمره ونهيه وإذنه من قول الله تعالى هي أقوى وأكبر ولا يلزم من عدم دليل معين عدم سائر الأدلة الشرعية وكذلك إجماع الصحابة أيضا من أقوى الأدلة الشرعية فنفي الحكم بالاستحباب لانتفاء دليل معين من غير تأمل باقي الأدلة خطأ عظيم فان الله يقول { وَقَدَرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا } فصلت¹⁰ وقال تعالى { هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً } البقرة²⁹ وقال تعالى { وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ } الجاثية¹³ وقال تعالى **{ وَالْخَيْلُ وَالْبَيْعَالُ وَالْحَمِيرُ لِتَرْكَبُوهَا وَزَيْنَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ }** النحل⁸ ولم تكن البغال موجودة بأرض العرب ولم يركب النبي بغلة إلا البغلة التي أهدتها له المقووس من أرض مصر بعد صلح الحديبية وهذه الآية نزلت بمكة ومثلها في القرآن يمتن الله على عباده بنعمه التي لم تكن بأرض الحجاز كقوله تعالى { فَلَيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ }²⁴ { أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبَّاً }²⁵ { ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقَّاً }²⁶ { فَأَنْبَثْنَا فِيهَا حَبَّاً }²⁷ { وَعِنْبَأً وَقَضْبَأً }²⁸ { وَزَيْتُونَةً وَنَخْلَأً }²⁹ { وَحَدَائِقَ غُلْبَأً }³⁰ { وَفَاكِهَةً وَأَبَأً }³¹ عبس²⁴⁻³¹ ولم يكن بأرض الحجاز زيتون ولا نقل عن النبي أنه أكل زيتونا ولكن لعل الزيت كان يجلب إليهم وقد قال تعالى **{ وَالثَّيْنِ وَالزَّيْتُونِ }** التين¹ ولم يكن بأرضهم لا هذا ولا هذا ولا نقل عن النبي أنه أكل منها وكذلك قوله **{ وَشَجَرَةٌ تَخْرُجُ مِنْ طُورٍ سَيِّئَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْأَكْلِينَ }** المؤمنون²⁰ وقد قال النبي كلوا الزيت وادهنوها به فإنه من شجرة مباركة وقال تعالى **{ الْزَّجَاجَةُ كَانَهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٌ لَا شَرْقِيَّةٌ وَلَا غَرْبِيَّةٌ يَكَادُ زَيْنُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْ نَارٌ }** النور³⁵ وكذلك قوله **{ وَحَدَائِقَ غُلْبَأً }** عبس³⁰ وكذلك قوله في البحر **{ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ }**

¹ مجموع الفتاوى ج: 21 ص: 521

² مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 510

لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبِسُونَهَا } النحل 14 قوله { وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِنَ الْفَلَكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ } 12 لَتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ نَذْكُرُوْنَا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ } 13 وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمْنَقِبُونَ } 14 الزخرف 12-14 ولم يركب النبي البحر ولا أبو بكر ولا عمر وقد أخبر من يركب البحر من أمته غزارة في سبيل الله كأنهم ملوك على الأسرة لأم حرام بنت ملحان وقالت ادع الله أن يجعلني منهم فقال أنت مني وكانت سنة رسول الله أنه يطعم ما يجده في أرضه ويجلس ما يجده ويركب ما يجده مما أباحه الله تعالى فمن استعمل ما يجده في أرضه فهو المتبوع للسنة كما أنه حج البيت من مدینته فمن حج البيت من مدینة نفسه فهو المتبوع للسنة وإن لم تكن هذه المدينة تلك وكان يجاهد من يليه من الكفار من المشركين وأهل الكتاب فمن جاهد من هؤلاء فقد اتبع السنة وإن كان نوع هؤلاء غير نوع أولئك إذ أولئك كان غالبيهم عرباً ولهم نوع من الشرك هم عليه فمن جاهد سائر المشركين تركهم وهنهم وغيرهم فقد فعل ما أمر الله به وإن كانت أصنامهم ليست تلك الأصنام ومن جاهد اليهود والنصارى فقد اتبع السنة وإن كان هؤلاء اليهود والنصارى من نوع آخر غير النوع الذي جاهدهم النبي فإنه جاهد اليهود المدينة كقريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خير وضرب الجزية على نصارى نجران وغزا نصارى الشام عربها ورومها عام تبوك ولم يكن فيها قتال وأرسل إليهم زيداً وجعفراً وعبد الله بن رواحة قاتلوهم في غزوة مؤتة وقال أميركم زيد فان قتل فجعفر فان قتل فعبد الله بن رواحة وصالح أهل البحرين وكانوا مجوساً على الجزية وهم أهل هجر وفي الصحيح أنه قدم مال البحرين فجعله في المسجد وما ثاب حتى قسمه وهذا باب واسع قد بسطناه في غير هذا الموضوع وميزنا بين السنة والبدعة وبيننا ان السنة هي ما قام الدليل الشرعي عليه بأنه طاعة لله ورسوله سواء فعله رسول الله أو فعل على زمانه أو لم يفعله ولم يفعل على زمانه لعدم المقتضى حينئذ لفعله أو وجود المانع منه فإنه إذا ثبت أنه أمر به أو استحبه فهو سنة كما أمر باجلاء اليهود والنصارى من جزيرة العرب وكما جمع الصحابة القرآن في المصحف وكما داوموا على قيام رمضان في المسجد جماعة¹

السبيل العادلة

قال تعالى { وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهُدَاكُمْ أَجْمَعِينَ } النحل 9 وقال الأصمعي إشتد بالشين المعجمة ليس بشيء وتعبيرهم عن السيد بالقصد بذلك على أن لفظ القصد فيه معنى الجمع والقوة والقصد العدل كما أنه السداد والصواب وهو المطابق الموافق الذي لا يزيد ولا ينقص وهذا هو الجامع المطابق ومنه قوله تعالى { وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ } النحل 9 أي القصد وهو السبيل العدل أي إليه تنتهي السبيل العادلة كما قال تعالى { إِنَّ عَلَيْنَا لَهُدَى } الليل 12 أي الهدي إلينا هذا أصح الأقوال في الآيتين وكذلك قوله تعالى { قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَى مُسْتَقِيمٍ } الحجر 41²

¹ مجموع الفتاوى ج: 21 ص: 315-318

² مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 231

وَقَالَ تَعَالَى {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَبَعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلَّوْا مِنْ قَبْلِ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلَّوْا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ} المائدة 77 أي وسط الطريق وهي السبيل القصد الذي قال الله فيها **{وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ}** النحل 9 وهي الصراط المستقيم¹

الصراط المستقيم هو الذي ينالون به ولية الله

في آيات ثلاثة متناسبة متشابهة اللفظ والمعنى يخفي معناها على أكثر الناس قوله تعالى { قال هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ } 41 إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ } 42 الحجر 42-41 وقوله تعالى **{وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَاءَ}** النحل 9 وقوله تعالى { إِنَّ عَلَيْنَا لَهُدْيَى } 12 وَإِنَّ لَنَا لِآخِرَةٍ وَأَلْأُولَى } 13 الليل 13-12 فلفظ هذه الآيات فيه أن السبيل الهادي هو على الله وقد ذكر أبو الفرج بن الجوزي في الآية الأولى ثلاثة أقوال بخلاف الآيتين الأخريتين فإنه لم يذكر فيها إلا قولا واحدا فقال في تلك الآية إختلفوا في معنى هذا الكلام على ثلاثة أقوال أحدها أنه يعني بقوله هذا الإخلاص فالمعنى أن الإخلاص طريق إلى مستقيم وعلى بمعنى إلى و الثاني هذا طريق على حوازه لأنى بالمرصاد فأجاز لهم بأعمالهم وهو خارج مخرج الوعيد كما تقول للرجل تخاصمه طريقك على فهو كقوله { إِنَّ رَبَّكَ لِيَأْمُرُ صَادِ } الفجر 14 و الثالث هذا صراط على إستقامته أى أنا ضامن لاستقامته بالبيان والبرهان قال وقرأ قتادة ويعقوب هذا صراط على أى رفيع قلت هذه الأقوال الثلاثة قد ذكرها من قبله كالتعلبي والواحدي والبغوي وذكروا قول رابعا قالوا واللّفظ للبغوي وهو مختصر التعلبي قال الحسن معناه صراط مستقيم وقال مجاهد الحق يرجع إلى عليه طريقه لا يعرج على شيء وقال الأخفش يعني على الدلالة على الصراط المستقيم وقال الكسائي هذا على التهديد والوعيد كما يقول الرجل لمن يخاصمه طريقك على أى لا تقلت مني كما قال تعالى { إِنَّ رَبَّكَ لِيَأْمُرُ صَادِ } الفجر 14 وقيل معناه على إستقامته بالبيان والبرهان والتوفيق والهداية فذكروا الأقوال الثلاثة وذكروا قول الأخفش على الدلالة على الصراط المستقيم وهو يشبه القول الأخير لكن بينهما فرق فإن ذاك يقول على إستقامته الأدلة فمن سلكه كان على صراط مستقيم والآخر يقول على أن أدل الخلق عليه بإقامة الحجج ففى كلام القولين أنه بين الصراط المستقيم بنصب الأدلة لكن هذا جعل الدلالة عليه وهذا جعل عليه إستقامته أى بيان إستقامته وهما متلازمان ولهذا والله أعلم لم يجعله أبو الفرج قول رابعا وذكروا القراءة الأخرى عن يعقوب وغيره أى رفيع قال البغوي وعبر بعضهم عنه رفيع أن ينال مستقيم أن يمال قلت القول الصواب هو قول أئمة السلف قول مجاهد ونحوه فإنهم أعلم بمعنی القرآن لا سيما مجاهد فإنه قال عرضت المصحف على ابن عباس من فاته إلى خاتمته أفقه عند كل آية وأسئلته عنها وقال الثورى إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسباك به وأئمة كالشافعى وأحمد والبخارى ونحوهم يعتمدون على تفسيره والبخارى فى صحيحه أكثر ما ينقله من التفسير ينقله عنه والحسن البصري أعلم التابعين بالصراة وما ذكروه عن مجاهد

¹ منهاج السنة النبوية ج: 5 ص: 330

ثابت عنه رواه الناس كابن أبي حاتم وغيره من تفسير ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله {هَذَا صِرَاطٌ عَلَيْ مُسْتَقِيمٌ} الحجر 41 الحق يرجع إلى الله وعليه طريقه لا يعرج على شيء ذكر عن قتادة أنه فسرها على قراءته وهو يقرأ على فقال أى رفيع مستقيم وكذلك ذكر ابن أبي حاتم عن السلف أنهم فسروا آية النحل فروى من طريق ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله {قَصْدُ السَّبِيلِ} النحل 9 قال طريق الحق على الله وروى عن السدى انه قال الإسلام وعطاء قال هي طريق الجنة فهذه الأقوال قول مجاهد والسدى وعطاء في هذه الآية هي مثل مجاهد والحسن في تلك الآية وذكر ابن أبي حاتم من تفسير العوفى عن ابن عباس في قوله {وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ} النحل 9 يقول على الله البيان أن بين الهدى والضلاله وذكر ابن ابي حاتم في هذه الآية ولم يذكر في آية الحجر إلا قول مجاهد فقط وابن الجوزى لم يذكر في آية النحل إلا هذا القول الثاني وذكره عن الزجاج فقال {وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ} النحل 9 القصد إستقامة الطريق يقال طريق قصد وقصد إذا قصد بك إلى ما تريده قال الزجاج المعنى وعلى الله تبين الطريق المستقيم والدعاء إليه بالحجج والبراهين وكذلك الثعلبى والبغوى ونحوهما لم يذكروا إلا هذا القول لكن ذكره باللغظين قال البغوى يعني بيان طريق الهدى من الضلاله وقيل بيان الحق بالأيات والبراهين قال والقصد الصراط المستقيم {وَمِنْهَا جَائِرٌ} النحل 9 يعني ومن السبيل ما هو جائز عن الإستقامة معوج فالقصد من السبيل دين الإسلام والجائز منها اليهودية والنصرانية وسائر ملل الكفر قال جابر بن عبد الله {قَصْدُ السَّبِيلِ} النحل 9 بيان الشرائع والفرائض وقال عبدالله بن المبارك وسهل بن عبد الله قصد السبيل السنة ومنها جائز الأهواء والبدع دليله قوله تعالى {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَبَرَّغُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بَعْضُهُمْ عَنْ سَبِيلِهِ} الأنعام 153 ولكن البغوى ذكر فيها القول الآخر ذكره في تفسير قوله تعالى {إِنَّ عَلَيْنَا لَهُدًى} الليل 12 عن الفراء كما سيأتي فقد ذكر القولين في الآيات الثلاث تبعاً لما قبله كالثعلبى وغيره والمهدى ذكر في الآية الأولى قولين من الثلاثة وذكر في الثانية ما رواه العوفى وقولاً آخر فقال قوله {هَذَا صِرَاطٌ عَلَيْ مُسْتَقِيمٌ} الحجر 41 أى على أمرى وإرادتى وقيل هو على التهديد كما يقال على طريقك وإلى مصيرك وقال في قوله {وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ} النحل 9 قال ابن عباس أى بيان الهدى من الضلال وقيل السبيل الإسلام {وَمِنْهَا جَائِرٌ} النحل 9 أى ومن السبيل جائز أى عادل عن الحق وقيل المعنى وعنها جائز أى عن السبيل ف من بمعنى عن وقيل معنى {قَصْدُ السَّبِيلِ} النحل 9 سيركم ورجوكم والسبيل واحدة بمعنى الجمع قلت هذا قول بعض المتأخرین جعل القصد بمعنى الإرادة أى عليه قصدكم للسبيل في ذهابكم ورجوكم وهو كلام من لم يفهم الآية فإن السبيل القصد هي السبيل العادلة أى عليه السبيل القصد و السبيل إسم جنس ولهذا قال {وَمِنْهَا جَائِرٌ} النحل 9 أى عليه القصد من السبيل ومن السبيل جائز فأضافه إلى إسم الجنس إضافة النوع إلى الجنس أى القصد من السبيل كما تقول ثوب خز ولهذا قال {قَصْدُ السَّبِيلِ} النحل 9 وأما من ظن أن التقدير قصدكم السبيل فهذا لا يطابق لفظ الآية ونظمها من وجوه متعددة وابن عطية لم يذكر في آية الحجر إلا قول الكسائي وهو أضعف الأقوال وذكر المعنى الصحيح تفسيراً للقراءة الأخرى فذكر أن جماعة من السلف قرأوا على مستقيم من العلو والرفعة قال والإشارة بهذا على هذه القراءة إلى الإخلاص لما يستثنى إبليس من أخلص قال الله له هذا الإخلاص طريق رفيع مستقيم لا تزال أنت بأغواتك أهله قال وقرأ جمهور الناس على مستقيم والإشارة بهذا على هذه القراءة إلى إنقسام الناس إلى غاو ومخلسن لما قسم إبليس هذين القسمين قال الله هذا طريق على أى هذا أمر إلى مصيره والعرب تقول طريقك في هذا الأمر على فلان أى إليه يصير النظر في أمرك وهذا نحو قوله {إِنَّ رَبَّكَ لِيَأْمُرْ صَادِ} الفجر 14

قال وآلية على هذه القراءة خبر يتضمن وعدها قلت هذا قول لم ينقل عن أحد من علماء التفسير لا في هذه الآية ولا في نظيرها وإنما قاله الكسائي لما أشكل لها عليه معنى الآية الذي فهمه السلف ودل عليه السياق والنظائر وكلام العرب لا يدل على هذا القول فإن الرجل وإن كان يقول لمن يتهدده ويتوعده على طريقك فإنه لا يقول إن طريقك مستقيم وأيضا فالو عيد إنما يكون للمسيء لا يكون للمخلصين فكيف يكون قوله هذا إشارة إلى إقسام الناس إلى غاو ومخلص وطريق هؤلاء غير طريق هؤلاء سلكوا الطريق المستقيم التي تدل على الله وهؤلاء سلكوا السبيل الجائزة وأيضا وإنما يقول لغيره في التهديد طريقك على من لا يقدر عليه في الحال لكن ذاك يمر بنفسه عليه وهو متمن منه كما كان أهل المدينة يتوعدون أهل مكة بأن طريقكم علينا لما تهددوهم بأنكم أويتم محمد وأصحابه كما قال أبو جهل لسعد بن معاذ لما ذهب سعد إلى مكة لا أراك تطوف بالبيت أمّا وقد أويتم الصبا وزعمتم أنكم تتصررونهم فقال لئن منعنى هذا لأنّ منعنى ما هو أشد عليك منه طريقك على المدينة أو نحو هذا فذكر أن طريقهم في متجرهم إلى الشام عليهم فيتمكنون حينئذ من جزائهم ومثل هذا المعنى لا يقال في حق الله تعالى فإن الله قادر على العباد حيث كانوا كما قالت الجن {وَأَنَا ظَنَّنَا أَنْ لَنْ نَعِزَّ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزْهُ هَرَبًا} الجن 12 وقال {وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ} الشورى 31 وإذا كانت العرب تقول ما ذكره يقولون طريقك في هذا الأمر على فلان أى إليه يصير أمرك فهذا يطابق تفسير مجاهد وغيره من السلف كما قال مجاهد الحق يرجع إلى الله وعليه طريقه لا يخرج على شيء فطريق الحق على الله وهو الصراط المستقيم الذي قال الله فيه {هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ} الحجر 41 كما فسرت به القراءة الأخرى فالصراط في القرائتين هذا الصراط المستقيم الذي أمر الله المؤمنين أن يسألوه إياه في صلاتهم فيقولوا {إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} 6 صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم وَلَا الضَّالِّينَ 7 الفاتحة-6 وهو الذي وصى به في قوله {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ} وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُّلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَاحِبُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} الأنعام 153 وقوله هذا إشارة إلى ما تقدم ذكره وقوله {إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُحْلَصِينَ} الحجر 40 فتعبد العباد له بإخلاص الدين له طريق يدل عليه وهو طريق مستقيم ولهذا قال بعده {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ} الحجر 42 وابن عطيه ذكر أن هذا معنى الآية في تفسير الآية الأخرى مستشهدًا به مع أنه لم يذكره في تفسيرها فهو بفطنته عرف أن هذا معنى الآية ولكنه لما فسرها ذكر ذلك القول كأنه هو الذي اتفق أن رأى غيره قد قاله هناك فقال رحمة الله وقوله {وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ} النحل 9 وهذه أيضا من أجل نعم الله تعالى أى على الله تقويم طريق الهدى وتتباهى بذلك بمنصب الأدلة وبعث الرسل وإلى هذا ذهب المتأولون قال ويحتمل أن يكون المعنى أن من سلك السبيل القاصد فعلى الله طريقه وإلى ذلك مصيره فيكون هذا مثل قوله {هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ} الحجر 41 وضد قول النبي والشر ليس إلّي أى لا يفضي إلى رحمتك وطريق إلى رحمتك وطريق قاصد معناه بين مستقيم قريب ومنه قول الراجز بعيد عن نهج الطريق القاصد قال والألف واللام في السبيل للعهد وهي سبيل الشرع وليس للجنس ولو كانت للجنس لم يكن منها جائز وقوله {وَمِنْهَا جَائِرٌ} النحل 9 يريد طريق اليهود والنصارى وغيرهم كعباد الأصنام والضمير في {وَمِنْهَا} النحل 9 يعود على {السَّبِيل} النحل 9 التي يتضمنها معنى الآية كأنه قال ومن السبيل جائز فأعاد عليها وإن كان لم يجز لها ذكر لتضمن لفظه السبيل بالمعنى لها قال ويحتمل أن يكون الضمير في {وَمِنْهَا} النحل 9 على سبيل الشرع المذكورة ويكون من للتبعيض ويكون المراد فرق الضلالة من أمة محمد كأنه قال ومن بنيات الطريق من هذه السبيل ومن شعبها جائز قلت سبيل أهل البدع جائزة خارجة عن الصراط المستقيم فيما ابتدعوا فيه ولا

يقال إن ذلك من السبيل المشروعة وأما قوله إن قوله {قَصْدُ السَّبِيلِ} النحل 9 هي سبيل الشرع وهي سبيل الهدى والصراط المستقيم وأنها لو كانت للجنس لم يكن منها جائز فهذا أحد الوجهين في دلالة الآية وهو مرجوح وال الصحيح الوجه الآخر أن السبيل إسم جنس ولكن الذي على الله هو القصد منها وهي سبيل واحد ولما كان جنسا قال {وَمِنْهَا جَائِرٌ} النحل 9 والضمير يعود على ما ذكر بلا تكليف قوله لو كان للجنس لم يكن منها جائز ليس كذلك فإنها ليست كلها عليه بل إنما عليه القصد عليها وهي سبيل الهدى والجائز ليس من القصد وكأنه ظن أنه إذا كانت للجنس يكون عليه قصد كل سبيل وليس كذلك بل إنما عليه سبيل واحدة وهي الصراط المستقيم هي التي تدل عليه وسائلها سبل الشيطان كما قال {وَإِنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَنَعَّلُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ إِكْمَ عَنْ سَبِيلِهِ} الأنعام 153 وقد أحسن رحمة الله في هذا الإحتمال وفي تمثيله ذلك بقوله {هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ} الحجر 41 وأما آية الليل قوله {إِنَّ عَلَيْنَا لِلْهُدَى} الليل 12 فابن عطيه مثلها بهذه الآية لكنه فسرها بالوجه الأول فقال ثم أخبر تعالى أن عليه هدى الناس جميعاً أى تعريفهم بالسبيل كلها ومنهم الإدراك كما قال {وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ} النحل 9 ثم كل أحد يتکسب ما قدر له وليس هذه الهدایة بالإرشاد إلى الإيمان ولو كان كذلك لم يوجد كافر قلت وهذا هو الذي ذكره ابن الجوزي وذكره عن الزجاج قال الزجاج إن علينا أن نبين طريق الهدى من طريق الضلال وهذا التفسير ثابت عن قتادة رواه بن عبد الحميد قال حدثنا يونس عن شيبان عن قتادة {إِنَّ عَلَيْنَا لِلْهُدَى} الليل 12 علينا بيان حلاله وحرامه وطاعته ومعصيته وكذلك رواه ابن أبي حاتم في تفسير سعيد عن قتادة في قوله {إِنَّ عَلَيْنَا لِلْهُدَى} الليل 12 يقول على الله البيان بيان حلاله وحرامه وطاعته ومعصيته لكن قتادة ذكر أنه البيان الذي أرسل الله به رسلاً وأنزل به كتبه فتبين به حلاله وحرامه وطاعته ومعصيته وأما الشعلبي والواحدى والبغوى وغيرهم فذكروا القولين وزادوا أقوالاً أخرى فقالوا واللفظ للبغوى {إِنَّ عَلَيْنَا لِلْهُدَى} الليل 12 يعني البيان قال الزجاج علينا أن نبين طريق الهدى من طريق الضلال وهو قوله قتادة قال على الله بيان حلاله وحرامه وقال الفراء يعني من سلك الهدى فعل الله سبيله كقوله تعالى {وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ} النحل 9 يقول من أراد الله فهو على السبيل القاصد قال وقيل معناه إن علينا للهدى والإضلal كقوله بيديك الخير قلت هذا القول هو من الأقوال المحدثة التي لم تعرف عن السلف وكذلك ما أشبه فإنهما قالوا معناه بيديك الخير والشر والنبي في الحديث الصحيح يقول والخير بيديك والشر ليس إليك والله تعالى خالق كل شيء لا يكون في ملكه إلا ما يشاء والقدر حق لكن فهم القرآن ووضع كل شيء موضعه وبين حكمة الرب وعدله مع الإيمان بالقدر هو طريق الصحابة والتابعين لهم بإحسان وقد ذكر المهدوى الأقوال الثلاثة فقال إن علينا الله للهدى والضلال فحذف قتادة المعنى إن علينا بيان الحلال والحرام وقيل المعنى إن علينا أن نهدى من سلك سبيل الهدى قلت هذا هو قول الفراء لكن عبارة الفراء أبين في معرفة هذا القول فقد تبين أن جمهور المتقدمين فسروا الآيات الثلاث بأن الطريق المستقيم لا يدل إلا على الله ومنهم من فسرها بأن عليه بيان الطريق المستقيم والمعنى الأول متفق عليه بين المسلمين وأما الثاني فقد يقول طائفة ليس على الله شيء لا بيان هذا ولا هذا فإنهم متذمرون هل أوجب على نفسه كما قال {كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ} الأنعام 54 وقوله {وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ} الروم 47 وقوله {وَمَا مِنْ دَآبَةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا} هود 6 وإذا كان عليه بيان الهدى من الضلال وبين حلاله وحرامه وطاعته ومعصيته فهذا يوافق قول إن عليه إرسال الرسل وإن ذلك واجب عليه فإن البيان لا يحصل إلا بهذا وهذا يتعلق بأصل آخر وهو أن كل ما فعله فهو واجب منه أوجبه مشيئته وأنه ما شاء كان ومالم يشأ لم يكن فما شاء وجوبه ومالم يشأ إمتنع وجوده وبسط هذا موضع آخر

ودلالة الآيات على هذا فيها نظر وأما المعنى المتفق عليه فهو مراد من الآيات الثلاث قطعاً وأنه أرشد بها إلى الطريق المستقيم وهي الطريق القصد وهي الهدى إنما تدل عليه وهو الحق طريقه على الله لا يرجع عنه لكن نسأله الشبهة من كونه قال {عَلَيْنَا} الليل 12 بحرف الإستعلاء ولم يقل إلينا والمعلوم أن يقال لمن يشار إليه أن يقال هذه الطريق إلى فلان ولم يمر به ويختار عليه أن يقول طريقنا على فلان وذكر هذا المعنى بحرف الإستعلاء وهو من محسن القرآن الذي لا تنقضى عجائبه ولا يشبع منه العلماء فإن الخلق كلهم مصيرهم ومرجعهم إلى الله على أي طريق سلكوا كما قال تعالى {يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَذَّا فَمُلَاقِيهِ} الأنشقاق 6 وقال {وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ} آل عمران 28 {إِنَّ اللَّهَنَا إِلَيْهِمْ} الغاشية 25 أي إلينا مرجعهم وقال {وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَ حُكْمُ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلُ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُبَيِّنُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} 60 {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرِسِّلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ تَوَقَّتُهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ} 61 {ثُمَّ رُدُوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقَّ} 62 الأنعام 62-60 وقال {أَمْ لَمْ يُبَيِّنَا بِمَا فِي صُحْفٍ مُوسَى} 36 {وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَى} 37 {أَلَا تَزَرُّ وَازْرَةٌ وَزَرُّ أَخْرَى} 38 وَأَنَّ لَيْسَ لِلنَّاسِ إِلَّا مَا سَعَى} 39 {وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى} 40 {ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأُوْفَى} 41 وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى} 42 {النَّجْمُ 42-36 وقال {وَإِمَّا نُرِينَكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفِّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَعْلَمُونَ} يومن 46 فأي سبيل سلكها العبد فإلى الله مرجعه ومنتهاه لابد له من لقاء الله {لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَأَوْا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى} النجم 31 وتلك الآيات قصد بها أن سبيل الحق والهدى وهو الصراط المستقيم هو الذي يسعد أصحابه وينالون به ولادة الله ورحمته فيكون الله ولهم دون الشيطان وهذه سبيل من عباد الله وحده وأطاع رسله فلهذا قال {إِنَّ عَلَيْنَا لِلْهُدَى} الليل 12 {وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ} النحل 9 {قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ} الحجر 41 فالهدى وقصد السبيل والصراط المستقيم إنما يدل على عبادته وطاعته لا يدل على معصيته وطاعة الشيطان فالكلام تضمن معنى الدلالة إذ ليس المراد ذكر الجزاء في الآخرة فإن الجزاء يعم الخلق كلهم بل المقصود بيان ما أمر الله به من عبادته وطاعته وطاعة رسله ما الذي يدل على ذلك فكانه قيل الصراط المستقيم يدل على الله على عبادته وطاعته وذلك ببيان أن من لغة العرب أنهم يقولون هذه الطريق على فلان إذا كانت تدل عليه وكان هو الغاية المقصود بها وهذا غير كونها عليه بمعنى أن أصحابها يمر عليه وقد قيل فهن المنايا أى واد سلكته عليها طريقي أو على طريقها وهو كما قال الفراء من سلك الهدى فعلى الله سبيله فالمقصود بالسبيل هو الذي يدل ويوقع عليه كما يقال إن سلكت هذه السبيل وقعت على المقصود ونحو ذلك وكما يقال على الخبير سقطت فإن الغاية المطلوبة إذا كانت عظيمة فالسلوك يقع عليها ويرمى نفسه عليها وأيضاً فسالك طريق الله متوكلاً عليه فلا بد له من عبادته ومن التوكلا عليه فإذا قيل عليه الطريق المستقيم تضمن أن سالكه عليه يتوكلاً وعليه تدل الطريق وعلى عبادته وطاعته يقع ويسقط لا يعدل عن ذلك إلى نحو ذلك من المعانى التي يدل عليها حرف الإستعلاء دون حرف الغاية وهو سبحانه قد أخبر أنه على صراط مستقيم فعلى طريق الصراط المستقيم وهو على صراط مستقيم سبحانه وتعالى بما يقول الظالمون علواً كبيراً والله أعلم¹

¹ دقائق التفسير ج: 3 ص: 142 و مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 198-216

ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن

قال تعالى {وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهُدَاكُمْ أَجْمَعِينَ} النحل 9 اتفق المسلمين وسائل أهل الملل على أن الله على كل شيء قدير كما نطق بذلك القرآن أى في مواضع كثيرة جدا وأن الشيء إسم لما يوجد في الأعيان ولما يتصور في الأذهان فما قدره الله وعلم أنه سيكون هو شيء في التقدير والعلم والكتاب وأن لم يكن شيئاً في الخارج ومنه قوله {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} يس 82 ولفظ الشيء في الآية يتناول هذا وهذا فهو على كل شيء ما وجد وكل ماتصوره الذهن موجوداً إن تصور أن يكون موجوداً قديراً لا يستثنى من ذلك شيء ولا يزداد عليه شيء كما قال تعالى {بَلِّي قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نَسْوِي بَنَاهُ} القيامة 4 وقال {وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يُقَدَّرُ فَاسْكَنَاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابِهِ لَقَادِرُونَ} المؤمنون 18 قال المفسرون لقادرون على أن نذهب به حتى تموتوا عطشاً وتهلك مواشيكم وتخرب أراضيكم وعلوم أنه لم يذهب به وهذا قوله {أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ} الواقعة 68 إلى قوله {وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ} الواقعة 82 وهذا يدل على أنه قادر على مالا يفعله فإنه أخبر أنه لو شاء جعل الماء أجاجاً وهو لم يفعله ومثل هذا {وَلَوْ شِئْنَا لَا تَئِنَّا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا} السجدة 13 {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَامَّنْ مَنْ فِي الْأَرْضِ} يونس 99 {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا افْتَنُلُوا} البقرة 253 فإنه أخبر في غير موضع أنه لو شاء لفعل أشياء وهو لم يفعلها فلو لم يكن قادراً عليها لكان إذا شاءها لم يمكن فعلها¹

كل ما كان بعد عدمه فانما يكون بمشيئة الله وقدرته وهو سبحانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فما شاء وجب كونه وهو تحت مشيئة الرب وقدرته وما لم يشأ امتنع كونه مع قدرته عليه كما قال تعالى {وَلَوْ شِئْنَا لَا تَئِنَّا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا} السجدة 13 {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا افْتَنَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَنَّهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنَّ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا افْتَنُلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ} البقرة 253 {وَلَوْ شَاءَ لَهُدَاكُمْ أَجْمَعِينَ} النحل 9 فكون الشيء واجب الوجود لكونه قد سبق به القضاء على أنه لابد من كونه لا يمتنع ان يكون واقعاً بمشيئته وقدرته ورادته وان كانت من لوازم ذاته كحياته وعلمه فان ارادته للمستقبلات هي مسبوقة بارادته للماضي {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} يس 82 وهو انما أراد هذا الثاني بعد أن أراد قبله ما يقتضى ارادته فكان حصول الارادة اللاحقة بالارادة السابقة²

أضاف الله كثيراً من الحوادث إليه وأضافه إلى بعض مخلوقاته

وأما على قول جمهور أهل السنة الذين يقولون إنها مفعولة للرب لا فعل له إذا فعله ما قام به والفعل عندهم غير المفعول فيقولون إنها مفعولة للرب لا فعل له وإنها فعل للعبد كما يقولون في قدرة

¹ مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 9-10

² مجموع الفتاوى ج: 6 ص: 245

العبد إنها قدرة للعبد مقدرة للرب لا أنها نفس قدرة الرب وكذلك إرادة العبد هي إرادة للعبد
مرادة للرب وكذلك سائر صفات العبد هي صفات له وهي مفعولة للرب مخلوقة له ليست
صفات له وما يبين ذلك أن الله تعالى قد أضاف كثيراً من الحوادث إليه وأضافه إلى بعض
مخلوقاته إما أن يضيف عينه أو نظيره كقوله تعالى {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتَهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ
فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتَهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ} الزمر 42
{وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرِحُكُمْ بِالنَّهَارِ} الأنعام 60 مع قوله تعالى {قُلْ يَتَوَفَّكُمْ مَلَكُ
الْمَوْتِ الَّذِي وُكِلَّ بِكُمْ} السجدة 11 وقوله {تَوَفَّهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ} الأنعام 61 وقال {
فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَرَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ} الحج 5 فأضاف الإنبات إليها
وقال تعالى {وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَقْيَنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ} الحجر 19
وقال تعالى {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ شِيمُونَ} 10 {يُنِيبُ لَكُمْ
بِالزَّرْعِ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ النَّمَراتِ} 11 النحل 10-11¹

الله سبحانه خلق الأسباب والمسببات

ومن قال أن قدرة العبد وغيرها من الأسباب التي خلق الله تعالى بها المخلوقات ليست أسباباً أو أن
وجودها كعدمها وليس هناك إلا مجرد إقتران عادي كإقتران الدليل بالمدلول فقد جد ما في خلق الله
وشرعه من الأسباب والحكم والعلل ولم يجعل في العين قوة تمتاز بها عن الخد تبصر بها ولا في
القلب قوة يمتاز بها عن الرجل يعقل بها ولا في النار قوة تمتاز بها عن التراب تحرق بها وهؤلاء
ينكرون ما في الأجسام المطبوعة من الطبائع والغرائز قال بعض الفضلاء تكلم قوم من الناس
في إبطال الأسباب والقوى والطبع فأضحكوا العلاء على عقولهم ثم أن هؤلاء لا ينبغي للإنسان
أن يقول أنه شبع بالخبز وروى بالماء بل يقول شبع شبع عند وروية عنه فإن الله يخلق الشبع والري
ونحو ذلك من الحوادث عند هذه المفترقات بها عادة لا بها وهذا خلاف الكتاب والسنة فإن الله تعالى
يقول {وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيِ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَفْلَتْ سَحَابًا ثُقَالًا سُقْنَاهُ لِبَدِ مَيْتٍ
فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ النَّمَراتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمُوْتَى لِعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} الأعراف 57 الآية
وقال تعالى {وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَخْرَجَ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتَهَا وَبَثَ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ}
البقرة 164 وقال تعالى {قَاتَلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ يَأْذِيْكُمْ} التوبه 14 وقال {قُلْ هُنَّ تَرَبَّصُونَ إِنَّا
إِلَّا أَحَدَى الْحُسْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ يَأْذِيْنَا} التوبه 52 وقال
{وَنَزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ} ق 9 وقال تعالى {وَهُوَ الَّذِي
أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ} الأنعام 99 وقال تعالى {أَلمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ
السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَمَراتٍ مُخْتَلِفًا لَوْاْنَهَا} فاطر 27 وقال تعالى {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ
مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ شِيمُونَ} 10 {يُنِيبُ لَكُمْ بِالزَّرْعِ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ
وَمِنْ كُلِّ النَّمَراتِ} 11 النحل 10-11 وقال تعالى {إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا} البقرة 26
إلى قوله {يُضْلِلُ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا} البقرة 26 وقال قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين {فَذُ
جَاءُكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ} 15 {يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مِنَ النَّبَغِ رِضْوَانَهُ سُبُّلُ السَّلَامِ} 16 المائدة 15-
16 ومثل هذا في القرآن كثير وكذلك في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله لا يموتن أحد منكم إلا آذنتوني به حتى أصلني عليه فإنه جعل بصلاتي عليه بركه ورحمة وقال صلى

الله عليه وسلم إن هذه القبور مملوءة على أهلها ظلمة وإن الله جاعل بصلاتي عليهم نوراً ومثل هذا كثير ونظير هؤلاء الذين أبطلوا الأسباب المقدرة في خلق الله من أبطل الأسباب المشروعة في أمر الله كالذين يظنون أن ما يحصل بالدعاء والأعمال الصالحة وغير ذلك من الخيرات إن كان مقدراً حصل بدون ذلك وإن لم يكن مقدراً لم يحصل بذلك وهؤلاء كالذين قالوا للنبي أفل ندع العمل ونتكل على الكتاب فقال لا اعملوا فكل ميسراً لما خلق له وفي السنن أنه قيل يارسول الله أرأيت أدوية نتداوى بها ورقى نسترقى وتقاة نتقيها هل ترد من قدر الله شيئاً فقال هي من قدر الله ولهذا قال من قال من العلماء الإلتقات إلى الأسباب شرك في التوحيد ومحو الأسباب أن تكون أسباباً تغيير في وجه العقل والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع والله سبحانه خلق الأسباب والمسبيات وجعل هذا سبباً لهذا فإذا قال القائل إن كان هذا مقدراً حصل بدون السبب وإلا لم يحصل جوابه أنه مقدر بالسبب وليس مقدراً بدون السبب كما قال النبي إن الله خلق الجنة أهلاً خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم وقال اعملوا فكل ميسراً لما خلق له أما من كان من أهل السعادة فسي sis لعمل أهل السعادة وأما من كان من أهل الشقاوة فسي sis لعمل أهل الشقاوة وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله وهو الصادق المصدوق إن أحدهم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات فيقال أكتب رزقه وعمله وأجله وشققي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح قال فوالذي نفسي بيده إن أحدهم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدهم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بأهل النار بالعمل أهل الجنة فيدخلها فبين أن هذا يدخل الجنة بالعمل الذي يعلمه ويختتم له به وهذا يدخل النار بالعمل الذي يعلمه ويختتم له به كما قال صلى الله عليه وسلم إنما الأعمال بالحوافر ذلك لأن جميع الحسنات تحبط بالردة وجميع السيئات تغفر بالتوبة ونظير ذلك من صام ثم أفطر قبل الغروب أو صلى أحدث عمداً قبل كمال الصلاة بطل عمله بالجملة فالذى عليه سلف الأمة وأنتما ما بعث الله به رسله وأنزل كتابه فيؤمنون بخلق الله وأمره بقدره وشرعه بحكمه الكوني وحكمه الديني وإرادته الكونية والدينية كما قال في الآية الأولى {فَمَنْ يُرِدُ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَسْرُّحُ صَدْرَهُ لِإِسْلَامٍ وَمَنْ يُرِدُ أَنْ يُضْلِلَهُ يَجْعَلُ صَدْرَهُ ضَيْقًا حَرَجًا كَانَنَا يَصَدِّعُ فِي السَّمَاءِ} الأنعام 125 وقال نوح عليه السلام {وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَّ أَكْمَمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ} هود 34 وقال تعالى في الإرادة الدينية {يُرِيدُ اللَّهُ يُكْمِلُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ إِكْمُ الْعُسْرَ} البقرة 185 وقال {مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَّةَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَنْهَا عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} النساء 26 و قال {مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَاجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ} المائدة 6 وهم مع إقرارهم بأن الله خالق كل شيء وربه وملكيه وأنه خلق الأشياء بقدرته ومشيئته يقررون بأنه لا إله إلا هو لا يستحق العبادة غيره ويطيعونه ويطيعون رسله ويحبونه ويرجونه ويخشونه ويتكلون عليه وينبئون اليه ويرون أولياءه ويعادون أعداءه ويقررون بمحبته لما أمر به ولعباده المؤمنين ورضاه بذلك وبغضه لما أنهى عنه وللكافرين وسخطه لذلك ومقته له ويقررون بما استفاض عن النبي صلى الله عليه وسلم من أن الله أشد فرحاً بتوبته عبده التائب من رجل أضل راحلته بأرض دوية مهلكة عليها طعامه وشرابه فطلبها فلم يجدها فقال تحت شجرة فلما إستيقظ إذا بدبنته عليها طعامه وشرابه فأشد فرحاً

بتو بة عبده من هذا براحته فهو إلهم الذي يعبدونه و ربهم الذي يسألونه كما قال تعالى {
الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } 2 الفاتحة إلى قوله {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } 5 الفاتحة 5 فهو المعبد المستعان والعبادة تجمع كمال الحب مع كمال الذل فهم يحبونه أعظم مما يحب كل محب محبوبه¹

الله سبحانه خلق المخلوقات وسخرها لبني آدم

قال تعالى { هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسْبِيمُونَ } 10 { بَنِيتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعُ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ النَّمَراتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } 11 { وَسَخَرَ لَكُمُ الْلَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٍ بِإِمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ } 12 { دَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانَهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَةً لِقَوْمٍ يَذَكَّرُونَ } 13 { النحل 13-10 }

الله في الأرض من الإناث كما قال تعالى { بَنِيتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعُ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ } النحل 11²

وامثال ذلك من الآيات التي يبين فيها انه خلق المخلوقات لبني آدم ومعلوم أن الله فيها حكما عظيمة غير ذلك وأعظم من ذلك ولكن يبين لبني آدم ما فيها من المنفعة وما أسبغ عليهم فإذا قيل فعل كذا لکذا لم يقتض ان لا يكون فيه حكمة اخرى³

النجم من آيات الله الدالة عليه المسيبة له الساجدة له كما قال تعالى { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ } الحج 18 ثم قال { وَكَثِيرٌ حَقٌّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ } الحج 18 وهذا التفريق يبين انه لم يرد السجود لمجرد ما فيها من الدلاله على ربويته كما يقول ذلك طوائف من الناس اذ هذه الدلاله يشتراك فيها جميع المخلوقات فجميع الناس فيهم هذه الدلاله وهو قد فرق فعلم ان ذلك قول زائد من جنس ما يختص به المؤمن ويتميز به عن الكافر الذي حق عليه العذاب وهو سبحانه مع ذلك قد جعل فيها منافع لعباده وسخرها لهم كما قال تعالى { وَسَخَرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنَ وَسَخَرَ لَكُمُ الْلَّيْلَ وَالنَّهَارَ } إبراهيم 33 وقال { وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٍ بِإِمْرِهِ } النحل 12 وقال { وَسَخَرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ } الجاثية 13 ومن منافعها الظاهرة ما يجعله سبحانه بالشمس من الحر والبرد والليل والنهر ونضاج الثمار وخلق الحيوان والنبات والمعادن وكذلك ما يجعله بها لهم من الترطيب والتبييس وغير ذلك من الامور المشهورة كما جعل في النار الاشراق والاحراق وفي الماء التطهير والسكنى وامثال ذلك من نعمه التي يذكرها في كتابه كما قال تعالى { وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً } 48 لنجي به بلدة ميتاً ونسقيه ممّا حلقنا أنعاماً وأنسيّاً كثيراً } الفرقان 49-48 وقد أخبر الله في غير موضع انه يجعل حياة بعض مخلوقاته ببعض كما

¹ مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 137-143 و مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 80

² مجموع الفتاوى ج: 30 ص: 294

³ مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 97

قال تعالى { لَنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا } الفرقان 49 وكما قال { وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَفْلَتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلْدَ مَيْتٍ فَأَنْزَلَنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ النَّمَراتِ } الأعراف 57 وكما قال { وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ } البقرة 164 فمن قال من اهل الكلام أن الله يفعل هذه الأمور عندها لا بها فubarته مخالفة لكتاب الله والأمور المشهورة كمن زعم انها مستقلة بالفعل هو مشرك مخالف العقل والدين وقد أخبر سبحانه في كتابه من منافع النجوم فانه يهتدى بها في ظلمات البر والبحر واحبر انها زينة للسماء الدنيا واحبر ان الشياطين ترجم بالنجوم وان كانت النجوم التي ترجم بها الشياطين من نوع آخر غير النجوم الثابتة في السماء التي يهتدى بها فان هذه لا تزول عن مكانها بخلاف تلك وهذه حقيقة مخالفة لتلك وان كان إسم النجوم يجمعها كما يجمع اسم الدابة والحيوان للملك والأدمى والبهائم والذباب والبعوض وقد ثبت بالأخبار الصحيحة التي اتفق عليها العلماء عن النبي صلى الله عليه وسلم انه امر بالصلة عند كسوف الشمس والقمر وامر بالدعاء والاستغفار والصدقة والعتق وقال ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت احد ولا لحياته وفي رواية آيتان من آيات الله يخوف بهما عباده هذا قاله ردا لما قاله بعض جهال الناس ان الشمس كفت لموت ابراهيم بن النبي فانها كفت يوم موته وظن بعض الناس لما كفت ان كسوفها كان لأجل موته وان موته هو السبب لكسوفها كما يحدث عن موت بعض الأكابر مصائب في الناس فيبين النبي ان الشمس والقمر لا يكون كسوفهما عن موت احد من اهل الأرض ولا عن حياته ونفي ان يكون للموت والحياة اثرا في كسوف الشمس والقمر وأخبر أنهم من آيات الله وانه يخوف عباده ¹

الله هو الذي يستحق الشكر المطلق العام التام

أن السيئات التي تصيب الإنسان وهي مصائب الدنيا والآخرة ليس لها سبب إلا ذنبه الذي هو من نفسه فانحصرت في نفسه وأما ما يصيبه من الخير والنعم فإنه لا تتحصر أسبابه لأن ذلك من فضل الله وإحسانه يحصل بعمله وبغير عمله وعمله نفسه من إنعام الله عليه وهو سبحانه لا يجزي بقدر العمل بل يضاعفه له ولا يقدر العبد على ضبط أسبابها لكن يعلم أنها من فضل الله وإنعامه فيرجع فيها إلى الله فلا يرجو إلا الله ولا يتوكلا إلا عليه ويعلم أن النعم كلها من الله وأن كل ما خلقه فهو نعمة كما تقدم فهو يستحق الشكر المطلق العام التام الذي لا يستحقه غيره ومن الشكر ما يكون جزاء على ما يسره على يديه من الخير كشكر الوالدين وشكر من أحسن إليك من غيره فإنه من لا يشكر الناس لا يشكر الله لكن لا يبلغ من حق أحد وإنعامه أن يشكر بمعصية الله أو أن يطاع بمعصية الله فإن الله هو المنعم بالنعم العظيمة التي لا يقدر عليها مخلوق ونعمه المخلوق إنما هي منه أيضا وقال تعالى قال تعالى { هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ سُسِيمُونَ } 10 { يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْنُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ النَّمَراتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَهُ لِقُومٍ يَتَفَكَّرُونَ } 11 وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنَّجُومُ مُسَخَّرَاتٍ بِإِمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ

**لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ {12} وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أُلُوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَةً لِّقَوْمٍ
يَذَكَّرُونَ {13}** النحل 10-13¹

لفظ العقل في القرآن يتضمن ما يجلب به المنفعة وما يدفع به المضررة

قال تعالى { هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُمْ مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسَيِّمُونَ {10} } يُبَثِّ لَكُمْ
بِهِ الزَّرْعُ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلُ وَالْأَعْنَابُ وَمِنْ كُلِّ النَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ {11} } وَسَخَّرَ
لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنَّجُومُ مُسَخَّرَاتٍ بِإِمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ {12} } وَمَا
ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أُلُوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَةً لِّقَوْمٍ يَذَكَّرُونَ {13} النحل 10-13² ان اسم العقل عند
المسلمين وجمهور العقلاء إنما هو صفة وهو الذي يسمى عرضا قائما بالعقل وعلى هذا دل القرآن
في قوله تعالى لعلمكم تعقولون وقوله {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا
الحج 46} وقوله {قَدْ بَيَّنَاهُ لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ {آل عمران 118}} ونحو ذلك مما يدل على
ان العقل مصدر عقل يعقل عقلا وإذا كان كذلك فالعقل لا يسمى به مجرد العلم الذي لم يعمل به
صاحبه ولا العمل بلا علم بل إنما يسمى به العلم الذي يعمل به والعمل بالعلم ولهذا قال أهل النار
{لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ} الملك 10 وقال تعالى {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ
فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا} الحج 46 والعقل المشروط في التكليف لا بد أن يكون علوما يميز
بها الإنسان بين ما ينفعه وما يضره فالمجنون الذي لا يميز بين الدراهم والفلوس ولا بين أيام
الاسبوع ولا يفقه ما يقال له من الكلام ليس بعاقل أما من فهم الكلام ويميز بين ما ينفعه وما يضره
 فهو عاقل ثم من الناس من يقول العقل هو علوم ضرورية ومنهم من يقول العقل هو العمل بموجب
ذلك العلوم والصحيح أن اسم العقل يتتناول هذا وهذا وقد يراد بالعقل غريزة التي في
الإنسان التي بها يعلم ويميز ويقصد المنافع دون المضار كما قال أحمد بن حنبل والحارث المحاسبي
 وغيرهما ان العقل غريزة وهذه الغريزة ثابتة عند جمهور العقلاء كما أن في العين قوة بها يبصر
وفي اللسان قوة بها يذوق وفي الجلد قوة بها يلمس عند جمهور العقلاء²

الناس يدركون بعقولهم الامور الدنيا فيعرفون ما يجلب لهم منفعة في الدنيا وما يجلب لهم مضررة
وهذا من العقل الذي ميز به الإنسان فإنه يدرك من عواقب الأفعال ما لا يدركه الحس ولفظ العقل في
القرآن يتضمن ما يجلب به المنفعة وما يدفع به المضررة³

مدح الله وأثنى على من كان له عقل

¹ الحسنة والسيئة ج: 1 ص: 98

² مجموع الفتاوى ج: 9 ص: 286

³ مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 311

قال تعالى { هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ } 10 يُبَتِّلُ لَكُمْ
بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْثُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ النَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } 11 وَسَخَرَ
لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٍ بِإِمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ } 12 وَمَا
ذَرَ أَلْكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَوْا نَهَى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَةً لِقَوْمٍ يَتَذَكَّرُونَ } 13 ^{النحل 10-13}

قال أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كل من عمل سوءا فهو جاهل وسبب ذلك أن العلم الحقيقي الراسخ في القلب يمتنع أن يصدر معه ما يخالفه من قول أو فعل فمتهى صدر خلافه فلا بد من غفلة القلب عنه أو ضعف القلب عن مقاومة ما يعارضه وتلك أحوال تناقض حقيقة العلم فيصير جهلا بهذا الاعتبار ومن هنا تعرف دخول الأعمال في مسمى الإيمان حقيقة لا مجازا وإن لم يكن كل من ترك شيئا من الأعمال كافرا أو خارجا عن أصل مسمى الإيمان وكذلك اسم العقل ونحو ذلك من الأسماء ولهذا يسمى الله تعالى أصحاب هذه الأحوال موتي وعميا وصمما وبكما وضالين وجاهلين ويصفهم بأنهم لا يعقلون ولا يسمعون ويصف المؤمنين بأولي الألباب والنهاي وأنهم مهتدون وأن لهم نورا وأنهم يسمعون ويعقلون¹

قال تعالى { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَاتٍ لِأُولَئِي النَّهَى } طه 54 أى العقول وقال تعالى { هَلْ فِي ذَلِكَ قَسْمٌ
لِذِي حِجْرٍ } الفجر 5 أى لذى عقل وقال تعالى { وَأَنَّفُونِ يَا أُولَئِي الْأَلْبَابِ } البقرة 197 وقال { إِنَّ
شَرَ الدَّوَابَ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُ الْبُكُمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ } الأنفال 22 وقال تعالى { إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } يوسف 2 فإنما مدح الله وأثنى على من كان له عقل فاما من لا يعقل فإن الله لم يحمده
ولم يثن عليه ولم يذكره بخير قط بل قال تعالى عن أهل النار { وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا
فِي أَصْحَابِ السَّعْيِ } الملك 10 وقال تعالى { وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسَنِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا
يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبَصِّرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ
هُمُ الْغَافِلُونَ } الأعراف 179 وقال { إِنَّمَا تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ
بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَيِّلًا } الفرقان 44²

فيه حكم أخرى

قال تعالى { وَهُوَ الَّذِي سَخَرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ طَرِيًّا وَتَسْتَخْرُجُوا مِنْهُ جِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلُكَ
مَوَاحِدَ فِيهِ وَلَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } 14 { وَالْأَقِي فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بَكُمْ وَأَنْهَارًا
وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهَذِّبُونَ } 15 { وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهَذِّبُونَ } 16 { أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ } 17 { وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُخْصُوْهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ } 18 ^{النحل 14-18} وفي ذلك حكم
آخرى ومثل ذلك كثير في كلام الله عز وجل وغير كلام الله إذا ذكر حكمة للفعل لم يلزم أن لا تكون
له حكمة أخرى لكن لا بد لتخصيص تلك الحكمة بالذكر في ذلك الموضع من مناسبته وهذا كالمناسبة

¹ افتضاء الصراط ج: 1 ص: 78

² مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 437

في قوله {لِتُنذِرَ قَوْمًا مَا أَنذَرَ آباؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ} {6} سورة يس الآية 6 فإن هؤلاء كانوا أول المنذرين وأحقهم بالإذار فكان في تخصيصهم بالذكر فائدة لا أنه خصهم لانتفاء إذار من سواهم¹

نفي الحكم بالاستحباب لانتفاء دليل معين من غير تأمل باقي الأدلة خطأ عظيم

قال تعالى {وَهُوَ الَّذِي سَخَرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرُجُوا مِنْهُ جِلِيلًا تَلْبِسُونَهَا وَتَرَى الْفُلَكَ مَوَاحِدَ فِيهِ وَلَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} {14} {وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلاً لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} {15} {وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ} {16} {أَفَمَنْ يَخْلُقُ كُمْنَ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} {17} {وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُنُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ} {18} النحل 14-18 أن ما خلقه

الله فيسائر الأرض من القوت واللباس والمراتب والمساكن لم يكن كل نوع منه كان موجودا في الحجاز فلم يأكل النبي من كل نوع من أنواع الطعام القوت والفاكهه ولا ليس من كل نوع من أنواع اللباس ثم ان من كان من المسلمين بأرض أخرى كالشام ومصر والعراق واليمن وخراسان وأرمينية وأندیجان والمغرب وغير ذلك عندهم أطعمة وثبات مخلوبة عندهم أو مخلوبة من مكان آخر فليس لهم أن يظنو ترك الإنفاق بذلك الطعام واللباس سنة لكون النبي لم يأكل مثله ولم يلبس مثله إذ عدم الفعل إنما هو عدم دليل واحد من الأدلة الشرعية وهو أضعف من القول باتفاق العلماء وسائر الأدلة من أقواله كأمره ونهيه وإذنه من قول الله تعالى هي أقوى وأكبر ولا يلزم من عدم دليل معين عدم سائر الأدلة الشرعية وكذلك إجماع الصحابة أيضا من أقوى الأدلة الشرعية فنفي الحكم

بالاستحباب لانتفاء دليل معين من غير تأمل باقي الأدلة خطأ عظيم فان الله يقول { وَقَدَرَ فِيهَا أَفْوَاتِهَا } فصلت 10 وقال تعالى { هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا } البقرة 29 وقال تعالى { وَسَخَرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ } الجاثية 13 وقال تعالى { وَالْخَيْلُ وَالْبَغَالُ وَالْحَمِيرُ لِتَرْكَبُوهَا وَزَيْنَهُ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ } النحل 8 ولم تكن البغال موجودة بأرض العرب ولم يركب النبي بغلة إلا البغالة التي أهدتها له المقووس من أرض مصر بعد صلح الحديبية وهذه الآية نزلت بمكة ومتناها في القرآن يمتن الله على عباده بنعمه الذي لم تكن بأرض الحجاز كقوله تعالى { فَلَيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ } 24 { أَنَّا صَبَبَنَا الْمَاءَ صَبَابًا } 25 { ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقَّاً } 26 { فَانْبَثَثْنَا فِيهَا حَبَّاً } 27 { وَعِنْبَأَ وَقَضْبَأً } 28 { وَزَيْنُونَا وَنَخْلًا } 29 { وَحَدَائقَ غُلْبًا } 30 { وَفَاكِهَةَ وَأَبَا } 31 عبس 24-31 ولم يكن بأرض الحجاز زيتون ولا نقل عن النبي أنه أكل زيتونا ولكن لعل الزيت كان يجلب إليهم وقد قال تعالى { وَالنَّيْنِ وَالزَّيْنُونِ } التين 1 ولم يكن بأرضهم لا هذا ولا هذا ولا نقل عن النبي أنه أكل منها وكذلك قوله { وَشَجَرَةٌ تَخْرُجُ مِنْ طُورٍ سَيِّئَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لَّا كَلِيلٍ } المؤمنون 20 وقد قال النبي كلوا الزيت وادهنوها به فإنه من شجرة مباركة وقال تعالى { الزَّجَاجُ كَانَهَا كُوكَبٌ دُرْرِيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْنُونَةٌ لَا شَرْقِيَّةٌ وَلَا غَرْبِيَّةٌ يَكَادُ زَيْنُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ } النور 35 وكذلك قوله { وَحَدَائقَ غُلْبًا } عبس 30 وكذلك قوله في البحر { لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرُجُوا مِنْهُ جِلِيلًا تَلْبِسُونَهَا } النحل 14 وقوله { وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلَكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ } 12 { لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذَكَّرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ

¹ الجواب الصحيح ج: 1 ص: 429

وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ {13} وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ {14} الزخرف 12-14

ولم يركب النبي البحر ولا أبو بكر ولا عمر وقد أخبر من يركب البحر من أمته غزارة في سبيل الله كأنهم ملوك على الأسرة لأم حرام بنت ملحان وقالت ادع الله أن يجعلني منهم فقال أنت منهن وكانت سنة رسول الله أنه يطعم ما يجده في أرضه ويلبس ما يجده ويركب ما يجده مما أباحه الله تعالى فمن استعمل ما يجده في أرضه فهو المتبع للسنة كما أنه حج البيت من مدinetه فمن حج البيت من مدينة نفسه فهو المتبع للسنة وإن لم تكن هذه المدينة تلك

وكان يجاهد من يليه من الكفار من المشركين وأهل الكتاب فمن جاهد من يليه من هؤلاء فقد اتبع السنة وإن كان نوع هؤلاء غير نوع أولئك إذ أولئك كان غالبيهم عرباً ولهم نوع من الشرك هم عليه فمن جاهد سائر المشركين تركهم وهندهم وغيرهم فقد فعل ما أمر الله به وإن كانت أصنامهم ليست تلك الأصنام ومن جاهد اليهود والنصارى فقد اتبع السنة وإن كان هؤلاء اليهود والنصارى من نوع آخر غير النوع الذي جاهدهم النبي فانه جاهد اليهود المدينة كقريةة والتضير وبني قينقاع وييهود خير وضرب الجزية على نصارى نجران وغزا نصارى الشام عربها ورومها عام تبوك ولم يكن فيها قتال وأرسل إليهم زيداً وجعفراً وعبد الله بن رواحة قاتلواهم في غزوة مؤتة وقال أميركم زيد فان قتل فجعله فاعل الله بن رواحة وصالح أهل البحرين وكانوا مجوساً على الجزية وهم أهل هجر وفي الصحيح أنه قدم مال البحرين فجعله في المسجد وما ثاب حتى قسمه وهذا باب واسع قد بسطناه في غير هذا الموضوع وميزنا بين السنة والبدعة وبيننا ان السنة هي ما قام الدليل الشرعي عليه بأنه طاعة الله ورسوله سواء فعله رسول الله أو فعل على زمانه أو لم يفعله ولم يفعل على زمانه لعدم المقتضى حينئذ لفعله أو وجود المانع منه فانه إذا ثبت أنه أمر به أو استحبه فهو سنة كما أمر باجلاء اليهود والنصارى من جزيرة العرب وكما جمع الصحابة القرآن في المصحف وكما داوموا على قيام رمضان في المسجد جماعة¹

الله تعالى بسط الأرض للأنام وأرساها بالجبال لئلا تميد

قال تعالى { وَالَّقِيَ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُّلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ {15} } وَعَلاماتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ {16} } أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ {17} } وَإِنْ تَعُدُوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُخْصُّهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ {18} } النحل 15-18

والارض يحيط الماء بأكثرها والهواء يحيط بالماء الثقلة اذا كثرت امواج البحر والا مادت والله تعالى { يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَرُوْلَا وَلَئِنْ زَأْتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا } فاطر 41 والمخلوقات العلوية والسفلية يمسكها الله بقدرته سبحانه وما جعل فيها من الطبائع والقوى فهو كائن بقدرته ومشيئته سبحانه²

¹ مجموع الفتاوى ج: 21 ص: 318

² مجموع الفتاوى ج: 6 ص: 596

{وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمٍ هُمْ يَهْتَدُونَ}

قال تعالى {وَهُوَ الَّذِي سَخَرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرُجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ مَوَاحِرَ فِيهِ وَلَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} 14 {وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بَكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلاً لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} 15 {وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمٍ هُمْ يَهْتَدُونَ} 16 {أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} 17 {وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُو هَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ} 18 النحل 14-18 وقال تعالى {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ} الأنعام 97 وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه تعلموا من النجوم ما تعرفون به القبلة و الطريق في رواية عنه تعلموا من النجوم ما تهتدون في برككم وبحركم ثم امسكوا رواه حرب وعن علي رضي الله عنه قال ايها الناس اياكم و تعلم النجوم الا ما تهتدون بها في ظلمات البر و البحر رواه أبو حفص و لذلك استحسن احمد معرفة منازل القمر و ان يتعلم بها كم مضى من الليل و كم بقي و ذكر أنه تعلمها من اهل مكة¹

والاستدلال بظهور الشمس على النهار وبالنهار على طلوع الشمس فليس هذا استدلالا بكلى على جزئى بل الاستدلال بظهور معين على نهار معين استدلال بجزئى على جزئى وبجنس النهار على جنس الظهور استدلال بكلى على كلى وكذلك الاستدلال بالكواكب على جهة الكعبة استدلال بجزئى على جزئى كالاستدلال بالجدي وبنات نعش والكواكب الصغير القريب من القطب الذى يسميه بعض الناس القطب وكذلك بظهور كوكب على ظهور نظيره فى العرض والاستدلال بظهوره على غروب آخر وتوسط آخر ونحو ذلك من الأدلة التى اتفق عليها الناس قال تعالى {وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمٍ هُمْ يَهْتَدُونَ} النحل 16 والاستدلال على المواقف والأمكنة امر اتفق عليه العرب والجم واهل الملل والفلسفه فإذا استدل بظهور الثريا على ظهور ما قرب منها مشرقاً ومغارباً ويميناً وشمالاً من الكواكب كان استدلالاً بجزئى على جزئى لتلازمها وليس ذلك من قياس التمثيل فان قضى به قضاء كلياً كان استدلالاً بكلى على كلى وليس استدلالاً بكلى على جزئى بل باحد الكليين المتلازمين على الآخر ومن عرف مقدار ابعاد الكواكب بعضها عن بعض وعلم ما يقارن منها طلوع الفجر استدل بما رأه منها على ما مضى من الليل وما بقى منه وهو استدلال بأحد المتلازمين على الآخر ومن علم الجبال والأنهار والرياح استدل بها على ما يلازمها من الامكنة ثم اللزوم ان كان دائمًا لا يعرف له ابتداء بل هو منذ خلق الله الارض كوجود الجبال والأنهار العظيمة النيل والفرات وسيحانات وجيحان والبحر كان الاستدلال مطرباً وإن كان اللزوم اقل من ذلك مدة مثل الكعبة شرفها الله تعالى فإن الخليل بناتها ولم تزل معظمها لم يعل عليها جبار قط استدل بها بحسب ذلك فيستدل بها وعليها فان اركان الكعبة مقابلة لجهات الأرض الأربع الحجر الاسود يقابل المشرق والغربي الذي يقابله ويقال له الشامي يقابل المغرب واليماني يقابل الجنوب وما يقابلها يقال له العراقي اذا قيل للذي يليه من ناحية الحجر الشامي وان قيل لذاك الشامي قيل لهذا العراقي فهذا الشامي العراقي يقابل الشمال وهو يقابل القطب وحينئذ فيستدل بها على الجهات ويستدل بالجهات عليها وما كان مدته اقصر من مدة الكعبة كالابنية التي في الامطار والأشجار كان الاستدلال بها بحسب ذلك فيقال علامه الدار الفلانية

¹ شرح العمدة ج: 4 ص: 552

ان على بابها شجرة من صفتها كذا وكذا وهم متأذمان مدة من الزمان فهذا وامثاله استدلال واحد المتلازمان على الآخر وكلاهما معين جزئي وليس هو من قياس التمثيل ولهذا عدل نظر المسلمين عن طريقهم فقالوا الدليل هو المرشد الى المطلوب وهو الموصى الى المقصود وهو ما يكون العلم به مستلزم للعلم بالمطلوب او ما يكون النظر الصحيح فيه موصلا الى علم او على اعتقاد راجح ولهم نزاع اصطلاحى هل يسمى هذا الثاني دليلا او يخص باسم الامارة والجمهور يسمون الجميع دليلا ومن اهل الكلام من لا يسمى بالدليل الا الأول ثم الضابط فى الدليل ان يكون مستلزم للمدلول فكلما كان مستلزم لغيره امكنت ان يستدل به عليه فإن كان التلازم من الطرفين امك ان يستدل بكل منهما على الآخر اللزوم قطعيا كان الدليل قطعيا وان كان ظاهرا وقد يتختلف كان الدليل ظنيا فالاول كدلالة المخلوقات على خالقها سبحانه وتعالى وعلمه وقدرته ومشيئته ورحمته وحكمته فان وجودها مستلزم لوجود ذلك وجودها بدون ذلك ممتنع فلا توجد الادلة على ذلك ومثل دلالة خبر الرسول على ثبوت ما اخبر به عن الله فانه لا يقول عليه الا الحق اذ كان معصوما فى خبره عن الله لا يستقره فى خبره عنه خطأ البتة فهذا دليل مستلزم لمدلوله لزوما واجبا لا ينفك عنه الحال وسواء كان الملزم المستدل به وجودا او عدما فقد يكون الدليل وجودا وعدما ويستدل بكل منهما على وجود وعدم فانه يستدل بثبوت الشيء على انتفاء نقضه وضده ويستدل بانتفاء نقضه على ثبوته ويستدل بثبوت الملزم على ثبوت اللازم وبانتفاء اللازم على انتفاء الملزم بل كل دليل يستدل به فانه ملزم لمدلوله وقد دخل فى هذا كل ما ذكروه وما لم يذكروه فان ما يسمونه الشرطى المتصل مضمونه الاستدلال بثبوت الملزم على ثبوت اللازم وبانتفاء اللازم على انتفاء الملزم سواء عبر عن هذا بصيغة الشرط او بصيغة الجزم فاختلاف صيغ الدليل مع اتحاد معناه لا يغير حقيقته والكلام انما هو فى المعانى العقلية لا فى الالفاظ فإذا قال القائل اذا كانت الصلاة صحيحة فالمصلى متظاهر وان كانت الشمس طالعة فالنهار موجود وإن كان الفاعل عالما قادر حى ونحو ذلك فهذا معنى قوله صحة الصلاة تستلزم صحة الطهارة وقوله يلزم من صحة الصلاة ثبوت الطهارة وقوله لا يكون مصليا الا مع الطهارة وقوله الطهارة شرط فى صحة الصلاة وإذا عدم الشرط عدم المشروع وقوله كل مصل متظاهر فمن ليس بمتظاهر فليس بمصل وامثال ذلك من انواع التأليف للافاظ ومعانى التى تتضمن هذا الاستدلال من حصر الناس فى عبارة واحدة وإذا اتسعت العقول وتصوراتها اتسعت عباراتها وإذا ضاقت العقول والعبارات والتصورات بقى صاحبها كأنه محبوس العقل واللسان كما يصيب اهل المنطق اليونانى تجدهم من اضيق الناس علما وبيانا واعجزهم تصورا وتعبيرها ولهذا من كان ذكريا اذا تصرف فى العلوم وسلك مسلك اهل المنطق طول وضيق وتكلف وتعسف وغايتها بيان البين وايضاح الواضح من العي وقد يوقعه ذلك فى انواع من السفسطه التى عفى منها من لم يسلك طريقهم وكذلك تكلفاتهم فى حدودهم مثل حدتهم للانسان وللشمس بأنها كوكب يطلع نهارا وهل من يحد الشمس مثل هذا الحد ونحوه الا من اجهل الناس وهل عند الناس شيء اظهر من الشمس ومن لم يعرف الشمس فاما ان يجعل اللفظ فيترجم له وليس هذا من الحد الذى ذكروه وإما ان لا يكون رأها لعماته فهذا لا يرى النهار ولا الكواكب بطريق الأولى مع أنه لا بد ان يسمع من الناس ما يعرف ذلك بدون طريقهم وهم ممعنون بأن الشكل الأول من الحmlيات يعني عن جميع صور القياس وتصويره فطري لا يحتاج الى تعلمه منهم مع ان الاستدلال لا يحتاج الى تصوره على الوجه الذى يزعمونه¹

¹ مجموع الفتاوى ج: 9 ص: 154-159

الله متعال عن السمي والنذ والمثل فلا يكون شيء مثله

قال تعالى {وَهُوَ الَّذِي سَخَرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرُجُوا مِنْهُ حِلِيبًا تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلَكَ مَوَاحِدَ فِيهِ وَلَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} 14 {وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بَكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلاً لَعَلَّكُمْ تَهَتَّدُونَ} 15 {وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ} 16 {أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} 17 {وَإِنْ تَعُدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوْهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ} 18 {وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلَمُونَ} 19 {وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ} 20 {أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبَيِّنُونَ} 21 النحل 14-21 فالله سبحانه يبين أنه هو المستحق للعبادة دون ما يعبد من دونه وأنه لا مثل له ويبين ما يختص به من صفات الكمال و إنفاقها عما يعبد من دونه ويبين أنه يتعالى عما يشركون و عما يقولون من إثبات الأولاد والشركاء له¹

فقد بين سبحانه أنه تعالى عما يقول المبطلون و عما يشركون فهو متعال عن الشركاء والأولاد كما أنه مسبح عن ذلك و تعالىه سبحانه عن الشريك هو تعالىه عن السمي والنذ والمثل فلا يكون شيء مثله و قد ذكروا من معاني العلو الفضيلة كما يقال الذهب أعلى من الفضة و نفي المثل عنه يقتضى أنه أعلى من كل شيء فلا شيء مثله و هو يتضمن أنه أفضل و خير من كل شيء كما أنه أكبر من كل شيء و في القرآن {قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى اللَّهُ خَيْرًا مَا يُشْرِكُونَ} النمل 59 و يقول {أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} النحل 17 و يقول {أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى} يومن 35 و قالت السحرة {وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى} طه 73 و هو سبحانه يبين أن المعبودين دونه ليسوا مثلك في مواضع²

كل محدث من الأعيان والصفات والأفعال فان الله خالق كل ذلك جمیعه

وبين الأئمة أن من جعل شيئاً من المحدثات كأفعال العباد وغيرهم ما ليس مخلوقاً لله فهو مثل من أنكر خلق الله لغير ذلك من المحدثات كالسماء والأرض فأن الله رب العالمين ومالك الملك وخلق كل شيء فليس شيء من العالمين خارجاً عن ربوبيته ولا شيء من الملك خارجاً عن ملكه ولا شيء من المحدثات خارجاً عن خلقه قال تعالى {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ} 62 له مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} 63 الزمر 62-63 وقال تعالى {أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} 17 {وَإِنْ تَعُدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوْهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ} 18 {وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلَمُونَ} 19 {وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ} 20 {أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبَيِّنُونَ} 21 النحل 17-21 ولهذا كان أهل السنة والجماعة والحديث هم

¹ مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 122

² مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 1

المتبعين لكتاب الله المعتمدين لموجب هذه النصوص حيث جعلوا كل محدث من الأعيان والصفات والأفعال المباشرة والمترولة وكل حركة طبيعة أو إرادية أو قسرية فان الله خالق كل ذلك جميعه وربه ومالكه وملكيه ووكيل عليه وانه سبحانه على كل شيء قادر وبكل شيء علیم فامنوا بعلمه المحيط وقدرته الكاملة ومشيئته الشاملة وربوبيته التامة ولهذا قال ابن عباس الإيمان بالقدر نظام التوحيد فمن وحد الله وأمن بالقدر تم توحيده ومن وحد الله وكذب بالقدر نقض تكذيبه توحيده وأما صفة الله تعالى فهي داخلة في مسمى أسمائه الظاهرة والمضمرة فإذا قلت عبدي الله ودعوت الله وآياك نعبد فهذا الاسم لا يخرج عنه شيء من صفاتاته من علمه ورحمته وكلامه وسائل صفاتاته ولها قال النبي من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت وقال من حلف بغير الله فقد أشرك وقد ثبت عنه الحلف بعزة الله والحلف بقوله لعمر الله فعلم أن ذلك ليس حلفاً بغير الله فأعطوا هذه الآيات المنصوصة حقها في اتباع عمومها الذي قد صرحت به في أن الله خالق كل شيء إذ قد علم أن الله ليس هو داخلاً في المخلوق وعلم أن صفاتاته ليست خارجة عن مسمى اسمه وأما المعتزلة الذين جمعوا التجمهم والقدر فأخرجوا عنها ما يتناوله الاسم يقيناً من أفعال الملائكة والجن والأنس والبهائم طاعاتها وغير طاعاتها وذلك قسط كبير من ملك الله وأياته بل هي من محاسن ملكه وأعظم آياته ومخلوقاته وأدخلوا في ذلك كلامه لكونه يسمى شيئاً في مثل قوله {إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرًا مَّنْ شَيْءَ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ } الأنعام 91 ولم ينظروا في أن ذلك مثل تسمية علمه شيئاً في قوله {وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شاءَ } البقرة 255 وتسمية نفسه شيئاً في قوله {قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بِإِنْي وَبِإِنْكُمْ } الأنعام 19 وأن قوله كل شيء يعم بحسب ما اتصل به من الكلام فان الاسم تتبع دلالته بحسب قيوده ففي قوله {وَهُوَ إِكْلٌ شَيْءٌ عَلِيهِ } البقرة 29 دخل في ذلك نفسه لأنها تصلح أن تعلم وفي قوله {وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } المائدة 120 دخل في ذلك ما يصلح أن يكون مقدوراً وذلك يتناول كل ما كانت ذاته ممكنة الوجود وقد يقال دخل في ذلك كل ما يسمى شيئاً بمعنى مشيئاً فان الشيء في الأصل مصدر وهو بمعنى المشيء فكل ما يصلح أن يشاء فهو عليه قدير وإن شئت قلت قدير على كل ما يصلح أن يقدر عليه والممتنع لذاته ليس شيئاً باتفاق العقلاء وفي قوله {اللَّهُ خَالقُ كُلِّ شَيْءٍ } الرعد 16 قد علم أن الخالق ليس هو المخلوق وانه لا يتناوله الاسم وإنما دخل فيه كل شيء مخلوق وهي الحادثات جميعها هذا مع أن أهل السنة يقولون أن العبد له مشيئة وقدرة وإرادة وهو فاعل لفعله حقيقة وينهون عن إطلاق الجبر فان لفظ الجبر يشعر أن الله أجبر العبد على خلاف مراد العبد كما تجبر المرأة على النكاح وليس كذلك بل العبد مختار يفعل باختياره ومشيئته ورضاه ومحبته ليس مجبوراً عديم الإرادة والله خالق هذا كله فإن هذه الأمور من المحدثات الممكنات فالدلالة على أن الله خالقها كالدلالة على أنه خالق غيرها من

¹ المحدثات

الفعل والكلام صفة كمال

¹ مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 328-332

قال تعالى {أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} {17} وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُو هَا إِنَّ اللَّهَ لَغُورٌ رَّحِيمٌ {18} وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلَمُونَ {19} وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلُقُونَ {20} أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبَيَّنُونَ {21} النحل 21-17

ان كون الله سبحانه وتعالى خالقا ورازقا ومحببا ومميتا وباعثا ووارثا وغير ذلك من صفات فعله وهو من صفات ذاته ليس من يخلق كمن لا يخلق وذهب الجمهور ان الخالق غير المخلوق فالخلق فعل الله القائم به والمخلوق هو المخلوقات المنفصلة عنه وذهب طوائف من أهل الكلام من المعتزلة والأشعرية ومن وافقهم من الفقهاء الحنبليه والشافعية والمالكية وغيرهم إلى أنه ليس الله صفة ذاتية من أفعاله وإنما الخلق هو المخلوق أو مجرد نسبة وإضافة وهذا اختيار ابن عقيل وأول قولي القاضي أبي يعلى وهؤلاء عندهم حال الذات التي تخلق وتترزق أو لا تخلق ولا ترزق سواء وبهذا نقضت المعتزلة على من ناظرها من الصفائية الأشعرية ونحوهم لما استدلوا الصفائية بما تقدم من القاعدة الشريفة فقالوا ينتقض عليكم بالخالق والرازق وغير ذلك من أسماء الأفعال فان الخلق والرزق قائم بغيره وقد اشتق له منه إسم الخالق والرازق ولم يقم به صفة فعل أصلا فكذلك الصادق والحكيم والمتكلم والرحيم والودود وهذا النقض لا يلزم جماهير الأمة وعامة أهل السنة والجماعة فان الباب عندهم واحد وليس هذا قوله بقدم مخلوقاته او مفعولاته سواء قيل ان نفس فعله القائم به قديم فقط كما يقوله كثير من هؤلاء الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية وأهل الحديث والكلام والصوفية او يقولون له عند احداث المخلوقات أحوال ونسب كما يقوله كثير من هؤلاء الفقهاء وأهل الحديث والصوفية وأهل الكلام من الطوائف كلها وذلك لأن القول في ذلك كالقول في مشيئته وإرادته فان إن كان مذهب أهل السنة وسائر الصفائية انها قديمة فليس مراداته قيمة وكذلك صفة الخلق والتقويم وذلك لأن الشرع والعقل يدل على ان حال الخالق والرازق والرازق والفارط المحي المميت الهادي النصير ليس حاله في نفسه كحاله لو لم يبدع هذه الأمور ولهذا قال سبحانه وتعالى {أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ} {النحل 17} فالفرق بين الخالق وغير الخالق كالفرق بين القادر وغير القادر والمخالف يقول إنما هو موصوف بالقدرة التي تتناول ما يخلقه وما لا يخلقه سواء في نفسه كان خالقا او لم يكن خالقا ليس له من كونه خالقا صفة ثبوتية لا صفة كمال ولا صفة وجود مطلق كما له بكونه قادرا ونصوص الكتاب والسنة توجب أن تكون أسمائه أفعاله من أسمائه الحسنى التي تقتضي أن يكون بها ممودا مثنى عليه ممجدًا وذلك يقتضي أنها من صفات الكمال وليس الغرض هنا ذكر هذه المسألة وإنما هي طرد حجة الإمام أحمد وغيره من أئمة السلف الثقات وسائر الصفائية ولهذا قال الإمام أحمد في رواية حنبل في كتاب المحنۃ لم يزل الله عالما متكلما غفورا في بين اتصافه بالعلم وهو صفة ذاتية محضة وبالغفرة وهي من الصفات الفعلية والكلام الذي يشبه هذا وهذا وذكر انه لم يزل متصف بهذه الصفات والاسماء وقال الإمام أحمد فيما خرجه في الرد على الزنادقة والجهمية لما ذكر قول جهم انه يتكلم ولكن كلامه مخلوق قال أحمد قلنا له وكذلك بنوا آدم كلامهم مخلوق ففي مذهبكم كان الله في وقت من الأوقات لا يتكلم حتى خلق الكلام وكذلك بنوا آدم لا يتكلمون حتى خلق لهم كلاما فقد جمعتم بين كفر وتشبيه وكذلك ذكرروا في المحنۃ فيما استدل به الإمام أحمد في المناظرة واستدل بقوله {ولكن حقَّ القولُ مِنِّي} {السجدة 13} قال فإن يكن القول من غير الله فهو مخلوق¹

¹ مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 436-438

فإن الفعل و الكلام صفة كمال فإن من يتكلم أكمل من لا يتكلم و من يخلق أكمل من لا يخلق قال تعالى {أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} النحل ١٧^١

الله أحق الموجودات بصفات الكمال وهو المستحق للعبادة

وقد بين الله سبحانه انه أحق بالكمال من غيره وان غيره لا يساويه في الكمال في مثل قوله تعالى {أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} النحل ١٧ وقد بين ان الخلق صفة كمال وان الذي يخلق افضل من الذي لا يخلق وان من عدل هذا بهذا فقد ظلم ومثل هذا في القرآن متعدد من وصف الاصنام بسلب صفات الكمال كعدم التكلم والفعل وعدم الحياة ونحو ذلك مما يبين ان المتصف بذلك منقص معيب كسائر الجمادات وان هذه الصفات لا تسلب الا عن ناقص معيب

واما رب الخلق الذي هو اكمل من كل موجود فهو أحق الموجودات بصفات الكمال وانه لا يستوى المتصف بصفات الكمال والذى لا يتصرف بها وهو يذكر ان الجمادات في العادة لا تقبل الاتصاف بهذه الصفات فمن جعل الواجب الوجود لا يقبل الاتصاف فقد جعله من جنس الاصنام الجامدة التي عابها الله تعالى وعاب عابديها ولهذا كانت القراءة الباطنية من اعظم الناس شركا وعبادة لغير الله اذ كانوا لا يعتقدون في الاله لهم انه يسمع او يبصر او يغنى عنهم شيئا والله سبحانه لم يذكر هذه النصوص لمجرد تقرير صفات الكمال له بل ذكرها لبيان انه المستحق للعبادة دون ما سواه فأفاد الاصطلاح الذين بهما يتم التوحيد وهم اثبات صفات الكمال ردًا على اهل التعطيل وبيان انه المستحق للعبادة لا اله الا هو ردًا على المشركين والشرك في العالم اكثرا من التعطيل ولا يلزم من اثبات التوحيد المنافي للاشراك ابطال قول اهل التعطيل ولا يلزم من مجرد الادلة المبطل لقول المعطلة الرد على المشركين الا ببيان اخر والقرآن يذكر فيه الرد على المعطلة تارة كالرد على فرعون وامثاله ويذكر فيه الرد على المشركين وهذا اكثرا لأن القرآن شفاء لما في الصدور ومرض الاشراك اكثرا في الناس من مرض التعطيل وايضاً فإن الله سبحانه أخبر أن له الحمد وانه حميد مجید وان له الحمد في الاولى والآخرة وله الحكم ونحو ذلك من انواع المحامد و الحمد نوعان حمد على احسانه الى عباده وهو من الشكر وحمد لما يستحقه هو بنفسه من نعموت كماله وهذا الحمد لا يكون الا على ما هو في نفسه مستحق للحمد وإنما يستحق ذلك من هو متصف بصفات الكمال وهي امور وجودية فإن الامور العدمية المضرة لا حمد فيها ولا خير ولا كمال ومحظوظ ان كل ما يحمد فانما يحمد على ماله من صفات الكمال فكل ما يحمد به الخلق فهو من الخالق والذي منه ما يحمد عليه هو أحق بالحمد فثبت انه المستحق للمحامد الكاملة وهو أحق من كل محمود بالحمد والكمال من كل كامل وهو المطلوب^٢

^١ مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 384

² مجموع الفتاوى ج: 6 ص: 81-84

لم يكن إشراكهم أنهم جعلوهم خالقين بل أن جعلوهم وسائط في العبادة

أن الله سبحانه وتعالى يقول الصدق و يعمل بالعدل كما قال {وَتَمَتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا} الأذعام 115 وقال هود {إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} هو دليل فأخبر أن الله على صراط مستقيم وهو العدل الذي لا عوج فيه وقال {هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} النحل 76 وهو مثل ضربه الله لنفسه ولما يشرك به من الأواثان كما ذكر ذلك في قوله {قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ} يونس 35 الآية وقال {أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} 17 {وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُو هَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ} 18 {وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا شُرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ} 19 {وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلُقُونَ} 20 {أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبَعْثَوْنَ} 21 النحل 17-21 فأخبر أنه خالق منعم عالم وما يدعون من دونه لا تخلق شيئاً ولا تنعم بشيء ولا تعلم شيئاً وأخبر أنها ميزة فهل يستوى هذا وهذا فكيف يعبدونها من دون الله مع هذا الفرق الذي لا فرق أعظم منه ولهذا كان هذا أعظم الظلم والإفك ومن هذا الباب قوله تعالى {قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِ الَّذِينَ اصْطَفَى اللَّهُ خَيْرًا أَمَّا يُشْرِكُونَ} النمل 59 فقوله تعالى {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَا مِنَارْزَقًا حَسَنَاهُ فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوِنَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} 75 وضراب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه أيهما يوجهه لا يأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم 76 النحل 75-76 كلاماً مثل بين الله فيه أنه لا يستوي هو وما يشركون به كما ذكر نظير ذلك في غير موضع وإن كان هذا الفرق معلوماً بالضرورة لكل أحد لكن المشركون مع اعترافهم بأن آلهتهم مخلوقة مملوكة له يسوقون بينه وبينها في المحبة والدعاء و العادة ونحو ذلك ¹ و المقصود هنا أن الله سبحانه على صراط مستقيم

ومن الفرقان أنه بين الفرق بين الخالق والمخلوق وان المخلوق لا يجوز أن يسوى بين الخالق والمخلوق في شيء فيجعل المخلوق نداً للخالق كقوله تعالى {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} الشورى 11 وقوله {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ} الإخلاص 4 وضرب الأمثال في القرآن على من لم يفرق بل عدل بربه وسوى بينه وبين خلقه كما قالوا وهم في النار يصطرون فيها {تَالَّهُ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِين} 97 إِذْ نُسَوِّيْكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ 98 الشعراة 97-98 وقال تعالى {أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} 17 {وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُو هَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ} 18 {وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ} 19 {وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلُقُونَ} 20 {أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبَعْثَوْنَ} 21 النحل 17-21 فهو سبحانه الخالق العليم الحق الحي الذي لا يموت ومن سواه لا يخلق شيئاً ²

¹ مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 177-179

² مجموع الفتاوى ج: 13 ص: 14

والمركون كانوا يقررون بهذا التوحيد الذي هو نفي خالقين لم يكن مشركو العرب تنازع فيه ولهذا قال الله لهم {أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} النحل 17 فكانوا يعترفون بأن آلهتهم لا تخلق ولهذا ذكر الله تعالى هذا التقرير بعد قوله { قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } 84 سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ } 85 فُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ } 86 سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَقَوَّنَ } 87 فُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلْكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُحِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } 88 سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَإِنَّا هُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ } 89 بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ } 90 مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٌ إِذَا ذَهَبَ كُلُّ إِلَهٌ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ } 91 عَالَمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشَرِّكُونَ } 92 المؤمنون 84-92 ولم يكن إشراكهم أنهم جعلوهم خالقين بل أن جعلوهم وسائط في العبادة فاتخذوهم شفعاء وقالوا { مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيَقْرِبُونَا إِلَى اللَّهِ رُلْفَى } الزمر 3 كما قال الله تعالى عنهم { وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هُوَ لَاءُ شُفَاعَوْنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَنْبَيْنُ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشَرِّكُونَ } يوئس 1¹

المشركون جعلوا الله مala يرضونه لأنفسهم

وقال يوسف الصديق {38} يَا صَاحِبِي السَّجْنِ أَرْبَابُ مُتَقْرِفُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ } 39 مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ } 40 يوسف 39-40 وكل من عبد شيئاً من دون الله فإنما يعبد أسماء ما أنزل الله بها من سلطان وأيضاً فالذين يعبدون الملائكة أو الأنبياء لا يرونهم وإنما يعبدون تماثيل صوروها على مثل صورهم وهي من تراب وحجر وخشب فهم يعبدون الموات وفي الصحيح صحيح مسلم عن أبي الهياج الأسدى قال قال لي على بن أبي طالب رضى الله عنه إلا أبعنك على ما بعثتني عليه رسول الله بعثنى أن لا أدع تمثلاً إلا طمسه ولا قبراً مشرفاً إلا سويته وقال تعالى {أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} 17 وإن تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوْهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ } 18 وإن الله يعلم ما تُسْرِعُونَ وَمَا تُعْلَمُونَ } 19 وَالَّذِينَ يَذْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلُقُونَ } 20 أَمْوَاتٍ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبَعْثُونَ } 21 النحل 21-17 وجميع الأموات لا يشعرون أيان يبعثون فلا يعلم بقيام الساعة إلا الله عز وجل فهم لا يرضون أن يكون مملوكاً أحدهم شريكه وقد جعلوا مملوكى الرب شركاء له فجعلوا الله مala يرضونه لأنفسهم من الشركاء ومن الأولاد لا يرضون مملوكיהם أن يكونوا شركاء وقد جعلوهم الله شركاء ولا يرضون من الأولاد بالإناث فلا يرضونها ولداً ولا نظيراً وهم جعلوا الإناث الله أو لاداً ونظراً والنكتة أن الله أجل وأعظم وأعلى وأكبر من كل شيء وهم قد جعلوا الله مala يرضونه لأنفسهم وهذا يتناول كل من وصف الله بصفة ينزعه عنها المخلوق كالذين قالوا أنه فقير وأنه بخيل والذين قالوا إنه لا يوصف إلا بالسلوب أولاً يوصف لا بسلب ولا إثبات والذين جعلوا بعض المخلوقات مماثلة له في كل شيء من الأشياء في عبادة له أو دعاء له أو توكل عليه أو حبها مثل حبه والذين قالوا يفعل لا لحكمة بل عبثاً والذين قالوا إنه يجوز أن يضع الأشياء في غير

¹ منهاج السنة النبوية ج: 3 ص: 336

مواضعها فيعاقب خيار الناس ويكرم شرارهم والذين قالوا لا يقدر أن يتكلم بمشيئته والذين قالوا أنه لا يسمع ولا يبصر والذين قالوا إنه يجوز أن يجب غيره كما يجب هو ويدعى ويسأل فجعلوا مملوكه ندا له ونظائر ذلك كثيرة¹

من قدر شيئاً فاعلا للازمه الذي لا يفارقه بحال كان مخالفًا لصرح المعقول

والواجب في الأدلة الإلهية أن يسلك بها هذا المسلوك فيعلم أن كل كمال كان لمخلوق فالخالق أحق به فإن كمال المخلوق من كمال خالقه وعلى اصطلاحهم(الفلسفه) كمال المعلول من كمال العلة ولأن الواجب أكمل من الممكن فهو أحق بكل كمال ممكن لا نقص فيه من كل ممكناً ويعلم أن كل نقص تنتزه عنه مخلوق فالخالق أحق بتنتزيه عنه فإن النقص ينافق الكمال فإذا كان أحق بثبوت الكمال كان أحق ببني النقص وهذه برهانية يقينية وهم يسلمونها وهم يقولون أيضاً إن الفعل صفة كمال ويردون على من يقول من أهل الكلام إنه ليس صفة كمال ولا نقص وقد قال تعالى {أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} النحل 17 وإذا كان كذلك فمن المعقول أن الفاعل الذي يفعل بقدرته ومشيئته أكمل من لا قدرة له ولا إرادة والفاعل المختار الذي يفعل شيئاً بعد شيء أكمل من يكون مفعوله لازماً له يقدر على إحداث شيء ولا تغييره من حال إلى حال إن كان يعقل فاعلاً يلزم مفعوله المعين فإن الذي يقدر أن يفعل مفعولات متعددة ويقدر على تغييرها من حال إلى حال أكمل من ليس كذلك فلماذا يصفون واجب الوجود بالفعل الناقص إن كان ذلك ممكناً كيف وما ذكروه ممتنع لا يعقل فاعل على الوجه الذي قالوه بل من قدر شيئاً فاعلاً للازمه الذي لا يفارقه بحال كان مخالفًا لصرح المعقول عند الناس وقيل له هذا صفة له أو مشارك له ليس مفعولاً له ولو قيل لعامة العقلاة السليمي الفطرة إن الله خلق السماوات والأرض ومع هذا فلم تز الـ معه لقالوا هذا ينافي خلقه لهما فلا يعقل خلقه لهما إلا إذا خلقهما بعد أن لم تكونا موجودتين وأما إذا قيل لم تز الـ موجودتين كان القول مع ذلك بأنه خلقهما جمیعاً بين المتناقضین في فطر الناس وعقولهم التي لم تغير عن فطرتها ولهذا كان مجرد إخبار الرسل بأن الله خلق السماوات والأرض ونحو ذلك كافياً في الإخبار بحدوثهما لم يحتاجوا مع ذلك أن يقولوا خلقهما بعد عدمهما ولكن أخبروا بزمان خلقهما كما في قوله تعالى {خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ} يوں 3 والإنسان لما كان يعلم أنه خلق بعد أن لم يكن ذكر بذلك ليس تدل به على قدرة الخالق على تغيير العادة ولهذا ذكر تعالى ذلك في خلق يحيى بن زكريا عليه السلام وفي النشأة الثانية قال تعالى {يَا زَكْرِيَا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلٍ سَمِيًّا} 7 قال ربّ آنئي يكُون لي غلامٌ وكانت أمّ رأته عاقراً وقد بلغت من الكبر عتيّاً 8 قال كذلك قال ربّك هو على هينٍ وقد خلقت من قبل ولم تلئ شيئاً 9 مريم 7-9 وقال تعالى {وَيَقُولُ إِنْسَانٌ أَئْنَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيَاً} 66 أو لا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يكُن

شَيْئًا} 67 مريم - 66 ذكر الإنسان بما يعلمه من أنه خلقه ولم يك شيئاً ليستدل بذلك على قدرته على مثل ذلك وعلى ما هو أهون منه¹

مطالعة آلاء الله ونعماته يثير ذلك عنده باعثاً لمحبة الله

قال تعالى {وَإِن تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُو هَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ} النحل 18 ولا بد من التبيه على قاعدة تحرك القلوب إلى الله عز وجل فتعتصم به فتقل آفاتها أو تذهب عنها بالكلية بحول الله وقوته فنقول إن محركات القلوب إلى الله عز وجل ثلاثة المحبة والخوف والرجاء وأقواها المحبة وهي مقصودة تراد لذاتها لأنها تراد في الدنيا والآخرة بخلاف الخوف فإنه يزول في الآخرة قال الله تعالى {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خُوفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْرَثُونَ} الأحقاف 13 والخوف المقصود منه الزجر والمنع من الخروج عن الطريق فالمحبة تلقى العبد في السير إلى محبوبه وعلى قدر ضعفها وقوتها يكون سيره إليه والخوف يمنعه أن يخرج عن طريق المحبوب والرجاء يقوده فهذا أصل عظيم يجب على كل عبد أن يتتبه له فإنه لا تحصل له العبودية بدونه وكل أحد يجب أن يكون عبداً لله لا لغيره فإن قيل فالعبد في بعض الأحيان قد لا يكون عنده محبة تبعثر على طلب محبوبه فأى شيء يحرك القلوب قلنا يحركها شيئاً أحدهما كثرة الذكر للمحبوب لأن كثرة ذكره تعلق القلوب به ولهذا أمر الله عز وجل بالذكر الكثير فقال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا} 41 {وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا} 42 الأحزاب 41-42 الآية والثانية مطالعة آلة ونعماته قال الله تعالى {فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} الأعراف 69 وقال تعالى {وَمَا بِكُمْ مِّنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ} النحل 53 وقال تعالى {وَأَسْبَغْ عَلَيْكُمْ نِعْمَةً ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً} لقمان 20 وقال تعالى {وَإِن تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُو هَا} النحل 18 فإذا ذكر العبد ما أنعم الله به عليه من تسخير السماء والأرض وما فيها من الأشجار والحيوان وما أسبغ عليه من النعم الباطنة من الإيمان وغيره فلابد أن يثير ذلك عنده باعثاً وكذلك الخوف تحركه مطالعة آيات الوعيد والزجر والعرض والحساب ونحوه وكذلك الرجاء يحركه مطالعة الكرم والحلم والعفو وما ورد في الرجاء والكلام في التوحيد واسع وإنما الغرض مبلغ التبيه على تضمنه الإستغناء بأدني إشارة والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم²

كل ما لا حياة فيه يسمى مواتاً وميتاً

كل ما لا حياة فيه يسمى مواتاً وميتاً قال الله تعالى {وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا} 20 أمواتٌ غير أحياءٍ وما يشعرونَ أَيَّانَ يُبَعَّثُونَ 21 فسمى وَهُمْ يُخْلَقُونَ

¹ منهاج السنة النبوية ج: 1 ص: 371-373

² مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 95-96

الأصنام الجامدات أمواتاً وتسمى الأرض مواتاً كما قال النبي صلى الله عليه وسلم من أحيا أرضاً ميتة فهي له¹

وأن جعلهم (يقصد الفلسفه) سلب الموت والصمم والبكم عن الجمام لزعهم أنه غير قابل لها إصطلاح محض فإنه موجود في كلام الله تسمية الجمام ميتاً²

فالقرآن قد سمي الجمام ميتاً في غير موضع قوله تعالى {وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ} 20 {أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبَعَّثُونَ} 21 النحل 20-21 الآية فسمى الأصنام أمواتاً وهي حجارة وقال {وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا} يس 33 ولا نسلم إمتناع قبول هذه الحياة بل الرب تعالى قد جعل الجمامات قابلة للحياة ولا يمتنع قبولها لها فإن الله تعالى قد جعل عصى موسى حية تسعى فدل على أن الخشب يمكن أن يكون حيواناً موسى لما اغتصب جعل ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه وقد أحيا الله الحوت المشوي الذي كان معه ومع فتاه وقد سبح الحصا و الطعام سبح وهو يؤكل و كان حجر يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم و حن الجذع و الجبال سبحث مع داود و نظائر هذا كثيرة وقد قال تعالى {وَإِنْ مَنْ شَيْءٌ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ} الإسراء 44³

الدعاء قصد المدعو والتوجه إليه

لفظ الدعاء والدعوة في القرآن يتناول معنيين دعاء العبادة ودعاء المسألة و الدعاء قصد المدعو و التوجه إليه إما على وجه المسألة و إما على وجه العبادة المحضة لأن دعاء الشيء هو طلبه و إرادته سواء طلب لذاته أو للأمر منه و من ذلك قوله تعالى {وَقَالَ رَبُّكُمْ اذْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} غافر 60 فإنه فسر بالمسألة وبالعبادة و قال تعالى {وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ} النحل 20⁴

قال الله تعالى {فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ} الشعراء 213 وقال تعالى {وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانٌ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ} المؤمنون 117 وقال تعالى {وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لِإِلَهٌ إِلَّا هُوَ} القصص 88 وقال {وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوْهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدَا} الجن 19 وقال {إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا} النساء 117 ولفظ الصلاة في اللغة أصله الدعاء وسميت الصلاة دعاء لتضمنها معنى الدعاء وهو العبادة والمسألة وفي الصحيحين عن النبي انه قال ينزل ربنا كل ليلة الى السماء الدنيا

¹ الصدفية ج: 1 ص: 95 و مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 357 و مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 28 و مجموع

الفتاوى ج: 6 ص: 89

² الجواب الصحيح ج: 3 ص: 219

³ مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 26

⁴ شرح العمدة ج: 4 ص: 28

حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعونى فأستجيب له من يسألنى فأعطيه من يستغرنى فأغفر له ذكر او لا لفظ الدعاء ثم ذكر السؤال والاستغفار والمستغفر سائل كما ان السائل داع لكن ذكر السائل لدفع الشر بعد السائل الطالب للخير وذكرهما جمیعاً بعد ذكر الداعي الذى يتناولهما وغيرهما فهو من باب عطف الخاص على العام وقال تعالى {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أَجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ} البقرة 186 وكل سائل راغب راهب فهو عابد للمسؤول وكل عابد له فهو ايضاً راغب وراهب يرجو رحمته ويخاف عذابه فكل عابد سائل وكل سائل عابد واحد الاسمين يتناول الآخر عند تجرده عنه ولكن اذا جمع بينهما فانه يراد بالسائل الذي يطلب جلب المنفعة ودفع المضرة بصيغ السؤال والطلب ويراد بالعبد من يطلب ذلك بامتنال الامر وان لم يكن فى ذلك صيغ سؤال والعابد الذى يريد وجه الله والنظر اليه هو ايضاً راجح خائف راغب راهب يرغب فى حصول مراده ويرهباً من فواته قال تعالى {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَا رَغْبًا وَرَهْبًا} الأنبياء 90 وقال تعالى {تَتَحَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ حَوْفًا وَطَمَعًا} السجدة 16 ولا يتصور ان يخلو داع الله دعاء عبادة او دعاء مسألة من الرغب والرهب من الخوف والطمع¹

والدعاء الله وحده سواء كان دعاء العبادة او دعاء المسئلة والإستعانة كما قال تعالى {وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاءِ وَالْعَشَيِّ} الأنعام 52 وذم الذين يدعون الملائكة والأنبياء وغيرهم فقال {وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ} النحل 20

لطائف لغوية

1- قال تعالى {يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَإِنَّقُونَ} النحل 2 ولفظ العبد في القرآن يتناول من عبد الله فأما عبد لا يعبد فلا يطلق عليه لفظ عبده ونحو هذا كثير وقد يطلق لفظ العبد على المخلوقات كلها³

2- قال تعالى {يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَإِنَّقُونَ} النحل 2 فإن اسم الملائكة والملك يتضمن أنهم رسول الله كما قال تعالى {جَاعِلُ الْمَلَائِكَةَ رُسُلًا} فاطر 1 فالملائكة رسول الله في تنفيذ أمره الكوني الذي يدبر به السموات والأرض وأمره

¹ مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 238

² مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 69

³ مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 43

الدينى الذى تنزل به الملائكة فإنه قال {يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ} ¹ النحل ²

3- قال تعالى {يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَأَنَّقُونَ} ² النحل ² وإنما يجعله الله في قلوب أنبيائه وأوليائه من الهدى والتأييد ونحو ذلك فسمى الملك روها وسمى ما ينزل به الملك روها وهما متلازمان ولهذا قال كثير من المفسرين إنه جبريل وقال بعضهم إنه الوحي ²

4- قال تعالى {يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَأَنَّقُونَ} ² النحل ² وهذه الروح التي أوحاهها والتي تنزل بها الملائكة على من يشاء من عباده غير الروح الأمين التي تنزل بالكتاب وكلها يسمى روها وهما متلازمان فالروح التي ينزل بها الملك مع الروح الأمين التي ينزل بها روح القدس يراد بها هذا وهذا ³

5- قال تعالى {وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَاءَرُ وَلُؤْ شَاءَ لَهَدَأُكُمْ أَجْمَعِينَ} ¹ النحل ⁹ وقال الأصمعي إشتدا بالشين المعجمة ليس بشيء وتعبيرهم عن السيد بالقصد بذلك على أن لفظ القصد فيه معنى الجمع والقوة والقصد العدل كما أنه السداد والصواب وهو المطابق الموافق الذي لا يزيد ولا ينقص وهذا هو الجامع المطابق ومنه قوله تعالى {وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ} ¹ النحل ⁹ أي القصد وهو السبيل العدل أي إليه تنتهي السبيل العادلة كما قال تعالى {إِنَّ عَلَيْنَا لَهُدًى} ¹ الليل ¹² أي الهدى إلينا هذا أصح الأقوال في الآيتين وكذلك قوله تعالى {قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ} ⁴ الحجر ⁴¹

6- قال تعالى {وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَاءَرُ وَلُؤْ شَاءَ لَهَدَأُكُمْ أَجْمَعِينَ} ¹ النحل ⁹ وقال تعالى {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوْا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلٍ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا

¹ الجواب الصحيح ج: 2 ص: 187

² الجواب الصحيح ج: 2 ص: 187

³ الجواب الصحيح ج: 3 ص: 273

⁴ مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 231

وَضَلُّوا عَن سَوَاء السَّبِيلِ } المائدة 77 أي وسط الطريق وهي السبيل القصد الذي قال الله فيها
{وَعَلَى اللَّهِ قَدْحُ السَّبِيلِ } النحل 9 وهي الصراط المستقيم¹

7- كل ما لا حياة فيه يسمى مواتاً وميتاً قال الله تعالى { وَالَّذِينَ يَذْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ } 20 { أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبَعَّثُونَ } 21 } النحل 20-21 فسمى الأصنام الجامدات أمواتاً وتسمى الأرض مواتاً كما قال النبي صلى الله عليه وسلم من أحيا أرضاً ميته فهي له²

¹ منهاج السنة النبوية ج: 5 ص: 330

² الصفدية ج: 1 ص: 95 و مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 357 و مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 28 و مجموع الفتاوى ج: 6 ص: 89

النحل-40

{ إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرٌةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ {22} لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلَمُونَ أَنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ {23} وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ {24} لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَنْ أَوْزَارَ الذِّينَ يُضْلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزَرُونَ {25} قَدْ مَكَرَ الذِّينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنْ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حِينٍ لَا يَشْعُرُونَ {26} ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَشَافُّونَ فِيهِمْ قَالَ الذِّينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخَرْزِيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ {27} الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِيَ أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلِّي إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ {28} فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ {29} وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقُوا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنَعْمَمْ دَارُ الْمُتَّقِينَ {30} جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ {31} الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَبِيبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ {32} هُلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الذِّينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمُهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلَمُونَ {33} فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتٌ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهِزُونَ {34} وَقَالَ الذِّينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آباؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الذِّينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ {35} وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ {36} إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضْلِلُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ {37} وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلِّي وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ {38} لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ {39} إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ {40}

التوحيد يكون من الله لنفسه

قال تعالى {إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرٌةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ} {22} لا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسْرِرُونَ وَمَا يُعْلِمُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْكَبِرِينَ} {23} وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاً ذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ} {24} فان التوحيد يكون من الله لنفسه فانه يوحد نفسه بنفسه كما قال تعالى {شَهَدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} {آل عمران} 18 والقرآن مملوء من توحيد الله لنفسه فقد وحد نفسه بنفسه كقوله **{إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ}** {النحل} 22¹

{فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرٌةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ }

قال تعالى {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ} {37} فإن من يؤتى الحكمة وينتفع بالعلم على منزلتين اما رجل رأى الحق بنفسه فقبله فاتبعه ولم يحتاج إلى من يدعوه فذلك صاحب القلب او رجل لم يقله بنفسه بل هو يحتاج إلى من يعلمه ويبينه له ويعظه ويؤدبه فهذا اصغرى {أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ} {37} اي حاضر القلب ليس بغايبه كما قال مجاهد او اوتى العلم وكان له ذكرى وتبين قوله {وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ شَمِيعُ الصُّمِّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْلَمُونَ} {42} وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمَّى وَلَوْ كَانُوا لَا يُبَصِّرُونَ} {43} يومن 42-43 وقوله {وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلُنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكْنَهَا أَنْ يَقْعُدُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقُرَا} {الأنعام} 25 ثم إذا كان حق القلب ان يعلم الحق فان الله هو الحق المبين {فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ} يومن 32 إذ كان كل ما يقع عليه لمحه ناظر او يجول في لفته خاطر فالله ربها ومشتبه وفاطره ومبئته لا يحيط علمها إلا بما هو من آياته البينة في ارضه وسمائه واصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبید الا كل شيء ما خلا الله باطل أي ما من شيء من الأشياء إذا نظرت إليه من جهة نفسه إلا وجدته إلى العدم وما هو فقير إلى الحي القيوم فإذا نظرت إليه وقد تولته يد العناية بتقدير من أعطى كل شيء خلقه ثم هدى رأيته حينئذ موجودا مكسوا حل الفضل والاحسان فقد استبان ان القلب إنما خلق لذكر الله سبحانه ولهذا قال بعض الحكماء المتقدمين من أهل الشام اظنه سليمان الخواص رحمة الله قال الذكر للقلب بمنزلة الغذاء للجسد فكما لا يجد الجسد لذة الطعام مع السقم فكذاك القلب لا يجد حلاوة الذكر مع حب الدنيا أو كما قال فإذا كان القلب مشغولا بالله عاقلا للحق متفكرا في العلم فقد وضع في موضعه كما ان العين إذا صرفت إلى النظر في الأشياء فقد وضعت في موضعها إما إذا لم يصرف إلى العلم ولم يوع فيه الحق فقد نسي ربه فلم يوضع في موضع بل هو ضائع ولا يحتاج ان نقول قد وضع في موضع غير موضعه بل لم يوضع اصلا فإن موضعه هو الحق وما سوى الحق باطل فإذا لم يوضع في الحق لم يبق إلا الباطل والباطل ليس بشيء أصلا وما ليس بشيء احرى أن لا يكون موضعا والقلب هو نفسه لا يقبل إلا الحق فإذا لم يوضع فيه فإنه لا يقبل غير ما خلق له سنة الله {وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةَ اللَّهِ تَبْدِيلًا} الفتح 23 وهو مع ذلك ليس بمتروك مخلٍ فإنه لا يزال في أودية الأفكار وأقطار الأماني لا يكون على حال التي تكون عليها العين والأذن من الفراغ والتخلٍ فقد وضع في غير موضع لا مطلق ولا معلق موضوع لا موضوع له وهذا من العجب فسبحان ربنا العزيز الحكيم وإنما تتكشف للإنسان هذه الحال عند رجوعه

¹ مجموع الفتاوى ج: 2 ص: 355

إلى الحق أما في الدنيا عند الانابة أو عند المنقلب إلى الآخرة فيرى سوى الحال التي كان عليها وكيف كان قلبه ضالا عن الحق هذا إذا صرف في الباطل فاما لو ترك وحاله التي فطر عليها فارغا عن كل ذكر خاليا عن كل فكر فقد كان يقبل العلم الذي لا جهل فيه ويرى الحق الذي لا ريب فيه فيؤمن بربه وينبئ إليه فإن كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جماع لا يحس فيها من جد

{ فَطْرَةُ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ } الروم 30 وإنما يحول بينه وبين الحق في غالب الحال شغله بغيره من فتن الدنيا ومطالب الجسد وشهوات النفس فهو في هذه الحال كالعين الناظرة إلى وجه الأرض لا يمكنها أن ترى مع ذلك الهلال أو هو يميل إليه فيصده عن اتباع الحق فيكون كالعين التي فيها قدى لا يمكنها رؤية الأشياء ثم الهوى قد يعترض له قبل معرفة الحق فيصده عن النظر فيه فلا يتبيّن له الحق كما قيل حبك الشيء يعمى ويصم فيبقى في ظلمة الأفكار وكثيرا ما يكون ذلك عن كبر يمنعه عن أن يطلب الحق { إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرٌةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ } 22 لا جرم أن الله يعلم ما يسرعون وما يعلّلون إن الله لا يحب المستكبرين { 23 } النحل 22 وقد يعرض له الهوى بعد أن عرف الحق فيجدهه ويعرض عنه كما قال ربنا سبحانه فيه { سَاصْرَفْ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا } الأعراف 146

"من دعا إلى الضلالة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيمة"

قال تعالى { إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرٌةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ } 22 لا جرم أن الله يعلم ما يسرعون وما يعلّلون إن الله لا يحب المستكبرين { 23 } 23 وإذا قيل لهم ماداً أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين { 24 } ليحملوا أوزارهم كاملاً يوم القيمة ومن أوزار الدين يضلونهم بغير علم إلا سوء ما يزرون { 25 } النحل 22-25 فقد يعزّم على الفعل في المستقبل من لا يفعل منه شيئاً في الحال والعزم على أن يفعل في المستقبل لا يكفي في وجود الفعل بل لابد عند وجوده من حدوث تمام الإرادة المستلزم لل فعل وهذه هي الإرادة الجازمة و الإرادة الجازمة إذا فعل معها الإنسان ما يقدر عليه كان في الشرع بمنزلة الفاعل التام له ثواب الفاعل التام وعقاب الفاعل التام الذي فعل جميع الفعل المراد حتى يثاب ويعاقب على ما هو خارج عن محل قدرته مثل المشتركين والمعاونين على أفعال البر ومنها ما يتولد عن فعل الإنسان كالداعي إلى هدى أو إلى ضلاله والسان سنة حسنة وسنة سيئة كما ثبت في الصحيحين عن النبي أنه قال من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن دعا إلى ضلاله كان عليه من الوزر مثل أوزار من تبعه من غير أن ينقص أوزارهم شيء وثبت عنه في الصحيحين أنه قال من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيمة من غير أن ينقص من أجورهم شيء فالداعي إلى الهدى وإلى الضلاله هو طالب مرید كامل الطلب والإرادة لما دعا إليه لكن قدرته بالدعاء والأمر وقدرة الفاعل بالإتباع والقبول ولهذا قرن الله تعالى في كتابه بين الأفعال المباشرة والمتوالدة فقال { مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلُهُمْ مِنْ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَّخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْجِعُوا بِأَنفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَّاً وَلَا نَصَبًّا وَلَا مَخْمَصَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطُوقُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَتَأْلَوْنَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيغُ أَجْرَ

المُحْسِنِينَ {120} وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيَا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ {121} التوبه 120-121 ذكر في الآية الأولى ما يحدث عن أفعالهم بغير قدرتهم المنفردة وهو ما يصيّبهم من العطش والجوع والتعب وما يحصل للكفار بهم من الغيظ وما ينالونه من العدو وقال {إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ} التوبه 120 فأخبر أن هذه الأمور التي تحدث وتتولد من فعلهم وفعل آخر منفصل عنهم يكتب لهم بها عمل صالح وذكر في الآية الثانية نفس أعمالهم المباشرة التي باشروها بأنفسهم وهي الإنفاق وقطع المسافة فلهذا قال فيها {إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ} التوبه 120 فإن هذه نفسها عمل صالح وإرادتهم في الموضعين جازمة على مطلوبهم الذي هو أن يكون الدين كله لله وأن تكون كلمة الله هي العليا فما حدث مع هذه الإرادة الجازمة من الأمور التي تعين فيها قدرتهم بعض الإعاقة هي لهم عمل صالح وكذلك الداعي إلى الهدى والضلال لما كانت إرادته جازمة كاملة في هدى الأتباع وضلالهم وأتى من الإعاقة على ذلك بما يقدر عليه كان بمنزلة العامل الكامل فله من الجزاء مثل جزاء كل من إنبعه للهادى مثل أجور المهدى وللمضل مثل أوزار الضالين وكذلك السان سنة حسنة وسنة سيئة فإن السنة هي ما رسم للتحرى فإن السان كامل الإرادة لكل ما يفعل من ذلك وفعله بحسب قدرته ومن هذا قوله في الحديث المتفق عليه عن ابن مسعود عن النبي أنه قال لا تقتل نفس ظلما إلا كان على بن آدم الأول كفل من دمها لأنه أول من سن القتل فالكفل النصيب مثل القاتل كما فسره الحديث الآخر وهو كما يستباح جنس قتل المعصوم لم يكن مانع يمنعه من قتل نفس معصومة فصار شريكا في قتل كل نفس ومنه قوله تعالى {مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَانَمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَانَمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا} المائدة 32 ويشبه هذا أنه من كذب رسولنا معينا كان كتكذيب جنس الرسل كما قيل فيه {كَذَبْتُ قَوْمً نُوحَ الْمُرْسَلِينَ} الشعراe 105 {كَذَبْتُ عَادَ الْمُرْسَلِينَ} الشعراe 123 ونحو ذلك ومن الباب قوله تعالى {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَتَيْعُوا سَبِيلَنَا وَلَنْحَمِلْنَا خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مَنْ شَيْءَ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} 12 {وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسَلَّنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ} 13 العنكبوت 12-13 فأخبر أن أئمة الضلال لا يحملون من خطايا الإتباع شيئاً وأخبر أنهم يحملون أثقالهم وهي أوزار الإتباع من غير أن ينقص من أوزار الأتباع شيء لأن إرادتهم كانت جازمة بذلك وفعلوا مقدورهم فصار لهم جزاء كل عامل لأن الجزاء على العمل يستحق مع الإرادة الجازمة وفعل المقدور منه وهو كما ثبت في الصحيحين من حديث ابن عباس عن أبي سفيان أن النبي كتب إلى هرقل فإن توليت فإن عليك إثم الأربيسين فأخبر أن هرقل لما كان امامهم المتبع في دينهم أن عليه إثم الأربيسين وهو الأتباع وإن كان قد قيل إن أصل هذه الكلمة من الفلاحين والإكراه لفظ الطاء بالتركي فإن هذه الكلمة تقلب إلى ما هو أعم من ذلك ومعلوم أنه إذا تولى عن أتباع الرسول كان عليه مثل آثائهم من غير أن ينقص من آثائهم شيء كما دل عليه سائر نصوص الكتاب والسنة ومن هذا قوله تعالى {إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ} 22 النحل 22-25 قوله {وَمَنْ أَوْزَارَ الَّذِينَ يُضْلِلُونَهُمْ} 25 النحل 25 هي الأوزار الحاصلة لضلال الأتباع وهي حاصلة من جهة الأمر ومن جهة المأمور المتمثل فالقدرتان مشتركتان في حصول ذلك الضلال فلهذا كان على هذا بعضه وعلى هذا بعضه إلا أن كل بعض هذين البعضين هو مثل وزر عامل كامل كما دلت عليه سائر النصوص مثل قوله من دعا إلى الضلال كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيمة ومن هذا الباب قوله تعالى {قَالَ

ادْخُلُوا فِي أَمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنْ الْجِنِّ وَالإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلْتُ أُمَّةً لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا
ادْأَرَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أَخْرَاهُمْ لَاوَلَاهُمْ رَبَّنَا هَوْلَاءِ أَضْلَلُونَا فَاتِّهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ
ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ } الأعراف 38 فأخبر سبحانه أن الأتباع دعوا على أئمة الضلال
بتضييف العذاب كما أخبر عنهم بذلك في قوله تعالى { وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطْعَنَا سَادَتَنَا وَكَبَرَاءُنَا
فَأَضْلَلُونَا السَّبِيلَا } 67 { رَبَّنَا آتَهُمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا } 68 { الأحزاب 67-68
وأخبر سبحانه أن لكل من المتبعين والاتباع تضييفاً من العذاب ولكن لا يعلم الأتباع التضييف
ولهذا وقع عظيم المدح والثناء لأنمّة الهدى وعظيم الذم واللعنة لأنمّة الضلال حتى روى في أثر لا
يحضرني إسناده أنه ما من عذاب في النار إلا يبدأ فيه ببابليس ثم يصعد بعد ذلك إلى غيره وما من
نعم في الجنة إلا يبدأ فيه بالنبي ثم ينتقل إلى غيره فإنه هو الإمام المطلق في الهدى لأول بنى آدم
وآخرهم كما قال أنا سيد ولد آدم ولا فخر آدم ومن دونه تحت لوائى يوم القيمة ولا فخر وهو
شفيع الأولين والآخرين في الحساب بينهم وهو أول من يستفتح بباب الجنة ¹

التقليد الباطل المذموم فهو قبول قول الغير بلا حجة

قال تعالى { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاًذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ } 24 { لِيَحْمِلُوا أَوزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ
الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوزَارِ الَّذِينَ يُضْلُلُونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ } 25 { النحل 24-25 التقليد الباطل
المذموم فهو قبول قول الغير بلا حجة قال الله تعالى { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ
نَتَّبِعُ مَا أَفْيَنَا عَلَيْهِ أَبَاءُنَا أَوْلَوْ كَانَ أَبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ } البقرة 170 في البقرة وفي
المائدة وفي لقمان { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ أَبَاءُنَا أَوْلَوْ كَانَ
الشَّيْطَانُ يَدْعُهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ } لقمان 21 الزخرف { قَالَ أَوْلَوْ حِنْثُكُمْ بِإِهْدِي مِمَّا وَجَدْتُمْ
عَلَيْهِ أَبَاءُكُمْ } الزخرف 24 وفي الصفات { إِنَّهُمْ أَفْوَأُوا أَبَاءُهُمْ ضَالِّينَ } 69 { فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ
يُهْرَعُونَ } 70 { الصفات 69-70 وقال { يَوْمَ تُقْلَبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطْعَنَا اللَّهَ
وَأَطْعَنَا الرَّسُولَا } 66 { وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطْعَنَا سَادَتَنَا وَكَبَرَاءُنَا فَأَضْلَلُونَا السَّبِيلَا } 67 { الأحزاب 66-67
وقال { إِذْ تَبَرَّا الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَنَقَطَعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ } البقرة 166
وقال { فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا أَنَا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ
} غافر 47 وفي الآية الأخرى { فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ } إبراهيم 21 وقال
{ لِيَحْمِلُوا أَوزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوزَارِ الَّذِينَ يُضْلُلُونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ } النحل 25 فهذا
الاتباع والتقليد الذي ذمه الله هو اتباع الهوى أما للعادة والنسب كتابع الآباء وأما للرأفة كاتباع الإلهام
كابر والسدادة والمتكبرين فهذا مثل تقليد الرجل لأبيه أو سيده أو ذي سلطانه وهذا يكون لم يسبق
بنفسه وهو الصغير فان دينه دين امه فان فقدت فدينه ملكه وأبيه فان فقدت كاللقيط فدينه المتولى عليه
وهو أهل البلد الذي هو فيه فاما إذا بلغ وأعرب لسانه فاما شاكرا وإما كفورا وقد بين الله أن
الواجب الاعراض عن هذا التقليد إلى اتباع ما أنزل الله على رسليه فانهم حجة الله التي أذر بها إلى
خلقها والكلام في التقليد في شيئاً في كونه حقاً أو باطلأ من جهة الدلالة وفي كونه مشروعاً أو
غير مشروع من جهة الحكم أما الأول فان التقليد المذكور لا يفيد علمـا فـاـنـ المـقـلـدـ يـجـوزـ أـنـ يـكونـ
مقـلـدـ مـصـيـباـ ويـجـوزـ أـنـ يـكونـ مـخـطاـ وـهـوـ لـاـ يـعـلـمـ أـمـصـيـبـ هوـ لـاـ مـخـطـىـءـ فـلـاـ تـحـصـلـ لـهـ ثـقـةـ وـلـاـ

¹ مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 724-728 و الزهد والورع والعبادة ج: 1 ص: 155

طمأنينة فان علم ان مقلده مصيبة كتقليد الرسول أو أهل الاجماع فقد قلده بحجة وهو العلم بأنه عالم وليس هو التقليد المذكور وهذا التقليد واجب للعلم بأن الرسول معصوم وأهل الاجماع معصومون وأما تقليد العالم حيث يجوز فهو منزلة اتباع الأدلة المتغلبة على الظن كخبر الواحد والقياس لأن المقلد يغلب على ظنه إصابته العالم المجتهد كما يغلب على ظنه صدق المخبر لكن بين اتباع الرواى والرأى فرق يذكر إن شاء الله فى موضوع آخر فان اتباع الرواى واجب لأنه انفرد بعلم ما أخبر به بخلاف الرأى فإنه يمكن أن يعلم من حيث علم ولأن غلط الرواية بعيد فان ضبطها سهل لهذا نقل عن النساء والعامه بخلاف غلط الرأى فإنه كثير لدقة طرفة وكثرتها وهذا هو العرف لمن يجوز قبول الخبر مع إمكان مراجعته المخبر عنه ولا يجوز قبول المعنى مع إمكان معرفة الدليل وأما العرف الأول فمتفق عليه بين أهل العلم ولهذا يوجبون اتباع الخبر ولا يوجب أحد تقليد العالم على من أمكنه الاستدلال وإنما يختلفون في جوازه لأنه يمكنه أن يعلم من حيث علم بهذه حمله وأما تفصيلها فنقول الناس في الاستدلال والتقليد على طرف في نقيس منهم من يوجب الاستدلال حتى في المسائل الدقيقة أصولها وفروعها على كل أحد ومنهم من يحرم الاستدلال في الدقيق على كل أحد وهذا في الأصول والفروع وخيار الأمور أو ساطعها¹

الرد على الذين أنكروا عذاب القبر والبرزخ

قال تعالى {قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ} {26} ثمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْرِيْهُمْ وَيَقُولُ أَئْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخَرْزِيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ} {27} الَّذِينَ تَنَوَّفَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَالِمِيَ أَنفُسِهِمْ فَلَقَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلِي إِنَّ اللَّهَ عَلَيْمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} {28} فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَيْسَ مَثُوِيَ الْمُتَكَبِّرِينَ} {29} وَقِيلَ لِلَّذِينَ آتَقْوَا مَا أُنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلِلْعَمَدِ دَارُ الْمُنْقَبِينَ} {30} جَنَّاتُ عَدْنِ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَسْأَوْنَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَقْنِينَ} {31} الَّذِينَ تَنَوَّفَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} {32} فَهَذِهِ الْآيَاتُ يُخْبِرُ فِيهَا بِتُوفِيِ المَلَائِكَةِ لِلأنفُسِ وَخُطَابِهِمْ لِلْمَوْتَى إِمَّا بِخَيْرٍ وَإِمَّا بِشَرٍ وَفَعْلِهِمْ مَا يَفْعَلُونَ بِهِمْ مِنْ نَعِيمٍ وَعَذَابٍ²

أن الذين أنكروا عذاب القبر والبرزخ مطلقاً زعموا أنه لم يدل على ذلك القرآن وهو غلط بل القرآن قد بين في غير موضع بقاء النفس بعد فراق البدن وبين النعيم والعقاب في البرزخ وهو سبحانه تعالى في السورة الواحدة يذكر القيامة الكبرى وأن الناس يكونون أزواجاً ثلاثة كما قال تعالى (إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ) {1} لَيْسَ لَوْقَعَتْهَا كَانِبَةً {2} خَافِضَةً رَافِعَةً {3} إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجَّاً {4} وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسَّاً {5} فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثِّاً {6} وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً {7} الواقعة 1-7 ثم إنه في آخرها

¹ مجموع الفتاوى ج: 20 ص: 16-18

² الصحفية ج: 1 ص: 206

القيامة الصغرى بالموت وأنهم ثلاثة أصناف بعد الموت فقال { فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ } 83 { وَأَنْتُمْ حِينَذِ تَنْظُرُونَ } 84 { وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ } 85 { ثُبَصِرُونَ } 85 { فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ } 86 { تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } 87 { فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ } 88 { فَرَوْحٌ وَرِيَاحٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ } 89 { وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ } 90 { فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ } 91 { وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الصَّالِيْلِينَ } 92 { فَنَزُلَ مِنْ حَمِيمٍ } 93 { وَتَصْلِيَّةُ جَحِيمٍ } 94 { إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ } 95 { فَسَبَّبَ يَاسِنَ رَبِّ الْعَظِيمِ } 96 { الواقعة 96-83 }

فهذا فيه أن النفس تبلغ الحلقوم وأنهم لا يمكنهم رجعوا وبين حال المقربين وأصحاب اليمين والمكذبين حينذاك وفي سورة القيامة ذكر أيضا القيامتين فقال (لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ) 1 { الْقِيَامَةُ } 1 ثم قال { وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ الْلَّوَامَةِ } 2 { الْقِيَامَةُ } 2 وهي نفس الإنسان وقد قيل إن النفس تكون لوامة وغير لوامة وليس كذلك بل نفس كل إنسان لوامة فإنه ليس بشر إلا يلوم نفسه ويندم إما في الدنيا وأما في الآخرة فهذا إثبات النفس ثم ذكر معاد البدن فقال { أَيْحَسَبُ الْإِنْسَانُ أَنَّنَّ جَمْعَ عَظَامَهُ } 3 { بَلَى فَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسُوْيَ بَنَانَهُ } 4 { بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ } 5 { يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ } 6 { الْقِيَامَةُ } 3-6 ووصف حال القيامة إلى قوله { تَظَنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةً } 25 { الْقِيَامَةُ } 25 ثم ذكر الموت فقال { كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَّةِ } 26 { الْقِيَامَةُ } 26 وهذا إثبات للنفس وأنها تبلغ التراقي كما قال هناك { بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ } 27 { الْوَاقِعَةُ } 83 والتراقي متصلة بالحلقوم ثم قال { وَقَيْلَ مَنْ رَاقِ } 27 { الْقِيَامَةُ } 27 يرقى بها وقيل من صاعد يصعد بها إلى الله والواول أظهر لأن هذا قبل الموت فإنه قال { وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ } 28 { الْقِيَامَةُ } 28 فدل على أنهم يرجونه ويطلبون له راقيا يرقى وأيضا فصعدوا لا يفتقر إلى طلب من يرقى بها فإن الله ملائكة يفعلون ما يؤمرون والرقية أعظم الأدوية فإنها دواء روحي ولهاذ قال النبي في صفة المتكلمين لا يسترون والمراد أنه يخاف الموت ويرجو الحياة بالراقي ولهاذا قال { وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ } 28 { الْقِيَامَةُ } 28 ثم قال { وَالتَّفَتَ السَّاقُ بِالسَّاقِ } 29 { إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ } 30 { الْقِيَامَةُ } 30 فدل على نفس موجودة قائمة بنفسها تساق إلى ربها والعرض القائم بغيره لا يساق ولا بدن الميت فهذا نص في إثبات نفس تفارق البدن تساق إلى ربها كما نطق بذلك الأحاديث المستفيضة في قبض روح المؤمن وروح الكافر ثم ذكر بعد هذا صفة الكافر بقوله مع هذا الوعيد الذي قدمه { فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى } 31 { الْقِيَامَةُ } 31 وليس المراد أن كل نفس من هذه النفوس كذلك وكذلك سورة ق هي في ذكر وعيد القيامة ومع هذا قال فيها

{ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ } 19 ثم قال بعد ذلك { وَنَفْخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ } 20 فذكر القيامتين الصغرى والكبرى و قوله { وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ } 19 أي جاءت بما بعد الموت من ثواب وعقاب وهو الحق الذي أخبرت به الرسل ليس مراده أنها جاءت بالحق الذي هو الموت فإن هذا مشهور لم ينزع فيه ولم يقل أحد إن الموت باطل حتى يقال جاءت بالحق و قوله { ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ } 19 فلا إنسان وإن كره الموت فهو يعلم أنه تلاقيه ملائكته وهذا كقوله { وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ } الحجر 99 واليقين ما بعد الموت كما قال النبي أما عثمان بن مظعون فقد جاءه اليقين من ربه وإلا نفس الموت مجرد عما بعده أمر مشهور لم ينزع فيه أحد حتى يسمى يقينا وذكر عذاب القيامة والبرزخ معا في غير موضع ذكره في قصة آل فرعون فقال وحاق بالفرعون سوء العذاب { وَحَاقَ بِالْفِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ } 45 { النَّارُ يُعَرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخُلُوا إِلَى فَرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ } 46-45 وقال في قصة فوم نوح { مِمَّا خَطَبَنَاهُمْ أَغْرِقُوهَا فَادْخُلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا } نوح 25 مع إخبار نوح لهم بالقيامة في قوله { وَاللَّهُ أَنْبَتُكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا } 17 { ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا } 18 { نوح } 17-18 وقد ذكرنا في غير موضع أن

الرَّسُولُ قَبْلَ مُحَمَّدٍ أَنذَرُوا بِالْقِيَامَةِ الْكُبْرَى تَكْذِيبًا لِمَنْ نَفَى ذَلِكَ مِنَ الْمُتَفَلِّسِينَ {
 سَنَعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ} التُّوْبَةُ 101 قال غير واحد من العلماء المرة الأولى في
 الدُّنْيَا وَالثَّانِيَةُ فِي الْبَرْزَخِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ فِي الْآخِرَةِ وَقَالَ تَعَالَى فِي الْأَنْعَامِ {
 وَلَوْ تَرَى إِذَا الظَّالَّمُونَ فِي عَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةِ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ ثُجُّونَ
 عَذَابَ الْهُوَنِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنِ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ} 93 وَلَقَدْ جِئْنُونَا
 فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةً وَتَرَكْنُمْ مَا حَوَّلَنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ} 94 {الْأَنْعَامُ 93-94 وهذه صفة
 حَالِ الْمَوْتِ وَقَوْلُهُ {أَخْرَجُوا أَنْفُسَكُمْ} 93 الْأَنْعَامُ 93 دَلَّ عَلَى وُجُودِ النَّفْسِ الَّتِي تَخْرُجُ مِنَ الْبَدْنِ
 وَقَوْلُهُ {الْيَوْمَ ثُجُّونَ عَذَابَ الْهُوَنِ} 93 الْأَنْعَامُ 93 دَلَّ عَلَى وُقُوعِ الْجَزَاءِ عَقْبِ الْمَوْتِ
 وَقَالَ تَعَالَى فِي الْأَنْفَالِ {وَلَوْ تَرَى إِذَا يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا أَمْلَائِكَةٌ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ
 وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ} 50 {ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُ أَيْدِيهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَالٍ لِلْعَبِيدِ} 51 {الْأَنْفَالُ 51-50
 وَهَذَا ذُوقُ لَهُ بَعْدَ الْمَوْتِ وَقَالَ تَعَالَى {فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ
 } مُحَمَّد٢7 وَقَدْ ثَبَّتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ غَيْرِ وَجْهِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَا أَتَى الْمُشَرِّكِينَ
 يَوْمَ بَدْرٍ فِي الْقَلِيلِ نَادَاهُمْ يَا فَلَانَ يَا فَلَانَ 1 هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبَّكُمْ حَقًا فَقَدْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدْنَا رَبِّي
 وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى وُجُودِهِمْ وَسَمَاعِهِمْ وَإِنَّهُمْ وَجَدُوا مَا وَعَدُوهُ بَعْدَ الْمَوْتِ مِنَ الْعَذَابِ وَأَمَا نَفْسُ
 قَتْلِهِمْ فَقَدْ عَلِمَهُ الْأَحْيَاءُ مِنْهُمْ وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ النِّسَاءِ {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي
 أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كَنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَنَهَاجِرُوا فِيهَا
 فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاعِةً مَصِيرًا} النساءُ 97 وهذا خطابٌ لِهِمْ إِذَا تَوَفَّهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا
 يَعْلَمُونَ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا وَقَدْ يَئْسُوُا مِنَ الدُّنْيَا وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْبَدْنَ لَمْ يَتَكَلَّمْ لِسَانَهُ بَلْ هُوَ شَاهِدٌ يَعْلَمُ أَنَّ الَّذِي
 يَخَاطِبُ الْمَلَائِكَةَ هُوَ النَّفْسُ وَالْمَخَاطِبُ لَا يَكُونُ عَرْضًا وَقَالَ تَعَالَى فِي النَّحْلِ {الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ
 الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَلَقُوا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} 28
 فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلِيُّسَ مَثُوَى الْمُتَكَبِّرِينَ} 29 {الْنَّحْلُ 28-29 وهذا إِلَقاءُ السَّلَامِ إِلَى
 حَالِ الْمَوْتِ وَقُولُ الْمَلَائِكَةِ {مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ} 28 {الْنَّحْلُ 28 وهذا إِنَّمَا يَكُونُ مِنَ النَّفْسِ وَقَدْ
 قَالَ فِي النَّحْلِ {الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَبَّيْنَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ
 تَعْمَلُونَ} 32 {الْنَّحْلُ 32¹

الإِلْتِفَاتُ إِلَى الْأَسْبَابِ شَرِكٌ فِي التَّوْحِيدِ وَمَحْوُ الْأَسْبَابُ أَنْ تَكُونَ أَسْبَابًا تَغْيِيرٍ فِي وَجْهِ الْعُقْلِ وَالْأَعْرَاضِ عَنِ الْأَسْبَابِ بِالْكَلِيلِ قَدْحٌ فِي الشَّرْعِ

قال تَعَالَى {جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ
 الْمُتَّقِينَ} 31 {الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَبَّيْنَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} 32
 هُلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمُهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ
 كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} 33 {فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتٌ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ
 يَسْتَهْزِئُونَ} 34 {الْنَّحْلُ 34-31} 34 مِنْهُمْ يَتَرَكُونَ الْأَسْبَابَ الدُّنْيَوِيَّةَ وَيَجْعَلُونَ وُجُودَ السَّبِّبِ كَعْدَمِهِ

¹ مجموع الفتاوى ج: 4 ص: 263-271

ومنهم قوم يتركون الأسباب الأخرى ففيقولون إن سبق العلم والحكم أنا سعداء فحن سعداء وإن سبق أنا أشقياء فحن أشقياء فلا فائدة في العمل ومنهم من يترك الدعاء بناء على هذا الأصل الفاسد ولا ريب أن هذا الأصل الفاسد مخالف لكتاب والسنة وإجماع السلف وأئمة الدين ومخالف لصرح المعقول ومخالف للحس والمشاهدة وقد سُئل النبي صلى الله عليه وسلم عن إسقاط الأسباب نظرا إلى القدر فرد ذلك كما ثبت في الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ما منكم من أحد إلا وقد علم مقعده من الجنة ومقعده من النار قالوا يا رسول الله أفلاندع العمل ونتكل على الكتاب فقال لا اعملوا فكل ميسرا لما خلق له وفي الصحيح أيضا أنه قيل له يا رسول الله أرأيت ما يكدر الناس فيه اليوم ويعلمون أشياء قضي عليهم ومضى أم فيما يستقبلون مما أتاهم فيه الحجة فقال بل شيء قضي عليهم ومضى فيهم قالوا يا رسول الله أفلاندع العمل ونتكل على كتابنا فقال لا اعملوا فكل ميسرا لما خلق له وفي السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قيل له أرأيت أدوية نتداوي بها ورقى نسترقى بها وتقاة نتقها هل تردد من قدر الله شيئاً فقال هي من قدر الله وقد قال تعالى في كتابه {وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيِ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَفْلَاثُ سَحَابًا ثَقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلِدٍ مَيْتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ النَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمُوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} الأعراف 57 وقال تعالى {وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتَشِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلِدٍ مَيْتٍ فَأَحْيَنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتَهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ} فاطر 9 وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لسعد عسى أن تخلف فينتفع بك أقوام ويضر بك آخرون فكيف يمكن أن يشهد أن الله لم ينصب على توحيده دليلا ولا جعل للنجاة من عذابه وسيلة ولا جعل لما يفعله المتكول من عباده سببا وهو مسبب الأسباب وخلق كل شيء بسبب منه لكن الأسباب كما قال فيها أبو حامد وأبو الفرج بن الجوزي وغيرهما الإنفاقات إلى الأسباب شرك في التوحيد ومحو الأسباب أن تكون أسبابا تغيير في وجه العقل والأعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع¹

الجنة خلقها الله لأهل الإيمان به وطاعته فمن قدر أن يكون منهم يسره للإيمان و الطاعة فمن قال أنا أدخل الجنة سواء كنت مؤمنا أو كافرا إذا علم أنى من أهلها كان مفتريا على الله في ذلك فإن الله إنما علم أنه يدخلها بالإيمان فإذا لم يكن معه إيمان لم يكن هذا هو الذي علم الله أنه يدخل الجنة بل من لم يكن مؤمنا بل كافرا فإن الله يعلم أنه من أهل النار لامن أهل الجنة ولهذا أمر الناس بالدعاء والإستعانة بالله و غير ذلك من الأسباب و من قال أنا لا أدعوا و لا أسأل إنكلا على القدر كان مخطئا أيضا لأن الله جعل الدعاء و السؤال من الأسباب التي ينال بها مغفرته و رحمته و هذه و نصره و رزقه و إذا قدر للعبد خيرا يناله بالدعاء لم يحصل بدون الدعاء وما قدره الله و علمه من أحوال العباد و عواقبهم فإنما قدره الله بأسباب يسوق المقادير إلى المواقف فليس في الدنيا و الآخرة شيء إلا بسبب و الله خالق الأسباب و المسبيبات ولهذا قال بعضهم الإنفاقات إلى الأسباب شرك في التوحيد و محو الأسباب أن تكون أسبابا نقص في العقل و الإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع و مجرد الأسباب لا يوجب حصول المسبيب فإن المطر إذا نزل و بذر الحب لم يكن ذلك كافيا في حصول النبات بل لابد من ريح مرتبية بإذن الله و لابد من صرف الإنقاء عنه فلابد من

¹ منهاج السنة النبوية ج: 5 ص: 365-366

تمام الشروط و زوال الموانع و كل ذلك بقضاء الله و قدره و كذلك الولد لا يولد بمجرد إنزال الماء في الفرج بل كم من إنزل و لم يولد له بل لا بد من أن الله شاء خلقه فتحيل المرأة و تربيه في الرحم و سائر مaitem به خلقه من الشروط و زوال الموانع و كذلك أمر الآخرة ليس بمجرد العمل ينال الإنسان السعادة بل هي سبب و لهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم أنه لن يدخل أحدكم الجنة بعمله قالوا و لا أنت يا رسول الله قال و لا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه و فضل وقد قال تعالى {اَذْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} النحل 32 فهذه باء السبب أي بسبب أعمالكم و الذي نفاه النبي صلى الله عليه وسلم باء المقابلة كما يقال إشتريت هذا بهذا أي ليس العمل عوضا و ثمنا كافيا في دخول الجنة بل لابد من عفو الله و فضله و رحمته فبعفوه يمحوا السيئات و برحمته يأتي بالخيرات و بفضلها يضاعف البركات¹

وقال تعالى {وَمَا ظَلَمْتُهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} 33 {فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتٌ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهِزُونَ} 34 النحل 33-34 السيات هي عقوبات الأعمال كقوله {سَيِّئَاتٍ مَا مَكُرُوا} 45 غافر فإن الحسنات والسيئات يراد بها النعم والنعم كثيرا كما يراد بها الطاعات والمعاصي²

إثبات الملائكة وأفعالها وكلامها وتأثيرها في العالم

قال تعالى {جَنَّاتُ عَدْنَ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَقِينَ} 31 {الَّذِينَ تَنَوَّفَاهُ الْمَلَائِكَةُ طَبِيعَنَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ اذْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} 32 النحل 31-32 فإن اسم الملائكة والملك يتضمن أنهم رسول الله كما قال تعالى {جَاعِلُ الْمَلَائِكَةَ رُسُلًا} فاطر 1 فالملايكه رسيل الله في تنفيذ أمره الكوني الذي يدير به السموات والأرض وأمره الدينى الذي تنزل به الملائكة فإنه قال {اللَّهُ يَصْنُطِفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ} الحج 75 وملائكة الله لا يحصي عددهم إلا الله ومن المعلوم أن الملائكة لهم من العلوم والأحوال والإرادات والأعمال ما لا يحصيه إلا ذو الجلال ووصفهم في القرآن بالتسبيح والعبادة الله أكثر من أن يذكر هنا³

قال تعالى {جَنَّاتُ عَدْنَ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَقِينَ} 31 {الَّذِينَ تَنَوَّفَاهُ الْمَلَائِكَةُ طَبِيعَنَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ اذْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} 32 النحل 31-32 فهذه الآيات يخبر فيها بتوفيق الملائكة للأنفس وخطابهم للموتى إما بخير وإما بشر

¹ مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 70-71

² مجموع الفتاوى ج: 18 ص: 289

³ مجموع الفتاوى ج: 4 ص: 122

و فعلهم ما يفعلونه بهم من نعيم و عذاب بهذه النصوص وأمثالها صريحة بإثبات الملائكة وأفعالها وكلامها وتأثيرها في العالم بالقول والفعل وهذا يبطل قولهم إن المؤثر في العالم هو القوى النفسانية أو القوى الطبيعية فإن الملائكة خارجة عن هذا وهذا وحيثند مما يحصل من خوارق العادات بأفعال الملائكة أعظم مما يحصل بمجرد القوى النفسانية والأنبياء أحق الناس بمعاونة الملائكة لهم وتأييد الله تعالى لهم¹

من الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه

ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه وبما وصفه به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل بل يؤمنون بأن الله سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فلا ينفعون عنه ما وصف به نفسه ولا يحرفون الكلم عن مواضعه ولا يلحدون في أسماء الله وأياته ولا يكيفون ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه لأنه سبحانه لا سمي له ولا كفو له ولا ند له ولا يقاس بخلقه سبحانه وتعالى فإنه أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قيلاً وأحسن حديثاً من خلقه وهو سبحانه قد جمع فيما وصف وسمى به نفسه بين النفي والإثبات وقد دخل في هذه الجملة قوله سبحانه **{هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}** {النحل 33} ²

الأمر الذي كتبه الله على نفسه أو حرمته على نفسه لا يكون إلا مقدوراً له

سبحانه

قال تعالى **{هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}** {النحل 33} أن سائر أهل السنة الذين يقررون بالقدر ليس فيهم من يقول إن الله تعالى ليس بعدل ولا من يقول إنه ليس بحكيم ولا فيهم من يقول إنه يجوز أن يترك واجباً ولا أن يفعل قبيحاً فليس في المسلمين من يتكلم بمثل هذا الكلام الذي أطلقه ومن أطلقه كان كافراً مباح الدم باتفاق المسلمين ولكن هذه مسألة القدر والنزاع فيها معروف بين المسلمين فاما نفاة القدر كالمعتزلة ونحوهم فقولهم هو الذي ذهب إليه متاخر الإمامية وأما المثبتون للقدر وهو جمهور الأمة وأئمتها كالصحابة والتابعين لهم بإحسان وأهل البيت وغيرهم فهو لاء تنازعوا في تفسير عدل الله وحكمته والظلم الذي يجب تنزيهه عنه وفي تعليل أفعاله وأحكامه ونحو ذلك فقللت طائفه إن الظلم ممتنع منه غير مقدر وهو محال لذاته كالجمع بين النقيضين وإن كل ممكן مقدر فليس هو ظلماً و هو لاء هم الذين قصدوا الرد عليهم وهو لاء يقولون إنه لو عذب المطيعين ونعم العصاة لم يكن ظالماً و قالوا الظلم التصرف فيما ليس له والله تعالى له كل شيء أو هو مخالفة الأمر

¹ الصافية ج: 1 ص: 206

² العقيدة الواسطية ج: 1 ص: 11

والله لا أمر له وهذا قول كثير من أهل الكلام المثبتين للقدر ومن وافقهم من الفقهاء أصحاب الأئمة الأربعه وقال طائفة بل الظلم مقدور ممكناً والله تعالى منزه لا يفعله لعدله ولهذا مدح الله نفسه حيث أخبر أنه لا يظلم الناس شيئاً والمدح إنما يكون بترك المقدور عليه لا بترك الممتنع قالوا وقد قال تعالى {وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا} طه 112 قالوا الظلم أن يحمل عليه سيئات غيره والهضم أن يهضم حسناته وقال تعالى {ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقَرِيْبِ نَفْسُهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ} 100 وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لاما جاء امر ربك وما زادوهم غير تشبب 101 هود 100-101 فأخبر أنه لم يظلمهم لما أهلكهم بذنبهم وقال تعالى {وَجِيءَ بِالنَّبِيِّنَ وَالشَّهَادَةِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} الزمر 69 فدل على أن القضاء بينهم بغير القسط ظلم والله منزه عنه وقال تعالى {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ} الأنبياء 47 أي لا تنقص من حسناتها ولا تعاقب بغير سيئاتها فدل على أن ذلك ظلم ينزله الله عنه وقال تعالى {قَالَ لَا تَحْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ} 28 ما يبدل القول لدعي وما أنا بظلام للعبيد 29 ق 28-29 وإنما نزله نفسه عن أمر يقدر عليه لا عن الممتنع لنفسه ومثل هذا في القرآن في غير موضع مما يبين أن الله يتصف من العباد ويقضي بينهم بالعدل وأن القضاء بينهم بغير العدل ظلم ينزله الله عنه وأنه لا يحمل على أحد ذنب غيره وقال تعالى {وَلَا تَنْزِرُ وَأَزِرْهُ وَزِرْ أَخْرَى} الأنعام 164 فإن ذلك ينزله الله عنه بل لكل نفس ما كسبت عليها ما اكتسبت وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى يقول يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا فقد حرم على نفسه الظلم كما كتب على نفسه الرحمة في قوله {كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ} الأنعام 54 وفي الحديث الصحيح لما قضى الله الخلق كتب في كتاب فهو موضوع عنده فوق العرش إن رحمتي غلت غضبي والأمر الذي كتبه الله على نفسه أو حرمه على نفسه لا يكون إلا مقدوراً له سبحانه فالممتنع لنفسه لا يكتبه على نفسه ولا يحرمه على نفسه وهذا القول قول أكثر أهل السنة والمثبتين للقدر من أهل الحديث والتفسير والفقه والكلام والتصوف من أتباع الأئمة الأربعه وغيرهم¹

ظلم النفس جنس عام يتناول كل ذنب

قال تعالى {هُلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} النحل 33 فالله سبحانه وتعالى حرم على نفسه الظلم والظلم ممتنع من الله سبحانه وتعالى باتفاق المسلمين وقيل الظلم وضع الشيء في غير موضعه فهو سبحانه لا يظلم الناس شيئاً قال تعالى {وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا} طه 112 قال المفسرون هو أن يحمل عليه سيئات غيره ويعاقب بغير ذنبه والهضم أن يهضم من حسناته²

¹ منهاج السنة النبوية ج: 1 ص: 134-137

² مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 219

قال تعالى { وَمَا ظَلَمْهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ } النحل 33 والتحقيق أن ظلم النفس جنس عام يتناول كل ذنب وفي الصحيحين أن أبي بكر قال يا رسول الله علمني دعاءً أدعوه به في صلاتي فقال قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنب إلا أنت فاغفر لى مغفرة من عندك وارحمنى إنك أنت الغفور الرحيم وفي صحيح مسلم وغيره أن النبي كان يقول في استفتاحه لله أنت ربى وأنا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنب إلا أنت واهدى لأحسن الأخلاق فإنه لا يهدى لأحسنها إلا أنت واصرف عنى سيئها فإنه لا يصرف عنى سيئها إلا أنت وقد قال أبو البشر وزوجته { قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنْكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ } الأعراف 23 وقال موسى { رَبِّنَا ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي } القصص 16 وقال ذو النون يومن { لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ } الأنبياء 87 وقالت بلقيس { رَبِّنَا ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } النمل 44 وقد قال عن أهل القرى المعدبين { وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ } هود 101¹

السيئات هي عقوبات الأعمال

وقال تعالى { وَمَا ظَلَمْهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ } 33 { فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتٌ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ } 34 النحل 33-34 السيئات هي عقوبات الأعمال كقوله { سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا } غادر 45 فإن الحسنات والسيئات يراد بها النعم والنعم كثيرة كما يراد بها الطاعات والمعاصي²

أن الإنسان هو فاعل السيئات و انه يستحق عليها العقاب و الله ينعم عليه بالحسنات عملها و جزائها فانه إذا كان ما أصابهم من حسنة فهو من الله فالنعم من الله سواء اء كانت ابتداء أو كانت جزاء و إذا كانت جزاء و هي من الله فالعمل الصالح الذي كان سببها هو أيضا من الله أنعم بهما الله على العبد و إلا فلو كان هو من نفسه كما كانت السيئات من نفسه لكان كل ذلك من نفسه و الله تعالى قد فرق بين النوعين في الكتاب و السنة كما في الحديث الصحيح الالهي عن الله يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله و من وجد غير ذلك فلا يلومون إلا نفسه و قد أمرموا أن يقولوا في الصلاة { اهدنا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } 6 صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضاللين³ 7 الفاتحة 6-7

¹ مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 693

² مجموع الفتاوى ج: 18 ص: 289

³ مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 248

المشركون يتربدون بين البدعة وبين الاحتجاج بالقدر على مخالفته امر الله

قال تعالى { وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آباؤُنَا وَلَا حَرَّمَنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهُنَّ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ } 35 { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَبَوْا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالُ فَسَيِّرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ } 36 { إِنَّ تَحْرِصُ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضْلِلُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ } 37 { النَّحْلُ 35-37 }

واما المؤمنون بالله ورسوله عوامهم وخواصهم الذين هم اهل الكتاب كما قال النبي ان الله اهلين من الناس قبل من هم يا رسول الله قال اهل القرآن هم اهل الله وخاصته فهو لا يعلمون ان الله رب كل شيء ومليكه وخلقه وان الخالق سبحانه مباین للمخلوق ليس هو حالا فيه ولا متحدا به ولا وجوده وجوده و النصاري كفرهم بأن قالوا بالحلول والاتحاد بال المسيح خاصة فكيف من جعل ذلك عاما في كل مخلوق ويعلمون مع ذلك ان الله امر بطاعته وطاعة رسوله ونهى عن معصيته ومعصية رسوله وانه لا يحب الفساد ولا يرضي لعباده الكفر وان على الخلق ان يعبدوه فيطيعوا امره ويستعينوا به على ذلك كما قال { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } الفاتحة 5 ومن عبادته وطاعته الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحسب الامكان والجهاد في سبيله لأهل الكفر والنفاق فيجتهدون في اقامة دينه مستعينين به دافعين مزيلين بذلك ما قدر من السيئات دافعين بذلك ما قد يخاف من ذلك كما يزيل الانسان الجوع الحاضر بالأكل ويدفع به الجوع المستقبل وكذلك اذا آن او ان البرد دفعه باللباس وكذلك كل مطلوب يدفع به مкроه كما قالوا للنبي يا رسول الله ارأيت ادوية تتداوی بها ورقى نسترقى بها وتقاة نتقى بها هل ترد من قدر الله شيئاً فقال هي من قدر الله وفي الحديث ان الدعاء والبلاء ليلتقيان فيعتلجان بين السماء والارض فهذا حال المؤمنين بالله ورسوله العابدين الله وكل ذلك من العبادة وهو لا الدين يشهدون الحقيقة الكونية وهي ربوبيته تعالى لكل شيء ويجعلون ذلك مانعا من اتباع امره الدين الشرعي على مراتب في الضلال فغلاتهم يجعلون ذلك مطلقا عاما فيحتاجون بالقدر في كل ما يخالفون فيه الشيعة وقول هؤلاء شر من قول اليهود والنصارى وهو من جنس قول المشركين الذين قالوا { لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمَنَا مِنْ شَيْءٍ } الأنعام 148 وقالوا { لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَا هُمْ } الزخرف 20 وهو لا من اعظم اهل الارض تناقضا بل كل من احتج بالقدر فانه متناقض فانه لا يمكن ان يقر كل ادمي على ما فعل فلا بد اذا ظلمه ظالم او ظلم الناس ظالم وسعى في الارض بالفساد واخذ يسفك دماء الناس ويستحل الفروج ويهلك الحرج والنسل ونحو ذلك من انواع الضرر التي لا قوام للناس بها ان يدفع هذا القدر وان يعاقب الظالم بما يکف عداون امثاله يقال له ان كان القدر حجة فدع كل احد يفعل ما يشاء بك وبغيرك وان لم يكن حجة بطل اصل قوله حجة واصحاب هذا القول الذين يحتاجون بالحقيقة الكونية لا يطردون هذا القول ولا يلزموه وانما هم بحسب آرائهم وآهواهم كما قال فيهم بعض العلماء انت عند الطاعة قدرى وعند المعصية جبرى اى مذهب وافق هو اى تمذهب به ومنهم صنف يدعون التحقيق والمعرفة فيزعمون ان الامر والنهى لازم لمن شهد لنفسه فعلاً واثبت له صنعا اما من شهدوا ان افعاله مخلوقة او انه مجبور على ذلك وان الله هو المتصرف فيه كما تحرك سائر المتحركتات فانه يرتفع عنه الامر والنوى والوعد والوعيد وقد يقولون من شهد الارادة سقط عنه التكليف ويزعم احدهم ان الخضر سقط عنه التكليف لشهوده الارادة فهو لا يفرق بين العامة والخاصة الذين شهدوا الحقيقة الكونية فشهدوا ان الله خالق أفعال العباد وانه يدبر جميع الكائنات وقد يفرقون بين من يعلم ذلك علما

وبين من يراة شهودا فلا يسقطون التكليف عمن يؤمن بذلك ويعلمها فقط ولكن عمن يشهدة فلا يرى لنفسه فعلاً أصلاً وهؤلاء لا يجعلون الجبر وإثبات القدر مانعا من التكليف على هذا الوجه وقد وقع في هذا طوائف من المنتسبين إلى التحقيق والمعرفة والتوحيد وسبب ذلك أنه ضاق نطاقهم عن كون العبد يؤمر بما يقدر عليه خلافة كما ضاق نطاق المعتزلة ونحوهم من القدرة عن ذلك ثم المعتزلة اثبتت الامر والنهي الشرعيين دون القضاء والقدر الذي هو إرادة الله العامة وخلافة لافعال العباد وهؤلاء اثبتو القضاء والقدر ونفوا الأمر والنهي في حق من شهد القدر إذا لم يمكنهم نفي ذلك مطلقاً وقول هؤلاء شر من قوله المعتزلة ولهذا لم يكن في السلف من هؤلاء احد وهؤلاء يجعلون الامر والنهي للمحظيين الذين لم يشهدوا هذه الحقيقة الكونية ولهذا يجعلون من وصل الى شهود هذه الحقيقة يسقط عنه الامر والنهي وصار من الخاصة وربما تأولوا على ذلك قوله تعالى {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ} الحجر 99 وجعلوا اليقين هو معرفة هذه الحقيقة وقول هؤلاء كفر صريح وان وقع فيه طوائف لم يعلموا انه كفر فانه قد علم بالاضطرار من دين الاسلام ان الأمر والنهي لازم لكل عبد ما دام عقله حاضرا الى ان يموت لا يسقط عنه الامر والنهي لا بشهوده القدر ولا بغير ذلك فمن لم يعرف ذلك عرفه وبين له فإن اصر على اعتقاد سقوط الأمر والنهي فانه يقتل وقد كثرت مثل هذه المقالات في المستاخرين واما المستقدمون من هذه الأمة فلم تكن هذه المقالات معروفة فيهم وهذه المقالات هي محادة الله ورسوله ومعاداة له وصد عن سبيله ومشافة له وتكتنيب لرسله ومضادة له في حكمه وان كان من يقول هذه المقالات قد يجهل ذلك ويعتقد ان هذا الذي هو عليه هو طريق الرسول وطريق أولياء الله المحققين فهو في ذلك بمنزلة من يعتقد ان الصلاة لا تجب عليه لاستغنائه عنها بما حصل له من الأحوال القلبية او ان الخمر حلال له لكونه من الخواص الذين لا يضرهم شرب الخمر او ان الفاحشة حلال له لأنه صار كالبحر لا تدركه الذنوب ونحو ذلك ولا ريب ان المشركين الذين كذبوا الرسل يتزددون بين البدعة المخالفة لشرع الله وبين الاحتجاج بالقدر واما ان يجمعوا بين الأمرتين كما قال تعالى عن المشركين {وَإِذَا فَعَلُوا فَاحشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمْرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} الأعراف 28 وكما قال تعالى عنهم {وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ شَيْءٍ} النحل 35 وقد ذكر عن المشركين ما ابتدعواه من **نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمَنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ** وفيه تحليل الحرام والعبادة التي لم يشرعها الله بمثل قوله تعالى **وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْبٌ حِجْرٌ لَا يَطْعُمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءَ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرْمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتَرَاءٌ عَلَيْهِ** الأنعام 138 الى آخر السورة وكذلك في سورة الاعراف في قوله {يَا بَنِي آدَمَ لَا يَقْتَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبْوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ} الأعراف 27 الى قوله {وَإِذَا فَعَلُوا فَاحشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمْرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ} الأعراف 28 الى قوله {قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْأَقْسَطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهُكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ} الأعراف 29 الى قوله {وَكُلُوا وَأَشْرِبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} 31 قُلْ مَنْ حَرَمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيَّابَاتِ مِنَ الرِّزْقِ} 32 الأعراف 31-32 الى قوله {قُلْ إِنَّمَا حَرَمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمُ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ شُرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} الأعراف 33 وهو لاء قد يسمون ما احدثوه من البدع حقيقة كما يسمون ما يشهدون من القدر حقيقة وطريق الحقيقة عندهم هو السلوك الذي لا يقيد صاحبه بامر الشارع ونهيه ولكن بما يراه ويدوقه ويجده ونحو ذلك وهؤلاء لا يحتاجون بالقدر مطلقا بل عمدتهم اتباع آرائهم واهوائهم وجعلهم لما يرونهم ويهوونه حقيقة وامرهم باتباعها دون اتباع امر الله ورسوله نظير بدع اهل الكلام من الجهمية

وغيرهم الذين يجعلون ما ابتدعوه من الاقوال المخالفة للكتاب والسنة حقائق عقلية يجب اعتقادها دون ما دلت عليه السمعيات ثم الكتاب والسنة اما ان يحرفوه عن موضعه واما ان يعرضوا عنه بالكلية فلا يتبررونه ولا يقلون نفوض معناه الى الله مع اعتقادهم نقىض مدلوله واذا حقق على هؤلاء ما يزعمونه من العقليات المخالفة للكتاب والسنة وجدت جهليات واعتقادات فاسدة وكذلك اولئك اذا حقق عليهم ما يزعمونه من حقائق اولياء الله المخالفة للكتاب والسنة وجدت من الاهواء التي يتبعها اعداء الله لا اولياؤه واصل ضلال من ضل هو بتقديم قياسه على النص المنزلي من عند الله واختياره الهوى على اتباع امر الله فإن الله في الذوق والوجود ونحو ذلك هو بحسب ما يحبه العبد وكل محب له ذوق ووجد بحسب محبته فأهل الایمان لهم من الذوق والوجود مثل ما بينه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله في الحديث الصحيح ثلث من كن فيه وجد حلاوة الایمان من كان الله ورسوله احب اليه مما سواهما ومن كان يحب المرء لا يحبه الا الله ومن كان يكره ان يرجع في الكفر بعد اذ انقذه الله منه كما يكره ان يلقى في النار وقال في الحديث الصحيح ذاق طعم الایمان من رضي بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا وأما أهل الكفر والبدع والشهوات فكل بحسبه قيل لسفيان بن عيينة ما بال أهل الاهواء لهم محبة شديدة لأهوانهم فقال أنسٍ قال قوله تعالى {وَأَشْرُبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ} البقرة 93 أو نحو هذا من الكلام فعبد الانسان يحبون آهانهم كما قال تعالى {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحْبَ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشُدُّ حُبًا لِّهِ} البقرة 165 وقال {فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِبُوا لَكَ فَاعْلُمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِنْ مَنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنْ اللَّهِ} القصص 50 وقال {إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءُهُمْ مِّنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى} النجم 23 ولهذا يميل هؤلاء الى سماع الشعر والأصوات التي تهيج المحبة المطلقة التي لا تختص بأهل الایمان بل يشترك فيها محب الرحمن ومحب الاوثان ومحب الصليبان ومحب الاوطان ومحب الاخوان ومحب المردان ومحب النسوان وهؤلاء الذين يتبعون اذواقهم ومواجideهم من غير اعتبار لذلك بالكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة فالمخالف لما بعث به رسوله من عبادته وطاعته وطاعة رسوله لا يكون متبعاً لدين شرعه الله كما قال تعالى {ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} 18 {إِنَّهُمْ لَنْ يُعْنِوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا} 19 {الجاثية 18-19 الى قوله} {وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ} 19 {الجاثية 19} بل يكون متبعاً لهواه بغير هدى من الله قال تعالى {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءَ شَرُّ عَوْلَاهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذِنْ بِهِ اللَّهُ} الشورى 21 وهم في ذلك تارة يكونون على بدعة يسمونها حقيقة يقدمونها على ما شرعه الله وتارة يحتاجون بالقدر الكوني على الشريعة كما أخبر الله به عن المشركيين كما تقدم ومن هؤلاء طائفة هم اعلام قدوا وهم مستمسكون بالدين في اداء الفرائض المشهورة واجتناب المحرمات المشهورة لكن يغلطون في ترك ما امروا به من الاسباب التي هي عبادة ظانين ان العارف اذا شهد القدر اعرض عن ذلك مثل من يجعل التوكيل منهم او الدعاء ونحو ذلك من مقامات العامة دون الخاصة بناء على ان من شهد القدر علم ان ما قدر سيكون فلا حاجة الى ذلك وهذا غلط عظيم فان الله قدر الاشياء بأسبابها كما قدر السعادة والشقاوة بأسبابها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلق للجنة اهلا خلقها لهم وهم في اصلاح آبائهم وبعمل اهل الجنة يعملون وكما قال النبي لما اخبرهم بان الله كتب المقادير قالوا يا رسول الله افلاندع العمل ونتكل على الكتاب فقال لا اعملوا فكل ميسرا لما خلق له اما من كان من اهل السعادة فسييسر لعمل اهل السعادة واما من كان من اهل الشقاوة فسييسر لعمل اهل الشقاوة فما امر الله به عباده من الاسباب فهو عبادة والتوكيل مقرون بالعبادة كما في قوله تعالى {فَاعْبُدُهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ} هود 123 وفي قوله {فَلَنْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْ وَإِلَيْهِ مَتَابٌ} الرعد 30 وقول شعيب عليه السلام {عَلَيْهِ تَوَكَّلْ وَإِلَيْهِ أَنِيبٌ} هود 88 ومنهم طائفة قد ترك المستحبات من الاعمال دون الواجبات

فتتفص بقدر ذلك و منهم طائفة يغترون بما يحصل لهم من خرق عادة مثل مكافحة او استجابة دعوة مخالفة للعادة العامة و نحو ذلك فيشتغل احدهم بما امر به من العبادة والشك و نحو ذلك فهذه الأمور و نحوها كثيرة ما تعرض لاهل السلوك والتوجه و انما ينجو العبد منها بملازمة امر الله الذي بعث به رسوله في كل وقت كما قال الزهرى كان من مضى من سلفنا يقولون الاعتصام بالسنة نجاة و ذلك ان السنّة كما قال مالك رحمه الله مثل سفينة نوح من ركبها نجا و من تخلف عنها غرق¹

ليس لأحد أن يخرج عن طاعة الرسول لا من الخواص ولا من العوام

قال تعالى { وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آباؤُنَا وَلَا حَرَّمَنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهُنَّ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ } 35 { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنْ اَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَبَبُوا الطَّاغُوتَ فَمَنْ هُنَّ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَمِنْهُمْ مَنْ حَفَظَ عَلَيْهِ الضَّلَالُ فَسَيِّرُوْا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوْا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ } 36 { إِنَّ تَحْرِصُ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ } 37 } النحل 35-37 فالرسول صلى الله عليه وسلم هو الصادق المصدوق المبين للناس ما نزل اليهم المبلغ لرسالة ربه المخاطب لهم بسان عربي مبين قال تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمَهُ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ } إبراهيم 4 وقال تعالى { إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } الزخرف 3 وقال تعالى { وَلَقَدْ يَسَرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهُنَّ مِنْ مُذَكَّرِ } القراءة 17 فهذا و نحوه مما يبين أن الرسل عليهم أن يبلغوا البلاغ المبين يقال باش الشيء وأباش واستبيان وتبيين وبين كلها أفعال لازمة وقد يقال أباش غيره وبينه وتبينه واستبيانه ومعلوم أن الرسل فعلوا ما عليهم بل قد أخذ الله على أهل العلم الميثاق بأن يبيّنوا العلم ولا يكتموه وذم كاتميه فقال تعالى { وَإِذَا أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْثُرُونَهُ } آل عمران 187 وقال تعالى { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةَ عِنْهُ مِنَ اللَّهِ } البقرة 140 وقال تعالى { إِنَّ الَّذِينَ يَكْثُرُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ الْلَّاعِنُونَ } البقرة 159 فقد لعن كاتمه وأخبر أنه بينه للناس في الكتاب فكيف يكون قد بينه للناس وهو قد كتم الحق وأخفاه وأظهر خلاف ما أبطن فلو سكت عن بيان الحق كان كاتما ومن نسب الانبياء إلى الكذب والكمان مع كونه يقول انهم انبياء فهو من أشر المنافقين وأخبثهم وأبینهم تناقضوا وكثير من أهل النسك والعبادة والعلم والنظر من سلك طريق بعض الصوفية والقراء وبعض أهل الكلام والفلسفة يسلك مسلك الباطنية في بعض الأمور لا في جميعها حتى يرى بعضهم سقوط الصلاة عن بعض الخواص أو حل الخمر وغيرها من المحرمات لهم أو ان لبعضهم طريقا الى الله عز وجل غير متابعة الرسول وقد يحتاج بعضهم بقصة موسى والخضر ويظنون أن الخضر خرج عن الشريعة فيجوز لغيره من الأولياء ما يجوز له من الخروج عن الشريعة وهم في هذا ضالون من وجهين أحدهما ان الخضر لم يخرج عن الشريعة بل الذي فعله كان جائزًا في شريعة موسى ولهذا لما بين له الأسباب أقره على ذلك ولو لم يكن جائزًا لما أقره ولكن لم يكن موسى يعلم الأسباب التي بها أبيحت تلك فظن ان الخضر كالملك الظالم ذكر ذلك له الخضر و الثاني ان الخضر لم يكن من امة

¹ مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 163-172

موسى ولا كان يجب عليه متابعته بل قال له انى على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه وأنت على علم من علم الله علمنكه الله لا اعلمه وذلك ان دعوة موسى لم تكن عامة فان النبي كان يبعث الى قومه خاصة و Mohamed صلى الله عليه وسلم بعث الى الناس كافة بل بعث الى الانس والجن باطنا وظاهرا فليس لأحد ان يخرج عن طاعته ومتابعته لا في الباطن ولا في الظاهر لا من الخواص ولا من العوام ومن هؤلاء من يفضل بعض الاولياء على الانبياء وقد يجعلون الخضر من هؤلاء وهذا خلاف ما أجمع عليه مشائخ الطريق المقتدى بهم دع عنك سائر أئمة الدين وعلماء المسلمين بل لما تكلم الحكيم الترمذى فى كتاب ختم الاولياء بكلام وذكر انه يكون فى آخر الاولياء من هو أفضل من الصحابة وربما لوح بشيء من ذكر الانبياء قام عليه المسلمون وأنكروا ذلك عليه ونفوه من البلد بسبب ذلك ولا ريب انه تكلم فى ذلك بكلام فاسد باطل لا ريب فيه ومن هناك ضل من اتبעה فى ذلك حتى صار جمادات يدعى كل واحد انه خاتم الاولياء كابن عربى صاحب الفصوص وسعد الدين بن حمويه وغيرهما وصار بعض الناس يدعى ان فى المتأخرین من يكون أفضل فى العلم بالله من أبي بكر وعمر والمهاجرين والأنصار الى أمثل هذه المقالات التى يطول وصفها مما هو باطل بالكتاب والسنة والاجماع بل طوائف كثيرون آل الأمر بهم الى مشاهدة الحقيقة الكونية القدريّة وظنوا ان من شهدتها سقط عنهم الأمر والنهي والوعد والوعيد وهذا هو دين المشركين الذين قالوا {لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكَنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمَنَا مِنْ شَيْءٍ} الأنعام 148 وهو لاء شر من القدريّة المعترضة الذين يقررون بالأمر والنهي والوعد والوعيد ويكتبون بالقدر فان أولئك يشبهون المجرم وهم لا يشبهون المشركين المكذبين بالأنبياء والشريائع فهم من شر الناس وقد بسط الكلام على هذه الأمور فى غير هذا الموضوع¹

إنما اعتل بالقدر إبليس

قال تعالى { وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمَنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهُنَّ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ } 35 { ولقد بعثنا في كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَبَبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالُ فَسَيِّرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ } 36 { إنَّ تَحْرِصَنَا عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ } 37 { النحل 35-37 } قد أحاط ربنا سبحانه وتعالى بكل شيء علما وقدرة وحكمه ووسع كل شيء رحمة وعلما فما من ذرة في السموات والأرض ولا معنى من المعاني إلا وهو شاهد لله تعالى بتمام العلم والرحمة وكمال القدرة والحكمة وما خلق الخلق باطلًا ولا فعل شيئاً عبثاً بل هو الحكيم في أفعاله وأقواله سبحانه وتعالى ثم من حكمته ما أطلع خلقه ببعضهم ومنه ما استثار سبحانه بعلمه وإرادته قسمان إرادة أمر وتشريع وإرادة قضاء وتقدير فالقسم الأول إنما يتعلق بالطاعات دون المعاishi سواء وقعت أو لم تقع كما في قوله { يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنُنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَنْهَا عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ } النساء 26 وقوله { يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ } البقرة 185 وأما القسم الثاني وهو إرادة التقدير فهي شاملة لجميع الكائنات محبيطة بجميع

¹ مجموع الفتاوى ج: 13 ص: 264-267

الحاديات وقد أراد من العالم ما هم فاعلوه بهذا المعنى لا بالمعنى الأول كما في قوله تعالى {فَمَنْ يُرِدُ
اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَ يَسْرَحْ صَدْرَهُ لِإِسْلَامٍ وَمَنْ يُرِدُ أَنْ يُضْلِلَ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيْقَاً حَرَجاً } الأذعام 125 وفي
قوله {وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيْكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ
تُرْجَعُونَ } هود 34 وفي قول المسلمين ما شاء الله كان وما لم يكن ونظائره كثيرة وهذه
الإرادة تتناول ما حدث من الطاعات والمعاصي دون ما لم يحدث كما أن الأولى تتناول الطاعات
حدثت أو لم تحدث والسعيد من أراد منه تشريعا ما أراد به تقديره والعبد الشقي من أراد به تقديره ما
أراد به تشريعا والحكم يجري على وفق هاتين الإرادتين فمن نظر إلى الأعمال بهاتين العينين كان
 بصيراً ومن نظر إلى القدر دون الشرع أو الشرع دون القدر كان أغور مثل قريش الذين قالوا {
لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا أَبْلَوْنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ } الأذعام 148 قال الله تعالى { كَذَلِكَ كَذَبَ
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ قُتْخَرْجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَبَعُونَ إِلَّا الظَّنُّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا
تَخْرُصُونَ } الأذعام 148 فإن هؤلاء اعتقدوا أن كل ما شاء الله وجوده وكونه وهي الإرادة
القدриة فقد أمر به ورضيه دون الإرادة الشرعية ثم رأوا أن شركهم بغير شرع مما قد شاء الله
وجوده قالوا فيكون قد رضيه وأمر به قال الله هكذا كذب الذين من قبلهم بالشرائع من الأمر والنهي
حتى ذاقوا بأسنا { قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ قُتْخَرْجُوهُ لَنَا } الأذعام 148 بأن الله شرع الشرك وتحريم ما
حرمتوه إن تتبعون في هذا إلا الظن وهو توهمكم أن كل ما قدره فقد شرعه { وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ }
الأذعام 148 أي تكذبون وتغرون بإبطال شريعته { قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ } الأذعام 149 على خلقه
حين أرسل الرسل إليهم فدعوه إلى توحيد وشريعته ومع هذا فلو شاء هدى الخلق أجمعين إلى
متابعة شريعته لكنه يمن على من يشاء فيهديه فضلا منه وإحسانا ويحرم من يشاء لأن المفضل له
أن يتفضل وله أن لا يتفضل فترك تفضله على من حرمه عدل منه وقسط وله في ذلك حكمة بالغة
وهو يعاقب الخلق على مخالفة أمره وإرادته الشرعية وإن كان ذلك بإرادته القدرية فإن القدر كما
جرى بالمعصية جرى أيضا بعقابها كما أنه سبحانه قد يقدر على العبد أمراضًا تعقبه آلامًا فالمرض
بقدره والألم بقدره فإذا قال العبد قد تقدمت الإرادة بالذنب فلا أعقاب كان بمنزلة قول المريض قد
تقدمت الإرادة بالمرض فلا أتألم أو قد تقدمت الإرادة بأكل الحار فلا يحم مزاجي أو قد تقدمت
بالضرر فلا يتالم المضروب وهذا مع أنه جهل فإنه لا ينفع صاحبه بل اعتلاله بالقدر ذنب ثان
يعاقب عليه أيضا وإنما اعتن بالقدر إبليس حيث قال { يَمَا أَغْوَيْتَنِي لِأُزِيَّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ
وَلَا أَغْوِيْنَهُمْ أَجْمَعِينَ } الحجر 39 وأما آدم فقال { رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ
مِنَ الْخَاسِرِينَ } الأعراف 23 فمن أراد الله سعادته ألهمه أن يقول كما قال آدم عليه السلام أو نحوه
ومن أراد شقاوته اعتن بعلة إبليس أو نحوها فيكون كالمستجير من الرمضاء بالنار ومثله مثل رجل
طار إلى داره شرارة نار فقال له العقلاء أطفئها لئلا تحرق المنزل فأخذ يقول من أين كانت هذه
ريح الفتتها وأنا لا ذنب لي في هذه النار فما زال يتعلل حتى انتشرت وانتشرت الدار وما فيها هذه حال
من شرع يحيل الذنوب على المقادير ولا يردها بالاستغفار والمعاذير بل حاله أسوأ من زلات الذنب
وكان الله بخلاف الشررة فإنه لافعل له فيها والله سبحانه يوفينا وإياكم وسائر إخواننا لما يحبه
ويرضاه ولا تنال طاعته إلا بمعونة وترك معصيته إلا بعصمته إلا الله أعلم ¹

جميع بنى آدم العقلاء لا بد لهم من أمور يأمرون بها وأمور ينهون عنها

قال تعالى { وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آباؤُنَا وَلَا حَرَّمَنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهُنَّ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ } 35 { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسَيِّرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ } 36 { إِنَّ تَحْرِصُ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مَنْ نَاصِرِينَ } 37 { النَّحْلُ 35-37 قاعدة جامعة كل واحد من الدين الجامع بين الواجبات وسائر العبادات ومن التحريمات كما قال تعالى { وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ } التوبية 29 كما قال تعالى { وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آباؤُنَا وَلَا حَرَّمَنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ } النَّحْلُ 35 وكما أخبر عما ذمه من حال المشركين في دينهم وتحريمهم حيث قال { وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَ أَنَّ الْحَرْثَ وَالْأَنْعَامَ نَصِيبًا } الأنعام 136 إلى آخر الكلام فإنه ذكر فيه ما كانوا عليه من العبادات الباطلة من أنواع الشرك ومن الإباحة الباطلة في قتل الأولاد ومن التحريمات الباطلة من السائبة والبحيرة والوصيلة والحمامي ونحو ذلك فذم المشركين في عباداتهم وتحريماتهم وإياحتهم ونم النصارى فيما تركوه من دين الحق والتحريم كما ذمهم على الدين الباطل في قوله { اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحِ ابْنَ مَرْيَمَ } التوبية 31 وأصناف ذلك فكل واحد من العبادات وسائر المأمور به من الواجبات والمستحبات ومن المكرهات المنهي عنها نهى حظر أو نهى تنزيه ينقسم إلى ثلاثة أقسام عقلي وملبي وشرعي والمراد بالعلقي ما اتفق عليه أهل العقل من بني آدم سواء كان لهم صلة كتاب أو لم يكن والمراد بالملبي ما اتفق عليه أهل الملل والكتب المنزلة ومن اتبعهم والمراد بالشرعى ما اختص به أهل الشريعة القرآنية وهم أمة محمد وأخص من ذلك ما اختص به أهل مذهب أو أهل طريقة من الفقهاء والصوفية ونحو ذلك لكن هذا التخصيص والامتياز لا توجيه شريعة الرسول مطلقا وإنما قد توجيه ما قد توجب بتخصيص بعض العلماء والعباد والأمراء في استفتاء أو طاعة كما يجب على أهل كل غزاة طاعة أميرهم وأهل كل قرية استفتاء عالمهم الذي لا يجدون غيره ونحو ذلك وما من أهل شريعة غير المسلمين إلا وفي شرعهم هذه الأقسام الثلاثة فان مأموراتهم ومنهياتهم تنقسم إلى ما يتافق عليه العقلاء وما يتحقق عليه الأنبياء وأما السياسات الملكية التي لا تتسمك بملة وكتاب فلا بد فيها من القسم الأول والثالث فان القدر المشترك بين الآدميين لابد من الأمر به في كل سياسة وإمامية وكذلك لا بد لكل ملك من خصيصة يتميز بها ولو لم تكن الا رعاية من يواليه ودفع من يعاديه فلا بد لهم من الأمر بما يحفظ الولي ويدفع العدو كما في مملكة جنكيز خان ملك الترك ونحوه من الملوك ثم قد يكون لهم ملة صحيحة توحيدية وقد يكون لهم ملة كفرية وقد لا يكون لهم ملة بحال ثم قد يكون مما يوجبونه وقد يكون مما يستحبونه ووجه القسمة أن جميع بنى آدم العقلاء لا بد لهم من أمور يأمرون بها وأمور ينهون عنها فان مصلحتهم لا تتم بدون ذلك ولا يمكن أن يعيشوا في الدنيا بل ولا يعيش الواحد منهم لو انفرد بدون أمور يفعلونها تجلب لهم المنفعة وامور ينفونها تدفع عنهم المضر بل سائر الحيوان لا بد فيه من قوته الاجتلاف والاجتباب ومبدأهما الشهوة والنفرة والحب والبغض فالقسم المطلوب هو المأمور به والقسم المرهوب هو المنهى عنه فاما ان تكون تلك الأمور متفقا عليها بين العقلاء بحيث لا يلتقت الى الشواذ منهم الذين خرجوا عند الجمهور عن العقل وإما ان لا

تكون كذلك وما ليس كذلك فاما أن يكون متفقا عليه بين الأنبياء والمرسلين وإما أن يختص به أهل شريعة الإسلام¹

عامة ما ذم الله به المشركين في القرآن من الدين المنهى عنه إنما هو الشرك والتحريم

قال تعالى { وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهُنَّ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ } 35 { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَبَبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالُ فَسَيِّرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ } 36 { إِنْ تَحْرِصُ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضْلِلُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ } 37 { النَّحْلُ 35-37 } ان عامة ما ذم الله به المشركين في القرآن من الدين المنهى عنه إنما هو الشرك والتحريم وكذلك حكى عنهم في قوله { سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ } الأنعام 148 ومثل ذلك في النحل { وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ } النحل 35 وفي الزخرف { وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدَنَاهُمْ } الزخرف 20 وقال { أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءٌ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْدِنْ بِهِ اللَّهُ } الشورى 21 وقال { قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَقْتُلُونَ } يومن 59 وقال { مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ } المائدة 103 وقال { قُلْ مَنْ حَرَمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ } الأعراف 32 وأما من ترك المأمور به فقد ذمهم الله كما ذمهم على ترك الإيمان به وبأسمائه وآياته وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والجنة والنار وترك الصلاة والزكاة والجهاد وغير ذلك من الاعمال والشرك قد تقدم أن أصله ترك المأمور به من عبادة الله واتباع رسله وتحريم الحلال فيه ترك ما أمروا به من الاستعانة به على عبادته ولما كان أصل المنهى عنه الذي فعلوه الشرك والتحريم روى في الحديث بعثت بالحنيفية السمحاء فالحنيفية ضد الشرك والسمحة ضد الحجر والتضييق وفي صحيح مسلم عن عياض بن حمار عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرونه عن ربه انى خلقت عبادي حفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وحرمت عليهم ما أحالت لهم وامرتهم ان يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا وظهر اثر هذين الذنبين في المنحرفة من العلماء والعباد والملوك وال العامة بتحريم ما أحله الله تعالى والذين بنوع شرك لم يشرعه الله تعالى والأول يكثر في المتفقة والمتورعة والثانى يكثر في المتصوفة والمتفرقية فتبين بذلك أن ما ذمه الله تعالى وعاقب عليه من ترك الواجبات اكثر مما ذمه الله وعاقب عليه من فعل المحرمات²

¹ مجموع الفتاوى ج: 20 ص: 65-76

² مجموع الفتاوى ج: 20 ص: 114-115

الاحتاج بالقدر حجة باطلة داحضة باتفاق كل ذي عقل ودين

قال تعالى { وَقَالَ الَّذِينَ أَسْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آباؤُنَا وَلَا حَرَمَنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهُنَّ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ } 35 { وَلَقَدْ بَعْثَتْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَبَوْا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ } 36 { إِنْ تَحْرِصُ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مَنْ نَاصِرِينَ } 37 { النَّحْلُ } 35-37 هذا مقام يكثر فيه خوض النفوس فإن كثيرا من الناس إذا أمر بما يجب عليه تعلل بالقدرة وقال حتى يقدر الله لي ذلك أو يقدري الله على ذلك أو حتى يقضي الله ذلك وكذلك إذا نهي عن فعل ما حرم الله قال الله قضى علي بذلك أي حيلة لي في هذا ونحو هذا الكلام والاحتاج بالقدر حجة باطلة داحضة باتفاق كل ذي عقل ودين من جميع العالمين والمحتج به لا يقبل من غيره مثل هذه الحجة إذا احتاج بها في ظلم ظلمه إيه أو ترك ما يجب عليه من حقوقه بل يتطلب منه ما له عليه ويعاقبه على عدوانه عليه وإنما هو من جنس شبه السوفياتية التي تعرض في العلوم فكما أنك تعلم فسادها بالضرورة وإن كانت تعرض كثيرا لكثيرا من الناس حتى قد يشك في وجود نفسه وغير ذلك من المعارف الضرورية فكذلك هذا يعرض في الأعمال حتى يظن أنها شبهة في إسقاط الصدق والعدل الواجب وغير ذلك وإباحة الكذب والظلم وغير ذلك ولكن تعلم القلوب بالضرورة ان هذه شبهة باطلة ولها لا يقبلها أحد من أحد عند التحقيق ولا يحتاج بها أحد إلا مع عدم علمه بالحجية بما فعله فإذا كان معه علم بأن ما فعله هو المصلحة وهو المأمور به وهو الذي ينبغي فعله لم يحتاج بالقدر وكذلك إذا كان معه علم بأن الذي لم يفعله ليس عليه أن يفعله أو ليس بمصلحة أو ليس هو مأمورا به لم يحتاج بالقدر بل إذا كان متبعا لهواه بغير علم احتاج بالقدر ولهاذا لما قال المشركون { لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكَنَا وَلَا آباؤُنَا وَلَا حَرَمَنَا مِنْ شَيْءٍ } الأنعام 148 قال الله تعالى { قُلْ هُنَّ عَنَّكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتَخْرُجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظُّنُونَ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ } 148 { قُلْ فَلَلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهُدَاكُمْ أَجْمَعِينَ } 149 { الأنعام } 148-149 فإن هؤلاء المشركين يعلمون بفطرتهم وعقولهم أن هذه الحجة باطلة فإن أحدهم لو ظلم الآخر في ماله أو فجر بامراته أو قتل ولده أو كان مصرا على الظلم فنهاه الناس عن ذلك فقال لو شاء الله لم أفعل هذا لم يقبلوا منه هذه الحجة ولا هو يقبلها من غيره وإنما يحتاج بها المحتج دفعا لللوم بلا وجه فقال الله لهم هل عندكم من علم فتخرجوه لنا بأن هذا الشرك والتحريم من أمر الله وأنه مصلحة ينبغي فعله إن تتبعون إلا الظن فإنه لا علم عندكم بذلك إن تظنون ذلك إلا ظنا وإن أنتم إلا تخرصون تحرزون وتقترون فعمدكم في نفس الأمر ظنك وخرصم ليس عمدكم في نفس الأمر كون الله شاء ذلك وقدره فإن مجرد المشيئة والقدر لا يكون عدمة لأحد في الفعل ولا حجة لأحد على أحد ولا عذرا لأحد إذ الناس كلهم مشتركون في القدر فلو كان هذا حجة وعدها لم يحصل فرق بين العادل والظالم والصادق والكافر والعالم والجهل والإجرار ولم يكن فرق بين ما يصلح الناس من الأعمال وما يفسدهم وما ينفعهم وما يضرهم وهم هؤلاء المشركون المحتجون بالقدر على ترك ما أرسله به رسلاه من توحيده والإيمان به لو احتاج به بعضهم على بعض في إسقاط حقوقه ومخلافة أمره لم يقبله منه بل كان هؤلاء المشركون يذم بعضهم ببعضه ويعادي بعضهم ببعضه ويقاتل بعضهم ببعضه على فعل ما يرونه تركا لحقهم أو ظلما جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوههم إلى حق الله على عباده وطاعة أمره احتاجوا بالقدر فصاروا يحتجون بالقدر على ترك حق ربهم ومخلافة أمره بما لا يقبلونه من ترك حقهم وخالفة أمرهم وفي الصحيحين عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له يا معاذ أتدرى ما حق الله على عباده حقه على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به

شيئاً أتدرى ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك حقهم عليه أن لا يعذبهم فلاحتجاج بالقدر حال أهل الجاهلية الذين لا علم عندهم بما يفعلون ويتركون إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون وهم إنما يحتاجون به في ترك حق ربهم ومخالفة أمره لا في ترك ما يرون حقاً لهم ولا في مخالفة أمرهم ولهذا تجد كثيراً من المحتجين به والمستدين إليه من الناس والصوفية والقراءة والعامرة والجند والفقهاء وغيرهم يفرون إليه عند اتباع الظن وما تهوى الأنفس فلو كان معهم علم وهم لم يحتاجوا بالقدر أصلاً بل يعتمدون عليه لعدم الهدى والعلم وهذا أصل شريف من اعتنى به علم منشأ الضلال والغري لكثير من الناس وللهذا تجد المشايخ والصالحين المتبعين للأمر والنهي كثيراً ما يوصون أتباعهم باتباع العلم والشرع لأنهم كثيراً ما يعرض لهم إرادات في أشياء ومحبة لها فيتبعون فيها أهواءهم ظانين أنها دين الله وليس معهم إلا الظن والذوق والوجد الذي يرجع إلى محبة النفس وإرادتها فيحتاجون تارة بالقدر وتارة بالظن والخرص وهم متبعون أهواءهم في الحقيقة فإذا اتبعوا العلم وهو ماجاء به الشارع صلى الله عليه وسلم خرموا عن الظن وما تهوى الأنفس واتبعوا ما جاءهم من ربهم وهو الهدى كما قال تعالى {فَإِمَّا يَأْتِنَّكُمْ مِّنْ هُدًى فَمَنْ اتَّبَعَ هُدًى فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَسْقُى} طه 123 وقد ذكر الله تعالى هذا المعنى عن المشركين في سورة الأنعام والنحل والزخرف كما قال تعالى {وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَا هُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ} الزخرف 20 فبين أنه لا علم لهم بذلك إن هم إلا يخرصون

وقال في سورة الأنعام {قُلْ فَلَلَّهُ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ} الأنعام 149 أي بإرسال الرسل وإنزال الكتب كما قال تعالى {لَنَلَّا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا} النساء 165 ثم أثبتت القدر بقوله {فَلَوْ شَاءَ لَهُمْ أَجْمَعِينَ} الأنعام 149 فأثبتت الحجة الشرعية وبين المشيئة القدرية وكلاهما حق وقال في النحل {وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمَنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهُنَّ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ} النحل 35 بين سبحانه أن هذا الكلام تكذيب للرسل فيما جاؤوه به ليس حجة لهم فإن هذا لو كان حجة لاحتج به على تكذيب كل صدق و فعل كل ظلم ففي فطرةبني آدم أنه ليس حجة صحيحة بل من احتج به احتج لعدم العلم واتباع الظن كفعل الذين كذبوا الرسل بهذه المدافعة بل الحجة البالغة الله بإرسال الرسل وإنزال الكتب كما ثبت في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا أحد أحب إليه العذر من الله من أجل ذلك مدح نفسه ولا أحد أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن فبين أنه سبحانه يحب أن يمدح وأن يعذر ويبغض الفواحش فيحب أن يمدح بالعدل والإحسان وأن لا يوصف بالظلم ومن المعلوم أنه من تقدم إلى أتباعه بأن افعلنوا كذا ولا تفعلوا كذا وبين لهم وأزاح عليهم ثم تعدوا حدوده وأفسدوا أموره كان له أن يعذبهم وينتقم منهم فإذا قالوا أليس الله قادر علينا هذا لو شاء الله ما فعلنا هذا قيل لهم أنتم لا حجة لكم ولا عندكم ما تعذرون به يبين أن ما فعلتموه كان حسناً أو كنتم مدعورين فيه فهذا الكلام غير مقبول منكم وقد قامت الحجة عليكم بما تقدم من البيان والإعتذار ولو أنولي الأمر أعطى قوماً مالاً ليوصلوه إلى بلد آخر فسافروا به وتركوه في البرية ليس عنده أحد وباتوا في مكان بعيد منه وكانولي الأمر قد أرسل جنداً له يغزوون بعض الأعداء فاجتازوا تلك الطريق فرأوا ذلك المال فظنوه لقطة ليس له أحد فأخذوه وذهبوا لكن يحسن منه أن يعاقب الأولين على تغريتهم وتضليلهم حفظ ما أمرهم بحفظه ولو قالوا له أنت لم تعلمنا أنك تبعث خلفنا جنداً حتى نحرز المال منهم قال لهم هذا لا يجب علي ولو فعلته لكن زيادة إعانة لكم لكن عليكم أن تحفظوا ذلك كما تحفظ الودائع والأمانات وكانت حجته عليهم قائمة ولم يكن إن عاقبهم ظالماً وإن كان لم يعنهم بالإعلام بذلك الجندي لكن عمل المصلحة في

رسال الأولين والآخرين والله تعالى وله المثل الأعلى حكيم عدل في كل ما يفعله ولا يخرج شيء عن مشيئته وقدرته فإذا أمر الناس بحفظ الحدود وإقامة الفرائض لمصلحتهم كان ذلك من إحسانه إليهم وتعريفهم ما ينفعهم وإذا خلق أموراً أخرى فإذا فرطوا واعتدوا بسبب خلقه لأمور أخرى أوجبت الضرر الحاصل من تفريطهم وعدوانهم وكان له في خلق المخلوق الثاني حكمة ومصلحة أخرى كان عادلاً حكماً في خلق هذا وخلق هذا والأمر بهذا وإن كان لم يمد الأولين بزيادة يحترسون بها من التفريط والعداون لا سيما مع علمه بأن تلك الزيادة لو خلقها للزرم منها تقويت مصلحة أرجح منها فإن الضدين لا يجتمعان والمقصود هنا أنه لا يحتاج أحد بالقدر إلا حجة تعليل لعدم اتباع الحق الذي بينه العلم فإن الإنسان هي حساس متحرك بالإرادة ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم أصدق الأسماء حارث وهمام فالحارث الكاسب العامل والهمام الكثير الهم والهم مبدأ الإرادة والقصد فكل إنسان حارت همام وهو المتحرك بالإرادة وذلك لا يكون إلا بعد الحس والشعور فإن الإرادة مسبوقة بالشعور بالمراد فلا يتصور إرادة ولا حب ولا شوق ولا اختيار ولا طلب إلا بعد الشعور وما هو من جنسه كالحس والعلم والسمع والبصر والشم والذوق واللمس ونحو هذه الأمور فهذا الإدراك والشعور هو مقدمة الإرادة والحب والطلب والحي مفطور على حب ما يلائمه وينفعه وبغض ما يكرهه ويضره فإذا تصور الشيء الملائم النافع أراده وأحبه وإذا تصور الشيء الضار أبغضه ونفر عنه لكن ذلك التصور قد يكون علماً وقد يكون ظناً وخرصاً فإذا كان عالماً بأن مراده هو النافع وهو المصلحة وهو الذي يلائمه كان على الهدى والحق وإذا لم يكن معه علم بذلك كان متبعاً للظن وما تهوى نفسه فإذا جاءه العلم والبيان بأن هذا ليس مصلحة أخذ يحتاج بالقدر حجة لدد وتعرير عن الحق لا حجة اعتماد على الحق والعلم فلا يحتاج أحد في باطنها أو ظاهرها بالقدر إلا لعدم العلم بأن ما هو عليه هو الحق¹

القدرة المشركية

فأما قدرية مشركية فهم الذين اعترفوا بالقضاء والقدر و زعموا أن ذلك يوافق الأمر والنهي وقالوا {لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا أَبَاوْنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ} الأنعام 148 إلى آخر الكلام في سورة الأنعام وقالوا {لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ تَحْنُّ وَلَا أَبَاوْنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ} النحل 35 في سورة النحل وفي سورة الزخرف و {وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَا هُمْ} الزخرف 20 فهو لاءٌ يؤول أمرهم إلى تعطيل الشرائع والأمر والنهي مع الإعراض بالربوبية العامة لكل مخلوق وأنه ما من دابة إلا ربي آخذ بناصيتها و هو الذي يبتلي به كثيراً إما اعتقاداً وإما حالاً طائف من الصوفية والقراء حتى يخرج منهم إلى الإباحة للمرحمرات وإسقاط الواجبات ورفع العقوبات وإن كان ذلك لا يستتب لهم وإنما يفعلونه عند موافقة أهوائهم كفعل المشركين من العرب ثم إذا خولف هو أحد منهم قام في دفع ذلك متعدياً للحدود غير واقف عند حد كما كانت تفعل المشركون أيضاً إذ هذه الطريقة تتناقض عند تعارض إرادات البشر فهذا يريد أمراً و

¹ منهاج السنة النبوية ج: 3 ص: 55-65

الآخر يريد ضده و كل من الإرادتين مقدرة فلا بد من ترجيح أحدهما أو غيرهما أو كل منهما من وجہ و إلزام الفساد وقد يغلوا أصحاب هذا الطريق حتى يجعلوا عين الموجودات هي الله كما قد ذكر في غير هذا الموضع و يتمسكون بموافقة الإرادة القدرية في السينات الواقعه منهم و من غيرهم كقول الحريري أنا كافر برب يعصي و قول بعض أصحابه لما دعاه مكاس فقيل له هو مكاس فقال إن كان قد عصى الأمر فقد أطاع الإرادة و قول ابن إسرائيل أصبحت منفعة لما يختاره مني ففعلي كل طاعات وقد يسمون هذا حقيقة بإعتبار أنه حقيقة الربوبية و الحقيقة الموجودة الكائنة أو الحقيقة الخبرية و لما كان في هؤلاء شوب من النصارى و النصارى فيهم شوب من الشرك تابعوا المشركين في ما كانوا عليه من التمسك بالقدر المخالف للشرع هذا مع أنهم يعبدون غير الله الذي قدر الكائنات كما أن هؤلاء فيهم شوب من ذلك وإذا اتسع زنادقهم الذين هم رؤساوهم قالوا ما نعبد إلا الله إذ لا موجود غيره و قال رئيس لهم إنما كفر النصارى لأنهم خصصوا فيشرعون عبادة كل موجود بهذا الإعتبار و يقررون ما كان عليه المشركون من عبادة الأوثان و الأحجار لكنهم يستقرونهم حيث خصصوا العبادة ببعض المظاهر و الأعيان و معلوم أن هذا حاصل في جميع المشركين فإنهم متغرون في الآلهة التي يعبدونها و أن إشتركوا في الشرك هذا يعبد الشمس و هذا يعبد القمر وهذا يعبد اللاة و هذا يعبد العزى و هذا يعبد مناة الثالثة الأخرى وكل منهم يتخذ إلهه هواء و يعبد ما يستحسن و كذلك في عبادة قبور البشر كل يعلق على تمثال من أحسن به الظن¹

وأما قول القائل الزنا و غيره من المعاصي مكتوب علينا فهو كلام صحيح لكن هذا لا ينفعه الإحتجاج به فإن الله كتب أفعال العباد خيرا و شرها و كتب ما يصيرون إليه من الشقاوة و السعادة و جعل الأعمال سببا للثواب و العقاب و كتب ذلك كما كتب الأمراض و جعلها سببا للموت و كما كتب أكل السم و جعله سببا للمرض و الموت فمن أكل السم فإنه يمرض أو يموت و الله قادر و كتب هذا و هذا كذلك من فعل ما نهي عنه من الكفر و الفسق و العصيان فإنه يعمل ما كتب عليه و هو مستحق لما كتبه الله من الجزاء لمن عمل ذلك وحجة هؤلاء بالقدر على المعاصي من جنس حجة المشركين الذين قال الله عنهم {وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ تَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمَنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} النحل 35 و قال تعالى {سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمَنَا مِنْ شَيْءٍ} الأنعام 148 قال الله تعالى {كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هُنَّ عَنْ دِينِكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتَخْرُجُوهُ لَنَا إِنْ تَشْتَعِنَ إِلَّا الظَّنُّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَحْرُصُونَ} 148 {قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهُدَّا كُمْ أَجْمَعِينَ} 149 } الأنعام 148 -

² 149

لا يحتاج أحد بالقدر إلا لإتباع هواه بغير علم

¹ مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 256

² مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 268

وسلف الأمة و أئمتها متفقون أيضاً على أن العباد مأمورون بما أمرهم الله به منهيون عما نهاهم الله عنه و متفقون على الإيمان بوعده و وعيده الذي نطق به الكتاب و السنة و متفقون أنه لا حجة لأحد على الله في و اجب تركه و لا محرم فعله بل الله الحجة البالغة على عباده و من إحتاج بالقدر على ترك مأمور أو فعل محظور أو دفع ما جاءت به النصوص في الوعود و الوعيد فهو أعظم ضلالاً و إفتراء على الله و مخالفة لدين الله من أولئك القدرة فإن أولئك مشبهون بالمجوس و قد جاءت الآثار فيهم أنهم مجوس هذه الأمة كما روى ذلك عن ابن عمر و غيره من السلف و قد رويت في ذلك أحاديث مرفوعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم منها ما رواه أبو داود و الترمذى و لكن طائفة من آئمة الحديث طعنوا في صحة الأحاديث المرفوعة في ذلك و هذا مبسوط في موضعه والمقصود هنا أن القدرة النافية يشبهون المجوس في كونهم أثبتوا غير الله يحدث أشياء من الشر بدون مشيئته و قدرته و خلقه وأما المحتجون على القدر بإسقاط الأمر و النهي و الوعود والوعيد فهو لاء يشبهون المشركين الذين قال الله فيهم {سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا فلن عندكم من علم فتخر جوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون} الأنعام 148 وقال تعالى {وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبادنا من ذونه من شيء تحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من ذونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل إلا البلاغ المبين} النحل 35 وقال تعالى {وإذا قيل لهم أنفقو ما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه إن أنتم إلا في ضلال مبين}يس 47 وقال تعالى {وقالوا لو شاء الرحمن ما عبادناهم ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون} الزخرف 20 فهو لاء المحتجون بالقدر على سقوط الأمر و النهي من جنس المشركين المكذبين للرسل و هم أسوأ حالاً من المجوس و هؤلاء حجتهم داحضة عند ربهم و عليهم غضب و لهم عذاب شديد ومن هؤلاء من يظن أن آدم إحتاج على موسى بالقدر على الذنب و أن ذلك جائز لخاصية الأولياء المشاهدين للقدر و هذا ضلال عظيم فإن موسى إنما لام آدم على المعصية التي لحقت الذرية بسبب أكله من الشجرة فقال لماذا أخرجتنا و نفسك من الحنة و العبد مأمور عند المصائب أن يرجع للقدر فإن سعادة العبد أن يفعل المأمور و يترك المحظور و يسلم للمقدور قال الله تعالى {ما أصاب من مصيبة إلا بذنب الله و من يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم} التغابن 11 قال ابن مسعود هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضي و يسلم فالسعيد يستغفر من المعائب و يصبر على المصائب كما قال تعالى {فاصبر إن وعده الله حق و استغفر لذنبك} غافر 55 و الشقي يجزع عند المصائب و يحتاج بالقدر على المعائب و إلا فآدم صلى الله عليه و سلم قد تاب من الذنب و قد إجتباه ربه و هداه و موسى أجل قدراً من أن يلوم أحداً على ذنب قد تاب منه و غفر الله له فضلاً عن آدم و هو أيضاً قد تاب مما فعل حيث قال {رب إني ظلمت نفسي فأغفر لي فغفر له} القصص 16 و قال {إننا هدنا إليك} الأعراف 156 و قال {أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا} الأعراف 155 و موسى و آدم أعلم بالله من أن يظن واحد منها أن القدر عذر لمن عصى الله و قد علم ما حل بإبليس و غير إبليس و آدم نفسه قد أخرج من الجنة و طرق هو و إمراته يخصفان عليهما من ورق الجنة و قد عاقب الله قوم نوح و هود و صالح و غيرهم من الأمم و قد شرع الله عقوبة المعتدين و أعد جهنم للكافرين فكيف يكون القدر عذراً للذنب و هؤلاء لا يحتجون بالقدر إلا إذا كانوا متبعين لا هؤلئم بغير علم و لا يطردون حجتهم فإن القدر لو كان عذراً

غيره أو ظلمه طلب معاقبته و جزاه و لم يعذره بالقدر و إذا كان هو الظالم إحتاج لنفسه بالقدر فلا يحتاج أحد بالقدر إلا لاتباع هواه بغير علم و لا يكون إلا مبطلا لا حق معه كما احتاج به المشركون

قال تعالى { قُلْ هَلْ عِنْدُكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنُّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ } الأنعام 148 و قال { كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهُنَّ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا أَبْلَاغُ الْمُبَيِّنِ } النحل 35

ولهذا كان هؤلاء المشركون المحتجون بالقدر إذا عاداهم أحد قابلوه و قاتلوه و عاقبوه و لم يقبلوا حجته إذا قال لو شاء الله ما عاديكم بل هم دائمًا يعيرون من ظلم و اعتدى و لا يقبلون إحتاجاته بالقدر فلما جاءهم الحق من ربهم أخذوا يدافعون ذلك بالقدر فصاروا يحتجون على دفع أمر الله و نهيه بما لا يجوزون أن يحتاج به عليهم في دفع أمرهم و نهيهم بل و لا يجوز أحد من العقلاه أن يحتاج به عليه في دفع حقه فعارضوا ربهم و رسول ربهم بما لا يجوزون أن يعارض به أحد من الناس و لا رسول أحد من الناس فكان أمر المخلوق و نهيه و حقه أعظم على قولهم من أمر الله و نهيه و حقه على عباد الله و كان أمر الله و نهيه و حقه على عباده أخف حرمة عندهم من أمر المخلوق و نهيه و حقه على غيره فإن حق الله على عباده أن يعبدوه و لا يشركوا به شيئاً كما ثبت في الصحيحين عن معاذ بن جبل قال كنت رديف النبي صلى الله عليه و سلم على حمار فقال يا معاذ أتدري ما حق الله على عباده قلت الله و رسوله أعلم قال حقه عليهم أن يعبدوه و لا يشركوا به شيئاً أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك قلت الله و رسوله أعلم قال حقهم عليه أن لا يعبدتهم فكان هؤلاء المشركون من أعظم الناس جهلا و عداوة الله و رسوله فإذا احتجوا على إسقاط حقه و أمره و نهيه بما لا يجوزون لهم و لا أحد من العقلاه أن يحتاج به على إسقاط حق مخلوق و لا أمره و لا نهيه و هذا كما جعلوا الله شركاء و بنات و هم لا يرضي أحدهم أن يكون مملوكه شريكه و لا يرضي البنات لنفسه قال تعالى { وَيَجْعَلُونَ اللَّهَ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِيفُ الْسِّنَثُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ } النحل 62 و قال تعالى { وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنَ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًا وَهُوَ كَظِيمٌ } الزخرف 17 و قال تعالى { ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكْتُ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءِ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَحِيفَتَكُمْ أَنفُسَكُمْ } الروم 28 أي كحيفة بعضكم ببعض و قوله تعالى { لَوْلَا أَذْسَمْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا } النور 12 و قوله { فَتَوَبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ } البقرة 54 و قوله { نَذِعُ أَبْنَائِنَا وَأَبْنَاءِكُمْ وَنِسَاءِكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ } آل عمران 61 فالمحذبون للرسل دائمًا حجتهم داحضة متناقضه لهم في قول مختلف يؤفك عنه من أفك قال الله تعالى { وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلِ إِلَّا جِنَّاتٍ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا } الفرقان 33 و قال تعالى { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًّا وَنَصِيرًا } الفرقان 31 و قال تعالى { وَتَلَقَّ حُجَّتَنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ درجات مَنْ نَشَاءَ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ } الأنعام 83 فحجمة المشركين في شركهم بالله وجعلهم له ولدا وفي دفع أمره ونهيه بالقدر داحضة وقد بسط الكلام على هذه الأمور وما يناسبها في غير هذا الموضع وبين أن قول الفلسفه القائلين بقدم العالم وأنه صادر عن موجب بالذات متولد عن العقول والآفوس الذين يعبدون الكواكب العلوية و يصنعون لها التماثيل السفلية كأرسطو و أتباعه أعظم كفرا و ضلالا من مشركي العرب الذين كانوا يقررون بأن الله خلق السموات والأرض و ما بينهما في ستة أيام بمشيئة و قدرته ولكن خرقوا له بنين و بنات بغير علم وأشركوا به ما لم ينزل به سلطانا و كذلك المباحية الذين يسقطون الأمر والنهي مطلقا و يحتجون بالقضاء والقدر أسواء حال من اليهود و النصارى و مشركي العرب فإن هؤلاء مع كفرهم يقررون بنوع من الأمر و النهي و الوعد و الوعيد و لكن كان لهم شركاء شرعا لهم من الدين ما لم يأذن به الله بخلاف المباحية المسقطة للشرع مطلقا فإنما يرضون بما تهواه أنفسهم و يغضبون لما تهواه أنفسهم لا يرضون الله و

لا يغضبون الله و لا يحبون الله و لا يغضبون بما أمر الله به و لا ينهاون عما نهى عنه إلا إذا كان لهم في ذلك هو فيفعلونه لأجل هو اهم لاعبادة لموا لاهم ولهذا لا ينكرون ما وقع في الوجود من الكفر والفسق والعصيان إلا إذا خالف أغراضهم فينكرون إنكرا طبيعيا شيطانيا لا إنكارا شرعيا رحمنيا و لهذا تقتربن بهم الشياطين إخوانهم فيمدونهم في الغي ثم لا يقتربون وقد تتمثل لهم الشياطين و تخطبهم و تعينهم على بعض أهوائهم كما كانت الشياطين تفعل بالمرتكبين عباد الأصنام و هؤلاء يكثرون في الطوائف الخارجيين عما بعث الله به رسوله من الكتاب و السنة الذين يسلكون طريقا في العبادات والإعتقادات مبتدةعة في الدين و لا يتحررون في عباداتهم و إعتقداتهم موافقة الرسول و الإعتقاد بالكتاب و السنة فتكثر فيهم الأهواء و الشبهات و تغويهم الشياطين و تصير فيهم شبهة من المشركين بحسب بعدهم عن الرسول و كما يجب إنكار قول القدرة المضاهين للمجوس فإنكار قول هؤلاء أولى و الرد عليهم أخرى و هؤلاء لم يكونوا موجودين في عصر الصحابة و التابعين لهم بإحسان فإن البدع إنما يظهر منها أو لا فأولا الأخف فلأخلف كما حدث في آخر عصر الخلفاء الراشدين بدعة الخوارج و الشيعة ثم في آخر عصر الصحابة بدعة المرجئة و القدرة ثم في آخر عصر التابعين بدعة الجهمية معطلة الصفات و أما هؤلاء المباحية المسقطون للأمر و النهي محتاجين على ذلك بالقدر فهم شر من جميع هذه الطوائف و

¹
إنما حدثوا بعد هؤلاء كلهم

من لم يقف عند أمر الله ونهيه فليس من المتقين

وهناك قسم من الناس يشهدون ربوبية الحق واقتفارهم إليه ويستعينون بها على أهوائهم وأنواعهم غير ناظرين إلى حقيقة أمره ونهيه ورضاه وغضبه ومحبته وهذا حال كثير من المتفقرة والمتصوفة ولهذا كثيرا ما يعملون على الأحوال التي يتصرفون بها في الوجود لا يقصدون ما يرضي رب ويحبه وكثيرا ما يغلطون فيظنون أن معصيته هي مرضاته فيعودون إلى تعطيل الأمر ونهي ويسمهون هذا حقيقة ويظنو أن هذه الحقيقة الأممية الدينية هي التي تحوي مرضاة رب ومحبته وأمره ونهيه ظاهرا وباطنا و هؤلاء كثيرا ما يسلبون أحوالهم وقد يعودون إلى نوع من المعاصي والفسق بل كثير منهم يرتد عن الإسلام لأن العاقبة للنقوى ومن لم يقف عند أمر الله ونهيه فليس من المتقين فهم يقعون في بعض ما وقع المشركون فيه تارة من بدعة يظنونها شرعة وتارة في الاحتجاج بالقدر على الأمر والله تعالى لما ذكر ما ذكر به المشركين في سورة الأنعام ذكر ما ابتدعوه في الدين وجعلوه شرعة وقد ذمهم على أن حرموا ما لم يحرمه الله وأن شرعا ما لم يشرعه الله وذكر احتاجهم بالقدر في قوله **{وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا** **و لا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل إلا البلاغ المبين}** **{الحل 35}**

²

¹ مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 453-458

² أمراض القلوب ج: 1 ص: 51

من تاب اشيه اباه آدم ومن اصر واحتاج بالقدر اشيه ابليس

قال تعالى {وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدَنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمَنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَ الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ } النحل 35 يوجد قوم من العلماء و العباد و أهل الكلام و التصوف أثبتوا القدر و آمنوا بأن الله رب كل شيء و مليكه وأنه ما شاء كان و ما لم يشأ لم يكن و أنه خالق كل شيء و ربه و مليكه و هذا حسن و صواب لكنهم قصرروا في الأمر و النهي و الوعيد و أفرطوا حتى خرج غلاتهم إلى الإلحاد فصاروا من جنس المشركين الذين قالوا {لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمَنَا مِنْ شَيْءٍ } الأنعام 148 فأولئك القدرية و إن كانوا يشبهون المجروس من حيث أنهم أثبتوا فاعلا لما اعتقدوه شرا غير الله سبحانه فهو لاء شابهوا المشركين الذين قالوا {لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمَنَا مِنْ شَيْءٍ } الأنعام 148 فالملائكة شر من المجروس فإن المجروس يقررون بالجزية باتفاق المسلمين و قد ذهب بعض العلماء إلى حل نسائهم و طعامهم وأما المشركون فinctقت الأمة على تحريم نكاح نسائهم و طعامهم و مذهب الشافعي و أحمد في المشهور عنه و غيرهما أنهم لا يقررون بالجزية و جمهور العلماء على أن مشركي العرب لا يقررون الجزية و إن أقرت المجروس فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقبل الجزية من أحد من المشركين بل قال أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله و أنى رسول الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم و أموالهم إلا بحقها و حسابهم على الله عزوجل والمقصود هنا أن من أثبت القدر و إحتاج به أبطال الأمر و النهي فهو شر من أثبت الأمر و النهي و لم يثبت القدر و هذا متفق عليه بين المسلمين و غيرهم من أهل الملل بل بين جميع الخلق فإن من إحتاج بالقدر و شهود الروبوية العامة لجميع المخلوقات و لم يفرق بين المأمور و المحظور و المؤمنين و الكفار و أهل الطاعة و أهل المعصية لم يؤمن بأحد من الرسل و لا بشيء من الكتب و كان عنده آدم و إبليس سواء و نوح و قومه سواء و موسى و فرعون سواء و السابقون الأولون و كفار مكة سواء وهذا الضلال قد كثر في كثير من أهل التصوف و الزهد و العبادة لاسيما إذا قرروا به توحيد أهل الكلام المثبتين للقدر و المشيئة من غير إثبات المحبة و البغض و الرضى و السخط الذين يقولون التوحيد هو توحيد الروبوية و الإلهية عندهم هي القدرة على الإختراع و لا يعرفون توحيد الإلهية و لا يعلمون أن الأله هو المألوه المعبد و أن مجرد الإقرار بأن الله رب كل شيء لا يكون توحيدا حتى يشهد أن لا إله إلا الله كما قال تعالى {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ } يوسف 106 قال عكرمة تسألهم من خلق السموات والأرض فيقولون الله و هم يعبدون غيره و هؤلاء يدعون التحقيق و الفناء في التوحيد و يقولون أن هذا نهاية المعرفة و أن العارف إذا صار في هذا المقام لا يستحسن حسنة و لا يستفتح سيدة لشهوده الروبوية العامة و القيومية الشاملة و هذا الموضع وقع فيه من الشيوخ الكبار من شاء الله و لا حول و لا قوة إلا بالله و هؤلاء غاية توحيدهم هو توحيد المشركين الذين كانوا يعبدون الأصنام الذين قال الله عنهم { قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } 84 { سَيَقُولُونَ اللَّهُ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ } 85 { قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ } 86 { سَيَقُولُونَ اللَّهُ قُلْ أَفَلَا تَتَقَوَّنَ } 87 { قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلْكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُحِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } 88 { سَيَقُولُونَ اللَّهُ قُلْ فَإِنَّى تُسْحَرُونَ } 89 المؤمنون 84-89 و قال تعالى {وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْكِلُونَ } 61 { اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ يَكُلُّ شَيْءٍ عَلِيهِ } 62 { وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بِلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ } 63 العنكبوت 61-63 و قال تعالى {وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضَ لِيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثُرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ {لِقْمَان} 25 وَقَالَ تَعَالَى {وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ خَلَقُهُمْ لِيَقُولُنَّ اللَّهُ فَإِنَّمَا يُؤْفَكُونَ} الرَّخْرَف 87 وَقَالَ تَعَالَى {قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْنَ يَمْلُكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيْتِ وَيُخْرِجُ الْمَيْتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدْبِرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ} 31 فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الصَّلَالُ فَإِنَّى ثُصْرَفُونَ} 32 كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} 33 قُلْ هُنَّ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلْ اللَّهُ يَبْدَا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَإِنَّمَا يُؤْفَكُونَ} 34 قُلْ هُنَّ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلْ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَمْنَ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْنَ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدِي فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ} 35 يُونُس 31-35 وَقَالَ تَعَالَى {أَمْنَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ دَاتَ بَهْجَةً مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْتَشِّرَا شَجَرَاهَا إِلَلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ} 60 أَمْنَ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خَلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا إِلَلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثُرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} 61 أَمْنَ يُحِبُّ الْمُضْطَرَ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْسِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ إِلَلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ} 62 أَمْنَ يَهْدِيَكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ إِلَلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} 63 أَمْنَ يَبْدَا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَأْنُوا بُرْهَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} 64 النَّمَل 60-64 فَإِنْ هُؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا مُقْرِنِينَ بِأَنَّ اللَّهَ خَالِقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخَالِقُهُمْ وَبِيَدِهِ مُلْكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ بَلْ كَانُوا مُقْرِنِينَ بِالْقَدْرِ أَيْضًا فَإِنَّ الْعَرَبَ كَانُوا يَتَبَتَّنُونَ الْقَدْرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَهُوَ مُعْرُوفٌ عَنْهُمْ فِي النَّظَمِ وَالنَّثَرِ وَمَعَ هَذَا فَلَمَّا لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَ اللَّهَ وَهَذِهِ لَا شَرِيكَ لَهُ بَلْ عَبَدُوا غَيْرَهُ كَانُوا مُشْرِكِينَ شَرَا مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فَمَنْ كَانَ غَايَةً لِتَوْحِيدِهِ وَتَحْقِيقِهِ هُوَ هَذَا التَّوْحِيدُ كَانَ غَايَةً لِتَوْحِيدِ الْمُشْرِكِينَ وَهَذَا الْمَقَامُ مَقَامٌ زَلَّتْ فِيهِ أَقْدَامُ وَضَلَّتْ فِيهِ أَفْهَامُ وَبَدَلَ فِيهِ دِيَنُ الْمُسْلِمِينَ وَالتَّبَسَ فِيهِ أَهْلُ التَّوْحِيدِ بِعِبَادِ الْأَصْنَامِ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ يَدِعُونَ نَهَايَةَ التَّوْحِيدِ وَالْتَّحْقِيقِ وَالْمَعْرِفَةِ وَالْكَلَامِ وَمَعْلُومَ عِنْ كُلِّ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أَنَّ الْمَعْتَزَلَةَ وَالشِّيَعَةَ الْقَدْرِيَّةَ الْمُبَثِّتَيْنَ لِلْأَمْرِ وَالنَّهِيِّ وَالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ خَيْرٌ مِنْ يُسُوِّي بَيْنَ الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ وَالْبَرِّ وَالْفَاجِرِ وَالنَّبِيِّ الصَّادِقِ وَالْمُتَنَبِّئِ الْكَاذِبِ وَأُولَئِكَ اللَّهُ وَأَعْدَائُهُ وَيَجْعَلُ هَذَا غَايَةَ التَّحْقِيقِ وَنَهَايَةَ التَّوْحِيدِ وَهُؤُلَاءِ يَدْخُلُونَ فِي مَسْمَى الْقَدْرِيَّةِ الَّذِينَ ذَمَّهُمُ الْسَّلْفُ بَلْ هُمْ أَحَقُّ بِالذَّمِّ مِنَ الْمَعْتَزَلَةِ وَنَحْوُهُمْ كَمَا قَالَ أَبُو بَكْرُ الْخَلَالُ فِي كِتَابِ السَّنَةِ الرَّدُّ عَلَى الْقَدْرِيَّةِ وَقَوْلُهُمْ أَنَّ اللَّهَ أَجْبَرَ الْعِبَادَ عَلَى الْمَعْاصِيِّ وَذَكْرُ عَنِ الْمَرْوُذِيِّ قَالَ قَلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ رَجُلٌ يَقُولُ أَنَّ اللَّهَ أَجْبَرَ الْعِبَادَ فَقَالَ هَذَا لَا تَقُولُ وَأَنْكِرَ ذَلِكَ وَقَالَ {يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} المَدْثُر 31 وَذَكْرُ عَنِ الْمَرْوُذِيِّ أَنَّ رَجُلًا قَالَ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْبَرْ الْعِبَادَ عَلَى الْمَعْاصِيِّ فَرَدَ عَلَيْهِ آخِرٌ فَقَالَ أَنَّ اللَّهَ جَبَرَ الْعِبَادَ أَرَادَ بِذَلِكَ إِثْبَاتَ الْقَدْرِ فَسَأَلُوا عَنِ ذَلِكَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ فَأَنْكَرَ عَلَيْهِمَا جَمِيعًا عَلَى الَّذِي قَالَ جَبَرٌ وَعَلَى الَّذِي قَالَ لَمْ يَجْبَرْ حَتَّى تَابَ وَأَمْرَ أَنْ يَقُولَ {يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} المَدْثُر 31 وَذَكْرُ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدَى قَالَ أَنْكَرَ سَفِيَّانَ الثُّورِيَّ جَبَرٌ وَقَالَ إِنَّ اللَّهَ جَبَلَ الْعِبَادَ قَالَ الْمَرْوُذِيُّ أَرَادَ قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَشْجَعِ عَبْدِ الْقَيْسِ يَعْنِي قَوْلَهُ إِنْ فِيكَ لَخَلْقَيْنِ يَحْبَهُمَا اللَّهُ الْحَلْمُ وَالْإِنَاءُ فَقَالَ أَخْلَقَيْنِ تَخَلَّفَتْ بِهِمَا أَمْ لَخَلْقَيْنِ جَبَلَتْ عَلَيْهِمْ فَقَالَ بَلْ لَخَلْقَيْنِ جَبَلَتْ عَلَيْهِمَا فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَبَلَنِي عَلَى لَخَلْقَيْنِ يَحْبَهُمَا وَذَكَرَ عَنِ أَبِي إِسْحَاقِ الْفَزَارِيِّ قَالَ قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ أَتَانِي رَجُلًا فَسَأَلَنِي عَنِ الْقَدْرِ فَأَجَبْتُ أَنَّ أَتَيْكَ بِهِمَا تَسْمَعُ كَلاهُمَا وَتَجْبِيَهُمَا قَلْتُ رَحْمَكَ اللَّهُ أَنْتَ أَوْلَى بِالْجَوَابِ قَالَ فَأَتَانِي الْأَوْزَاعِيُّ وَمَعَهُ الرَّجُلَانِ فَقَالَ تَكَلَّمَا فَقَالَ قَدْمًا عَلَيْنَا نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْقَدْرِ فَنَازَ عَنْنَا فِي الْقَدْرِ وَنَازَ عَنْهُمْ فِيهِ حَتَّى بَلَغَ بَنَاهُ وَبَهُمْ إِلَى أَنْ قَلَّا أَنَّ اللَّهَ جَبَرَنَا عَلَى مَا نَهَا نَا عَنْهُ وَحَالَ بَيْنَا وَبَيْنَ مَا أَمْرَنَا بِهِ وَرَزَقَنَا مَا حَرَمَ عَلَيْنَا فَقَلَّتْ يَا هُؤُلَاءِ إِنَّ الَّذِينَ أَتَوْكُمْ بِمَا أَتَوْكُمْ بِهِ قَدْ إِبْتَدَعُوا بَدْعَةً وَأَحَدَثُوا حَدَثًا وَأَنَّ أَرَاكُمْ قَدْ خَرَجْتُمْ مِنَ الْبَدْعَةِ إِلَى مَثْلِ مَا

خرجوا إليه فقال أصبت وأحسنت يا أبا إسحاق وذكر عن بقية بن الوليد قال سأله الزبيدي والأوزاعي عن الجبر فقال الزبيدي ألم الله أعظم وقدرته أعظم من أن يجبر أو يعضل ولكن يقضي و يقدر و يخلق و يجعل عبده على ما أحب و قال الأوزاعي ما أعرف للجبر أصلاً من القرآن والسنة فأهاب أن أقول ذلك ولكن القضاء والقدر والخلق و الجبل فهذا يعرف في القرآن و الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال مطرف بن الشخير لم نوكل إلى القدر و إليه نصير و قال ضمرة ابن ربيعة لم نؤمر أن نتكل على القدر و إليه نصير وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما منكم من أحد إلا وقد علم مقعده من الجنة و مقعدة من النار قالوا يا رسول الله أفلا ندع العمل و نتكل على الكتاب فقال لا إعملوا فكما خلق لكم وهذا باب واسع والمقصود هنا أن الخلل و غيره من أهل العلم أدخلوا القائلين بالجبر في مسمى القدرة و إن كانوا لا يحتاجون بالقدر على المعاشي فكيف بمن يحتاج به على المعاشي و معلوم أنه يدخل في ذم من ذم الله من القدرة من يحتاج به على إسقاط الأمر و النهي أعظم مما يدخل فيه المنكر له فإن ضلال هذا أعظم ولهذا قرنت القدرة بالمرجئة في كلام غير واحد من السلف و روی في ذلك حديث مرفوع لأن كلام هاتين البدعتين تفسد الأمر و النهي و الوعيد فالإرجاء يضعف الإيمان بالوعيد و يهون أمر الفرائض و المحارم و القدري أن يحتاج به كان عوناً للمرجىء و إن كذب به كان هو المرجىء قد تقابلنا بهذا يبلغ في التشديد حتى لا يجعل العبد يستعين بالله على فعل مأمور به و ترك ما نهى عنه و هذا يبالغ في الناحية الأخرى ومن المعلوم أن الله تعالى أرسل الرسل و أنزل الكتب لتصدق الرسل فيما أخبرت وتطاع فيما أمرت كما قال تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ} النساء: 64 وقال تعالى {مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ} النساء: 80 والإيمان بالقدر من تمام ذلك فمن اثبت القدر وجعل ذلك معارضًا للأمر فقد اذهب الأصل و معلوم أن من اسقط الأمر و النهي الذي بعث الله به رسلاً فهو كافر باتفاق المسلمين واليهود والنصارى بل هؤلاء قولهم متناقض لا يمكن أحدهما منهم أن يعيش به ولا تقوم به مصلحة أحد من الخلق ولا يتلاشى عليه اثنان فان القدر ان كان حجة فهو حجة لكل أحد والا فليس حجة لأحد فإذا قدر ان الرجل ظلمه ظالم او شتمه شاتم او اخذ ماله او افسد اهله او غير ذلك فمتى لامه او ذمه او طلب عقوبته ابطل الاحتجاج بالقدر ومن ادعى ان العارف اذا شهد القدر سقط عنه الامر كان هذا الكلام من الكفر الذي لا يرضاه لا اليهود ولا النصارى بل ذلك ممتنع في العقل محال في الشرع فان الجائع يفرق بين الخبز والتراب والعطشان يفرق بين الماء والسراب فيحب ما يشبعه ويرويه دون ما لا ينفعه والجميع مخلوق لله تعالى فالله تعالى من كان لا بد ان يفرق بين ما ينفعه وينعمه ويسره وبين ما يضره ويشقيه و يؤلمه وهذا حقيقة الأمر و النهي فان الله تعالى امر العباد بما ينفعهم ونهامهم بما يضرهم والناس في الشرع والقدر على اربعة انواع فشر الخلق من يحتاج بالقدر لنفسه ولا يراه حجة لغيره يستند اليه في الذنوب والمعائب ولا يطمئن اليه في المصائب كما قال بعض العلماء انت عند الطاعة قدرى و عند المعصية جبرى اي مذهب وافق هو الاك تذهب به وبازاء هؤلاء خير الخلق الذين يصبرون على المصائب ويستغفرون من المعائب كما قال تعالى {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ} غافر: 55 وقال تعالى {مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَبَّهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} 22 الحديد: 22-23 وقال تعالى {مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ فَلَبْهُ} التغابن: 11 قال بعض السلف هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضي ويسلم قال تعالى {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفِرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ}

{آل عمران 135} وقد ذكر الله تعالى عن ادم عليه السلام انه لما فعل من فعل قال {ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكون من الخاسرين} الأعراف 23 وعن ابليس انه قال {بِمَا أَغْوَيْتَنِي لِأَزَّيْنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا غُنِيَّهُمْ أَجْمَعِينَ} الحجر 39 فمن تاب اشبه اباه ادم ومن اصر واحتج بالقدر اشبه ابليس والحديث الذى فى الصحيحين فى احتجاج ادم وموسى عليهما السلام لما قال له موسى انت ادم ابو البشر خلقك الله بيده ونفح فيك من روحه وعلمك اسماء كل شيء لماذا اخرجتنا ونفسك من الجنة فقال له ادم انت موسى الذى اصطفاك الله برسالته وبكلامه وخط لك التوراة بيده فبكم وجدت مكتوبا على قبل ان اخلق {وَعَصَى آدُمْ رَبَّهُ فَغَوَى} طه 121 قال بهذا وكذا سنة قال فحج ادم موسى وهذا الحديث فى الصحيحين من حديث ابى هريرة وقد روى باسناد جيد من حديث عمر رضى الله عنه فادم عليه السلام انما حج موسى لأن موسى لامه على ما فعل لاجل ما حصل لهم من المصيبة بسبب اكله من الشجرة لم يكن لومه له لاجل حق الله فى الذنب فان ادم كان قد تاب من الذنب كما قال تعالى {قَلَّقَى آدُمْ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ} البقرة 37 وقال تعالى {ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَذِي} طه 122 وموسى ومن هو دون موسى عليه السلام يعلم انه بعد التوبة والمغفرة لا يبقى ملام على الذنب وادم اعلم بالله من ان يحتاج بالقدر على الذنب وموسى عليه السلام اعلم بالله تعالى من ان يقبل هذه الحجة فان هذه لو كانت حجة على الذنب لكان حجة لا بليس عدو ادم وحجة لفرعون عدو موسى وحجة لكل كافر وفاجر وبطل امر الله ونهيه بل انما كان القدر حجة لادم على موسى لانه لام غيره لاجل المصيبة التى حصلت له بفعل ذلك وتلك المصيبة كانت مكتوبة عليه وقد قال تعالى {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدَ قَلْبَهُ} التغابن 11 وقال انس خدمت النبي عشر سنين فما قال لى اف قط ولا قال لشيء فعلته لم فعلته ولا لشيء لم افعله لم لا فعلته وكان بعض اهله اذا عاتبني على شيء يقول دعوه فلو قضى شيء لكان وفي الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت ما ضرب رسول الله بيده خادما ولا امرأة ولا دابة ولا شيئاً قط الا ان يجاهد فى سبيل الله ولا نيل منه شيء فانتقم لنفسه الا ان تنتهك محارم الله فإذا انتهكت محارم الله لم يقم لغضبه شيء حتى ينتقم الله وقد قال لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ففى امر الله ونهيه يسارع الى الطاعة ويقيم الحدود على من تعدى حدود الله ولا تاخذه فى الله لومة لائم وإذا آذاه مؤذ او قصر مقصر فى حقه عفا عنه ولم يؤاخذه نظرا الى القدر فهذا سبيل الذين انعم الله عليهم من النبىين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا وهذا اوجب فيما قدر من المصائب بغير فعل ادمى كال المصائب السماوية او بفعل لا سبيل فيه الى العقوبة كفعل ادم عليه السلام فانه لا سبيل الى لومه شرعا لاجل التوبة ولا قدرها لاجل القضاء والقدر واما اذا ظلم رجل رجلا فله ان يستوفى مظلمته على وجه العدل وان عفا عنه كان افضل له كما قال تعالى {وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَارَةً لَهُ} المائدة 1¹

الأمر الشرعي غير مستلزم للإرادة الكونية القدريّة

¹ مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 99-109

قال تعالى {وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آباؤُنَا وَلَا حَرَمَنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهُنَّ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ} النحل 35 إن الله سبحانه قد فرق بالقرآن وبالإيمان بين أمره الدينى وخلقه الكونى فإن الله سبحانه خالق كل شيء ورب كل شيء ومليكه سواء فى ذلك الذوات وصفاتها وأفعالها وما شاء الله كان وما لم يشا لم يكن لا يخرج عن مشيئته شيء ولا يكون شيء الا بمشيئته وقد كذب ببعض ذلك القدرية المجوسية من هذه الأمة وغيرها وهم الذين يزعمون أن الله لم يخلق أفعال عباده من الملائكة والجن والإنس والبهائم ولا يقدر على أن يفعل بعباده من الخير أكثر مما فعل بهم بل ولا على أفعالهم فليس هو على كل شيء قادر أو أن ما كان من السينات فهو واقع على خلاف مشيئته وإرادته وهم ضلال مبتدةعة مخالفون لكتاب والسنة وإن جماع سلف الأمة ولما عرف بالعقل والذوق ثم انه قابلهم قوم شر منهم وهم القدرية المشركية الذين رأوا الأفعال واقعة بمشيئته وقدرتة فقالوا {سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آباؤُنَا وَلَا حَرَمَنَا مِنْ شَيْءٍ} الأنعام 148 ولو كره الله شيئاً لأزالته وما في العالم إلا ما يحبه الله ويرضاه وما ثم عاص وأنا كافر برب يعصى وإن كان هذا قد عصى الامر فقد أطاع الإرادة وربما استدلوا بالجبر وجعلوا العبد مجبوراً والمجبور معدور والفعل لله فيه لا له فلا لوم عليه فهو لاء كافرون بكتب الله ورسله وبأمر الله ونهيه وثوابه وعقابه ووعده ووعيده وذرره كفرا لا ريب فيه وهم أكفر من اليهود والنصارى بل أكفر من الصابئة والبراهمة الذين يقولون بالسياسات العقلية فإن هؤلاء كافرون بالديانات والشرع الإلهية وبالآيات والسياسات العقلية وأما الأولون ففي تكثيرهم تفصيل ليس هذا موضعه وهو لاء أعداء الله وأعداء جميع رسله بل أعداء جميع عقلاه بنى آدم بل أعداء أنفسهم فإن هذا القول لا يمكن أحداً أن يطرده ولا يعمل به ساعة من زمان إذ لازمه أن لا يدفع ظلم ظالم ولا يعاقب معنت ولا يعاقب مسىء لا بمثل إساءته ولا بأكثر منها وأكثر هؤلاء إنما يشيرون إلى ذلك عند أهواء أنفسهم لرفع الملام عنهم وإلا فذا كان لهم هذا مع أحد قابلوه وقاتلوا عليه أيضاً ولا يقرون عند حد ولا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة بل هم كما قال الله {وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظُلْمًا جَهُولًا} الأحزاب 72 ظلمة جهال مثل السبع العادى يفعلون بحكم الأهواء المحضة ويدفعون عن أنفسهم الملام والعدل أو ما يجب عليهم من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بالجبر الباطل وبلحظة القدر النافذ معرضين عن الأمر والنهى ولا يفعلون مثل ذلك بمن اعنى عليهم وظلمهم وأذاهم بل ولا بمن قصر في حقوقهم بل ولا بمن أطاع الله فأمر بما أمر الله به ونهى عما نهى الله عنه وقد بسطت الكلام في هؤلاء القدرية والقسم الأول وذكرت القدرة الإبليسية في غير هذا الموضوع وإنما الغرض هنا التنبيه على معاذ الأقوال وقد فرق الله في كتابه بين القسمين بين من قام بكلماته الكونيات وبين من اتبع كلماته الدينيات وذلك في أمره وإرادته وقضائه وحكمه وإنه وبعثه وارسله فقال في الأمر الدينى الشرعى {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى} النحل 90 {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤْدُوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا} النساء 58 {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذَبَّحُوا بَقَرَةً} البقرة 67 وقال في الأمر الكونى القدرية {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} يس 82 {أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ} النحل 1 وبهذا الجمع والتفريق تتزول الشبهة في مسألة الأمر الشرعى هل هو مستلزم للإرادة الكونية أم لا فان التحقيق أنه غير مستلزم للإرادة الكونية القدرية وإن كان مستلزم للإرادة الدينية الشرعية¹

¹ مجموع الفتاوى ج: 2 ص: 410-412 و مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 111

الإحتجاج بالقدر باطل في فطر الخلق وعقولهم

وليس في القدر حجة لابن آدم ولا عذر بل القدر يؤمن به ولا يحتاج به والمحتج بالقدر فاسد العقل والدين متناقض فإن القدر إن كان حجة وعذراً لزم أن لا يلام أحد ولا يعاقب ولا يقتص منه وحينئذ فهذا المحتج بالقدر يلزمـه اذا ظلم في نفسه وماليـه وعرضـه وحرمتـه أن لا ينتصر من الظالم ولا يغضب عليه ولا يذمه وهذا أمر ممتنع في الطبيعة لا يمكن أحد أن يفعلـه فهو ممتنع طبعاً محـرـم شرعاً ولو كان القدر حجة وعذراً لم يكن أبليس ملـومـاً ولا مـعـاقـباً ولا فـرـعون وـقـوـمـ نـوـحـ وـعـادـ وـثـمـودـ وـغـيـرـهـمـ منـ الـكـفـارـ وـلـاـ كـانـ جـهـادـ الـكـفـارـ جـائـزاـ وـلـاـ اـقـامـةـ الـحـدـودـ جـائـزاـ وـلـاـ قـطـعـ السـارـقـ وـلـاـ جـلـ الزـانـىـ وـلـاـ رـجـمـهـ وـلـاـ قـتـلـ الـقـاتـلـ وـلـاـ عـقـوبـةـ مـعـتـدـ بـوـجـهـ مـنـ الـوـجـوهـ وـلـماـ كـانـ الإـحـتـاجـ بالـقـدـرـ باطلـاـ فيـ فـطـرـ الـخـلـقـ وـعـقـولـهـمـ لـمـ تـذـهـبـ إـلـيـهـ أـمـةـ مـنـ الـأـمـمـ وـلـاـ هـوـ مـذـهـبـ أـحـدـ مـنـ الـعـقـلـاءـ الـذـينـ يـطـرـدـونـ قـوـلـهـمـ فـإـنـهـ لـاـ يـسـتـقـيمـ عـلـيـهـ مـصـلـحةـ أـحـدـ لـاـ فـيـ دـنـيـاهـ وـلـاـ آخـرـتـهـ وـلـاـ يـمـكـنـ اـثـنـانـ أـنـ يـتـعـاشـرـاـ سـاعـةـ وـاحـدةـ إـنـ لـمـ يـكـنـ أـحـدـهـماـ مـلـتـزـمـاـ مـعـ الـآخـرـ نـوـعاـ مـنـ الشـرـعـ فـالـشـرـعـ نـورـ اللـهـ فـيـ أـرـضـهـ وـعـدـلـهـ بـيـنـ عـبـادـهـ لـكـنـ الشـرـائـعـ تـتـنـتوـعـ فـتـارـةـ تـكـونـ مـنـزـلـةـ مـنـ عـنـ اللـهـ كـمـاـ جـاءـتـ بـهـ الرـسـلـ وـتـارـةـ لـاـ تـكـونـ كـذـلـكـ ثـمـ الـمـنـزـلـةـ تـارـةـ تـبـدـلـ وـتـغـيـرـ كـمـاـ غـيـرـ أـهـلـ الـكـتـابـ شـرـائـعـهـمـ وـتـارـةـ لـاـ تـغـيـرـ وـلـاـ تـبـدـلـ وـتـارـةـ يـدـخـلـ النـسـخـ فـيـ بـعـضـهـاـ وـتـارـةـ لـاـ يـدـخـلـ وـأـمـاـ الـقـدـرـ فـانـهـ لـاـ يـحـتـاجـ بـهـ أـحـدـ إـلـاـ عـنـ اـتـبـاعـ هـوـاهـ فـاـذـاـ فـعـلـ فـعـلاـ مـحـرـمـاـ بـمـجـرـدـ هـوـاهـ وـذـوقـهـ وـوـجـدـهـ مـنـ غـيـرـ أـنـ يـكـنـ لـهـ عـلـمـ بـحـسـنـ الـفـعـلـ وـمـصـلـحـتـهـ اـسـتـنـدـ إـلـىـ الـقـدـرـ كـمـاـ قـالـ الـمـشـرـكـوـنـ {لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ تَحْنُّ وَلَا أَبَاوْنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهُنَّ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا بَلَاغُ الْمُبِينِ} النـحلـ 35ـ وـقـالـواـ {لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا أَبَاوْنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ} الأنـعامـ 148ـ قالـ اللـهـ تـعـالـيـيـ {كـذـلـكـ كـذـبـ الـذـينـ مـنـ قـبـلـهـمـ حـتـىـ ذـاقـواـ بـأـسـنـاـ قـلـ هـلـ عـنـدـكـمـ مـنـ عـلـمـ فـقـحـرـ جـوـهـ لـنـاـ إـنـ تـبـيـعـونـ إـلـاـ الـظـنـ وـإـنـ أـنـتـمـ إـلـاـ تـخـرـصـوـنـ} 148ـ قـلـ فـلـلـهـ الـحـجـةـ الـبـالـغـةـ فـلـوـ شـاءـ لـهـدـاـكـمـ أـجـمـعـيـنـ} 149ـ الأنـعامـ 148ـ 149ـ فـيـنـ أـنـهـمـ لـيـسـ عـنـهـمـ عـلـمـ بـمـاـ كـانـواـ عـلـيـهـ مـنـ الـدـيـنـ وـانـمـاـ يـتـبـعـونـ الـظـنـ وـالـقـوـمـ لـمـ يـكـنـوـنـ مـنـ يـسـوـغـ لـكـلـ أـحـدـ الإـحـتـاجـ بـالـقـدـرـ فـانـهـ لـوـ خـرـبـ أـحـدـ الـكـعـبـةـ أـوـ شـتـمـ اـبـرـاهـيـمـ الـخـلـيلـ أـوـ طـعـنـ فـيـ دـيـنـهـ لـعـادـوـهـ وـآذـوـهـ كـيـفـ وـقـدـ عـادـوـ النـبـىـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ عـلـىـ ماـ جـاءـ بـهـ مـنـ الـدـيـنـ وـمـاـ فـعـلـهـ هـوـ أـيـضاـ مـنـ الـمـقـدـورـ فـلـوـ كـانـ الإـحـتـاجـ بـالـقـدـرـ حـجـةـ لـكـانـ النـبـىـ وـأـصـحـابـهـ فـانـ كـانـ كـلـ مـاـ يـحـدـثـ فـيـ الـوـجـودـ فـهـوـ مـقـدـرـ فـالـمـحـقـ وـالـمـبـطـلـ يـشـتـرـكـانـ فـيـ الإـحـتـاجـ بـالـقـدـرـ إـنـ كـانـ الإـحـتـاجـ بـهـ صـحـيـحاـ وـلـكـنـ كـانـواـ يـتـعـمـدـوـنـ عـلـىـ ماـ يـعـقـدـوـنـهـ مـنـ جـنـسـ دـيـنـهـ وـهـمـ فـيـ ذـلـكـ يـتـبـعـونـ الـظـنـ لـيـسـ لـهـمـ بـهـ عـلـمـ بـلـ هـمـ يـخـرـصـونـ¹

فـماـ رـوـاهـ مـسـلـمـ فـيـ صـحـيـحـهـ عـنـ جـابـرـ قـالـ كـانـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ إـذـاـ خـطـبـ اـحـمـرـتـ عـيـنـاهـ وـعـلـاـ صـوـتـهـ وـاـشـتـدـ غـضـبـهـ حـتـىـ كـأـنـهـ مـنـذـرـ جـيـشـ يـقـولـ صـبـحـكـمـ وـمـساـكـمـ وـيـقـولـ بـعـثـتـ أـنـاـ وـالـسـاعـةـ كـهـاتـيـنـ وـيـقـرـنـ بـيـنـ أـصـبـعـيـنـ السـبـابـةـ وـالـوـسـطـىـ وـيـقـولـ أـمـاـ بـعـدـ فـإـنـ خـيرـ الـحـدـيـثـ كـتـابـ اللـهـ وـخـيرـ الـهـدـيـ هـدـيـ مـحـمـدـ وـشـرـ الـأـمـورـ مـحـدـثـاـتـهـاـ وـكـلـ بـدـعـةـ ضـلـالـةـ وـفـيـ روـاـيـةـ لـلـنسـائـيـ وـكـلـ ضـلـالـةـ فـيـ النـارـ وـفـيـماـ رـوـاهـ أـيـضاـ فـيـ الصـحـيـحـ عـنـ عـائـشـةـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـاـ عـنـ النـبـىـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ أـنـهـ قـالـ مـنـ عـمـلـ عـمـلاـ لـيـسـ عـلـيـهـ أـمـرـنـاـ فـهـوـ رـدـ وـفـيـ لـفـظـ فـيـ الصـحـيـحـيـنـ مـنـ أـحـدـ فـيـ

¹ مـجمـوعـ الـفـتاـوىـ جـ 2ـ صـ 323ـ 325ـ

أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد وفي الحديث الصحيح الذي رواه أهل السنن عن العرباض بن سارية عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنني وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي تمسكوا بها واعضوا عليها بالنواخذة وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلاله وهذه قاعدة قد دلت عليها السنة والإجماع مع ما في كتاب الله من الدلالة عليها أيضاً قال تعالى {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءٌ شَرَّعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذِنْ بِهِ اللَّهُ} [الشورى: 21] فمن ذنب إلى شيء يتقرب به إلى الله أو أوجبه بقوله أو فعله من غير أن يشرعه الله فقد شرع من الدين مالم يأذن به الله ومن اتبעהه في ذلك فقد اتخذ شريكاً لله شرع له من الدين مالم يأذن به الله نعم قد يكون متولاً في هذا الشرع فيغفر له لأجل تأويله إذا كان مجتهداً الاجتهد الذي يعفي فيه عن المخطئ ويثاب أيضاً على اجتهاده لكن لا يجوز اتباعه في ذلك كما لا يجوز اتباع سائر من قال أو عمل قوله أو عملاً قد علم الصواب في خلافه وإن كان القائل أو الفاعل مأجوراً أو معذوراً وقد قال سبحانه {إِنَّمَا يَنْهَا عَنِ الْمُسْلِمِينَ مَا لَمْ يَرْجِعُوا إِلَيْهَا وَمَا أَمْرُوا إِلَيْهَا وَمَا أَنْهَى إِلَيْهَا إِلَّا هُوَ سُبْحَانُهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} [التوبه: 31] قال عدي بن حاتم للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله ما عبدوهم قال ما عبدوهم ولكن أحلاوا لهم الحرام فأطاعوهم وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم فمن أطاع أحداً في دين لم يأذن به الله من تحليل أو تحريم أو استحباب أو إيجاب فقد لحقه من هذا الذم نصيب كما يلحق الأمر الناهي أيضاً نصيب ثم قد يكون كل منهما معفواً عنه لاجتهاده ومثاباً أيضاً على الاجتهد فيختلف عنه الذم لفوائد شرطه أو لوجود مانعه وإن كان المقتضي له قائماً ويلحق الذم من يبين له الحق فيتركه أو من قصر في طلبه حتى لم يتبيّن له أو عرض عن طلب معرفته لهوى أو لكسل أو نحو ذلك وأيضاً فإن الله عاب على المشركين شيئاً أحدهما أنهم أشركوا به مالم ينزل به سلطاناً والثاني تحريمهم مالم يحرمه الله عليهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فيما رواه مسلم عن عياض بن حمار عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى إني جعلت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين وحرمت عليهم ما أححلت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي مالم أنزل به سلطاناً قال سبحانه {سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا أَبَاوْنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ} [الأنعام: 148] فجمعوا بين الشرك والتحريم والشرك يدخل فيه كل عبادة لم يأذن الله بها فإن المشركين يزعمون أن عبادتهم إما واجبة وإما مستحبة وإن فعلها خير من تركها ثم منهم من عبد غير الله ليتقرّب بعبادته إلى الله ومنهم من ابتدع ديناً عبدوا به الله في زعمهم كما أحدثه النصارى من أنواع العبادات المحدثة وأصل الضلال في أهل الأرض إنما نشأ من هذين إما اتخاذ دين لم يشرعه الله أو تحريم مالم يحرمه الله ولهذا كان الأصل الذي بني الإمام أحمد وغيره من الأئمة عليه مذاهبهم أن أعمال الخلق تنقسم إلى عادات يتذمرونها ديناً ينتفعون بها في الآخرة أو في الدنيا والآخرة وإلى عادات ينتفعون بها في معيشتهم فالأصل في العادات أن لا يشرع منها إلا ما شرعه الله والأصل في العادات أن لا يحظر منها إلا ما حظره الله وهذه المواسم المحدثة إنما نهى عنها لما حدث فيها من الدين الذي يتقرب به كما سندكره إن شاء الله واعلم أن هذه القاعدة وهي الاستدلال بكون الشيء بدعة على كراحته قاعدة عامة عظيمة وتمامها بالجواب عما يعارضها¹

¹اقتضاء الصراط ج: 1 ص: 268

اتخاذ ما ليس بمشروع دينا أو تحريم ما لم يحرم دين الجاهلية والنصارى

فإن المشركين استدلو بالقدر على نفي الامر والنهي والمحبوب والمكره والطاعة والمعصية ومن سلك هذا المسلك فهو في نوع من الكفر البين¹

فاتخاذ ما ليس بمشروع دينا أو تحريم ما لم يحرم دين الجاهلية والنصارى الذي عابه الله عليهم كما قال تعالى {وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آباؤُنَا وَلَا حَرَمَنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ} النحل 35 وقال تعالى فيما رواه مسلم في صحيحه من حديث عياض بن حمار إن خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين وحرمت عليهم ما أحالت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا وقال في حق النصارى { وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدْبِغُونَ دِينَ الْحَقِّ} التوبة 29 ومثال ذلك أن يحصل من بعضهم تقصير في المأمور أو اعتداء في المنهي إما من جنس الشبهات وإما من جنس الشهوات فيقابل ذلك بعضهم بالاعتداء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو بالتجزئ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتجزئ والاعتداء إما في المأمور به والمنهي عنه شرعا وإما في نفس أمر الناس ونهيهم هو الذي استحق به أهل الكتاب العقوبة حيث قال { وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الدَّلْلُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَأْوُوا بِعَصْبَ مِنْ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ} البقرة 61 فجعل ذلك بالمعصية والاعتداء والمعصية مخالفة الأمر وهو التجزئ والاعتداء مجاوزة الحد وكذلك يضمن كل مؤمن على مال إذا قصر وفرط في ما أمر به وهو المعصية إذا اعترض بخيانة أو غيرها ولهذا قال {وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدُوانِ} المائدة 2 فالإثم هو المعصية والله أعلم وقال النبي إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحرم محارم فلا تنتهكواها وحد حدودا فلا تعتدواها وسكت عن أشياء رحمة لكم من غير نسيان فلا تسألوا عنها فالمعصية تضييع الفرائض وانتهاك المحارم وهو مخالفة الأمر والنهي والاعتداء مجاوزة حدود المباحثات وقال تعالى { يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَابَ} الأعراف 157 فالمعصية مخالفة أمره ونهيه والاعتداء مجاوزة ما احله إلى ما حرمه وكذلك قوله والله أعلم {رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا} آل عمران 147 فالذنب المعصية والإسراف الاعتداء ومجاوزة الحد واعلم أن مجاوزة الحد هي نوع من مخالفة النهي لأن اعتداء الحد محرم منهي عنه فيدخل في قسم المنهي عنه لكن المنهي عنه قسمان منهي عنه مطلقا كالكفر فهذا فعله إثم ومنهي عنه وقسم أبيح منه أنواع ومقادير وحرم الزيادة على تلك الأنواع والمقادير فهذا فعله عدوان وكذلك قد يحصل العدوان في المأمور به كما يحصل في المباح فإن الزيادة على المأمور به قد يكون عدوانا وقد يكون مباحا مطلقا وقد يكون مباحا إلى غاية فالزيادة عليها عدوان ولهذا التقسيم قيل في الشريعة هي الأمر والنهي

¹ الاستقامة ج: 2 ص: 30

والحلال والحرام والفرض والحدود والسنن والأحكام فالفرائض هي المقادير في المأمور به^١
والحدود النهايات لما يجوز من المباح المأمور به وغير المأمور به^٢

أهل السنة في باب أسماء الله وصفاته وسط بين أهل التعطيل وبين أهل التمثيل

فأهل السنة والجماعة في الفرق فهم في باب أسماء الله وآياته وصفاته وسط بين أهل التعطيل الذين يلحدون في أسماء الله وآياته ويعطّلون حقائق ما نعت الله به نفسه حتى يشبهوه بالعدم والموات وبين أهل التمثيل الذين يضربون له الأمثلة ويشبهونه بالمخلوقات فيؤمنون بأهل السنة والجماعة بما وصف الله به نفسه وما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف وتمثيل وهو في باب خلقه وأمره وسط بين المكذبين بقدرة الله الذين لا يؤمنون بقدرته الكاملة ومشيئته الشاملة وخلقه لكل شيء وبين المفسدين لدين الله الذين يجعلون العبد ليس له مشيئة ولا قدرة ولا عمل فيعطّلون الأمر والنهي والتثواب والعقاب فيصيرون بمنزلة المشركين الذين قالوا **{لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ تَحْنُّ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ}** {النحل: ٣٥} فيؤمنون بأهل السنة بأن الله على كل شيء قادر فيقدر أن يهدي العباد ويقلب قلوبهم وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن فلا يكون في ملكه ما لا يريد ولا يعجز عن إنفذ مراده وأنه خالق كل شيء من الأعيان والصفات والحركات ويؤمنون أن العبد له قدرة ومشيئة وعمل وأنه مختار ولا يسمونه مجوراً إذ المجبور من أكره على خلاف اختياره والله سبحانه جعل العبد مختاراً لما يفعله فهو مختار مرید والله خالقه وخلق اختياره وهذا ليس له نظير فإن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاتيه ولا في أفعاله^٢

يجب على الخلق الاقرار بما جاء به النبي

قال تعالى {وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ تَحْنُّ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهُنَّ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا التَّلَاقُ الْمُبِينُ} {النحل: ٣٥} يجب على الخلق الاقرار بما جاء به النبي فما جاء به القرآن العزيز أو السنة المعلومة وجب على الخلق الاقرار به جملة وتفصيلاً عند العلم بالتفصيل فلا يكون الرجل مؤمناً حتى يقر بما جاء به النبي وهو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فمن شهد أنه رسول الله شهد أنه صادق فيما يخبر به عن الله تعالى فان هذا حقيقة الشهادة بالرسالة اذ الكاذب ليس برسول فيما يكذبه وقد قال الله تعالى {وَلَوْ تَقُولَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَوِيلِ} {٤٤} لَاخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ {٤٥} ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتَنِينَ {٤٦} الحافظة 44-46 وبالجملة فهذا معلوم بالاضطرار من دين الاسلام لا يحتاج الى تقريره هنا وهو الاقرار بما جاء به النبي وهو ما جاء به من القرآن والسنة كما قال الله تعالى {كَمَا

^١ مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 361-363

^٢ مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 374

أَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيْكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ } البقرة 151 وقال تعالى { وَانذُرُوهُمْ نَعْمَلَتِ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ } البقرة 231 وما جاء به الرسول أمر الله له بالبلاغ المبين كما قال تعالى { فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ } النحل 35 وقال تعالى { وَأَنَزَلْنَا إِلَيْكَ الذِكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ } النحل 44 وقال تعالى { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلَغْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ } المائدة 67 ومعلوم أنه قد بلغ الرسالة كما أمر ولم يكتم منها شيئاً فأن كتمان ما أنزله الله إليه يناقض موجب الرسالة ومن المعلوم من دين المسلمين أنه معصوم من الكتمان لشيء من الرسالة كما أنه معصوم من الكذب فيها والأمة تشهد له بأنه بلغ الرسالة كما أمره الله وبين ما أنزل إليه من ربه وقد أخبر الله بأنه قد أكمل الدين وإنما كمل بما بلغه اذ الدين لم يعرف الا بتبلیغه فعلم أنه بلغ جميع الدين الذي شرعه الله لعباده كما قال صلی الله عليه وسلم ترکتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي الا هالك وقال ما تركت من شيء يقربكم الى الجنة الا وقد حدثكم به وما من شيء يبعركم عن النار الا وقد حدثكم به وقال أبو ذر لقد توفى رسول الله وما طائر يقلب جناحيه في السماء الا ذكر لنا منه علما¹

كلما ازداد العبد تحقيقاً للعبودية ازداد كماله

فإن الله تعالى أرسل الرسل ليدعوا الخلق إلى عبادته وحده لا شريك له كما قال تعالى وأخبر عن كلنبي أنه دعا قومه إلى ذلك **{وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَبِوَا الطَّاغُوتَ فَمَنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمَنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ }** النحل 36 فكمال الإنسان وصلاحه وسعادته في أن يعبد الله وحده لا شريك له وهذا هو الإسلام العام الذي بعث الله به جميع الرسل وهو الذي لا يقبل من أحد دينا غيره لا من المتقدمين ولا من المتأخرین²

فكمال المخلوق في تحقيق عبوديته الله وكلما ازداد العبد تحقيقاً للعبودية ازداد كماله وعلت درجته ومن توهם أن المخلوق يخرج عن العبودية بوجه من الوجه أو أن الخروج عنها أكمل فهو من أجهل الخلق وأضلهم قال تعالى { وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادُ مُكْرَمُونَ } 26 { لَا يَسِئُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ } 27 الأنبياء 26-27 إلى قوله { وَهُمْ مِنْ خَشِّيَتِهِ مُسْفِقُونَ } الأنبياء 28 وقال تعالى { لَّمَنْ يَسْتَكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَكِفُ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكِبِرُ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا } النساء 172 إلى قوله { وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا } النساء 173 وهذا ونحوه مما فيه وصف اكابر المخلوقات بالعبادة وذم من خرج عن ذلك

¹ مجموع الفتاوى ج: 5 ص: 156

² الصحفية ج: 2 ص: 242

متعدد في القرآن وقد أخبر أنه أرسل جميع الرسل بذلك فقال تعالى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} النحل 36¹

تعليق النجاة والفلاح واقتضاء السعادة في الآخرة بالتوحيد

التوحيد الذي جاءت به الرسل ونزلت به الكتب وبه بعث الله الأولين والآخرين من الرسل تعالى {وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلَنَا أَجْعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ الَّهَ يُعْبُدُونَ} الزخرف 45 وقال تعالى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالُ} النحل 36 وقال تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} الأنبياء 25 وقد أخبر الله تعالى عن كل من الرسل مثل نوح وهود وصالح وشعيب وغيرهم أنهم قالوا لقومهم آذبوا الله مالكم من إله غيره وهذا أول دعوة الرسل وأخرها قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح المشهور أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنني رسول الله فإذا قالوها فقد عصموها من دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح أيضاً من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة وقال من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة القرآن كله مملوء من تحقيق هذا التوحيد والدعوة إليه وتعليق النجاة والفلاح واقتضاء السعادة في الآخرة به ومعلوم أن الناس متفضلون في تحقيقه وحقيقة إخلاص الدين كله لله والفناء في هذا التوحيد مقررون بالبقاء وهو أن تثبت إلهية الحق في قلبك وتنتفي إلهية ما سواه فتجمع بين النفي والإثبات فتقول لا إله إلا الله فالنفي هو الفناء والإثبات هو البقاء وحقيقة أن تنتفي بعبادته عما سواه ومحبته عن محبة ما سواه وبخشتيه عن خشية ما سواه وبطاعته عن طاعة ما سواه وبموالاته عن موala ما سواه وبسوءاته عن سؤال ما سواه وبالاستعاذه به عن الاستعاذه بما سواه وبالتوكل عليه عن التوكل على ما سواه وبالتفويض إليه عن التقويض إلى ما سواه وبالإنابة إليه عن الإنابة إلى ما سواه وبالتحاكم إليه عن التحاكم إلى ما سواه وبالنخاصم إليه عن التخاصم إلى ما سواه وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول إذا قام يصلني من الليل وقد روی أنه كان يقوله بعد التكبير لله لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن ولد الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ولد الحمد أنت الحق وقولك الحق ووعدك الحق ولقاوك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد حق لله لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنت وبك خاصمت وإليك حاكمت فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت وقال تعالى {قُلْ أَغَيْرُ اللَّهِ أَتَّخُذُ وَلِيًّا فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعِمُ} الأنعام 14 وقال {أَفَعَيْرَ اللَّهُ أَنْتَغَيْ حَكِمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا} الأنعام 114 وقال {أَفَعَيْرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيْهَا الْجَاهِلُونَ} 64 {وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لِيَحْبَطَنَ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَ مِنَ الْخَاسِرِينَ} 65 {بِلِ اللَّهِ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنْ الشَّاكِرِينَ} 66 الزمر 64-66 وقال تعالى {قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينِي قِيمًا مَلِّهَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} 161 {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ

¹ الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 377 و مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 178

الْعَالَمِينَ {162} لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أَمْرَتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ {163} قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبّاً وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكُسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا {164} الْأَنْعَامُ 161-164 وهذا التوحيد كثير في القرآن وهو أول الدين وأخره وباطن الدين وظاهره وذروة سنام هذا التوحيد لأولى العزم من الرسل ثم للخليلين محمد وإبراهيم صلى الله عليهما وسلم تسليما¹

الأنبياء جميعهم وأممهم كانوا مسلمين مؤمنين موحدين

لما بعث الله خاتم المرسلين وأفضل النبيين محمدا صلى الله عليه وسلم إمام التوحيد الذي بعث الله به الرسل قبله وأظهره وخلصه من شوائب الشرك فظهر التوحيد بسببه ظهورا فضله الله به وفضل به امته على سائر من تقدم الأنبياء كلهم كانوا مسلمين فان الأنبياء جميعهم وأممهم كانوا مسلمين مؤمنين موحدين لم يكن قط دين يقبله الله غير الإسلام وهو عبادة الله وحده لا شريك له كما قال تعالى {وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلْنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبُدُونَ} الزخرف 45 وقال تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونَ} الأنبياء 25 وقال تعالى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَبَوْا الطَّاغُوتَ فَمَنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمَنْهُمْ مَنْ حَقَّ عَلَيْهِ الضَّلَالُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ} النحل 36 وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انا مبشر الانبياء ديننا واحد وإن أولى الناس بابن مريم لأنها ليس بيدي وبينهنبي وقد أخبر الله في القرآن عن جميع الانبياء وأممهم من نوح الى الحواريين أنهم كانوا مسلمين مؤمنين²

ان اصل دينهم الذي انزل الله به الكتب وأرسل به الرسل ليس فيه شرك³

والله تعالى إنما بعث المسيح بدين الرسل بدين الإسلام وهو عبادة الله وحده لا شريك له وقد أخبر الله تعالى عن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وغيرهم من الرسل والمؤمنين إلى زمان الحواريين أن دينهم كان الإسلام قال تعالى عن نوح عليه السلام {وَإِنَّ عَلَيْهِمْ نَبَأً نُوحٌ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذَكِّرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وَشَرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غَمَّ ثُمَّ أَفْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْتَظِرُونَ} 71 فإن توكلت فما سالتكم من أجر إن أجري إلا على الله وأمرت أن تكون من المسلمين⁴ يونس 71-72 وقال تعالى عن إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام {وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مَلَةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفَهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَا فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمَنِ الصَّالِحِينَ} 130 إذ قال له ربُّه أسلم قال أسلمت لرب العالمين⁵ 131 ووصى بها إبراهيم بنبيه ويعقوب يابني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتون إلا وأنتم

¹ منهاج السنة النبوية ج: 5 ص: 346-349

² الرد على المنطقين ج: 1 ص: 290

³ مجموع الفتاوى ج: 35 ص: 220

مُسْلِمُونَ } 132 { أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبْنَيْهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي فَأَلْوَأْ نَعْبُدُ إِلَهًا كَوَافِرَ أَبَائِكُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } 133 { البقرة 130-133

وقال تعالى عن موسى عليه الصلاة والسلام {وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليكم ثوابكم وإن كنتم مسلمين} يونس 84 وقال {إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبئون الذين أسلمو للذين هادوا} المائدة 44 وقال عن بلقيس {قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان الله رب العالمين} النمل 44 وقال عن الحواريين {وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا وأشهدنا بأننا مسلمون} المائدة 11 وقد أخبر الله عن أول الرسل نوح عليه السلام ومن بعده من الرسل انهم قالوا لقومهم {اعبدوا الله ما لكم من إله غيره} الأعراف 59 وقال نوح {ولَا أقول لكم عذبي خرائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إني ملك ولا أقول للذين تزدرني أعنيكم لن يؤتنيهم الله خيرا الله أعلم بما في أنفسهم إني إذا لمن الطالبين} هود 31 وكذلك قال لخاتم الرسل {قل لا أقول لكم عذبي خرائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إني أتبع إلا ما يوحى إلي} الأنعام 50 فتوسط البشر بالرسالة مثل توسط الملك بالرسالة كما قال تعالى {الله يصطفى من الملائكة رسلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} الحج 1¹

و التوحيد هو أصل الدين الذي لا يقبل الله من الأولين والآخرين دينا غيره وبه أرسل الله الرسل وأنزل الكتب وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله يرضي لكم ثلاثة أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم²

الله تعالى قد بعث في كل قوم نبيا

قال {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَبِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالُهُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ} النحل 36 فهذا إخبار منه سبحانه وتعالى بأنه بعث في كل أمة رسولا يدعوهم إلى عبادة الله وحده³

وقد ذكر الله عز وجل عن كل من الرسل أنه افتح دعوته بأن قال لقومه اعبدوا الله مالكم من إله غيره⁴ أخير أنه ليس أمة من الأمم إلا خلا فيها نذير كما قال {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَبِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالُهُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ} النحل 36 ثم أخبر أن الذين من قبلهم جاءتهم رسليهم بالبيانات وبالزبر والكتاب المنير وهذا من عطف الخاص على العام لاختصاصه بوصف يختص به⁵

¹ منهاج السنة النبوية ج: 1 ص: 319-320 و الرد على المنطقيين ج: 1 ص: 38

² مجموع الفتاوى ج: 27 ص: 164 و مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 154

³ الجواب الصحيح ج: 2 ص: 230

⁴ مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 154

⁵ الجواب الصحيح ج: 6 ص: 383

وَهَذَا كَوْلُهُ تَعَالَى فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَإِنْ مَنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ} فاطر 24 وقوله {وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَيْهُ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلَكُلُّ قَوْمٍ هَادِ} الرعد 7 في أصح الأقوال أي ولكل قوم داع يدعوه إلى توحيد الله وعبادته كما أنت هاد أي داع لمن أرسلت إليه والهادي بمعنى الداعي المعلم المبلغ لا بمعنى الذي يجعل الهدى في القلوب قوله {وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} 52 صِرَاطُ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ} 53 الشورى 53-52¹

وقد بعث الله قبل رسلاً كثريين وقد روى في حديث أبي ذر أن عدتهم ثلاثة وثلاثة عشر وفي الحديث الذي في المسند عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبي أنه قال أنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمتها على الله عز وجل وهذه السبعون سواء كانت هي التي هداها أو هي الجميع فإنه يدل على كثرة الرسل²

فهذا يبين أن كل أمة قد جاءها رسول فكيف لم يعرف هؤلاء الرسل قلت عن هذا جواباً أحدهما أن كثيراً من هؤلاء لم يعرفوا الرسل كما قال {وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسَيِّرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ} النحل 36 فلم تبق أخبار الرسول وأقواله معروفة عندهم الثاني أنه قال تعالى {تَالَّهُ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَّةٍ مِنْ قَبْلِكَ فَرَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} النحل 63 فإذا كان الشيطان قد زين لهم أعمالهم كان في هؤلاء من درست أخبار الأنبياء عندهم فلم يعرفوها³

فإن الله تبارك وتعالى جعل محمداً صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وأكمل له ولأمته الدين وبعثه على حين فترة من الرسل وظهور الكفر وانطمام السبل فأحيا به ما درس من معلم الإيمان وقمع به أهل الشرك من عباد الأوثان والنيران والصلبان وأذل به كفار أهل الكتاب أهل الشك والأرتياش وأقام به منار دينه الذي ارتضاه وشدّ به ذكر من اجتباه من عباده واصطفاه وأظهر به ما كان مخفياً عند أهل الكتاب وأبيان به ما عدلوا فيه عن منهج الصواب وحقق به صدق التوراة الزبور والإنجيل وأماط به عنها ما ليس بحقها من باطل التحريف والتبديل وكان من سنة الله تبارك وتعالى موافرة الرسل وتعيم الخلق بهم بحيث يبعث في كل أمة رسولاً ليقيم هداه وحجه كما قال تعالى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسَيِّرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ} 36 سورة النحل الآية 36⁴

¹الجواب الصحيح ج: 2 ص: 100

²الجواب الصحيح ج: 4 ص: 9

³النبوات ج: 1 ص: 25

⁴الجواب الصحيح ج: 1 ص: 79

حبب الله لlama الإسلامية الإيمان وزيته في قلوبهم فجعلهم متبوعين لرسوله صلى الله عليه وسلم وعصمهم أن يجتمعوا على ضلاله كما ضلت الأمم قبلهم إذ كانت كل أمة إذا ضلت أرسل الله تعالى رسولًا إليهم كما قال تعالى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ} **النحل** 36 وقال تعالى {وَإِنْ مَنْ أُمَّةٌ إِلَّا خَلَّ فِيهَا نَذِيرٌ} فاطر 24 محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء لا نبي بعده فعصم الله أمهاته أن تجتمع على ضلاله وجعل فيها من تقوم به الحجة إلى يوم القيمة ولهاذا كان إجماعهم حجة كما كان الكتاب والسنة حجة ولهاذا امتاز أهل الحق من هذه الأمة والسنة والجماعة عن أهل الباطل الذين يزعمون أنهم يتبعون الكتاب ويعرضون عن سنة رسول الله وعما مضت عليه جماعة المسلمين فإن الله أمر في كتابه باتباع سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولزوم سبيله وأمر بالجماعة والاتلاف ونهى عن الفرقة والاختلاف¹

خلق الله الخلق لتكون كلمة الله هي العليا

قال تعالى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ} **النحل** 36 فان الله سبحانه وتعالى انما خلق الخلق لتكون كلمة الله هي العليا ويكون الدين كله لله وبه انزل الكتب وبه أرسل الرسل وعليه جاهد الرسول والمؤمنون قال الله تعالى {وَمَا خَلَقْتُ الْحَنَّ وَالْإِنْسَانَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ} **الذاريات** 56 وقال تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونَ} **الأنبياء** 25 وقال {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} **النحل** 36 وقد أخبر عن جميع المرسلين ان كلا منهم يقول لقومه {أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُهُ} **الأعراف** 59 وعباداته تكون بطاعته وطاعة رسوله وذلك هو الخير والبر والتقوى والحسنات والقربات والباقيات والصالحات والعمل الصالح وان كانت هذه الاسماء بينها فروق لطيفة ليس هذا موضعها وهذا الذي يقاتل عليه الخلق كما قال تعالى {وَقَاتَلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ} **الأنفال** 39 وفي الصحيحين عن أبي موسى الاشعري رضى الله عنه قال سئل النبي عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رباء فأى ذلك في سبيل الله فقال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله²

أصل الإيمان توحيد الله والإيمان برسله

¹ مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 368 و الرد على المنطقيين ج: 1 ص: 450

² مجموع الفتاوى ج: 28 ص: 61
102

قال تعالى { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسَيِّرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ } النحل 36 و أصل الإيمان توحيد الله بعبادته وحده لا شريك له والإيمان برسله كما قال تعالى { فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ } 92 { عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ } 93 الحجر 92-93 قال أبو العالية ختان تسأل العباد يوم القيمة عنهم مما كانوا يعملون وعما اجابوا الرسل ولهذا يقرر الله هذين الأصلين في غير موضع من القرآن بل يقدمهما على كل ما سواهما لأنهما أصل الأصول ومن هذا قوله تعالى { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ } النحل 36 و كان النبي يقرأ في ركعتي الفجر بسورتي الإخلاص تارة وتارة قوله تعالى { قُولُوا أَمَّا بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْ إِبْرَاهِيمَ } البقرة 136 الآيات وفي الثانية { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلْمَةٍ سَوَاءٌ بَيْنَنَا وَبَيْنُكُمْ أَلَا تَعْبُدُ إِلَّا اللَّهُ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهُدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ } آل عمران 64 وهذا باب واسع لأن الناس مضطرون إلى هذين الأصلين فلا ينجون من العذاب ولا يسعون إلا بهما فعليهم أن يؤمنوا بالأنبياء وما جاؤوا به وأصل ما جاؤوا به أن لا يعبدوا إلا الله وحده كما قال { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونَ } الأنبياء 25 وقال تعالى { وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ أَلَّهُ يُعْبُدُونَ } الزخرف 45 وقال تعالى { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ } النحل 36 والأنبياء صلوات الله عليهم وسلم هم وسائل بين الله وبين خلقه في تبليغ كلامه وأمره ونهايه ووعده وأنبيائه التي أنبأ بها عن اسمائه وصفاته وملائكته وعرشه وما كان وما يكون¹

{وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ }

قال تعالى { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسَيِّرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ } النحل 36 والله سبحانه له حقوق لا يشركه فيها غيره وللرسل حقوق لا يشركهم فيها غيرهم وللمؤمنين على المؤمنين حقوق مشتركة ففي الصحيحين عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم فقال لي يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد قلت الله ورسوله أعلم قال حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً يا معاذ أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك قلت الله ورسوله أعلم قال حقهم عليه أن لا يعبدتهم فما أنت إلا مستحق أن يعبد لا يشرك به شيء وهذا هو أصل التوحيد الذي بعث الله به الرسل وأنزلت به الكتب قال تعالى { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسَيِّرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ } النحل 36²

¹ مجموع الفتاوى ج: 27 ص: 279

² اقتضاء الصراط ج: 1 ص: 447

و قال الله سبحانه و تعالى {وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ } البينة 5 و قال النبي صلى الله عليه وسلم فمن كانت هجرته إلى الله و رسوله فهجرته إلى الله و رسوله و من كانت هجرته إلى دنيا يصيبيها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه فإنه صلى الله عليه و سلم ميز بين مقصود و مقصود و هذا المقصود في الجملة لابد منه في كل فعل اختياري قال النبي صلى الله عليه و سلم أصدق الأسماء حارث و همام فإن كل بشر بل كل حيوان لابد له من همة و هو الإرادة و من حرث و هو العمل إذ من لوازم الحيوان أنه يتحرك بإرادته ثم ذلك الذي يقصده هو غايته و إن كان قد يحدث له بعد ذلك القصد قصد آخر و إنما تطمئن النفوس بوصولها إلى مقصودها وبها يتميز من يعبد الله مخلصا له الدين من يعبد الطاغوت أو يشرك بعبادة ربه و من يريد حرث الآخرة من يريد حرث الدنيا و هو الدين الخالص لله الذي تشتراك فيه جميع الشرائع الذي نهى الأنبياء عن التفرق فيه كما قال تعالى {شَرَعَ لَكُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَنَقِّرُوْفَا فِيهِ } الشورى 13 ولهذا كان دين الأنبياء واحدا و إن كانت شرائعهم متعددة قال تعالى {وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ الَّهَ يُعْبُدُونَ } الزخرف 45 و قال تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } الأنبياء 25 و قال تعالى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ } النحل 36 و قال تعالى {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ } الذاريات 56 و قال تعالى {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ } البقرة 21¹

الدين واحد و ان تفرقت الشريعة والمنهاج

قال تعالى { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهَ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالُهُ فَسَبِّرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ } النحل 36 و قال الله تعالى { مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ كُونُوا عَبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنَّ كُونُوا رَبَّانِيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ } 79 وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّنَ أَرْبَابًا أَيَّامُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ أَذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } 80 آل عمران 79-80 والله تعالى بعث الرسل وأنزل الكتب ليكون الدين كله لله وقال النبي في الحديث الصحيح أنا معشر الأنبياء وديتنا واحد فالدين واحد و ان تفرقت الشريعة والمنهاج قال الله تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } الأنبياء 25 و قال الله تعالى {وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ الَّهَ يُعْبُدُونَ } الزخرف 45 و قال الله تعالى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ } النحل 36 و من حين بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم ما يقبل من أحد بلغته الدعوة الا الدين الذي بعثة به فان دعوته عامة لجميع الخلق²

فى توحد الملة وتعدد الشرائع وتنوعها وتوحد الدين الملى دون الشروعى وما فى ذلك من افراط ونسخ وجريان ذلك فى اهل الشريعة الواحدة بنوع من الاعتبار قال الله تعالى {وَإِذَا ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ

¹ مجموع الفتاوى ج: 26 ص: 23-27

² مجموع الفتاوى ج: 18 ص: 318

رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعَلْتَ لِلنَّاسِ إِمَاماً { البقرة 124} فهذا نص في انه امام الناس كلهم وقال {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أَمَّةً } النحل 120 وهو القدوة الذي يؤتم به وهو معلم الخير وقال تعالى في آل عمران {شَهَدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأَوْلُوا الْعِلْمُ قَائِمًا بِالْقُسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ } 18 {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعْدَأَبَيْنَهُمْ } 19 {آل عمران 18-19} فاخبر ان الدين عند الله الاسلام وان الذين اختلفوا من اهل الكتاب وصاروا على ملل شتى ما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم وفيه بيان ان الدين واحد لا اختلاف فيه وقال {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أَمَّةً قَانِتَ اللَّهَ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } 120 شاكراً لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم {121} وآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لِمَنَ الصَّالِحِينَ } 122 ثم أوحينا إليه أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين {123} النحل 120-123 وذكر في النحل دعوة المرسلين جميعهم واتفاقهم على عبادة الله وحده لا شريك له فقال {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالُ } النحل 36 الاية وهذا في القرآن مذكور في مواضع كثيرة وكذلك في الأحاديث الصحيحة مثل ما ترجم عليه البخاري فقال باب ما جاء في أن دين الأنبياء واحد وذكر الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة عن النبي قال أنا معاشر الأنبياء اخوة لعلات ومثل صفتة في التوراة لن أقبحه حتى أقيم به الملة العوجاء فافتح به أعيننا عمياً وأذاناً صماً وقلوباً غلباً ولهذا وحد الصراط والسبيل في مثل قوله تعالى {اهدنا الصراط المستقيم} 6 صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضاللين 7 الفاتحة-6 والاسلام دين جميع المرسلين ¹

التوحيد هو أعظم العدل والشرك وهو أعظم الظلم

قال تعالى { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالُ } النحل 36 وقوله تعالى { أَمَرَ رَبِّي بِالْقُسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهُكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ } الأعراف 29 أمر مع القسط بالتوحيد الذي هو عبادة الله وحده لا شريك له وهذا أصل الدين وضده هو الذنب الذي لا يغفر قال تعالى {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنِ يَشَاءُ } النساء 48 وهو الدين الذي أمر الله به جميع الرسل وأرسلهم به إلى جميع الأمم قال تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } الأنبياء 25 وقال تعالى {وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُلْنَا أَجْعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ الَّهَ يُعْبُدُونِ } الزخرف 45 وقال تعالى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ } النحل 36 وقال تعالى {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَنْقِرُوْفُوا فِيهِ } الشورى 13 وقال تعالى {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيَّابَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلَيْمٌ } 51 { وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أَمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونَ } 52 المؤمنون 51-52 ولهذا ترجم البخاري في صحيحه باب ما جاء في أن دين الأنبياء واحد وذكر الحديث الصحيح في ذلك

¹ مجموع الفتاوى ج: 19 ص: 109

وهو الإسلام العام الذي اتفق عليه جميع النبيين قال نوح عليه السلام {وَأَمْرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ} يومنس 72 وقال تعالى في قصة إبراهيم {إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمَ بْنَيْهِ وَيَعْقُوبَ يَا بْنِي إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} البقرة 131-132 {وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمَ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ} يومنس 84 وقال تعالى {قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ أَمَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَا مُسْلِمُونَ} آل عمران 52 وقال في قصة بلقيس {رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} النمل 44 وقال {إِنَّا أَنْزَلْنَا التُّورَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ} المائدة 44 وهذا التوحيد الذي هو أصل الدين هو أعظم العدل وضده وهو الشرك أعظم الظلم كما أخر جاه في الصحيحين عن عبدالله بن مسعود قال لما أنزلت هذه الآية {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُلْسِنُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ} الأنعام 82 شق ذلك على أصحاب النبي وقالوا أينما لم يظلم نفسه فقال ألم تسمعوا إلى قول العبد الصالح إن الشرك لظلم عظيم وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال قلت يا رسول الله أى الذنب أعظم قال إن تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم أى قال ثم أنتقتل ولدك خشية أن يطعم معك قلت ثم أى قال أن تزاني بحليلة جارك فأنزل الله تصدق ذلك {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتَلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَرْزُونَ وَمَنْ يَفْعُلْ ذَلِكَ يُلْقَى أَثَاماً} الفرقان 68 الآية وقد جاء عن غير واحد من السلف وروى مرفوعاً الظلم ثلاثة دواوين فديوان لا يغفر الله منه شيئاً وديوان لا يترك الله منه شيئاً وديوان لا يعبأ الله به شيئاً فأما الديوان الذي لا يغفر الله منه شيئاً فهو الشرك فإن الله لا يغفر أن يشرك به وأما الديوان الذي لا يترك الله منه شيئاً فهو ظلم العباد بعضهم بعضاً فإن الله لا بد أن ينصف المظلوم من الظلم وأما الديوان الذي لا يعبأ الله به شيئاً فهو ظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه أى مغفرة هذا الضرب ممكناً بدون رضى الخلق فإن شاء عذب وهذا الظالم لنفسه وإن شاء غفر له¹

دين الله العام الذي لا يقبل من أحد سواه وبه بعث جميع الرسل

قال تعالى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَدَّبِينَ} النحل 36 وقد أرسل الله جميع الرسل وأنزل جميع الكتب بالتوحيد الذي هو عبادة الله وحده لا شريك له كما قال الله تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوَحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْدُونَ} الأنبياء 25 وقال تعالى {وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ أَلَهَهُ يُعْبُدُونَ} الزخرف 45 وقال تعالى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ} النحل 36 وقال تعالى {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيَّابَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} 51 {وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونَ} 52 المؤمنون 51-52 وقد قالت الرسل كلهم مثل نوح وهود وصالح وغيرهم {أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَقُوْهُ وَأَطِيْعُونِ} نوح 3 فكل الرسل دعوا إلى عبادة الله وحده لا شريك له والى طاعتهم والإيمان بالرسل

¹ مجموع الفتاوى ج: 18 ص: 160-162 و الفتوى الكبرى ج: 1 ص: 415

هو الاصل الثاني من اصلى الاسلام فمن لم يؤمن بأن محمدًا رسول الله إلى جميع العالمين وانه يجب على جميع الخلق متابعته وان الحلال ما أحله الله والحرام ما حرمته الله والذين ما شرعته ف فهو كافر¹

والله تعالى بعث الرسل وانزل الكتب ليكون الدين كله الله وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح أنا مبشر الأنبياء ديننا واحد فالدين واحد وان تفرق الشرعة والمنهج قال الله تعالى **{وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَبِبُوا الطَّاغُوتَ}** {النحل} 36 ومن حين بعث الله محمدًا ما يقبل من أحد بلغته الدعوة إلا الدين الذي بعثه به فان دعوته عامة لجميع الخلائق قال الله تعالى **{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَةً لِلنَّاسِ}** {سبأ} 28 وقال لا يسمع بي من هذه الامةيهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار²

فأعلم ان مسائل التكفير والتفسيق هي من مسائل الأسماء والأحكام التي يتعلق بها الوعد والوعيد في الدار الآخرة وتعلق بها الموالاة والمعاداة والقتل والعصمة وغير ذلك في الدار الدنيا فان الله سبحانه وتعالى أوجب الجنة للمؤمنين وحرم الجنة على الكافرين وهذا من الأحكام الكلية في كل وقت ومكان قال الله تعالى **{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خُوفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}** {البقرة} 62 وقال تعالى لما ذكر قول اليهود والنصارى **{وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيْهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}** {البقرة} 111 فأمر أن يطالبهم بالبرهان على هذا النفي العام وما فيه من الإثبات الباطل ثم قال **{بَلِّي مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خُوفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}** {البقرة} 112 فأخبر سبحانه عن ماضى من كان متمسكا بدين حق من اليهود والنصارى والصابئين وعن المؤمنين بعد مبعث محمد أنه من جمع الخصال الثالث التي هي جماع الصلاح وهي الإيمان بالخلق والبعث بالمبدأ والمعاد الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح وهو أداء المأمور به وترك المنهي عنه فإن له حصول الثواب وهو أجره عند ربها واندفاع العقاب فلا خوف عليه مما أمامه ولا يحزن على ما وراءه ولذلك قال **{بَلِّي مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ}** {البقرة} 112 أخلاص الدين لله وهو عبادته وحده لا شريك له وهو حقيقة قوله **{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}** {الفاتحة} 5 **{وَهُوَ مُحْسِنٌ}** {البقرة} 112 ف الأول وهو إسلام الوجه هو النية وهذا الثاني وهو الإحسان هو العمل وهذا الذي ذكره في هاتين الآيتين هو الإيمان العام والاسلام العام الذي أوجبه الله على جميع عباده من الأولين والآخرين وهو دين الله العام الذي لا يقبل من احد سواه وبه بعث جميع الرسل كما قال تعالى **{وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَبِبُوا الطَّاغُوتَ}** {النحل} 36³

¹مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 52

²مؤلفات ابن تيمية ج: 11 ص: 522

³مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 468-470

من خرج عن النبوات وقع في الشرك وغيره

وكل أمة مشركة أصل شركها عدم كتاب منزل من السماء وكل أمة مخلصة أصل اخلاصها كتاب منزل من السماء فان بني آدم محتاجون الى شرع يكمل فطرهم فافتتح الله الجنس بنبوة آدم كما قال تعالى {وَعَلَمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا } البقرة 31 وهم جرا فمن خرج عن النبوات وقع في الشرك وغيره وهذا عام في كل كافر غير كتابي فانه شرك وشركه لعدم إيمانه بالرسل الذين قال الله فيهم {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} النحل 36 ولم يكن الشرك أصلاً في الأدմيين بل كان آدم ومن كان على دينه من بنيه على التوحيد للاتباعهم النبوة قال تعالى {وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا مَأْمَةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا } يونس 19 قال ابن عباس كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الاسلام فبتركهم اتباع شريعة الانبياء وقعوا في الشرك لا يبوق عليهم في الشرك خرجوا عن شريعة الاسلام فان آدم أمرهم بما أمره الله به حيث قال له { فَامَّا يَأْتِنَّكُمْ مِنْ هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدًى اَيْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } 38 { وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا اُولَئِكَ اَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } 39 { البقرة 38-39 وقال في الآية الأخرى } فَمَنْ اتَّبَعَ هُدًى فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى } 123 { وَمَنْ أَغْرَضَ عَنِ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى } 124 { قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً } 125 { قال كذلك أنتك أيتنا فنسينا و كذلك اليوم ننسى } 126 { طه 123-126 فهذا الكلام الذي خاطب الله به آدم وغيره لما اهبطهم قد تضمن أنه اوجب عليهم اتباع هداه المنزل وهو الوحي الوارد على أنبيائه وتضمن ان من اعرض عنه وان لم يكذب به فإنه يكون يوم القيمة في العذاب المهيمن وان معيشته تكون ضنكـا في هذه الحياة وفي البرزخ والآخرة وهو المضنوكة النكدة المحشوة بأنواع الهموم والغموم والاحزان كما أن الحياة الطيبة هي لمن آمن وعمل صالحـا فمن تمـكـ به فإنه لا يشرك بربه فان الرسل جميعهم أمرـوا بالـتوحـيد وأمرـوا به قال تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونَ } الأنـبياء 25 فـيـنـ انه لا بد ان يوحـي بالـتوـحـيد الى كل رسـول وـقال تـعالـى {وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ أَلَهَهُ يُعْبُدُونَ } الزـخرـف 45 فـيـنـ انه لم يـشرعـ الشرـكـ قـطـ فـهـذـانـ النـصـانـ قدـ دـلاـ عـلـىـ أنهـ اـمـرـ بالـتوـحـيدـ لـكـلـ رسـولـ وـلمـ يـأـمـرـ بـالـاشـراكـ قـطـ وـقدـ اـمـرـ آـدـمـ وـبـنـيـةـ مـنـ حينـ اـهـبـطـ بـاتـبـاعـ هـدـاهـ الـذـيـ يـوـحـيـهـ إـلـىـ الـأـنـبـيـاءـ فـيـتـ قـبـلـتـ اـنـ عـلـةـ الشـرـكـ كـانـ مـنـ تـرـكـ اـتـبـاعـ الـأـنـبـيـاءـ وـالـمـرـسـلـيـنـ فـيـماـ اـمـرـواـ بـهـ مـنـ التـوـحـيدـ وـالـدـيـنـ لـاـ أـنـ الشـرـكـ كـانـ عـلـةـ لـكـفـرـ بـالـرـسـلـ فـانـ اـشـراكـ وـالـكـفـرـ بـالـرـسـلـ مـتـلـازـمـانـ فـيـ الـوـاقـعـ فـهـذـاـ فـيـ الـكـفـارـ بـالـنـبـوـاتـ الـمـشـرـكـيـنـ ¹

أبقي الله سبحانه آثار المكذبين لنعتبر بها ونتعظ

مجموع الفتاوى ج: 20 ص: 106-107^١

وقد بين سبحانه وتعالى أن السنة لا تتبدل ولا تتحول في غير موضع والسنة هي العادة التي تتضمن أن يفعل في الثاني مثل ما فعل بنظيره الاول ولهذا أمر سبحانه وتعالى بالاعتبار وقال {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولَئِي الْأَلْبَابِ} يوسف 111 والاعتبار أن يقرن الشيء بمثله فيعلم أن حكمه مثل حكمه كما قال ابن عباس هل اعتبرتم الاصابع بالإسناد فإذا قال } فَاعْتَبِرُوا يَا أُولَئِي الْأَبْصَارِ} الحشر 2 وقال {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولَئِي الْأَلْبَابِ} يوسف 111 أفاد أن من عمل مثل أعمالهم جوزى مثل جزائهم ليحذر أن يعمل مثل أعمال الكفار وليرغب فى أن يعمل مثل أعمال المؤمنين اتباع الانبياء قال تعالى {لَقَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنُنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ} آل عمران 137¹

قال تعالى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَبِرُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالُ لَهُمْ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ} النحل 36 قص الله علينا أخبار الأمم المكذبة للرسل وما صارت اليه عاقبتهم وأبقى آثارهم وديارهم عبرة لمن بعدهم وموعذة وكذلك مسخ من مسخ قرده وخنازير لمخالفتهم لأنبيائهم وكذلك من خسف به وأرسل عليه الحرارة من السماء وأغرقه في اليم وأرسل عليه الصيحة وأخذه بأنواع العقوبات وإنما ذلك بسبب مخالفتهم للرسل واعراضهم عما جاءوا به واتخاذهم أولياء من دونه وهذه سنته سبحانه فيمن خالف رسله وأعرض عما جاؤوا به واتبع غير سبيلهم ولهذا أبقى الله سبحانه آثار المكذبين لنعتبر بها ونتعظ لئلا نفعل كما فعلوا فيصيّبنا ما أصابهم كما قال تعالى {إِنَّا مُنْزَلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقُرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُدُونَ} 34 {وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيْنَةً لِقَوْمٍ يَعْقُلُونَ} 35 العنكبوت 34-35 وقال تعالى {ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ} 136 {وَإِنَّكُمْ لَتَمْرُونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ} 137 {وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} 138 الصافات 136-138 أي تمرون عليهم نهارا بالصبح وبالليل ثم قال } أَفَلَا تَعْقِلُونَ} الصافات 138 وقال تعالى في مدائن قوم لوط {وَأَنْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِيلٍ} 74 إن في ذلك لآيات لمؤمنين 75 وإنها لبسيل مقيم 76 الحجر 74-76 يعني مدائنهم بطريق مقيم يراها المار بها وقال تعالى {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} يوسف 109 وهذا كثير في الكتاب العزيز يخبر الله سبحانه عن إهلاك المخالفين للرسل ونجاة اتباع المرسلين ولهذا يذكر سبحانه في سورة الشعراء قصة موسى وابراهيم ونوح وعد وثモد ولوط وشعيب وينظر لكل نبى إهلاكه لمكذبيهم والنجاة لهم ولاتباعهم ثم يختتم القصة بقوله {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ} 190 {وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ} 191 الشعراء 190-191 فختم القصة باسمين من اسمائه تقتضيها تلك الصفة وهو العزيز الرحيم فانتقم من أعدائه بعزته وانجى رسله واتباعهم برحمته²

الدعوة إلى الله تكون بدعة العبد إلى دينه وأصل عبادته وحده لا شريك له

¹ مجموع الفتاوى ج: 13 ص: 23

² مجموع الفتاوى ج: 19 ص: 98

قال تعالى { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَبِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهَ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسَيِّرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ } النحل 36 فالدعوة إلى الله تكون بدعة العبد إلى دينه وأصل عبادته وحده لا شريك له كما بعث الله بذلك رسلاه وأنزل به كتبه قال تعالى { شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أُوْحِيَ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ } الشورى 13 وقال تعالى { وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجْعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ أَهْلَهُ يُعْبَدُونَ } الزخرف 45 وقال تعالى { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَبِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ } النحل 36 وقال تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونَ } الأنبياء 25 وقد ثبت في الصحيح عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال أنا معاشر الأنبياء ديننا واحد الأنبياء إخوة لعلات وان أولى الناس بابن مريم لأنها ليس بيني وبينه نبى فالدين واحد وإنما تتوعد شرائعهم ومناهجهم كما قال تعالى { لِكُلِّ جَعْلَنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَاجًا } المائدة 48 فالرسل متلقون في الدين الجامع للأصول الاعتقادية والعلمية فالاعتقادية كالإيمان بالله وبالرسول وباليوم الآخر والعملية كالاعمال العامة المذكورة في الانعام والاعراف وسورة بنى إسرائيل كقوله تعالى { قُلْ تَعَالَوْا أَئْتُ مَا حَرَمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ } الأنعام 151 إلى آخر الآيات الثلاث و قوله { وَقَضَى رَبُّكَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَاهُ } الإسراء 23 إلى آخر الوصايا و قوله { قُلْ أَمْرَ رَبِّي بِالْقُسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهُكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ } الأعراف 29 و قوله { قُلْ إِنَّمَا حَرَمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالإِثْمُ وَالْبَغْيُ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ } الأعراف 33¹

ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا

قال تعالى { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنَّ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَبَوْا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسَيِّرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ } النحل 36 ففى صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا وفي الصحيحين عن النبي انه قال ثلات من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ومن كان يحب المرء لا يحبه الا الله ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد اذ أنفقه الله منه كما يكره ان يلقى في النار وهذا مما يبين من الكلام على المحبة فنقول محبة الله بل محبة الله ورسوله من أعظم واجبات الايمان وأكبر اصوله وأجل قواعده بل هي اصل كل عمل من اعمال الايمان والدين وكما ان التصديق به اصل كل قول من أقوال الايمان والدين فان كل حركة في الوجود انما تصدر عن محبة إما عن محبة محمودة أو عن محبة مذمومة كما قد بسطنا ذلك في قاعدة المحبة من القواعد الكبار فجميع الاعمال الایمانية الدينية لا تصدر إلا عن المحبة المحمودة وأصل المحبة المحمودة هي محبة الله سبحانه وتعالى إذ العمل الصادر عن محبة مذمومة عند الله لا يكون عملا صالحا بل جميع الاعمال الایمانية الدينية لا تصدر إلا عن محبة

مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 159¹

الله إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَقْبِلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا أَرِيدَ بِهِ وَجْهَهُ كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيفَةِ عَنِ النَّبِيِّ إِنَّهُ قَالَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَا أَغْنَى الشَّرْكَاءِ عَنِ الشَّرْكِ فَمَنْ عَمَلَ فَأَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي فَإِنَّا مِنْهُ بَرِئٌ وَهُوَ كُلُّهُ لِلَّذِي أَشْرَكَ وَثَبَتَ فِي الصَّحِيفَةِ فِي حَدِيثِ الْمُتَّلِّثَةِ الَّذِينَ هُمُ اولُّ مَنْ تَسْعَرُ بِهِمُ النَّارُ الْقَارِئُ الْمَرَائِي وَالْمَجَاهِدُ الْمَرَائِي وَالْمَتَصَدِّقُ الْمَرَائِي بَلْ اخْلَاصُ الدِّينِ اللَّهُ هُوَ الدِّينُ الَّذِي لَا يَقْبِلُ اللَّهُ سَوَاهُ وَهُوَ الَّذِي بَعَثَ بِهِ الْأَوْلَى وَالْآخِرِينَ مِنَ الرَّسُولِ وَأَنْزَلَ بِهِ جَمِيعَ الْكِتَابِ وَاتَّفَقَ عَلَيْهِ أَهْمَةُ أَهْلِ الْإِيمَانِ وَهَذَا هُوَ خَلاصَةُ الدِّعَوَةِ النَّبُوَّيَّةِ وَهُوَ قَطْبُ الْقُرْآنِ الَّذِي تَدُورُ عَلَيْهِ رَحَاهُ وَقَالَ تَعَالَى إِنَّمَا قَصْهُ مِنْ قَصَّةِ آدَمَ وَأَبْلِيسِهِ إِنَّهُ قَالَ {فَبِعِزَّتِكَ لَا غُوَيْنَهُمْ أَجْمَعِينَ} 82 فِيمَا قَصْهُ مِنْ قَصَّةِ آدَمَ وَأَبْلِيسِهِ إِنَّهُ قَالَ {فَبِعِزَّتِكَ لَا غُوَيْنَهُمْ أَجْمَعِينَ} 82 إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ 83 ص 82-83 وَقَالَ تَعَالَى {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَ مِنَ الْغَاوِيْنَ} الحِجَرُ 42 وَقَالَ {إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} 99 إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَُّونَهُ وَالَّذِينَ هُمُ بِهِ مُشْرِكُونَ 100 النَّحْلُ 99-100 فيَّنَ ان سلطان الشيطان واغوائه انما هو لغير المخلصين ولهذا قال في قصة يوسف {كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ} يوسف 24

وَاتِّبَاعُ الشَّيْطَانِ هُمُ اصحابُ النَّارِ كَمَا قَالَ تَعَالَى {لَا مَلَائِكَةَ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمَمَّنْ تَبَعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ} ص 85 وَقَدْ قَالَ سَبْحَانَهُ {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} النساء 48 وَهَذِهِ الْآيَةُ فِي حَقِّ مَنْ لَمْ يَتَبَّعْ وَلَهُذَا خَصَصَ الشَّرَكَ وَقَيْدَ مَا سَوَاهُ بِالْمُشَيْئَةِ فَأَخْبَرَ أَنَّهُ لَا يَغْفِرُ الشَّرَكَ لِمَنْ لَمْ يَتَبَّعْ مِنْهُ وَمَادُونَهُ يَغْفِرُهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَأَمَّا قَوْلُهُ {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْتُلُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا} الزَّمَرُ 53 فَتَالِكَ فِي حَقِّ التَّائِبِينَ وَلَهُذَا عَمَّ وَاطَّلَقَ وَسِيقَ الْآيَةِ يَبْيَّنُ ذَلِكَ مَعَ سَبْبِ نَزْوْلِهِ وَقَدْ أَخْبَرَ سَبْحَانَهُ أَنَّ الْأَوْلَى وَالآخِرِينَ اَنْمَا اَمْرَوْا بِذَلِكَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِ كَالْسُورَةِ الَّتِي قَرَأَهَا النَّبِيُّ عَلَى ابْنِ امْرِهِ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَقْرَأُ عَلَيْهِ قِرَاءَةً إِبْلَاغَ وَإِسْمَاعِيلَ بِخَصْصَوْصِهِ فَقَالَ {وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ} 4 وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ 5 الْبَيِّنَاتُ 4-5 الْآيَةُ وَهَذِهِ حَقِيقَةُ قَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَبِذَلِكَ بَعْثَ جَمِيعِ الرَّسُولِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُنِي} الْأَنْبِيَاءُ 25 وَقَالَ {وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجْعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ أَهْمَةً يُعْبُدُونَ} الزَّخْرَفُ 45 وَقَالَ تَعَالَى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أَمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} 36 وَجَمِيعُ الرَّسُولِ افْتَحُوا دِعَوْتَهُمْ بِهِذَا الْاَصْلِ كَمَا قَالَ نُوحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ {إِعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٌ غَيْرُهُ} الْأَعْرَافُ 59 وَكَذَلِكَ هُودٌ وَصَالِحٌ وَشَعِيبٌ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَغَيْرُهُمْ كُلُّ يَقُولُ {أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٌ غَيْرُهُ} لَاسِيماً افْضَلُ الرَّسُولِ الَّذِينَ اتَّخَذُ اللَّهَ كَلَاهُمَا خَلِيلًا ابْرَاهِيمَ وَمُحَمَّداً عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فَإِنَّهُمْ اَنْتَهُمْ بَيْنَ اللَّهِ بَيْنَهُمَا وَأَيْدِهِمَا فِيهِ وَنَشَرَهُ بَيْنَهُمَا فَابْرَاهِيمُ هُوَ الْأَمَامُ الَّذِي قَالَ اللَّهُ فِيهِ {إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً} الْبَقْرَةُ 124 وَفِي ذِرِّيَّتِهِ جَعَلَ النَّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَالرَّسُولَ فَأَهْلَ هَذِهِ النَّبُوَّةِ وَالرَّسَالَةِ هُمُ مِنْ أَلَّهِ الَّذِينَ بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَالَ سَبْحَانَهُ {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مَمَّا تَعْبُدُونَ} 26 إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِيْنِ 27 وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَّةً فِي عَقِيْدَتِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ 28 الزَّخْرَفُ 26-28 فَهَذِهِ الْكَلِمَةُ هِيَ كَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ اللَّهُ وَهِيَ الْبَرَاءَةُ مِنْ كُلِّ مَعْبُودٍ إِلَّا مِنَ الْخَالقِ الَّذِي فَطَرَنَا كَمَا قَالَ صَاحِبُ يَسٍ {وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} 22 أَتَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ

اللَّهُمَّ إِنْ يُرِدُّنَا الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقَدُونَ {23} إِنِّي إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ {24} إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَأَسْمَعُونِ {25} يس 25-22

العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال

ال العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة فالصلة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد للكفار والمنافقين والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الأدميين والبهائم والدعاء والذكر القراءة وأمثال ذلك من العبادة وكذلك حب الله ورسوله وخشيته إليه وإخلاص الدين له والصبر لحكمه والشكرا لنعمه والرضا بقضاءه والتوكيل عليه والرجاء لرحمته والخوف لعذابه وأمثال ذلك هي من العبادة لله وذلك أن العبادة هي الغاية المحبوبة له والمرضية له التي خلق الخلق لها كما قال تعالى {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ} الذاريات 56 وبها أرسل جميع الرسل كما قال نوح لقومه {أَعْنَدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} الأعراف 59 وكذلك قال هود وصالح وشعيب وغيرهم لقومهم وقال تعالى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ} النحل 36 وقال تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلَكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} الأنبياء 25 وقال تعالى {إِنَّ هَذِهِ أَمْثُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَإِنَّ رَبَّكُمْ فَاعْبُدُونِ} الأنبياء 92 كما قال في الآية الأخرى {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ كُلُّوا مِنِ الطَّيَّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلَيْمٌ} المؤمنون 51 وجعل ذلك لازماً لرسوله إلى الموت قال {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ} الحجر 99 وبذلك وصف ملائكته ونبياءه فقال تعالى {وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ} 19 يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ 20} الأنبياء 19 وقال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ عِنْ دِرَبِكَ لَا يَسْتَكِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ} الأعراف 206 وذم المستكرين عنها بقوله وقال {وَقَالَ رَبُّكُمْ اذْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاهِرِينَ} غافر 60 ونعت صفة خلقه بالعبودية له فقال تعالى {عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفْجِرُونَهَا تَفْجِيرًا} الإنسان 6²

الهدى هو العلم الذي بعث الله به رسوله والعمل به

قال تعالى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ} النحل 36 عامه الأسماء يتتنوع مسموها بالاطلاق والتقييد ومن هذا الباب لفظ العبادة فإذا أمر بعبادة الله مطلقا

¹ مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 51-52

² مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 151-150 و الفتوى الكبرى ج: 2 ص: 362

دخل في عبادته كل ما أمر الله به فالتوكل عليه مما أمر به والاستعانة به مما أمر به فيدخل ذلك في مثل قوله {وَمَا حَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ} الذاريات 56 وفي قوله {وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا شُرُكُوا بِهِ شَيْئًا} النساء 36 وقوله {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ} البقرة 21 وقوله {إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدُوهُ} الزمر 2 {فَلَمَّا آتَيْنَاكُمُ الْحُكْمَ أَعْبَدْتُمُ الْمُحْلِصَاتِ} الزمر 14 وقوله {أَفَغَيْرُ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيْهَا الْجَاهِلُونَ} الزمر 64 ثم قد يقرن بها اسم آخر كما في قوله {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} الفاتحة 5 وقوله {فَاعْبُدُهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ} هود 123 وقول نوح {أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونَ} نوح 3 وكذلك لفظ الهدى اذا أطلق تناول العلم الذي بعث الله به رسوله والعمل به جميماً فيدخل فيه كل ما أمر الله به كما في قوله {إِنَّا صَرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} الفاتحة 6 والمراد طلب العلم بالحق والعمل به جميماً وكذلك قوله {هُدًى لِّلنَّٰمِ} البقرة 2 والمراد به أنهم يعلمون ما فيه ويعملون به ولهذا صاروا مفلحين وكذلك قول أهل الجنة {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا} الأعراف 43 وإنما هداهم بأن لهم العلم النافع والعمل الصالح ثم قد يقرن الهدى اما بالاجتباء كما في قوله {وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ} الأنعام 87 وكما في قوله {شَاكِرًا لِأَنْعُمَهُ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ} النحل 121 {اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ} الشورى 13 وكذلك قوله تعالى {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينَ الْحَقِّ} التوبة 33 والهدى هنا هو الإيمان ودين الحق هو الإسلام وإذا أطلق الهدى كان كالإيمان المطلق يدخل فيه هذا وهذا¹

فإن الله بعث محمداً بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً وأنزل عليه الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه وأكمل له ولأمته الدين وأتم عليهم النعمة وجعلهم خير أمة أخرجت للناس فهم يوفون سبعين أمة هم خيراً وأكرموا على الله وجعلهم أمة وسطاً أي عدلاً خياراً ولذلك جعلهم شهادة على الناس هداهم لما بعث به رسوله جميعهم من الدين الذي شرعه لجميع خلقه ثم خصهم بعد ذلك بما ميزهم به وفضلهم من الشرعة والمنهج الذي جعله لهم مثل أصول الإيمان وأعلاها وأفضلها هو التوحيد وهو شهادة أن لا إله إلا الله كما قال تعالى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنَّ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَبَيْ الطَّاغُوتَ} النحل 36²

كان النبي صلى الله عليه وسلم يحقق التوحيد ويعلمه أمته

فإن الله إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب لنعبد الله وحده لا شريك له ولا نجعل مع الله إليها آخر والذين كانوا يدعون مع الله آلهة أخرى مثل الشمس والقمر والكوكب والعزيز والمسيح والملائكة واللات والعزى ومنا الثالثة الأخرى ويغوث ويغوث ونسراً أو غير ذلك لم يكونوا يعتقدون أنها تخلق الخلائق أو أنها تنزل المطر أو أنها تتبت النبات وإنما كانوا يعبدون الأنبياء والملائكة والكوكب والجن والتماثيل المصورة لهؤلاء أو يعبدون قبورهم ويقولون {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُفَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى}

¹ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 165-166

² مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 364

{ال Zimmerman 3 ويقولون هم { شُفَعَاوْنَا عِنْدَ اللَّهِ} يومنس 18 فَأَرْسَلَ اللَّهُ رَسُولَهُ تَنْهَى أَنْ يَدْعُى أَحَدٌ مِنْ دُونِهِ لَا دِعَاءٌ عِبَادَةٌ وَلَا دِعَاءً اسْتِغْاثَةٌ وَقَالَ تَعَالَى { قُلْ اذْدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيَّاً } 56 { أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ بِيَتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا } 57 الاسراء 56-57 قال طائفة من السلف كان أقوام يدعون المسيح وعزيزها والملائكة فقال الله لهم هؤلاء الذين تدعوههم يتقربون إلي كما تتقربون ويرجون رحمتي كما ترجون رحمتي ويختلفون عذابي كما تختلفون عذابي وقال { قُلْ اذْدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شُرَكٍ وَمَا لَهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ } 22 { وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذْنَ لَهُ } 23 سبا 22-23 فأخبر سبحانه أن ما يدعى من دون الله ليس له مثقال ذرة في الملك ولا شرك في الملك وأنه ليس له من الخلق عن يسعين به وأنه لا تنفع الشفاعة عنده إلا بإذنه وقال تعالى { وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِ شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى } النجم 26 وقال تعالى { أَمْ أَتَأْخُذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوْلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْلَمُونَ } 43 { قُلْ اللَّهُ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } 44 الزمر 43-44 وقال تعالى { وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَفْعُلُونَ هُؤُلَاءِ شُفَعَاوْنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَنْتُبْشِرُونَ اللَّهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ } يومنس 18 الآية وعبادة الله وحده هي أصل الدين وهو التوحيد الذي بعث الله به الرسل وأنزل به الكتب فقال تعالى { وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجْعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبُدُونَ } الزخرف 45 وقال تعالى **{ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ }** النحل 36 وقال تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونَ } الأنبياء 25 وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحقق التوحيد ويعلمه أمته حتى قال له رجل ما شاء الله وشئت فقال أجعلتني الله ندا بل ما شاء الله وحده وقال لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد ولكن ما شاء الله ثم شاء محمد ونهاي عن الحلف بغير الله فقال من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت وقال من حلف بغير الله فقد أشرك وقال لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله ولها اتفاق العلماء على أنه ليس لأحد أن يحلف بمخلوق كالكعبة ونحوها ونهاي النبي صلى الله عليه وسلم عن السجود ولما سجد بعض أصحابه نهاية عن ذلك وقال لا يصلح السجود إلا الله وقال لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها وقال لمعاذ بن جبل رضي الله عنه أرأيت لو مررت بقبر أكنت ساجدا له قال لا قال فلا تسجد لي ونهاي النبي صلى الله عليه وسلم عن اتخاذ القبور مساجد فقال في مرض موته لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما فعلوا قالت عائشة رضي الله عنها ولو لا ذلك لأبرز قبره ولكن كره أن يتخذ مساجدا وفي الصحيح عنه أنه قال قبل أن يموت بخمس إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد إلا فلا تتخذوا بيتي عيذا ولا بيوتكم قبورا وصلوا على حيثما كنتم فإن صلاتكم تبلغني ولها اتفاق أئمة الإسلام على أنه لا يشرع بناء المسجد على القبور ولا تشرع الصلاة عند القبور بل كثير من العلماء يقول الصلاة عندها باطلة¹

¹ مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 397

الاعتراف بالرب والاقرار به من غير عبادة يكون وبلا على صاحبه

وأما المقاصد فالقرآن أخبر بالعلم بالله والعمل له فجمع بين قوتى الإنسان العلمية والعملية الحسية والحركية الإرادية الإدراكية والإعتمادية القولية والعملية حيث قال **{وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنَّ اَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ}** {النحل} 36 فال العبادة لابد فيها من معرفته والإنبابة إليه والتذلل له والإفقار إليه وهذا هو المقصود وإذا حصل الاعتراف بالرب والاقرار به من غير عبادة وانابة كان وبلا على صاحبه وشقاء له كما جاء في الحديث أشد الناس عذابا يوم القيمة عالم لم ينفعه الله بعلمه كإبليس اللعين فإنه معترض بربه مقر بوجوده لكن لما لم يعبده كان رأس الأشقياء وكل من شقى بابتاعه له كما قال {قَالَ أَخْرُجْ مِنْهَا مَذُؤومًا مَّذْحُورًا لَمَنْ تَبَعَكَ مِنْهُمْ لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ} {الأعراف} 18 فلا بد أن يملأ جهنم منه ومن أتباعه مع أنه معترض بالرب مقر بوجوده وإنما أبي واستكبر عن الطاعة والعبادة والقوة العلمية مع العملية بمنزلة الفاعل والغاية ولهذا قيل العلم بلا عمل كالشجر بلا ثمر والمراد بالعمل هنا عمل القلب الذي هو انباته إلى الله وخشيته له حتى يكون عابدا فالرسل والكتب المنزلة أمرت بهذا وأوجبته بل هو رأس الدعوة ومقصودها وأصلها والطريقة النبوية القرآنية السنوية الجماعية فيها العلم والعمل كاملين ففاتحة دعوة الرسل الأمر بالعبادة قال تعالى {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} {البقرة} 21 وقال أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وذلك يتضمن الإقرار به وعبادته وحده فإن الإله هو المعبود ولم يقل حتى يشهدوا أن لا رب إلا الله فإن اسم الله أدل على مقصود العبادة له التي لها خلق الخلق وبها أمروا وكذلك قوله لمعاذ إنك تأتى قوما من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوههم إليهم شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وقال نوح عليه السلام {أَنِ اَعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ} {نوح} 3 وكذلك الرسل في سورة الأعراف وغيرها¹

المسلم مأمور أن يفعل ما أمر الله به ويدفع ما نهى الله عنه وان كانت أسبابه قد قدرت

أن المسلم مأمور أن يفعل ما أمر الله به ويدفع ما نهى الله عنه وان كانت أسبابه قد قدرت فيدفع قدر الله بقدر الله كما جاء في الحديث الذى رواه الطبرانى فى كتاب الدعاء عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إن الدعاء والبلاء لينقيان بين السماء والأرض وفي الترمذى قيل يا رسول الله أرأيت أدوية نتداوى بها ورقى نسترقى بها وتقوى نتقىها هل ترد من قدر الله شيئا فقال هن من قدر الله وإلى هذين المعنين أشار الحديث الذى رواه الطبرانى أيضا عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال يقول الله يا ابن آدم انما هي أربع واحدة لى وواحدة لك وواحدة بيني وبينك وواحدة بينك وبين خلقى فلما التى لى فتعبدنى لاتشرك بي شيئا وأما التى لك فعملك أجزيك به أحوج ما تكون اليه وأما التى هي بينى وبينك فمنك الدعاء وعلى الإجابة وأما التى بينك وبين خلقى فأنت الى الناس بما تحب

¹ مجموع الفتاوى ج: 2 ص: 14-10

أن يأتوه اليك ويرى أنه ما من دابة إلا ربى أخذ بناصيتها وأنه على كل شئ وكيل وانه رب العالمين وان قلوب العباد ونواصيهم بيده لا خالق غيره ولا نافع ولا ضار ولا معطى ولا حافظ ولا معز ولا مذل سواه ويشهد أيضاً فعل المأمورات مع كثرتها وترك الشبهات مع كثرتها الله وحده لا شريك له وهذا هو الدين الجامع العام الذى اشتراك فيه جميع الأنبياء والإسلام العام والإيمان العام وبه انزلت السور المكية وإليه الاشارة بقوله تعالى **{وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ}** {النحل}36 ولهاذا ترجم البخارى عليه باب ما جاء أن دين الانبياء واحد¹

توحيد الله قلب الدين والإيمان

وتوحيد الله وإخلاص الدين له في عبادته واستعانته في القرآن كثير جداً بل هو قلب الإيمان وأول الإسلام وآخره كما قال النبي صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وقال إنما لأعلم كلمة لا يقولها عند الموت أحد إلا وجد روحه لها روحها وقال من كان آخر كلامه لا إله إلا الله وجبت له الجنة وهو قلب الدين والإيمان وسائر الأعمال كالجوارج له وقول النبي إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل أمرى ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إمرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه فبين بهذا أن النية عمل القلب وهي أصل العمل وإخلاص الدين الله وعبادة الله وحده ومتابعة الرسول فيما جاء به هو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ولهذا أنكرنا على الشيخ يحيى الصرصري ما ي قوله في قصائده في مدح الرسول من الاستغاثة به مثل قوله بك أستغيث وأستعين وأستتجد ونحو ذلك وكذلك ما يفعله كثير من الناس من استجاد الصالحين والمتشبهين بهم والإستعانة بهم أحياه وأمواتاً فإني أنكرت ذلك في مجالس عامة وخاصة وبينت للناس التوحيد ونفع الله بذلك ما شاء الله من الخاصة والعامة وهو دين الإسلام العام الذي بعث الله به جميع الرسل كما قال تعالى **{وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ}** {النحل}36 وقال **{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ}** {الأنبياء}25 وقال النبي لمعاذ بن جبل يا معاذ أتدرى ما حق الله على عباده قلت الله ورسوله أعلم قال حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً أتدرى ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك أن لا يعذبهم وقال لابن عباس إذا سألت فاسئل الله وإذا استعن فالله²

¹ مجموع الفتاوى ج: 2 ص: 460

² مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 71

أرسل الله سبحانه وتعالى محمد صلى الله عليه وسلم بالحق بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً أرسله إلى جميع الثقلين الجن والإنس عربهم وعجمهم أميهم وكتابيهم وأنزل عليه كتاباً أنزله ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم ويهديهم به إلى صراط مستقيم صراط الذي له ما في السموات وما في الأرض وهو صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وهو دين الله الذي بعث به الرسل قبله كما قال تعالى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَبَبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالُ فَسَيِّرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ} 36 سورة النحل الآية 36¹

الطاغوت كل من تحكم إليه بغير كتاب الله

قال تعالى { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَبَبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالُ فَسَيِّرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ } 36 { إِنْ تَحْرِصُ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضْلِلُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ } 37 { النحل 36-37 } والطاغوت فعلوت من الطغيان كما أن الملوك فعلوت من الملك والرحموت والرهبوب والرغبوت فعلوت من الرحمة والرعب والرغبة والطغيان مجاوزة الحد وهو الظلم والبغى فالمعبد من دون الله اذا لم يكن كارها لذلك طاغوت ولها سمي النبي الأصنام طواغيت فى الحديث الصحيح لما قال ويتبع من يعبد الطواغيت الطواغيت والمطاع فى معصية الله والمطاع فى اتباع غير الهدى ودين الحق سواء كان مقبولاً خبره المخالف لكتاب الله او مطاعاً امره المخالف لأمر الله هو طاغوت ولها سمي من تحكم اليه من حاكم بغير كتاب الله طاغوت وسمى الله فرعون وعاداً طغاة وقال فى صيحة ثمود { فَأَمَّا ثَمُودٌ فَأَهْلَكُوا بِالْطَّاغِيَةِ } الحاقة 5²

والطاغوت كل معظم ومتعمض بغير طاعة الله ورسوله من إنسان أو شيطان أو شيء من الأوثان³

ذلك أنه علم بالاضطرار أن الرسل كانوا يجعلون ما عبده المشركون غير الله ويجعلون عابداً غير الله مشركاً بالله عادلاً به جاعلاً له نداً فانهم دعوا الخلق إلى عبادة الله وحده لا شريك له وهذا هو دين الله الذي أنزل به كتبه وأرسل به رسالته وهو الإسلام العام الذي لا يقبل الله من الأولين والآخرين غيره ولا يغفر لمن تركه بعد بلاغ الرسالة كما قال { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ } النساء 48 وهو الفارق بين أهل الجنة وأهل النار والسعادة والأشقياء كما قال النبي من كان آخر كلامه لا إله إلا الله وجبت له الجنة وقال من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله وجبت له الجنة وقال إنى لأعلم كلمة لا يقولها عبد عند الموت إلا وجد روحه لها روحًا وهي

¹ الجواب الصحيح ج: 1 ص: 63

² مجموع الفتاوى ج: 28 ص: 201-202

³ قاعدة في المحبة ج: 1 ص: 193

رأس الدين وكما قال أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله فإذا قالوها عصموا من دمائهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله وفضائل هذه الكلمة وحقائقها وموقعها من الدين فوق ما يصفه الواصفون ويعرفه العارفون وهي حقيقة الأمر كله كما قال تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونَ} الأنبياء 25 فأخبر سبحانه أنه يوحى إلى كل رسول بنفي الإلوهية عما سواه وإثباتها له وحده وزعم هؤلاء الملاحدة المشركون (مثل ابن عربى) أن كل شيء يستحق الإلوهية كاستحقاق الله لها وقال تعالى {وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبُدُونَ} الزخرف 45 وزعم هؤلاء الملاحدة أن كل شيء فإنه إله معبد فأخبر سبحانه أنه لم يجعل من دون الرحمن آلهة وقال تعالى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَبِيوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسَيِّرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ} النحل 36 فأمر الله سبحانه بعبادته واجتناب الطاغوت وعند هؤلاء أن الطواغيت جميعها فيها الله أو هي الله ومن عبادها فما عبد إلا الله¹

أن الله ألزم الخلق التوحيد وأمرهم به وقضى به وحكم

أن الله ألزم الخلق التوحيد وأمرهم به وقضى به وحكم فقال {وَقَضَى رَبُّكَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَاهُ} الإسراء 23 وقال {أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَإِنَّهُنَّ} النحل 2 وقال {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَبِيوا الطَّاغُوتَ} النحل 36 الآية وقال تعالى {وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَخَذُوا إِلَهِيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِنَّمَا يَفْعَلُونَ} النحل 51 وقال {وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانُهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} التوبه 31 {وَمَا أُمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِيْنَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء} البينة 5 و هذا كثير في القرآن يوجب على العباد عبادته و توحيده و يحرم عليهم عبادة ما سواه فقد حكم و قضى أنه لا إله إلا هو فلفظ الإله يقتضي أنه يستحق العبادة فإذا أخبر أنه هو المستحق للعبادة دون ما سواه كان ذلك أمرا بما يستحقه وليس المراد هنا بالله من عبده عابد بلا استحقاق فإن هذه الآلهة كثيرة ولكن تسميتهم آلهة والخبر عنهم بذلك و اتخاذهم معبودين أمر باطل كما قال تعالى {إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ} النجم 23 وقال {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ} الحج 62 فالآلة التي جعلها عابدوها آلة يعبدونها كثيرة لكن هي لا تستحق العبادة فليست بالآلة كمن جعل غيره شاهدا أو حاكما أو مفتيا أو أميرا و هو لا يحسن شيئا من ذلك ولا بد لكل إنسان من إله يألهه و يعبده تتعس عبد الدينار و عبد الدرهم فإن بعض الناس قد أله ذلك محبة و ذلا و تعظيمها كما قد بسط في غير هذا الموضع فإذا شهد الله أنه لا إله إلا هو فقد حكم و قضى بأن لا يعبد إلا إيه²

¹ مجموع الفتاوى ج: 2 ص: 257

² مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 171-173

من تقدم من أمة موسى وعيسى هل هم مسلمون أم لا ؟

وقد تنازع الناس فيمن تقدم من أمة موسى وعيسى هل هم مسلمون أم لا وهو نزاع لفظي فإن الإسلام الخاص الذي بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم المتضمن لشريعة القرآن ليس عليه إلا أمة محمد صلى الله عليه وسلم والإسلام اليوم عند الإطلاق يتناول هذا وأما الإسلام العام المتناول لكل شريعة بعث الله بها نبها فإنه يتناول إسلام كل أمة متبرعة لنبها من الأنبياء ورأس الإسلام مطلقاً شهادة أن لا إله إلا الله وبها بعث جميع الرسل كما قال تعالى **{وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ}** ^{النحل 36¹}

فإن الله إنما بعث رسلاه بالتوحيد والنهي عن الشرك كما قال تعالى وقال تعالى **{وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ}** ^{النحل 36²} فال المسيح صلوات الله عليه وسلم ومن قبله من الرسل إنما دعوا إلى عبادة الله وحده لا شريك له وفي التوراة من ذلك ما يعظم وصفه لم يأمر أحد الأنبياء بأن يعبد ملك ولانبي ولا كوكب ولا وثن ولا أن تسأل ولا تطلب الشفاعة إلى الله من ميت ولا غائب لانبي ولا ملك فلم يأمر أحد من الرسل بأن يدعوا الملائكة ويقول اشفعوا لنا إلى الله ولا يدعوا الأنبياء والصالحين المرضى والغائبين ويقول اشفعوا لنا إلى الله ولا تصور تماثيلهم لا مجسدة ذات ظل ولا مصورة في الحيطان ولا يجعل دعاء تماثيلهم وتعظيمها قربة وطاعة سواء قد صدوا دعاء أصحاب التماثيل وتعظيمهم والإستشعاف بهم وطلبوها منهم أن يسألوا الله تعالى وجعلوا تلك التماثيل تذكرة بأصحابها أو قد صدوا دعاء التماثيل ولم يستشعروا أن المقصود دعاء أصحابها كما فعله جهل المشركين وإن كان في هذا جمیعه إنما يعبدون الشيطان وإن كانوا لا يقصدون عبادته فإنه قد يتصور لهم في صورة ما يظنون أنها صورة الذي يعظمونه ويقول أنا الخضر أنا المسيح أنا جرجس أنا الشيخ فلان كما قد وقع هذا لغير واحد من المنتسبين إلى المسلمين والنصارى وقد يدخل الشيطان في بعض التماثيل فيخاطبهم وقد يقضي بعض حاجاتهم فبهذا السبب وأمثاله ظهر الشرك قدیماً وحديثاً وفعل النصارى وأشباههم ما فعلوه من الشرك وأما الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم وسلمه فنحوها عن هذا كله ولم يشرع أحد منهم شيئاً من ذلك²

أن الكتب المتقدمة تتطق بأن موسى وغيره دعوا إلى عبادة الله وحده ونحوها عن الشرك فكان في هذا حجة على من ظن أن الشرك دين³

محبة الله ورسوله من أعظم واجبات الإيمان وأكبر أوصله وأجل قواعده

¹ مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 94

² الجواب الصحيح ج: 3 ص: 113-114
³ الجواب الصحيح ج: 2 ص: 360

إن المحبة لله نوعان محبة له نفسه ومحبة لما منهم من الاحسان وكذلك الحمد له نوعان حمد الله على ما يستحقه بنفسه وحمد على إحسانه لعبده فالنوعان للرضا كالنوعين للمحبة وأما الرضا به وبدينه وبرسوله فذلك من حظ المحبة ولهذا ذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا الله ومن كان يكره أن يرجع إلى الكفر بعد إذ انفذه الله منه كما يكره أن يلقي في النار وهذا مما يبين من الكلام على المحبة فنقول فصل محبة الله ورسوله من أعظم واجبات الإيمان وأكبر أوصله وأجل قواعده بل هي أصل كل عمل من أعمال الإيمان والدين كما أن التصديق أصل كل قول من أقوال الإيمان والدين فإن كل حركة في الوجود إنما تصدر عن محبة إما عن محبة محمودة أو عن محبة مذمومة كما قد بسطنا ذلك في قاعدة المحبة من القواعد الكبار فجميع الأعمال الإيمانية الدينية لا تصدر إلا عن المحبة المحمودة وأصل المحبة المحمودة هي محبة الله سبحانه وتعالى إذ العمل الصادر عن محبة مذمومة عند الله لا يكون عملا صالحا بل جميع الأعمال الإيمانية الدينية لا تصدر إلا عن محبة الله فإن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما أريد به وجهه كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يقول الله تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل فأشرك فيه غيري فأنا منه برئ وهو كله للذي أشرك وثبت في الصحيح حديث الثلاثة الذين هم أول من تسرع بهم النار القارئ المرائي والمجادل المرائي والمتصدق المرائي بل إخلاص الدين الله هو الدين الذي لا يقبل الله سواه فهو الذي بعث به الأولين والآخرين من الرسل ونزل به جميع الكتب واتفق عليه أئمة أهل الإيمان وهذا هو خلاصة الدعوة النبوية وهو قطب القرآن الذي تدور عليه رحاه وهذا حقيقة قول لا إله إلا الله وبذلك بعث جميع الرسل قال الله تعالى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} النحل 36 وجميع الرسل افتتحوا دعوتهم بهذا الأصل¹

تجريد التوحيد لله رب العالمين

ونهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يستقبل الرجل القبر في الصلاة حتى لا يتشبه بالمرتکين الذين يسجدون للقبور ففي الصحيح أنه قال لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها إلى أمثال ذلك مما فيه تجريد التوحيد لله رب العالمين الذي أنزل الله به كتبه وأرسل به رسle فلما من يصور صور المخلوقين في الكنائس ويعظمها ويستشفع بمن صورت على صورته وهل كان أصل عبادة الأصنام فيبني آدم من عهد نوح عليه السلام إلا هذا والصلاحة إلى الشمس والقمر والكواكب والسجود إليها ذريعة إلى السجود لها ولم يأمر أحد من الأنبياء باتخاذ الصور والاستشفاع بأصحابها ولا بالسجود إلى الشمس والقمر والكواكب وإن كان يذكر عن بعض الأنبياء تصوير صورة لمصلحة فإن هذا من الأمور التي قد تتنوع فيها الشرائع بخلاف السجود لها والاستشفاع بأصحابها فإن هذا لم يشرعه النبي

¹ أمراض القلوب ج: 1 ص: 60 و التحفة العراقية ج: 1 ص: 60

{ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هُدِيَ اللَّهُ أَنْهَا وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالُ فَسَيِّرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ } النحل 36

من الأنبياء ولا أمر أحد من الأنبياء أن يدعى غير الله عز وجل لا عند قبره ولا في مغيبه ولا يشفع به في مغيبه بعد موته بخلاف الاستشفاف بالنبي صلى الله عليه وسلم في حياته ويوم القيمة وبالتوسل به بدعائه والإيمان به فهذا من شرع الأنبياء عليهم السلام ولهذا قال تعالى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ} سورة النحل الآية 36¹

لفظ العبادة يتضمن كمال الحب والذل والإجلال والإكرام والتوكيل

ومحبة الله وتوحيده هو الغاية التي فيها صلاح للنفس وهو عبادة الله وحده لا شريك له فلا صلاح للنفس ولا كمال لها إلا في ذلك وبدون ذلك تكون فاسدة لا صلاح لها كما قد بسط الكلام على ذلك في موضع آخر ولهذا كان هذا هو دين الإسلام الذي اتفقت عليه الرسل قال الله تعالى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَبُوا الطَّاغُوتَ} النحل 36 وقد قال تعالى {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ} الذاريات 56 فالغاية الحميـدة التي بها يحصل كمال بني آدم وسعادتهم ونجاتهم عبادة الله وحده وهي حقيقة قول القائل لا إله إلا الله ولهذا بعث الله جميع الرسل وأنزل جميع الكتب ولا تصلح النفس وتزکو وتكمـل إلا بها لـفـظ العـبـادـة يتـضـمنـ كـمـالـ الذـلـ بـكـمـالـ الحـبـ فلا بد أن يكون العـابـدـ مـحـبـاـ لـلـإـلـهـ المـعـبـودـ كـمـالـ الحـبـ ولا بد أن يكون ذليلاـ لـكـمـالـ الذـلـ فـمـنـ اـحـبـ شـيـئـاـ وـلـمـ يـذـلـ لـهـ لم يـعبدـ وـمـنـ خـضـعـ لـهـ وـلـمـ يـحبـهـ لـمـ يـعـبـدـ وـكـمـالـ الحـبـ وـالـذـلـ لـاـ يـصـلـحـ إـلـاـ اللـهـ وـحـدـهـ فـهـوـ إـلـهـ الـمـسـتـحـقـ للـعـبـادـةـ التـيـ لـاـ يـسـتـحـقـهاـ إـلـاـ هـوـ وـذـكـرـ يـتـضـمنـ كـمـالـ الحـبـ وـالـذـلـ وـالـإـجـلـالـ وـالـإـكـرـامـ وـالتـوكـيلـ وـالـعـبـادـةـ فـالـنـفـوسـ مـحـتـاجـةـ إـلـىـ اللـهـ مـنـ حـيـثـ هـوـ مـعـبـودـهـ وـمـنـتـهـيـ مـرـادـهـ وـبـغـيـتـهـ وـمـنـ حـيـثـ هـوـ رـبـهـ وـخـالـقـهـ فـمـنـ آـمـنـ بـالـلـهـ رـبـ كـلـ شـيـءـ وـخـالـقـهـ وـلـمـ يـعـبـدـ إـلـاـ اللـهـ وـحـدـهـ بـحـيـثـ يـكـونـ اللـهـ أـحـبـ إـلـيـهـ مـنـ كـلـ مـاـ سـوـاهـ وـأـخـشـيـ عـنـدـهـ مـنـ كـلـ مـاـ سـوـاهـ وـأـعـظـمـ عـنـدـهـ مـنـ كـلـ مـاـ سـوـاهـ وـأـرـجـىـ عـنـدـهـ مـنـ كـلـ مـاـ سـوـاهـ بـلـ مـنـ سـوـىـ بـيـنـ اللـهـ وـبـيـنـ بـعـضـ الـمـخـلـوقـاتـ فـيـ الـحـبـ بـحـيـثـ يـحـبـهـ مـثـلـ مـاـ يـحـبـ اللـهـ وـيـخـشـاـ مـثـلـ مـاـ يـخـشـيـ اللـهـ وـيـرجـوـ مـثـلـ مـاـ يـرجـوـ اللـهـ وـيـدعـوـهـ مـثـلـ مـاـ يـدعـوـهـ فـهـوـ مـشـرـكـ الشـرـكـ الـذـيـ لـاـ يـغـفـرـهـ اللـهـ وـلـوـ كـانـ معـ ذلك عـفـيـفـاـ فـيـ طـعـامـهـ وـنـكـاحـهـ وـكـانـ حـكـيـماـ شـجـاعـاـ²

المحبة التي أمر الله بها هي عبادته وحده لا شريك له وإذا كان كذلك فأصل المحبة المحمودة التي أمر الله بها وخلق خلقه لأجلها هي ما في عبادته وحده لا شريك له إذ العبادة متضمنة لغاية الحب بغایة الذل والمحبة لما كانت جنسا لأنواع متقاوتة في القدر والوصف كان أغلب ما يذكر منها في حق الله ما يختص به ويليق به مثل العبادة والإنابة ونحوهما فإن العبادة لا تصلح إلا الله وحده

¹الجواب الصحيح ج: 1 ص: 350

²الجواب الصحيح ج: 6 ص: 27

وكذلك الإنابة وقد تذكر المحبة المطلقة لكن تقع فيها الشركة كما قال تعالى {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنَدَادًا يُجْبِنُهُمْ كَحْبَ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُ حُبًّا لِّلَّهِ} البقرة 165 ولهذا كان هذا الحب أعظم الأقسام المذمومة في المحبة كما أن حب الله أعظم الأنواع المحمودة بل عبادة الله وحده لا شريك له هي أصل السعادة ورأسها التي لا ينجو أحد من العذاب إلا بها وعبادة الله آخر من دونه هو أصل الشقاء ورأسه الذي لا يبقى في العذاب إلا أهله فأهل التوحيد الذين أحبوا الله وعبدوه وحده لا شريك له لا يبقى منهم في العذاب أحد والذين اتخذوا من دونه أنداداً يحبونهم كحبه وعبدوا غيره هم أهل الشرك الذين قال الله تعالى فيهم {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ} النساء 48 وجماع القرآن هو الأمر بتلك المحبة ولوازمها والنهي عن هذه المحبات ولوازمها وضرب الأمثال والمقاييس للنوعين وذكر قصص أهل النوعين وأصل دعوة جميع المرسلين قولهم {أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} الأعراف 59 وعلى ذلك قاتل من قاتل منهم المشركين كما قال خاتم الرسل أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله قال الله تعالى {شَرَعَ لَكُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكُمْ وَمَا وَصَّنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ} الشورى 13 ولهذا قال في الحديث المتفق عليه في الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان وفي روایة في الصحيح لا يجد طعم الإيمان إلا من كان فيه ثلاث أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرأة لا يحبه إلا الله وأن يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله كما يكره أن يلقي في النار¹

الفرق بين البعث الكوني والبعث الديني

قال تعالى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَبَيْوْا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسَيِّرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ} النحل 36 وقد ذكر الله في كتابه الفرق بين الارادة والأمر والقضاء والاذن والبعث والحرير والرسل والكلام والجعل بين الكوني الذي خلقه وقدره وقضاه وان كان لم يأمر به ولا يحبه ولا يثبت اصحابه ولا يجعلهم من أوليائه المتقيين وبين الدينى الذى امر به وشرعه واثاب عليه واكرمه وجعلهم من اولياته المتقيين وحزبه المفلحين وجنته الغالبين وهذا من أعظم الفروق التي يفرق بها بين اولياء الله واعدائه فمن استعمله رب سبحانه وتعالى فيما يحبه ويرضاه ومات على ذلك كان من اولياته ومن كان عمله فيما يبغضه رب ويكرهه ومات على ذلك كان من اعدائه ف الارادة الكونية هي مشيئة لما خلقه وجميع المخلوقات داخلة في مشيئته وارادته الكونية والارادة الدينية هي المتضمنة لمحبته ورضاه المتناولة لما امر به وجعله شرعاً وديننا وهذه مختصة بالإيمان والعمل الصالح²

¹ قاعدة في المحبة ج: 1 ص: 11-12

² مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 269

كال مجرمين {35} ما لِكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ {36} الفلم 35-36 و قوله تعالى {أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَقْبِنَ كَالْفُجَّارِ } ص 28 و قوله تعالى {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنَّ نَجْعَلُهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَا هُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ } الجاثية 21 { وَتَمَتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا } الأعراف 137 و منه قول النبي صلى الله عليه وسلم أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَاتِ الَّتِي لَا يَتَجاوزُ هُنْ بِرٌ وَلَا فَاجِرٌ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ وَذَرَأً وَبِرًا وَمِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَمِنْ شَرِّ مَا ذَرَأَ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمِنْ شَرِّ فَتْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمِنْ شَرِّ كُلِ طَارِقٍ إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بَخِيرًا يَارَحْمَنَ فَالْكَلِمَاتُ الَّتِي لَا يَجَاوِزُ هُنْ بِرٌ وَلَا فَاجِرٌ لَيْسَ هِيَ أَمْرٌ وَنَهِيَّ الشَّرِعَيْنِ فَإِنَّ الْفَجَارَ عَصَوَا أَمْرَهُ وَنَهِيَّ بِلَهِ هِيَ الَّتِي بِهَا يَكُونُ الْكَانِثَاتُ وَأَمَّا الْكَلِمَاتُ الدِّينِيَّةُ الْمُتَضَمِّنَةُ لِأَمْرِهِ وَنَهِيَّ الشَّرِعَيْنِ فَمِثْلُ الْكِتَابِ الْإِلَهِيَّةِ التُّورَاةِ وَالْأَنْجِيلِ وَالْزِبُورِ وَالْقُرْآنِ وَقَالَ تَعَالَى { وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا } التوبه 40 و قال صلى الله عليه وسلم و استحللتُم فروجهن بكلمة الله و أما قوله تعالى { وَتَمَتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا } الأنعام 115 فإنه يعم النَّوَعَيْنِ وَأَمَّا الْبَعْثُ بِالْمَعْنَى الْأَوَّلِ فَفِي مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى { إِنَّا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بِأَسْبَاطِ شَرِيدٍ } الإسراء 5 وَالثَّانِي فِي مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى { هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ رَسُولاً }

مِنْهُمْ } الجمعة 2 و قوله تعالى { رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ } البقرة 129 و قوله تعالى { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَبَيْوَا الطَّاغُوتَ } النحل 36¹

الهدى هدى الله

أن قوله { سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ } البقرة 6 قوله { فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَ الْدُّعَاء إِذَا وَلَوْا مُدْبِرِينَ } 52 وما أنت بهادي العمى عن ضلالتهم { أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ } 42 ومنهم من ينظر إليك { الروم 52-53 } و قوله { أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمَى وَلَوْ كَانُوا لَا يُبَصِّرُونَ } 43 يونس 43-44 وكل هذا فيه بيان أن مجرد دعائك و تبليغك و حرصك على هداهم ليس موجب ذلك وإنما يحصل ذلك إذا شاء الله هداهم فشرح صدورهم للإسلام كما قال تعالى { إِنَّ تَحْرِصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ } النحل 37

ففيه تعزية لرسوله صلى الله عليه وسلم و بينت الآية له أن تبليغك و إن لم يهتدوا به ففيه مصالح عظيمة غير ذلك و فيه بيان أن الهدي هدى الله { مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا } الكهف 17 وقد قال له { إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءْ } القصص 56 فيه تقرير التوحيد و تقرير مقصود الرسالة²

أن الرسل عليهم الصلاة والسلام هم الوسائل بيننا وبين الله في أمره ونهيه ووعده ووعده فالحلال ما أحله الله ورسوله والحرام ما حرم الله ورسوله والدين ما شرعه الله ورسوله علينا أن نحب الله ورسوله ونطيع الله ورسوله ونرضي الله ورسوله وفي الصحيحين عن أنس قال قال رسول الله ثلات من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان من كان الله ورسوله أحب إليه من سواهما ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا الله ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار وقد قال تعالى { إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا } 8 لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْزِرُوهُ وَتُوَقَّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا } 9-8 الفتاح فالإيمان بالله والرسول والتعزير والتوقير للرسول وتعزيره نصره ومنعه والتسبيح بكرة وأصيلا لله وحده فإن ذلك من العبادة لله والعبادة هي لله وحده فلا يصلى إلا الله ولا يصام إلا الله ولا يحج إلا إلى بيت الله ولا تشد الرجال إلا إلى المساجد الثلاثة لكون هذه المساجد بناها الأنبياء الله بإذن الله ولا ينذر إلا الله ولا يحلف إلا بالله ولا يدعى إلا الله ولا يستغاث إلا بالله وأما ما خلقه الله سبحانه من الحيوان والنبات والمطر والسماء وسائر المخلوقات فلم يجعل غيره من العباد واسطة في ذلك الخلق كما جعل الرسل واسطة في التبليغ بل يخلق ما يشاء بما يشاء من الأسباب وليس في المخلوقات شيء يستقل بإبداع شيء بل لا بد للسبب من أسباب آخر تعاونه ولا بد من دفع المعارض عنه وذلك لا يقدر عليه إلا الله وحده فما شاء الله كان وما لم يشاً لم يكن

¹ مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 58-61

² مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 591-595

خلاف الرسالة فإن الرسول وحده كان واسطة في تبليغ رسالته إلى عباده وأما جعل الهدى في قلوب العباد فهو إلى الله تعالى لا إلى الرسول كما قال الله تعالى **{إِنَّ تَحْرِصُ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ}** {النحل 37}

أن الله خالق أفعال العباد وأنه هو الذي يقلب قلوب العباد

ففي القرآن من ذكر تفصيل أفعال العباد التي بقلوبهم وجوارحهم وأنه هو تبارك وتعالى يحدث من ذلك ما يطول وصفه قوله تعالى **{فَرِيقًا هَذِي وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالُ}** {الأعراف 30} قوله تعالى **{فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِنْدِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}** {البقرة 213} قوله **{وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أَوْلَئِكَ هُمُ الرَّاسِدُونَ}** {الحجرات 7} ومعلوم أنه لم يرد بذلك الهدایة المشتركة بين المؤمن والكافر مثل إرسال الرسل والتمكين من الفعل وإزاحة العلل بل أراد ما يختص به المؤمن كما دل عليه القرآن في مثل قوله تعالى **{وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}** {الأنعام 87} قوله **{وَأَتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ}** {117} **{وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}** {118} **الصافات 117-118** ومنه قوله في الصلاة **{إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}** {6} **صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ** {7} **الفاتحة 6-7** فإن الهدایة المشتركة حاصلة لا تحتاج أن تسأل وإنما تسأل الهدایة التي خص بها المهتدين ومن تأول ذلك بمعنى زيادة الهدى والتثبيت وقال كان ذلك جزاء كان متناقضنا فإنه يقال هذا المطلوب إن لم يكن حاصلاً باختيار العبد لم يثبت عليه فإنه إنما يثاب على ما فعله باختياره وإن كان باختياره فقد ثبت أن الله يحدث الفعل الذي يختاره العبد وهذا مذهب أهل السنة وكذلك ما أخبر الله في القرآن من إضلal وهدى ونحو ذلك فإنهم قد يتأنلون ذلك بأنه جزاء على ما تقدم وعامة تأويلاتهم مما يعلم بالاضطرار أن الله ورسوله لم يردها بكلامه مع أن هذا الأجزاء مما يثاب الفاعل عليه وإن جوزوا أن الله يثيب العبد على ما ينعم به على العبد من فعله الاختياري جاز أن ينعم عليه ابتداء باختياره الطاعة وإن لم يجز عندهم الثواب والعقاب على ما يجعل العبد فاعلا له بطل أن يريد هدى أو ضلاله يثاب عليها أو يعاقب عليها وامتنع أن يكون ما أخبر أنه فعله من جعل الأغالل في أعناقهم وجعله من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً ونحو ذلك هو مما يعاقبون عليه وقد قال تعالى **{إِنَّ تَحْرِصُ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ}** {النحل 37}

فأخبر أنه من أضل الله لا يهتدي وفي الجملة ففي القرآن من الآيات المبينة أن الله خالق أفعال العباد وأنه هو الذي يقلب قلوب العباد فيهدي من يشاء ويضل من يشاء وأنه هو المنعم بالهدى على من أنعم عليه ما يتذرع استقصاؤه في هذه الموضع وكذلك فيه ما يبين عموم خلقه لكل شيء قوله **{اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ}** {الرعد 16} وغير ذلك وفيه ما يبين أنه فعال لما يريد وفيه ما يبين أنه لو شاء لهدى الناس جميعاً وأمثال ذلك مما يطول وصفه²

¹ مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 308

² منهاج السنة النبوية ج: 3 ص: 262-264

التعليم والذكير والإذنار والهدي له فاعل وله قابل

قال تعالى { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَبِرُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسَيِّرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ } 36 { إِنْ تَحْرِصُ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضْلِلُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ } 37 } النحل 36-37 أن التعليم والذكير والإذنار والهدي ونحو ذلك له فاعل وله قابل فالتعلم المذكور يعلم غيره ثم ذلك الغير قد يتعلم ويذكر وقد لا يتعلم ولا يتذكر فإن تعلم وتذكر فقد تم التعليم والذكير وإن لم يتعلم ولم يتذكر فقد وجده أحد طرفيه وهو الفاعل دون المحل القابل فيقال في مثل هذا علمته مما تعلم وذكرته بما ذكر وأمرته بما أطاع وقد يقال ما علمته وما ذكرته لأنه لم يحصل تماماً ولم يحصل مقصوده فيبني لإنقاء كماله وتمامه وإنقاء فائدته بالنسبة إلى المخاطب السامع وإن كانت الفائدة حاصلة للمتكلم القائل المخاطب فحيث خص بالذكير والإذنار ونحو المؤمنونفهم مخصوصون بالنافع الذي سعدوا به وحيث عم فالجميع مشتركون في الإنذار الذي قامت به الحجة على الخلق سواء قبلوا أو لم يقبلوا وهذا هو الهدي المذكور في قوله { وَأَمَّا ثُمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحْجُبُوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى } فصل 17 فالهدي هنا هو البيان والدلالة والإرشاد العام المشترك وهو كالإنذار العام والذكير العام وهذا قد هدى المتنقين وغيرهم كما قال { وَلَكُلُّ قَوْمٍ هَادِ } الرعد 7 وأما قوله { اهِدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } الفاتحة 6 فالمطلوب الهدي الخاص النافع الذي يحصل معه الإهداه كقوله { هَدَى لِلْمُتَّقِينَ } البقرة 2 وقوله { فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ } الأعراف 30 وقوله { فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضْلِلُ } النحل 37 وقوله { يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنْ أَتَبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُّلُ السَّلَامِ } المائدة 16 وهذا كثير في القرآن¹

خلق الله الأشياء بأسباب

إن كل ما في الوجود فهو مخلوق له خلقه بمشيئته وقدرته و ما شاء كان و مالم يشأ لم يكن و هو الذي يعطى و يمنع و يخفض و يرفع و يعز و يذل و يغرن و يضل و يفقر و يهدى و يسعد و يشقى و يولى الملك من يشاء و ينزعه من يشاء و يشرح صدر من يشاء للإسلام و يجعل صدر من يشاء ضيقاً كأنما يصعد في السماء و هو يقلب القلوب ما من قلب من قلوب العباد إلا و هو بين إصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أن يقيم أقامه و إن شاء أن يزيفه أزاغه و هو الذي حب إلى المؤمنين الإيمان و زينه في قلوبهم و كره إليهم الكفر و الفسق و العصيان أولئك هم الراشدون و هو الذي جعل المسلم مسلماً و المصلي مصلياً قال الخليل { رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتَنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ } البقرة 128 و قال { رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي } إبراهيم 40 و قال تعالى { وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا } السجدة 24 و قال عن آل فرعون { وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ } القصص 41 و قال تعالى { إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هُلُوعًا } 19 إذا مَسَّهُ الشَّرُّ

¹ مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 154

جزًّا عَأ{20} وَإِذَا مَسَهُ الْخَيْرُ مَنْوِعًا {21} المعارض 19-21 وقال {وَاصْنَعْ الْفُلَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا} هود 37 وقال {وَيَصْنَعُ الْفُلَكَ} هود 38 والفالك مصنوعة لبني آدم وقد أخبر الله تبارك وتعالى أنه خلقها بقوله {وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكُبُونَ} يس 42 وقال {وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخْفُونَهَا يَوْمَ طَعْنَكُمْ وَيَوْمَ إِقْامَتُكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينِ} النحل 80 الآيات وهذه كلها مصنوعة لبني آدم وقال تعالى {أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِثُونَ} 95 {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} 96 الصافات 95-96 فما بمعنى الذي و من جعلها مصدرية فقد غلط لكن إذا خلق الم monstruot كما خلق المصنوع والمطبوع والمبنى دل على أنه خالق كل صانع و صنته و قال تعالى {مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا} الكهف 17 وقال {فَمَنْ يُرِدُ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَ يَسْرَحْ صَدْرَهُ لِالْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدُ أَنْ يُضْلِلَ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا} الأنعام 125 وهو سبحانه خالق كل شيء و ربه و مليكه و له فيما خلقه حكمة بالغة و نعمة سابقة و رحمة عامة و خاصة و هو لا يسأل عما بفعل و هم يسألون لا لمجرد قدرته و قهره بل لكمال علمه و قدرته و رحمته و حكمته فإنه سبحانه و تعالى أحكم الحاكمين و أرحم الرحيمين و هو أرحم بعباده من الوالدة بولدها و قد أحسن كل شيء خلقه و قال تعالى {وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ} النمل 88 و قد خلق الأشياء بأسباب كما قال تعالى {وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنِ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا} البقرة 164 وقال {فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ النَّمَرَاتِ} الأعراف 57 و قال تعالى {يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبْلَ السَّلَامِ} المائدة 16¹

قال تعالى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَبَبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسَيِّرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ} 36 إن تحرصن على هؤلئك فلن الله لا يهدى من يضل وما لهم من ناصيرين 37 وأفسموا بالله جهداً أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى و عدا عليه حقاً ولكن أكثر الناس لا يعلمون 38 ليبيس لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين 39 النحل 36-39 فإن الهدى والضلالة إنما يكون بعد البيان²

الرسول أعلم الخلق بالحق وبيانه للحق أكمل من بيان كل أحد

قال تعالى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَبَبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسَيِّرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ} 36 إن تحرصن على هؤلئك فلن الله لا يهدى من يضل وما لهم من ناصيرين 37 والنحل 36-37 والرسول أعلم الخلق بالحق وأقدر الناس على بيان الحق وأنصح الخلق للخلق وهذا يوجب أن يكون بيانه للحق أكمل من بيان كل أحد فإن ما يقوله القائل ويفعله الفاعل لا بد فيه من قدرة وعلم وإرادة فالعجز عن القول أو الفعل يمتنع صدور ذلك عنه والجاهل بما يقوله ويفعله لا يأتي

¹ مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 78

² الزهد والورع والعبادة ج: 1 ص: 20

بالقول المحكم والفعل المحكم وصاحب الإرادة الفاسدة لا يقصد الهدى والنصح والصلاح فإذا كان المتكلم عالما بالحق فاقدا لهدى الخلق قصدا تماما قادرا على ذلك وجوب وجود مقدوره ومحمد صلى الله عليه وسلم أعلم الخلق بالحق وهو أفسح الخلق لسانا وأصحهم بيانا وهو أح Prism الخلق على هدى العباد كما قال إن تحرض على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل سورة النحل 37 وقد أوجب الله عليه البلاغ المبين وأنزل عليه الكتاب ليبيان
للناس ما نزل إليهم فلا بد أن يكون بيانه وخطابه وكلامه أكمل وأتم من بيان غيره¹

في مبعث الخلق يوم القيمة مقاصد غير بيان المخالف

قال تعالى { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَبَوْا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهَ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسَيِّرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ } 36 { إِنْ تَخْرُصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مَنْ نَاصِرِينَ } 37 { وَأَفْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمْوُتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } 38 { النحل 36-38 } ومعلوم أن في مبعث الخلق يوم القيمة مقاصد غير بيان المخالف في علم هؤلاء وما بين ذلك أنه قال في الآية التي احتجوا بها { لِتُنذِرَ قَوْمًا مَا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ } يس 6 ومعلوم أنه لم يبعث لمجرد الإنذار بل ولبيسر من آمن به ولأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وتحليل الطيبات وتحريم البغي وغیر ذلك وغير ذلك من مقاصد الرسل وفي ذلك حكم أخرى ومثل ذلك كثير في كلام الله عز وجل وغير كلام الله إذا ذكر حكمة للفعل لم يلزم أن لا تكون له حكمة أخرى لكن لا بد لتفصيص تلك الحكمة بالذكر في ذلك الموضع من مناسبته وهذا كالمناسبة في قوله { لِتُنذِرَ قَوْمًا مَا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ } يس 6 فإن هؤلاء كانوا أول المنذرين وأحقهم بالإذنار فكان في تخصيصهم بالذكر فائدة لا أنه خصم لانتفاء إنذار من سواهم²

الفرق بين خطاب التكوين و بين خطاب التكليف

قال تعالى { إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } النحل 40 ما تقول السادة العلماء أئمة المسلمين أئمة الدين رضي الله عنهم أجمعين في قوله تعالى { إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } النحل 40 فإن كان المخاطب موجودا فتحصيل الحاصل محال وإن كان معدوما فكيف يتصور خطاب المعدوم فأجاب شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن تيمية رحمه الله الحمد لله رب العالمين فهذه المسألة فهي مبنية على أصلين أحدهما الفرق بين خطاب التكوين الذي لا يطلب به سبحانه فعلا من المخاطب بل هو الذي يكون المخاطب به و يخلفه بدون فعل من المخاطب أو قدرة أو إرادة أو وجود له وبين خطاب التكليف الذي يطلب به من المأموم فعل أو تركا يفعله بقدرة و إرادة و إن كان ذلك جميـعـه بحـولـ اللهـ و قـوـتهـ إـذـ لاـ حـوـلـ و لاـ قـوـةـ إـلاـ بـالـلـهـ و هذا الخطاب قد تنازع فيه الناس هل يصح أن يخاطب به المعدوم بشروط وجوده أم لا يصح أن يخاطب

¹ درء التعارض ج: 1 ص: 23

² الجواب الصحيح ج: 1 ص: 432

به إلا بعد وجوده ولا نزاع بينهم أنه لا ينبع من حكم الخطاب إلا بعد وجوده وكذلك تنازعوا في الأول هل هو خطاب حقيقي أم هو عبارة عن الإقتدار وسرعة التكوين بالقدرة والأول هو المشهور عند المنتسبين إلى السنة و الأصل الثاني أن المدعوم في حال عدمه هل هو شيء أم لا فإنه قد ذهب طوائف من متكلمة المعتزلة والشيعة إلى أنه شيء في الخارج و ذات و عين و زعموا أن الماهيات غير مجعلة ولا مخلوقة وأن وجودها زائد على حقيقتها وكذلك ذهب إلى هذا طوائف من المتفلسفة والإتحادية وغيرهم من الملاحدة والذى عليه جماهير الناس وهو قول متكلمة أهل الإثبات والمنتبين إلى السنة والجماعة أنه في الخارج عن الذهن قبل وجوده ليس بشيء أصلاً ولا ذات ولا عين وأنه ليس في الخارج شيئاً أحدهما حقيقة والآخر وجوده الزائد على حقيقته فإن الله أبدع الذوات التي هي الماهيات فكل ما سواه سبحانه فهو مخلوق ومجعل و مبدع و مبدع له سبحانه و تعالى لكن في هؤلاء من يقول المدعوم ليس بشيء أصلاً وإنما سمي شيئاً بإعتبار ثبوته في العلم فكان مجازاً و منهم من يقول لاريب أن له ثبوتاً في العلم و وجوداً فيه فهو بإعتبار هذا التثبت والوجود هو شيء و ذات و هؤلاء لا يفرقون بين الوجود و التثبت كما فرق من قال المدعوم شيء و لا يفرقون في كون المدعوم ليس بشيء بين الممكن و الممتنع كما فرق أولئك إذ قد إنفقو على أن الممتنع ليس بشيء وإنما النزاع في الممكن و عمدة من جعله شيئاً إنما هو لأنه ثابت في العلم و بإعتبار ذلك صح أن يخص بالقصد و الخلق و الخبر عنه و الأمر به و النهي عنه و غير ذلك قالوا و هذه التخصيصات تمتنع أن تتصل بالعدم الممحض فإن خص الفرق بين الوجود الذي هو التثبت العيني وبين الوجود الذي هو التثبت العلمي زالت الشبهة في هذا الباب و قوله تعالى {إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ تَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} النحل 40 ذلك الشيء هو معلوم قبل إبداعه و قبل توجيه هذا الخطاب إليه و بذلك كان مقدراً مقضياً فإن الله سبحانه و تعالى يقول و يكتب من ما يعلمه ما شاء كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو أن الله قادر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة و في صحيح البخاري عن عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كان الله و لم يكن شيء معه و كان عرشه على الماء و كتب في الذكر كل شيء ثم خلق السموات والأرض و في سنن أبي داود وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أول ما خلق الله القلم فقال له أكتب ف قال ما أكتب قال ما هو كائن إلى يوم القيمة إلى أمثال ذلك من النصوص التي تبين أن المخلوق قبل أن يخلق كان معلوماً مخبراً عنه مكتوباً فهو شيء بإعتبار وجوده العلمي الكلامي الكتابي و إن كانت حقيقته التي هي وجود العيني ليس ثابتاً في الخارج بل هو عدم محض و نقى صرف و هذه المراتب الأربع المشهورة للموجودات وقد ذكرها الله سبحانه و تعالى في أول سورة أنزلها على نبيه في قوله {أَفَرَأَ يَاسْمَ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} 1 {خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقَ} 2 {أَفَرَأَ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ} 3 {الَّذِي عَلِمَ بِالْقَلْمَنْ} 4 {عَلِمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} 5 العلق 5-1 وقد بسطنا الكلام من ذلك في غير هذا الموضوع وإذا كان كذلك كان الخطاب موجهاً إلى من توجهت إليه الإرادة و تعلقت به القدرة و خلق و كون و كما قال {إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ تَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} النحل 40 فالذي يقال له كن هو الذي يراد و هو حين يراد قبل أن يخلق له ثبوت و تميز في العلم و التقدير و لو لا ذلك لما تميز المراد المخلوق من غيره وبهذا يحصل الجواب عن التقسيم فإن قول السائل إن كان المخاطب موجوداً فتحصيل الحاصل محال يقال له هذا إذا كان موجوداً في الخارج و وجوده الذي هو وجوده و لا ريب أن المدعوم ليس موجوداً و لا هو في نفسه ثابت و أما ما علم و أريد و كان شيئاً في العلم والإرادة و التقدير فليس وجوده في الخارج محالاً بل جميع المخلوقات لا توجد إلا بعد وجودها في العلم والإرادة وقول السائل أن كان مدعوماً فكيف يتصور خطاب المدعوم

يقال له أما إذا قصد أن يخاطط بالمدعوم في الخطاب بخطاب يفهمه و يمتنله فهذا محال إذا من شرط المخاطب أن يتمكن من الفهم والفعل والمدعوم لا يتصور أن يفهم و يفعل فيمتنع خطاب التكليف له حال عدمه بمعنى أنه يطلب منه حين عدمه أن يفهم و يفعل و كذلك أيضاً يمتنع أن يخاطب المدعوم في الخارج خطاب تكوين بمعنى أن يعتقد أنه شيء ثابت في الخارج وأنه يخاطب بأن يكون وأما الشيء المعلوم المذكور المكتوب إذا كان توجيهه خطاب التكوين إليه مثل توجيه الإرادة إليه فليس بذلك محلاً بل هو أمر ممكن بل مثل ذلك يجده الإنسان في نفسه فيقدر أمر في نفسه يريد أن يفعله و يوجه إرادته و طلبه إلى ذلك المراد المطلوب الذي قدره في نفسه و يكون حصول المراد المطلوب بحسب قدرته فإن كان قادراً على حصوله حصل مع الإرادة و الطلب الجازم وإن كان عاجزاً لم يحصل وقد يقول الإنسان ليكن كذا و نحو ذلك من صيغ الطلب فيكون المطلوب بحسب قدرته عليه و الله سبحانه على كل شيء قادر و ما شاء كان و ما لم يكن فإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون¹

كلام رب غير مخلوق لأن الله لم يخلق شيئاً إلا بـ كـن

قال تعالى {إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ تَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} النحل 40 أئمة أهل السنة والحديث وهم من أعلم الناس بمقالة الرسول والصحابة والتابعين لهم بإحسان ومن أتبع الناس لها وهؤلاء وغيرهم كسفيان بن عيينة احتجوا على أن كلام رب غير مخلوق بأن الله لم يخلق شيئاً إلا بـ كـن فلو كانت كـن مخلوقة لزم التسلسل المانع من الخلق وهذا التسلسل فـلو كانت كـن مخلوقة لزم التسلسل في أصل كـونه خالقاً وفاعلاً فهو تسلسل في أصل التأثير وهو ممتنع باتفاق العلامة بخلاف التسلسل في الآثار المعينة فإنه إذا لم يكن خالقاً إلا بقوله كـن امتنع أن يكون القول مخلوقاً كما إذا قيل لا يكون خالقاً إلا بـعلم وقدرة امتنع أن يكون العلم والقدرة مخلوقين لأنـه يلزم أن يكون ذلك المخلوق يمتنع وجوده إلا بعد وجوده فإنه لا يكون خالقاً إلا به فيجب كـونه متقدماً على كل مخلوق فـلو كان مخلوقاً للزم تقدمه على نفسه وهذه حجة صحيحة عقلية شرعية²

المؤقت بظرف معين لا يكون قدِّيماً أزلياً

قال تعالى {إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ تَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} النحل 40 قالوا فالكلام القديم هو الحروف والأصوات ومنهم من قال الحروف دون الأصوات فهي قديمة أزلية بأعيانها لا نقول بوجود شيء بعد شيء وأنه ما زال يقول يا آدم يا نوح يا موسى من الأزل إلى الأبد ولا يزال يقول ذلك وقال هؤلاء باقتران الحروف بعضها بعض في الأزل وأن الياء والسين موجودتان معاً في

¹ مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 186-182 و دقائق التفسير ج: 2 ص: 324-326

² منهاج السنة النبوية ج: 1 ص: 216

الأزل والترتيب بينهما إنما هو ترتيب في ذاتهما أو في ظهورهما لا في وجودهما وهذا قول طائفة من أهل الكلام والحديث والفقه حكاه الأشعري في المقالات عن طائفة قاله وقد وافقهم عليه طائفة من الفقهاء من أصحاب مالك وأحمد والشافعي وغيرهم فأنكر الجمهور هذا القول وقالوا هذا مخالف لصريح المعقول والمنقول فإن الله تعالى يقول {إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} النحل 40 وأن تخلص الفعل المضارع للاستقبال والمؤقت بظرف معين لا يكون قدima أزليا وأن تخلص الفعل المضارع للاستقبال والمؤقت بظرف معين لا يكون قدima أزليا وقال تعالى {فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِي يَا مُوسَى} طه 11¹

فهذا يقتضي أنه إذا أراد شيئاً فـإنما أمره أن يقول له كـنـ فيكون قوله إذا أراده فـاقتضـىـ هذا انه لم يخلق شيئاً إلا وقد قال له كـنـ²

ثبوت الإرادة عند وجود المراد

قال تعالى {إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} النحل 40 فالرب تعالى إذا لم يحدث شيئاً إلا بقدرته ومشيئته وما لم يشاً لم يكن {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} يس 82 فلا بد أن يريد الفعل قبل أن يفعله ولا بد أن يكون الفعل قبل المفعول وإن كانت لإرادة والفعل موجودين عند وجود المفعول كما يقول أهل السنة إن القدرة لا بد أن تكون مع الفعل³

وإذا قيل إن فاعل العالم قادر مختار كما هو مذهب المسلمين وسائر أهل الملل وأساطير الفلسفـةـ الذين كانوا قبل أرسـطـوـ فإـنهـ لاـ بدـ أنـ يـكونـ الفـاعـلـ المـبـدـعـ مـرـيدـاـ لـمـفـعـولـاتـهـ حينـ فعلـهـ لهاـ كماـ قالـ تعالىـ {إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} النـحلـ 40ـ ولاـ يـكـفيـ وجودـ إـرـادـةـ قـديـمةـ تـتـناـولـ جميعـ المتـجـددـاتـ بدونـ تـجـددـ إـرـادـةـ ذـلـكـ الحـادـثـ المـعـيـنـ لأنـهـ عـلـىـ هـذـاـ التـقـدـيرـ يـلـزـمـ جـواـزـ حدـوثـ الحـادـثـ بلاـ سـبـبـ حـادـثـ وـنـحـنـ نـتـكـلـمـ عـلـىـ التـقـدـيرـ الآـخـرـ وـهـوـ اـمـتـنـاعـ حدـوثـهاـ بـدـونـ سـبـبـ حـادـثـ وإذاـ كانـ عـلـىـ هـذـاـ التـقـدـيرـ لاـ بدـ منـ ثـبـوتـ إـرـادـةـ عـنـ وـجـودـ المـرـادـ وـلـاـ بدـ منـ إـرـادـةـ مـقـارـنـةـ لـلـمـرـادـ مستـلزمـةـ لـهـ آـمـتـنـعـ أـنـ يـكـونـ فـيـ الأـزـلـ إـرـادـةـ يـقـارـنـهاـ مـرـادـهاـ سـوـاءـ كـانـتـ عـامـةـ لـكـلـ ماـ يـصـدرـ عـنـهـ أوـ كـانـتـ خـاصـةـ بـبـعـضـ الـمـفـعـولـاتـ فـإـنـ مـرـادـهاـ هـوـ مـفـعـولـ الـرـبـ وـهـذـهـ إـرـادـةـ هـيـ إـرـادـةـ أـنـ يـفـعـلـ وـمـعـلـومـ أـنـ الشـيـءـ الـذـيـ يـرـيدـ الـفـاعـلـ أـنـ يـفـعـلـ لـاـ يـكـونـ شـيـئـاـ قـدـيمـاـ أـزـلـيـاـ لـمـ يـزـلـ وـلـاـ يـزالـ بلـ لـاـ يـكـونـ إـلـاـ حـادـثـ بـعـدـ أـنـ لـمـ يـكـنـ وـهـذـاـ مـعـلـومـ بـضـرـورـةـ الـعـقـلـ عـنـ عـامـةـ الـعـقـلـاءـ وـهـوـ مـتـفـقـ عـلـيـهـ عـنـ نـظـارـ الـأـمـمـ المسلمينـ وـغـيرـ الـمـسـلـمـينـ وـجـمـاهـيرـ الـفـلـاسـفـةـ الـأـوـلـيـنـ وـالـآـخـرـينـ حـتـىـ اـرـسـطـوـ وـأـتـبـاعـهـ وـلـمـ يـنـازـعـ فـيـ

¹ الصافية ج: 2 ص: 58

² الصافية ج: 2 ص: 71
³ منهاج السنة النبوية ج: 1 ص: 224

ذلك إلا شرذمة قليلة من المتفلسفه جوز بعضهم أن يكون مفعولاً ممكناً وهو قد يُقال أزلي كابن سينا وأمثاله وجوز بعضهم مع ذلك أن يكون مراداً وأما جماهير العقلاة فيقولون إن فساد كل من هذين القولين معلوم بضرورة العقل حتى المنتصرون لأرسطو وأتباعه كابن رشد الحفيد وغيره أنكروا كون الممكן يكون قد يُقال أزلياً على إخوانهم كابن سينا وبينوا أنهم خالفوا في هذا القول أرسطو وأتباعه وهو كما قال هؤلاء وكلام أرسطو بين في ذلك في مقالة اللام التي هي آخر كلامه في علم ما بعد الطبيعة وغير ذلك وأرسطو وقدماء أصحابه مع سائر العقلاة يقولون إن الممكן الذي يمكن وجوده وعدمه لا يكون إلا محدثاً كائناً بعد أن لم يكن والمفعول لا يكون إلا محدثاً وهم إذا قالوا بقدم الأفلاك لم يقولوا إنها ممكنة ولا مفعولة ولا مخلوقة بل يقولون إنها تتحرك للتشبه بالعلة الأولى فهي محتاجة إلى العلة الأولى التي يسميها ابن سينا وأمثاله واجب الوجود من جهة أنه لا بد في حركتها من التشبه به فهو لها من جنس العلة الغائية لا أنه علة فاعلة لها عند أرسسطو وذويه وهذا القول وإن كان من أعظم الأقوال كفراً وأضلالاً ومخالفة لما عليه جماهير العقلاة من الأولين والآخرين وللهذا عدل متأخروا الفلاسفة عنه وأدعوا موجباً كاماً زعمه ابن سينا وأمثاله¹

المسيح خلق بكلمة من كلمات الله

فإنه على قول الجمهور الذين يجعلون الله كلمات كثيرة إما كلمات لا نهاية لها ولم تزل وإما كلمات لها ابتداء وإذا كان له كلمات كثيرة فاليسوع ليس هو الكلمات التي لا نهاية لها وليس هو كلمات كثيرة بل إنما خلق بكلمة من كلمات الله كما في الكتب الإلهية القرآن والتوراة إنه يخلق الأشياء بكلماته قال تعالى {مَا كَانَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا فَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} مريم 35 وقد أخبر الله في القرآن بخلقه للأشياء بكلماته في غير موضع بقوله {إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} النحل 40 وفي التوراة ليكن يوم الأحد ليكن كذا ليكن كذا²

علم صفة الربوبية و علم صفة الإلهية

قال تعالى {إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} النحل 40 أن الله سبحانه وتعالى هو المالك الذي يتصرف في ملكه كما يشاء فإذا ظهر للعبد من سر الربوبية أن الملك والتدبر كله بيد الله تعالى قال تعالى {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} الملك 1 فلا يرى نفعاً ولا ضراً ولا حركة ولا سكونا ولا قبضاً ولا بسطاً ولا خفضاً ولا رفعاً إلا والله سبحانه وتعالى فاعله وخالقه وقابضه وباسطه ورافعه وخافضه فهذا الشهود هو سر الكلمات الكونيّات وهو علم صفة الربوبية والأول هو علم صفة الإلهية وهو كشف سر الكلمات التكليفيّات فالتحقيق بالأمر والنهي والمحبة والخوف والرجاء يكون عن كشف علم الإلهية والتحقيق بالتوكل

¹ منهاج السنة النبوية ج: 1 ص: 234

² الجواب الصحيح ج: 3 ص: 314

والتفويض والتسليم يكون بعد كشف علم الربوبية وهو علم التدبير السارى فى الأكونان كما قال عز وجل **{إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ تَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}** **{النحل 40}** فإذا تحقق العبد لهذا المشهد ووفقه لذلك بحيث لا يحجبه هذا المشهد عن المشهد الأول فهو الفقيه فى عبوديته فإن هذين المشهدتين عليهما مدار الدين فإن جميع مشاهد الرحمة واللطف والكرم والجمال داخل فى مشهد الربوبية¹

الله تعالى ليس له شريك في الخلق والتقوين

قال تعالى **{إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ تَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}** **{النحل 40}** فيقال الأمر الكوني يكون موجودا قبل وجود المكون لا يسمعه العبد وليس امتناله مقدورا له بل الرب هو الذى يخلق ما كونه بمشيئته وقدرته والله تعالى ليس له شريك في الخلق والتقوين والعبد وإن كان فاعلا بمشيئته وقدرته والله خالق كل ذلك فتقوين الله للعبد ليس هو أمرا العبد موجود في الخارج يمكنه الامتنال وكذلك ما خلقه من أحواله وأعماله خلقه بمشيئته وقدرته و **{إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}** **{يس 82}** فكل ما كان من المكونات فهو داخل في هذا الامر وأكل آدم من الشجرة وغير ذلك من الحوادث داخل تحت هذا كدخول آدم نفسه أكل آدم هو الداخل تحت هذا الأمر كما دخل آدم فقول القائل انه قال لأدم في الباطن كل مثل قوله انه قال للكافر اكفر وللفاسق افسق والله لا يأمر بالفحشاء ولا يحب الفساد ولا يرضى لعباده الكفر ولا يوجد منه خطاب باطن ولا ظاهر للكفار والفساق والعصابة بفعل الكفر والفسق والعصيان وان كان ذلك واقعا بمشيئته وقدرته وخلقه وأمره الكوني فالامر الكوني ليس هو أمرا للعبد أن يفعل ذلك الأمر بل هو أمر تقوين لذلك الفعل في العبد أو أمر تقوين لكون العبد على ذلك الحال فهو سبحانه الذي خلق الإنسان هلوعا **{إِنَّ الْإِنْسَانَ حُلُوْعًا}** **{19}** **{إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوا}** **{20}** **{وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنْوِعًا}** **{21}** **{المعارج 21-19}** وهو الذى جعل المسلمين مسلمين كما قال الخليل **{رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمَنْ ذُرِّيَّنَا أَمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ}**

{البقرة 128} فهو سبحانه جعل العباد على الأحوال التي خلقهم عليها وأمره لهم بذلك أمر تقوين بمعنى أنه قال لهم كانوا كذلك فيكونون كذلك كما قال للجماد كن فيكون فأمر التقوين لا فرق فيه بين الجماد والحيوان وهو لا يفتقر إلى علم المأمور ولا إرادته ولا قدرته لكن العبد قد يعلم ما جرى به القدر في أحواله كما يعلم ما جرى به القدر في أحوال غيره وليس في ذلك علم منه بأن الله أمره في الباطن بخلاف ما أمره في الظاهر بل أمره بالطاعة باطننا وظاهرها ونهاه عن المعصية باطننا وظاهرها وقدر ما يكون فيه من طاعة ومعصية باطننا وظاهرها وخلق العبد وجميع أعماله باطننا وظاهرها وكون ذلك بقوله كن باطننا وظاهرها وليس في القدر حجة لابن آدم ولا عذر بل القدر يؤمن به ولا يحتاج به والمحتج بالقدر فاسد العقل والدين متناقض فإن القدر ان كان حجة وعذرا لزم أن لا يلام أحد ولا يعاقب ولا يقتضى منه وحينئذ فهذا المحتج بالقدر يلزمـه اذا ظلم فى نفسه وماليه وعرضـه وحرمتـه ان لا ينتصر من الظلم ولا يغضـب عليه ولا يذمه وهذا أمر ممتنع فى الطبيعة لا يمكن أحد أن يفعلـه فهو ممتنع طبعـا محرـم شرعا ولو كان القدر حجة وعذرا لم يكن اـليس ملومـا ولا مـعاقبا ولا فـرعون وـقوم نـوح وـعاد وـثمود وـغيرـهم من الكـفار ولا كان جـهادـ الكـفار جـائزـا ولا

¹ مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 90

اقامة الحدود جائزا ولا قطع السارق ولا جلد الزانى ولا رجمه ولا قتل القاتل ولا عقوبة معنده بوجه من الوجوه ولما كان الإحتجاج بالقدر باطلأ فى فطر الخلق وعقولهم لم تذهب اليه أمة من الأمم ولا هو مذهب أحد من العقلاة الذين يطربون قولهم فإنه لا يستقيم عليه مصلحة أحد لا فى دنياه ولا آخرته ولا يمكن اثنان أن يتشارا ساعة واحدة إن لم يكن أحدهما ملتزما مع الآخر نوعا من الشرع فالشرع نور الله فى أرضه وعلمه بين عباده لكن الشرائع تتتنوع فتارة تكون منزلة من عند الله كما جاءت به الرسل وتارة لا تكون كذلك ثم المنزلة تارة تبدل وتغير كما غير أهل الكتاب شرائعهم وتارة لا تغير ولا تبدل وتارة يدخل النسخ فى بعضها وتارة لا يدخل وأما القدر فانه لا يحتاج به أحد إلا عند اتباع هواه فإذا فعل فعلا محظيا بمجرد هواه وذوقه وووجهه من غير أن يكون له علم بحسن الفعل ومصلحته استند إلى القدر كما قال المشركون {لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمَنَا مِنْ شَيْءٍ} 148 الانعام قال الله تعالى {كَذَّلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بِأَنَّا قُلْ هَلْ عَنْدَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ قَتْرَنِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَبَعُونَ إِلَّا الظَّنُّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ} 148 البالغة فلو شاء لهذاكم أجمعين 149 الانعام 148-149 فيبين أنهم ليس عندهم علم بما كانوا عليه من الدين وإنما يتبعون الظن¹

لطائف لغوية

1- قال تعالى {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَآذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ} 24 {لِيَحْمِلُوا أَوزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوزَارِ الَّذِينَ يُضْلُلُونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَسَاءَ مَا يَزِرُونَ} 25 النحل 24-25 عامة الأسماء يتتنوع مسمهاها بالاطلاق والتقييد ولفظ الضلال اذا أطلق تناول من ضل عن الهدى سواء كان عمدا أو جهلا ولزم أن يكون معذبا ك قوله {إِنَّهُمْ أَفَغُوا أَبْيَاءَهُمْ ضَالِّينَ} 69 فهم على أثارهم يُهْرَعُونَ 70 {وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ} 71 الصافات 69-71 قوله {وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطْعَنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضْلَلُونَا السَّبِيلَا} 67 {رَبَّنَا أَتَهُمْ ضَعِيفُينَ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا} 68 الأحزاب 67-68 قوله {فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَىِي فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى} طه 123 ثم يقرن بالغى والغضب كما في قوله {مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى} النجم 2 وفي قوله {غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} الفاتحة 7 قوله {إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ} القمر 47²

2- قال تعالى {الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَلَلَّقُوا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} النحل 28 عليم منه عن الجهل³

¹ مجموع الفتاوى ج: 2 ص: 323-324

² مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 167

³ الجواب الصحيح ج: 4 ص: 407

3- قال تعالى {وَقَلِيلٌ لِّلَّذِينَ اتَّقُوا مَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلِنَعْمَ دَارُ الْمُنْتَقِينَ} 30 جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُنْتَقِينَ } 31 عامة الأسماء يتتنوع مسمها بالاطلاق والتقييد وكذلك اذا افرد اسم طاعة الله دخل في طاعته كل ما أمر به وكانت طاعة الرسول داخلة في طاعته وكذا اسم التقوى اذا افرد دخل فيه فعل كل مأمور به وترك كل محظور قال طلق بن حبيب التقوى ان تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو رحمة الله وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عذاب الله وهذا كما في قوله {إِنَّ الْمُنْتَقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ} 54 في مقعد صدق عند مليك مقتدر } 55 القمر 54-55 وقد يقرن بها اسم آخر كقوله {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلُ لَهُ مَحْرَجاً } 2 وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ } 3 الطلاق 2-3 وقوله {إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصِيرُ } يوسف 90 وقوله { وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ } النساء 1

4- قال تعالى { جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُنْتَقِينَ } النحل 31 قوله تعالى { تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ } البقرة 25 فيقال النهر كالقرية والميزاب كما يستعمل لفظ القرية تارة في السكان في مثل قوله { وَاسْأَلِ الْقُرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا } يوسف 82 وتارة في المساكن ونحو ذلك يراد به الحال ويراد به المحل فإذا قيل حفر النهر أريد به المحل وإذا قيل جري النهر أريد به الحال²

5- قال تعالى { جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُنْتَقِينَ } النحل 31 إن الجنة هي الدار الجامعة لكل نعيم واعلى ما فيها النظر إلى وجه الله وهو من النعيم الذي ينالونه في الجنة كما أخبرت به النصوص وكذلك أهل النار فانهم محظوظون عن ربهم يدخلون النار³

6- قال تعالى { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالُهُ سَبِّرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ } 36 تَحْرِصُ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ } 37 النحل 36-37 عامة الأسماء يتتنوع مسمها بالاطلاق والتقييد ولفظ الضلال اذا أطلق تناول من ضل عن الهدى سواء كان

¹ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 164

² مجموع الفتاوى ج: 20 ص: 464

³ مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 65

عما أو جهلاً ولزم أن يكون معذباً كقوله {إِنَّهُمْ أَفْوَأُبَاءُهُمْ ضَالِّينَ} 69 فهم على آثارهم يهرون {70} ولقد ضلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ} 71 الصافات 69-71 قوله {وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءِنَا فَأَضْلَلُونَا السَّبِيلَا} 67 رَبَّنَا آتَهُمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا} 68 الأحزاب 67-68 قوله {فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَىً فَلَا يُضِلُّ وَلَا يُشْقَى} 123 طه ثم يقرن بالغى والغضب كما في قوله {مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى} النجم 2 وفي قوله {غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} الفاتحة 7 قوله {إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُرْعِ} 1 القمر 47

7- قال تعالى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمَنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمَنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسَيِّرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ} 36 إن تحرصن على هداهم فإن الله لا يهدي من يضلُّ وما لهم من ناصريين} 37 النحل 36-37 والطاغوت فعلوت من الطغيان كما أن الملوك فعلوت من الملك والرحموت والرهبتو الرغبوت فعلوت من الرحمة والرعبه والرغبة والطغيان مجاوزة الحد وهو الظلم والبغى فالمعبود من دون الله اذا لم يكن كارها لذلك طاغوت ولها سمي النبي الأصنام طواغيت في الحديث الصحيح لما قال ويتبع من يعبد الطواغيت الطواغيت والمطاع في معصية الله والمطاع في اتباع غير الهدى ودين الحق سواء كان مقبولاً خبره المخالف لكتاب الله او مطاعاً امره المخالف لأمر الله هو طاغوت ولها سمي من تحكم اليه من حاكم بغير كتاب الله طاغوت وسمى الله فرعون وعادا طاغة وقال في صيحة ثمود {فَأَمَّا ثَمُودٌ فَأَهْلَكُوا بِالْطَّاغِيَةِ} 2 الحاقة 5

8- والطاغوت كل معظم ومتعمض بغير طاعة الله ورسوله من إنسان أو شيطان أو شيء من الأوثان³

9- قال تعالى {فَسَيِّرُوا فِي الْأَرْضِ} 36 النحل المراد عليها ويقال فلان في الجبل وفي السطح وإن كان على أعلى شيء فيه⁴

¹ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 167

² مجموع الفتاوى ج: 28 ص: 201-202

³ قاعدة في المحبة ج: 1 ص: 193

⁴ مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 53

10- قال تعالى { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسَيِّرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ } 36 إن تَحْرِصُ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضْلِلُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ } 37 النحل 36-37 أن جميع الأفعال مشتقة سواء كانت هي مشتقة من المصدر أو كان المصدر مشتقا منها أو كان كل واحد منها مشتقا من الآخر بمعنى أن بينهما مناسبة في اللفظ والمعنى لا بمعنى أن أحدهما أصل والآخر فرع بمنزلة المعاني المتضادة كالابوة والبنوة أو كالأخوة من الجانبين ونحو ذلك فعلى كل حال إذا أمر بفعل كان نفس مصدر الفعل أمرا مطلوبا للأمر مقصودا له كما في قوله { اعْبُدُوا اللَّهَ } النحل 36 وفي قوله { وَاتَّقُوا اللَّهَ } البقرة 189 وفي قوله { وَاحْسِنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ } المائدة 93 وفي قوله { فَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ } التغابن 8 وفي قوله { فَعَلَيْهِ تَوَكُّلًا } يونس 84 فإن نفس التقوى والإحسان والإيمان والعبادة والتوكلا أمر مطلوبة مقصودة بل هي نفس المأمور به¹

11- قال تعالى { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسَيِّرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ } 36 إن تَحْرِصُ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضْلِلُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ } 37 النحل 36-37 عامة الأسماء يتتوعد مسماها بالاطلاق والتقييد وكذلك لفظ الهدى اذا أطلق تناول العلم الذي بعث الله به رسوله والعمل به جميعا فيدخل فيه كل ما أمر الله به كما في قوله { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } الفاتحة 6 والمراد طلب العلم بالحق والعمل به جميعا وكذلك قوله { هُدًى لِلْمُنَّتَّقِينَ } البقرة 2 والمراد به أنهم يعلمون ما فيه ويعلمون به ولهذا صاروا مفلحين وكذلك قول أهل الجنة { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا } الأعراف 43 وانما هداهم بأن لهم العلم النافع والعمل الصالح ثم قد يقرن الهدى اما بالاجتباء كما في قوله { وَاجْتَبِيَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } الأنعام 87 وكما في قوله { شَاكِرِاً لَا نُعْمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ } النحل 121 { اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ } الشورى 13 وكذلك قوله تعالى { هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينَ الْحَقِّ } التوبه 33 والهدى هنا هو الايمان ودين الحق هو الاسلام اذا أطلق الهدى كان كالايمان المطلق يدخل فيه هذا وهذا²

12- قال تعالى { وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } النحل 38 قال أهل اللغة وهذا لفظ الجوهرى اليمين القسم والجمع أيمان وأيمان فقال سمى بذلك لأنهم كانوا إذا تحالفوا يمسك كل إمرىء منهم على يمين صاحبه³

¹ اقتضاء الصراط ج: 1 ص: 51

² مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 166

³ مجموع الفتاوى ج: 35 ص: 342

النحل 64-41

{ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنْبُوَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جُرْ
الآخِرَةَ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ } 41 { الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } 42 { وَمَا
أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوهُ أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا
تَعْلَمُونَ } 43 { بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ
وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } 44 { أَفَأَمَنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ
أَوْ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ } 45 { أَوْ يَأْخُذُهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ فَمَا هُمْ
بِمُعْجِزِينَ } 46 { أَوْ يَأْخُذُهُمْ عَلَى تَحْوُفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَوُوفٌ رَّحِيمٌ } 47 { أَوْ لَمْ يَرَوْا
إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظَلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّداً لِلَّهِ وَهُمْ
دَاخِرُونَ } 48 { وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ
وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ } 49 { يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فُوقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمِرُونَ } 50 {
وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَخَذُوا إِلَهَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّاهُ فَارْهَبُونَ } 51 { وَلَهُ مَا
فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصْبِرْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ } 52 { وَمَا بَكُُمْ مِنْ
نِعْمَةٍ فَمَنَّ اللَّهُ ثُمَّ إِذَا مَسَكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجَارُونَ } 53 { ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ
إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ } 54 { لِيَكُفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ
تَعْلَمُونَ } 55 { وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مَمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَالَّهُ لَتَسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ
تَفْتَرُونَ } 56 { وَيَجْعَلُونَ اللَّهَ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ } 57 { وَإِذَا بُشَّرَ
أَحَدُهُمْ بِالْأَنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًا وَهُوَ كَظِيمٌ } 58 { يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا
بُشَّرَ بِهِ أَيْمَسْكُهُ عَلَى هُونَ أَمْ يَدْسُهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ } 59 { لِلَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثُلُ السُّوءِ وَلِلَّهِ الْمَثُلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } 60 { وَلَوْ
يُوَاحِدُ اللَّهُ النَّاسُ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُوَحِّرُهُمْ إِلَيْ أَجَلٍ مُسَمَّى
فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ } 61 { وَيَجْعَلُونَ اللَّهَ مَا
يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ الْسَّنَنُهُمُ الْكَذَبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ
مُفْرَطُونَ } 62 { تَالَّهُ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْ أُمَّمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَرَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ
فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } 63 { وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمْ
الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدَى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } 64 }

ثواب الآخرة أعظم وإنما يذكر الثواب والعقاب في الدنيا تبعاً

قال تعالى {وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنْبُوَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ} 41 {الذِّينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} 42 النحل 41-42 ومن المعلوم بما أرانا الله من آياته في الآفاق وفي أنفسنا وبما شهد به في كتابه أن المعاصي سبب المصائب فسيئات المصائب والجزاء من سيئات الأعمال وان الطاعة سبب النعمة فاحسان العمل سبب لاحسان الله قال تعالى {مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ} النساء 79 وقال {وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمْتُ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ} الشورى 48 وقد أخبر سبحانه بما عاقب به أهل السينات من الأمم كقوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدین وقوم فرعون في الدنيا وأخبر بما يعاقبهم به في الآخرة ولهذا قال مؤمن آل فرعون {يَا قَوْمَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مُثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ} 30 مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلما للعباد} 31 {وَيَا قَوْمَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ} 32 {يَوْمَ ثُولُونَ مُذْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ} 33 غافر 30-33 وقال تعالى {وَكَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ} لو 41 {كَانُوا يَعْلَمُونَ} القلم 33 وقال {سَنَعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ} التوبة 101 ولهذا يذكر الله في عامة سور الإنذار ما عاقب به أهل السينات في الدنيا وما أعد لهما في الآخرة وقد يذكر في السورة وعد الآخرة فقط اذ عذاب الآخرة أعظم وثوابها أعظم وهي دار القرار وإنما يذكر ما يذكره من التواب والعذاب في الدنيا تبعا لقوله في قصة يوسف {وَكَذَلِكَ مَكَّنَا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} 56 {وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ} 57 يوسف 56-57 وقال {وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنْبُوَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ} 41 {كَانُوا يَعْلَمُونَ} 41 {الذِّينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} 42 النحل 41-42

¹ 42

الجهاد سنام العمل وجميع الأحوال الشريفة

قال تعالى {وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرًا} 2 {وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} 3 الأحزاب 2-3 فأمره بإتباع ما أوحى إليه من الكتاب والحكمة التي هي سنته وبأن يتوكلا على الله فبالأولى يتحقق قوله {إِنَّا لَنَعْبُدُ} الفاتحة 5 وبالثانوية يتحقق قوله {وَإِنَّا نَسْتَعِينُ} الفاتحة 5 ومثل ذلك قوله {فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ} هود 123 قوله {عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِنِّي أُنِيبُ} هود 88 وهذا وإن كان مأمورا به في جميع الدين فإنه ذلك في الجهاد أو ك لأنه يحتاج إلى أن يجاهد الكفار والمنافقين وذلك لا يتم إلا بتأييد قوى من الله ولهذا كان الجهاد سنام العمل وإن تنظم سنام جميع الأحوال الشريفة فيه سنام المحبة كما في قوله {فَسَوْفَ يَاتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّوْنَهُ أَذْلَهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةً لَائِمٌ} المائدة 54 وفيه سنام التوكل وسنام الصبر فإن المجاهد أحوج الناس إلى الصبر والتوكل ولهذا قال تعالى {وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنْبُوَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ} 41 {كَانُوا يَعْلَمُونَ} 41 {الذِّينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} 42 النحل 41-42 {قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ

الأرضَ لِهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ } الأعراف 128 ولهذا كان الصبر واليقين اللذين هما أصل التوكل يوجبان الإمامة في الدين كما دل عليه قوله تعالى {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهُدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ } السجدة 24 ولهذا كان الجهاد موجبا للهداية التي هي محطة بأبواب العلم كما دل عليه قوله تعالى {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُّلَنَا} العنكبوت 69 فجعل من جاهد فيه هداية جميع سبله تعالى ولهذا قال الإمام عبد الله بن المبارك وأحمد بن حنبل وغيرهما إذا اختلف الناس في شيء فإنظروا ماذا عليه أهل التغز فإن الحق معهم لأن الله يقول {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُّلَنَا} العنكبوت 69 وفي الجهاد أيضا حقيقة الزهد في الحياة الدنيا وفي الدار الدنيا وفيه أيضا حقيقة الإخلاص فإن الكلام فيمن جاهد في سبيل الله لا في سبيل الرياسة ولا في سبيل المال ولا في سبيل الحمية وهذا لا يكون إلا لمن قاتل ليكون الدين كله الله ولتكون كلمة الله هي العليا وأعظم مراتب الإخلاص تسليم النفس والمال للمعبود كما قال تعالى {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلُونَ وَيُقْتَلُونَ} التوبة 111 و الجنة إسم للدار التي حوت كل نعيم أعلاه النظر إلى الله إلى ما دون ذلك مما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين مما قد نعرفه وقد لا نعرفه كما قال الله تعالى فيما رواه عنه رسوله أعددت لعبادى الصالحين مala عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر¹

المهاجر من هجر ما نهى الله عنه

قال تعالى {وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلْمُوا لِنُبُوَّنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَا جُرُّ الْآخِرَةِ أَكْبُرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ } 41 {الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } 42 } النحل 42 الناس مأمورون عند المصائب التي تصيبهم بأفعال الناس أو بغير أفعالهم بالتسليم للقدر وشهاد الروبيبة كما قال تعالى {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا إِنَّ اللَّهَ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ شَيْءًا عَلَيْمٌ } التغابن 11 قال ابن مسعود أو غيره هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم إحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت لكان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان فأمره بالحرص على ما ينفعه وهو طاعة الله ورسوله فليس للعباد أنفع من طاعة الله ورسوله و أمره إذا أصابته مصيبة مقدرة أن لا ينظر إلى القدر ولا يتسرى بتقدير لا يفيد و يقول قدر الله وما شاء فعل و لا يقول لو أني فعلت لكان كذا فيقدر ما لم يقع يتمنى أن لو كان وقع فإن ذلك إنما يورث حسر و حزنا لا يفيد و التسليم للقدر هو الذي ينفعه كما قال بعضهم الأمر أمران أمر فيه حيلة فلا تعجز عنه و أمر لا حيلة فيه فلا تجزع منه و ما زال أئمة الهدى من الشيوخ وغيرهم يوصون الإنسان بأن يفعل المأمور و يترك المحظور و يصبر على المقدور وإن كانت تلك المصيبة بسبب فعل آدمي و بهذا جاء الكتاب و السنة قال الله تعالى {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا إِنَّ اللَّهَ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ } التغابن 11 و قال تعالى {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي

¹ مجموع الفتاوى ج: 28 ص: 441-443

الأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّنْ قَبْلِ أَنْ تَنْبَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ } الْحَدِيد 22 و سواء في ذلك المصائب السماوية وال المصائب التي تحصل بفعل الآدميين قال تعالى {وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا } المزمول 10 {وَلَقَدْ كُذِبْتُ رُسُلٌ مِّنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا } الأنعام 34 و قال في سورة الطور بعد قوله { فَذَكَرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بَكَاهِنَ وَلَا مَجْنُونٍ } 29 { أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ تَرَبَّصَ بِهِ رَبِّ الْمَتْنُونِ } 30 { قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعْكُمْ مِّنَ الْمُتَرَبَّصِينَ } 31 { الطور 29-31 إلى قوله } أَمْ يَقُولُونَ تَقَوْلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ } 33 { الطور 33 إلى قوله } أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِّنْ مَغْرِمٍ مُّتَقْلُونَ } 40 { أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ } 41 { الطور 40-41 إلى قوله } وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا } 48 { الطور 48

و قال تعالى في سورة ن } أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِّنْ مَغْرِمٍ مُّتَقْلُونَ } 46 { أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ } 47 { فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ } 48 { القلم 46-48 و قال تعالى {وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لِنُبَوِّئَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لُؤْ كَانُوا يَعْلَمُونَ } 41 { الْذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } 42 { النحل 41-42 فهؤلاء ظلموا فصبروا على ظلم الظالم لهم و سبب نزولها المهاجرون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم و هي عامة في كل من يتصرف بهذه الصفة وأصل المهاجر من هجر ما نهى الله عنه كما ثبت ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم فكل من هجر السوء فظلمه الناس على ترك الكفر و الفسوق و العصيان حتى أخرجوه لا هجر بعض أمور في الدنيا فصبر على ظلمهم فإن الله يبوئه في الدنيا حسنة و لأجر الآخرة أكبر كيوف الصديق فإنه هجر الفاحشة حتى أجاه ذلك منزله و اللبث في السجن بعد ما ظلم فمكنته الله حتى تبأوا من الأرض حيث يشاء وقال الذين لقوا الكفار { رَبَّنَا أَفْرَغَ عَلَيْنَا صَبَرَا } القراءة 250 و قال { إِنْ يَكُنْ مِّنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِنْتَهِنَ وَإِنْ يَكُنْ مِّنْكُمْ مِّنْهُ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ } 65 { الانْ حَفَّ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيهِمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِّنْكُمْ مِّنْهُ صَابِرَةً يَغْلِبُوا مِنْتَهِنَ وَإِنْ يَكُنْ مِّنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَإِذْنِ اللَّهِ مَعَ الصَّابِرِينَ } 66 { الأنفال 65-66 و قال { كَمْ مِنْ فِتَّةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتَّةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَإِذْنِ اللَّهِ مَعَ الصَّابِرِينَ } البقرة 249 فهذا كله صبر على ما قدر من أفعال الخلق و الله سبحانه مدح في كتابه الصبار الشكور قال تعالى { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَارٍ شَكُورٍ } إبراهيم 5 في غير موضع فالصبر و الشكر على ما يقدره الرب على عبده من السراء و الضراء من النعم و المصائب من الحسنات التي يبلوه بها و السبيبات فعليه أن يتلقى المصائب بالصبر و النعم بالشكور و من النعم ما ييسره له من أفعال الخير و منها ما هي خارجة عن أفعاله فيشهد القدر عند فعله للطاعات و عند إنعام الله عليه فيشكوه¹

لا بد من التقوى بفعل المأمور والصبر على المقدور

(ناقص ن م) ففي هذا توكل على الله وإستعانة به أن يثبت القلب على الإيمان والطاعة وفيه صبر على المحنـة والبلاء والأذى الحالـل إذا ثبت على الإيمان والطاعة وهذا قوله موسى عليه السلام لقومه { اسْتَعِنُو بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لَهُ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَقِينَ

¹ مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 319-324

{الأعراف 128} لما قال فرعون {سَنُقْتَلُ أَبْنَاءُهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَا فَوْقُهُمْ قَاهِرُونَ} {127} قال موسى لقومه استعينوا بالله وأصبروا إن الأرض الله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين {128} {الأعراف 127-128} وكذلك قوله {وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لِنَبُوَّنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلِأَجْرِ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} {41} {الذين صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} {42} {النحل 41-42} ومنه قول يوسف عليه السلام {فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} {يوسف 90} وهو نظير قوله {بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَقَوَّا وَيَأْتُوكُمْ مَنْ فَوْرَهُمْ هَذَا يُمْدِدُكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةٍ أَلَفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ} {آل عمران 125} قوله {وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَقَوَّا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} {آل عمران 186} فلا بد من التقوى بفعل المأمور والصبر على المقدور¹

اثبات جنس الرسالة

قال تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوهُ أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} {43} {بِالْبَيِّنَاتِ وَالْزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} {44} {النحل 43-44} والاقيسة التي يستعملها الفلاسفة في علومهم ويجعلونها كلية كلها يعتقدون فيها بالامثلة وليس مع القوم إلا ما علموه من صفات الامور المشاهدة ثم قاسوا الغائب على المشاهد به بالجامع المشترك الذي يجعلونه كلية فان لم يكن هذا صحيحا لم يكن مع أحد من أهل الارض علم كلية يشترك فيه ما شهد و ما غاب عنه حتى قوله الخبر يشبع والماء يروي ونحو ذلك فانه لم يعلم بحسه إلا امورا معينة فمن أين له أن الغائب بمنزلة الشاهد إلا بهذه الطريق والانسان قد يذكر امرا حتى يرى واحدا من جنسه فيقر بالنوع ويستفيد بذلك حكما كلية ولهذا يقول سبحانه كذبت قوم نوع المرسلين {كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ} {الشعراء 123} {كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ} {الشعراء 141} {كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ} {الشعراء 160} ونحو ذلك وكل من هؤلاء إنما جاءه رسول واحد لكن كانوا مذنبين بجنس الرسل لم يكن تكذيبهم بالواحد لخصوصه وهذا بخلاف تكذيب اليهود والنصارى لمحمد صلى الله عليه وسلم فانهم لم يكذبوا جنس الرسل إنما كذبوا واحدا بعينه بخلاف مشركي العرب الذين لم يعرفوا الرسل فان الله يحتاج عليهم في القرآن باثباتات جنس الرسالة ولهذا يجيب سبحانه عن شبه منكري جنس الرسالة كقولهم {أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا} {الإسراء 94} فيقول {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوهُ أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} {النحل 43} أي هذا متواتر عند أهل الكتاب فاسألوهم عن الرسل الذين جاءتهم أكانوا بشرا أم لا وكذلك قوله {وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ اللَّهُ مَلَكًا وَلَوْ أَنَّزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ} {8} ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون {9} الانعام 8-9 فانهم لا يستطيعون الاخذ عن الملك في صورته فلو أرسلنا اليهم ملكا لجعلناه رجلا في صورة الانسان وحينئذ كان يلبس عليهم الامر ويقولون هو رجل والرجل لا يكون رسوله وكذلك الرسل قبله قال تعالى {أَوَ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مَنْكُمْ لَيُنَذِّرَكُمْ وَلَتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} {الأعراف 63} وقال تعالى {أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ} {يونس 2} وكما قال تعالى {قُلْ مَا كُنْتُ بِذُعْنٍ مِنْ الرُّسُلِ} {الأحقاف 9} ونحو ذلك

¹ مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 130-131

فكان علمهم بثبوت معين من هذا النوع يوجب العلم بقضية مطلقة وهو ان هذا النوع موجود بخلاف ما إذا اثبت ذلك ابتداء بلا وجود نظير فانه يكون اصعب وإن كان ممكنا فان نوها اول رسول بعثه الله الى اهل الارض ولم يكن قبله رسول بعث الى الكفار المشركين يدعوهم الى الانتقال عن الشرك الى التوحيد وآدم والذين كانوا بعده كان الناس في زمهن مسلمين كما قال ابن عباس كان بين آدم ونوح عشر قرون كلهم على الاسلام لكن لما بعث الله نوها وانجي من آمن به وأهلك من كذبه صار هذا المعين يثبت هذا النوع أقوى مما كان يثبت ابتداء¹

الاستشهاد بأهل الكتاب

قال تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوهُ أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } 43
 { بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنَزَلْنَا إِلَيْكَ الْذِكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } 44 } النحل 43-44 أمر الله رسوله بسؤال أهل الكتاب بما تواتر عندهم قوله { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوهُ أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } النحل 43 فان من الكفار من أنكر أن يكون الله رسول بشر فأخبر الله ان الذين أرسلهم قبل محمد كانوا بشرا وامر بسؤال أهل الكتاب عن ذلك لمن لا يعلم وكذلك سؤالهم عن التوحيد وغيره مما جاءت به الأنبياء وكفر به الكافرون فال تعالى { وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ } الرعد 43 وقال تعالى { فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مَّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ } يونس 94 وقال تعالى { قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهَدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمَّنَ وَاسْتَكْبَرُتُمْ } الأحقاف 10 وكذلك شهادة أهل الكتاب بتصديق ما أخبر به من أنباء الغيب التي لا يعلمها إلا نبى أو من أخبره نبى وقد علموا أن محمدا لم يتعلم من أهل الكتاب شيئا وهذا غير شهادة أهل الكتاب له نفسه بما يجدونه من نعنه في كتبهم قوله تعالى { أَوْلَمْ يَكُنْ لَّهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ } الشعراة 197 وقوله تعالى { وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِّنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونُنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ } الأنعام 114 وأمثال ذلك²

و أما أهل الكتاب فإذا شهدوا بما تواتر عن الأنبياء وبما علم صدقه كانت تلك شهادة نافعة كما لو كان الأنبياء موجودين وشهدوا له لأن ما ثبت نقله عنهم بالتواتر وغيره كان بمنزلة شهادتهم أنفسهم ولهذا نحن نشهد على الأمم بما علمناه من جهة نبينا كما قال تعالى { وَكَذَّلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أَمَّهُ وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا } القراءة 143 فإن الله سبحانه وتعالى قد ذكر الاستشهاد بأهل الكتاب في غير آية قوله تعالى { قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهَدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ } الأحقاف 10 وقال تعالى { فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مَّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ } يونس 94 وقال { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوهُ أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } النحل 43³

¹ الرد على المنطقين ج: 1 ص: 369-384

² مجموع الفتاوى ج: 19 ص: 11

³ منهاج السنة النبوية ج: 7 ص: 254

المقصود بيان أن أهل الكتاب عندهم ما يصدقك فيما كذبك فيه الكافرون¹

فأخبر أنه لم يرسل إلا رجالاً يوحى إليهم لم يرسل إليهم ملائكة ولا نساء وأنه أرسلهم بالبيانات والزبر والزبر جمع زبور وهي الكتب فإن منهم من أنزل عليه كتاب ومنهم من أرسل بتجديد الكتاب الذي قبله ثم أخبر أن الذين من قبلهم جاءتهم رسائلهم بالبيانات وبالزبر والكتاب المنير وهذا من عطف الخاص على العام لاختصاصه بوصف يختص به قوله { وَمَلَائِكَتِهِ وَرَسُولِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ } البقرة 98 فإن الزبر من البيانات والكتاب المنير من الزبر وهو قوله { وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ } الحج 8 فإن الهدى من العلم والكتاب المنير من الهدى²

{ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ }

قال تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } 43 بِالْبَيِّنَاتِ وَالْزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } 44 النحل 43-44 يبين أنه لم يرسل ملائكة بل رجالاً من أهل القرى ليبيّن أن هذا معتاد معروف ليس هو أمرًا لم تجر به عادة الرب قوله تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } النحل 43 وكانت العرب لا عهد لها بالنبوة من زمان إسماعيل فقال الله لهم { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } النحل 43 فاسألوا أهل الذكر يعني أهل الكتاب إن كنتم لا تعلمون هل أرسل إليهم رجالاً أو ملائكة ولهذا قال له { قُلْ مَا كُنْتُ بِدُعَاءً مِّنْ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا يَكُنْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوَحَّى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ } الأحقاف 9 وقال { وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ } آل عمران 144 بين أن هذا الجنس من الناس معروف قد تقدم له نظراً وأمثال وهو سبحانه أمر أن يسأل أهل الكتاب وأهل الذكر بما عندهم من العلم في أمور الأنبياء هل هو من جنس ما جاء به محمد أو هو مخالف له ليتبين بإخبار أهل الكتاب المتوترة جنس ما جاءت به الأنبياء وحينئذ فيعرف قطعاً أن محمداًنبي بل هو أحق بالنبوة من غيره والثاني أن يسألوهم عن خصوص محمد وذكره عندهم وهذا يعرفه الخاصة منهم ليس هو معروفاً كالأول يعرفه كل كتابي³

ليس في النساء نبية

الجواب الصحيح ج: 2 ص: 359¹

الجواب الصحيح ج: 6 ص: 382-384²

النبوات ج: 1 ص: 16-17 و العقيدة الأصفهانية ج: 1 ص: 194³

ليس في النساء نبية كما تقوله عامة المسلمين وقد ذكر إجماعهم على ذلك غير واحد مثل القاضيين أبي بكر بن الطيب أبي يعلى ابن أبي الفراء والأستاذ أبي المعالى الجويني وغيرهم والقرآن والسنة دلا على ذلك كما في قوله **{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ}** النحل 43 وقوله **{مَا مَسِيحُ ابْنِ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأَمْمَةً صَدِيقَةً}** المائدة 75 ذكر أن غاية ما انتهت إليه أمه الصديقية وخلاف ابن حزم شاذ مسبوق بالإجماع فإن دعوه أن أم موسى كانت نبية هي ومريم قول لا يعرف عن أحد من السلف والأئمة وقد ثبت في الصحيح عدد من كمل من النساء وليس فيهن أم موسى بل قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وأسيمة بنت مزاحم يعني من قبلنا فذكرنا والتي حضنت موسى وفيهن كمل من ليس بنبي خديجة وأسيمة امرأة فرعون وغيرهما والأنبياء أفضل من غيرهم فلو كانت نبية لكان غير النبي أفضل منه أو غير الكامل أفضل من الكامل¹

القرآن جاء بالآيات والهدى بالآيات البينات وهى الدلائل اليقينيات

فإن آيات الله هي دلالاته وبراهينه التي بها يعرف العباد خبره وشهادته كما عرفهم بها أمره ونهيه و هو عليم حكيم فخبره يتضمن أمره ونهيه و فعله يبين حكمته فالأنبياء إذا أخبروا عنه بكلامه عرف بذلك شهادته وأياته القولية و لابد أن يعرف صدق الأنبياء فيما أخبروا عنه و ذلك قد عرفه بأياته التي أيد بها الأنبياء و دل بها على صدقهم فإنه لم يبعث نبيا إلا بأية تبين صدقه إذ تصديقه بمالا يدل على صدقه غير جائز كما قال **{لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا بِالْبَيِّنَاتِ}** الحديده 25 أي بالآيات البينات و قال **{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْתُمْ لَا تَعْلَمُونَ} **{إِلَيْنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}** النحل 43-44 و قال **{قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالذِّي قُلْتُمْ}** آل عمران 183 وقال **{فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالرُّزُبِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ}** آل عمران 184 وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من نبي من الأنبياء إلا وقد اوتى من الآيات ما آمن على مثله البشر و إنما كان الذي أوتيته و حيا أوحاه الله إلى فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيمة فالآيات و البراهين التي أرسل بها الرسل دلالات الله على صدقهم دل بها العباد و هي شهادة الله بصدقهم فيما بلغوا عنه و الذي بلغوه فيه شهادته لنفسه فيما أخبر به و لهذا قال بعض النظار أن المعجزة تصدق الرسول و هي تجري مجرى المرسل صدقت فهي تصدق بالفعل تجري مجرى التصديق بالقول إذ كان الناس لا يسمعون كلام الله المرسل منه وتصديقه إخبار بصدقه و شهادة له بالصدق و شهادة له بأنه أرسله و شهادة له بأن كلما يبلغه عنه كلامه وهو**

¹الجواب الصحيح ج: 2 ص: 349

مجموع الفتاوى ج: 4 ص: 396 والصديقية ج: 1 ص: 198-199

سبحانه إسمه المؤمن وهو في أحد التفسيرين المصدق الذي يصدق أنبياءه فيما أخبروا عنه بالدلائل
التي دل بها على صدقه¹

ان هؤلاء الغالطين الذين أعرضوا عما في القرآن من الدلائل العقلية والبراهين اليقينية لا يذكرون
النظر والدليل والعلم الذي جاء به الرسول والقرآن مملوء من ذلك والقرآن جاء بالبيانات والهدي
بالآيات البيانات وهي الدلائل اليقينيات وقد قال الله تعالى لرسوله {إذْعِ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ
وَالْمُوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالْتَّيْهِ هِيَ أَحْسَنُ} النحل 125²

الأمر بسؤال العلم

وأما سؤال المخلوق أن يقضى حاجة نفسه أو يدعوه له فلم يؤمر به بخلاف سؤال العلم فإن
الله أمر بسؤال العلم كما في قوله تعالى {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الْدُّرْكِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} النحل 43 وهذا
لأن العلم يجب بذلك فمن سئل عن علم يعلمه فكتمه ألمجمه الله بلجام من نار يوم القيمة وهو يزكي على
التعليم لا ينقص بالتعليم كما تنقص الأموال بالبذل ولهذا يشبه بالمصباح وكذلك من له عند غيره
حق من عين أو دين كالأمانات مثل الوديعة والمضاربة لصاحبها أن يسألها من هي عنده وكذلك
مال الفيء وغيره من الأموال المشتركة التي يتولى قسمتها ولـى الأمر للرجل أن يطلب حقه منه كما
يطلب حقه من الوقف والميراث والوصية لأن المستولى يجب عليه أداء الحق إلى مستحقه ومن هذا
الباب سؤال النفقـة لمن تجب عليه وسؤال المسافر الضيافة لمن تجب عليه كما استطعم موسى
والخضر أهل القرية وكذلك الغريم له أن يطلب دينه من هو عليه وكل واحد من المتعاقدين له أن
يسأل الآخر أداء حقه إليه فالبائع يسأل الثمن والمشترى يسأل المبيع ومن هذا الباب قوله تعالى
{وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} النساء 1 ومن السؤال ما لا يكون
مأموراً به³

السلطان الذي أيد الله به رسوله من أنواع الحجج المعجزات أعظم مما أيد به غيره

أن السلطان الذي أيد الله به رسوله من أنواع الحجج المعجزات وأنواع القدر الباهرات أعظم مما
أيد به غيره ونبوته هي التي طبق نورها مشارق الأرض وغاربها وبه ثبتت نبوات من تقدمه وتبيـن
الحق من الباطل والا فلولا رسالته لكان الناس في ظلمات بعضها فوق بعض وأمر مريج يؤفـك عنه
من أفك الكتابيون منهم والأميـون ولهذا لما كان ما يقال له إلا ما قد قيل للرسل من قبله أمره الله

¹ مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 190

² مجموع الفتاوى ج: 19 ص: 162

³ مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 185

سبحانه باستشهاد أهل الكتاب على مثل ما جاء به وهذا من بعض حكمة إقرارهم بالجزية كقوله تعالى {فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ} يوں 94 قوله {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوهُ أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} 43 {بِالْبَيِّنَاتِ وَالرُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} 44 النحل 43-44¹

القرآن مما اختص به من الذكر

قال تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوهُ أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} 43 {بِالْبَيِّنَاتِ وَالرُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} 44 النحل 43-44

وقال تعالى لما أهبط آدم من الجنة {فَإِمَّا يَأْتِنَكُمْ مَنِي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدًى فَلَا يَضِلُّ وَلَا يُشْقَى} 123 {وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنَكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} 124 قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً 125 قال كذلك أتتني آياتنا فنسيئتها وكذلك اليوم تنسى 126 طه 123-126 فقد أخبر أن من اتبع الهدى الذي أتانا منه وهو ما جاءت به الرسل فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكره وهو الذكر الذي أنزله وهو كتبه التي بعث بها رسلاه بدليل أنه قال بعد ذلك {كَذَلِكَ أَتَتْنَا آيَاتِنَا فَنَسِيَّهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى} طه 126 والذكر مصدر يضاف تارة إلى الفاعل وتارة إلى المفعول كما يقال دق التوب ودق القصار ويقال أكل زيد وأكل الطعام ويقال ذكر الله أي ذكر العبد ويقال ذكر الله أي ذكر الذي ذكره هو مثل ذكره عبده ومثل القرآن الذي هو ذكره وقد يضاف الذكر إضافة الأسماء المحضة فقوله ذكرى إن أضيف إضافة المصادر كان المعنى الذكر الذي ذكرته وهو كلامه الذي أنزله وإن أضيف إضافة الأسماء المحضة فذكره هو ما اختص به من الذكر والقرآن مما اختص به من الذكر قال تعالى {وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ} الأنبياء 50 وقال {مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مَنْ رَبَّهُمْ مُحْدَثٌ} الأنبياء 2 وقال {إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ} يس 69 وقال {بِالْبَيِّنَاتِ وَالرُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ} النحل 44²

النبي صلى الله عليه وسلم بين لأصحابه معانى القرآن كما بين لهم الفاظه

قال تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوهُ أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} 43 {بِالْبَيِّنَاتِ وَالرُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} 44 النحل 43-44 فالرسول صلى الله عليه وسلم هو الصادق المصدوق المبين للناس ما نزل اليهم المبلغ لرسالة ربه المخاطب لهم بلسان عربي مبين قال تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمَهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ

¹ مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 17

² منهاج السنة النبوية ج: 2 ص: 155-157

{إِبْرَاهِيمَ} 4 وَقَالَ تَعَالَى {إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} الْزُّخْرَفُ 3 وَقَالَ تَعَالَى {وَلَقَدْ يَسَرْنَا الْقُرْآنَ لِذِكْرِ فَهُنَّ مِنْ مُذَكَّرٍ} الْقَمَرُ 17¹

يجب أن يعلم أن النبي **ﷺ** بين لأصحابه معانى القرآن كما بين لهم ألفاظه قوله تعالى {لِتُبَيِّنَ} **لِلنَّاسِ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ** {النَّحْلُ} 44 يتناول هذا وهذا وقد قال أبو عبد الرحمن السلمي حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا ولها كانوا يبقون مدة في حفظ السورة وقال أنس كان الرجل إذاقرأ البقرة والآل عمران جل في أعيننا وأقام ابن عمر على حفظ البقرة عدة سنين قيل ثمان سنين ذكره مالك وذلك أن الله تعالى قال {كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكُمْ بُشِّرُوا أَيَّاتِهِ} ص 29²

فالدين الذي اجتمع عليه المسلمين اجتماعا ظاهرا معلوما هو منقول عن نبيهم نقلوا القرآن ونقلوا سنته وسنته مفسرة للقرآن مبينة له كما قال تعالى له {بِالْتَّبَيِّنَاتِ وَالْزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ الْذِكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} النَّحْلُ 44 فيبين ما أنزل الله لفظه ومعناه فصار معانى القرآن التي اتفق عليها المسلمين اتفاقا ظاهرا مما توارثته الأمة عن نبيها كما توارثت عنه ألفاظ القرآن فلم يكن والله الحمد فيما اتفقت عليه الأمة شيء محرف بمدل من المعانى فكيف بألفاظ تلك المعانى فإن نقلها والاتفاق عليها أظهر منه في الألفاظ فكان الدين الظاهر للمسلمين الذي اتفقوا عليه مما نقلوه عن نبيهم لفظه ومعناه فلم يكن فيه تحريف ولا تبديل لا للفظ ولا للمعنى بخلاف التوراة والإنجيل فإن من ألفاظها ما بدل معانيه وأحكامه اليهود والنصارى أو مجموعهما تبديلا ظاهرا مشهورا في عامتهم³

كل ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن

قال الإمام أبو عبدالله محمد بن ادريس الشافعى كل ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن قال الله تعالى {إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكُمُ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا} النساء 105 وقال تعالى {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمُ الْذِكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} النَّحْلُ 44 وقال تعالى {وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّلْقَوْمِ يُؤْمِنُونَ} النَّحْلُ 64 ولهذا قال رسول الله ﷺ الا انى اوتيت القرآن ومثله معه

¹ مجموع الفتاوى ج: 13 ص: 264

² مجموع الفتاوى ج: 13 ص: 331

³ الجواب الصحيح ج: 3 ص: 17

يعنى السنة والسنة أيضا تنزل عليه بالوحى كما ينزل القرآن لا أنها تنلى كما يتلى وقد استدل الإمام الشافعى وغيره من الأئمة على ذلك بأدلة كثيرة ليس هذا موضع ذلك¹

يجب علىخلق الاقرار بما جاء به النبي

قال تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلَكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوهُ أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } 43
{ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } 44 } النحل 43-44
يجب على الخلق الاقرار بما جاء به النبي فما جاء به القرآن العزيز أو السنة المعلومة وجوب على الخلق الاقرار به جملة وتفصيلا عند العلم بالتفصيل فلا يكون الرجل مؤمنا حتى يقر بما جاء به النبي وهو تحقيق شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فمن شهد أنه رسول الله شهد أنه صادق فيما يخبر به عن الله تعالى فان هذا حقيقة الشهادة بالرسالة اذ الكاذب ليس برسول فيما يكذبه وقد قال الله تعالى { وَلَوْ تَقُولَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقْوَابِ } 44 لأخذنا منه باليمن { 45 } ثم لقطعنا منه الوتين } 46 } الحاقة 44-46 وبالجملة فهذا معلوم بالاضطرار من دين الاسلام لا يحتاج الى تقريره هنا وهو الاقرار بما جاء به النبي وهو ما جاء به من القرآن والسنة كما قال الله تعالى { كَمَا أَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَنْهَا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُرِيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُنُوا تَعْلَمُونَ } البقرة 151 وقال تعالى { وَأَذْكُرُوا مِنْ نِعْمَتِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةَ يَعِظُكُمْ بِهِ } البقرة 231 ومما جاء به الرسول أمر الله له بالبلاغ المبين كما قال تعالى { فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ } المائدة 92 وقال تعالى { وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمْ } النحل 44 وقال تعالى { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلْغْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغَتَ رِسَالَتُهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ } المائدة 67 ومعلوم أنه قد بلغ الرسالة كما أمر ولم يكتنمها شيئا فان كتمان ما أنزله الله اليه يناقض موجب الرسالة كما أن الكذب يناقض موجب الرسالة ومن المعلوم من دين المسلمين أنه معصوم من الكتمان لشيء من الرسالة كما أنه معصوم من الكذب فيها والأمة تشهد له بأنه بلغ الرسالة كما أمره الله وبين ما أنزل اليه من ربها وقد أخبر الله بأنه قد أكمل الدين وانما كمل بما بلغه اذ الدين لم يعرف الا بتبلیغه فعلم أنه بلغ جميع الدين الذي شرعه الله لعباده كما قال صلی الله عليه وسلم تركتم على البيضاء ليلاها كنهارها لا يزيغ عنها بعدى الا هالك وقال ما تركت من شيء يقربكم الى الجنة الا وقد حدثكم به وما من شيء يبعدكم عن النار الا وقد حدثكم به وقال أبو ذر لقد توفى رسول الله وما طائر يقلب جناحه في السماء الا ذكر لنا منه علماء²

الله عالم الانسان البيان

¹ مجموع الفتاوى ج: 13 ص: 363

² مجموع الفتاوى ج: 5 ص: 156

قال تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوهُ أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ }⁴³
بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْذِكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ }⁴⁴ ان النحل 43-44
الله علم الانسان كما قال تعالى { الرَّحْمَنُ }¹ { عَلَمَ الْقُرْآنَ }² خلق الانسان }³ عَلَمَهُ
البيان }⁴ الرحمن 4-1 وقال تعالى { وَعَلَمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلُّهَا }⁵ البقرة 31 وقال { عَلَمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ
يَعْلَمْ } العلق 5 والبيان بيان القلب واللسان كما أن العمى والبكم يكون في القلب واللسان كما قال تعالى
صُمُّ بُكْمُ عُمِّي فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ }⁶ البقرة 18 وقال { صُمُّ بُكْمُ عُمِّي فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ }⁷ البقرة 171 وقال
النبي هلا سألوا إذا لم يعلموا إنما شفاء العي السؤال وفي الاثر العي عي القلب لا عي
اللسان أو قال شر العي عي القلب وكان مسعود يقول إنكم في زمان كثير فقهاؤه قليل
خطباؤه وسيأتي عليكم زمان قليل فقهاؤه كثير خطباؤه وتبين الأشياء للقلب ضد اشتباهم عليه كما
قال الحال بين والحرام بين وبينهما امور مشتبهات الحديث وقد قرئ قوله { وَكَذَلِكَ نَفَّصِّلُ
الآيَاتِ وَلَتَسْتَبِّنَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ }⁸ الأنعام 55 بالرفع والنصب أي ولتبين انت سبilem فالانسان
يتبيّن الأشياء وهم يقولون قد باه الشيء وتبين الشيء وتبيّنه واستبان الشيء واستبنيته كل
هذا يستعمل لازماً ومتعدياً ومنه قوله تعالى { إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا }⁹ الحجرات 6 هو هنا
معتد ومنه قوله { بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ }¹⁰ النساء 19 أي متبيّنة فهنا هو لازم والبيان كالكلام يكون مصدر
بان الشيء بياناً ويكون اسم مصدر لبيان الكلام والسلام لسلم وبين فيكون البيان بمعنى تبيّن الشيء
ويكون بمعنى بینت الشيء أي او ضحته وهذا هو الغالب عليه ومنه قوله ان من البيان لسحرا
والمقصود ببيان الكلام حصول البيان لقلب المستمع حتى يتبيّن له الشيء ويستبيّن كما قال تعالى
{ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ }¹¹ آل عمران 138 الآية ومع هذا فالذي لا يستبيّن له كما قال تعالى { قُلْ هُوَ
لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي أَذْانِهِمْ وَقُرْآنٌ عَلَيْهِمْ عَمَّى أَوْلَئِكَ يُبَادِونَ مِنْ مَكَانٍ
بَعِيدٍ }¹² فصلت 44 وقال { وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْذِكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ }¹³ النحل 44
وقال { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِبَيِّنَ لَهُمْ }¹⁴ إبراهيم 4 وقال { وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا
الْبَلَاغُ الْمُبِينُ }¹⁵ النور 54 وقال { وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقَوْنَ
} التوبه 115 وقال { يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضْلُلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ }¹⁶ النساء 176 وقال { قُلْ أَنِي
عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي }¹⁷ الأنعام 57 الآية وقال { أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ }¹⁸ هود 17 وقال { وَلَقَدْ
أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ }¹⁹ البقرة 99 وقال { يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ }²⁰ النور 61 فاما
الأشياء المعلومة التي ليس في زيادة وصفها إلا كثرة كلام وتفقيق وتشدق وتكبر والافصاح بذكر
الأشياء التي يستفتح ذكرها فهذا مما ينهي عنه كما جاء في الحديث أن الله يبغض البليغ من
الرجال الذي يتخل بلسانه كما تخلل البقرة بلسانها وفي الحديث الحياة والعي شعبتان من
الإيمان والبداء والبيان شعبتان من النفاق ولهذا قال إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئة
من فقهه وفي حديث سعد لما سمع ابنه أو لما وجد ابنه يدعوه وهو يقول اللهم أني اسلالك الجنة
ونعيها وبهجتها وكذا وأعوذ بك من النار وسلامتها وأغلالها وكذا وكذا قال يا بنى إني سمعت
رسول الله يقول سيكون قوم يعتقدون في الدعاء فياك ان تكون منهم إنك إن أعطيت الجنة اعطيتها
وما فيها من الخير وان اعدت من النار اعدت منها وما فيها من الشر¹

الرد على من قال ان هناك معانى باطنية لا يعلمها عامة الناس

قال تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ }⁴³ **بِالْبَيِّنَاتِ وَالْزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَقَرَّبُونَ }**⁴⁴ { النحل }⁴⁴⁻⁴³ أن الرسول صلى الله عليه وسلم اذا تكلم بكلام وأراد به خلاف ظاهره وضد حقيقته فلا بد أن يبين للأمة أنه لم يرد حقيقته وأنه أراد مجازه سواء عينه أو لم يعينه لا سيما في الخطاب العلمي الذي أريد منهم فيه الاعتقاد والعلم دون عمل الجوارح فانه سبحانه وتعالى جعل القرآن نوراً وهدى وبياناً للناس وشفاء لما في الصدور وأرسل الرسل ليبيّن للناس على الله حجة بعد الرسل ثم هذا الرسول الأمي العربي بعث بأفصح اللغات وأبيّن الألسنة والعبارات ثم الأمة الذين أخذوا عنه كانوا أعمق الناس علماً وأنصحهم للأمة وأبيّن لهم للسنة فلا يجوز أن يتكلم هو وهو لاء بكلام يريدون به خلاف ظاهره الا وقد نصب دليلاً يمنع من حمله على ظاهره اما أن يكون عقلياً ظاهراً مثل قوله وأوتّيت من كل شيء فان كل أحد يعلم بعقله أن المراد اوتيت من جنس ما يؤتاه مثلك و كذلك { خَالِقُ كُلٌّ شَيْءٍ }⁴⁵ { الأنعام }¹⁰² يعلم المستمع ان الخالق لا يدخل في هذا العموم أو سمعياً ظاهراً مثل الدلالات في الكتاب والسنة التي تصرف بعض الظواهر ولا يجوز أن يحيلهم على دليل خفي لا يستبطنه الا افراد الناس سواء كان سمعياً أو عقلياً لأنه اذا تكلم بالكلام الذي يفهم منه معنى واعاده مرات كثيرة وخطاب به الخلق كلهم وفيهم الذكي والبلدي والفقير وغير الفقيه وقد أوجب عليهم أن يتذربوا ذلك الخطاب ويعقلوه ويتفكروا فيه ويعتقدوا موجبه ثم أوجب أن لا يعتقدوا بهذا الخطاب شيئاً من ظاهره لأن هناك دليلاً خفياً يستبطنه افراد الناس يدل على أنه لم يرد ظاهره كان هذا تدليسًا وتلبيساً وكان نقىض البيان وضد الهدى وهو ياللغاز والاحاجى أشبه منه بالهدى والبيان فكيف اذا كانت دلالة ذلك الخطاب على ظاهره اقوى بدرجات كثيرة من دلالة ذلك الدليل الخفي على أن الظاهر غير مراد أم كيف اذا كان ذلك الخفي شبهة ليس لها حقيقة

{ أَفَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ }⁴⁵ { أَوْ يَأْخُذُهُمْ فِي تَقْلِيمٍ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ }⁴⁶ { أَوْ يَأْخُذُهُمْ عَلَى تَخْوُفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَوُوفٌ رَّحِيمٌ }⁴⁷ { النحل }⁴⁵⁻⁴⁷¹

الله ليس مماثلاً لخلقه

أن الله سمى نفسه وصفاته بأسماء وسمى بعض عباده وصفات عباده بأسماء هي في حقهم نظير تلك الأسماء في حقه سبحانه وتعالى فسمى نفسه رؤوفاً رحيمًا بقوله { أَوْ يَأْخُذُهُمْ عَلَى تَخْوُفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَوُوفٌ رَّحِيمٌ }⁴⁷ { النحل }⁴⁷ وسمى بعض عباده رؤوفاً رحيمًا بقوله { أَقْدَ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ

¹ مجموع الفتاوى ج: 6 ص: 362-361

أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَوْفٌ رَّحِيمٌ { التوبه 128 } وليس الرؤوف كالرؤوف ولا الرحيم كالرحيم وليس هو في ذلك مماثلا لخلقه¹

السجود اسم جنس وهو كمال الخضوع لله

قال تعالى { أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَقَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاهِرُونَ } 48 { وَلَلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُنَّ لَا يَسْتَكْبِرُونَ } 49 { يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ قَوْفِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمِرُونَ } 50 { النحل 48-50 } والسجود هو الخضوع قال تعالى { وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا } الأعراف 161 قال أهل اللغة السجود في اللغة هو الخضوع وقال غير واحد من المفسرين أمروا أن يدخلوا ركعاً منحنين فإن الدخول مع وضع الجبهة على الأرض لا يمكن وقد قال تعالى { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ } الحج 18 وقال تعالى { وَلَلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا } الرعد 15 ومعلوم أن سجود كل شيء بحسبه ليس سجود هذه المخلوقات وضع جماها على الأرض وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أبي ذر لما غربت الشمس إنها تذهب فتسجد تحت العرش رواه البخاري ومسلم فعلم أن السجود اسم جنس وهو كمال الخضوع لله²

وهو سبحانه قد ذكر سجود الظل في غير موضع قوله قال تعالى { أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَقَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاهِرُونَ } 48 { وَلَلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُنَّ لَا يَسْتَكْبِرُونَ } 49 { يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ قَوْفِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمِرُونَ } 50 { النحل 48-50 } ومعلوم أن الظل إذا سجد لم يسجد على سبعة أعضاء يضع رأسه ويديه ثم يرفع رأسه ويديه بل سجوده ذله وخضوعه³

قال ابن عطية في قوله قال تعالى { يَتَقَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ } النحل 48 وقالت فرقه منهم الطبرى عبر عن الخضوع والطاعة وميلان الظلال ودورانها بالسجود كما يقال للمشير برأسه نحو الأرض على وجه الخضوع ساجد ومنه قول الشاعر

وكلناهما خرت وأسجد رأسها كما سجدت نصرانة لم تحنف⁴

¹الجواب الصحيح ج: 4 ص: 423

²الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 73

³رسالة في قنوت الأشياء ج: 1 ص: 28

⁴رسالة في قنوت الأشياء ج: 1 ص: 39

سجود القرآن

في سجود القرآن وهو نوعان خبر عن أهل السجود ومدح لهم أو أمر به وذم على تركه فالأول سجدة الأعراف {إِنَّ الَّذِينَ عِنْ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ} الأعراف 206 وهذا ذكره بعد الأمر باستماع القرآن والذكر وفي النحل {أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَقَّدُ طَلَالَهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ} 48 {وَلَهُ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ ذَابَةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ} 49 {يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمِنُونَ} 50 فالستة الأولى إلى الأولى من الحج خبر ومدح والتسع الباقي من الثانية من الحج أمر وذم لم من لم يسجد إلا فنقول قد تنازع الناس في وجوب سجود التلاوة قيل يجب وقيل لا يجب وقيل يجب إذا قرئت السجدة في الصلاة وهو روایة عن أحمد والذى يتبيّن لى أنه واجب فان الآيات التي فيها مدح لا تدل بمجردها على الوجوب لكن آيات الأمر والذم والمطلق منها قد يقال إنه محمول على الصلاة كالثانية من الحج والفرقان واقرأ وهذا ضعيف فكيف وفيها مقورون بالتلاؤة قوله {إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكْرُوا بِهَا حَرُوا سُجَّدًا وَسَبَحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ} السجدة 15 فهذا نفي للإيمان بالآيات عنم لا يخر ساجدا اذا ذكر بها وإذا كان ساما لها فقد ذكر بها وكذلك {فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} 20 {وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ} 21 الانشقاق 20-21 وهذا ذم لم من لا يسجد اذا قرئ عليه القرآن قوله {فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ} المدثر 49 {وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ} الحديـد 8 {فَمَا لِهُؤُلَاءِ الْقَوْمُ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ} حديثا النساء 78 وكذلك سورة النجم قوله {أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ} 59 {وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ} 60 {وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ} 61 {فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا} 62 النجم 59-62 أمر بالغا عقب ذكر الحديث الذى هو القرآن يقتضى أن سماعه سبب الأمر بالسجود لكن السجود المأمور به عند سماع القرآن كما أنه ليس مختصا بسجود الصلاة فليس هو مختصا بسجود التلاوة فمن ظن هذا أو هذا فقد غلط بل هو متناول لهما جميعا كما بينه الرسول فالسنة تفسر القرآن وتبيّنه وتدل عليه فالسجود عند سماع آية السجدة هو سجود مجرد عند سماع آية السجدة سواء تلبت مع سائر القرآن أو وحدها ليس هو سجودا عند تلاوة مطلق القرآن فهو سجود عند جنس القرآن وعند خصوص الأمر بالسجود فالامر يتناوله وهو أيضا متناول لسجود القرآن أيضا وهو أبلغ¹

عبادة المخلوقات وتسبيحها هو من جهة إلهيته سبحانه وتعالى

قال تعالى {أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَقَّدُ طَلَالَهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ} 48 {وَلَهُ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ ذَابَةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ} 49 {يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمِنُونَ} 50 {وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهِيْنِ اثْتَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَا يَأْتِيَ فَارْهُونَ} 51 {وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبَا أَفْغَيْرَ اللَّهِ

¹ مجموع الفتاوى ج: 23 ص: 137

تَنَقُّلَ 52} النَّحْل 48 ولما كانت كل حركة وعمل في العالم فأصلها المحبة والإرادة وكل محبة وإرادة لا يكون أصلها محبة الله وإرادة وجهه فهي باطلة فاسدة كان كل عمل لا يراد به وجهه باطلًا فأعمال التقلين الجن والإنس منقسمة منهم من يعبد الله ومنهم من لا يعبد بل قد يجعل معه إليها آخر وأما الملائكة فهم عابدون لله وجميع الحركات الخارجة عن مقدور بني آدم والجن والبهائم فهي من عمل الملائكة وتحريكها لما في السماء والأرض وما بينهما فجميع تلك الحركات والأعمال عبادات لله متضمنة لمحبته وإرادته وقصده وجميع المخلوقات عابدة لخالقها إلا ما كان من مردة التقلين وليست عبادتها إياه قبولها لتدبيره وتصريفه وخلقه فإن هذا عام لجميع المخلوقات حتى كفار بني آدم فلا يخرج أحد عن مشيئته وتدبيره وذلك بكلمات الله التي كان النبي يستعيذ بها فيقول أعود بكلمات الله التمامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر وهذا من عموم ربوبيته وملكه وهذا الوجه هو الذي أدركه كثير من أهل النظر والكلام حتى فسروا ما في القرآن والحديث من عبادة الأشياء وسجودها وتسبيحها بذلك وهم غالطون في هذا التخصيص شرعاً وعقلاً أيضاً فإن المعقول الذي لهم يعرفهم أن كل شيء وكل متحرك وأن كان له مبدأ فلا بد له من غاية ومتنهى كما يقولون لها علنان فاعلية وغائية والذي ذكروه إنما هو من جهة العلة الفاعلية وبعض المخلوقين كذلك يجعلونه من جهة العلة الغائية وهذا غلط فلا يصلح أن يكون شيء من المخلوقات علة فاعلية ولا غائية إذ لا يستقل مخلوق بأن يكون علة تامة قط ولها لم يصدر عن مخلوق واحد شيء قط ولا يصدر شيء في الآثار إلا عن اثنين من المخلوقات كما قد بينا هذا في غير هذا الموضوع وكذلك لا يصلح شيء من المخلوقات أن يكون علة غائية تامة إذ ليس في شيء من المخلوقات كمال مقصود حتى من الأحياء فالمخلوقات بأسرها يجتمع فيها هذان النقصان أحدهما أنه لا يصلح شيء منها أن تكون علة تامة لا فاعلية ولا غائية والثاني أن ما كان فيها علة فله علة سواء كان علة فاعلية أو غائية فالله سبحانه رب كل شيء ومليكه وهو رب العالمين لا رب لشيء من الأشياء إلا هو وهو إله كل شيء وهو في السماء إله وفي الأرض إله وهو الله في السموات وفي الأرض لو كان فيهما إله إلا الله لفسدنا وما من إله إلا الله سبحانه وتعاليٰ عما يقول الظالمون علواً كبيراً فعبادة المخلوقات وتسبيحها هو من جهة إلهيته سبحانه وتعاليٰ وهو الغاية المقصودة منها ولها وأما في الشرع فإن الله فصل بين هذا وبين هذا فقال تعاليٰ {أَلمْ ترَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقٌّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنَّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ} الحج 18 وهذا السجود الذي فصل بين كثير من الناس الذي يفعلونه وكثير من الناس الذين لا يفعلونه طوعاً وهم الذين حق عليهم العذاب ليس هو ما يشتراك فيه جميع الناس من خلق الله وربوبيه الله تعالى إياهم وتدبيرهم وكذلك فصل بين الصنفين في قوله تعالى {أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طُوْعاً وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ} آل عمران 83 وكذلك في قوله {وَلَهُ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طُوْعاً وَكَرْهًا وَظَلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ} الرعد 15 وهو سبحانه ذكر في الآية الأخرى سجود المخلوقات إلا الكثير من الناس لأنه ذكر الطوع فقط كما ذكر في التي قبلها أديان الناس فقال تعاليٰ {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} الحج 17 فتضمنت هذه الآية حال المخلوقات إلا الجن فإنهم لم يذكروا باللفظ الخاص لكنهم يندرجون في الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين فإنهم كما قالوا {وَأَنَّا مِنَ الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قَدَّاداً} الجن 11 وقد ذكر طائفة من أهل العربية أنهم يدخلون في لفظ الناس أيضاً وقال سبحانه {أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَقَّأِ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّداً لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ} 48 وَلَهُ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ

وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكِرُونَ {49} يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمِرُونَ {50} } النحل 48-50
 وفي الصحيحين حديث أبي ذر في سجود الشمس تحت العرش إذا غابت وقال تعالى {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتُهُ وَتَسْبِيحُهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ } النور 41 وقال تعالى {سَبَّحَ اللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } الحديد 1
 {سَبَّحَ اللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } الحشر 1 {سَبَّحَ اللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } الصاف 1 {يُسَبِّحُ اللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلَكُ الْقُدُوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } الجمعة 1 {يُسَبِّحُ اللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } التغابن 1¹

قال تعالى {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ } الحج 18 ثم قال { وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ } الحج 18 وهذا التفريق يبين انه لم يرد السجود لمجرد ما فيها من الدلاله على ربوبيته كما يقول ذلك طوائف من الناس اذ هذه الدلاله يشتراك فيها جميع المخلوقات فجميع الناس فيهم هذه الدلاله وهو قد فرق فعلم ان ذلك قول زائد من جنس ما يختص به المؤمن ويتميز به عن الكافر الذي حق عليه العذاب²

قال تعالى { وَلَهُ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَآيَةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكِرُونَ {49} يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمِرُونَ {50} } وَقَالَ اللَّهُ لَا تَنْخُذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّاهُ فَارْهُوْنَ {51} وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبَا أَفْعَيْرَ اللَّهُ تَنْقُونَ {52} }
النحل 49-52 وقد وصف الملائكة في القرآن بالخشية والخوف³

جعل الله في الجمادات قوى تفعل وقد أضاف الفعل إليها

قال تعالى { أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأً طِلَالَهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّداً لِهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ } 48 { وَلَهُ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَآيَةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكِرُونَ } 49 { يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمِرُونَ } 50 { وَقَالَ اللَّهُ لَا تَنْخُذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّاهُ فَارْهُوْنَ } 51 { وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبَا أَفْعَيْرَ اللَّهُ تَنْقُونَ } 52 }
النحل 48-52 فإذا كان تبارك وتعالى قد جعل في الجمادات قوى تفعل وقد أضاف

¹ قاعدة في المحبة ج: 1 ص: 26

² مجموع الفتاوى ج: 35 ص: 183

³ الصحفية ج: 1 ص: 214

ال فعل إليها ولم يمنع ذلك أن يكون خالقاً لأفعالها فلأن لا يمنع إضافة الفعل إلى الحيوان وإن كان الله خالقه بطريق الأولى فإن القدرة لا تنازع في أن الله خالق ما في الجمادات من القوى والحركات وقد أخبر الله أن الأرض تبت وأن السحاب يحمل الماء كما قال تعالى {فَالْحَامِلَاتِ وَفِرَا}
 {الذاريات} 2 والريح تنقل السحاب كما قال تعالى {وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدِي رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَفْلَتْ سَحَابًا ثُقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدَ مَيِّتٍ} {الأعراف} 57 وأخبر أن الريح تدمر كل شيء وأخبر أن الماء طغى بقوله تعالى {إِنَّا لَمَا طَغَىَ الْمَاءَ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ} {الحاقة} 11 بل قد أخبر بما هو أبلغ من ذلك من سجود هذه الأشياء وتسبحها كما في قوله تعالى {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ} {وكثيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ} {الحج} 18 وهذا التفصيل يمنع حمل ذلك على أن المراد كونها مخلوقة دالة على الخالق وأن المراد شهادتها ببيان الحال فإن هذا عام لجميع الناس وقد قال تعالى {يَا حِبَالُ أَوْبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَالنَّالُهُ الْحَدِيدَ} {سبأ} 10 وقال {إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحُ بِالْعَشِيِّ} {والإِشْرَاقِ} {18} {وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلُّهُ أَوَابٌ} {19} ص 18-19 فأخبر أن الجبال تؤوب معه والطير وأخبر أنه سخرها تسبح وقال {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} {والطَّيْرُ صَافَاتٌ كُلُّهُ قَدْ عَلِمَ صَلَاتُهُ وَتَسْبِحَهُ} {النور} 41 وقال تعالى {وَإِنْ مَنْ شَيْءٌ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ} {وَلَكُنْ لَا تَفْقُهُونَ تَسْبِحُهُمْ} {الإسراء} 44 وقال {وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً} {وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدوِ وَالْأَصَالِ} {الرعد} 15 وقال {تَمَّ قَسْتُ قُلُوبَكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهُنَّ كَالْحِجَارَةِ} {أَوْ أَشَدُ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَهْبِطُ مِنْ حَشْيَةِ اللَّهِ} {البقرة} 74¹

الله سبحانه وتعالى هو العلي الأعلى وهو فوق كل شيء

قال تعالى {أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ طِلَالَهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّداً لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ} {48} {وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكِنُونَ} {49} يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمِرُونَ} {50} {وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَخَذُوا الْهَيَّنَ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَيَأْيَايَ فَارْهُوْنَ} {51} {وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَأَصِبَا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَنَقُّونَ} {52} ^{النحل} 48-52 أما علو الله تعالى عن سائر مخلوقاته وأنه كامل الأسماء الحسنى والصفات العلي فهذا كتاب الله من أوله إلى آخره وسنة رسوله من أولها إلى آخرها ثم عامة كلام الصحابة والتابعين ثم كلام سائر الأنمة مملوء بما هو اما نص واما ظاهر في أن الله سبحانه وتعالى هو العلي الأعلى وهو فوق كل شيء وهو على كل شيء وأنه فوق العرش وأنه فوق السماء مثل قوله تعالى {إِلَيْهِ يَصْعُدُ الْكَلْمُ الطَّيْبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ} {فاطر} 10 {إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَأْفِعُكَ إِلَيَّ} {آل عمران} 55 {أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ} {16} {أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِير} {17} {الملك} 16-17 {بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ} {النساء} 158 {تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ} {المعارج} 4 {يُدْبِرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى}

¹ منهاج السنة النبوية ج: 3 ص: 244-245

الْأَرْضَ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ } السجدة 5 { يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ } النحل 50 { ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى
 الْعَرْشِ } الْأَعْرَافِ 54 فِي سَتَةِ مَوَاضِعٍ } الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى } طه 5 { يَا هَامَانَ
 ابْنُ لِي صَرْحًا لَّعْلِي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ } 36 { أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطْلَعَ إِلَيْهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظْنُهُ كَانِبًا
 } 37 غَافِرًا 37-36 مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ } فَصِلَتْ 42 { وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ الْحَقَّ
 } الرَّعد 1 إِلَى أَمْثَالِ ذَلِكَ مَا لَا يَكُادُ يُحْصَى إِلَّا بِكُلْفَةٍ وَفِي الْأَحَادِيثِ الصَّاحِحَ وَالْحَسَانَ مَا لَا
 يُحْصَى إِلَّا بِالْكُلْفَةِ مُثْلِ قَصَّةِ مَعْرَاجِ الرَّسُولِ إِلَى رَبِّهِ وَنَزْوَلِ الْمَلَائِكَةِ مِنْ عَنْدِ اللَّهِ وَصَعْوَدَهَا
 إِلَيْهِ وَقُولَهُ فِي الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ يَتَعَاقِبُونَ فِيهِمْ بِاللَّيلِ وَالنَّهَارِ فَيَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيهِمْ إِلَى رَبِّهِمْ فِي سَالِهِمْ
 وَهُوَ أَعْلَمُ بَهُمْ وَفِي الصَّحِيحِ فِي حَدِيثِ الْخَوَارِجِ إِلَّا تَأْمُنُونِي وَأَنَا أَمِينٌ مِّنْ فِي السَّمَاءِ يَأْتِينِي
 خَبْرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً وَفِي حَدِيثِ الرَّقِيقَةِ الَّذِي رَوَاهُ أَبُو دَاوُدُ وَغَيْرُهُ رَبُّنَا اللَّهُ الَّذِي فِي
 السَّمَاءِ تَقْدِيسُ اسْمَكَ أَمْرَكَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ كَمَا رَحْمَتَكَ فِي السَّمَاءِ اجْعَلْ رَحْمَتَكَ فِي الْأَرْضِ
 اغْفِرْ لَنَا حَوْبَنَا وَخَطَايَانَا أَنْتَ رَبُّ الطَّيَّبِينَ أَنْزَلَ رَحْمَةً مِّنْ رَحْمَتِكَ وَشَفَاءً مِّنْ شَفَائِكَ عَلَى هَذَا الْوَجْعِ
 قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ۖ إِذَا اشْتَكَى أَحَدُكُمْ أَوْ اشْتَكَى أَخُوهُ فَلِيَقُولْ رَبُّنَا اللَّهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ ¹

وَفِي حَدِيثِ الْأَوَّلِ عَالٍ وَالْعَرْشِ فَوْقَ ذَلِكَ وَاللَّهُ فَوْقَ عَرْشِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَفِي
 حَدِيثِ قِبْضِ الرُّوحِ حَتَّى يَعْرُجَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي فِيهَا اللَّهُ وَفِي سُنْنَ أَبِي دَاوُدِ عَنْ
 جَبَيرِ بْنِ مَطْعَمٍ قَالَ أَتَى رَسُولُ اللَّهِ أَعْرَابِيًّا فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَهَدْتُ الْأَنْفُسَ وَجَاعَ الْعِيَالُ وَهَلْكَ
 الْمَالُ فَادَعَ اللَّهَ لَنَا فَانَا نَسْتَشْفُعُ بِكَ عَلَى اللَّهِ وَنَسْتَشْفُعُ بِاللَّهِ عَلَيْكَ فَسَبَحَ رَسُولُ اللَّهِ حَتَّى عَرَفَ ذَلِكَ فِي
 وُجُوهِ أَصْحَابِهِ وَقَالَ وَيَحْكُمُ أَنْدَرِي مَا اللَّهُ أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَشْفُعُ بِهِ عَلَى أَحَدٍ مِّنْ خَلْقِهِ شَأنَ اللَّهُ أَعْظَمُ مِنْ
 ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ عَلَى عَرْشِهِ وَانْ عَرْشَهُ عَلَى سَمَاوَاتِهِ وَأَرْضِهِ كَهَذَا وَقَالَ بِأَصْبَابِهِ مُثْلِ الْقَبْةِ وَفِي
 الصَّحِيحِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ لَمَّا خَطَبْ خَطْبَةَ عَظِيمَةِ يَوْمِ عِرْفَاتِ فِي أَعْظَمِ جَمْعٍ
 حَضَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ جَعَلَ يَقُولُ إِلَّا هُلْ بَلَغْتَ فَيَقُولُونَ نَعَمْ فَيَرْفِعُ أَصْبَابَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكِبُهَا إِلَيْهِمْ
 وَيَقُولُ اللَّهُمَّ اشْهِدْ غَيْرَ مَرَةٍ وَحْدِيَّتِ الْجَارِيَّةِ لَمَا سَأَلَهَا أَيْنَ اللَّهُ قَالَتْ فِي السَّمَاءِ فَأَمَرَ بِعَنْقِهَا
 وَعَلَلَ ذَلِكَ بِأَيْمَانِهَا وَأَمْتَالِهِ كَثِيرَةٌ وَأَمَّا الَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ مِنْ الْإِجْمَاعِ فَفِي الصَّحِيحِ عَنْ أَنْسِ بْنِ
 مَالِكَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كَانَتْ زَيْنَبُ تَفْتَخِرُ عَلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ تَقُولُ زَوْجُكَنَّ أَهْلَيْكَنَّ وَزَوْجَنِي
 اللَّهُ مِنْ فَوْقِ سِبْعِ سَمَاوَاتِهِ وَرَوَى عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَحْمَدَ وَغَيْرُهُ بِأَسَانِيدِ صَحَاحِ عَنْ أَبْنَيِ الْمَبَارِكِ أَنَّهُ هَاهُنَا
 فِي الْأَرْضِ وَبِاسْنَادِ صَحِيحٍ عَنْ سَلِيمَانَ بْنَ حَرْبِ الْأَمَامِ سَمِعَتْ حَمَادَ بْنَ زَيْدَ وَذِكْرُ الْجَهْمِيَّةِ فَقَالَ إِنَّمَا
 يَحَاوِلُونَ أَنْ يَقُولُوا لَيْسَ فِي السَّمَاءِ شَيْءٌ وَرَوَى أَبْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ عَامِرٍ الْضَّبْعَيِّ إِنَّمَا أَهْلَ
 الْبَصَرَةِ عَلَمَا وَدِينَا أَنَّهُ ذَكَرَ عِنْدَهُ الْجَهْمِيَّةَ فَقَالَ هُمْ أَشَرُّ قَوْلًا مِّنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَقَدْ اجْتَمَعَ أَهْلُ
 الْأَدِيَانِ مَعَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى الْعَرْشِ وَقَالُوا هُمْ لَيْسُ عَلَى الْعَرْشِ شَيْءٌ وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ
 اسْحَاقَ بْنَ خَزِيمَةَ إِمَامَ الْأَئْمَةِ مِنْ لَمْ يَقُلْ أَنَّ اللَّهَ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ بِأَيْنَ مِنْ خَلْقِهِ وَجَبَ أَنْ
 يَسْتَتِبَ فَانْ تَابَ وَلَا ضَرَبَتْ عَنْقَهِ ثُمَّ أَلْقَى عَلَى مِزْبَلَةِ لَئِلَا يَتَأْذِي بِهِ أَهْلُ الْقِبْلَةِ وَلَا أَهْلُ الذَّمَّةِ وَرَوَى
 الْإِمَامُ أَحْمَدُ قَالَ أَنَا شَرِيكُ بْنِ النَّعْمَانَ قَالَ سَمِعْتَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ نَافِعَ الصَّانِعَ قَالَ سَمِعْتَ مَالِكَ بْنَ أَنْسَ
 يَقُولُ اللَّهُ فِي السَّمَاءِ وَعْلَمَهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ لَا يَخْلُو مِنْ عِلْمِهِ مَكَانٌ وَحْكَى الْأَوْزَاعِيُّ أَحَدُ الْأَئْمَةِ

¹ مجموع الفتاوى ج: 5 ص: 13

الأربعة في عصر تابعى التابعين الذين هم مالك امام اهل الحجاز والأوزاعي امام اهل الشام والليث امام اهل البصرة والثورى امام اهل العراق حکى شهرة القول في زمن التابعين بالإيمان بأن الله تعالى فوق العرش وبصفاته السمعية وانما قاله بعد ظهور جهم المنكر لكون الله فوق عرشه النافى لصفاته ليعرف الناس أن مذهب السلف خلافه وروى الخلال بأسانيد كلهم أئمة عن سفيان بن عيينة قال سئل ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن قوله تعالى {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} طه 5 كيف استوى قال الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول ومن الله الرسالة ومن الرسول البلاغ علينا التصديق وهذا مروى عن مالك بن أنس تلميذ ربيعة بن أبي عبد الرحمن أو نحوه وقال الشافعى خلافة أبي بكر حق قضاه الله تعالى فى سمائه وجمع عليه قلوب عباده ولو يجمع ما قاله الشافعى فى هذا الباب لكان فيه كفاية ومن أصحاب الشافعى عبدالعزيز بن يحيى الكنانى المكى له كتاب الرد على الجهمية وقرر فيه مسئلة العلو وأن الله تعالى فوق عرشه والأئمة فى الحديث والفقه والسنۃ والتتصوف المائلون الى الشافعى ما من أحد منهم الا له كلام فيما يتعلق بهذا الباب ما هو معروف يطول ذكره وفي كتاب الفقه الأكبر المشهور عن أبي حنيفة يروونه بأسانيد عن أبي مطیع الحكم بن عبدالله قال سألت أبا حنيفة عن الفقه الأكبر فقال لا تكفرن أحداً بذنبه الى أن قال عمن قال لا أعرف ربى في السماء أم في الأرض فقد كفر لأن الله يقول {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} طه 5 وعرشه فوق سبع سموات قلت فان قال أنه على العرش ولكن لا أدرى العرش في السماء أم في الأرض قال هو كافر وأنه يدعى من أعلى لا من أسفل وسئل على بن المديني عن قوله {مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَأَيْهُمْ} المجادلة 7 قال اقرأ ما قبله {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} المجادلة 7 الآية وروى عن ابن عيسى الترمذى قال هو على العرش كما وصف في كتابه وعلمه وقدره وسلطانه في كل مكان وأبو يوسف لما بلغه عن المريسي انه ينكر الصفات الخيرية وان الله فوق عرشه أراد ضربه فهرب فضرب رفيقه ضربا بشعا وعن اصحاب ابى حنيفة فى هذا الباب ما لا يحصى¹

قال الامام أحمد في كتابه الذي كتبه في الرد على الجهمة والزنادقة بيان ما انكرت الجهمية الضلال أن يكون الله على العرش وقد قال تعالى {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} طه 5 وقال {خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} الأعراف 54 فقالوا هو تحت الأرض السابعة كما هو على العرش فهو على العرش وفي السموات وفي الأرض وفي كل مكان لا يخلو منه مكان ولا يكون في مكان دون مكان ويتللون آيات من القرآن {وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ} الأنعام 3 قلنا قد عرف المسلمون أماكن كثيرة ليس فيها من عظيم الرب شيء فقالوا أي شيء قلنا أحشاءكم واجوافكم واجواف الخنازير والحسوشي والأماكن القدرة ليس فيها من عظيم الرب شيء وقد أخبرنا أنه في السماء فقال {أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ} الملك 16 وقد قال جل ثناؤه {إِلَيْهِ يَصْعُدُ الْكَلْمُ الطَّيِّبُ} فاطر 10 وقال تعالى {إِنِّي مُتَوَفِّلٌ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ} آل عمران 55 وقال تعالى {إِلَيْلَ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ} النساء 158 وقال تعالى {وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكِبُرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ}

الأنبياء 19 وقال تعالى **{يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ}** {النحل} 50 وقال تعالى {ذِي الْمَعَاجِجِ} 3
 تَرْجُعُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ } 4 {المعارج} 3-4 وقال تعالى {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ }
 الأنعام 18 وقال تعالى {وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ } {الشورى} 4 قال فهذا خبر الله أنه في السماء
 ووجدنا كل شيء في أسفل مذموما يقول جل ثناؤه {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ }
 النساء 145 وقال تعالى {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ أَضَلَّنَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا
 تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ } {فصلت} 29 وقلنا لهم أليس تعلمون أن أبليس مكانه مكان
 والشياطين مكانهم مكان فلم يكن الله ليجتمع هو وأبليس في مكان واحد ولكن معنى قوله عز وجل
 {وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ } {الأنعام} 3 يقول هو الله من في السموات والله من في
 الأرض وهو الله على العرش وقد أحاط علمه بما دون العرش لا يخلو من علم الله مكان ولا يكون
 علم الله في مكان دون مكان وذلك قوله {لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ
 شَيْءٍ عِلْمًا } {الطلاق} 12 وقال من الاعتبار في ذلك لو أن رجلا كان في يده قدح من قوارير صاف
 وفيه شيء صاف لكان نظر ابن آدم قد أحاط بالقدح من غير أن يكون ابن آدم في القدح والله وله
 المثل الأعلى قد أحاط بجميع خلقه من غير أن يكون في شيء من خلقه وحصلة أخرى لو أن
 رجلا بنى دارا بجميع مراافقها ثم أغلاق بابها وخرج كان ابن آدم لا يخفى عليه كم بيت في داره وكم
 سعة كل بيت من غير أن يكون صاحب الدار في جوف الدار فالله عز وجل وله المثل الأعلى قد
 أحاط بجميع ما خلق وعلم كيف هو وما هو من غير أن يكون في شيء مما خلق¹

وقال الحافظ أبو بكر البهقي باب القول في الاستواء قال الله تعالى {الرَّحْمَنُ عَلَى
 العَرْشِ اسْتَوَى } طه 5 {ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ } {الأعراف} 54 {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ }
 الأنعام 18 **{يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ}** {النحل} 50 {إِلَيْهِ يَصْنُعُ الْكَلْمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ }
 فاطر 10 {أَمَنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ } {المالك} 16 وارد من فوق السماء كما قال {وَلَا أَصَابُنَّكُمْ فِي
 جُذُوعِ النَّخْلِ } طه 71 بمعنى على جذوع النخل وقال {فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ } التوبه 2 اي على
 الأرض وكل ما علا فهو سماء والعرش أعلى السموات فمعنى الآية أمنتم من على العرش كما
 صرحت به في سائر الآيات قال وفيما كتبنا من الآيات دلالة على ابطال قول من زعم من الجهمية ان
 الله بذاته في كل مكان قوله {وَهُوَ مَعْكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ } {الحديد} 4 انما اراد بعلمه لا بذاته²

توحيد الله لنفسه

قال تعالى {وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّاهِي فَارْهُبُونَ } 51 {وَلَهُ مَا فِي
 السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الْدِينُ وَاصِبَا أَفَعَيْرَ اللَّهُ تَنْقُونَ } 52 {النحل} 51-52 فان التوحيد يكون من الله
 لنفسه فإنه يوحد نفسه بنفسه كما قال تعالى {شَهَدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ } آل عمران 18 والقرآن

¹ مجموع الفتاوى ج: 5 ص: 310-312

² مجموع الفتاوى ج: 5 ص: 193

مملوء من توحيد الله لنفسه فقد وحد نفسه كقوله {وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْتَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ} النحل¹

والتوحيد الذي بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم وأنزل به كتابه هو عبادة الله وحده لا شريك له وهو توحيد ألوهيته المتضمن توحيد ربوبيته كما قال تعالى {وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْتَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ} النحل²

قال تعالى {هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ} المدثر 56 فهو سبحانه أهل التقوى ولم يقل سبحانه أهل للتقى بل قال {أَهْلُ التَّقْوَىٰ} المدثر 56 فهو وحده أهل ان يتقي فيعبد دون ما سواه ولا يستحق غيره أن يتقي كما قال {وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبَا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ} النحل⁵² وقال {وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَى اللَّهَ وَيَتَّقِهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائزُونَ} النور 52 وهو أهل المغفرة ولا يغفر الذنوب غيره كما قال تعالى {وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ} آل عمران 135 وفي غير حديث يقول النبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت فهو سبحانه أهل التقوى وأهل المغفرة وقد جمع الله بين التوحيد والاستغفار في غير موضع كقوله سبحانه {فَاعْلُمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} محمد 19 فالمؤمنون يستغفرون مما كانوا تاركيم قبل الاسلام من توحيد الله وعبادته وإن كان ذلك لم يأتهم به رسول بعد كما تقدم والرسول يستغفر من ترك مما كان تاركه كما قال فيه {مَا كُنْتَ تَذَرِّي مَا الْكِتَابُ وَلَا إِيمَانُ} الشورى 52 وإن كان ذلك لم يكن عليه عقاب والمؤمن إذا تبين له أنه ضيع حق قرابته أو غيره استغفر الله من ذلك وتاب وكذلك إذا تبين له أن بعض ما يفعله هو مذموم³

توحيد الإلهية هو الذي بعث الله به رسليه وأنزل به كتبه

قال تعالى {وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْتَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّاهُ فَارْهُوْنَ} 51 {وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبَا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ} 52 جميع المسلمين يعتقدون أن كل ما سوى الله مخلوق حدث بعد أن لم يكن وهو المختص بالقدم والأزلية و الذي جاء به الكتاب والسنة هو توحيد الإلهية فلا إله إلا هو فهذا هو التوحيد الذي بعث الله به رسليه وأنزل به كتبه فهذا

¹ مجموع الفتاوى ج: 2 ص: 355

² العقيدة الأصفهانية ج: 1 ص: 42

³ مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 690

أول ما دعا إليه الرسول وأخره حيث قال أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وإنني رسول الله فهذا أول ما دعا إليه الرسول وأخره حيث قال أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وإنني رسول الله وقال لعمه أبي طالب يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحادي لك بها عند الله وقال من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة وقال لقنا موتاكم لا إله إلا الله وكل هذه الأحاديث في الصحاح وهذا من أظهر ما يعلم بالإضطرار من دين النبي صلى الله عليه وسلم وهو توحيد الإلهية أنه لا إله إلا الله¹

أن الله ألزم الخلق التوحيد و أمرهم به و قضى به و حكم فقال {وَقَضَى رَبُّكَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَاهُ} {الإسراء: 23} وقال {أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونَ} {النحل: 2} وقال {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} {النحل: 36} الآية وقال تعالى {وَقَالَ اللَّهُ لَا تَشْخُدُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّاهِي فَارْهُبُونَ} {النحل: 51} وقال {وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانُهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} {التوبه: 31} {وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء} {البيعة: 5} و هذا كثير في القرآن يوجب على العباد عبادته و توحيده و يحرم عليهم عبادة ما سواه فقد حكم و قضى أنه لا إله إلا هو فلفظ الله يقتضي أنه يستحق العبادة فإذا أخبر أنه هو المستحق للعبادة دون ما سواه كان ذلك أمرا بما يستحقه وليس المراد هنا بالله من عبده عابد بلا استحقاق فإن هذه الآلة كثيرة ولكن تسميتهم آلة و الخبر عنهم بذلك و اتخاذهم معبدين أمر باطل كما قال تعالى {إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْنَاهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلطَانٍ} {النجم: 23} وقال {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ} {الحج: 62} فالآلة التي جعلها عابدوها آلة يعبدونها كثيرة لكن هي لا تستحق العبادة فليست بالآلة كمن جعل غيره شاهدا أو حاكما أو مفتيا أو أميرا و هو لا يحسن شيئا من ذلك ولا بد لكل إنسان من إله يألهه و يعبده تعس عبد الدينار و عبد الدرهم فإن بعض الناس قد أله ذلك محبة و ذلا و تعظيمها كما قد بسط في غير هذا الموضع فإذا شهد الله أنه لا إله إلا هو فقد حكم و قضى بأن لا يعبد إلا إيه²

الله تبارك وتعالى حق لا يشركه فيه أحد لا الأنبياء ولا غيرهم

قال تعالى {وَقَالَ اللَّهُ لَا تَشْخُدُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّاهِي فَارْهُبُونَ} {51} وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبَا أَفْغَيْرَ اللَّهِ تَنَقُّونَ} {52} {النحل: 51-52} والله تبارك وتعالى حق لا يشركه فيه أحد لا الأنبياء ولا غيرهم وللأنبياء حق وللمؤمنين حق ولبعضهم على بعض حق فحقه تبارك وتعالى أن يعبدوه لا يشركوا به كما تقدم في حديث معاذ ومن عبادته تعالى أن يخلصوا له الدين ويتوكلوا عليه ويرغبوا إليه ولا يجعلوا الله ندا لا في محنته ولا خشيته ولا دعائه ولا الإستعانة به كما في الصحيحين أنه قال من مات وهو يدعوا ندا من دون الله دخل النار وسئل أى الذنب

¹ منهاج السنة النبوية ج: 2 ص: 121-123

² مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 171

أعظم قال أن تجعل الله ندا وهو خلقك وقيل له ما شاء الله وشئت فقال أجعلتني الله ندا بل ما شاء الله وحده وقال تعالى {فَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ أَنَدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} البقرة 221

وقد ميز الله بين حقه وحق الرسول في مثل قوله {إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} 51 وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَى اللَّهَ وَيَقْرَئِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ} 52 النور 52-51 فالطاعة لله والرسول والخشية لله وحده والتقوى لله وحده لا يخشى مخلوق ولا يتقوى مخلوق لا ملك ولا نبي ولا غيرهما وأما ما في القرآن من ذكر عبادته وحده ودعائه وحده والإستعانة به وحده والخوف منه وحده فكثير قوله {وَقَالَ اللَّهُ لَا تَنْخُذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّاهٍ فَارْهُبُونَ} 51 وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبَاً أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَنَقَّوْنَ} 52 النحل 51-52 وقال تعالى {إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهُ فَعَسَى أُولَئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهَنَّدِينَ} التوبة 18 وقال {وَإِيَّاهٍ فَانْتَقَوْنَ} البقرة 41 وقال {فَلَا تَخْشُوا النَّاسَ وَاخْشُونَ} المائدة 44 وقال تعالى {وَلَا يَخْشُونَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهُ} الأحزاب 39²

حرم الله تعالى الشرك كله

الله هو وحده خالق كل شيء وهو الذي يجيب المضرور إذا دعاوه وهو الذي {يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأنٍ} الرحمن 29³

فهو الذي لا يأتي بالحسنات إلا هو ولا يدفع السيئات إلا هو ولا يهدى الخلق إلا هو ولا ينصرهم إلا هو ولا يرزقهم إلا هو ولا يغفر ذنبهم إلا هو قال تعالى {وَقَالَ اللَّهُ لَا تَنْخُذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّاهٍ فَارْهُبُونَ} 51 وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبَاً أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَنَقَّوْنَ} 52 وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجَارُونَ} 53 ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ يُرَبِّهُمْ بِشْرَكُونَ} 54 لِيَكُفُرُوا بِمَا أَتَيْنَاهُمْ فَتَمَّلَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ} 55 النحل 51-55 والله تعالى قد حرم الشرك كله وإن يجعل له ندا فلا يدعى غيره لا الملائكة ولا الأنبياء ولا الصالحون ولا الشمس ولا القمر ولا الكواكب ولا الأواثان ولا غير ذلك بل قد بين أن من إنتحز الملائكة والنبيين أربابا فهو كافر قال تعالى {مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيهِ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ}

¹ مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 305

² مجموع الفتاوى ج: 27 ص: 428 و مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 57 و ص: 68 و منهاج السنة النبوية ج: 2 ص: 447

³ مجموع الفتاوى ج: 27 ص: 280

الكتابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ {79} وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيًّا مُرْكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ {80} آل عمران 79-80 . وقال تعالى { قُلِ اذْعُوا الَّذِينَ رَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْكُونُ كَشْفَ الضرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا } 56 { أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ بِيَتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبٌ وَيَرْجُونَ رَحْمَةَ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا } 57 الاسراء 56-57 ذم الله سبحانه وتعالى لمن يدعوا الملائكة والأنبياء وغيرهم من الصالحين وبين أن هؤلاء الذين يدعونهم لا يملكون كشف الضر عنهم ولا تحويله وأنهم يتقربون إلى الله بالوسيلة وهي الأعمال الصالحة ويرجون رحمته ويختلفون عذابه فكيف يدعون المخلوقين ويدررون الخالق وقال تعالى { أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أُولَئِكَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا } الكهف 102 وهو سبحانه وتعالى علیم بأحوال عباده رحيم بهم كما في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه رأى إمرأة من السبى إذا رأت ولداً الصقته ببطنها فقال أترون هذه واسعة ولدها في النار قالوا لا يا رسول الله قال الله أرحم بعباده من هذه بولدها وهو سبحانه سميع قريب قال الله تعالى { قُلْ إِنْ ضَلَّلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنْ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحَى إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ } سباء 50 وهو تعالى رحيم ودود والود اللطف والمحبة فهو يود عباده المؤمنين ويجعل لهم الود في القلوب كما قال تعالى { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا } مرريم 96 قال ابن عباس وغيره يحبهم ويحببهم إلى عباده وهو سبحانه لا يشغله سمع عن سمع ولا تغليظه المسائل ولا يتبرم باللحاد الملحقين بل يحب من يدعوه ويتضرع إليه ويبغض من لا يدعوه قال النبي من لا يسأل الله يغضب عليه وقال تعالى { وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَحْبُ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْرِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَآخِرِينَ } غافر 60 وقال تعالى { وَإِذَا سَأَلَكَ عَبْدِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُحِبُّ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلَيُسْتَحْيِبُوا لِي وَلَيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْسُدُونَ } البقرة 186 قال بعض الصحابة يا رسول الله ربنا قريب فنناديه فأنزل الله هذه الآية وهو سبحانه وتعالى ليس كالملحقين الذين ترفع إليهم الحوايج بالحجاب بل في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يقول الله قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأله فإذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله حمدني عبدي فإذا قال الرحمن الرحيم قال الله أثنتي على عبدي فإذا قال مالك يوم الدين قال الله مجده عبدي فإذا قال إياك نعبد وإياك نستعين قال الله هذه الآية وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأله فإذا قال إهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال هؤلاء لعبدي ولعبدي ما سأله¹

لا يزول فقر العبد وفاقته إلا بالتوحيد

قال تعالى { وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهِيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّاهٍ فَارْهُبُونَ } 51 { وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفْعَيْرَ اللَّهُ تَنَقُّونَ } 52 النحل 51-52 فلا يزول فقر العبد وفاقته

¹ مجموع الفتاوى ج: 35 ص: 368-370

إلا بالتوحيد فإنه لابد له منه وإذا لم يحصل له لم ينزل فقيرا محتاجا معدبا في طلب ما لم يحصل له والله تعالى { لا يغفر أن يشرك به النساء } 48 وإذا حصل مع التوحيد الإستغفار حصل له غناه وسعادته وزال عنه ما يعذبه ولا حول ولا قوة إلا بالله والعبد مفتقر دائما إلى التوكل على الله والإستعانة به كما هو مفتقر إلى عبادته فلا بد أن يشهد دائما فقره إلى الله و حاجته في أن يكون معبودا له وأن يكون معينا له فلا حول ولا قوة إلا بالله ولا ملجأ من الله إلا إليه قال تعالى { إنما ذلکم الشيطان يخوّف أولياءه } آل عمران 175 فدللت الآية على أن الشيطان يجعل أولياءه مخوفين ويجعل ناسا خائفين منهم ودللت الآية على أن المؤمن لا يجوز له أن يخاف أولياء الشيطان ولا يخاف الناس كما قال { فَلَا تَخْشُوا النَّاسَ وَآخْسُونَ } المائدة 44 فخوف الله أمر به وخوف أولياء الشيطان نهى عنه قال تعالى { لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشُوهُمْ وَآخْسُونَي } البقرة 150 فنهى عن خشية الظلم وأمر بخشيته وقال { الَّذِينَ يُبَلَّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْسُونَهُ وَلَا يَخْسُونَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهُ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا } الأحزاب 39 وقال { فَإِنَّمَا يَفْرَّجُ فَارْهَبُونَ } النحل 51 وبعض الناس يقول يارب إني أخافك وأخاف من لا يخافك فهذا كلام ساقط لا يجوز بل على العبد أن يخاف الله وحده ولا يخاف أحدا فإن من لا يخاف الله أذل من أن يخاف فإنه ظالم وهو من أولياء الشيطان فالخوف منه قد نهى الله عنه وإذا قيل قد يؤذيني قيل إنما يؤذنيك بتسلیط الله له وإذا أراد الله دفع شره عنك دفعه فالأمر لله وإنما يسلط على العبد بذنبه وأنت إذا خفت الله فإنقيته وتوكلت عليه كفاك شر كل شر ولم يسلطه عليك فإنه قال { وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسِيبٌ } الطلاق 3 وتسلیطه يكون بسبب ذنبك وخوفك منه فإذا خفت الله وتبت من ذنبك واستغفرته لم يسلط عليك كما قال { وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ } الأنفال 33 وفي الآثار يقول الله أنا الله لا إلا أنا ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيها بيدي فمن أطاعنى جعلت قلوب الملوك عليه رحمة ومن عصانى جعلتهم عليه نعمة فلا تشغلو أنفسكم بسب الملوك ولكن توبوا إلى وأطيعون أعطفهم عليكم¹

قال النبي صلى الله عليه وآلها وسلم في الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه لا يقولن أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت اللهم ارحمني إن شئت ولكن ليعلم المسألة فإن الله لا مكره له فيبين أن الرب سبحانه يفعل ما يشاء لا يكره أحد على ما اختاره كما قد يكره الشافع المشفوع إليه وكما يكره السائل المسؤول إذا ألح عليه وأذاه بالمسألة فالرغبة يجب أن تكون إليه كما قال تعالى { فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ } 7 { وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ } 8 { الْرَّهْبَةَ تَكُونُ مِنَ اللَّهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى فَارْهَبُونَ } النحل 51²

الدين الحق هو طاعة الله وعبادته

¹ مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 58 و مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 206

² زيارة القبور ج: 1 ص: 20

قال تعالى {وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّاهُ فَارْهُبُونَ} 51 وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبَا أَفْعَيْرَ اللَّهِ تَنَقُّوْنَ} 52 الذِّينُ 51-52 الدين هو التعاہد والتعاقد وإذا كان كذلك فالأمور التي يحتاجون إليها يحتجون أن يوجبوها على أنفسهم والأمور التي تضرهم يحتاجون أن يحرموها على نفوسهم وذلك دينهم وذلك لا يكون إلا باتفاقهم على ذلك وهو التعاہد والتعاقد ولهذا جاء في الحديث لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له فهذا هو من الدين المشترک بين جميع بني آدم من التزام واجبات ومحرمات وهو الوفاء والعهد وهذا قد يكون باطلاً فاسداً إذا كان فيه مضره لهم راجحة على منفعته وقد يكون دين حق إذا كانت منفعة خاصة أو راجحة كما قال تعالى {فَلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُوْنَ} 1 {لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُوْنَ} 2 {وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُوْنَ مَا أَعْبُدُ} 3 {وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ} 4 {وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُوْنَ مَا أَعْبُدُ} 5 {لَكُمْ دِيْنُكُمْ وَلِيَ دِيْنِ} 6 الكافرون 1-6 وقال تعالى {مَا كَانَ لِيَأْخُذُ أَخَاهُ فِي دِيْنِ الْمَلَكِ} يوسف 76 وقال تعالى {قَاتَلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُوْنَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحِرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِيْنُوْنَ دِيْنَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ} التوبه 29 الدين الحق هو طاعة الله وعبادته كما بينا أن الدين هو الطاعة المعتادة التي صارت خلقاً وبذلك يكون المطاع محبوباً مراداً إذ أصل ذلك المحبة والإرادة ولا يستحق أحد أن يعبد ويطاع على الإطلاق إلا الله وحده لا شريك له ورسله وأولو الأمر أطيعوا لأنهم يأمرنون بطاعة الله كما قال النبي في الحديث المتفق عليه من أطاعني فقد أطاع الله ومن أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصاني فقد عصي الله ومن عصي أميري فقد عصاني وأما العبادة فله وحده ليس فيها واسطة فلا يعبد العبد إلا الله وحده كما قد بينا ذلك في مواضع وبيننا أن كل عمل لا يكون غاية إرادة الله وعبادته فهو عمل فاسد غير صالح باطل غير حق أي لا ينفع صاحبه وقد قال سبحانه {وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوْا اللَّهَ مُخْلِصِيْنَ لَهُ الدِّيْنَ حُنْفَاءَ وَيُقِيمُوْا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوْا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِيْنُ الْقِيَمَةِ} البينة 5 وقال تعالى {وَقَاتَلُوْهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونُ الدِّيْنُ لِلَّهِ} البقرة 193 وقال تعالى {ذَلِكَ الدِّيْنُ الْقِيَمُ فَلَا تَظْلِمُوْا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ} التوبه 36 وقال تعالى {فَلَمَّا هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِيْنًا قِيَمًا مَلَّةً إِبْرَاهِيْمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ} الأنعام 161 وقال تعالى {فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لَتَتَفَقَّهُوْا فِي الدِّيْنِ وَلَيُنَذِّرُوْا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوْا إِلَيْهِمْ} التوبه 122 وفي الصحيحين عن النبي انه قال من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين وقال تعالى {وَلَا يَرَوْنَ يُقَاتِلُوْنَكُمْ حَتَّىٰ يَرْدُوْكُمْ عَنِ دِيْنِكُمْ إِنْ اسْتَطَاعُوْا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنِ دِيْنِهِ فَيُمْتَلِئُ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حِيلَتُ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا حَالُدُونَ} البقرة 217 وقال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنِ دِيْنِهِ فَسَوْفَ يَأْتِيَ اللَّهُ بِقُوَّمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّوْنَهُ} المائدة 54 وهو الدين الحق الذي هو عبادة الله وحده لا شريك له وطاعته وطاعة رسوله هو الإسلام العام الذي لا يقبل الله ديناً غيره كما قال تعالى {إِنَّ الدِّيْنَ عِنَّ اللَّهِ الْإِسْلَامُ} آل عمران 19 وقال تعالى {وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيْنًا فَلَنْ يُبْلِغَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِيْنَ} آل عمران 85 وقال تعالى {أَفْعَيْرَ دِيْنَ اللَّهِ يَبْغُوْنَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُوْنَ} آل عمران 83 وقال تعالى {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّيْنِ مَا وَصَّيَ بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيْمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوْا الدِّيْنَ وَلَا تَتَفَرَّقُوْا فِيهِ كُبْرًا عَلَى الْمُشْرِكِيْنَ مَا تَدْعُوْهُمْ إِلَيْهِ} الشورى 13 وقال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُوا بِيْنَهُمْ وَكَانُوْا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ} الأنعام 159 كل دين سوي الإسلام باطل فإذا كان لا بد لكل آدمي من اجتماع ولا بد في كل اجتماع من طاعة دين وكل دين وطاعة لا يكون الله فهو باطل فكل دين سوي الإسلام فهو باطل وأيضاً فلا بد لكل حي من محبوب هو منتهي محبته وإرادته وإليه تكون حرفة باطنها وظاهره وذلك هو إلهه ولا يصلح ذلك إلا الله وحده لا شريك له فكل ما سوي الإسلام فهو باطل والمتفرقون أيضاً فيه الذين أخذ كل منهم

ببعضه وترك بعضه وافترقت أهواؤهم قد بريء الله ورسوله منهم لا بد في كل دين من شيئاً العقيدة والشريعة أو المعبود والعبادة ولا بد في كل دين وطاعة ومحبة من شيئاً أحدهما الدين المحبوب المطاع وهو المقصود المراد والثاني نفس صورة العمل التي تطاع ويعبد بها وهو السبيل والطريق والشريعة والمنهج والوسيلة كما قال الفضيل بن عياض في قوله تعالى {لِيَنْلُوْكُمْ اِيْكُمْ اَحْسَنُ عَمَلاً} هود 7 قال أخلصه وأصوبه قالوا يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه قال إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على السنة فهكذا كان الدين يجمع هذين الأمرتين المعبود والعبادة والمعبود الواحد والعبادة طاعته وطاعة رسوله وهذا هو دين الله الذي ارتضاه كما قال تعالى {وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيْنَّا} المائدة 3 وهو دين المؤمنين من الأولين والآخرين وهو الدين الذي لا يقبل الله من أحد غيره لأنه دين فاسد باطل كمن عبد من لا تصلح عبادته أو عبد بما لا يصلح أن يعبد به¹

{وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ}

قال تعالى {وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجَارُونَ} 53 {ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ} 54 {لَيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ} 55 {النحل 53-55} قوله تعالى {وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ} 53 حرف من لإبتداء الغاية وما يستعمل فيه حرف ابتداء الغاية فيقال هو من الله على نوعين فإنه أما أن يكون من الصفات التي لا تقوم بنفسها ولا بمخلوق فهذا يكون صفة له وما كان عيناً قائمة بنفسها أو بمخلوق فهي مخلوقة فالأول قوله {وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي} السجدة 13 وقوله {يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِنْ رَبِّكَ} الأنعام 114 كما قال السلف القرآن كلام الله غير مخلوق منه بدا وإليه يعود وما كان صفة لا يقوم بنفسه كالعلم والكلام فهو صفة له كما يقال كلام الله وعلم الله والنوع الثاني إن كان عيناً قائماً بنفسها فهو مملوك له ومن لإبتداء الغاية قوله {وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ} الجاثية 13 وقوله {وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ} 53 {النحل 53} والله تعالى وإن كان خالقاً لكل شيء فإنه خلق الخير والشر لما له في ذلك من الحكمة التي باعتبارها كان فعله حسناً متقدماً كما قال {الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ} السجدة 7 وقال {أَنْقَنَ

كلها من الله وهي مخلوقة²

فإن المعصية والطاعة عمل وعرض قائم بغيره فلا بد له من محل يقوم به وهي قائمة بالعبد لا محالة وليس قائمة بالله تبارك وتعالى بلا ريب ومعلوم أن كل مخلوق يقال هو من الله بمعنى أنه خلقه بائنا عنه لا بمعنى أنه قام به وتصف به كما في قوله تعالى {وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ} الجاثية 13 وقوله تعالى {وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ} 53 {النحل 53} والله تعالى وإن كان خالقاً لكل شيء فإنه خلق الخير والشر لما له في ذلك من الحكمة التي باعتبارها كان فعله حسناً متقدماً كما قال {الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ} السجدة 7 وقال {أَنْقَنَ

¹ قاعدة في المحبة ج: 1 ص: 36-40

² مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 97 و مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 285 و الجواب الصحيح ج: 4 ص: 68

كُلَّ شَيْءٍ } النمل 88 فلهذا لا يضاف إليه الشر مفرداً بل إنما أن يدخل في العموم وإنما أن يضاف إلى السبب وإنما أن يحذف فاعله فالأول كقول الله تعالى {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ } الزمر 62 والثاني قوله { قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ } [1] من شَرِّ مَا خَلَقَ [2] الفلق 1 والثالث قوله فيما حكاه عن الجن { وَإِنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌ أَرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا } الجن 10¹

الله هو سبحانه الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أرحم بعباده من الوالدة بولدها وقد سبقت وغلبت رحمته غضبه وهو الغفور الودود الحليم الرحيم فإن ادته أصل كل خير ونعمة وكل خير ونعمة فمنه { وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ } النحل 53 وقد قال سبحانه {نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ } الحجر 49 ثم قال { وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ } الحجر 50 وقال تعالى { اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } المائدة 98 فالمغفرة والرحمة من صفاته المذكورة بأسمائه فهي من موجب نفسه المقدسة ومتضها وموازها وأما العذاب فمن مخلوقاته الذي خلقه بحكمة هو باعتبارها حكمة ورحمة فالإنسان لا يأتيه الخير إلا من ربه وإنسانه وجده ولا يأتيه الشر إلا من نفسه فما أصابه من حسنة فمن الله وما أصابه من سيئة فمن نفسه²

لا يأتي بالحسنات إلا الله ولا يذهب السيئات إلا الله

قال تعالى { وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ } [53] ثم إذا كشف الضُّرَّ عنكم إذا فريق منكم بربهم يُشركون [54] ليُكفروا بما آتياهم فتمتعوا فسوف تعلمون [55] النحل 53-55 ولا يأتي بالحسنات إلا الله ولا يذهب السيئات إلا الله { وَإِنْ يَمْسِكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَأَدَ لِفَضْلِهِ يُصَبِّبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ } يونس 107 { وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ } النحل 53 وإذا دعا العبد ربَّه بإعطائه المطلوب ودفع المرهوب جعل له من الإيمان بالله ومحبته ومعرفته وتوحيده ورجائه وحياة قلبه وإستراته بنور الإيمان ما قد يكون أفعى له من ذلك المطلوب إن كان عرضاً من الدنيا وأما إذا طلب منه أن يعينه على ذكره وشكره وحسن عبادته وما يتبع ذلك فهنا المطلوب قد يكون أفعى من الطلب وهو الدعاء والمطلوب الذكر والشكر وقيام العبادة على أحسن الوجوه وغير ذلك وهذا لبسه موضع آخر³

الله تعالى هو الذي يخلق بتأثير الاسباب وبدفع الموانع

¹ منهاج السنة النبوية ج: 3 ص: 142

² مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 272-274 و الحسنة والسيئة ج: 1 ص: 49

³ مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 597 و الزهد والورع والعبادة ج: 1 ص: 34

قال تعالى { وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ }⁵³ { ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ يُرَبِّوْمُ يُشْرِكُونَ }⁵⁴ { لِيَكُفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ }⁵⁵ { النحل 53 }

55 فان الحنفاء ليس فيهم من يقول باثبات البشر وسائط في الخلق والتدبير والرزق والاحياء والاماته وسماع الدعاء وإجابة الداعي بل الرسل كلهم وأتباع الرسل متقوون على انه لا يعبد إلا الله وحده فهو الذي يسأل ويعبد له يصلى ويسجد وهو الذي يجيب دعاء المضطربين ويكشف الضر عن المضطربين ويغيث عباده المستغيثين { ما يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلٌ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ } فاطر 2 { وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ }⁵³ النحل 53 وليس عند الحفقاء ان احدا غير الله يستقل بفعل شئ بل غايته أن يكون سببا والاثر لا يحصل إلا به وبغيره من الاسباب وبصرف الموانع والله تعالى هو الذي يخلق بتأثير الاسباب وبدفع الموانع مع خلقه سبحانه ايضا لهذا السبب لكن المقصود انه ليس في الوجود ما يستقل باحداث شئ ولا ثم شئ يوجب كل اثر إلا مشيئة الله وحده فما شاء كان وما لم يشاً لم يكن والرسل هم وسائط بين الله وبين خلقه في تبليغ رسالاته وامرها ونهيه ووعده كما قال تعالى { وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ } الأنعام 48 { وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ } الكهف 1⁵⁶

الله هو الذي يرزق جميع عباده مسلمهم وكافرهم

هو سبحانه علق الوعيد والثواب والعقاب والحمد والذم بالإيمان به وتوحيده وطاعته فمن كان أكمل في ذلك كان احق بتولى الله له بخير الدنيا والآخرة ثم جميع عباده مسلمهم وكافرهم هو الذي يرزقهم وهو الذي يدفع عنهم المكاره وهو الذي يقصدونه في النوايب قال تعالى { وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ }⁵³ { ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ يُرَبِّوْمُ يُشْرِكُونَ }⁵⁴ { لِيَكُفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ }⁵⁵ { النحل 53-55 } وقال تعالى { قُلْ مَنْ يَكْلُوْكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ } الأنبياء 42 أي بدلا عن الرحمن هذا اصح القولين قوله تعالى { وَلَوْ نَشَاء لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ } الزخرف 60 أي لجعلنا بدلا منكم كما قاله عامة المفسرين ومنه قول الشاعر فليت لانا من ماء زمز شربة مبردة باتت على طهيان أي بدلا من ماء زمز فلا يكلا الخلق بالليل والنهر فيحفظهم ويدفع عنهم المكاره إلا الله قال تعالى { أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنَّ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ }²⁰ { 20 } أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُوا فِي عُثُورٍ وَنُفُورٍ }²¹ { الملك 20-21 }²

¹ الرد على المنطقيين ج: 1 ص: 537

² مجموع الفتاوى ج: 27 ص: 441-442

والخلق كلهم يسألون الله مؤمنهم وكافر هم وقد يجيب الله دعاء الكفار فإن الكفار يسألون الله الرزق فيرزقهم ويسقيهم قال تعالى {وَإِذَا مَسَكْمُ الْضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا} الإسراء 67¹

القسم الممدوح هم أهل الصبر والشكر

قال تعالى { وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَكْمُ الْضُّرُّ فَالْيَهُ تَجَارُونَ } 53 ثم إذا كشف الضر عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ } 54 لِيَكُفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ } 55 النحل 53-55 ولما كان الأمر كما أخبر الله به في قوله { مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ } النساء 79 أوجب هذا أن لا يطلب العبد الحسنات و الحسنات تدخل فيها كل نعمة إلا من الله و أن يعلم أنها من الله و حده فيستحقه غيره و يعلم أنه لا إله إلا هو كما قال تعالى { وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ } النحل 53 فهذا يوجب على العبد شكره و عبادته و حده ثم قال { ثُمَّ إِذَا مَسَكْمُ الْضُّرُّ فَالْيَهُ تَجَارُونَ } النحل 53 و هذا إخبار عن حالهم و الجوار يتضمن رفع الصوت والأنسان إنما يجأر إذا أصابه الضر و أما في حال النعمة فهو ساكن إما شاكيرا و إما كفورا { ثُمَّ إِذَا مَسَكْمُ الْضُّرُّ فَالْيَهُ تَجَارُونَ } 53 ثم إذا كشف الضر عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ } 54 النحل 54-55 وهذا المعنى قد ذكره الله في غير موضع يذم من يشرك به بعد كشف البلاء عنه و إسباغ النعماء عليه فيضيف العبد بعد ذلك الانعام إلى غيره و يبعد غيره تعالى و يجعل المشكور غيره على النعم كما قال تعالى { وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْرَبَهُمْ مُنْبِيِّنَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ } 33 لِيَكُفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ } 34 الروم 34-33 و قال تعالى { قُلْ مَن يُنْجِيْكُمْ مِنْ ظُلْمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً لِئَنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ الْكُوْنَنَ مِنَ الشَّاكِرِينَ } 63 قُلَّ اللَّهُ يُنْجِيْكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْثُمْ شُرْكُونَ } 64 الأنعام 64 و قال تعالى { وَإِذَا مَسَّ الْأَنْسَانَ ضُرٌّ دَعَوْرَبَهُ مُنْبِيِّإِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ ما كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلٍ وَجَعَلَ اللَّهُ أَنَدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ } الزمر 8 و قوله { نَسِيَ ما كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ } الزمر 8 أي نسي الضر الذي كان يدعو الله لدفعه عنه كما قال في سورة الأنعام { قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَّاکُمْ عَذَابَ اللَّهِ أَوْ أَتَّكُمُ السَّاعَةُ أَغْيَرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } 40 بل إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيُكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسُونَ مَا تُشْرِكُونَ } 41 الأنعام 40-41 فذم الله سبحانه حربا لا يدعونه في الضراء و لا يتوبون إليه و حربا يدعونه و يتضررون إليه و يتوبون إليه فإذا كشف الضر عنهم أعرضوا عنه و أشركوا به ما اتخذوه من الأنداد من دونه فهذا الحزب نوعان كالمعطلة و المشركة حزب إذا نزل بهم الضر لم يدعوه الله و لم يتضرروا إليه و لم يتوبوا إليه كما قال { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَّمٍ مِنْ قَبْلَكَ فَأَخْدَنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّرُونَ } 42 فلولا إذ جاءهم بأحسننا تضرروا عوا ولكن قَسْتَ

¹ مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 206

فُلُوبُهُمْ وَرَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ {43} الأنعام 42-43 و قال تعالى {وَلَقَدْ أَخْذَنَا هُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّرُ عُوْنَ } المؤمنون 76 و قال تعالى {أَوْلَا يَرْؤُنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَكَّرُونَ } التوبة 126 و قال تعالى {وَلَنُذَاقُهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذَنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } السجدة 21 و حزب يتضرر عنون اليه في حال الضراء و يتوبون اليه فإذا كشفها عنهم أعرضوا عنه كما قال تعالى {وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنِّهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَانَ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُرِّيْنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } يوں 12 و قال تعالى {وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانَ أَغْرِضَ وَنَأَيْ بِجَانِيهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَدُوْ دُعَاء عَرِيضٌ } فصلت 51 و قال تعالى {وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ حَلَّ مِنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِبَاهٌ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَغْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا } الإسراء 67 و قال في المشركين ماتقدم {وَمَا يُكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ } 53 ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ } 54 النحل 53-54 والممدوح هو القسم الثالث و هم الذين يدعونه و يتوبون اليه و يثبتون على عبادته و التوبة اليه في حال السراء فيعبدونه و يطيعونه في السراء و الضراء و هم أهل الصبر و الشكر كما ذكر ذلك عن أنبيائه عليهم السلام فقال تعالى {وَدَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنَّ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ } 87 فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَا مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ } 88 الانبياء 87¹

الله هو الذي يستحق الشكر المطلق العام التام

قال تعالى { وَمَا يُكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ } 53 ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ } 54 لِيَكُفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ } 55 النحل 53-55 أن السيئات التي تصيب الإنسان وهي مصائب الدنيا والآخرة ليس لها سبب إلا ذنبه الذي هو من نفسه فانحصرت في نفسه وأما ما يصيبه من الخير والنعم فإنه لا تنحصر أسبابه لأن ذلك من فضل الله وإحسانه يحصل بعمله وبغير عمله وعمله نفسه من إنعام الله عليه وهو سبحانه لا يجزي بقدر العمل بل يضاعفه له ولا يقدر العبد على ضبط أسبابها لكن يعلم أنها من فضل الله وإنعامه فيرجع فيها إلى الله فلا يرجو إلا الله ولا يتوكلا إلا عليه ويعلم أن النعم كلها من الله وأن كل ما خلقه فهو نعمة كما تقدم فهو يستحق الشكر المطلق العام التام الذي لا يستحقه غيره وإنما يستحق غيره من الشكر ما يكون جزاء على ما يسره على يديه من الخير كشكر الوالدين وشكر من أحسن إليك من غيرهما فإنه من لا يشكر الناس لا يشكر الله لكن لا يبلغ من حق أحد وإنعامه أن يشكر بمعصية الله أو أن يطاع بمعصية الله فإن الله هو المنعم بالنعم العظيمة التي لا يقدر عليها مخلوق ونعمة المخلوق إنما هي منه أيضا وقال تعالى { وَمَا يُكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ } النحل 53 و قال {وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَنْهُ } الجاثية 13 و جزاؤه على الطاعة و الشكر و على المعصية و الكفر لا يقدر أحد على مثله فلهذا لم يجز أن يطاع مخلوق في معصية الخالق و قال تعالى { وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدِيهِ حُسْنَا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ

¹ مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 369-372 و الحسنة والسيئة ج: 1 ص: 120

لِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطْعِهُمَا } العنكبوت 8 الآية و في الآية الأخرى { وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطْعِهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا } لقمان 15 و المقصود أنه إذا عرف أن النعم كلها من الله صار توكله و رجاؤه له سبحانه و إذا علم ما يستحقه من الشكر الذي لا يستحقه غيره صا و الشر إنحصر سببه في النفس فعلم من إين يأتي فاستغفر و استعن بالله و استعاد به مما لم يعمل بعد كما قال من قال من السلف لا يرجون عبد إلا ربه و لا يخافن إلا ذنبه و هذا خلاف قول الجهمية الذين يقولون يعذب بلا ذنب و يخافونه و لو لم يذنبوه فإذا صدق قوله {مَمَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ } النساء 79 علم بطلان هذا القول وقد تقدم قول ابن عباس و غيره إنما أصحابهم يوم أحد كان بذنبهم لم يستثن من ذلك أحدا و هذا من فوائد تخصيص الخطاب لئلا يظن أنه عام مخصوص¹

فإن الرب سبحانه هو المالك المدير المعطى المانع الضار النافع الخافض الرافع المزع المذل فمن شهد أن المعطى أو المانع أو الضار أو النافع أو المزع أو المذل غيره فقد أشرك بربوبيته ولكن إذا أراد التخلص من هذا الشرك فلينظر إلى المعطى الأول مثلاً فيشكره على ما أولاه من النعم وينظر إلى من أسدى إليه المعروف فيكافيه عليه قوله عليه السلام من أسدى إليكم معروفاً فكافئوه فإن لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه لأن النعم كلها لله تعالى كما قال تعالى {وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فِيْنَ اللَّهِ }² النحل 53 وقال تعالى {كُلَّاً نَمِدُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ }³ الإسراء 20 فالله سبحانه هو المعطى على الحقيقة فإنه هو الذي خلق الأرزاق و قدرها و ساقها إلى من يشاء من عباده فالمعطى هو الذي أعطاوه و حرك قلبه لعطاء غيره فهو الأول والآخر

²

دفعه الشر الذي تريده النفوس الشريرة هو من الخير وهو بيديه ولو مكن تلك النفوس لفعلته فهو سبحانه لا يمكنها بل يمنعها إذا أرادته مع أنها لو خليت لفعلته فهو تارة بمنع الشر بإزالة سببه ومقتضيه وتارة يخلق ما يضاده وينافيه وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجرون سورة النحل 53⁴

مطالعة آلاء الله ونعماته تعلق القلوب به

¹ مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 225 و الحسنة والسيئة ج: 1 ص: 98

² مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 92 و مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 155

³ رسالة في معنى كون الرب عادلا ج: 1 ص: 132

قال تعالى { وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجَارُونَ }⁵³ { ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ }⁵⁴ { لِيَكُفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمْتَعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ }⁵⁵ النحل-55

ولا بد من التنبية على قاعدة تحرك القلوب الى الله عز وجل فتعتصم به فتقل آفاتها أو تذهب عنها بالكلية بحول الله وقوته فنقول إن محركات القلوب الى الله عز وجل ثلاثة المحبة والخوف والرجاء وأقواها المحبة وهي مقصودة تراد لذاتها لأنها تراد في الدنيا والآخرة بخلاف الخوف فإنه يزول في الآخرة قال الله تعالى { إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَخْرَجُونَ } الأحقاف-13 والخوف المقصود منه الزجر والمنع من الخروج عن الطريق فالمحبة تلقى العبد في السير إلى محبوبه وعلى قدر ضعفها وقوتها يكون سيره إليه والخوف يمنعه أن يخرج عن طريق المحبوب والرجاء يقوده لهذا أصل عظيم يجب على كل عبد أن يتتبه له فإنه لا تحصل له العبودية بدونه وكل أحد يجب أن يكون عبد الله لا لغيره فإن قيل فالعبد في بعض الأحيان قد لا يكون عنده محبة تبعثره على طلب محبوبه فإى شيء يحرك القلوب فلنا يحركها شيئاً أحدهما كثرة الذكر للمحبوب لأن كثرة ذكره تعلق القلوب به ولهذا أمر الله عز وجل بالذكر الكثير فقال تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا }⁴¹ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وأصيلاً⁴² الأحزاب-41 - 42 الآية والثانية مطالعة الآلهة ونعمائه قال الله تعالى { فَادْكُرُوا أَلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } الأعراف-69 وقال تعالى { وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ }⁵³ النحل-53 وقال تعالى { وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَةً ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً }⁵⁴ لقمان-20 وقال تعالى { وَإِنْ تَعُدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوْهَا }⁵⁵ النحل-18 فإذا ذكر العبد ما أنعم الله به عليه من تسخير السماء والأرض وما فيها من الأشجار والحيوان وما أسبغ عليه من النعم الباطنة من الإيمان وغيره فلا بد أن يثير ذلك عنده باعثاً وكذلك الخوف تحركه مطالعة آيات الوعيد والزجر والعرض والحساب ونحوه وكذلك الرجاء يحركه مطالعة الكرم والحلم والعفو وما ورد في الرجاء والكلام في التوحيد واسع وإنما الغرض مبلغ التنبية على تضمنه الإستغاء بأدنى إشارة والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على محمد وآلـه وصحبه وسلم¹

قطب رحى الدين

قال تعالى { وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجَارُونَ }⁵³ { ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ }⁵⁴ { لِيَكُفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمْتَعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ }⁵⁵ النحل-55

فتؤدي حركة العبد بـ 55 فتوحـة الله وإخلاص الوجه والعمل له عبادة وإستعاـنة هي قطب رحـى الدين وذلك أن العـبد بل كلـ حـى بل وكلـ مخلوقـ سـوى الله هو فـقيرـ محتاجـ إلى جـلبـ ما يـنفعـهـ ودفعـ ما يـضرـهـ والمـنفـعةـ للـحـىـ هيـ منـ جـنسـ النـعـيمـ وـالـذـذـةـ وـالـمـضـرـةـ هـىـ منـ جـنسـ الـآـلـمـ وـالـعـذـابـ فـلاـ بـدـ لـهـ مـنـ أـمـرـيـنـ أحـدـهـماـ هوـ المـطـلـوبـ المـقـصـودـ المـحـبـوبـ الـذـىـ يـنـتـفـعـ وـيـلـتـذـ بـهـ وـالـثـانـىـ هوـ الـمعـينـ الـموـصـلـ الـمحـصلـ لـذـكـ

المـقـصـودـ وـالـمـانـعـ منـ دـفـعـ الـمـكـرـوـهـ وـهـذـانـ هـمـ الشـيـئـانـ الـمـنـفـصـلـانـ الـفـاعـلـ وـالـغاـيـةـ فـهـنـاـ أـرـبـعـةـ أـشـيـاءـ أحـدـهاـ أمرـ هوـ مـحـبـوبـ مـطـلـوبـ الـوـجـودـ وـالـثـانـىـ أمرـ مـكـرـوـهـ مـبـغـضـ مـطـلـوبـ الـعـدـمـ وـالـثـالـثـ الـوـسـيـلـةـ إـلـىـ حـصـولـ الـمـطـلـوبـ الـمـحـبـوبـ وـالـرـابـعـ الـوـسـيـلـةـ إـلـىـ دـفـعـ الـمـكـرـوـهـ فـهـذـهـ الـأـرـبـعـةـ الـأـمـورـ ضـرـورـيـةـ لـلـعـبـدـ بـلـ وـلـكـ حـىـ لـاـ يـقـومـ وـجـودـ وـصـلـاحـ إـلـاـ بـهـ وـأـمـاـ مـاـ لـيـسـ بـحـىـ فـالـكـلامـ فـيـهـ عـلـىـ وـجـهـ

¹ مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 95-96

آخر إذا تبين ذلك فبيان ما ذكرته من وجوه أحداً أن الله تعالى هو الذي يحب أن يكون هو المقصود المدعو المطلوب وهو المعين على المطلوب وما سواه هو المكروه وهو المعين على دفع المكروه فهو سبحانه الجامع للأمور الأربع دون ما سواه وهذا معنى قوله {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} الفاتحة⁵ فإن العبودية تتضمن المقصود المطلوب لكن على أكمل الوجه والمستعان هو الذي يستعان به على المطلوب فال الأول من معنى الألوهية والثاني من معنى الربوبية إذ الإله هو الذي يؤله فيبعد محبة وإنابة وإجلالاً وإكراماً والرب هو الذي يربى عبده فيعطيه خلقه ثم يهديه إلى جميع أحواله من العبادة وغيرها وكذلك قوله تعالى {عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} هود 88 وقوله {فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ} هود 123 قوله {عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَتَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} الممتحنة⁴ وقوله تعالى {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبَّحْ بِحَمْدِهِ} الفرقان 58 وقوله تعالى {عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ} الرعد 30 قوله {وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَّلِّ إِلَيْهِ تَبَّتِّلَا} 8 {رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا} 9 المزمل 8-9 فهذه سبعة مواضع تنتظم هذين الأصلين الجامعين¹

الرد على ابن عربى ونحوه من الملاحدة حيث قالوا ما فى أحد من الله شيء

قال تعالى [وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَحَدِّوْ إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِلَيْهِي فَارْهُبُونَ] 51 قوله ما في السماوات والأرض قوله الدين وأاصباً أَفْغَيْرَ اللَّهِ شَتَّوْنَ 52 وما يكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَكْمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ] 53 ثم إذا كَشَفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ يُرِيْهِمْ يُشْرِكُونَ 54 لِيُكْفِرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَقَمَّتُمُوْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ 55 وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ تَصِيَّبَاً مَمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَالِهِ لَتْسَأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْرَوْنَ 56 وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ] 57 النحل 51-57 وهذه الآيات كما تناولت ذم الذين جعلوا له شريكاً ولدوا فتناولها لذم هؤلاء الملاحدة أعظم فإن القائلين بقدم العالم وأنه معلوم جعلوه كلهم والدلالة قديماً أزلياً معه وهذا أعظم من قول أولئك والذين لم يجعلوه معلوماً له قالوا إنه قديم معه واجب الوجود مماثل له بل وجعلوا الفلك هو الذي تحدث عنه الحوادث لكن حركته للشبه به وهذا أعظم من كل شرك في العالم ومن شرك الم Gors والحرنانيين فإن أولئك وإن جعلوا معه قديماً إما ظلمة وهي إبليس عند الم Gors وإما النفس والهيوبي عن الحرنانيين فهم يقولون إنه أحدث العالم وأنه ركب من النفس والهيوبي القدمين وركبه من أجزاء النور والظلمة ولهذا ذكر محمد بن كعب وغيره عن الم Gors والصادقة أنهم قالوا عن الله لولا أولياؤه لذل فأنزل الله تعالى {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلُّ} الإسراء 111 فإنهم

¹ مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 20

يجعلونه محتاجاً إلى من يعاونه إذ كان مغلوباً من وجهه مع القدماء معه كما هو غالب من وجهه وكفر أولئك أعظم فإنهم لم يجعلوا له تأثيراً في الفلك ولا تصرفوا بوجهه فهو لا تقصوه وسلبوه الريوبية والإلهية أعظم من أولئك وجعلوه مع الفلك مغلوباً من كل وجه لا بقدر أن يفعل فيه شيئاً وقول عبدة الأواثن هو أجل من أن نعبد بل نعبد الوسائل وهو أجل من أن يبعث بشراً رسولاً فجحدوا توحيده ورسالته على وجه التعظيم له وكذلك المجروس الثنوية أثبتوا الظلمة تزيها له عن فعل الشر والحرنانيون أثبتوا معه النفس والهلوسي قديمين تزيها له عن إحداث العالم بلا سبب فالآم كلهم يعظمونه لكن تعظيمها يستلزم شبهة وبه والمقصود هنا قوله تعالى {وَمَا يُكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ} النحل 53 قوله عز وجل {وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ} الجانية 13 فالأمر ضد ما قاله هؤلاء الملاحدة ابن عربي ونحوه حيث قالوا ما في أحد من الله شيء فيقال لهم بل كل ما بالخلق من نعمة فمن الله وحده قال النبي صلى الله عليه وسلم من قال إذا أصبح اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر فقد أدى شكر ذلك اليوم ومن قال إذا أمسى اللهم ما أمسى بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر فقد أدى شكر تلك الليلة رواه أبو داود وغيره¹

التوحيد هو أصل الدين

قال تعالى {وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَخَذُوا إِلَهِينَ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّاهُ يَارْهُونِ} 51 {وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبَا أَفَغَيْرُ اللَّهِ تَتَقَوَّنُ} 52 {وَمَا يُكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَكُمُ الْضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ} 53 {ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ} 54 {لَيَكُفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ} 55 {وَيَجْعَلُونَ لَمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَالِلَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْنُمْ تَقْرُونَ} 56 {وَيَجْعَلُونَ اللَّهَ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشَاءُونَ} 57 {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى طَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًا وَهُوَ كَظِيمٌ} 58 {يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمَ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيْمُسْكُهُ عَلَى هُونَ أَمْ يَدْسُهُ فِي التَّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} 59 {لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثُلُ السَّوْءِ وَلَهُ الْمُثُلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} 60 {وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ ذَآبَةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَحَدِ الْمُسَمَّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ} 61 {وَيَجْعَلُونَ اللَّهَ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِيفُ السَّيِّنُهُمُ الْكَذَبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ} 62 {تَاهَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِكَ فَرَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} 63 {وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الْذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدَى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} 64 {النَّحْل 56-62} وَالْتَّوْحِيدُ هُوَ أَصْلُ الدِّينِ الَّذِي لَا يَقْبِلُ اللَّهُ مِنَ الْأُولَئِنَّ وَالْآخِرِينَ دِينًا غَيْرَهُ وَبِهِ أَرْسَلَ اللَّهُ الرَّسُلَ وَأَنْزَلَ الْكِتَابَ وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ عز وجل عن كُلِّ مِنَ الرَّسُلِ أَنَّهُ افْتَحَ دِعَوَتِهِ بِأَنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ {أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} هُوَ 50 وَفِي الْمَسْنَدِ عَنْ بْنِ عَمْرٍونَ عَنِ النَّبِيِّ أَنَّهُ قَالَ بَعْثَتْ بِالسَّيْفِ بَيْنَ يَدَيِّ السَّاعَةِ حَتَّى يَعْبُدَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ

¹ رسالة في تحقيق الشكر ج: 1 ص: 105-107

وجعل رزقى تحت ظل رمحى وجعل الذل والصغار على من خالفة أمرى ومن تشبه بهم فهو منهم والمشرون من قريش وغيرهم الذين أخبر القرآن بشركم واستحل النبي دماءهم وأموالهم وسبى حريمهم وأوجب لهم النار كانوا مقربين بأن الله وحده خلق السموات والأرض وكان المشرون الذين جعلوا معه آلهة أخرى مقربين بأن آلهتهم مخلوقة ولكنهم كانوا يتذلون لهم شفاعة ويتقربون بعبادتهم إليه كما قال تعالى وهذا كما كانوا يقولون له بنات فقال تعالى {وَيَجْعَلُونَ لِهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِيفُ الْسِّنَثِمُ الْكَذَبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ} النحل 62 وقد قال تعالى {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأنْتِي ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًا وَهُوَ كَظِيمٌ} 58 {يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيْمَسْكُهُ عَلَى هُونِ أَمْ يَدْسُهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} 59 {لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثُلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثُلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} 60 النحل 58-60 والمشرون الذين وصفهم الله ورسوله بالشرك أصلهم صنفان قوم نوح وقوم إبراهيم فقوم نوح كان أصل شركهم العكوف على قبور الصالحين ثم صوروا تماثيلهم ثم عبدوه و القوم إبراهيم كان أصل شركهم عبادة الكواكب والشمس والقمر وكل من هؤلاء يعبدون الجن فإن الشياطين قد تخطبهم وتعينهم على أشياء وقد يعتقدون أنهم يعبدون الملائكة وإن كانوا في الحقيقة إنما يعبدون الجن فإن الجن هم الذين يعينونهم ويرضون بشركهم قال تعالى {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهُوَلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ} 40 {قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِئِنِّي مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ} 41 40-41 والمملائكة لا تعينهم على الشرك لا في المحييا ولا في الممات ولا يرضون بذلك ولكن الشياطين قد تعينهم وتتصور لهم في صور الآدميين فيرونهم بأعينهم ويقول أحدهم أنا إبراهيم أنا المسيح أنا محمد أنا الخضر أنا أبو بكر أنا عمر أنا عثمان أنا على أنا الشيخ فلان وقد يقول بعضهم عن بعض هذا هو النبي فلان أو هذا هو الخضر ويكون أولئك كلهم جنا يشهد بعضهم لبعض والجن كالإنس فمنهم الكافر ومنهم الفاسق ومنهم العاصي¹

العلم الإلهي لا يجوز أن يستدل فيه بقياس تمثيل ولا بقياس شمولي

قال تعالى { وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَكُمُ الْضُّرُّ فَأَلْيَهُ تَجَارُونَ} 53 { ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ} 54 { لَيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتُمَعَّرُوا فَسُوقَ تَعْلَمُونَ} 55 { وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مَمَّا رَزَقَنَا هُمْ تَالِلَهِ لَتَسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَغْنِرُونَ} 56 { وَيَجْعَلُونَ لِهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ} 57 { وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأنْتِي ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًا وَهُوَ كَظِيمٌ} 58 {يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيْمَسْكُهُ عَلَى هُونِ أَمْ يَدْسُهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} 59 {لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثُلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثُلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} 60 { وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسُ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ ذَبَابَةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمَّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ} 61 { وَيَجْعَلُونَ لِهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِيفُ الْسِّنَثِمُ الْكَذَبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ} 62 { تَالِلَهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَّةٍ مِنْ قَبْلِكَ فَرَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيهِمُ الْيَوْمُ

¹ مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 157

وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ {63} وَمَا أَنَّزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ
 يُؤْمِنُونَ {64} } النحل 54-64

فإن الأمثل المضروبة وهي الأقيسة العقلية سواء كانت قياس شمول أو قياس تمثيل ويدخل في ذلك ما يسمونه براهين وهو القياس الشمولي المؤلف من المقدمات اليقينية وإن كان لفظ البرهان في اللغة أعم من ذلك كما سمي الله آيتى موسى برهانين وما يوضح هذا أن العلم الإلهي لا يجوز أن يستدل فيه بقياس تمثيل يستوي في الأصل والفرع ولا بقياس شمولي تستوي أفراده فإن الله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء فلا يجوز أن يمثل بغيره ولا يجوز أن يدخل هو وغيره تحت قضية كلية تستوي أفرادها ولها لما سلك طوائف من المتنفسة والمتكلمة مثل هذه الأقيسة في المطالب الإلهية لم يصلوا بها إلى يقين بل تنقضت أدلةهم وغلب عليهم بعد التناهى الحيرة والاضطراب لما يرونـه من فساد أدلةـهم أو تكافـئـها ولكن يستعملـ في ذلك قياس الأولى سواء كان تمثـيلاـ أو شـمولاـ كما قال تعالى { وَلِلَّهِ الْمَثُلُ الْأَعْلَى } النـحل 60 مثلـ أنـ نـعـلمـ أنـ كـمالـ ثـبـتـ للـمـكـنـ أوـ الـمـحـدـثـ فـالـوـاجـبـ الـقـدـيمـ أـولـىـ بـهـ وـكـلـ كـمالـ ثـبـتـ لـلـمـخـلـوقـ الـمـرـبـوبـ الـمـعـلـولـ الـمـدـبـرـ فـإـنـماـ استـقـادـهـ مـنـ خـالـقهـ وـرـبـهـ وـمـدـبـرـهـ فـهـ أـحـقـ بـهـ مـنـهـ وـأـنـ كـلـ نـقـصـ وـعـيـبـ وـجـبـ نـفـيـهـ عـنـ شـيـءـ مـامـنـ أـنـوـاعـ الـمـخـلـوقـاتـ وـالـمـحـدـثـاتـ وـالـمـكـنـاتـ فـإـنـهـ يـجـبـ نـفـيـهـ عـنـ الرـبـ تـبـارـكـ وـتـعـالـىـ بـطـرـيـقـ الـأـولـىـ وـأـنـهـ أـحـقـ بـالـأـمـورـ الـوـجـودـيـةـ مـنـ كـلـ مـوـجـودـ وـالـأـمـورـ الـعـدـمـيـةـ الـمـكـنـ بـهـ أـحـقـ وـنـحـوـ ذـلـكـ وـمـثـلـ هـذـهـ الـطـرـقـ هـيـ الـتـيـ كـانـ يـسـتـعـمـلـهـاـ السـلـفـ وـالـأـمـمـ فـيـ مـثـلـ هـذـهـ الـمـطـالـبـ كـمـاـ استـعـمـلـهـاـ نـحـوـهـاـ الـإـمـامـ أـحـمـدـ وـمـنـ قـبـلـهـ وـبـعـدـهـ مـنـ أـمـمـ أـهـلـ الـإـسـلـامـ وـبـمـثـلـ ذـلـكـ جـاءـ الـقـرـآنـ فـيـ تـقـرـيرـ أـصـوـلـ الدـيـنـ مـنـ مـسـائـلـ التـوـحـيدـ وـالـصـفـاتـ وـنـحـوـ ذـلـكـ أـنـ سـبـانـهـ لـمـ أـخـبـرـ بـالـمـعـادـ وـالـعـلـمـ بـهـ تـابـعـ لـلـعـلـمـ بـإـمـكـانـهـ فـإـنـ الـمـمـتـنـعـ لـاـ يـجـوزـ أـنـ يـكـونـ بـيـنـ سـبـانـهـ إـمـكـانـهـ أـتـمـ بـيـانـ وـلـمـ يـسـلـكـ فـيـ ذـلـكـ مـاـ يـسـلـكـهـ طـوـافـهـ مـنـ أـهـلـ الـكـلامـ حـيـثـ يـثـبـتوـنـ الـإـمـكـانـ الـخـارـجيـ بـمـجـرـدـ الـإـمـكـانـ الـذـهـنـيـ فـيـقـولـوـنـ هـذـاـ مـمـكـنـ لـأـنـهـ لـوـ قـدـرـ وـجـودـ لـمـ يـلـزـمـ مـنـ تـقـدـيرـهـ وـجـودـهـ مـحـالـ فـإـنـ الشـأـنـ فـيـ هـذـهـ الـمـقـدـمـةـ فـمـنـ أـيـنـ يـعـلـمـ أـنـهـ لـاـ يـلـزـمـ مـنـ تـقـدـيرـ وـجـودـهـ مـحـالـ وـالـمـحـالـ هـنـاـ أـعـمـ مـنـ الـمـحـالـ لـذـاتـهـ أـوـ لـغـيـرـهـ وـالـإـمـكـانـ الـذـهـنـيـ حـقـيقـتـهـ دـعـمـ الـعـلـمـ بـالـامـتـنـاعـ وـدـعـمـ الـعـلـمـ بـالـامـتـنـاعـ لـاـ يـسـتـلـزـمـ الـعـلـمـ بـإـمـكـانـ الـخـارـجيـ بـلـ يـبـقـيـ الشـيـءـ فـيـ الـذـهـنـ غـيـرـ مـعـلـومـ الـامـتـنـاعـ وـلـاـ مـعـلـومـ الـإـمـكـانـ الـخـارـجيـ وـهـذـاـ هـوـ الـإـمـكـانـ الـذـهـنـيـ فـالـلـهـ سـبـانـهـ وـتـعـالـىـ لـمـ يـكـفـ فـيـ بـيـانـ إـمـكـانـ الـمـعـادـ بـهـذـاـ إـذـ يـمـكـنـ أـنـ يـكـونـ الشـيـءـ مـمـتـنـعـاـ وـلـوـ لـغـيـرـهـ وـإـنـ لـمـ يـعـلـمـ الـذـهـنـ اـمـتـنـاعـهـ بـخـلـافـ الـإـمـكـانـ الـخـارـجيـ فـإـنـهـ إـذـ عـلـمـ بـطـلـ أـنـ يـكـونـ مـمـتـنـعـاـ وـالـإـنـسـانـ يـعـلـمـ الـإـمـكـانـ الـخـارـجيـ تـارـةـ بـعـلـمـهـ بـوـجـودـ الشـيـءـ وـتـارـةـ بـعـلـمـهـ بـوـجـودـ نـظـيرـهـ وـتـارـةـ بـعـلـمـهـ بـوـجـودـ ماـ هـوـ أـبـلـغـ مـنـهـ فـإـنـ وـجـودـ الشـيـءـ دـلـيلـ عـلـىـ أـنـ مـاـ هـوـ دـوـنـهـ أـولـىـ بـإـمـكـانـ مـنـهـ ثـمـ إـنـهـ إـذـ بـيـنـ كـوـنـ الشـيـءـ مـمـكـناـ فـلـاـ بـدـ مـنـ بـيـانـ قـدـرـةـ الـرـبـ عـلـيـهـ وـإـلاـ مـجـرـدـ الـعـلـمـ بـإـمـكـانـهـ لـاـ يـكـفـيـ فـيـ إـمـكـانـ وـقـوـعـهـ إـنـ لـمـ تـلـمـ قـدـرـةـ الـرـبـ عـلـيـهـ ذـلـكـ فـبـيـنـ سـبـانـهـ هـذـاـ كـلـهـ بـمـثـلـ قـوـلـهـ {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّاَ رَبِّ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا } الإسراء 99 وكذلك ما استعملـهـ سـبـانـهـ فـيـ تـنـزـيـهـهـ وـتـقـدـيسـهـ عـماـ أـضـافـوهـ إـلـيـهـ مـنـ الـوـلـادـةـ سـوـاءـ سـمـوـهـ حـسـيـةـ أـوـ عـقـلـيـةـ كـمـاـ تـزـعـمـهـ الـفـلـاسـفـةـ الصـابـئـونـ مـنـ تـوـلـدـ الـعـقـولـ

العـشـرـةـ وـالـنـفـوـسـ الـفـلـكـيـةـ التـسـعـةـ التـيـ هـمـ مـضـطـرـبـوـنـ فـيـهـاـ هـلـ هـيـ جـوـاهـرـ أـوـ أـعـرـاضـ وـقـدـ يـجـعـلـونـ
 الـعـقـولـ بـمـنـزـلـةـ الـذـكـورـ وـالـنـفـوـسـ بـمـنـزـلـةـ الـأـنـاثـ وـيـجـعـلـونـ ذـلـكـ آبـاءـهـ وـأـمـهـاـتـهـ وـآلـهـتـهـ وـأـرـبـابـهـ الـقـرـيبـةـ
 وـعـلـمـهـ بـالـنـفـوـسـ أـظـهـرـ لـوـجـودـ الـحـرـكـةـ الدـوـرـيـةـ الدـالـلـةـ عـلـىـ الـحـرـكـةـ الـإـرـادـيـةـ الدـالـلـةـ عـلـىـ الـنـفـسـ الـمـحـرـكـةـ
 وـذـلـكـ شـبـيـهـ بـقـوـلـ مـشـرـكـيـ الـعـربـ وـغـيـرـهـ الـذـيـنـ جـعـلـوـاـهـ بـنـيـنـ وـبـنـاتـ قـالـ تـعـالـىـ { وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ
 الـجـنـ وـخـلـقـهـمـ وـخـرـقـوـا لـهـ بـنـيـنـ وـبـنـاتـ بـغـيـرـ عـلـمـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ عـمـاـ يـصـفـوـنـ } الأنـعامـ 100 وـقـالـ
 تـعـالـىـ { أَلَا إِنَّهـمـ مـنـ إـفـكـمـ لـيـقـولـوـنـ } 151 وـلـدـ الـلـهـ وـإـنـهـمـ لـكـاذـبـوـنـ } 152 الصـافـاتـ 151-152
 وـكـانـوـاـ يـقـولـوـنـ الـمـلـائـكـةـ بـنـاتـ الـلـهـ كـمـاـ يـزـعـمـ هـؤـلـاءـ أـنـ الـنـفـوـسـ هـيـ الـمـلـائـكـةـ وـهـيـ مـتـوـلـةـ عـنـ الـلـهـ فـقـالـ

تعالى { وَيَجْعَلُونَ لِلّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَسْتَهُونَ }⁵⁷ { وَإِذَا بُشَّرَ أَهْدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًا وَهُوَ كَظِيمٌ }⁵⁸ { يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمَ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيْمَسْكُهُ عَلَى هُونَ أَمْ يَدْسُهُ فِي التَّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ }⁵⁹ { لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثُلُ السَّوْءِ وَلِلّهِ الْمَثُلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }⁶⁰ النحل 60-57 إلى قوله { وَيَجْعَلُونَ لِلّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ الْسِّنَّتُهُمُ الْكَذَبُ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى لَا حَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ }⁶² النحل 62 وقال تعالى { وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءاً إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكُفُورٌ مُّبِينٌ }¹⁵ { أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ }¹⁶ { وَإِذَا بُشَّرَ أَهْدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًا وَهُوَ كَظِيمٌ }¹⁷ { أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحُلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخَصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ }¹⁸ { وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَّا أَشَهَدُوا لَهُمْ سَتُّكَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ }¹⁹ الزخرف 19-15 وقال تعالى { أَفَرَأَيْمُ اللَّاتَ وَالْأَعْزَى }¹⁹ النجم 19 إلى قوله { الْكُمُ الْذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنْثَى }²¹ { تِلْكَ إِذَا قِسْمَةً ضَيْزَى }²² النجم 21-22 أي جائزه وغير ذلك في القرآن بين سبحانه أن رب الخالق أولى بأن ينزله عن الأمور الناقصة منكم فكيف يجعلون له ما تكرهون أن يكون لكم تستخفون من إضافته إليكم مع أنه واقع لا محالة ولا تنزعونه عن ذلك وتتفونه عنه وهو أحق بنفي المكروهات المنقصات منكم ¹

القياس تارة تعتبر فيه القدر المشترك من غير اعتبار الأولوية وتارة يعتبر فيه الأولوية فيؤلف على وجه قياس الأولى وهو إن كان قد يجعل نوعاً من قياس الشمول والتمثيل فله خاصة يمتاز بها عن سائر الأنواع وهو أن يكون الحكم المطلوب أولى بالثبوت من الصورة المذكورة في الدليل الدال عليه وهذا النمط هو الذي كان السلف والأئمة كالإمام أحمد وغيره من السلف يسلكونه من القياس العقلي في أمر الريوبوبيه وهو الذي جاء به القرآن وذلك أن الله سبحانه لا يجوز أن يدخل هو وغيره تحت قياس الشمول الذي تستوي أفراده ولا تحت قياس التمثيل الذي يستوي فيه حكم الأصل والفرع فإن الله تعالى ليس كمثله شيء لا في نفسه المذكورة بأسمائه ولا في صفاتيه ولا في أفعاله ولكن يسلوك في شأنه قياس الأولى كما قال والله المثل الأعلى فإنه من المعلوم أن كل كمال ونعت ممدوح لنفسه لا نقص فيه يكون لبعض الموجودات المخلوقة المحدثة فالرب الخالق الصمد القديم الواجب الوجود بنفسه هو أولى به وكل نقص وعيوب يجب أن ينزله عنه بعض المخلوقات المحدثة الممكنة فالرب الخالق القدس السلام القديم الواجب وجوده بنفسه هو أولى بأن ينزله عنه ²

المشركون كانت أنفسهم عندهم أعظم من الله سبحانه

وأما قوله تعالى { الْكُمُ الْذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنْثَى }²¹ { تِلْكَ إِذَا قِسْمَةً ضَيْزَى }²² النجم 21-22 أي قسمة جائزة عوجاء إذ يجعلون لكم ما تحبون وهم الذكور و يجعلون لى الإناث وهذا من قولهم

¹ الفتاوى الكبرى ج: 1 ص: 446-450 و درء التعارض ج: 1 ص: 29

² العقيدة الأصفهانية ج: 1 ص: 74 و العقيدة الأصفهانية ج: 1 ص: 117

الملاك بنات الله حيث جعلوا له أولادا إناثا وهم يكرهون أن يكون ولد أحدهم أنثى كالنصارى الذين يجعلون الله ولدا ويجلون الراهب الكبير أن يكون له ولد وأما الالات والعزى ومناة الثالثة الأخرى فلما قال تعالى {أَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَى} النجم 21 فسرها طائفة منهم الكلبى بأنهم كانوا يقولون هذه الأصنام بنات الله وهذا هو الذى ذكره طائفة من المتأخرین وليس كذلك فإنهم لم يكونوا يقولون عن هذه الأصنام أنها بنات الله وإنما قالوا ذلك عن الملائكة كما ذكر الله عنهم فى قوله تعالى بعد هذا {إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُُونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيهُ الْأُنثَى} {النجم 27} وقال {وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَّا أَشَهَدُوا حَلْقَهُمْ} {الزخرف 19} وقال تعالى {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًا وَهُوَ كَظِيمٌ} {الزخرف 17} فإن الولد يماثل أباه وكذلك الشريك يماثل شريكه فهم ضربوا الإناث مثلا وهم جعلوا هذه شركاء الله سبحانه فكانوا يجعلونها أندادا لله والشريك كالآخر يجعلوا له أولادا إناثا وشركاء إناثا يجعلوا له بنات وأخوات وهم لا يحبون أن تكون لأحد هم أنثى لا بنت ولا اخت بل إذا كان الأب يكره أن تكون له بنت فالاخت أشد كراهة له منها ولم يكونوا يورثون البنات وأخوات قتبين فرط جهلهم وظلمهم إذ جعلوا الله مالا يرضونه لأنفسهم فكانت أنفسهم عندهم أعظم من الله سبحانه وهذا كما ضرب لهم مثلا فقال تعالى {وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مَّمَّا رَزَقَنَاهُمْ تَالِلَّهِ لَتْسَالُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْرَوْنَ} {56} {وَيَجْعَلُونَ اللَّهَ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشَهُونَ} {57} {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًا وَهُوَ كَظِيمٌ} {58} يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكة على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحکمون {59} للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء والله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم {60} ولو يواخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليهم من دابة ولكن يواخرونهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أحدهم لا يستاخرون ساعه ولا يستقدمون {61} {وَيَجْعَلُونَ اللَّهَ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ الْسَّيْنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ} {62} تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فرئن لهم الشيطان أعمالهم فهو ولهم اليوم ولهم عذاب أليم {63} وما انزلنا عليك الكتاب إلا ليثرين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون {64} {النحل 56-60}

{ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم من مالك أيمانكم من شركاء في ما رزقناكم فأنتم فيه سواء تحافظونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون} {الروم 28}

وأما انكار الباطل فقد نزه الله نفسه عن الوالد والولد وكفر من جعل له ولدا أو والدا أو شريكا فقال تعالى في السورة التي تعدل ثلث القرآن التي هي صفة الرحمن ولم يصح عن النبي في فضل سورة من القرآن ما صح في فضلها حتى أفرد الحفاظ مصنفات في فضلها كالدارقطنى وأبي نعيم وأبي محمد الخلال وأخرج أصحاب الصحيح فيها أحاديث متعددة قال فيها (فَلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) {1} الله الصمد {2} لم يلد ولم يولذ {3} ولم يكن له كفوا أحد {4} الاخلاص 1-4 وعلى هذه السورة اعتماد الأئمة في التوحيد كالأمام أحمد والفضيل بن عياض وغيرهما من الأئمة قبلهم وبعدهم فنفى عن نفسه الأصول والفروع والنظراء وهي جماع ما ينسب اليه المخلوق من الأدميين والبهائم والملائكة والجن بل والنبات ونحو ذلك فإنه ما من شيء من المخلوقات الا ولا بد أن يكون له شيء يناسبه اما أصل واما فرع واما نظير او اثنان من ذلك او ثلاثة وهذا في الأدميين والجن والبهائم

¹ مجموع الفتاوى ج: 27 ص: 363-365

ظاهر وأما الملائكة فانهم وان لم يتوالدوا بالتنازل فلهم الامثال والاشباء ولهذا قال سبحانه {وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا رَوْجَينَ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} 49 {فَرُؤُوا إِلَى اللَّهِ} 50 {الذاريات} 49-50 قال بعض السلف لعلمكم تتذكرون فتعلمون أن خالق الازواج واحد ولهذا كان في هذه السورة الرد على من كفر من اليهود والنصارى والصابئين والمجوس والمرشكين فإن قوله {لَمْ يَلِدْ} {الاخلاص} 3 رد لقول من يقول ان له بنين وبنات من الملائكة أو البشر مثل من يقول الملائكة بنات الله أو يقول المسيح أو عزير ابن الله كما قال تعالى عنهم {وَيَجْعَلُونَ لِهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِيفُ أَسْنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ} النحل 62 وهو قول من قال من العرب ان الملائكة بنات الله كما قال تعالى عنهم {وَيَجْعَلُونَ لِهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِيفُ أَسْنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ} النحل 62 وهو قول من قال من العرب ان الملائكة بنات الله وقال تعالى {وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مَمَّا رَزَقْنَا هُمْ تَالِهِ لِتُسَلَّمَ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ} 56 {وَيَجْعَلُونَ لِهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ} 57 {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأنْتِي ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًا وَهُوَ كَظِيمٌ} 58 {يَتَوَارِي مِنَ الْقَوْمَ مِنْ سُوءٍ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيْمَسِكَةٌ عَلَى هُونَ أَمْ يَدْسُهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} 59 {لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مِثْلُ السَّوْءِ وَلِهِ الْمَنْلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الحَكِيمُ} 60 النحل 56-60¹

التسبیح يقتضي التنزية والتعظيم

قال تعالى { وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقَنَا هُمْ تَالِهُ لَنْسَانٌ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْرَوْنَ }^{56}
 وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشَاءُونَ }^{57}
 وَإِذَا بُشِّرَ أَهْدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًا وَهُوَ
 كَظِيمٌ }^{58} يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيْمَسْكُهُ عَلَى هُونَ أَمْ يَدْسُهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا
 يَحْكُمُونَ }^{59} لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مِثْلُ السَّوْءِ وَلَهُ الْمَثُلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }^{60}
 النحل 60-56 والأمر بتسبیحه يقتضي أيضاً تنزیهه عن كل عيب و سوء و إثبات صفات الكمال له
 فإن التسبیح يقتضي التنزیه و التعظیم و التعظیم یستلزم إثبات المحمد الذى یحمد عليها فيقتضي
 ذلك تنزیهه و تحمیده و تکبیره و توحیده ²

الله سبحانه هو المتصف بصفات الكمال وهو المستحق للعبادة

وقد بين الله سبحانه انه احق بالكمال من غيره وان غيره لا يساويه في الكمال في مثل قوله تعالى
{أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفْلًا تَذَكَّرُونَ} النحل 17 وقد بين ان الخلق صفة كمال وان الذي يخلق
افضل من الذي لا يخلق وان من عدل هذا فقد ظلم وقال تعالى وهذا قوله **{وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ**
بِالْأَنْتَيْ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًا وَهُوَ كَظِيمٌ} {58} يتوارى من القوم من سوء ما يبشر به أيمسكه على هون أم
يَدْسُهُ فِي التَّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} {59} للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء والله المثل الأعلى

^١مجموع الفتاوى ج: 2 ص: 438-440

²مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 126

وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ {60} وَلَوْ بُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ ذَبَابَةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ {61} وَيَجْعَلُونَ اللَّهَ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِيفُ الْأَسِنَتُهُمُ الْكَذِبُ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ {62} النَّحْلُ 62-58 حيث

كانوا يقولون الملائكة بنات الله وهم يكرهون ان يكون لأحدهم بنت فيعدون هذا نقصا وعيها والرب تعالى احق بتتربيته عن كل عيب ونقص منكم فان له {المثل الأعلى} النحل 60 فكل كمال ثبت للمخلوق فالخالق احق بثبوته منه اذا كان مجرد عن النقص وكل ما ينزعه عنه المخلوق من نقص وعيب فالخالق اولى بتتربيته عنه وقال تعالى {هُنَّ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} الزمر 9 وهذا يبين ان العالم اكمل من لا يعلم وقال تعالى {وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ} {19} وَلَا الظُّلُماتُ وَلَا النُّورُ {20} وَلَا الظُّلُلُ وَلَا الْحَرُورُ {21} وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّنْ فِي الْقُبُورِ {22} فاطر 19-22 فيبين ان البصیر اکمل والنور اکمل والظل اکمل وحينئذ فالمتصف به اولى {وَلِلَّهِ الْمَثُلُ الْأَعْلَى} النحل 60 ومثل هذا في القرآن متعدد من وصف الاصنام بسلب صفات الكمال كعدم التكلم والفعل وعدم الحياة ونحو ذلك مما يبين ان المتصف بذلك مننقص معيب كسائر الجمادات وان هذه الصفات لا تسلب الا عن ناقص معيب واما رب الخلق الذي هو اکمل من كل موجود فهو احق الموجودات بصفات الكمال وانه لا يستوي المتصف بصفات الكمال والذي لا يتتصف بها وهو يذكر ان الجمادات في العادة لا تقبل الاتصال بهذه الصفات فمن جعل الواجب الوجود لا يقبل الاتصال فقد جعله من جنس الاصنام الجامدة التي عابها الله تعالى وعاب عابديها ولهذا كانت القرامطة الباطنية من اعظم الناس شركا وعبادة لغير الله اذ كانوا لا يعتقدون في اليهود انه يسمع او يبصر او يغنى عنهم شيئا والله سبحانه لم يذكر هذه النصوص لمجرد تقرير صفات الكمال له بل ذكرها ليبيان انه المستحق للعبادة دون ما سواه فأفاد الاصليين الذين بهما يتم التوحيد وهم اثبات صفات الكمال ردًا على اهل التعطيل وبيان انه المستحق للعبادة لا اله الا هو ردًا على المشركين والشرك في العالم اکثر من التعطيل ولا يلزم من اثبات التوحيد المنافي للاشراك ابطال قول اهل التعطيل ولا يلزم من مجرد الادلة المبطل لقول المعطلة الرد على المشركين الا ببيان اخر والقرآن يذكر فيه الرد على المعطلة تارة كالرد على فرعون وامثاله ويذكر فيه الرد على المشركين وهذا اکثر لأن القرآن شفاء لما في الصدور ومرض الاشراك اکثر في الناس من مرض التعطيل¹

الأقيسة العقلية

فلما كان في الأمم كفار ومنافقون يكفرون ببعض الرسالة دون بعض إما في القدر وإما في الوصف كما أن فيهم كفار ومنافقون يكفرون بأصل الرسالة وكان في الكفار بأصل الرسالة من قال أن الرسول شاعر وساحر وكاهن ومعلم ومحنون ومحنون ومحنون وما كان رئيس قريش وفيلسوفها وحكيمها الوليد بن المغيرة الوحيد المذكور في قوله تعالى {ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا} {11} وَجَعَلْتُ لَهُ مَا لَأَمْمَدُو دَأْ} {12} وَبَنَنْ شُهُودًا} {13} وَمَهَدَتْ لَهُ تَمَهِيدًا} {14} ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ} {15} كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا

¹ مجموع الفتاوى ج: 6 ص: 81

عنيداً {16} سأر هقة صاعداً {17} إله فكر وقدر {18} فقتل كيف قدر {19} ثم قتل كيف قدر {20} ثم نظر {21} ثم عبس وبسر {22} ثم أذير واستكير {23} فقال إن هذا إلا سحر يؤثر {24} إن هذا إلا قول البشر {25} المدثر 11-25 فإنه صنع صنع الفيلسوف المخالف للرسل في تفكيره أو لا الذي هو طلب الانتقال من تصور طرف القضية إلى المبادئ الموجبة للتصديق ليظفر بالحد الأوسط ثم قدر ثانياً والتقدير هو القياس وهو الانتقال من المبادئ إلى المطلوب بالقياس المنطقى الشمولي ولعمرى إنه لصواب إذا صحت مقدماته وإن كانت النتيجة في الأغلب أموراً كليلة ذهنية ثبوتها في الأذهان لا في الأعيان كالعلوم الرياضية من الأعداد والمقادير فان العدد مجرد عن المعدود والمقدار مجرد عن الأجسام إنما يوجد في الذهن لكن أنى وأكثر مقدماته في الالهيات دعاوى يدعى فيها بعموم وأن القضية من المسلمات بلا حجة ومتى لم يكن في القياس قضية كلية معلومة لم تقدر المطلوب وهو يلبسون المهملات التي هي في معنى الجزئيات بالكليات العامة المسلمات أو يدعى فيها العموم بنوع من قياس التمثيل ومعلوم أنه لا بد في كل قياس من قضية كلية وعامة القضية الكلية التي لهم فيها المطالب الالهية لا يعلم كونها كلية عامة إذ عمومها لا يعلم إلا بمجرد قياس التمثيل الذي قد يكون من أفسد القياس المقتنص لتشبيه الله بخلقه كما يقولون الواحد لا يصدر عنه إلا واحد وليس معهم إلا تشبيه خالق السموات والأرض ورب العالمين بالطائع كطبيعة الماء والنار مع أن الواحد الذي يثبتونه في الالهيات وفي المنطق أيضاً الذين يجعلون قضية الأنواع مركبة منه وهو الجنس و الفصل لا حقيقة لها ولا توجد إلا في الأذهان لا في الأعيان وقد بسطنا الكلام على ذلك في مواضع وبيننا أن ما يثبتونه من العقليات التي هي الجوهر العقلية المجردة عن المادة وهي العقل والنفس والمادة والصورة التي ليست بجسم ولا عرض لا حقيقة لها في الخارج وإنما تقدر في الأذهان لا في الأعيان وكذلك ما يثبتونه من الواحد الذي يصفون به واجب الوجود ومن الواحد الذي يجعلون الأنواع نتراكب منه إنما يوجد في الأذهان لا في الأعيان والقياس العقلى الذي يحتاجون به لا بد فيه من قضية كلية والقياس نوعان قياس الشمول و قياس التمثيل والناس متذارعون في مسمى القياس فقيل هو حقيقة في التمثيل مجاز في الشمول كما ذكر ذلك أبو حامد وأبو محمد المقدسى وغيرهما وقيل هو حقيقة في عكس ذلك كما قاله ابن حزم وغيره من نفاة قياس التمثيل وقيل بل اسم القياس يتناولهما وهذا قول جمهور الناس وأسم القياس العقلى يدخل فيه هذا وهذا لكن من الناس من ظن أن قياس التمثيل لا يفيد اليقين ولا يستعمل في العقليات كما ذهب إليه أبو المعالى وأبو حامد والرازي وأبو محمد والأمدى وأخرون من أهل المنطق وأما الجمهور فعندهم كلا القياسيين سواء وهذا هو الصواب فان مآل القياسيين إلى شيء واحد وإنما يختلف بترتيب الدليل فإن القائل إذا قال النبيذ المتنازع فيه حرام لأنه مسكر فكان حراماً قياساً على خمر العنبر فلا بد له أن يثبت أن السكر هو مناط التحرير وهو الذي يسمى في قياس التمثيل مناطاً وعلة وأماره ومشتركاً ووضعاً ونحو ذلك ولا بد في القياس الصحيح من أن يقيم دليلاً على أن السكر مناط التحرير بحيث إذا وجد السكر وجد التحرير فإذا صاغ الدليل بقياس الشمول فان النبيذ مسكر وكل مسكر حرام فالسكر في هذا النظم هو الحد الأوسط المكرر وهو العلة في قياس التمثيل ولا بد له في هذا القياس من أن يثبت هذه القضية الكلية الكبرى وهي قوله كل مسكر حرام فما به ثبتت هذه القضية في هذا النظم يثبت به أنه مناط التحرير في ذلك النظم لا فرق بينهما وإذا قال القائل إثبات تأثير الوصف وكونه مناط الحكم هو عدمة القياس وهو جواب سؤال المطالبة وبيان كون الوصف بالشمول هو مناط الحكم وهذا لا يثبت إلا بأدلة ظنية قيل له وإثبات عموم القضية الكبرى في قياس الشمول هو عدمة القياس فان الصغرى في الغالب تكون تكون معلومة كما يكون ثبوت الوصف في الفرع معلوماً وإذا كان ثبوت

الوصف في الفرع قد يحتاج إلى دليل كما قيل تحتاج المقدمة الصغرى إلى دليل وإثبات المقدمة الكبرى لا يتأنى إلا بأدلة ظنية ونفس ما به يثبت عموم القضية يثبت تأثير الوصف المشترك لا فرق بينهما أصلاً واستعمال كلا القياسين في الأمور الإلهية لا يكون إلا على وجه الأولى والأخرى وبهذه الطريقة جاء القرآن وهي طريقة سلف الأمة وأئمتها فإن الله سبحانه لا يماثله شيء من الموجودات في قياس التمثيل ولا أن يدخل في قياس شمول تتماثل أفراده بل ماثبت لغيره من الكمال الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه فهو أحق به وما نزه عنه غيره من النقاد فهو أحق بالتنزيه منه كما قال تعالى **{الذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء والله المثل الأعلى}** {النحل} 60 وقال تعالى {ضرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِّنْ مَا مَلَكتُ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءِ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَإِنَّمَا فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَحِيفَتُكُمْ أَنفُسُكُمْ} الروم 28 وقد بسطنا الكلام على هذا في غير هذا الموضوع وبيننا أن ما يستفاد بقياس الشمول في عامة الأمور قد يستفاد بدون ذلك فتعلم أحكام الجزئيات الداخلة في القياس بدون معرفة حكم القضية الكلية كما إذا قيل الكل أعظم من الجزء والضدان لا يجتمعان فما من كل معين وضدين معنيين إلا وإذا علم أن هذا جزء هذا وإن هذا ضد هذا علم أن هذا أعظم من هذا وإن هذا لا يجامع هذا بدون أن يخطر بالبال قضية كلية ان كل ضدين لا يجتمعان وإن كل فهو أعظم من جزء وكذلك إذا قيل النقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان فما من نقاضيين يعرف أنهما نقاضان إلا ويعرف أنهما لا يجتمعان ولا يرتفعان بدون أن يستحضر أن كل نقاضيين لا يجتمعان ولا يرتفعان فعامة المطالب يستغنى فيها عن القياس المنطقي المتضمن للكبرى الذي لا بد فيه من قضية كلية والأمور المعينات لا تعلم بمجرد القياس العقلي وإنما يعلم بالقياس القدر المشترك بينها وبين غيرها وبينهم ذلك وبيننا أن الأدلة الدالة على الصانع هي آيات تدل بنفسها على نفسه المقدسة وبيننا الفرق بين دلالة الآيات ودلالة القياس وإن الأدلة أكمل وأنفع وطريقة القياس تابعة لها ودونها في المنفعة والكمال والقرآن جاء بهذه وهذه ومعرفة الإلهيات والنبوات وغيرها فتلك الطريقة أكمل وأتم وهو لاء يزعمون أنه لا ينال مطلوب فطري إلا بطريقة القياس الذي لابد فيه من قضية كلية والقضية الكلية لا تقييد إلا أمراً كلياً عقلياً لا تقييد معرفة شيء معين وكل موجود فهو معين فكيف يقول عاقل مع هذا أنه لا ينال علم إلا بهذه الطريق ثم أنهم في ضلالهم يظنون أن علم الأنبياء بل وعلم رب سبحانه إنما حصل بواسطة القياس المنطقي وإن النبي له قوة حدسية يظفر بالحد الأوسط في القياس المنطقي بدون معلم فيكون أكمل من غيره فيجعلون علمه بالغيب من هذا الباب ولم يدرك بمثل هذا القياس علوم طبيعية أو حسابية ونحو ذلك فمن أين أنه لا ينال علم إلا به ومن أين أنه لا مواد يقينية إلا ما يدعوه المدعى مما عنده من الحدسيات المعتادة الظاهرة والباطنة والبدويات المعتادة والمتواترات والتجارب المعتادة والحدسيات المعتادة والحس الباطن والظاهر والتجربة ونحو ذلك لا يعلم بمجرده إلا أمر معين جزئي وذلك لا يصلح أن يكون مقدمة في القياس ولكن يعلم في العموم إما بواسطة قياس تمثيل وإما بعلم ضروري يحدثه الله في القلب ابتداء وإذا أحدث علمًا ضروريًا عاماً لأفراد فاحداث العلم ببعض تلك الأفراد سهل فقل أن يستفاد بطريقهم علم بنتيجة إلا والعلم بالنتيجة فيه ممكن بالطريق الذي به عرفت المقدمات أو أسهل فلا يكون في قياسهم إلا زيادة تطويل وتهويل وتضليل وقد بسطنا الكلام على المنطق اليوناني بما فيه من حق وباطل ونافع وضار في غير هذا الموضوع ونفي العلم إلا بهذا القياس ونفي كون القياس يقينيا إلا بهذه المقدمات قول بلا علم وتكذيب بما لم يحط المكذب بعلمه ولهذا كانت الطريقة النبوية السلفية أن يستعمل في العلوم الإلهية قياس الأولى كما قال الله تعالى **{وَلِلَّهِ الْمِثْلُ الْأَعْلَى}** {النحل} 60 إذ لا يدخل الخالق والمخلوق تحت قضية كلية تستوى أفرادها ولا يتماثلان في شيء من الأشياء بل يعلم أن كل كمال لا نقص فيه بوجه ثبت للمخلوق فالخالق أولى

به وكل نقص وجب نفيه عن المخلوق فالخالق أولى بنفيه عنه وأمثال هذه الأقيسة العقلية التي من نوع الأمثال المضروبة في القرآن والله المثل الأعلى وقد بسطنا هذا في غير هذا الموضع¹

طرق إثبات صفات الكمال

إثبات صفات الكمال له طرق أحدها ما نبهنا عليه من أن الفعل مستلزم للقدرة و لغيرها فمن النظار من يثبت أولاً القدرة و منهم من يثبت أولاً العلم و منهم من يثبت أولاً الإرادة و هذه طرق كثير من أهل الكلام و هذه يستدل عليها بجنس الفعل و هي طريقة من لا يميز بين مفعول و مفعول كجهنم بن صفوان و من يتبعه و هؤلاء لا يثبتون حكمة و لا رحمة إذ كان جنس الفعل لا يستلزم ذلك لكن هم أثبتوا بالفعل المحكم المتقن العلم و كذلك ثبت بالفعل النافع الرحمة و بالغايات المحمودة الحكمة و لكن هم متناقضون في الاستدلال بالإحكام و الإنقان على العلم إذ كان ذلك إنما يدل إذا كان فاعلاً لغاية يقصدها و هم يقولون إنه يفعل لا لحكمة ثم يستدلون بالأحكام على العلم و هو تناقض كما تناقضوا في المعجزات حيث جعلوها دالة على صدق النبي إما للعلم الضروري بذلك و إما لكونه لو لم تدل لزم العجز و هي إنما تدل إذا كان الفاعل يقصد إظهارها ليدل بها على صدق الأنبياء فإذا قالوا إنه لا يفعل شيء لشيء تناقضوا وأما الطريق الأخرى في إثبات الصفات و هي الاستدلال بالأثر على المؤثر و أن من فعل الكامل فهو أحق بالكمال و الثالثة طريقة قياس الأولى و هي الترجيح و التفضيل و هو أن الكمال إذا ثبت للمحدث الممکن المخلوق فهو الواجب القديم الخالق أولى و القرآن يستدل بهذه و هذه فالأستدلال بالأثر على المؤثر أكمل قوله تعالى {وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً} فصلت 15 قال الله تعالى {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً} فصلت 15 و هكذا كل ما في المخلوقات من قوة و شدة تدل على أن الله أقوى و أشد و ما فيها من علم يدل على أن الله أعلم و ما فيها من علم و حياة يدل على أن الله أولى بالعلم و الحياة و هذه طريقة يقر بها عامة العقلاة حتى الفلاسفة يقولون كل كمال في المعلوم فهو من العلة و أما الاستدلال بطريق الأولى فقوله {وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى} النحل 60 و مثل قوله {ضَرَبَ لَكُمْ مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِّنْ مَا مَلَكْتُ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءِ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ} تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتُكُمْ أَنْفُسُكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقُوْمٍ يَعْقِلُونَ الروم 28 و أمثل ذلك مما يدل على أن كل كمال لا نقص فيه يثبت للمحدث الممکن فهو للقديم الواجب الخالق أولى من جهة أنه أحق بالكمال لأنه أفضل و ذاك من جهة أنه هو جعله كاملاً و أعطاه تلك الصفات و إسمه العلي يفسر بهذين المعنين يفسر بأنه أعلى من غيره قدراً فهو أحق بصفات الكمال و يفسر بأنه العالي عليهم بالقهر و الغلبة فيعود إلى أنه القادر عليهم و هم المقدورون و هذا يتضمن كونه خالقاً لهم و رباً لهم و كلماهما يتضمن أنه نفسه فوق كل شيء فلا شيء فوقه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم أنت الأول فليس قبلك شيء و أنت الآخر فليس بعده شيء و أنت الظاهر فليس فوقك شيء و أنت الباطن فليس دونك شيء فلا يكون شيء قبله و لا بعده و لا فوقه و لا دونه كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم و أنت به على ربه و إلا فلو قدر أنه تحت بعض المخلوقات كان ذلك نقصاً و كان ذلك أعلى منه وإن قيل إنه لا داخل العالم ولا خارجه كان ذلك تعطيلاً له فهو منزه عن هذا و هذا هو العلي الأعلى مع أن لفظ العلي و العلو لم يستعمل في القرآن عند

الإطلاق إلا في هذا و هو مستلزم لذينك لم يستعمل في مجرد القدرة و لا في مجرد الفضيلة و لفظ العلو يتضمن الإستعلاء و غير ذلك من الأفعال إذا عدى بحرف الإستعلاء دل على العلو ك قوله { ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ } الأعراف 54 فهو يدل على علوه على العرش و السلف فسروا الإستواء بما يتضمن الإرتفاع فوق العرش كما ذكره البخاري في صحيحه عن أبي العالية في قوله { ثُمَّ اسْتَوَى } الأعراف 54 قال إرتفع و كذلك رواه ابن أبي حاتم و غيره بأسانيدهم رواه من حديث آدم بن أبي إبراهيم عن أبي جعفر عن أبي الربيع عن أبي العالية { ثُمَّ اسْتَوَى } الأعراف 54 قال إرتفع¹

القرآن يستعمل في إثبات الالهية قياس الاولى

قال تعالى { وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مُّمَّا رَزَقَنَا هُمْ تَأْنِيْثُونَ } 56
 وَيَجْعَلُونَ لِلّٰهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ } 57
 { وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًا وَهُوَ كَظِيمٌ } 58
 { يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيْمَسْكُهُ عَلَى هُونَ أَمْ يَدْسُهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ } 59
 { لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثُلُ السَّوْءِ وَلِلّٰهِ الْمَثُلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } 60
 النحل 56-60 فقد يستدل بالمعين على المعين المساوى له في العموم والخصوص كالاستدلال باحدى كواكب السماء على الملازم كما يستدل بالجدى على بنات نعش وبنات نعش على الجدى ويستدل بالجدى على جهة الشمال وبوجهة الشمال على الجدى ويستدل بالشمس على المشرق وبالشرق على الشمس ومن هذا الباب ما ذكر من اخبار نبينا صلى الله عليه وسلم في كتب الانبياء قبله فانها صفات مطابقة له ليست اعم منه ولا اخص منه وكذلك سائر الامور المتلازمة فانه يستدل بأحد المتلازمين على ثبوت الاخر وبانتفائه على انتفائه فإذا كان المدلول معينا كانت الاية معينة وقد تكون الاية تستلزم وجود المدلول من غير عكس كيات الخالق سبحانه وتعالى فانه يلزم من وجوده وجوده ولا يلزم من وجوده وجودها وهي كلها آيات دالة على نفسه المقدسة لا على أمر كل لا يمنع تصوره من وقوع الاشتراك فيه وبين غيره بل ذلك مدلول القياس القرآن يستعمل الاستدلال ب الایات ويستعمل ايضا في إثبات الالهية قياس الاولى وهو أن ما ثبت لموجود مخلوق من كمال لا نقص فيه فالرجل أحق به وما نزه عنه مخلوق من الناقص فالرجل أحق بتنزيهه عنه كما ذكر سبحانه وتعالى هذا في محاجته للمشركين الذين جعلوا له شركاء فقال { ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكْتُ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءِ فِي مَا رَزَقَنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتُكُمْ أَنْفُسَكُمْ } الروم 28 وقال تعالى { وَيَجْعَلُونَ لِلّٰهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ } 57
 { وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًا وَهُوَ كَظِيمٌ } 58
 { يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيْمَسْكُهُ عَلَى هُونَ أَمْ يَدْسُهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ } 59
 { لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثُلُ السَّوْءِ وَلِلّٰهِ الْمَثُلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } 60
 النحل 57-60 وقال { أَفَرَأَيْتُمُ الْلَّاتَ وَالْعَرَّى } 19 وَمَنَّا التَّالِثَةَ

¹ مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 357-359

الأُخْرَى {20} أَكْلُمُ الدَّكْرُ وَلَهُ الْأَنْثَى {21} تِلْكَ إِذَا قِسْمَةً ضِيَزَى {22} النَّجْمُ 19-22 وكذلك في إثبات صفاته وإثبات النبوة والمعداد¹

ومثال ذلك أنه سبحانه لما أخبر بالمعاد والعلم به تابع للعلم بإمكانه فإن الممتنع لا يجوز أن يكون بين سبحانه إمكانه أتم بيان ولم يسلك في ذلك ما يسلكه طوائف من أهل الكلام حيث يثبتون الإمكان الخارجي بمجرد الإمكان الذهني فيقولون هذا ممكن لأنه لو قدر وجوده لم يلزم من تقدير وجوده محال فإن الشأن في هذه المقدمة فمن أين يعلم أنه لا يلزم من تقدير وجوده محال والمحال هنا أعم من المحال لذاته أو لغيره والإمكان الذهني حقيقته عدم العلم بالامتناع وعدم العلم بالامتناع لا يستلزم العلم بالإمكان الخارجي بل يبقى الشيء في الذهن غير معلوم الامتناع ولا معلوم الإمكان الخارجي وهذا هو الإمكان الذهني فان الله سبحانه وتعالى لم يكتف في بيان إمكان المعاد بهذا إذ يمكن أن يكون الشيء ممتنعا ولو لغيره وإن لم يعلم الذهن امتناعه بخلاف الإمكان الذهني فإنه إذا علم بطل أن يكون ممتنعا والإنسان يعلم الإمكان الخارجي تارة بعلمه بوجود الشيء وتارة بعلمه بوجود نظيره وتارة بعلمه بوجود ما هو أبلغ منه فإن وجود الشيء دليل على أن ما هو دونه أولى بالإمكان منه ثم إنه إذا بين كون الشيء ممكنا فلا بد من بيان قدرة الرب عليه وإلا ف مجرد العلم بإمكانه لا يكفي في إمكان وقوفه إن لم تعلم قدرة الرب على ذلك فيبين سبحانه هذا كله بمثل قوله {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعِي بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} الأحقاف 33 فإنه من المعلوم ببداية العقول أن خلق السموات والأرض أعظم من خلق أمثل بنبي آدم والقدرة عليه أبلغ وأن هذا الأيسر أولى بالإمكان والقدرة من ذلك وكذلك ما استعمله سبحانه في تنزيهه وتقديسه مما أضافوه إليه من الولادة سواء سموها حسية أو عقلية كما تزعمه النصارى من تولد الكلمة التي جعلوها جواهر الآباء منه وكما تزعمه الفلاسفة الصائبون من تولد العقول العشرة والنفوس الفلكية التسعة التي هم مضطربون فيها هل هي جواهر أو أعراض وقد يجعلون العقول بمنزلة الذكور والنفوس بمنزلة الإناث ويجعلون ذلك آباءهم وأمهاتهم والهتهم وأربابهم القريبة وعلمهم بالنفوس أظهر لوجود الحركة الدورية الدالة على الحركة الإرادية الدالة على النفس المحركة لكن أكثرهم يجعلون النفس الفلكية عرضا لا جواهر قائما بنفسه وذلك شبيه بقول مشركي العرب وغيرهم الذين جعلوا له بنين وبنات وكانوا يقولون الملائكة بذات الله كما يزعم هؤلاء أن العقول أو النفوس هي الملائكة وهي متولدة عن الله فقال الله تعالى {وَيَجْعَلُونَ لِلْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشَاءُونَ} 57 {وَإِذَا بُشِّرَ أَهْدُهُمْ بِالْأَنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًا وَهُوَ كَظِيمٌ} 58 يتوارى من القوم من سوء ما يُبشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون {لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثُلُ السَّوْءِ وَلَهُمُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} 59 {وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَآبَةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمَّىٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ} 60 {وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِيفُ الْسِّنَثُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ} 61 النحل 57-62 فيبين سبحانه أن الرب الخالق أولى بأن ينزعه عن الأمور

¹ الرد على المنطقين ج: 1 ص: 351

الناقصة منكم فيكيف تجعلون له ما تكرهون أن يكون لكم و تستخفون من إضافته إليكم مع أنه واقع لا
حالة ولا تنزهونه عن ذلك و تنفونه عنه وهو أحق بنفي المكرهات المنقصات منكم¹

كل من سوى بين الله وبين المخلوق في شيء من الأشياء فهو مشرك

وقد روى ابن أبي حاتم حدثنا أبي ثنا عمرو بن رافع ثنا يعقوب بن عبد الله عن جعفر عن سعيد بن جبير قال تكلمت اليهود في صفة الرب تبارك وتعالى فقالوا ما لم يعلموا ولم يروا فأنزل الله على نبيه {وما قدرُوا الله حقَّ قدرِه والأرضُ جمِيعاً قبضتُه يوْمَ القيَامَةِ والسمَاواتُ مَطْوِيَاتٌ بِيمِينِه سُبْحَانَه وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} الزمر 67 فجعل صفتة التي وصفوه بها شركا وقال حدثنا أبي ثنا أبو نعيم ثنا الحكيم يعني أبا معاذ عن الحسن قال عمدت اليهود فنظروا في خلق السموات والأرض والملائكة فلما فرغوا أخذوا يقدرونها فأنزل الله تعالى على نبيه {وما قدرُوا الله حقَّ قدرِه} الزمر 67 وهذا يدل على أنه أعظم مما وصفوه وأنهم لم يقدروه حق قدره قوله {عَمَّا يُشْرِكُونَ} الزمر 67 فكل من جعل مخلوقا مثلا للخالق في شيء من الأشياء فأحبه مثل ما يحب الخالق أو وصفة بمثل ما يوصف به الخالق فهو مشرك سوى بين الله وبين المخلوق في شيء من الأشياء فعل بربه والرب تعالى لا كفؤ له ولا سمي له ولا مثل له ومن جعله مثل المدعوم والممتنع فهو شر من هؤلاء فإنه معطل ممثل والمعطل شر من المشرك والله ثنى قصة فرعون في القرآن في غير موضع لاحتياج الناس إلى الاعتبار بها فإنه حصل له من الملك ودعوى الربوبية والالهية والعلو ما لم يحصل مثله لأحد من المعطليين وكانت عاقبته إلى ما ذكر الله تعالى وليس الله صفة يماثله فيها غيره فلهذا لم يجز أن يستعمل في حقه قياس التمثيل ولا قياس الشمول الذي تستوي أفراده فإن ذلك شرك اذ سوى فيه بالمخلوق بل قياس الأولى فإنه سبحانه {ولَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى} الروم 27 فهو أحق من غيره بصفات الكمال وأحق من غيره بالتنزيه عن صفات النقص²

ان كل كمال حصل للمخلوق فهو من الرب سبحانه وتعالى وله المثل الأعلى فكل كمال حصل للمخلوق فالخالق أحق به وكل نقص تنزه عنه المخلوق فالخالق أحق أن ينزع عنه ولهذا كان الله {المَثَلُ الأَعْلَى} النحل 60 فإنه لا يقاس بخلفه ولا يمثُل بهم ولا تضرب له الأمثال فلا يشترك هو والمخلوق في قياس تمثيل بمثيل ولا في قياس شمول تستوي افراده بل له المثل الأعلى في السموات والأرض³

¹ مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 301-302 و درء التعارض ج: 1 ص: 35-37

² مجموع الفتاوى ج: 13 ص: 163-170

³ مجموع الفتاوى ج: 5 ص: 201

الرسول صلى الله عليه وسلم شفيع الخلائق

قال تعالى { وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَآبَةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ }¹ النحل 61 وهو صلى الله عليه وسلم شفيع الخلائق صاحب المقام المحمود الذى يغبطه به الأولون والآخرون فهو أعظم الشفعاء قdra وأعلاهم جاها عند الله وقد قال تعالى عن موسى { وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا } الأحزاب 69 وقال عن المسيح { وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ } آل عمران 45 ومحمد صلى الله عليه وسلم أعظم جاها من جميع الأنبياء والمرسلين لكن شفاعته ودعاؤه إنما ينتفع به من شفع له الرسول ودعاه فمن دعى له الرسول وشفع له توسل إلى الله بشفاعته ودعائه كما كان أصحابه يتتوسلون إلى الله بدعائه وشفاعته وكما يتتوسل الناس يوم القيمة إلى الله تبارك وتعالى بدعائه وشفاعته صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما ولفظ التوسل في عرف الصحابة كانوا يستعملونه في هذا المعنى والتتوسل بدعائه وشفاعته ينفع مع الإيمان به وأما بدون الإيمان به فالكافر والمنافقون لا تغنى عنهم شفاعة الشافعين في الآخرة ولهذا نهى عن الاستغفار لعمه وأبيه وغيرهما من الكفار ونهى عن الاستغفار للمنافقين وقيل له { سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفِرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ } المنافقون 6 لكن الكفار يتفضلون في الكفر كما يتفضل أهل الإيمان في الإيمان قال تعالى { إِنَّمَا النَّسِيءَ زِيادةً فِي الْكُفْرِ } التوبة 37 فإذا كان في الكفار من خف كفره بسبب نصرته ومعونته فإنه تنفعه شفاعته في تخفيف العذاب عنه لا في إسقاط العذاب بالكلية كما في صحيح مسلم عن العباس ابن عبد المطلب أنه قال قلت يا رسول الله فهل نفعت أبا طالب بشيء فإنه كان يحوطك ويغضبك لك قال نعم هو في ضحاص من نار ولو لا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار وفي لفظ إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك ويغضبك لك فهل نفعه ذلك قال نعم وجنته في غمرات من نار فأخرجته إلى ضحاص وفيه عن أبي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر عنده عمه أبو طالب فقال لعله تنفعه شفاعتى يوم القيمة فيجعل في ضحاص من النار يبلغ كعبه يغلى منها دماغه وقال إن أهون أهل النار عذابا أبو طالب وهو متصل بنعلين من نار يغلى منها دماغه وكذلك ينفع دعاؤه لهم بأن لا يجعل عليهم العذاب في الدنيا كما كان يحكى نبيا من الأنبياء ضربه قوله وهو يقول اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون وروى أنه دعى بذلك أن اغفر لهم فلا تعجل عليهم العذاب في الدنيا قال تعالى { وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَآبَةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ }¹ النحل 61

المغفرة العامة

¹ مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 144

قال تعالى { وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَآبَةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ }¹ النحل 61 من المغفرة العامة التي دل عليها قوله يا عبادى إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر لكم الذنب جميعا المغفرة بمعنى تخفيف العذاب او بمعنى تأخيره إلى أجل مسمى وهذا عام مطلق ولها شفع النبى فى ابى طالب مع موته على الشرك فقل من غمرة من نار حتى جعل فى ضحاص من نار فى قدميه نعال من نار يغلى منها دماغه قال ولو لا انا لكان فى الدرك الأسفل من النار وعلى هذا المعنى دل قوله سبحانه {وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَآبَةٍ } فاطر 45 وقال تعالى { وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَآبَةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ }² النحل 61 { وَمَا أَصَابُكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبْتُ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوْ عَنْ كَثِيرٍ }

{ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ }

قال تعالى { وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَآبَةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ }¹ النحل 61 فلا يموت أحد قبل أجله ولا يتاخر أحد عن أجله بل سائر الحيوان والأشجار لها آجال لا تقدم ولا تتأخر فإن أجل الشيء هو نهاية عمره وعمره مدة بقائه فالعمر مدة البقاء والأجل نهاية العمر بالإنتقاء وقد ثبت في صحيح مسلم وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء وثبت في صحيح البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء وخلق السموات والأرض وفي لفظ ثم خلق السموات والأرض وقد قال تعالى { فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ }² النحل 61 و الله يعلم ما كان قبل أن يكون وقد كتب ذلك

يجىء الوصف فى القرآن مستعملا فى الكذب

فالواصف ان لم يكن قوله مطابقا كان كاذبا ولها اىما يجيء الوصف فى القرآن مستعملا فى الكذب بأنه وصف يقوم بالواصف من غير أن يقوم بالموصوف شيء كقوله سبحانه { سَيَجْزِيْهُمْ وَصَفْهُمْ }¹ الأنعام 139 { وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِيفُ أَسْنَثُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَنَفَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَقْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ }² النحل 116 { وَيَجْعَلُونَ اللَّهَ مَا يَكُرَهُونَ وَتَصِيفُ أَسْنَثُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى }³ النحل 62 { سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِيفُونَ }⁴ الصافات 180 وقد جاء مستعملا فى الصدق فيما أخر جاه فى الصحيحين عن عائشة أن رجلا كان يكثر قراءة قل هو

¹ الفتاوى الكبرى ج: 1 ص: 433 ومجموع الفتاوى ج: 18 ص: 192

² مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 516

الله أحد قال النبي

سلوه لم يفعل ذلك فقال لأنها صفة الرحمن فأنا أحبها

قال النبي صلى الله عليه وسلم أخبروه ان الله يحبه¹

مبدأ الاعتقاد الباطل والإرادة الفاسدة من لمة الشيطان

قال تعالى { تَاهُوا لَقْدَ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَّمٍ مِّنْ قَبْلِكُمْ فَرَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلَيْهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } 63 { وَمَا أَنَزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } 64

الحل 63-64 والله خلق العبد يقصد الخير فيرجوه بعمله فإذا كذب بالحق فلم يصدق به ولم يرج الخير فيقصده ويعمل له كان خاسرا بترك تصديق الحق وطلب الخير كيف إذا كذب بالحق وكراه إرادة الخير كيف إذا صدق بالباطل وأراد الشر فذكر عبدالله بن مسعود أن لقلب ابن آدم لمة من الملك ولمة من الشيطان فلمة الملك تصدق بالحق وهو ما كان من غير جنس الاعتقاد الفاسد ولمة الشيطان هو تكذيب بالحق وإياع بالشر وهو ما كان من جنس إرادة الشر وظن وجوده أما مع رجائه إن كان مع هوئ نفس وإنما مع خوفه إن كان غير محظوظ لها وكل من الرجاء والخوف مستلزم للأخر فمبدأ العلم الحق والإرادة الصالحة من لمة الملك ومبدأ الاعتقاد الباطل والإرادة الفاسدة من لمة الشيطان قال الله تعالى { الشَّيْطَانُ يَعْدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمُ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيِّمٌ } البقرة 268 وقال تعالى { إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أُولَئِكَعَوْنَى الْأَنْفَالِ } آل عمران 175 أي يخوكم أولياءه وقال تعالى { وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنَّى جَارٌ لَّكُمْ } الأنفال 48 والشيطان وسواس خناس إذا ذكر العبد ربه خنس فإذا غفل عن ذكره وسوس فلهذا كان ترك الله سببا ومبدأ لنزول الاعتقاد الباطل والإرادة الفاسدة في القلب ومن ذكر الله تعالى تلاوة كتابه وفهمه ومذكرة العلم كما قال معاذ بن جبل ومذاكره تسبيح²

أهل الكتاب تفرقوا واختلفوا قبل إرسال محمد إليهم

قال تعالى { تَاهُوا لَقْدَ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَّمٍ مِّنْ قَبْلِكُمْ فَرَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلَيْهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } 63 { وَمَا أَنَزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } 64

الحل 63-64 فإذا كان الشيطان قد زين لهم أعمالهم كان في هؤلاء من درست أخبار الأنبياء عندهم فلم يعرفوها³

¹ مجموع الفتاوى ج: 6 ص: 319

² مجموع الفتاوى ج: 4 ص: 34

³ النبوات ج: 1 ص: 25

فإن أهل الكتاب تفرقوا وختلفوا قبل إرسال محمد إليهم كما أخبر الله بذلك في غير موضع فقال تعالى { تَالَّهُ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَّةٍ مِّنْ قَبْلِكَ فَرَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلَيْهُمُ الْيَوْمُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } 63 { وَمَا أَنَّزَنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } 64 النحل 63-64 فقد أخبر تعالى أنه أرسل إلى أمم من قبل محمد وأن الشيطان زين لهم أعمالهم وهو حين يبعث محمد ولهم وأنه أنزل إليهم الكتاب ليبيّن لهم الذي اختلفوا فيه وقد جاءت الأحاديث في السنن والمسند من وجوه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال تفرق اليهود على إحدى وسبعين فرقة وستفترق هذه الأمة على ثلات وسبعين فرقة وإن كان بعض الناس كابن حزم يضعف هذه الأحاديث فأكثر أهل العلم قبلوها وصدقها وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ذروني ما تركتم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم وإختلافهم على أنبيائهم فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وإذا أمرتكم بأمر فأنتوا منه ما تستطعتم وفي الصحيحين عنه أنه قال نحن الآخرون السابقون يوم القيمة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتينا من بعدهم فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه فهدا الله له الناس لنا فيه تبع غداً لليهود وبعد غد للنصارى وهذا معلوم بالتواتر أن أهل الكتاب اختلفوا وتفرقوا قبل إرسال محمد صلى الله عليه وسلم بل اليهود افترقوا قبل مجيء المسيح ثم لما جاء المسيح اختلفوا فيه ثم اختلف النصارى اختلافاً آخر¹

بين الله الفرقان بين الحق والباطل بكتابه ونبيه

قال تعالى { تَالَّهُ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَّةٍ مِّنْ قَبْلِكَ فَرَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلَيْهُمُ الْيَوْمُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } 63 { وَمَا أَنَّزَنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } 64 النحل 63-64 وان الله بين الفرقان بين الحق والباطل بكتابه ونبيه فمن كان أعظم اتباعاً لكتابه الذي أنزله ونبيه الذي أرسله كان أعظم فرقاناً ومن كان أبعد عن اتباع الكتاب والرسول كان أبعد عن الفرقان واشتبه عليه الحق بالباطل كالذين اشتبه عليهم عبادة الرحمن بعبادة الشيطان والنبي الصادق بالمتتبلي الكاذب وأيات النبيين بشبهات الكاذبين حتى إشتباهم الخالق بالخلق سبحانه وتعالى بعث محمداً بالهدى ودين الحق ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ففرق به بين الحق والباطل والهدى والضلال والرشاد والغي والصدق والكذب والعلم والجهل والمعروف والمنكر وطريق أولياء الله السعداء وأعداء الله الأشقياء وبين ما عليه الناس من الاختلاف وكذلك النبيون قبله قال الله تعالى { كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحُكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ النَّبِيُّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ إِلَيْهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ } البقرة 213²

¹ مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 489-493

² مجموع الفتاوى ج: 13 ص: 7

بين الرسول العمليات أحسن بيان

فإن الله انزل الكتاب والميزان وأرى الناس آياته في الأفاق وفي أنفسهم حتى يتبيّن لهم إن القرآن حق وأما العمليات وما يسميه ناس الفروع والشرع والفقه فهذا قد بينه الرسول أحسن بيان فما شئ مما أمر الله به أو نهى عنه أو حله أو حرمه إلا بين ذلك وقد قال تعالى { وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ } النحل 89 وقال تعالى { تَعَالَى لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ أُمَّمَ مِنْ قَبْلِكَ فَرَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلَيْهُمُ الْيَوْمُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } 63 { وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } 64 النحل 63-64 فقد بين سبحانه أنه ما أنزل عليه الكتاب إلا ليبيّن لهم الذي اختلفوا فيه كما بين أنه أنزل جنس الكتاب مع النبيين ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه¹

أن الرسول إذا تكلم بكلام وأراد به خلاف ظاهره وضد حقيقته فلا بد أن يبيّن للأمة أنه لم يرد حقيقته وأنه أراد مجازه سواء عينه أو لم يعينه لا سيما في الخطاب العلمي الذي أريد منهم فيه الاعتقاد والعلم دون عمل الجوارح فإنه سبحانه وتعالى جعل القرآن نوراً وهدى وبياناً للناس وشفاء لما في الصدور وأرسل الرسل لبيان الناس على الله حجة بعد الرسل ثم هذا الرسول الأمي العربي بعث بأفصح اللغات وأبين الألسنة والعبارات ثم الأمة الذين أخذوا عنه كانوا أعمق الناس علماً وأنصحهم للأمة وأبينهم للسنة فلا يجوز أن يتكلم هو وهؤلاء بكلام يريدون به خلاف ظاهره إلا وقد نصب دليلاً يمنع من حمله على ظاهره أما أن يكون عقلياً ظاهراً مثل قوله وأوتيت من كل شيء فإن كل أحد يعلم بعقله أن المراد أوتيت من جنس ما يؤتاه مثلها وكذلك { خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ } الأنعام 102 يعلم المستمع أن الخالق لا يدخل في هذا العموم أو سمعياً ظاهراً مثل الدلالات في الكتاب والسنة التي تصرف بعض الظواهر ولا يجوز أن يحيطهم على دليل خفي لا يستتبّ له إلا افراد الناس سواء كان سمعياً أو عقلياً لأنه إذا تكلم بالكلام الذي يفهم منه معنى واعده مرات كثيرة وخطاب به الخالق كلهم وفيهم الذكي والبلدي والفقير وغير الفقيه وقد أوجب عليهم أن يتذروا ذلك الخطاب ويعقولوه ويتفكروا فيه ويعتقدوا موجبه ثم أوجب أن لا يعتقدوا بهذا الخطاب شيئاً من ظاهره لأن هناك دليلاً خفياً يستتبّ له أفراد الناس يدل على أنه لم يرد ظاهره كان هذا تدليسًا وتلبيساً وكان نقىض البيان ضد الهدى وهو ياللغاز والاحاجى أشبه منه بالهدى والبيان فكيف إذا كانت دلالة ذلك الخطاب على ظاهره أقوى بدرجات كثيرة من دلالة ذلك الدليل الخفي على أن الظاهر غير مراد أم كيف إذا كان ذلك الخفي شبهة ليس لها حقيقة²

البدعة أحب إلى ابليس من المعصية

¹ مجموع الفتاوى ج: 19 ص: 174

² مجموع الفتاوى ج: 6 ص: 361-362

قال تعالى { تَاهَّلَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَّةٍ مِّنْ قَبْلِكَ فَرَبَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } 63 { وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } 64

الحل 63-64 قال أئمة الإسلام كسفيان الثوري وغيره ان البدعة احب الى ابليس من المعصية لأن البدعة لا يتاب منها والمعصية يتاب منها ومعنى قولهم ان البدعة لا يتاب منها ان المبتدع الذي يتخذ دينا لم يشرعه الله ولا رسوله قد زين له سوء عمله فرأه حسنا فهو لا يتوب ما دام يراه حسنا لأن اول التوبة العلم بأن فعله سيء ليتوب منه او بأنه ترك حسنا مأمورا به امر ايجاب او استحباب ليتوب ويفعله فيما دام يرى فعله حسنا وهو سيء في نفس الامر فانه لا يتوب ولكن التوبة منه ممكنة وواقعة بأن يهديه الله ويرشده حتى يتبيّن له الحق كما هدى سبحانه وتعالى من هدى من الكفار والمنافقين وطوائف من اهل البدع والضلال وهذا يكون بأن يتبع من الحق ما علمه فمن عمل بما علم اورثه الله علم ما لم يعلم كما قال تعالى { وَالَّذِينَ اهْتَدُوا رَازَادُهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ } محمد 17¹

الرحمة تحصل بالقرآن

قال تعالى { تَاهَّلَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَّةٍ مِّنْ قَبْلِكَ فَرَبَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } 63 { وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } 64

الحل 63-64 وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح ما اجتمع قوم في بيته من الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده وقد ذكر الله في غير موضع من كتابه أن الرحمة تحصل بالقرآن قوله تعالى { وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ }² النحل 64

ورحمته اسم جامع لكل خير ودار الرحمة الخالصة هي الجنة³

لُفْظُ الاختلاف فِي القرآن يراد به التضاد والتعارض

ولفظ الاختلاف في القرآن يراد به التضاد والتعارض لا يراد به مجرد عدم التمايز كما هو اصطلاح كثير من النظرار ومنه قوله { وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا

¹ مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 10

² الاستقامة ج: 1 ص: 396

³ مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 65

{ النساء 8 و قوله {إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ} 8 {يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أَفْكَ} 9 } الذاريات 8-9 و قوله {وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ} البقرة 253¹

كل ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن

قال الامام أبو عبدالله محمد بن ادريس الشافعى كل ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن قال الله تعالى {إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا} النساء 105 وقال تعالى {وَأَنَّزَلْنَا إِلَيْكَ الْذِكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} النحل 44 وقال تعالى {وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} النحل 64 ولهذا قال رسول الله الا انى اوتيت القرآن ومثله معه يعني السنة والسنة أيضا تنزل عليه بالوحى كما ينزل القرآن لا أنها تنزل كما يتلى وقد استدل الامام الشافعى وغيره من الأئمة على ذلك بأدلة كثيرة ليس هذا موضع ذلك²

لطائف لغوية

1- قال تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوهُ أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} 43 {بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنَّزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} 44 النحل 43-44 زبر يقال زبرت الكتاب إذا كتبته والزبور بمعنى المزبور أي المكتوب³

2- قال تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوهُ أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} 43 {بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنَّزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} 44 النحل 44-43 فأخبر أنه لم يرسل إلا رجالا يوحى إليهم لم يرسل إليهم ملائكة ولا نساء وأنه أرسلهم بالبيانات والزبر جمع زبور وهي الكتب فإن منهم من أنزل عليه كتاب ومنهم من أرسل بتجديده الكتاب الذي قبله ثم أخبر أن الذين من قبلهم جاءتهم رسائلهم بالبيانات وبالزبر والكتاب المنير وهذا من عطف الخاص على العام لاختصاصه بوصف يختص به قوله { وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلُ وَمِيكَالَ} البقرة 98 فإن الزبر من البيانات والكتاب المنير من الزبر وهو قوله {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ

¹ مجموع الفتاوى ج: 13 ص: 19

² مجموع الفتاوى ج: 13 ص: 363

³ مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 290

يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ {الحج 8} فإن الهدى من العلم والكتاب المنير من ¹الهدى

3- قال تعالى {أَوْ يَأْخُذُهُمْ فِي تَقْلِيلٍ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ} **النحل 46** وأما لفظ المعجز فإِنما يدل على أنه أعجز غيره ²

4- قال تعالى {وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَخَذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّاهُ فَارْهَبُونِ} **النحل 51** اللام تدخل على ما يتعدى بنفسه اذا ضعف عمله اما بتأخيره او بكونه اسم فاعل او مصدر او باجتماعهما فيقال فلان يعبد الله ويختلف عنه ثم اذا ذكر باسم الفاعل قيل هو عابد لربه متقد لربه خائف لربه وكذلك تقول فلان يرهب الله ثم تقول هو راهب لربه واذا ذكرت الفعل واخرته تقويه باللام كقوله {وَفِي نُسُختِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ} **الأعراف 154** وقد قال {فَإِيَّاهُ فَارْهَبُونِ} **النحل 51** فعداه بنفسه وهناك ذكر اللام فان هنا قوله {فَإِيَّاهُ} **النحل 51** اتم من قوله فلى وقوله هناك {لِرَبِّهِمْ} **الأعراف 154** اتم من قوله ربهم فان الضمير المنفصل المنصوب أكمل من ضمير الجر بالياء وهناك اسم ظاهر فتفويته باللام أولى وأتم من تجريده ³

5- قال تعالى {وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَخَذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّاهُ فَارْهَبُونِ} **51** وله ما في السماوات والأرض والله الدين وأصيباً أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَقَوَّنَ **52** **النحل 52-51** والدين يتضمن معنى الخضوع والذل يقال ذنته فدان اي ذلتله فذل ويعقال يدين الله ويدين الله اي يعبد الله ويطيعه ويخضع له ⁴ فدين الله عبادته وطاعته والخضوع له

6- قال تعالى {وَمَا بِكُمْ مِّنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ} **النحل 53** حرف من لإبتداء الغاية وما يستعمل فيه حرف ابتداء الغاية فيقال هو من الله على نوعين فإنه أما أن يكون من الصفات التي لا تقوم بنفسها ولا بمخلوق فهذا صفة له وما كان عينا قائمة بنفسها أو بمخلوق فهي مخلوقة فال الأول قوله {وَلَكُنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي} **السجدة 13** قوله {يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِّنْ رَّبِّكَ} **الأنعام 114** كما قال السلف القرآن كلام الله غير مخلوق منه بدا وإليه يعود وما كان صفة لا يقوم بنفسه كالعلم والكلام فهو صفة له كما يقال كلام الله وعلم الله والنوع الثاني إن كان عينا قائما بنفسها فهو مملوك له ومن

¹ الجواب الصحيح ج: 6 ص: 382-384

² الجواب الصحيح ج: 5 ص: 418

³ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 291

⁴ مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 152
194

لابتداء الغاية كقوله {وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ} الجاثية 13 قوله {وَمَا بِكُمْ مِّنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ} النحل 53 و {مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ} النساء 79 فهذه الأشياء كلها من الله وهي مخلوقة¹

7- قال تعالى { وَمَا بِكُمْ مِّنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَكْنُ الظُّرُرُ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ يَرْبِبُونَ} 53 { لِيَكُفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ} 55 { وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَالِهِ لِتُسْأَلُنَ عَمَّا كُنْتُمْ تَقْرُونَ} 56 النحل 53-56 لفظ الرزق فيه إجمال فقد يراد بلفظ الرزق ما أباحه أو ملكه فلا يدخل الحرام في مسمى هذا الرزق كما في قوله تعالى {وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} البقرة 3 وقوله تعالى {أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ} البقرة 254 قوله { وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنْ رِزْقًا حَسَنَا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًا وَجَهْرًا } النحل 75 وأمثال ذلك وقد يراد بالرزق ما ينتفع به الحيوان وإن لم يكن هناك إباحة ولا تملوك فيدخل فيه الحرام كما في قوله تعالى {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْفُهَا} هود 6 وقوله عليه السلام في الصحيح فيكتب رزقه وعمله وأجله وشقى أو سعيد ولما كان لفظ الجبر والرزق ونحوهما فيها إجمال منع الأئمة من إطلاق ذلك نفيا أو إثباتا كما تقدم عن الأوزاعي وأبي إسحاق الفزاروي وغيرهما من الأئمة²

8- قال تعالى { وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدَى وَرَحْمَةً لِّكُوْنِيْمُنُونَ} النحل 64 ورحمته اسم جامع لكل خير ودار الرحمة الخالصة هي الجنة³

9- قال تعالى { وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدَى وَرَحْمَةً لِّكُوْنِيْمُنُونَ} النحل 64 ولفظ الاختلاف في القرآن يراد به التضاد والتعارض لا يراد به مجرد عدم التماثل كما هو اصطلاح كثير من الناظر ومنه قوله { وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} النساء 82 وقوله {إِنَّكُمْ لَفِي قُولٍ مُّخْلِفٍ} 8 يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أَفَكَ {9} الذاريات 8 - 9 وقوله {وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ} البقرة 253⁴

10- قال تعالى { وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدَى وَرَحْمَةً لِّكُوْنِيْمُنُونَ} النحل 64 عامة الأسماء يتتنوع مسمها بالاطلاق والتقييد وكذلك لفظ الهدى اذا أطلق تناول العلم الذي بعث الله به رسوله والعمل به جميما فيدخل فيه كل ما أمر الله به كما في قوله {إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} الفاتحة 6 والمراد طلب العلم بالحق والعمل به جميما وكذلك قوله {هُدَى لِلْمُتَّقِينَ} البقرة 2 والمراد به أنهم يعلمون ما فيه ويعملون به ولهذا صاروا مفلحين وكذلك

¹ مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 97 و مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 285 و الجواب الصحيح ج: 4 ص: 68

² مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 132

³ مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 65

⁴ مجموع الفتاوى ج: 13 ص: 19

قول أهل الجنة {الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا} الأعراف 43 وانما هداهم بأن لهم العلم النافع والعمل الصالح ثم قد يقرن الهدى اما بالاجتباء كما فى قوله {وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلٰى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} الأنعام 87 وكما فى قوله {شَاكِرًا لِأَنْعُمَهُ اجْتَبَاهُ وَهَذَا} النحل 121 {اللّٰهُ يَجْتَبِي إِلٰيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلٰيْهِ مَنْ يُنِيبُ} الشورى 13 وكذلك قوله تعالى {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ} التوبه 33 والهدى هنا هو الايمان ودين الحق هو الاسلام واذا أطلق الهدى كان كالايمان المطلق يدخل فيه هذا وهذا¹

¹ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 166

النحل-65

{ وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ } 65 { وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيْكُمْ مَمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمْ لَبَنًا خَالصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ } 66 { وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَخَذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقُلُونَ } 67 { وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنَّ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ } 68 { ثُمَّ كُلِّي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُّلَ رَبِّكَ ذُلْلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ الْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } 69 { وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذِلِ الْأَعْمَرِ لِكِيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ } 70

جماهير المسلمين يقرؤن بالأسباب

قال تعالى { وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ } النحل 65 أهل السنة وجمهورهم فيقولون بما دل عليه الشرع والعقل قال الله تعالى { وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ يُشْرِأً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَفْلَتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدِ مَيْتَ فَانَّزَلَنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ تُخْرِجُ الْمُؤْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } الأعراف 57 وقال { يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُّلَ السَّلَامِ } المائدة 16 وقال { يُضْلِلُ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا } البقرة 26 سورة البقرة ومثل هذا كثير في الكتاب والسنة يخبر الله تعالى أنه يحدث الحوادث بالأسباب¹

قال تعالى { وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ } النحل 65 و جماهير المسلمين يقرؤن بالأسباب التي جعلها الله أسبابا في خلقه وأمره ويقرؤن بحكمة الله التي يريدها في خلقه وأمره ويقولون كما قال الله في القرآن حيث قال { وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا } البقرة 164 ومثل هذا كثير في الكتاب والسنة وجمهور المسلمين على ذلك يقولون أن هذا فعل بهذا لا يقولون كما يقول نفأة الأسباب فعل عندها لا بها²

¹ منهاج السنة النبوية ج: 3 ص: 114 و مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 80

² مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 430

ومع علم المؤمن أن الله رب كل شيء وملكيه فإنه لا ينكر ما خلقه الله من الأسباب كما جعل المطر سبباً لإنبات النبات قال الله تعالى **{وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ}** {النحل 65} وكما جعل الشمس والقمر سبباً لما يخلق بهما وكما جعل الشفاعة والدعاء سبباً لما يقضيه بذلك مثل صلاة المسلمين على جنازة الميت فإن ذلك من الأسباب التي يرحمه الله بها ويثيب عليها المصليين عليه¹

سمع الحق يوجب قبوله

قال تعالى **{وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ}** {النحل 65} أن المسمع وإن كان أصله نفس السمع الذي يشبه الإدراك لكن إذا كان المسموع طلباً ففائدةه وموجبه الاستجابة والقبول وإذا كان المسموع خبراً ففائدة التصديق والاعتقاد فصار يدخل مقصوده وفائدةه في مسماه نفياً وإثباتاً فيقال فلان يسمع لفلان أي يطيعه في أمره أو يصدقه في خبره وفلان لا يسمع ما يقال له أي لا يصدق الخبر ولا يطيع الأمر كما بين الله السمع عن الكفار في غير موضع قوله **{وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلُ الَّذِي يَنْعَقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِداءً}** {البقرة 171} وقوله **{وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُ الدُّعَاءَ}** {الأنباء 45} وذلك لأن سمع الحق يوجب قبوله ايجاب الاحساس الحركة وايجاب علم القلب حركة القلب فان الشعور بالملائم يوجب الحركة اليه والشعور بالمنافر يوجب النفرة عنه فحيث انتفى موجب ذلك دل على انتفاء مبدئه ولهذا قال تعالى **{إِنَّمَا يَسْتَحِيِّبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ}** {الأعراف 179} ولهذا جعل سمع الكفار بمنزلة سمع البهائم لأصوات الرعاعي أي يسمعون مجرد الأصوات سمع الحيوان لا يسمعون ما فيها من تأليف الحروف المتضمنة للمعنى السمع الذي لا بد أن يكون بالقلب مع الجسم²

قال تعالى **{وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ}** {النحل 65} وان الذين يستحقون العذاب هم الذين لا يسمعون ولا يعقلون كما قال الله تعالى **{وَلَقَدْ ذَرَنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَعْقِلُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبَصِّرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَذْنُونَ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا}** {الأعراف 179} وقال تعالى **{وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ}** {النحل 65} وقال **{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِّمَنْ كَانَ لَهُ قُلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ}** {ق 37} فقد بين القرآن أن من كان يعقل أو كان يسمع فإنه يكون ناجياً وسعيداً ويكون مؤمناً بما جاءت به الرسل وقد بسطت هذه الامور في غير موضع والله أعلم³

¹ مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 137

² مجموع الفتاوى ج: 28 ص: 194 - 195

³ مجموع الفتاوى ج: 6 ص: 246

العلم الحقيقى الراسخ فى القلب يمتنع أن يصدر معه ما يخالفه

قال تعالى { وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَاحِيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ }⁶⁵ وإنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيْكُمْ مَمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمِ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغاً للشَّارِبِينَ⁶⁶ ومن ثَمَرَاتِ النَّخْلِ وَالْأَعْنَابِ تَنَحَّدُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَةً لِقَوْمٍ يَعْقُلُونَ⁶⁷ وإنَّ أُوْحَى رَبِّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنَّ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ⁶⁸ ثمَ كُلِّي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَإِسْلَكِي سُبْلَ رَبِّكَ دُلْلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ الْوَانُهُ فِيهِ شِفاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ⁶⁹ }^{النحل 65-69} قال أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كل من عمل سوءا فهو جاهم وسبب ذلك أن العلم الحقيقى الراسخ في القلب يمتنع أن يصدر معه ما يخالفه من قول أو فعل فمتي صدر خلافه فلا بد من غفلة القلب عنه أو ضعف القلب عن مقاومة ما يعارضه وتلك أحوال تناقض حقيقة العلم فيصير جهلا بهذا الاعتبار ومن هنا تعرف دخول الأعمال في مسمى الإيمان حقيقة لا مجازا وإن لم يكن كل من ترك شيئا من الأعمال كافرا أو خارجا عن أصل مسمى الإيمان وكذلك اسم العقل ونحو ذلك من الأسماء ولهذا يسمى الله تعالى أصحاب هذه الأحوال موته وعميا وصمما وبكما وضاللين وجاهلين ويصفهم بأنهم لا يعقلون ولا يسمعون ويصف المؤمنين بأولي الألباب والنھي وأنهم مهتدون وأن لهم نورا وأنهم يسمعون ويعقلون¹

القدرة والرحمة في إخراج طيب من بين خبيثين

قال تعالى { نُسْقِيْكُمْ مَمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمِ لَبَنًا خَالِصًا }^{النحل 66} قد ثبت أن الدم نجس كذلك الفرث لتظهر القدرة والرحمة في إخراج طيب من بين خبيثين²

فلا نسلم أن المساسة في باطن الحيوان موجبة للتجيس كما قد قيل في الاستحالة وهو في المساسة أبين يؤيد هذا قوله تعالى { مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمِ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغاً لِلشَّارِبِينَ }^{النحل 66} ولو كانت المساسة في الباطن للفرث مثلاً موجبة للنجاسة لنفس اللبن فإن قيل فلعل بينهما حاجزاً قيل الأصل عدمه على أن ذكره هذا في معرض بيان ذكر الاقتدار بإخراج طيب من بين خبيثين في الاغتساء لا يتم إلا مع عدم الحاجز وألا فهو مع الحاجز ظاهر في كمال خلقه سبحانه وكذلك قوله { خَالِصًا }^{النحل 66} والخلوص لا بد أن يكون مع قيام الموجب للشرب³

¹ اقتضاء الصراط ج: 1 ص: 78

² مجموع الفتاوى ج: 21 ص: 547

³ الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 158

العقل يسمى به العلم الذي يعمل به والعمل بالعلم

قال تعالى { وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ }⁶⁵ وإنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِفُكُمْ مَمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمْ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا للشَّارِبِينَ }⁶⁶ ومن ثمراتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَخَذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ }⁶⁷ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنَّ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بَيْوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ }⁶⁸ ثُمَّ كُلِّي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُّلَ رَبِّكَ ذُلْلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ }⁶⁹ ان اسم العقل عند المسلمين وجمهور العقلاة إنما هو صفة وهو الذي يسمى عرضا قائما بالعقل وعلى هذا دل القرآن في قوله تعالى لعلكم تعقلون وقوله { أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا }⁷⁰ الحج 46 وقوله { قَدْ بَيَّنَ لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ }⁷¹ آل عمران 118 ونحو ذلك مما يدل على ان العقل مصدر عقل يعقل عقلا وإذا كان كذلك فالعقل لا يسمى به مجرد العلم الذي لم يعمل به صاحبه ولا العمل بلا علم بل إنما يسمى به العلم الذي يعمل به والعمل بالعلم ولهذا قال أهل النار { لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ }⁷² الملك 10 وقال تعالى { أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا }⁷³ الحج 46 والعقل المشروط في التكليف لا بد أن يكون علوما يميز بها الانسان بين ما ينفعه وما يضره فالمحنون الذي لا يميز بين الدراهم والفلوس ولا بين أيام الأسبوع ولا يفقه ما يقال له من الكلام ليس بعاقل أما من فهم الكلام وميز بين ما ينفعه وما يضره فهو عاقل ثم من الناس من يقول العقل هو علوم ضرورية ومنهم من يقول العقل هو العمل بموجب تلك العلوم وال الصحيح أن اسم العقل يتناول هذا وهذا وقد يراد بالعقل نفس الغريزة التي في الإنسان التي بها يعلم ويميز ويقصد المنافع دون المضار كما قال أحمد بن حنبل والحارث المحاسبي وغيرهما ان العقل غريزة وهذه الغريزة ثابتة عند جمهور العقلاة كما أن في العين قوة بها يبصر وفي اللسان قوة بها يذوق وفي الجلد قوة بها يلمس عند جمهور العقلاة¹

الناس يدركون بعقولهم الامور الدنيا فيعرفون ما يجلب لهم منفعة في الدنيا وما يجلب لهم مضره وهذا من العقل الذي ميز به الانسان فانه يدرك من عواقب الافعال ما لا يدركه الحس ولفظ العقل في القرآن يتضمن ما يجلب به المنفعة وما يدفع به المضره²

قال تعالى { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَاتٍ لِأُولَئِي النُّهَى } طه 54 أي العقول وقال تعالى { هَلْ فِي ذَلِكَ قَسْمٌ لِذِي حِجْرٍ } الفجر 5 أي لذى عقل وقال تعالى { وَأَنْقُونَ يَا أُولَئِي الْأَبْيَابِ } البقرة 197 وقال { إِنَّ شَرَ الدَّوَابَ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُ الْبُكُمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ } الأنفال 22 وقال تعالى { إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ }⁷⁴ يوسف 2 فإنما مدح الله وأثنى على من كان له عقل فاما من لا يعقل فإن الله لم يحمده

¹ مجموع الفتاوى ج: 9 ص: 286

² مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 311

ولم يثن عليه ولم يذكره بخير قط بل قال تعالى عن أهل النار {وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعْيِرِ} الملك 10 وقال تعالى {وَلَقَدْ ذَرَانَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسَنِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبَصِّرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَذْنٌ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ} الأعراف 179 وقال {أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا} الفرقان 44¹

الوحى هو الاعلام السريع الخفى

قال تعالى {وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنَّ اتَّخَذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ} 68 ثم كُلِي من كُلِّ التَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُّلَ رَبِّكِ دُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلوَانُهُ فِيهِ شِفاءٌ لِلنَّاسِ إنَّ فِي ذَلِكَ لَايَةً لِقَوْمٍ يَنْفَكِرُونَ} 69 النحل 68-69 الوحى وهو الاعلام السريع الخفى إما فى اليقظة وإما فى المنام فان رؤيا الأنبياء وحى ورؤيا المؤمنين جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة كما ثبت ذلك عن النبي فى الصاحب وقال عبادة بن الصامت ويروى مرفوعا رؤيا المؤمن كلام يكلم به الرب عبده فى المنام وكذلك فى اليقظة فقد ثبت فى الصحيح عن النبي أنه قال قد كان فى الأمم قبلكم محدثون فان يكن فى أمتي عمر وفي رواية فى الصحيح مكلمون وقد قال تعالى {وَإِذَا أُوْحِيَتْ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي} المائدة 111 وقال تعالى {وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ} القصص 7 بل قد قال تعالى {وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءِ أَمْرَهَا} فصلت 12 وقال تعالى {وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ} النحل 68 فهذا الوحى يكون لغير الأنبياء ويكون يقظة ومناما وقد يكون بصوت هاتف يكون الصوت فى نفس الإنسان ليس خارجا عن نفسه يقظة ومناما كما قد يكون النور الذى يراه أيضا فى نفسه²

قال {وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ} النحل 68 الآية ذكر أنه يوحى إليهم فالى الإنسان أولى وقال تعالى {وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءِ أَمْرَهَا} فصلت 12³

لطائف لغوية

1- قال تعالى {وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَخَذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَايَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} النحل 67 ان اسم العقل عند المسلمين وجمهور العقلاة إنما هو صفة وهو الذي يسمى عرضا قائما بالعقل وعلى هذا دل القرآن في قوله تعالى لكم تعقولون وقوله {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا} الحج 46 ونحو ذلك مما يدل على ان العقل مصدر عقل

¹ مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 437

² مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 398

³ مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 535

يعقل عقلاً وإذا كان كذلك فالعقل لا يسمى به مجرد العلم الذي لم يعمل به صاحبه ولا العمل بلا علم بل إنما يسمى به العلم الذي يعمل به والعمل بالعلم ولهذا قال أهل النار {لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعْيِرِ} الملك 10 وقال تعالى {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا} الحج 46 والعقل المشروط في التكليف لا بد أن يكون علماً يميز بها الإنسان بين ما ينفعه وما يضره فالمجنون الذي لا يميز بين الدرارهم والفلوس ولا بين أيام الأسبوع ولا يفقه ما يقال له من الكلام ليس بعاقل أما من فهم الكلام وميز بين ما ينفعه وما يضره فهو عاقل ثم من الناس من يقول العقل هو علوم ضرورية ومنهم من يقول العقل هو العمل بموجب تلك العلوم وال الصحيح أن اسم العقل يتناول هذا وهذا وقد يراد بالعقل نفس الغريزة التي في الإنسان التي بها يعلم و يميز ويقصد المنافع دون المضار كما قال أحمد بن حنبل والحارث المحاسبي وغيرهما ان العقل غريزة وهذه الغريزة ثابتة عند جمهور العقلاة كما أن في العين قوة بها يبصر وفي اللسان قوة بها يذوق وفي الجلد قوة بها يلمس عند جمهور العقلاة¹

2- قال تعالى {وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحلِ أَنَّ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ} 68 ثم كلي من كل التمرات فاسلكي سبل ربك دللاً يخرج من بطنها شراب مختلف لوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرؤون 69-68 النحل² الوحي وهو الاعلام السريع الخفي إما في اليقظة وإما في المنام فان رؤيا الأنبياء وحي ورؤيا المؤمنين جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة كما ثبت ذلك عن النبي في الصحاح وقال عبادة بن الصامت ويروى مرفوعاً رؤيا المؤمن كلام يكلم به رب عبده في المنام وكذلك في اليقظة فهذا الوحي يكون لغير الأنبياء ويكون يقظة ومناماً وقد يكون بصوت هاتف يكون الصوت في نفس الإنسان ليس خارجاً عن نفسه يقظة ومناماً كما قد يكون النور الذي يراه أيضاً في نفسه³

3- قال تعالى {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ} النحل 70 علیم منزه عن الجهل قادر منزه عن العجز والضعف³

¹ مجموع الفتاوى ج: 9 ص: 286

² مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 398

³ الجواب الصحيح ج: 4 ص: 407

النحل-71

{ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَأْدِي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكُتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفْبَنْعَمَةُ اللَّهِ يَجْحَدُونَ } 71 { وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيَّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبَنْعَمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ } 72 { وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلَكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيغُونَ } 73 { فَلَا تَضْرِبُوا اللَّهَ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } 74 { ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سَرًا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوْنَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثُرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } 75 { وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كُلُّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوجِّهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } 76 { وَلَلَّهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلْمَحُ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } 77 { وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئَدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } 78 { أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوَّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } 79 { وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخْفُونَهَا يَوْمَ ظَغْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقْامَتُكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينِ } 80 { وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظَلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُم سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بِاسْكُمْ كَذَلِكَ يُتَمِّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ } 81 { فَإِنْ تَوَلُّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ } 82 { يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثُرُهُمُ الْكَافِرُونَ } 83 { وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ } 84 { وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ } 85 { وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا هَؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوْ مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ } 86 { وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذِ السَّلَامَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ } 87 { الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زَدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ } 88 { وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجَنَّا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبَيَّنَانِ لَكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ } 89 }

كل فعل ما لا ينفع باطل لأنه ليس له غاية موجودة

قال تعالى { وَاللَّهُ فَضَلَّ بِعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِلُواْ بِرَأْدِي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكُتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفْنَعْمَةُ اللَّهِ يَحْدُوْنَ } 71 { وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَرْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيَّبَاتِ أَفِبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنْعَمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ } 72 النحل - 71- 72 الكفار الذين جحدوا ما علموا أنه الحق¹

ان فقر الاشياء الى خالقها لازم لها لا يحتاج الى علة كما أن غنى الرب لازم لذاته لا يفتقر في اتصافه بالغنى الى علة وكذلك المخلوق لا يفتقر في اتصافه بالفقر الى علة بل هو فقير لذاته لا تكون ذاته الا فقيرة فقرا لازما لها ولا يستغني الا بالله وهذا من معانى الصمد وهو الذى يفتقر اليه كل شيء ويستغني عن كل شيء بل الاشياء مفقرة من جهة ربوبيته ومن جهة الهيئته فما لا يكون به لا يكون وما لا يكون له لا يصلح ولا ينفع ولا يدوم وهذا تحقيق قوله {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } الفاتحة 5 فلو لم يخلق شيئاً بمشيئة وقدرته لم يوجد شيء وكل الأعمال ان لم تكن لأجله فيكون هو المعبود المقصود المحبوب لذاته والا كانت أعمالاً فاسدة فان الحركات تفتقر الى العلة الغائية كما افتقرت الى العلة الفاعلية بل العلة الغائية بها صار الفاعل فاعلاً ولو لا ذلك لم يفعل فلو لا أنه المعبود المحبوب لذاته لم يصلح قط شيء من الأعمال والحركات بل كان العالم يفسد وهذا معنى قوله {لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا } الأنبياء 22 ولم يقل لعدمها وهذا معنى قول ليبيد إلا كل شيء ما خلا الله باطل وهو كالدعاء المأثور أشهد أن كل معبود من لدن عرشك الى قرار أرضك باطل الا وجهك الكريم ولننظر الباطل يراد به المدعوم ويراد به ما لا ينفع كقول النبي كل لهو يلهو به الرجل فهو باطل الا رميء بقوسه وتادييه فرسه وملاءعته لزوجته فانهن من الحق وقوله عن عمر رضي الله عنه ان هذا الرجل لا يحب الباطل ومنه قول القاسم بن محمد لما سئل عن الغناء قال اذا ميز الله يوم القيمة الحق من الباطل في ايهمما يجعل الغناء قال السائل من الباطل قال فماذا بعد الحق الا الضلال ومنه قوله تعالى {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ } الحج 62 فان الآلهة موجودة ولكن عبادتها ودعاؤها باطل لا ينفع والمقصود منها لا يحصل فهو باطل واعتقاد الوهيتها باطل اي غير مطابق واتصافها بالالهية في نفسها باطل لا بمعنى أنه معذوم ومنه قوله تعالى {بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ } الأنبياء 18 وقوله {وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَرَزَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهْقاً } الإسراء 81 فان الكذب باطل لأنه غير مطابق وكل فعل ما لا ينفع باطل لأنه ليس له غاية موجودة محمودة فقول النبي أصدق كلمة قالها شاعر كلمة ليبيد إلا كل شيء ما خلا الله باطل هذا معناه ان كل معبود من دون الله باطل كقوله {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ } لقمان 30 وقال تعالى {قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْنَ يَمْلِكُ السَّمَاءَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَقَوَّنَ } 31 فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَإِنَّ تُصْرَفُونَ } 32 يونس 31-32 وقد قال قبل هذا {وَرُدُوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَقْتَرُونَ } يونس 30 كما قال في الانعام {وَهُوَ الْفَاعِلُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا

¹ الصافية ج: 2 ص: 324

يُفْرِطُونَ } الأنعام 61 وقال {ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ } محمد 3 ودخل عثمان أو غيره على ابن مسعود وهو مريض فقال كيف تجدك قال أجدني مردودا إلى الله مولاي الحق قال تعالى {يَوْمَ تَشَهَّدُ عَلَيْهِمُ السَّيِّئُونَ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } 24 {يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهُمُ اللَّهُ دِينُهُمُ الْحَقُّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ } النور 24-25 وقد اقرروا بوجوده في الدنيا لكن في ذلك اليوم يعلمون أنه الحق المبين دون ما سواه ولهذا قال { هُوَ الْحَقُّ } النور 25 بصيغة الحصر فإنه يومئذ لا يبقى أحد يدعى فيه الإلهية ولا أحد يشرك بربه أحدا¹

المعبود لابد أن يكون مالكا للنفع والضر

قال تعالى {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيْعُونَ } 73 { فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } 74 النحل

وكل من يملك الضر والنفع فإنه هو المعبود لا بد أن يكون مالكا للنفع والضر ولهذا أنكر تعالى على من عبد من دونه ما لا يملك ضرا ولا نفعا وذلك كثير في القرآن كقوله تعالى {وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُ وَلَا يَضْرُبُ } يونس 106 وقال {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضْرُبُهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ } يونس 18 فنفي سبحانه عن هؤلاء المعبودين الضر والنفع القاصر والمتعدى فلا يمكرون لأنفسهم ولا لعابديهم وهذا كثير في القرآن يبين تعالى أن المعبود لابد أن يكون مالكا للنفع والضر²

والقرآن ملآن من توحيد الله تعالى وأنه ليس كمثله شيء فلا يمثل به شيء من المخلوقات في شيء من الأشياء إذ ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاتاته ولا في أفعاله ولا فيما يستحقه من العبادة والمحبة والتوكيل والطاعة والدعاء وسائر حقوقه قال تعالى {رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدُهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا } مريم 65 فلا أحد يساميه ولا يستحق أن يسمى بما يختص به من الأسماء ولا يساويه في معنى شيء من الأسماء لا في معنى الحي ولا العليم ولا القدير ولا غير ذلك من الأسماء ولا في معنى الذات والموجود ونحو ذلك من الأسماء العامة ولا يكون لها ولا ربها ولا خالقا فقال تعالى { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } 1 { اللَّهُ الصَّمَدُ } 2 { لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوَلَّ } 3 { وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ } 4 { الْإِخْلَاصُ } 4 فلم يكن أحد يكفيه في شيء من الأشياء فلا يساويه شيء ولا يماثله شيء ولا يعادله شيء قال تعالى {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتَ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدُلُونَ } الأنعام 1 وقال تعالى {فَكُبَكُبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ } 94 { وَجْنُودُ إِبْلِيسَ

¹ مجموع الفتاوى ج: 5 ص: 515-517

² مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 10

أَجْمَعُونَ {95} قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ {96} تَالَّهُ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ {97} إِذْ نُسَوِّيْكُم بِرَبِّ
الْعَالَمِينَ {98} الشِّعْرَاءِ 94-98¹

القياسات العقلية التي مضمونها نفي الملزوم لانتفاء لازمه

فلا يحصل للعقل من القياس في الرب لا العلم بالسلب والعدم إذا كان القياس صحيحاً ولهذا جاءت الأمثال المضروبة في القرآن وهي المقاييس العقلية دالة على النفي في مثل قوله {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كُلُّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْمَانًا يُوَجِّهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هُنْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} النحل 76 وأمثال ذلك من الأمثل وهي القياسات التي مضمونها نفي الملزوم لانتفاء لازمه أو نحو ذلك²

الكمال لازم لواجب الوجود

قال تعالى {فَلَا تَضْرِبُوا اللَّهَ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} النحل 74 أن الكمال لازم لواجب الوجود واجب له يمتنع سلب الكمال عنه والكمال أمور وجودية فالآمور العدمية لا تكون كمالاً إلا إذا تضمنت أموراً وجودية إذ العدم المحسن ليس بشيء فضلاً عن أن يكون كمالاً فإن الله سبحانه إذا ذكر ما يذكره من تزييه ونفي النقاوص عنه ذكر ذلك في سياق إثبات صفات الكمال له كقوله تعالى {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذْهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ} البقرة 255 فنفي السنة والنوم يتضمن كمال الحياة والقيومية وهذه من صفات الكمال وكذلك قوله {لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالٌ ذَرَّةٌ} في السماوات ولَا في الأرض {سَبَأٌ} فإن نفي عزوب ذلك عنه يتضمن علمه به وعلمه به من صفات الكمال وكذلك قوله {وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنُهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ} ق 38 فتزييه لنفسه عن مس اللغوبي يقتضي كمال قدرته والقدرة من صفات الكمال فتزييه يتضمن كمال حياته وقيامه وعلمه وقدرته وهذا نظائر ذلك فالرب تعالى موصوف بصفات الكمال التي لا غاية فوقها إذ كل غاية تفرض كمالاً إما أن تكون واجبة له أو ممكنة أو ممتنعة والقسمان الآخرين باطلان فوجب الأول فهو منزه عن النقص وعن مساواة شيء من الأشياء له في صفات الكمال بل هذه المساواة هي من النقص أيضاً وذلك لأن المتماثلين يجوز على أحدهما ما يجوز على الآخر ويجب له ما يجب له ويمتنع عليه ما يمتنع عليه فلو قدر أنه ماثل شيئاً في شيء من الأشياء للزم اشتراكهما فيما يجب ويجوز ويمتنع على ذلك الشيء وكل ما سواه ممكناً قابلاً للعدم بل معدوم مفتقر إلى فاعل وهو مصنوع مربوب محدث فلو ماثل غيره في شيء من الأشياء للزم أن يكون هو والشيء الذي ماثله فيه ممكناً قابلاً للعدم بل معدوماً مفتقاً إلى فاعل مصنوعاً مربوباً محدثاً وقد تبين أن كماله لازم لذاته لا

¹ مجموع الفتاوى ج: 27 ص: 366

² مجموع الفتاوى ج: 2 ص: 61

يمكن أن يكون مفتقاً فيه إلى غيره فضلاً عن أن يكون ممكناً أو مصنوعاً أو محدثاً فلو قدر مماثلة غيره له في شيءٍ من الأشياء للزم كون الشيء الواحد موجوداً ممكناً واجباً قدماً محدثاً وهذا جمع بين النقيضين فالرَّبُّ تَعَالَى مسْتَحْقٌ لِلْكَمَالِ عَلَى وِجْهِ التَّفْصِيلِ كما أخبرت به الرَّسُولُ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَخْبَرَ أَنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيهِ قَدِيرٌ وَأَنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ عَزِيزٌ حَكِيمٌ غَفُورٌ رَّحِيمٌ وَدُودٌ مُجِيدٌ وَأَنَّهُ يُحِبُّ الْمُتَقِينَ وَالْمُحْسِنِينَ وَالصَّابِرِينَ وَيُرِضِي عن الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا يُحِبُّ الْفَسَادَ وَلَا يُرِضِي لِعَبَادِهِ الْكُفُرَ وَأَنَّهُ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سَتَةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَأَنَّهُ كَلَمُ مُوسَى تَكْلِيْمًا وَنَدَاهُ وَنَاجَاهُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكِ مَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسَّنَةُ وَقَالَ فِي التَّنْزِيهِ {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} {الشُّورِيَّةُ} 11 {هُلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيَّاً} {مَرِيمٌ} 65 **{فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ}** النَّحْلُ 74 {وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ} {الْإِخْلَاصُ} 4 {فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} {الْبَقْرَةُ} 22 فنزه نفسه عن النظير باسم الكفاء والمثل والنذر والسمى وقد بسط الكلام على هذا في غير هذا الموضع وكتبنا رسالة مفردة في قوله {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} {الشُّورِيَّةُ} 11 وما فيها من الأسرار والمعاني الشريفة فهذه طريقة الرسل وأتباعهم من سلف الأمة وأئمتها إثبات مفصل ونفي محمل إثبات صفات الكمال على وجه التفصيل ونفي النقص والتّمثيل كما دل على ذلك

1 قل هو الله أحد الله الصمد

الله سبحانه لا يقاس بخلقه

قال تعالى **{فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}** النَّحْلُ 74 ومذهب سلف الأمة وأئمتها أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله في النفي والإثبات والله سبحانه وتعالى قد نفى عن نفسه مماثلة المخلوقين فقال الله تعالى (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) [1] اللَّهُ الصَّمَدُ [2] لَمْ يَلِدْ [3] وَلَمْ يُوْلَدْ [4] فَبَيْنَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ كَفَوْا لَهُ وَقَالَ تَعَالَى {هُلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيَّاً} {مَرِيمٌ} 65 فأنكر أن يكون له سمي وقال تعالى {فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً} {الْبَقْرَةُ} 22 وقال تعالى **{فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ}** النَّحْلُ 74 وقال تعالى {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} {الشُّورِيَّةُ} 11 ففيما أخبر به عن نفسه من تنزيهه عن الكفاء والمسمى والمثل والنذر وضرب الأمثال له بيان أن لا مثل له في صفاته ولا أفعاله فيما أخبر به عن نفسه من تنزيهه عن الكفاء والمسمى والمثل والنذر وضرب الأمثال له بيان أن لا مثل له في صفاته ولا أفعاله فان التماثل في الصفات والأفعال يتضمن التماثل في الذات فان الذاتين المختلفتين يتمتع تماثل صفاتهما وأفعالهما اذا تمثل الصفات والأفعال يستلزم تماثل الذوات فان الصفة تابعة للموصوف بها والفعل أيضاً تابع للفاعل بل هو مما يوصف به الفاعل فإذا كانت الصفتان متماثلتين كان الموصوفان متماثلين حتى أنه يكون بين الصفات من التشابه والاختلاف بحسب ما بين الموصوفين كالانسانين كما كانا من نوع واحد فتشتت مقدارهما وصفاتهما بحسب اختلاف ذاتيهما ويتشابه ذلك بحسب تشابه ذلك كذلك اذا قيل بين الانسان والفرس تشابه من جهة أن هذا حيوان وهذا حيوان اختلاف من جهة أن هذا صاہل وغير ذلك من الامور كان بين الصفتين من التشابه والاختلاف بحسب ما بين الذاتين وذلك أن الذات المجردة عن الصفة لا توجد الا في الذهن فالذهن يقدر ذاتاً مجردة عن الصفة ويقدر وجوداً مطلقاً لا يتعين وأما الموجودات في أنفسها فلا يمكن فيها وجود ذات مجردة عن كل صفة ولا وجود مطلق لا

¹ منهاج السنة النبوية ج: 2 ص: 183 - 187

يتعين ولا يتخصص و اذا قال من قال من أهل الا ثبات للصفات انا اثبت صفات الله زائدة على ذاته فحقيقة ذلك أنا نثبتها زائدة على ما اثبته النفاة من الذات فان النفاة اعتقدوا ثبوت ذات مجردة عن الصفات فقال أهل الا ثبات نحن نقول باثبات صفات زائدة على ما اثبته هؤلاء وأما الذات نفسها الموجودة فتلك لا يتتصور أن تتحقق بلا صفة أصلا بل هذا بمنزلة من قال اثبت انسانا لا حيوانا ولا ناطقا ولا قائما بنفسه ولا بغيره ولا له قدرة ولا حياة ولا حركة ولا سكون أو نحو ذلك أو قال اثبت نخلة ليس لها ساق ولا جذع ولا ليف ولا غير ذلك فان هذا يثبت ما لا حقيقة له في الخارج ولا يعقل ولهذا كان السلف والأئمة يسمون نفاة الصفات معطلة لأن حقيقة قولهم تعطيل ذات الله تعالى وان كانوا هم قد لا يعلمون ان قولهم مستلزم للتعطيل بل يصفونه بالوصفين المتناقضين فيقولون هو موجود قديم واجب ثم ينفون لوازم وجوده فيكون حقيقة قولهم موجود ليس بموجود حق ليس بحق خالق ليس بخالق فينفون عنه النقيضين إما تصريحها بنفيها واما امساكا عن الاخبار بواحد منهما ولهذا كان محققوهم وهم القرامطة ينفون عنه النقيضين فلا يقولون موجود ولا لا موجود ولا حى ولا لا عالم ولا لا عالم قالوا لأن وصفه بالاعلامات تشبيه له بالموجودات ووصفه بالنفي فيه تشبيه له بالمدعومات فالبهم اغراهم في نفي التشبيه إلى أن وصفوه بغایة التعطيل ثم أنهم لم يخلصوا مما فروا منه بل يلزمهم على قياس قولهم أن يكونوا قد شبهوه بالمعنى الذي هو أحسن من الموجود والمدعوم الممكن ففروا في زعمهم من تشبيهه بالموجودات والمدعومات ووصفوه بصفات الممتنعات التي لا تقبل الوجود بخلاف المدعومات الممكنت وتشبيهه بالممتنعات شر من تشبيهه بالموجودات والمدعومات الممكنت وما فر منه هؤلاء الملاحدة ليس بمحذور فإنه اذا سمي حقا موجودا قائما بنفسه حيا علينا رؤوفا رحيمها وسمى المخلوق بذلك لم يلزم من ذلك أن يكون مماثلا للمخلوق أصلا ولو كان هذا حقا لكان كل موجود مماثلا لكل موجود ولكان كل مدعوم مماثلا لكل مدعوم ولكان كل ما ينفي عنه شيء من الصفات مماثلا لكل ما ينفي عنه ذلك الوصف فإذا قيل السوداء موجود كان على قول هؤلاء قد جعلنا كل موجود مماثلا للسوداء وإذا قلنا البياض مدعوم كنا قد جعلنا كل مدعوم مماثلا للبياض ومعلوم أن هذا في غاية الفساد ويکفى هذا خزيا لحزب الاحاد وإذا لم يلزم مثل ذلك في السوداء الذي له أمثل بلا ريب فإذا قيل في خالق العالم أنه موجود لا مدعوم حى لا يموت قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم فمن أين يلزم أن يكون مماثلا لكل موجود ومدعوم وحى وقائم وكل ما ينفي عنه العدم وما ينفي عنه صفة العدم وما ينفي عنه الموت والنوم كأهل الجنة الذين لا ينامون ولا يموتون وذلك أن هذه الأسماء العامة المتواتئة إلى تسميتها النهاية اسماء الانجذاب سواء اتفقت معانيها في محلاتها أو تفاصيل كالسوداء ونحوه وسواء سميت مشككة وقيل أن المشككة نوع من المتواتئة اما أن تستعمل مطلقة وعامة كما اذا قيل الموجود ينقسم إلى واجب ومكان وقديم ومحاث وخلق وخلق وعلم ينقسم إلى قديم ومحاث وأما أن تستعمل خاصة معينة كما اذا قيل وجود زيد وعمرو وعلم زيد وعمرو وذات زيد وعمرو فإذا استعملت خاصة معينة دلت على ما يختص به المسمى لم تدل على ما يشركه فيه غيره في الخارج فإن ما يختص به المسمى لا شركة فيه بينه وبين غيره فإذا قيل علم زيد ونزل زيد واستواء زيد ونحو ذلك لم يدل هذا إلا على ما يختص به زيد من علم ونزل واستواء ونحو ذلك لم يدل على ما يشركه فيه غيره لكن لما علمنا أن زيدا نظير عمرو وعلمنا أن علمه نظير علمه ونزله نظير نزوله واستواءه نظير استواه فهذا علمناه من جهة القياس والمعقول والاعتبار لا من جهة دلالة اللفظ فإذا كان هذا في صفات المخلوق فذلك في الخالق أولى فإذا قيل علم الله وكلام الله ونزله واستواءه وجوده وحياته ونحو ذلك لم يدل على ما يشركه فيه أحد من المخلوقين بطريق الاولى ولم يدل ذلك على مماثلة الغير له في ذلك كما دل في زيد وعمرو لأن هناك علمنا التماثل من جهة الاعتبار

والقياس لكون زيد مثل عمرو وهنا نعلم أن الله لا مثل له ولا كفو ولا ند فلا يجوز أن نفهم من ذلك أن علمه مثل علم غيره ولا كلامه مثل كلام غيره ولا استواهه مثل استواء غيره ولا نزوله مثل نزول غيره ولا حياته مثل حياة غيره ولهذا كان مذهب السلف والأئمة أثبات الصفات ونفي مما ثلتها لصفات المخلوقات فالله تعالى موصوف بصفات الكمال الذي لا نقص فيه منه عن صفات النقص مطلقاً ومنه عن أن يماثله غيره في صفات كماله فهذان المعنيان جمعاً للتزييه وقد دل عليهما قوله تعالى (قُلْ هُوَ اللَّهُ الصَّمَدُ)¹ {الإخلاص-2} فالاسم الصمد يتضمن صفات الكمال والاسم الأحد يتضمن نفي المثل كما قد بسط الكلام على ذلك في تفسير هذه السورة فالقول في صفاتة كالقول في ذاته والله تعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاتة ولا في أفعاله لكن يفهم من ذلك أن نسبة هذه الصفة إلى موصوفها كنسبة هذه الصفة إلى موصوفها فعلم الله وكلامه ونزوله واستواه هو كما يناسب ذاته ويليق بها كما أن صفة العبد هي كما تناسب ذاته وتليق بها ونسبة صفاتة إلى ذاته كنسبة صفات العبد إلى ذاته ولهذا قال بعضهم إذا قال لك السائل كيف ينزل أو كيف استوى أو كيف يعلم أو كيف يتكلم ويقدر ويخلق فقل له كيف هو في نفسه فإذا قال أنا لا أعلم كيفية ذاته فقل له وأنا لا أعلم كيفية صفاتة فان العلم بكيفية الصفة يتبع العلم بكيفية الموصوف ²

من الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه

قال تعالى {فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْتَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ }³ النحل 74 فاعتقد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة وهو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والإيمان بالقدر خيره وشره ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه وبما وصفه به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من غير تحرير ولا تعطيل ومن غير تكليف ولا تمثيل بل يؤمنون بأن الله سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فلا ينفعون عنه ما وصف به نفسه ولا يحرفون الكلم عن موضعه ولا يلحدون في أسماء الله وآياته ولا يكيفون ولا يمثلون صفاتة بصفات خلقه لأنه سبحانه لا سمي له ولا كفو له ولا ند له ولا يقاس بخلقه سبحانه وتعالى فإنه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قيلاً وأحسن حديثاً من خلقه ثم رسله صادقون مصدوقون بخلاف الذين يقولون عليه مالاً يعلمون ولهذا قال سبحانه وتعالى {سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ }⁴ 180 وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ⁵ 181 وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ⁶ 182 الصافات 180-182 فسبح نفسه بما وصفه به المخالفون للرسل وسلم على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص والعيب وهو سبحانه قد جمع فيما وصف وسمى به نفسه بين النفي والإثبات فلا عدول لأهل السنة والجماعة بما جاء به المرسلون فإنه الصراط المستقيم صراط الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وقد دخل في هذه الجملة ما وصف به نفسه في سورة الإخلاص التي تعدل ثلاثة القرآن قوله سبحانه {فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْتَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ }⁷ النحل 74

¹ مجموع الفتاوى ج: 5 ص: 325-330

² مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 131 و العقيدة الواسطية ج: 1 ص: 14

وذكر تعالى في سورة الاخلاص أنه أحد ليس له كفواً أحد فنفي بذلك أن يكون شيئاً من الأشياء له
كروا وبين أنه أحد لا نظير له¹

كل لفظ جاء به الكتاب والسنة من اسماء الله وصفاته هو حق يجب الایمان به

قال تعالى {فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} النحل 74 وأما السلف والأئمة فلم يدخلوا مع طائفة من الطوائف فيما ابتدعواه من نفي او اثبات بل اعتصموا بالكتاب والسنة وراوا ذلك هو الموافق لتصريح العقل فجعلوا كل لفظ جاء به الكتاب والسنة من اسمائه وصفاته حقاً يجب الایمان به وان لم تعرف حقيقة معناه وكل لفظ احدثه الناس فاثبته قوم ونفاه اخرون فليس علينا ان نطلق اثباته ولا نفيه حتى نفهم مراد المتكلم فان كان مراده حقاً موافقاً لما جاءت به الرسل والكتاب والسنة من نفي او اثبات فلنا به وان كان باطلاً مخالف لما جاء به الكتاب والسنة من نفي او اثبات منعاً القول به وراوا ان الطريقة التي جاء بها القرآن هي الطريقة الموافقة لتصريح المعقول وصحيح المنقول وهي طريقة الأنبياء والمرسلين وان الرسل صلوات الله عليهم جاؤوا بنفي مجمل واثبات مفصل ولهذا قال سبحانه وتعالى {سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ} 180 {وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ} 181 {وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} 182 الصافات 180-181 فسبح نفسه عما وصفه به المخالفون للرسل وسلم على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص والعيب وطريقة الرسل هي ما جاء بها القرآن والله تعالى في القرآن يثبت الصفات على وجه التفصيل وينفي عنه على طريق الاجمال التشبيه والتمثيل فهو في القرآن يخبر أنه بكل شيء عليم وعلى كل شيء قادر وأنه عزيز حكيم غفور رحيم وأنه سميع بصير وأنه غفور ودود وأنه تعالى على عظم ذاته يحب المؤمنين ويرضى عنهم ويغضب على الكفار ويسلط عليهم وأنه خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش وأنه كلم موسى تكليماً وأنه تجلى للجبل فجعله دكاً وامثل ذلك ويقول في النفي {لَيْسَ كَمُثْلَهُ شَيْءٌ} الشورى 11 {هُلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا} مريم 65 {فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ} النحل 74 (فُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) 1 {اللَّهُ الصَّمَدُ} 2 {لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ} 3 {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ} 4 الآخلاص 4-1 فيثبت الصفات وينفي مماثلة المخلوقات ولما كانت طريقة السلف ان يصفوا الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكيف ولا تمثيل²

المثلان ضربهما الله سبحانه لنفسه المقدسة ولما يعبد من دونه

قال تعالى {فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} 74 ضرب الله مثلاً عبداً مملاوكاً لا يقدر على شيء ومن رزقناه مينا رزقاً حستنا فهو ينفق منه سيراً وجهراً هل يستوون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون³ 75 {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَنْكُمْ لَا يَعْدُونَ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كُلُّ عَلَى مُؤْلَهٖ

¹ الجواب الصحيح ج: 4 ص: 408

² مجموع الفتاوى ج: 6 ص: 37

أَيْنَمَا يُوَجِّهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ {76} النحل

76 وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأتي بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم والمثلان ضربهما الله سبحانه له نفسه المقدسة ولما يبعد من دونه فإن الأولان لا تقدر لا على عمل ينفع ولا على كلام ينفع فإذا قدر عبد مملوك لا يقدر على شيء وآخر قد رزقه الله رزقاً حسناً فهو ينفق منه سراً وجهاً هل يستوي هذا المملوك العاجز عن الإحسان وهذا القادر على الإحسان المحسن إلى الناس سراً وجهاً وهو سبحانه قادر على الإحسان إلى عباده وهو محسن إليهم دائماً فكيف يشبه به العاجز المملوك الذي لا يقدر على شيء حتى يشرك به معه وهذا مثل الذي اعطاه الله مالاً فهو ينفق منه آناء الليل والنهار والمثل الثاني إذا قدر شخصان أحدهما أبكم لا يعقل ولا يتكلم ولا يقدر على شيء وهو مع هذا كل على مولاه أينما يوجهه لا يأتي بخير فليس فيه من نفع قط بل هو كل على من يتولى أمره وآخر عالم عادل يأمر بالعدل ويعمل بالعدل فهو على صراط مستقيم وهذا نظير الذي أعطاه الله الحكمة فهو يعمل بها ويعلمها للناس وقد ضرب ذلك مثلاً لنفسه فإنه سبحانه عالم عادل قادر يأمر بالعدل وهو قائم بالقسط على صراط مستقيم كما قال تعالى {شَهَدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمُ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} آل عمران 18 وقال هود {إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} هود 56¹

الله سبحانه يبين أنه هو المستحق للعبادة وأنه لا مثل له

(ناقص ن م) أن كل كمال فيه فإنما استفاده من ربه وحالقه فإذا كان هو مبدعاً للكمال وحالقاً له كان من المعلوم بالاضطرار أن معطي الكمال وحالقه ومبدعه أولى بأن يكون متصفًا به من المستفيد المبدع المعطي وقد قال الله تعالى {فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} 74 ضرب الله مثلاً عبده مملوكاً لا يقدر على شيء ومن رزقناه مينا رزقاً حسناً فهو ينفق منه سراً وجهاً هل يستوون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون² 75 وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأتي بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم³ 76 وهذا المثل وإن كان يفيد الدعاء إلى عبادة الله وحده دون عبادة ما سواه ونفي عبادة الأولان لوجود هذا الفرقان فإذا علم انتفاء التساوي بين الكامل والناقص وعلم أن الرب أكمل من خلقه وجب أن يكون أكمل منهم وأحق منهم بكل كمال بطريق الأولى والأخرى⁴

¹ أمراض القلوب ج: 1 ص: 16 و مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 121

² العقيدة الأصفهانية ج: 1 ص: 118

فهو سبحانه يبين أنه هو المستحق للعبادة دون ما يعبد من دونه وأنه لا مثل له ويبين ما اختص به من صفات الكمال وإنفائها عما يعبد من دونه ويبيّن أنه يتعالى عما يشركون وعما يقولون من إثبات الأولاد والشركاء له¹

الحق يظهر صحته بالمثل المضروب له

قال تعالى { فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } 74 ضرب الله مثلاً عبداً ممولاً لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقاً حسناً فهو ينفق منه سراً وجاهرًا هل يستوون الحمد لله بن أكثرهم لا يعلمون { 75 } وضرب الله مثلاً رجلىن أحذهما أنكما لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه آينما يوججه لا يأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مسقى { 76 } النحل 74 فالحق يظهر صحته بالمثل المضروب له وبالباطل يظهر فساده بالمثل المضروب له لأن الإنسان قد لا يعلم ما في نفس محبوبه أو مكروهه من حمد وذم إلا بمثل يضرب له فإن حبك الشيء يعمي ويصم والله سبحانه ضرب الأمثال للناس في كتابه لما في ذلك من البيان والإنسان لا يرى نفسه وأعماله إلا إذا مثلاه بنفسه بأن يراها في مرآة وتمثل له أعماله بأعمال غيره ولهذا ضرب المكان المثل لداود عليه السلام بقول أحدهما { إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجةولي نعجة واحدة فقال أكفلنها وغزني في الخطاب } 23 قال لقد ظلمك بسؤال نعجنك إلى نعاجه { 24 } ص 23-24 الآية وضرب الأمثل مما يظهر به الحال وهو القياس العقلي الذي يهدى به الله من يشاء من عباده قال تعالى { وَلَقَدْ ضَرَبَنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنَ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَّعِلَّمُونَ يَتَذَكَّرُونَ } الزمر 27 وقال تعالى { وَتَلَكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ } العنکبوت 43 وهذا من الميزان الذي أنزله الله كما قال تعالى { اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ } الشورى 17 وقال { لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنَّزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ } الحديد 25²

أعظم الكفر والإلحاد الذين سووا الله بكل موجود

قال تعالى { فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } 74 ضرب الله مثلاً عبداً ممولاً لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقاً حسناً فهو ينفق منه سراً وجاهرًا هل يستوون الحمد لله بن أكثرهم لا يعلمون { 75 } وضرب الله مثلاً رجلىن أحذهما أنكما لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه آينما يوججه لا يأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مسقى { 76 } النحل 74 فإن اعترف العبد أن الله رب و خالقه وأنه مفترق إليه محتاج إليه عرف العبودية المتعلقة بربوبيه الله وهذا العبد يسأل ربه فيتضرع إليه ويتوكل عليه لكن قد يطيع أمره وقد يعصيه وقد يعبده مع ذلك وقد يعبد الشيطان والاصنام ومثل هذه العبودية لاتفرق بين أهل الجنة والنار ولا يصير بها

¹ مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 124

² منهاج السنة النبوية ج: 2 ص: 347

الرجل مؤمنا كما قال تعالى {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُشْرِكُون} يوسف 106 فإن المشركين كانوا يقرون ان الله خالقهم ورازقهم وهم يعبدون غيره قال تعالى {وَلَئِن سَأَلْتُهُم مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} لقمان 25 وقال تعالى {فُلْ لَمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} 84 {سَيَقُولُونَ اللَّهُ فُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} 85 المؤمنون 84-85 الى قوله {فُلْ فَإِنِّي شَحُورُونَ} المؤمنون 89 وكثير من يتكلم في الحقيقة ويشهدها يشهد هذه الحقيقة وهي الحقيقة الكونية التي يشتراك فيها وفي شهودها ومعرفتها المؤمن والكافر والبر والفاجر والبليس معترف بهذه الحقيقة واهل النار قال ابليس {رَبِّ فَانظُرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبَيَّعُونَ} الحجر 36 وقال {رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتِنِي لَأُرِيَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ} الحجر 39 وقال {فَبِعِزْنِكَ لَا أَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ} ص 82 وقال {أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَمْتَ عَلَيَّ} الإسراء 62 وامثال هذا من الخطاب الذي يقر فيه بان الله ربه وخلقه وخلق غيره وكذلك اهل النار قالوا {قَالُوا رَبَّنَا غَلَبْتُ عَلَيْنَا شَقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ} المؤمنون 106 وقال تعالى {وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقْفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبَّنَا} الأنعام 30 فمن وقف عند هذه الحقيقة وعند شهودها ولم يقم بما امر به من الحقيقة الدينية التي هي عبادته المتعلقة بالهيته وطاعة امره وامر رسوله كان من جنس ابليس واهل النار وان ظن مع ذلك انه خواص اولياء الله واهل المعرفة والتحقيق الذين يسقط عنهم الأمر والنهى الشرعيان كان من اشر اهل الكفر والالحاد ومن ظن ان الخضر وغيره سقط عنهم الامر لمشاهدة الارادة ونحو ذلك كان قوله هذا من شر اقوال الكافرين بالله ورسوله حتى يدخل في النوع الثاني من معنى العبد وهو العبد العابد فيكون عابدا الله لا يعبد الا اياده فيطيع امره وأمر رسليه ويوالى اولياء المؤمنين المتقين ويعادي اعداءه وهذا العبادة متعلقة بالهيته ولهذا كان عنوان التوحيد لا اله الا الله بخلاف من يقر بربوبيته ولا يعبد معه الها آخر فالله الذي يأله القلب بكمال الحب والتعظيم والاجلال والاكرام والخوف والرجاء ونحو ذلك وهذه العبادة هي التي يحبها الله ويرضاها بها وصف المصطفين من عباده وبها بعث رسليه وأما العبد بمعنى المعبد سواء اقر بذلك او انكره فتلك يشتراك فيها المؤمن والكافر وبالفرق بين هذين النوعين يعرف الفرق بين الحقائق الدينية الدالة في عبادة الله ودينه وامر الشرعاى التي يحبها ويرضاها ويوالى اهلها ويكرههم بجنته وبين الحقائق الكونية التي يشتراك فيها المؤمن والكافر والبر والفاجر التي من اكتفى بها ولم يتبع الحقائق الدينية كان من اتباع ابليس اللعين والكافرين برب العالمين ومن اكتفى بها في بعض الأمور دون بعض او في مقام او حال نقص من إيمانه وولايته الله بحسب ما نقص من الحقائق الدينية وهذا مقام عظيم فيه غلط الغالطون وكره فيه الاستثناء على السالكين حتى لق فيه من اكبر الشيوخ المدعين التحقيق والتوكيد والعرفان مala يحصيهم الا الله الذي يعلم السر والاعلان والى هذا اشار الشيخ عبد القادر رحمه الله فيما ذكر عنه فيبين ان كثيرا من الرجال إذا وصلوا الى إلى القضاء والقدر أمسكوا الا انا فإني انتفتحت لى فيه روزنة فنازعت اقدار الحق بالحق للحق والرجل من يكون منازعا للقدر لا من يكون موافقا للقدر والذى ذكره الشيخ رحمه الله هو الذى امر الله به ورسوله لكن كثير من الرجال غلطوا فإنهم قد يشهدون ما يقدر على احدهم من المعااصى والذنوب أو ما يقدر على الناس من ذلك بل من الكفر ويشهدون ان هذا جار بمشيئة الله وقضائه وقدرة داخل في حكم ربوبيته ومقتضى مشيئة فيظنون الاستسلام لذلك وموافقته والرضا به ونحو ذلك دينا وطريقا وعبادة فيضاهون المشركين الذين قالوا {لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمَنَا مِنْ شَيْءٍ} الأنعام 148 وقالوا {أَنْطَعْمُ مَنْ لَوْ يَشَاءَ اللَّهُ أَطْعَمْهُ} يس 47 وقالوا {لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَا هُمْ} الزخرف 20 ولو هدوا لعلموا أن القدر أمرنا ان نرضى به ونصبر على موجبه في المصائب التي تصيبنا كالفقر والمرض والخوف قال تعالى {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ

قَبْلَهُ { التغابن 11 قال بعض السلف هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم انها من عند الله فيرضي ويسلم وقال تعالى {ما أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّنْ قَبْلِ أَنْ تَبَرَّأُهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ }22} لَكِيَّا تَأْسُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَقْرَبُوا بِمَا آتَاكُمْ }23}الحادي 22-23 وفي الصحيحين عن النبي أنه قال احتج آدم وموسى فقال انت آدم الذي خلفك الله بيده ونفح فيك من روحه واسجد لك ملائكته وعلمك اسماء كل شيء فلماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة فقال آدم أنت موسى الذى اصطافاك الله برسالته وبكلامه فهل وجدت ذلك مكتوبا على قبل ان أخلق قال نعم قال فحج آدم موسى وأدم عليه السلام لم يحتاج على موسى بالقدر ظنا أن المذنب يحتاج بالقدر قان هذا لا يقوله مسلم ولا عاقل ولو كان هذا عذرا لكان عذرا لا بليس وقوم هود وكل كافر ولا موسى لام آدم أيضا لأجل الذنب فان آدم قد تاب إلى ربه فاجتباه وهدى ولكن لامه لأجله المصيبة التي لحقتهم بالخطيئة ولهاذا قال فلماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة فأجابه آدم أن أن هذا كان مكتوبا قبل أن أخلق فكان العمل والمصيبة المترتبة عليه مقدار وما قدر من المصائب يجب لاستسلام له فإنه من تمام الرضا بالله ربا واما الذنوب فليس للعبد ان يذنب واذا اذنب فعليه ان يستغفر وفيتوب من المعائب ويصبر على المصائب قال تعالى {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ } غافر 55 وقال تعالى { وَإِنْ تَصْبِرُوْا وَتَتَّقُوا لَا يَضْرُكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا } آل عمران 120 وقال {وَإِنْ تَصْبِرُوْا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأَمْوَرِ }آل عمران 186 وقال يوسف {إِنَّهُ مَنْ يَتَّقَ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ }يوسف 90 وكذلك ذنوب العباد يجب على العبد فيها ان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بحسب قدرته ويجاهد فى سبيل الله الكفار والمنافقين ويولى اولياء الله ويعادي اعداء الله ويحب فى الله ويبغض فى الله كما قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلَيَاءُ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ } الممتحنة 1 الى قوله {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءٌ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبْدَأَ حَتَّىٰ ثُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ } الممتحنة 4 وقال تعالى {أَلَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُونَ مَنْ حَادَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ }المجادلة 22 الى قوله {أَوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْأَيْمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ } المجادلة 22 وقال تعالى {أَفَجَعَلَ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ } القلم 35 وقال {أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَارِ } ص 28 وقال تعالى {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلْهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءٌ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءٌ مَا يَحْكُمُونَ } الجاثية 21 وقال تعالى {وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ }19{ وَلَا الظُّلْمَاتُ وَلَا النُّورُ }20{ وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحَرُورُ }21{ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ }22{ فاطر 19-22 وقال تعالى {صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءٌ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هُلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا } الزمر 29 وقال تعالى {صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنْ رِزْقًا حَسَنَاهُ فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هُلْ يَسْتَوِيَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بْلَى أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ }75{ وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبَكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوجِّهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هُلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ }76{ النحل 75-76 وقال تعالى {لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ } الحشر 20 ونظائر ذلك مما يفرق الله فيه بين اهل الحق والباطل واهل الطاعة واهل المعصية واهل البر واهل الفجور واهل الهدى والضلال واهل الغي والرشاد واهل الصدق والكذب فمن شهد الحقيقة الكونية دون الدينية سوى بين هذه الأجناس المختلفة التي فرق الله بينها غاية التفريق حتى يؤل به الأمر الى ان يسوى الله بالاصنام كما قال تعالى عنهم { تَالَّهُ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ }97{ إِذْ نُسُوِّيْكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ }98{ الشعراة 98-97 بل قد آل الامر بهؤلاء الى ان سووا الله بكل موجود وجعلوا ما يستحقه من العبادة والطاعة حقا لكل موجود

اذ جعلوه هو وجود المخلوقات وهذا من اعظم الكفر والالحاد برب العباد ولهؤلاء يصل بهم الكفر الى انهم لا يشهدون انهم عباد لا بمعنى انهم معبدون ولا بمعنى انهم عابدون اذ يشهدون انفسهم هي الحق كما صرخ بذلك طواغيتهم كابن عربى صاحب الفصوص وامثاله من الملحدين المفترين كابن سبعين وامثاله ويشهدون انهم هم العابدون والمعبودون وهذا ليس بشهود لحقيقة لا كونية ولا دينية بل هو ضلال وعمى عن شهود الحقيقة الكونية حيث جعلوا وجود الخالق هو وجود المخلوق وجعلوا كل وصف مذموم وممدوح نعتا للخالق والمخلوق اذ وجود هذا هو وجود هذا عندهم واما المؤمنون بالله ورسوله عوامهم وخواصهم الذين هم اهل الكتاب كما قال النبي ان الله اهلي من الناس قيل من هم يا رسول الله قال اهل القرآن هم اهل الله وخاصته فلهؤلاء يعلمون ان الله رب كل شيء وملكيه وخلقه وان الخالق سبحانه مبادر للمخلوق ليس هو حالا فيه ولا متحدا به ولا وجوده وجوده و النصاري كفرهم بأن قالوا بالحلول والاتحاد بال المسيح خاصة كيف من جعل ذلك عاما في كل مخلوق ويعلمون مع ذلك ان الله امر بطاعته وطاعة رسوله ونهى عن معصيته ومعصية رسوله وانه لا يحب الفساد ولا يرضي لعباده الكفر وان على الخلق ان يعبدوه فيطيعوا امره ويستعينوا به على ذلك كما قال {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} الفاتحة 5 ومن عبادته وطاعته الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحسب الامكان والجهاد في سبيله لاهل الكفر والنفاق فيجتهدون في اقامة دينه مستعينين به دافعين مزيلين بذلك ما قدر من السبيئات دافعين بذلك ما قد يخاف من ذلك كما يزيل الانسان الجوع الحاضر بالأكل ويدفع به الجوع المستقبل وكذلك اذا آن او ان البرد دفعه باللباس وكذلك كل مطلوب يدفع به مكروره كما قالوا للنبي يا رسول الله ارأيت ادوية نتداوي بها ورقى نسترقى بها وتقاة نقى بها هل ترد من قدر الله شيئا فقال هي من قدر الله وفي الحديث ان الدعاء والبلاء ليلتقيان فيعتلجان بين السماء والارض فهذا حال المؤمنين بالله ورسوله العابدين الله وكل ذلك من العبادة¹

المشركون يسرون بين الله و بين آهتهم في المحبة والعبادة

قال تعالى {فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} 74 {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَ الرِّزْقِ حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًا وَجَهْرًا هُنَّ يَسْتَوْنَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بِلِّكْثَرِهِمْ لَا يَعْلَمُونَ} 75 {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كُلُّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هُنَّ يَسْتَوْيِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} 76 {النحل 74-76} أنه يقول الصدق و يعمل بالعدل كما قال {وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا} الأنعام 115 وقال هود {إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} هود 56 فأخبر أن الله على صراط مستقيم و هو العدل الذي لا عوج فيه وقال {هُنَّ يَسْتَوْيِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} النحل 76 و هو مثل ضربه الله لنفسه و لما يشرك به من الأوثان كما ذكر ذلك في قوله {قُلْ هُنَّ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ} يونس 35 الآية وقال {أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ} النحل 17 الآيات إلى قوله {وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبَعَّثُونَ} النحل 21 فأخبر أنه خالق منع عالم و ما يدعون من

¹ مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 157-163 و الفتوى الكبرى ج: 2 ص: 368

دونه لا تخلق شيئاً و لا تتعلم شيئاً و أخبر أنها ميّة فهل يستوي هذا وهذا كيف يعبدونها من دون الله مع هذا الفرق الذي لا فرق أعظم منه ولهذا كان هذا أعظم الظلم والافاك ومن هذا الباب قوله تعالى {فَلِلَّهِ الْحَمْدُ لَّهُ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى اللَّهُ خَيْرًا أَمَّا يُشْرِكُونَ} النمل 59 فقوله تعالى {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَا هُنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًا وَجَهْرًا هُنَّا يَسْتَوْنَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بِلَّا أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} 75 وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنَ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كُلُّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوجِّهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هُنَّا يَسْتَوْيُ هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} 76 النحل 75-76 كلاهما مثل بين الله فيه أنه لا يستوي هو و ما يشركون به كما ذكر نظير ذلك في غير موضع و إن كان هذا الفرق معلوما بالضرورة لكل أحد لكن المشركون مع اعترافهم بأن آلهتهم مخلوقة مملوكة له يسوقون بينه وبينها في المحبة و الدعاء و العبادة و نحو ذلك و المقصود هنا أن الرب سبحانه على صراط مستقيم¹

القدرة والملك والاحسان صفة كمال

وقد بين الله سبحانه انه احق بالكمال من غيره وان غيره لا يساويه في الكمال في مثل قوله تعالى {أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفْلَا تَذَكَّرُونَ} النحل 17 وقد بين ان الخلق صفة كمال وان الذى يخلق افضل من الذى لا يخلق وان من عدل هذا فقد ظلم وقال تعالى {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَا هُنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًا وَجَهْرًا هُنَّا يَسْتَوْنَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بِلَّا أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} النحل 75 فبين ان كونه مملوكان عاجزا صفة نقص وان القدرة والملك والاحسان صفة كمال وانه ليس هذا مثل هذا وهذا الله و ذاك لما يعبد من دونه وقال تعالى {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنَ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كُلُّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوجِّهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هُنَّا يَسْتَوْيُ هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} النحل 76 وهذا مثل اخر فالاول مثل العاجز عن الكلام وعن الفعل الذى لا يقدر على شيء والآخر المتكلم الامر بالعدل الذى هو على صراط مستقيم فهو عادل في امره مستقيم في فعله فبين ان التفضيل بالكلام المتضمن للعدل والعمل المستقيم فان مجرد الكلام والعمل قد يكون محمودا وقد يكون مذموما فالمحمود هو الذى يستحق صاحبه الحمد فلا يستوى هذا والعاجز عن الكلام والفعل²

وقوله تعالى {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَا هُنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًا وَجَهْرًا} النحل 75 فلما ذكر في المملوك أنه لا يقدر على شيء ومقصوده أن الآخر ليس كذلك بل هو قادر على مالا يقدر عليه هذا و هو إثبات الرزق الحسن مقدورا لصاحب و صاحبه قادر عليه وبهذا ينطبق عامة العقلاء يقولون فلان يقدر على كذا و كذا و فلان يقدر على كذا و كذا و

¹ مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 179

² مجموع الفتاوى ج: 6 ص: 80

مقدرة هذا دون مقدرة هذا وما يبين ذلك أن الملك نائب للعباد على ما ملكهم الله إياه و الملك مستلزم للقدرة فلا يكون مالكا إلا من هو قادر على التصرف بنفسه أو بوليه أو و كيله و العقد و المنقول مملوك لمالكه فدل على أنه مقدور له وقد قال موسى {قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي} {المائدة: 25} لما كان قادرا على التصرف في أخيه لطاعته له جعل ذلك مالكا له¹

القرامطة الباطنية من اعظم الناس شركا

قال تعالى في ذم من يعبد من لا يتكلم ولا ينفع ولا يضر **{وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كُلُّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}** {النحل: 76} فعاب الصنم بأنه أبكم لا يقدر على شيء إذ كان من المعلوم أن العجز عن النطق والفعل صفة نقص فالنطق والقدرة صفة كمال²

أن مجرد سلب هذه الصفات نقص لذاته سواء سميت عمى وصمما وبكما أو لم تسم وعلم بذلك ضروري فاما اذا قدرنا موجودين أحدهما يسمع ويصر ويتكلم والآخر ليس كذلك كان الاول اكمل من الثاني ولهذا عاب الله سبحانه من عبد ما تنتفي فيه هذه الصفات قال تعالى **{وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كُلُّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}** {النحل: 76} فقابل بين الابكم العاجز وبين الامر بالعدل الذي هو على صراط مستقيم³

ومثل هذا في القرآن متعدد من وصف الاصنام بسلب صفات الكمال كعدم التكلم والفعل وعدم الحياة ونحو ذلك مما يبين ان المتصف بذلك منقص معيب كسائر الجمادات وان هذه الصفات لا تسلب الا عن ناقص معيب واما رب الخلق الذي هو اكمل من كل موجود فهو احق الموجودات بصفات الكمال وانه لا يستوي المتصف بصفات الكمال والذى لا يتتصف بها وهو يذكر ان الجمادات في العادة لا تقبل الاتصال بهذه الصفات فمن جعل الواجب الوجود لا يقبل الاتصال فقد جعله من جنس الاصنام الجامدة التي عابها الله تعالى وعاب عابديها ولهذا كانت القرامطة الباطنية من اعظم الناس شركا وعبادة لغير الله اذ كانوا لا يعتقدون في الهنهم انه يسمع او يبصر او يعني عنهم شيئا والله سبحانه لم يذكر هذه النصوص لمجرد تقرير صفات الكمال

¹ مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 16

² العقيدة الأصفهانية ج: 1 ص: 102

³ مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 88

له بل ذكرها لبيان انه المستحق للعبادة دون ما سواه فأفاد الاصلين الذين بهما يتم التوحيد وهم اثبات صفات الكمال ردا على اهل التعطيل وبيان انه المستحق للعبادة لا اله الا هو ردا على المشركين والشرك في العالم اكثر من التعطيل ولا يلزم من اثبات التوحيد المنافي للاشتراك ابطال قول اهل التعطيل ولا يلزم من مجرد الادلة المبطل لقول المعطلة الرد على المشركين الا ببيان اخر والقرآن يذكر فيه الرد على المعطلة تارة كالرد على فرعون وامثاله ويذكر فيه الرد على المشركين وهذا اكثر لان القرآن شفاء لما في الصدور ومرض الاشتراك اكثر في الناس من مرض التعطيل فان الله سبحانه اخبر ان له الحمد وانه حميد مجید وان له الحمد في الاولى والاخيرة وله الحكم ونحو ذلك من انواع المحامد و الحمد نوعان حمد على احسانه الى عباده وهو من الشكر وحمد لما يستحقه هو بنفسه من نعمت كماله وهذا الحمد لا يكون الا على ما هو في نفسه مستحق للحمد وانما يستحق ذلك من هو متصف بصفات الكمال وهي امور وجودية فان الامور العدمية المضدية لا حمد فيها ولا خير ولا كمال وملووم ان كل ما يحمد فانما يحمد على ماله من صفات الكمال فكل ما يحمد به الخلق فهو من الخالق والذى منه ما يحمد عليه هو أحق بالحمد فثبت انه المستحق للمحامد الكاملة وهو احق من كل محمود بالحمد والكمال من كل كامل وهو المطلوب¹

حمد الله والثناء عليه توحيد الله

قال تعالى { فَلَا تَضْرِبُوا لِلّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } 74 ضرب الله مثلاً عبدها مملاوكاً لا يقدر على شيء ومن رزقناه من رزقاً حسناً فهو ينفق منه سيراً وجهراً هل يستحقون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون { 75 } وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما ابنكم لا يقدر على شيء وهو كل على مؤلاه أيهما يوجهه لا يأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مسنيم { 76 } النحل 74-76 فالمصلحي في آخر القيام بعد الركوع يقول ربنا ولد الحمد ملء السماء وملء الأرض إلى قوله أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذلك منك الجد وقوله أحق ما قال العبد خبر مبتدأ محفوظ أى هذا الكلام أحق ما قال العبد فتبين أن حمد الله والثناء عليه أحق ما قاله العبد وفي ضمه توحيد له اذا قال ولد الحمد أى لك لا لغيرك وقال في آخره لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت وهذا يقتضى انفراذه بالعطاء والمنع فلا يسعان إلا به ولا يطلب إلا منه ثم قال ولا ينفع ذلك الجد منك الجد فيبين أن الإنسان وان أعطى الملك والغنى والرئاسة فهذا لا ينجيه منك انما ينجيه الإيمان والتقوى وهذا تحقيق قوله { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } الفاتحة 5 فكان هذا الذكر في آخر القيام لأن ذكر أول القيام وقوله أحق ما قال العبد يقتضي ان يكون حمد الله أحق الاقوال بان ي قوله العبد وما كان أحق الاقوال كان أفضلاها وأوجبهما على الإنسان ولهذا افترض الله على عباده في كل صلاة ان يفتحوها بقولهم { الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } الفاتحة 2 وامرهم ايضا ان يفتحوا كل خطبة بالحمد لله فامرهم ان يكون مقدما

¹ مجموع الفتاوى ج: 6 ص: 85

على كل كلام سواء كان خطاباً للخلق او خطاباً للمخلوق ولها يقدّم النبي **الحمد أمام الشفاعة**
يوم القيمة ولها أمرنا بتقديم الثناء على الله في التشهد قبل الدعاء وقال النبي **كل امر ذي بال**
لا يبدأ فيه بالحمد الله فهو أخذم وأول من يدعى إلى الجنة الحمدون الذين يحمدون الله على السراء
والضراء قوله {الْحَمْدُ لِلّٰهِ} الفاتحة ١ حمد مطلق فان الحمد اسم جنس والجنس له
كمية وكيفية فالثناء كميته وتكبيره وتعظيمه كيفيته^١

{ إِنَّ اللّٰهَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }

قال تعالى {وَلَّهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلِمَحُ البَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللّٰهَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} النحل ٧٧ اتفق المسلمون وسائر أهل الملل على أن الله على كل شيء قادر كما نطق بذلك القرآن أي في مواضع كثيرة جداً وقد بسطت الكلام في الرد على من انكر قدرة رب في غير موضع كما قد كتبناه على الأربعين والمحصل وفي شرح الأصبهانية وغير ذلك وتكلمنا على ما ذكره الرازى وغيره في مسألة كون الرب قادرًا مختارًا وما وقع فيها من التقصير الكبير مما ليس هذا موضعه والمقصود هنا الكلام بين أهل الملل الذين يصدقون الرسل فنقول هنا مسائل المسألة الأولى قد أخبر الله أنه على كل شيء قادر والناس في هذا على ثلاثة أقوال طائفة تقول هذا عام يدخل فيه الممتنع لذاته من الجمع بين الصدرين وكذلك دخل في المقدور كما قال ذلك طائفة منهم ابن حزم وطائفة تقول هذا عام مخصوص يخص منه الممتنع لذاته فإنه وإن كان شيئاً فإنه لا يدخل في المقدور كما ذكر ذلك ابن عطية وغيره وكلا القولين خطأ والصواب هو القول الثالث الذي عليه عامة النظار وهو أن الممتنع لذاته ليس شيئاً أب生意 وأن كانوا متذارعين في المعدوم فإن الممتنع لذاته لا يمكن تتحققه في الخارج ولا يتصوره الذهن ثابتًا في الخارج ولكن يقدر إجتماعهما في الذهن ثم يحكم على ذلك بأنه ممتنع في الخارج إذ كان يتمتع تتحققه في الأعيان وتصوره في الأذهان إلا على وجه التمثيل بأن يقال قد تجتمع الحركة والسكون في الشيء فهل يمكن في الخارج أن يجتمع السواد و البياض في محل واحد كما تجتمع الحركة والسكون فيقال هذا غير ممكن فيقدر إجتماع نظير الممكن ثم يحكم بإمتناعه وأما نفس إجتماع البياض والسواد في محل واحد فلا يمكن ولا يعقل فليس بشيء لا في الأعيان ولا في الأذهان فلم يدخل في قوله وهو على كل شيء قادر المسألة الثانية أن المعدوم ليس بشيء في الخارج عند الجمهور وهو الصواب وقد يطلرون أن الشيء هو الموجود فيقال على هذا فيلزم أن لا يكون قادرًا إلا على موجود وما لم يخلقه لا يكون قادرًا عليه وهذا قول بعض أهل البدع قالوا لا يكفي أن يكون قادرًا إلا على ما أراده دون ما لم يرده ويحكى هذا عن تلميذ النظام والذين قالوا إن الشيء هو الموجود من نظائر المثبتة كالأشعرى ومن وافقه من أتباع الأئمة أحمد وغيره وأحمد القاضى أبي يعلى وأبن الزاغونى وغيرهما يقولون أنه قادر على الموجود فيقال أن هؤلاء أثبتوا ما لم تثبته الآية فالآية أثبتت قدرته على الموجود و هؤلاء قالوا هو قادر على الموجود والمعدوم **والتحقيق أن الشيء إسم لما يوجد في الأعيان ولما يتصور في الأذهان فما قدره الله** وعلم أنه سيكون هو شيء في التقدير والعلم والكتاب وأن لم يكن شيئاً في الخارج و منه قوله {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} يس ٨٢ **ولفظ الشيء في الآية يتناول هذا وهذا فهو على كل شيء ما وجد وكل ما تصوره الذهن موجوداً إن تصور أن يكون موجوداً قادر لا يستثنى من ذلك**

شيء ولا يزداد عليه شيء كما قال تعالى {بَلِّي قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّي بَنَانَةً} القيامة 4 وقال {فُلْهُو الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ} الأنعام 65 وقد ثبت في الصحيحين أنها لما نزلت قال النبي صلى الله عليه وسلم أَعُوذ بوجهك فلما نزل {أَوْ يَلِسْكُمْ شِيَعًا وَيَنْدِقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ} الأنعام 65 الآية قال هاتان أهون فهو قادر على الأولتين وإن لم يفعلهما وقال {وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدْرِ فَأَسْكَنَاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابِهِ لَقَادِرُونَ} المؤمنون 18 قال المفسرون لقادرون على أن نذهب به حتى تموتوا عطشا وتهلك مواشكم وتخرب أراضيكم ومعلوم أنه لم يذهب به وهذا قوله {أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَسْرُبُونَ} الواقعة 68 إلى قوله {وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ} الواقعة 82 وهذا يدل على أنه قادر على مالا يفعله فإنه أخبر أنه لو شاء جعل الماء أحاجا وهو لم يفعله ومثل هذا {وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا} السجدة 13 {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ} يونس 99 {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا افْتَلَوْا} البقرة 253 فإنه أخبر في غير موضع أنه لو شاء لفعل أشياء وهو لم يفعلها فلو لم يكن قادرًا عليها لكان إذا شاءها لم يمكن فعلها المسألة الثالثة أنه على كل شيء قد يدخل في ذلك أفعال العباد وغير أفعال العباد وأكثر المعتزلة يقولون أن أفعال العبد غير مقدرة وأنه يدخل في ذلك أفعال نفسه وقد نطق النصوص بهذا وهذا قوله تعالى {أَوْلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قِادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِنْهُمْ مِنْ طِينٍ} المؤمنون 12 {أَيَحْسَبُ أَنَّ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ} البدر 5 وجاءت منصوصا عليها في الكتاب والسنة أما الكتاب فقوله {فَإِنَّمَا نَذَهَبَنَا إِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ} الزخرف 41 فيبين أنه سبحانه يقدر عليهم أنفسهم وهذا نص في قدرته على الأعيان جاءت في مثل قوله {وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَارٍ} ق 45 و {لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصِيرٍ} الغاشية 22 و نحو ذلك وهو يدل بمفهومه على أن الرب هو الجبار عليهم المسيطرون ذلك يستلزم قدرته عليهم و قوله {فَظَنَّ أَنَّ لَنْ تَقْدِرَ عَلَيْهِ} الأنبياء 87 على قول الحسن وغيره من السلف من جعله من القدرة دليل على أن الله قادر عليه وعلى أمثاله وكذلك قول الموصي لأهله لئن قدر الله على ليغذبني عذابا ما عذبه أحدا من العالمين فلما حرقوه أعاده الله تعالى وقال له ما حملك على ما صنعت قال خشيتك يارب فغفر له وهو كان مخطئا في قوله لئن قدر الله على ليغذبني كما يدل عليه الحديث وأن الله قادر عليه لكن لخشيته وإيمانه غفر الله له هذا الجهل والخطأ الذي وقع منه وقد يستدل بقوله {أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ} المرسلات 20 إلى قوله {فَنَعْمَ الْقَادِرُونَ} المرسلات 23 على قول من جعله من القدرة فإنه يتناول القدرة على المخلوقين وإن كان سبحانه قادرًا أيضًا على خلقه فالقدرة على خلقه قدرة عليه و القدرة عليه قدرة على خلقه و جاء أيضًا الحديث منصوصا في مثل قول النبي صلى الله عليه وسلم لأبي مسعود لما رأه يضرب عبده الله أقدر عليك منك على هذا فهذا فيه بيان قدرة الرب على عين العبد وأنه أقدر عليه منه على عبده وفيه إثبات قدرة العبد¹

ما تعلقت به المشيئة تعلقت به القدرة

قال تعالى {وَتِلْهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلْمَحُ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} النحل 77 فإن ما تعلقت به المشيئة تعلقت به القدرة فإن ما شاء الله كان و لا يكون شيء إلا بقدرته و ما تعلقت به القدرة من الموجودات تعلقت به المشيئة فإنه لا يكون شيء إلا بقدرته و مشيئته و ما جاز أن تتعلق به القدرة جاز أن تتعلق به المشيئة و كذلك بالعكس و مالا فلا و لهذا قال {إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} البقرة 20 و الشيء في الأصل مصدر شاء يشاء شيئاً كذا يقال نيلاً ثم وضعوا المصدر مفعول فسموا المشيء شيئاً كما يسمى المنيل نيلاً فقالوا نيل المعدن و كما يسمى المقدور قدرة و المخلوق خلقاً قوله {عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} البقرة 20 أي على كل ما يشاء فمنه ما قد شاء فوجد و منه ما لم يشا ل肯ه شيء في العلم بمعنى أنه قابل لأن يشاء و قوله {عَلَى كُلِّ شَيْءٍ} البقرة 20 يتناول ما كان شيئاً في الخارج و العلم أو ما كان شيئاً في العلم فقط بخلاف مالا يجوز أن تتناوله المشيئة و هو الحق تعالى و صفاته أو الممتنع لنفسه فإنه غير داخل في العموم و لهذا إنفق الناس على أن الممتنع لنفسه ليس بشيء¹

"إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله الآ وهي القلب "

قال الله تعالى {وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئَدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} النحل 78 والله سبحانه الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم الذي خلق فسوى والذي قدر فهدي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى الذي اخرج الناس من بطون أمهاتهم لا يعلمون شيئاً وجعل لهم السمع والأبصار والأفئدة يهدي من يشاء من عباده بما تيسر له من الأدلة التي تبين له الحق من الباطل والصدق من الكذب كما في الحديث الصحيح الإلهي يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدم²

قال الله تعالى {وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئَدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} النحل 78 إن الله سبحانه وتعالى خلق القلب للإنسان يعلم به الأشياء كما خلق العين يرى بها الأشياء والأذن يسمع بها الأشياء وكما خلق سبحانه كل عضو من أعضائه لأمر من الأمور وعمل من الأعمال فالليد للبطش والرجل للسعى واللسان للنطق والفم للذوق والأنف للشم والجلد للمس وكذلك سائر الأعضاء الباطنة الظاهرة فإذا استعمل العضو فيما خلق له وأعد من أجله كذلك هو الحق القائم والعدل الذي قامت به السماوات والأرض وكان ذلك خيراً وصلاحاً لذلك العضو ولريه ولشيء الذي استعمل فيه وذلك الإنسان هو الصالح الذي استقام حاله {أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمْ

¹ مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 383

² منهاج السنة النبوية ج: 7 ص: 420

المُفْلِحُونَ {لقمان} 5 وإذا لم يستعمل العضو في حقه بل ترك بطلاً فذلك خسران وصاحب مغبون وإن استعمل في خلاف ما خلق له فهو الضلال والهلاك وصاحب من الذين بدلو نعمة الله كفرا ثم إن سيد الأعضاء وأسها هو القلب كما سمي قلباً قال النبي صلى الله عليه وسلم إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب وقال صلى الله عليه وسلم الإسلام علانية والإيمان في القلب ثم أشار بيده إلى صدره وقال ألا إن التقوى هاهنا ألا إن التقوى هاهنا وإذا قد خلق ليعلم به فتوجه نحو الأشياء ابتعاد العلم بها هو الفكر والنظر كما أن إقبال الأذن على الكلام ابتعاد سمعه هو الإصغاء والاستماع وانصراف الطرف إلى الأشياء طلباً لرؤيتها هو النظر فالتفكير للقلب كالإصغاء للأذن إذا سمعت ما أصغت إليه ومثله نظر العينين في شيء وإذا علم ما نظر فيه فذاك مطلوبة كما أن الأذن إذا سمعت ما أصغت إليه أو العين إذا أبصرت ما نظرت إليه وكم من ناظر مفكر لم يحب العلم ولم ينزله كما أنه كمن ناظر إلى الهلال لا يبصره ومستمع إلى صوت لا يسمعه وعكسه من يؤمن علمًا بشيء لم ينظر فيه ولم تسبق منه سابقة فكر كمن فاجأته رؤية الهلال من غير قصد إليه أو سمع قوله من غير أن يصغي إليه وذلك كله لأن القلب بنفسه يقبل العلم وإنما الأمر موقف على شرائط واستعداد قد يكون فعلاً من الإنسان فيكون مطلوباً وقد يأتي فضلاً من الله فيكون موهوباً فصلاح القلب وحقه والذي خلق من أجله هو أن يعقل الأشياء لا أقول أن يعلمه فقد يعلم الشيء من لا يكون عاقلاً له بل غافلاً عنه ملغياً له والذي يعقل الشيء هو الذي يقيده ويضبطه ويعيه وينتهي في قلبه فيكون وقت الحاجة إليه غنياً فيتطابق عمله قوله وباطنه ظاهره وذلك هو الذي أوتي الحكمة {وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتَىٰ خَيْرًا كَثِيرًا} البقرة 269 وقال أبو الدرداء إن من الناس يؤمن من علموا ولا يؤمن حكماً وإن شداد بن أوس ممن أوتي علمًا وحكمًا هذا مع أن الناس متباينون في نفس أن يعلموا الأشياء من بين كامل وناقص وفيما يعلونه من بين قليل وكثير وجليل ودقيق وغير ذلك ثم هذه الأعضاء الثلاثة هي أمهات ما ينال به العلم يدرك أعني العلم الذي يمتاز به البشر عن سائر الحيوانات دون ما يشاركه فيه من الشم والذوق واللمس وهذا يدرك به ما يحب ويكره وما يميز به من يحسن إليها ويسيء إلى غير ذلك قال الله تعالى **{وَاللَّهُ أَخْرَجَ مَنْ بُطُونَ أَمْهَاتُكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئَدَةَ لَعَلَّكُمْ شَكُرُونَ}** النحل 78

وقال {ثُمَّ سَوَّاه وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئَدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ} السجدة 9

وقال {وَلَا تَنْفُتُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادُ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُلٌ لَا } الإسراء 36 وقال {وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئَدَةً} الأحقاف 26 وقال {خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً} البقرة 7

وقال فيما لكل عضو من هذه الأعضاء من العمل والقدرة {وَلَقَدْ ذَرَانَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا} الأعراف 179 ثم إن العين تقصر عن القلب والأذن وتقارقهما في شيء وهو أنها إنما ترى بها الأشياء الحاضرة والأمور الجسمانية مثل الصور والأشخاص فأما القلب والأذن فيعلم بما غاب عن الإنسان وما لا مجال للبصر فيه من الأشياء بنفسه إذا كان العلم بها هو غذاؤه وخاصيته أما الأذن فإنها تحمل الكلام المشتمل على العلم إلى القلب فهي بنفسها إنما تناول القول والكلام فإذا وصل ذلك إلى القلب أخذ منه ما فيه من العلم فصاحب العلم فيحقيقة الأمر هو القلب وإنما سائر الأعضاء حجمه توصل إليه من الأخبار ما لم يكن ليأخذه بنفسه حتى إن من فقد شيئاً من هذه الأعضاء فإنه يفقد بفقد من العلم ما كان هو الواسطة فيه فالأخصم لا يعلم ما في الكلام من العلم والضرر لا يدرى ما تحتوي عليه الأشخاص من الحكمة البالغة وكذلك من نظر إلى الأشياء بغير قلب أو استمع إلى كلمات أهل العلم بغير قلب فإنه لا يعقل شيئاً فمدار الأمر على القلب وعند هذا تستبين الحكمة في قوله تعالى **{أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ**

قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا} الحج 46 حتى لم يذكر هنا العين كما في الآيات السواقة فإن سياق الكلام هنا في أمور غائبة وحكمة معقولة من عواقب الأمور لا مجال لنظر العين فيها ومثله قوله {أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ} الفرقان 44 وتتبين حقيقة الأمر في قوله {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قُلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ} ق 37 فإن من يوتى الحكمة وينتفع بالعلم على منزلتين إما رجل رأى الحق بنفسه فقبله واتبعه ولم يحتاج إلى من يدعوه إليه فذلك صاحب القلب أو رجل لم يعقله بنفسه بل هو محتاج إلى من يعلمه وتتبين له ويعظمه ويؤدبه فهذا أصغر فألقى السمع وهو شهيد أي حاضر القلب ليس بغايه كما قال مجاهد أتوى العلم وكان له ذكرى ويتبع قوله {وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ} 42 {وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمَىٰ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبَصِّرُونَ} 43 {يونس 42-43} قوله {وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَاءُنَا عَلَىٰ قَلْبِهِمْ أَكِنَّهُ أَنْ يَقْهُمُهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقَرَا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُوكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ} الأناعم 25 ثم إذا كان حق القلب أن يعلم الحق فإن الله هو الحق المبين {فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدُ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ} {يونس 32} إذا كان كل ما يقع عليه لمحه ناظر ويحول في لفته خاطر ف الله ربه ومن شئه وفاطره ومبدئه لا يحيط علما إلا بما هو من آياته البينة في أرضه وسمائه وأصدق كلمة قالها لبيك ألا كل شيء ما خلا الله باطل ما من شيء من الأشياء إذا نظرت إليه من جهة نفسه وجدته إلى العدم ما هو فقير إلى الحي القيوم فإذا نظرت إليه وقد تولته يد العناية بتقدير من أعطى كل شيء خلقه هم هدى رأيته حينئذ موجوداً مكسوا حل الفضل والإحسان فقد استبان القلب إنما خلق لذكر الله سبحانه ولذلك قال بعض الحكماء المتقدمين من أهل الشام أظنه سليمان الخواص رحمة الله الذكر للقلب بمنزلة الغذاء للجسد فكما لا يجد الجسد لذاته الطعام مع السقم فكذلك القلب لا يجد حلولاً الذكر مع حب الدنيا أو كما قال فإذا كان القلب مشغولاً ب الله عاقلاً للحق مفكراً في العلم فقد وضع موضعه كما أن العين إذا صرفت إلى النظر في الأشياء فقد وضعت في موضعها أما إذا لم يصرف إلى العلم ولم يرع فيه الحق فسي ربه فلم يوضع في موضع بل هو ضائع ولا يحتاج أن يقال قد وضع في غير موضعه بل لم يوضع أصلاً فإن موضعه هو الحق وما سوى الحق باطل فإذا لم يوضع في الحق لم يبق إلا الباطل والباطل ليس بشيء أصلاً وما ليس بشيء آخر إلا أن يكون موضعاً والقلب هو بنفسه لا يقبل إلا الحق فإذا لم يوضع فيه فإنه لا يقبل غير ما خلق له {سُنْنَةُ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِ وَلَنْ تَجِدْ لِسُنْنَةَ اللَّهِ تَبَدِيلًا} الفتح 23 وهو مع ذلك ليس بمتروك مخلٍّ فإن من لا يزال من أودية الأفكار وأقطار الأماني لا يكون على الحال التي تكون عليها العين والأذن من الفراغ والتخلٍّ فقد وضع في غير موضع لا مطلق ولا معلم موضع لا موضع له وهذا من العجب فسبحان العزيز الحكيم وإنما تكشف له هذه الحال عند رجوعه إلى الحق إما في الدنيا عند الإنابة أو عند المنقلب إلى الآخرة فيرى سوء الحال التي كان عليها وكيف كان قلبه ضالاً عن الحق هذا إذا صرف إلى الباطل فاما لو ترك وحالته التي فطر عليها فارغاً عن كل ذكر وحالياً من كل فكر لقد كان يقبل العلم الذي لا جهل فيه ويرى الحق الذي لا ريب فيه فيؤمن بربه وينبئ إليه فإن كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة جماعه لا تحس فيها من جدعاً {فَأَقْمِ وَجْهَكَ لِلَّذِينَ حَنِيفَاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلٌ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيْمُ} الروم 30 وإنما يحول بينه وبين الحق في غالب الحال شغله بغيره من قتن الدنيا ومطالب الجسد وشهوات النفس فهو في هذه الحال كالعين الناظرة إلى وجه الأرض لا يمكنها أن ترى مع ذلك الهلال أو هو يميل إليه فيصده عن اتباع الحق فيكون كالعين التي فيها قدّى لا يمكنها رؤية الأشياء ثم الهوى قد يعرض له قبل معرفة الحق فيصده عن النظر فيه فلا يتبع له الحق كما قيل حبك الشيء يعمي ويصم فيبقى في ظلمة الأفكار وكثيراً ما يكون ذلك كبراً يمنعه عن أن

يطلب الحق {فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ} النحل 22 وقد يعرض المهوى بعد أن عرف الحق فيجده ويعرض عنه كما قال سبحانه فيه {سَأَصْرُفُ عَنِ الْأَيَاتِيَ الَّذِينَ يَكْبَرُونَ} في الأرض بغير الحق وإن يروا كُلَّ آيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وإن يروا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وإن يروا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا {الأعراف 146} ثم القلب للعمل كالإماء للماء والوعاء للغسل والوادي للسيل كما قال تعالى {أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أُودِيَّةٍ بِقَدْرِ هَا} {الرعد 17} الآية وقال النبي صلى الله عليه وسلم إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا فكانت منها طائفة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت فيها أجاذب أمسكت الماء فسقي الناس وزرعوا وأصاب منها طائفة إنما هي قياع لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما أرسلت به ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل بذلك هدى الله الذي أرسلت به وفي حديث كميل بن زياد عن علي رضي الله عنه قال القلوب أو عية فخيرها أو عاهها وبلغنا عن بعض السلف قال القلوب آنية الله في أرضه فأحبها إلى الله تعالى أرقها وأصفاها وهذا مثل حسن فإن القلب إذا كان رقيقاً ليناً كان قبوله للعلم سهلاً يسيراً ورسخ فيه وأثر وإن يكن قاسياً غليظاً يكن قبوله للعلم صعباً عسيراً ولا بد من ذلك أن يكون زكياً صافياً سليماً حتى يذكر فيه العلم ويثير ثمراً طيباً وإلا فلو قبل العلم وكان فيه كدر وخبث أفسد ذلك العلم وكان كالدغل في المزدرع إن لم يمنع الحب من أن ينبع منه من أن يذكر ويطيب وهذا بين لأولي الأ بصار وتلخيص هذه الجملة أنه إذا استعمل في الحق فله وجهان وجه مقبل على الحق ومن هذا الوجه يقال له وعاء وإناء لأن ذلك يستوجب ما يوعى فيه ويوضع فيه وهذه الصبغة وجود ثبوت ووجه معرض عن الباطل ومن هذا الوجه يقال له زكي وسلامي وظاهر لأن هذه الأسماء تدل على عدم الشر والخبث والدغل وهذه الصبغة عدم ونفي وبهذا يتبيّن أنه إذا صرف إلى الباطل فله وجهان وجه الوجود أنه منصرف إلى الباطل مشغول به ووجه العدم أنه معرض عن الحق غير قابل له وهذا بين من البيان والحسن والصدق ما في قوله إذا ما وضع القلب في غير موضع وضع بغير إناء فهو قلب مضيع فإنه لما أراد أن يبيّن حال من ضيع قلبه فظلم نفسه بأن اشتغل بالباطل وملأ به قلبه حتى لم يبق فيه متسع للحق ولا سبيل له إلى الولوج فيه ذكر ذلك منه فوصف حال هذا القلب بوجهيه ونعته بمذهبيه فذكر أولاً وصف الوجود منه فقال إذا ما وضع القلب في غير موضع يقول إذا شغلته بما لم يخلق له فصرفته إلى الباطل حتى صار موضوعاً فيه ثم الباطل على منزلتين إحداهما تشغله عن الحق ولا تعانده مثل الأفكار والهموم التي من علائق الدنيا وشهوات النفس والثانية تعاند الحق وتتصد عنه مثل الآراء الباطلة والأهواء المردية من الكفر والنفاق والبدع وشبه ذلك بل القلب لم يخلق إلا لذكر الله فما سوى ذلك فليس موضعاً له ثم ذكر ثانياً ووصف العدم منه فقال بغير إناء يقول إذا وضعته بغير إناء فوضعته ولا إناء معك كما تقول حضرت مجلس بلا محبرة فالكلمة حال من الواضع لا من الموضوع والله أعلم وبيان هذه الجملة والله أعلم أنه يقول إذا ما وضع قلبك في غير موضع فاشغل بالباطل ولم يكن معك إناء يوضع فيه الحق ويتنزل إليه الذكر والعلم الذي هو حق القلب فقلبك إذا مضيع ضيعته من وجهي التضييع وإن كانوا متهددين من جهة أنك وضعته في غير موضوع ومن جهة أنه لا إناء معك يكون وعاء لحقة الذي يجب أن يعطاه كما لو قيل لملك قد أقبل على الله إذا اشتغلت بغير المساسة وليس في الملك من يدبره فهو ملك ضائع لكن هنا الإناء هو القلب بعينه وإنما كان ذلك لأن القلب لا ينوب عنه غيره فيما يجب أن يصنعه {وَلَا تَنْزِرُ وَازْرَةً وَزْرَ أَخْرَى} {الأنعام 164} وإنما خرج الكلام في صورة اثنين بذكر نعتين لشيء واحد كما جاء نحوه في قوله تعالى {أَنَّزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ} {3} مِنْ قَبْلٍ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنَّزَلَ الْفُرْقَانَ {4} آل عمران 3-4 قال قتادة والربيع هو القرآن فرق فيه بين الحال والحرام والحق

والباطل وهذا لأن الشيء الواحد إذا كان له وصفان كبيران فهو مع وصف كالشيء الواحد وهو مع الوصفين بمنزلة الاثنين حتى لو كثرت صفاته لتنزل منزلة أشخاص إلا ترى أن الرجل الذي يحسن الحساب والطب بمنزلة حاسب وطبيب والرجل الذي يحسن النجارة والبناء بمنزلة نجار وبناء والقلب لما كان يقبل الذكر والعلم فهو بمنزلة الإناء الذي يوضع فيه الماء وإنما ذكر في هذا البيت الإناء من بين سائر أسماء القلب لأنه هو الذي يكون رقيقاً وصافياً وهو الذي يأتي به المستطعم المستعطي في منزلة البائس الفقير ولما كان ينصرف عن البال فهو زكي وسليم فكانه اثنان ويتبيّن في الصورة أن الإناء غير القلب فهو يقول إذا ما وضعت قلبك في غير موضع وهو الذي يوضع فيه الذكر والعلم ولم يكن معك إناء يوضع فيه المطلوب فتركها ثم أقبل يطلب طعاماً فقيل له هات إناء نعطاك طعاماً فاما إذ أتيت وقد وضعت زبديتك مثلاً في البيت وليس معك إناء نعطيك فيه شيئاً رجعت بخفي حنين وإذا تأمل من له بصر بأساليب البيان وتصاريف اللسان وجد موقع هذا الكلام من العربية والحكمة كلّيهما موقعاً حسناً بلّيغاً فإنّ نقيض هذه الحال المذكورة أن يكون القلب مقبلاً على الحق والعلم والذكر معرضاً عن ذكر غير ذلك وتلك هي الحنيفة دين إبراهيم عليه السلام فإن الحنف هو الميل عن الشيء بالإقبال على آخر فالدين الحنفي هو الإقبال على الله وحده والإعراض عما سواه وهو الإخلاص الذي ترجمته كلمة الحق والكلمة الطيبة لا إله إلا هو الله ثبتنا عليها في الدنيا وفي الآخرة ولا حول ولا قوّة إلا بالله¹

العنان أشد الأعضاء إرتباطاً بالقلب

قال الله تعالى {وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئَدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} النحل 78 فان البصر يرى غير مباشرة المرئي والذوق والشم واللمس لا يحصل له الاحساس إلا ب مباشرة المحسوس والسمع وإن كان يحس الأصوات فالمقصود الأعظم به معرفة الكلام وما يخبر به المخبرون من العلم وهذا سبب تقضيل طائفة من الناس ل السمع على البصر كما ذهب إليه ابن قتيبة وغيره وقال الأكثرون البصر أفضل من السمع والتحقيق أن إدراك البصر أكمل كما قاله الأكثرون كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ليس المخبر كالمعايير لكن السمع يحصل به من العلم لنا أكثر مما يحصل ب البصر أقوى وأكمل والسمع أعم وأشمل وهاتان الحاستان هما الأصل في العلم بالمعلومات التي يمتاز بها الإنسان عن البهائم استطراد ولهذا يقرن الله بينهما الفؤاد في مواضع قوله تعالى {إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادُ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُلٌ} الإسراء 36 وقوله تعالى {وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئَدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} النحل 78²

¹الفتاوى الكبرى ج: 1 ص: 325 - 332 و مجموع الفتاوى ج: 9 ص: 307-319

²الرد على المنطقين ج: 1 ص: 96

و ليس من الأعضاء أشد إرتباطا بالقلب من العينين و لهذا جمع بينهما في قوله **{وَنَقْلَبُ أَفْنَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ}** الأنعام 110 **{تَنْقِبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ}** النور 37 **{وَإِذْ رَأَيْتُ الْأَبْصَارَ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ}** الأحزاب 10 **{قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاحْفَةٌ}** 8 **{أَبْصَارٌ هَا خَاسِعَةٌ}** 9 **{النَّازُّاتُ 8-9}** و لأن كليهما له النظر فنظر القلب الظاهر بالعينين والباطن به وحده¹

ذكر الله في سورة النحل أصول النعم وتمامها

قال تعالى **{أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوَّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لَّفَوْمٌ يُؤْمِنُونَ}** 79 **{وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخْفَوْنَهَا يَوْمٌ ظَعْنَكُمْ وَيَوْمٍ إِقْلَامَتُكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينَ}** 80 **{وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ طِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتَمَّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ}** 81 **{فَإِنْ تَوَلُّوا فَإِنَّمَا عَلَيْكُمُ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ}** 82 **{يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنَكِّرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ}** 83 **{النَّحْلُ 79-83}** والله تعالى ذكر في سورة النحل إنعامه على عباده فذكر في أول السورة أصول النعم التي لا يعيش بنو آدم إلا بها وذكر في أثنائها تمام النعم التي لا يطيب عيشهم إلا بها فذكر في أولها الرزق الذي لابد لهم منه وذكر ما يدفع البرد من الكسوة بقوله **{وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ}** النحل 5 ثم في أثناء السورة ذكر لهم المساكن والمنافع التي يسكنونها مساكن الحاضرة والبادية ومساكن المسافرين فقال تعالى **{وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا}** النحل 80 الآية ثم ذكر إنعامه بالظلل التي تقيم الحر والباس فقال **{وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ طِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا}** النحل 81 إلى قوله **{كَذَلِكَ يُتَمَّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ}** النحل 81 ولم يذكر هنا ما يقي من البرد لأنه قد ذكره في أول السورة وذلك في أصول النعم لأن البرد يقتل فلا يقدر أحد أن يعيش في البلاد الباردة بلا دفء بخلاف الحر فإنه أذى لكنه لا يقتل كما يقتل البرد فإن الحر قد يتقوى بالظلل والباس وغيرهما وأهله أيضا لا يحتاجون إلى وقاية كما يحتاج إليه البرد بل أدنى وقاية تكفيهم وهم في الليل وطرف النهار لا يتذدون به تأذيا كثيرا بل لا يحتاجون إليه أحيانا حاجة قوية فجمع بينهما في قوله **{سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ}** النحل 81²

أن قوله **{تَقِيكُمُ الْحَرَّ}** النحل 81 على بابه وليس في الآية ذكر البرد وإنما يقول إن المعطوف محفوظ هو الفراء و أمثله من أنكر عليهم الأئمة حيث يفسرون القرآن بمجرد ظنهم وفهمهم لنوع من علم العربية عندهم و كثيرا لا يكون ما فسروا به مطابقا و ليس في الكلام ما يدل على ذكر البرد ولكن الله ذكر في هذه السورة إنعامه على عباده و تسمى سورة النعم فذكر في أولها أصول النعم التي لابد منها و ذكر في أثنائها تمام النعم و كان ما يقي

¹ مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 225

² مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 256

البرد من أصول النعم ذكر في أول السورة في قوله {وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعٌ} النحل 5 فالداء ما يدفعه و يدفع البرد والبرد الشديد يوجب الموت بخلاف الحر فقد مات خلق من البرد بخلاف الحر فإن الموت منه غير معناد و لهذا قال بعض العرب البرد بؤس و الحر أذى فلما ذكر في أثنائها تمام النعم ذكر الظلل و ما يقي الحر و ذكر الأسلحة و ما يقي القتل فقال {وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلًاً وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بِأَسْكُمْ كَذَلِكَ يُتْمِ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ} النحل 81 ذكر أنه يتم نعمته كما بين ذلك في هذه الآيات فقال {كَذَلِكَ يُتْمِ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ} النحل 81 و فرق بين الظلل والأكنان فإن الظلل يكون بالشجر و نحوه مما يظل و لا يكن بخلاف ما في الجبال من الغيران فإنه يظل و يكن فهذا في الأمكانة ثم قال في اللباس {وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بِأَسْكُمْ} النحل 81 فهذا في اللباس و اللباس و المساكن كلها تقي الناس ما يؤذيه من حر و برد و عدو و كلها تسترهم عن أعين الناظرين و في البيوت خاصة يسكنون كما قال {وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخْفُونَهَا يَوْمَ ظَعْنَكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتُكُمْ} النحل 80 فلما ذكر البيوت المسكونة إمتن بكونه جعلها سكنا يسكنون فيها من تعب الحركات و ذكر أنه جعل لهم بيوتا أخرى يحملونها معهم و يستخفونها يوم ظعنهم و يوم إقامتهم ذكر البيوت الثقيلة التي لا تحمل و الخيفية التي تحمل¹

فالناس رجلان مقيم ومسافر ولها كانت أحكام الناس في الكتاب والسنة أحد هذين الحكمين إما حكم مقيم وإما حكم مسافر وقد قال تعالى {يَوْمَ ظَعْنَكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتُكُمْ} النحل 80 فجعل للناس يوم ظعن و يوم إقامة²

أفعال العباد حادثة بمشيئة الله وقدرته و خلقه

قال تعالى {أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوَّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لَّفَوْمٌ يُؤْمِنُونَ} 79 وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخْفُونَهَا يَوْمَ ظَعْنَكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتُكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِين} 80 وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مَمَّا خَلَقَ ظِلًاً وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بِأَسْكُمْ كَذَلِكَ يُتْمِ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ} 81 فَإِنْ تَوَلُّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكُمُ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ} 82 يَعْرُفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنَكِّرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ} 83 النحل 79-83 إن كل ما في الوجود فهو مخلوق له خلقه بمشيئته و قدرته و ما شاء كان و مالم يشأ لم يكن و هو الذي يعطى و يمنع و يخفض و يرفع و يعز و يذل و يغنى و يفقر و يضل و يهدى و يسعد و يشقى و يولي الملك من يشاء و ينزعه من يشاء و يشرح صدر من يشاء للإسلام و يجعل صدر من يشاء ضيقا كأنما يصعد في السماء و هو يقلب القلوب ما

¹ مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 160-162

² مجموع الفتاوى ج: 24 ص: 136

من قلب من قلوب العباد إلا و هو بين إصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أن يقيمه أقامه وإن شاء أن يزوجه أزاغه و هو الذى حب إلى المؤمنين الإيمان و زينه فى قلوبهم و كره إليهم الكفر و الفسق و العصيان أولئك هم الراشدون وهو الذي جعل المسلم مسلما و المصلي مصليا قال الخليل {رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمَنْ دُرِّيَتْنَا أَمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ} البقرة 128 و قال {رَبِّ اجْعُلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةَ وَمَنْ دُرِّيَتِي} إبراهيم 40 و قال تعالى {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَمَّةً يَهُدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا} السجدة 24 و قال عن آل فرعون {وَجَعَلْنَاهُمْ أَمَّةً يَذْعُونَ إِلَى النَّارِ} القصص 41 و قال تعالى {إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هُلُوقًا} 19 {إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا} 20 {وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مُثُوعًا} 21 المعارض 19-21 وقال {وَاصْنَعْ الْفُلَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيَنَا} 37 هود و قال {وَيَصْنَعُ الْفُلَكَ} 38 هود و الفلك مصنوعة لبني آدم وقد أخبر الله تبارك و تعالى أنه خلقها بقوله {وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ} يس 42 وقال {وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَناً وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتاً} تَسْتَخْفُونَهَا يَوْمَ طَعْنُكُمْ وَيَوْمَ أَقْمَتُكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينَ} 80 وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَاسِكُمْ كَذَلِكَ يُتْمِ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ} 81 النحل 80-81 وهذه كلها مصنوعة لبني آدم وقال تعالى {أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتونَ} 95 {وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} 96 الصافات 95-96 فما بمعنى الذي ومن جعلها مصدرية فقد غلط لكن إذا خلق المنحوت كما خلق المصنوع والملبوس والمبنى دل على أنه خالق كل صانع وصنعته وقال تعالى {مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهَدِّدُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا} مُرْشِدًا} الكهف 17 وقال {فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَسْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدُ أَنْ يُضْلِلَهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا} الأنعام 125 وهو سبحانه خالق كل شيء وربه ومليكه ولو فيما خلقه حكمة بالغة ونعمه سابعة ورحمة عامة وخاصة وهو لا يسأل عما بفعل وهم يسألون لا لمجرد قدرته وقهره بل لكمال علمه وقدرته ورحمته وحكمته فإنه سبحانه وتعالي أحكم الحاكمين وأرحم الرحيمين وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها وقد أحسن كل شيء خلقه وقال تعالى {وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ} صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ} النمل 88 وقد خلق الأشياء بأسباب كما قال تعالى {وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنِ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا} البقرة 164 وقال {فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ النَّمَرَاتِ} الأعراف 57 وقال تعالى {يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُّلَ السَّلَامِ} المائدة 16¹

وجمهور أهل السنة يقولون إن العبد فاعل لفعله حقيقة لا مجازا وإنما نازع في ذلك طائفه من متكلمه أهل الایثار كالأشعري ومن اتباعه القرآن مملوء بما يدل على أن أفعال العبد حادثة بمشيئة الله وقدرته وخلقه فيجب الإيمان بكل ما في القرآن ولا يجوز أن نؤمن ببعض الكتاب ونكفر ببعض وقال تعالى {وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَا حَمَلْنَا دُرِّيَتْهُمْ فِي الْفُلَكِ الْمُشْحُونِ} 41 {وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ} 42 يس 41-42 والفالك من مصنوعات بني آدم وهذا مثل قوله تعالى {وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} الصافات 96 فإن طائفه المثبتة للقدر قالوا إن ما ها هنا مصدرية وأن المراد خلقكم وخلق أعمالكم وهذا ضعيف جدا والصواب أن ما ها هنا بمعنى الذي وأن المراد والله خلقكم والأصنام

¹ مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 78

التي تعملونها كما في حديث حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله خلق كل صانع وصنعته وأنه قال {أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِيُونَ} 95 {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} 96 الصافات 95-96 فذمهم وأنكر عليهم عبادة ما ينحوه من الأصنام ثم ذكر أن الله خلق العابد والمعبد والمنحوت وهو سبحانه الذي يستحق أن يعبد ولو أريد والله خلقكم وأعمالكم كلها لم يكن هذا مناسباً فإنه قد ذمهم على العبادة وهي من أعمالهم فلم يكن في ذكر كونه خالقاً لأعمالهم ما يناسب الذم بل هو إلى العذر أقرب ولكن هذه الآية تدل على أنه خالق لأعمال العباد من وجه آخر وهو أنه إذا خلق المعمول الذي عملوه وهو الصنم المنحوت فقد خلق التأليف القائم به وذلك مسبب من عمل ابن آدم وخلق المسبب خالق السبب بطريق الأولى وصار هذا قوله {وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِّنْ مَّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ} 42يس 42 ومعلوم أن السفن إنما ينجر خشبها ويركبها بني آدم فالفلك معمولة لهم كما هي الأصنام معمولة لهم وكذلك سائر ما يصنعونه من الثياب والأطعمة والأبنية فإذا كان الله قد أخبر أنه خلق الفلك المشحون وجعل ذلك من آياته وما أنعم الله به على عباده علم أنه خالق أفعالهم وعلى قول القدرة لم يخلق إلا الخشب الذي يصلح أن يكون سفناً وغير سفن ومعلوم أن مجرد خلق المادة لا يوجب خلق الصورة التي حصلت بأفعال بني آدم إن لم يكن خالقاً للصورة ومثل هذا قوله تعالى {وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخْفُونَهَا يَوْمَ ظَعْنَكُمْ وَيَوْمَ إِقْرَامَتُكُمْ} النحل 80 إلى قوله {وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيمُ بَاسَكُمْ كَذَلِكَ يُتْمِ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ شُلَمُونَ} النحل 81 ومعلوم أن خلق البيوت المبنية والسرابيل المصنوعة هو كخلق السفن المنجورة وقد أخبر الله أن الفلك صنعة بني آدم مع إخباره أنه خلقها كما قال تعالى عن نوح عليه السلام {وَيَصْنَعُ الْفَلَكَ} هود 38 وأيضاً في القرآن من ذكر تفصيل أفعال العباد التي بقلوبهم وجوارحهم وأنه هو تبارك وتعالى يحدث من ذلك ما يطول وصفه¹

فإله تعالى خلق الإنسان بجميع أعراضه وحركاته من أعراضه فقد تبين أنه خلق أعمالهم بقوله {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ} الصافات 96 وما تولد عنها من النحت والتصوير بقوله {وَمَا تَعْمَلُونَ} الصافات 96 فثبت أنها دالة على أنه خالق هذا وهذا وهو المطلوب مع أن الآيات الدالة على خلق أعمال العباد كثيرة كما تقدم التبيه عليها لكن خلقه للمصنوعات مثل الفلك والأبنية واللباس هو نظير خلق المنحوتات كقوله تعالى {وَآيَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ} 41 {وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِّنْ مَّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ} 42يس 42 وقوله تعالى {وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيمُ بَاسَكُمْ كَذَلِكَ يُتْمِ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ شُلَمُونَ} النحل 81²

¹ منهاج السنة النبوية ج: 3 ص: 259-263

² منهاج السنة النبوية ج: 3 ص: 339-340

المساكن من جنس الملابس كلاهما جعل في الأصل للوقاية ودفع الضر

قال تعالى { أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوَّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِيَاتٍ لَقُومٌ يُؤْمِنُونَ }⁷⁹ { وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخْفُونَهَا يَوْمَ طَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقْلَامِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينَ }⁸⁰ { وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ طِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُم سَرَابِيلَ تَقِيمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيمُ بَاسُكُمْ كَذَلِكَ يُتَمَّ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ }⁸¹ { فَإِنْ تَوَلُوا فَإِنَّمَا عَلَيْكُمُ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ }⁸² { يَعْرُفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنَكِّرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ }⁸³ اللباس له منفعتان إداهاما الزينة بستر السوءة والثانية الوقاية لما يضر من حر أو برد أو عدو ذكر اللباس في سورة الأعراف لفائدة الزينة وهي المعتبرة في الصلاة والطواف كما دل عليه قوله { خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ }⁸⁴ { الأعراف 31 } وقال { يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سُوءَاتِكُمْ }⁸⁵ { الأعراف 26 } وقال { قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيَّبَاتِ مِنِ الرِّزْقِ }⁸⁶ { الأعراف 32 } ردا على ما كانوا عليه في الجاهلية من تحريم الطواف في الثياب الذي قدم بها غير الحمس ومن أكل من سلوه من الأدهان وذكره في النحل لفائدة الوقاية في قوله { وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيمُ بَاسُكُمْ كَذَلِكَ يُتَمَّ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ }⁸⁷ النحل 81 ولما كانت هذه الفائدة حيوانية طبيعية لا قوام للإنسان إلا بها جعلها من النعم ولما كانت تلك فائدة كمالية قرناها بالأمر الشرعي وتلك الفائدة من باب حلب المنفعة بالتزين وهذه من باب دفع المضرة فالناس إلى هذه احوج فاما قوله { سَرَابِيلَ تَقِيمُ الْحَرَّ }⁸⁸ النحل 81 ولم يذكر البرد فقد قيل لأن التنزيل كان بالأرض الحارة فهم يتخوفونه وقيل حذف الآخر للعلم به ويقال هذا من باب التنبية فإنه إذا إمتن عليهم بما يقي الحر فالإمتنان بما يقي البرد أعظم لأن الحر أذى والبرد بؤس والبرد الشديد يقتل والحر قل إن يقع فيه هكذا فإن باب التنبية والقياس كما يكون في خطاب الأحكام يكون في خطاب الآلاء وخطاب الوعد وخطاب الوعيد كما قلتاته في قوله { لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارٌ جَهَنَّمَ أَشَدُ حَرًّا }⁸⁹ التوبة 81 مثله من يقول لا تنفروا في البرد فإن جهنم أشد زمهريرا ومن أغبرت قدماء في سبيل الله حر مهما الله على النار فالوحول والثلج أعظم ونحو ذلك وفي الآية شرع لباس جن الحرب ولهاذا قرن من قرن باب اللباس والتحلى بالصلة لأن للحرب لباسا مختصا مع اللباس المشترك وطابق وقولهم اللباس والتحلى قوله { يُحَلُّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ }⁹⁰ الحج 23 وأحسن من هذا أنه قد تقدم ذكر وقاية البرد في أول السورة بقوله { وَالْأَنْعَامُ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ }⁹¹ النحل 5 فيقال لم فرق هذا فيقال والله اعلم المذكور في أول السورة النعم الضرورية التي لا يقومون بدونها من الأكل وشرب الماء القرابح ودفع البرد والركوب الذي لابد منه في النقلة وفي آخرها ذكر كمال النعم من الأشربة الطبية والسكنون في البيوت وبيوت الأدم والإستظلال بالظلال ودفع الحر والباس بالسرابيل فإن هذا يستغني عنه في الجملة ففي الأول الأصول وفي الآخر الكمال ولهاذا قال { كَذَلِكَ يُتَمَّ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ }⁹² النحل 8 و أيضا فالمساكن لها منفعتان إداهاما السكون فيها لأجل الإستئثار فهي كلباس الزينة من هذا الوجه والثاني وقاية الأذى من الشمس والمطر والريح ونحو ذلك فجمع الله الإمامتان بهذهين فقال { وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا }⁹³ النحل 80 هذه بيوت المدر { وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخْفُونَهَا يَوْمَ طَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقْلَامِكُمْ }⁹⁴ النحل 80 هذه بيوت العمود { وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينَ }⁹⁵ النحل 80 ومن أصوافها وأبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين يدخل فيه أهبة البيت من البسط والأعية والأغطية ونحوها وقال { مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا }⁹⁶ النحل 80 ولم يقل من المدر بيوتا كما قال { مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا }

{النحل 80 لأن السكن بيّان منفعة البيت فيه تظهر النعمة وإتخاذ البيوت من المدر معناد فالنعمة بظهور أثرها بخلاف الأنعام فإن الهدایة إلى إتخاذ البيوت من جلودها أظهر من الهدایة إلى نفس إتخاذ البيوت وأما فائدة الوقاية فقال {وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا} {النحل 81} فالظلال يعم جميع ما يظل من العرش والفساطيط والسقوف مما يصطنعه الأدميون وقوله {مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا} {النحل 81} لأن الجبل يكن الإنسان من فوقه ويمينه ويساره واسفل منه ليس مقصوده الإستظلال بخلاف الظلال فإن مقصودها الإستظلال ولهذا قرن بهذه ما في السرابيل من منفعة الوقاية فجمع في هذه الآية بين وقاية اللباس المنتقل مع البدن ووقاية الظلال الثابتة على الأرض ولهذا كانوا في الجاهلية يسونون بينهما في حق المحرم فكما نهى عن تغطية الرأس فهو عن الدخول تحت سقف حتى أنزل الله {وَلَيْسَ الْبَرُ بِأَنْ تَأْتُوا بِالْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا} البقرة 189 وجاز للحر أن يستظل بالثابت من الخيام والشجر وأما لا شيء المنتقل معه المتصل كالحمل ففيه ما فيه لتردده بين السرابيل وبين المستقر من الظلال والأكنة كما أنه قبل هذه الآيات ذكر أصناف الأشربة من اللبن والخمر والعسل وذكر في أول السورة المراكب والأطعمة وهذه مجتمع المطاعم والمشارب والملابس والمساكن والمراكب¹

أن البيوت ستة كالثياب التي على البدن كما جمع بين اللباسين في قوله تعالى {وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيمُ بِأَسْكُنْ} {النحل 81} فكل منها وقاية من الأذى الذي يكون سوماً مؤدياً كالحر والشمس والبرد وما يكون من بني آدم من النظر بالعين واليد وغير ذلك وقد ذكر في أول سورة النحل أصول النعم وذكر هنا ما يدفع البرد فإنه من المهلكات وذكر في أثنائها تمام النعم وما يدفع الحر فإنه من المؤذيات ثم قال {كَذَلِكَ يُتْمَ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ} {النحل 81}²

ومعلوم أن المساكن من جنس الملابس كلاهما جعل في الأصل للوقاية ودفع الضرار كما جعل الأكل والشرب لجلب المنفعة فاللباس يتقوى الإنسان به الحر والبرد ويتقى به سلاح العدو وكذلك المساكن يتقوى بها الحر والبرد ويتقى بها العدو وقال تعالى {وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيمُ بِأَسْكُنْ كَذَلِكَ يُتْمَ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ} {النحل 81} ذكر في هذا الموضع ما يحتاجون لدفع ما قد يؤذيهما وذكر في أول السورة ما يضطرون إليه لدفع ما يضرهم فقال {وَالْأَنْعَامُ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ} {النحل 5} ذكر ما يستفئون به ويدفعون به البرد لأن البرد يهلكهم والحر يؤذيهما ولهذا قال بعض العرب البرد بؤس والحر أذى ولهذا السبب لم يذكر في الآية الأخرى وقاية البرد فإن ذلك تقدم في أول السورة

¹ مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 218-220

² مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 379

وهو ذكر في الثناء السورة ما أتم به النعمة وذكر في أول السورة أصول النعم ولهذا قال { كَذَلِكَ يُتَمَّ
نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ } النحل 81¹

يجب علىخلق الاقرار بما جاء به النبي

قال تعالى { يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنَكِّرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ } 83 { وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا
ثُمَّ لَا يُؤْدِنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ } 84 { وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ
يُنَظَّرُونَ } 85 { وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هُوَ لَاءُ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوْ مِنْ دُونِكَ
فَالْقُوَّا إِلَيْهِمُ الْقَوْلُ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ } 86 { وَالْقُوَّا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَامُ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ } 87
الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ } 88 } النحل 83-88

يجب علىخلق الاقرار بما جاء به النبي فما جاء به القرآن العزيز أو السنة المعلومة وجوب علىخلق الاقرار به جملة وتفصيلا عند العلم بالتفصيل فلا يكون الرجل مؤمنا حتى يقر بما جاء به النبي وهو تحقيق شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فمن شهد أنه رسول الله شهد أنه صادق فيما يخبر به عن الله تعالى فان هذا حقيقة الشهادة بالرسالة اذ الكاذب ليس برسول فيما يكذبه وقد قال الله تعالى { وَلَوْ تَقُولَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَوِيلِ } 44 { لَأَخْذَنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ } 45 { ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينِ } 46 } الحاقة 44-46 وبالجملة فهذا معلوم بالاضطرار من دين الاسلام لا يحتاج الى تقريره هنا وهو الاقرار بما جاء به النبي وهو ما جاء به من القرآن والسنة كما قال الله تعالى { كَمَا أَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَنْذِلُونَ عَلَيْكُمْ وَيُزَكِّيْكُمْ وَيَعْلَمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيَعْلَمُكُمْ مَا لَمْ تَكُنُواْ تَعْلَمُونَ } البقرة 151 وقال تعالى { وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ الْكِتَابِ
وَالْحِكْمَةَ يَعْطِيْكُمْ بِهِ } البقرة 231 ومما جاء به الرسول له بالبلاغ المبين كما قال تعالى
{فَإِنْ تَوَلُّوْ فَإِنَّمَا عَلَيْكُمُ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ } النحل 82 وقال تعالى { وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزَّلَ
إِلَيْهِمْ } النحل 44 وقال تعالى { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلْغُ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ
رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ } المائدة 67 ومعلوم أنه قد بلغ الرسالة كما أمر ولم يكتم منها شيئاً فان كتمان ما أنزله الله اليه ينافي موجب الرسالة كما أن الكذب ينافي موجب الرسالة ومن المعلوم من دين المسلمين أنه معصوم من الكتمان لشيء من الرسالة كما أنه معصوم من الكذب فيها والأمة تشهد له بأنه بلغ الرسالة كما أمره الله وبين ما أنزل اليه من ربها وقد أخبر الله بأنه قد أكمل الدين وإنما كمل بما بلغه اذ الدين لم يعرف الا بتبلیغه فعلم أنه بلغ جميع الدين الذي شرعه الله لعباده كما قال صلى الله عليه وسلم تركتكم على البيضاء ليلاها كنهارها لا يزيغ عنها بعدى الا هالك وقال ما تركت من شيء يقربكم الى الجنة الا وقد حدثكم به وما من شيء يبعدهم عن النار الا وقد حدثكم به وقال أبو ذر لقد توفى رسول الله وما طائر يقلب جناحيه في السماء الا ذكر لنا منه علماء²

¹ مجموع الفتاوى ج: 22 ص: 151

² مجموع الفتاوى ج: 5 ص: 156

الأمر المطلق يقتضي وجوب الطاعة وذم المتولى عن الطاعة

قال تعالى {يَعْرُفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنَكِّرُونَهَا وَأَكْثُرُهُمُ الْكَافِرُونَ} 83 {وَيَوْمَ تَبَعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا لَمْ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ} 84 {وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ} 85 {وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءً هُمْ قَالُوا رَبَّنَا هُوَ لَاءُ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِنْ دُونِكُ فَأَلْقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ} 86 {وَأَلْقُوا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَامَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ} 87 {الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ} 88 النحل 83-88

قال تعالى {فَإِنْ تَوَلُّوا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ} النحل 82 وقال تعالى {لَا يَصْلَحَا إِلَّا الأَشْقَى} 15 {الَّذِي كَذَبَ وَتَوَلَّى} 16 الليل 15-16 أى كذب بالخبر وتولى عن طاعة الأمر وانما على الخلق أن يصدقوا الرسل فيما أخبروا ويطيعوهم فيما أمرموا وكذلك قال في فرعون {فَكَذَبَ وَعَصَى} 31 النازعات 21 وقال عن جنس الكافر {فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى} 31 ولكن كذب وَتَوَلَّى} 32 القيامة 31-32 فالتكذيب للخبر والتولى عن الأمر وانما الايمان تصديق الرسل فيما اخبروا وطاعتهم فيما أمرموا ومنه قوله {إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا} 15 فعصى فرعون الرسول فأخذته أخذًا وبإيلا} 16 المزمول 15-16 ولفظ التولى بمعنى التولى عن الطاعة مذكور في مواضع من القرآن كقوله {سَتَذَعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَئِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتَكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلٍ يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} الفتح 16 وذمه في غير موضع من القرآن من تولى دليل على وجوب طاعة الله ورسوله وان الأمر المطلق يقتضي وجوب الطاعة وذم المتولى عن الطاعة كما علق النز بمطلق المعصية في مثل قوله {فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ} المزمول 16¹

الدعاء قصد المدعو إما على وجه المسألة وإما على وجه العبادة المحضة

قال تعالى {وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءً هُمْ قَالُوا رَبَّنَا هُوَ لَاءُ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِنْ دُونِكُ فَأَلْقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ} 86 {وَأَلْقُوا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَامَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ} 87 النحل 86-87 و الدعاء قصد المدعو و التوجه إليه إما على وجه المسألة و إما على وجه العبادة المحضة لأن دعاء الشيء هو طلبه و إرادته سواء طلب لذاته أو للأمر منه و من ذلك قوله تعالى {وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَحِبْ لَكُمْ} غافر 60 فإنه فسر بالمسألة وبالعبادة و قوله تعالى {قَالُوا رَبَّنَا هُوَ لَاءُ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِنْ دُونِكُ فَأَلْقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ} النحل 86²

¹ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 60

² شرح العمدة ج: 4 ص: 28

النار دركات

قال تعالى { يَعْرُفُونَ نَعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنَكِّرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ } 83 { وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْدِنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْنَبُونَ } 84 { وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنَظَّرُونَ } 85 { وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هُوَ لَاءُ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوْ مِنْ دُونِكَ فَالْقُوَّا إِلَيْهِمُ الْقَوْلُ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ } 86 { وَالْقُوَّا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذِ السَّلَامُ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ } 87 { الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ } 88 } النحل 83-88

ان الأمور المذمومة في الشريعة هو ما ترجح فساده على صلاحته كما أن الأمور المحمودة ما ترجح صلاحته على فساده فالحسنات تغلب فيها المصالح والسيئات تغلب فيها المفاسد والحسنات درجات بعضها فوق بعض والسيئات بعضها أكبر من بعض فكما أن أهل الحسنات ينقسمون إلى الأبرار المقتضدين والسابقين المقربين فأهل السيئات ينقسمون إلى الفجار الظالمين والكافر المكذبين وكل من هؤلاء هم درجات عند الله ومن المعلوم أن الحسنات كلما كانت أعظم كان صاحبها أفضل فإذا انتقل الرجل من حسنة إلى أحسن منها كان في مزيد التقريب وإن انتقل إلى ما هو دونها كان في التأخر والرجوع وكذلك السيئات كلما كانت أعظم كان صاحبها أولى بالغضب واللعنة والعقاب قال تعالى يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ المجادلة 11 وكذلك قال في السيئات { زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ } النحل 88¹

فإن الله أخبر بزيادة الكفر كما أخبر بزيادة الإيمان بقوله { إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةً فِي الْكُفْرِ } التوبة 37 وتارك الصلاة وغيرها من الأركان أو مرتكب الكبائر كما أخبر بزيادة عذاب بعض الكفار على بعض في الآخرة بقوله { الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ } النحل 88²

فعقاب من كثرة سياته من الكفار أعظم من عقاب من قلت سياته من الكفار ومن كان له حسنات خفف عنه العذاب كما أن أبا طالب أخف عذابا من أبي لهب وقال تعالى { الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ } النحل 88 وقال تعالى { إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةً فِي الْكُفْرِ } التوبة 37 والنار دركات³

لا يجوز لأحد أن يعدل عما جاء في الكتاب والسنة واتفق عليه سلف الأمة

¹ الاستقامة ج: 1 ص: 462

² مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 472
³ مجموع الفتاوى ج: 4 ص: 306

قال تعالى { وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هُؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ } النحل¹ لا يجوز لأحد أن يعدل بما جاء في الكتاب والسنة واتفاق عليه سلف الأمة وأئمتها إلى ما احدثه بعض الناس عقيدة ولا عبادة من عنده بل خلاف ذلك أو يوقع الناس في خلاف ذلك وليس لأحد أن يضع للناس عقيدة ولا عبادة من عنده بل عليه أن يتبع ولا يبتعد ويقتدى فان الله سبحانه بعث محمدا { بِالْهُدَى وَدِينَ الْحَقِّ يُظْهِرُهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا } الفتح 28 وقال له { قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَذْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةِ أَنَا وَمَنْ أَتَّبَعَنِي } يوسف 108 وقال تعالى { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَّتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينَنَا } المائدة 3 والنبي عليه السلام علم المسلمين ما يحتاجون إليه في دينهم فأخذ المسلمين جميع دينهم من الاعتقادات والعبادات وغير ذلك من كتاب الله وسنة رسوله وما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها وليس ذلك مخالفًا للعقل الصريح فان ما خالف العقل الصريح فهو باطل وليس في الكتاب والسنة والاجماع باطل ولكن فيه الفاظ قد لا يفهمها بعض الناس أو يفهمون منها معنى باطلا فالآفة منهم لا من الكتاب والسنة فان الله تعالى قال { وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ } النحل²

قال تعالى { وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هُؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ } النحل³ فان الله انزل الكتاب والميزان وأرى الناس آياته في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم ان القرآن حق وأما العمليات وما يسميه ناس الفروع والشرع والفقه فهذا قد بينه الرسول أحسن بيان فما شاء مما أمر الله به أو نهى عنه أو حله أو حرمه الا بين ذلك وقد قال تعالى { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ } المائدة 3 وقال تعالى { مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدِيهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } يوسف 111 وقال تعالى { وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ } النحل⁴ وقال تعالى { تَاهَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ مِنْ قَبْلِكَ فَرَبِّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلَيْهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } 63 { وَمَا أَنَّزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } 64 النحل 63 - 64 فقد بين سبحانه أنه ما أنزل عليه الكتاب إلا ليبين لهم الذي اختلفوا فيه كما بين أنه أنزل جنس الكتاب مع النبيين ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه⁵

تكلف الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة

¹ مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 491

² مجموع الفتاوى ج: 19 ص: 174

قال تعالى { وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ }¹ النحل 89 أصل جامع في الاعتصام بكتاب الله ووجوب اتباعه وبيان الاهتداء به في كل ما يحتاج إليه الناس من دينهم وأن النجاة والسعادة في اتباعه والبقاء في مخالفته وما دل عليه من اتباع السنة والجماعة قال الله تعالى { قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنْيَ هُدًى فَمَنْ اتَّبَعَ هُدًى فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى }² 123 { وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنَكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى }³ 124 { قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا }⁴ 125 { قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَّتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى }⁵ 126 طه 123-126 قال ابن عباس تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ثم قرأ هذه الآية وقال تعالى { وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ }⁶ النحل 89

و قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح ما اجتمع قوم في بيته من بيوت الله يتلون كتاب الله و يتدارسونه بينهم إلا غشيتهم الرحمة و تنزلت عليهم السكينة و حفتهم الملائكة و ذكرهم الله فيما عنده وقد ذكر الله في غير موضع من كتابه أن الرحمة تحصل بالقرآن قوله تعالى { وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ }⁷ النحل 89

في كتاب الله الأمر باتباع السنة واتباع سبيل المؤمنين

قال تعالى { وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ }⁸ النحل 89 فان ما دل كتاب الله على إباحته بعمومه فانه في كتاب الله لأن قولنا هذا في كتاب الله يعم ما هو فيه بالخصوص وبالعموم وعلى هذا معنى قوله تعالى { وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ }⁹ النحل 89 قوله { وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَقْسِيلَ كُلِّ شَيْءٍ }¹⁰ يوسف 111 قوله { مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ }¹¹ الأنعام 38 على قول من جعل الكتاب هو القرآن وأما على قول من جعله اللوح المحفوظ فلا يجيء هنا يدل على ذلك أن الشرط الذي ثبت جوازه بسنة أو إجماع صحيح بالاتفاق فيجب ان يكون في كتاب الله و قد لا يكون في كتاب الله بخصوصه لكن في كتاب الله الأمر

¹ مجموع الفتاوى ج: 19 ص: 80

² الاستقامة ج: 1 ص: 396

باتباع السنة و اتباع سبيل المؤمنين فيكون في كتاب الله بهذا الاعتبار لأن جامع الجامع جامع و دليل الدليل دليل
1 بهذا الاعتبار

فالقرآن فيه تفصيل كل شيء كما قال تعالى { مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ
وَتَفْصِيلٌ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } يوسف 111 وقال { وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ
شَيْءٍ } النحل 89 ومعلوم أن الأمة مأمورة بتبلیغ القرآن لفظه ومعناه كما أمر بذلك الرسول ولا يكون
تبلیغ رسالة الله إلا كذلك وأن تبلیغه إلى العجم قد يحتاج إلى ترجمة لهم فيترجم لهم بحسب الإمكان
والترجمة قد تحتاج إلى ضرب أمثل لتصویر المعاني فيكون ذلك من تمام الترجمة²

الفتن القولية والعملية هي من الجاهلية بسبب خفاء نور النبوة عنهم

قال تعالى { وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا
عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةٍ وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ } النحل 89 قد يشكل على كثير من
الناس نصوص لا يفهمونها فتكون مشكلة بالنسبة إليهم لعجز فهمهم عن معانيها و لا يجوز أن يكون
في القرآن ما يخالف صريح العقل و الحس الا و في القرآن بيان معناه فان القرآن جعله الله شفاء لما
في الصدور و بيانا للناس فلا يجوز أن يكون بخلاف ذلك لكن قد تخفي آثار الرسالة في بعض
الأمكنة و الأزمنة حتى لا يعرفون ما جاء به الرسول صلى الله عليه و سلم إما أن لا يعرفوا اللفظ و
إما أن يعرفوا اللفظ و لا يعرفوا معناه فحينئذ يصيرون في جاهلية بسبب عدم نور النبوة و من هنا
يقع الشرك و تغريق الدين شيئا كالفتنة التي تحدث السيف فالفتنة القولية و العملية هي من الجاهلية
بسبب خفاء نور النبوة عنهم كما قال مالك بن أنس اذا قل العلم ظهر الجفاء و اذا قلت الآثار ظهرت
الأهواء ولهذا شبهت الفتنة بقطع الليل المظلم و لهذا قال أحمد في خطبته الحمد لله الذي جعل
في كل زمان فترة بقایا من أهل العلم فالهدي الحاصل لأهل الأرض انما هو من نور النبوة كما قال
تعالى { فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مُّنِيًّا هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدًى فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَسْقُى } طه 123 فأهل الهدي و
الفلاح هم المتبوعون للأنبياء و هم المسلمون المؤمنون في كل زمان و مكان و أهل العذاب و الضلال
هم المكذبون للأنبياء³

الرد على من قال ان هناك معانى باطنية لا يعلمها عامة الناس

¹ مجموع الفتاوى ج: 29 ص: 163

² مجموع الفتاوى ج: 4 ص: 117

³ مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 312

قال تعالى { وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ } النحل 89

أن الرسول اذا تكلم بكلام وأراد به خلاف ظاهره وضد حقيقته فلا بد أن يبين للأمة أنه لم يرد حقيقته وأنه أراد مجازه سواء عينه أو لم يعينه لا سيما في الخطاب العلمي الذي أريد منهم فيه الاعتقاد والعلم دون عمل الجوارح فإنه سبحانه وتعالى جعل القرآن نوراً وهدى وبياناً للناس وشفاء لما في الصدور وأرسل الرسل لبيان الناس على الله حجة بعد الرسل ثم هذا الرسول الأمي العربي بعث بأفصح اللغات وأبين الألسنة والعبارات ثم الأمة الذين أخذوا عنه كانوا أعمق الناس علمًا وأنصهم للأمة وأبينهم للسنة فلا يجوز أن يتكلم هو وهولاء بكلام يريدون به خلاف ظاهره إلا وقد نصب دليلاً يمنع من حمله على ظاهره أما أن يكون عقلياً ظاهراً مثل قوله وأوتيت من كل شيء فان كل أحد يعلم بعقله أن المراد أوتيت من جنس ما يؤتاه مثلها وكذلك { خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ } الأنعام 102

يعلم المستمع ان الخالق لا يدخل في هذا العموم أو سمعياً ظاهراً مثل الدلالات في الكتاب والسنة التي تصرف بعض الظواهر ولا يجوز أن يحيطهم على دليل خفي لا يستتبعه الا افراد الناس سواء كان سمعياً أو عقلياً لأنه اذا تكلم بالكلام الذي يفهم منه معنى واعاده مرات كثيرة وخطاب به الخلق كلهم وفيهم الذكي والبلدي والفقير وغير الفقيه وقد أوجب عليهم أن يتذروا ذلك الخطاب ويعقولوه ويتفكروا فيه ويعتقدوا موجبه ثم أوجب أن لا يعتقدوا بهذا الخطاب شيئاً من ظاهره لأن هناك دليلاً خفياً يستتبعه أفراد الناس يدل على أنه لم يرد ظاهره كان هذا تدليسًا وتلبيساً وكان نقىضاً للبيان وضد الهدى وهو يالألغاز والاحاجى أشبه منه بالهدى والبيان فكيف اذا كانت دلالة ذلك الخطاب على ظاهره اقوى بدرجات كثيرة من دلالة ذلك الدليل الخفي على أن الظاهر غير مراد أم كيف اذا كان ذلك الخفي شبهة ليس لها حقيقة¹

الاسلام هو الإستسلام لله وهو الخضوع له والعبودية له

قال تعالى { وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ } النحل 89

أن الاسلام دين و الدين مصدر دان يدين ديناً اذا خضع وذل و دين الاسلام الذي ارتضاه الله وبعث به رسالته هو الاستسلام لله وحده فاصله في القلب هو الخضوع لله وحده بعبادته وحده دون ما سواه فمن عبده وعبد معه إليها آخر لم يكن مسلماً ومن لم يعبد بل استكبر عن عبادته لم يكن مسلماً والاسلام هو الإسلام لله وهو الخضوع له والعبودية له هكذا قال أهل اللغة اسلم الرجل اذا استسلم فالإسلام في الأصل من باب العمل عمل القلب والجوارح وقد ذكرنا البشرى المطلقة للمسلمين في قوله { وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ } النحل 89²

¹ مجموع الفتاوى ج: 6 ص: 362-361

² مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 271

قال تعالى { وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ } النحل 89 ولفظ الإسلام يتضمن الاستسلام والانقياد ويتضمن الإخلاص مأخوذه من قوله تعالى { ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرُكَاءٌ مُتَشَابِكُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لَرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثُرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } الزمر 29 فلا بد في الإسلام من الاستسلام لله وحده وترك الاستسلام لما سواه وهذا حقيقة قولنا لا إله إلا الله فمن استسلم لله ولغير الله فهو مشرك والله لا يغفر أن يشرك به ومن لم يستسلم له فهو مستكبر عن عبادته وقد قال تعالى { وَقَالَ رَبُّكُمُ اذْعُونِي أَسْتَحِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ } غافر 60 وثبت عنه صلى الله عليه وسلم في الصحيح أنه قال لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر ولا يدخل النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان فقيل له يا رسول الله الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا فمن الكبر ذلك قال لا إن الله جميل يحب الجمال الكبير بطر الحق وغمط الناس بطر الحق جده ودفعه وغمط الناس ازدراؤهم واحتقارهم¹

{ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ }

قال تعالى { وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ } النحل 89 الأنبياء يشهدون على أممهم²

وأما شهادته للمؤمنين فهو أنها إنما تعلم من جهته بما بلغه من القرآن ويخبر به عن ربه فهو إذا شهد كان شاهدا من الله وأما شهادته عليهم بالایمان والتصديق وغير ذلك فكما في قوله { فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا } النساء 41 { وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا } البقرة 143³

أسماء القرآن

قال تعالى { وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ } النحل 89 أسماء القرآن القرآن الفرقان الكتاب الهدى النور الشفاء البيان الموعظة الرحمة بصائر البلاغ الكريم المجيد العزيز

¹اقضاء الصراط ج: 1 ص: 454

²القواعد النورانية ج: 3 ص: 378
³مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 84

المبارك التنزيل المنزل الصراط المستقيم حبل الله الذكرى تذكرة {**تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ**¹} النحل 89

لطائف لغوية

1- قال تعالى { وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكُوتُ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ } النحل 71 و التسوية جعل الشيئين سواء²

2- قال تعالى { ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَا هُنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوْنَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثُرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } النحل 75 و لفظ الرزق فيه إجمال فقد يراد بلفظ الرزق ما أباحه أو ملكه فلا يدخل الحرام في مسمى هذا الرزق كما في قوله تعالى { وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ } البقرة 3 و قوله تعالى { أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ } البقرة 254 و قوله { وَمَنْ رَزَقْنَا هُنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًا وَجَهْرًا } النحل 75 وأمثال ذلك وقد يراد بالرزق ما ينتفع به الحيوان وإن لم يكن هناك إباحة ولا تملیك فيدخل فيه الحرام كما في قوله تعالى { وَمَا مِنْ ذَآبَةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا } هود 6 و قوله عليه السلام في الصحيح فيكتب رزقه وعمله وأجله وشقى أو سعيد ولما كان لفظ الجبر والرزق ونحوهما فيها إجمال منع الأئمة من إطلاق ذلك نفياً أو إثباتاً كما تقدم عن الأوزاعي وأبي إسحاق الفزاروي وغيرهما من الأئمة³

3- قال تعالى { وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كُلُّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْمَنًا يُوَجِّهُهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعُدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } النحل 76 التسوية جعل الشيئين سواء كما قال { وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ } فاطر 19⁴

4- قال تعالى { وَاللَّهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلْمَحُ البَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } النحل 77 قادر منه عن العجز والضعف¹

¹ مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 2

² مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 133

³ مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 132

⁴ مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 136

5- قال تعالى {وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءُهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هُؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِنْ دُونِكَ فَأَلْقُوا إِلَيْهِمُ الْقُولَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ} 86 {وَأَلْقُوا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَامَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ} 87 وأما لفنته القول ولقيته فتقاه كذلك إذا أردت أن تحفظه بخلاف ما إذا ألقيته إليه فإن هذا ي قوله فيما يخاطبه به وإن لم يحفظه كمن ألقية إليه القول بخلاف القول إنكم لكاذبون وألقوا إليهم السلام وليس هنا إلا خطاب سمعوه لم يحصل نفس صفة المتكلم في المخاطب²

6- قال تعالى {وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءُهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هُؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِنْ دُونِكَ فَأَلْقُوا إِلَيْهِمُ الْقُولَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ} 86 {وَأَلْقُوا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَامَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ} 87 عامة الأسماء يتتوغ مسماها بالاطلاق والتقييد لفظ الضلال اذا أطلق تناول من ضل عن الهدى سواء كان عمدا أو جهلا ولزム أن يكون معذبا كقوله {إِنَّهُمْ أَفَوْا آباءُهُمْ ضَالِّينَ} 69 {فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهَرَّعُونَ} 70 {وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ} 71 الصافات 69-71 وقوله {وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطْعَنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءِنَا فَأَضْلَلُونَا السَّبِيلَا} 67 {رَبَّنَا أَتَهُمْ ضِعِيفَينَ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا} 68 الأحزاب 67-68 وقوله {فَمَنْ اتَّبَعَ هُدًى فَلَا يَضُلُّ وَلَا يَسْقُى} طه 123 ثم يقرن بالغى والغضب كما فى قوله {مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى} النجم 2 وفي قوله {غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} الفاتحة 7 وقوله {إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُرْعِ} 3 {القرآن 47}

7- قال تعالى {وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هُؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبَيَّنَاهُ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ} النحل 89 ورحمته اسم جامع لكل خير ودار الرحمة الخالصة هي الجنة⁴

8- قال تعالى {وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هُؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبَيَّنَاهُ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ} النحل 89 عامة الأسماء يتتوغ مسماها بالاطلاق والتقييد وكذلك لفظ الهدى اذا أطلق تناول العلم الذى بعث الله به

¹ الجواب الصحيح ج: 4 ص: 407

² الجواب الصحيح ج: 4 ص: 75

³ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 167

⁴ مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 65

رسوله والعمل به جمِيعاً فيدخل فيه كل ما أمر الله به كما في قوله {اهدنا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} الفاتحة⁶ والمراد طلب العلم بالحق والعمل به جمِيعاً وكذلك قوله {هُدَى لِلْمُنْتَقِيمِ} البقرة² والمراد به أنهم يعلمون ما فيه ويعملون به ولهذا صاروا مفلحين وكذلك قول أهل الجنة {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا} الأعراف⁴³ وإنما هداهم بأن ألهُمُّهم العلم النافع والعمل الصالح ثم قد يقرن الهدى اما بالاجتباء كما في قوله {وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} الأنعام⁸⁷ وكما في قوله {شَاكِرِاً لَا نُعْمِهُ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ} النحل¹²¹ {اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ} الشورى¹³ وكذلك قوله تعالى {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ} التوبه³³ والهدى هنا هو الإيمان ودين الحق هو الإسلام وإذا أطلق الهدى كان كالإيمان المطلق يدخل فيه هذا وهذا

النحل-90-111

١ { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعْظُمُ لَعْلَكُمْ تَذَكَّرُونَ } ٩٠ { وَأَوْفُوا بِعَهْدَ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ } ٩١ { وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةِ أَنْكَاثًا تَتَخَذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخْلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةً إِنَّمَا يَبْلُوْكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيَبْيَسْنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخَلَّفُونَ } ٩٢ { وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضَلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } ٩٣ { وَلَا تَتَخَذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخْلًا بَيْنَكُمْ فَتَرَلَ قَدْمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذَوَّقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَّدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } ٩٤ { وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثُمَّنَا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } ٩٥ { مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنْجَزِينَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِالْأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } ٩٦ { مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَأَنْجُيَّنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنْجَزِيَّنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِالْأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } ٩٧ { فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ } ٩٨ { إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } ٩٩ { إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَُّونَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ } ١٠٠ { وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ فَالْأُولَاؤْ إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٌ بِلَأَكْثَرِهِمْ لَا يَعْلَمُونَ } ١٠١ { قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدْسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لَيُثْبِتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدِيَ وَبُشِّرَ لِلْمُسْلِمِينَ } ١٠٢ { وَلَقَدْ نَعْلَمَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعْلِمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمٌ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ } ١٠٣ { إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيْهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } ١٠٤ { إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ } ١٠٥ { مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مِنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } ١٠٦ { ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحْبُوْا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ } ١٠٧ { أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعَهُمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ } ١٠٨ { لَا جَرْمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ } ١٠٩ { ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فَتَنُوا ثُمَّ جَاهُدُوا

وَصَبِرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ {110} يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ ثُجَادُلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُؤْفَى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ {111}

الأمر الكوني والأمر الديني

وفد ذكر الله في كتابه الفرق بين الارادة والأمر والقضاء والاذن والتحريم والبعث والارسال والكلام والجعل بين الكوني الذي خلقه وقدره وقضاه وان كان لم يأمر به ولا يحبه ولا يثبت اصحابه ولا يجعلهم من أوليائه المتقين وبين الدينى الذى امر به وشرعه واثاب عليه واكرمه وجعلهم من اوليائه المتقين وحزبه المفلحين وجنه الغالبين وهذا من اعظم الفروق التي يفرق بها بين اولياء الله واعدائه فمن استعمله الرب سبحانه وتعالى فيما يحبه ويرضاه ومات على ذلك كان من اوليائه ومن كان عمله فيما يبغضه الرب ويكرهه ومات على ذلك كان من اعدائه ف الارادة الكونية هي مشيئته لما خلقه وجميع المخلوقات داخلة في مشيئته وارادته الكونية والارادة الدينية هي المتضمنة لمحبته ورضاه المتناولة لما امر به وجعله شرعا وديننا وهذه مختصة بالإيمان والعمل الصالح وأما الأمر فقال في الامر الكوني **{إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}** {يس 82} وقال تعالى **{وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلْمَحٌ بِالْبَصَرِ}** {القمر 50} وقال تعالى **{أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَانَ لَمْ تَعْنَ بِالْأَمْسِ}** {يونس 24} وأما الامر الدينى فقال تعالى **{إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}** {النحل 90} وقال تعالى **{إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤْدُوا أَمَانَاتِ إِلَيْ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً}** ¹ {النساء 58} ²

إن الله سبحانه قد فرق بالقرآن وبالإيمان بين أمره الدينى وخلقه الكونى فإن الله سبحانه خالق كل شيء ورب كل شيء وملكيه سواء فى ذلك الذوات وصفاتها وأفعالها وما شاء الله كان وما لم يشا لم يكن لا يخرج عن مشيئته شيء ولا يكون شيء الا بمشيئته وقد فرق الله في كتابه بين القسمين بين من قام بكلماته الكونيات وبين من اتبع كلماته الدينيات وذلك في أمره وإرادته وقضاءه وحكمه وإن منه وبعثه وارساله فقال في الامر الدينى الشرعى **{إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى}** {النحل 90} وقال في الامر الكوني القدر **{إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}** {يس 82} وبهذا الجمع والتفريق تزول الشبهة في مسألة الأمر الشرعى هل هو مستلزم للإرادة الكونية أم لا فان التحقيق أنه غير مستلزم للإرادة الكونية القدرة وإن كان مستلزمًا للإرادة الدينية الشرعية ²

¹ مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 267 و مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 39 و التحفة العراقية ج: 1 ص: 46

² أمراض القلوب ج: 1 ص: 46 و مجموع الفتاوى ج: 2 ص: 411

تنوع دلالة اللفظ في عمومه وخصوصه بحسب الأفراد والاقتران

قال تعالى {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ
يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} النحل 90

عامة الأسماء يتتنوع مسمها بالاطلاق والتقييد مثل ذلك اسم المعروف و المنكر اذا أطلق كما في قوله تعالى {وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ} آل عمران 104 و قوله {يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ} الأعراف 157 و قوله {كُنُّتُمْ خَيْرًا أُمَّةً أَخْرَجْتُ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ} آل عمران 110 و قوله {وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ} آل عمران 114 و قوله {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ} التوبه 71 يدخل في المعروف كل خير وفي المنكر كل شر ثم قد يقرن بما هو أخص منه قوله {لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ} النساء 114 فغير بين المعروف وبين الصدقة والصلاح بين الناس وكذلك قوله تعالى {إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ} العنكبوت 45 غير

بينهما وقد دخلت الفحشاء في المنكر في قوله {وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ} التوبه 71 ثم ذكر مع المنكر اثنين في قوله {وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ} النحل 90 جعل البغي هنا مغايرا لهما وقد دخل في المنكر في ذلك الموضعين¹

أن لفظ المعروف والمنكر تختلف دلالته بالإطلاق والإقتران ففي قوله {يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ} آل عمران 104 يدخل في لفظ المعروف كل مأمور به وفي لفظ المنكر كل منهى عنه وفي قوله تعالى {إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ} العنكبوت 45 جعل الفحشاء غير المنكر و قوله {وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ} النحل 90 جعل الفحشاء والبغي غير المنكر وإذا قيل هذا من باب عطف الخاص على العام والعام على الخاص فلنناس هنا قولان منهم من يقول الخاص دخل في العام وخاص بالذكر فقد ذكر مرتين ومنهم من يقول تخصيصه بالذكر يقتضى أنه لم يدخل في العام وقد يعطى الخاص على العام كما في قوله {وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ} البقرة 98 و قوله {وَإِذَا أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّنَ مِثَاقَهُمْ وَمِنْكَ} الأحزاب 27 الآية وقد يعطى العام على الخاص كما في قوله تعالى {وَأَوْرَثْتُمُ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطُوَّهَا} الأحزاب 27²

¹ مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 274-276 و مجموع الفتاوى ج: 20 ص: 157 و مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 326 و اقتضاء الصراط ج: 1 ص: 36 و الجواب الصحيح ج: 3 ص: 117 و الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 326

² مجموع الفتاوى ج: 18 ص: 276

وقال تعالى {إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ} العنكبوت 45 والفحشاء من المنكر وكذلك قال {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ} النحل 90 وإيتاء ذي القربى هو من العدل والاحسان كما أن الفحشاء والبغى من المنكر وكذلك قوله {وَالَّذِينَ يُمْسِكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ} الأعراف 170 وإقامة الصلاة من أعظم التمساك بالكتاب وكذلك قوله {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَا رَغْبًا وَرَهْبًا} الأنبياء 90 ودعاؤهم رغبا ورهبا من الخيرات وأمثال ذلك في القرآن كثير وهذا الباب يكون تارة مع كون أحدهما بعض الآخر فيعطى عليه تخصيصا له بالذكر لكونه مطلوبا بالمعنى العام والمعنى الخاص وتارة تكون دلالة الاسم تتتنوع بحال الانفراد والاقتران فإذا أفرد عم وإذا قرن بغيره خص كاسم الفقير والمسكين لما أفرد أحدهما في مثل قوله {لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ} البقرة 273 قوله {إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ} المائدة 89 دخل فيه الآخر ولما قرن بينهما في قوله {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ} التوبه 60 صارا نوعين وقد قيل إن الخاص المعطوف على العام لا يدخل في العام حال الاقتران بل يكون من هذا الباب والتحقيق أن هذا ليس لازما قال تعالى {مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوًّا لِلْكَافِرِينَ} البقرة 98 وقال تعالى {وَإِذَا أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّنَ مِثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ} الأحزاب 7 وذكر الخاص مع العام يكون لأسباب متعددة تارة لكونه له خاصية ليست لسائر أفراد العام كما في نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وتارة لكون العام فيه إطلاق قد لا يفهم منه العموم كما في قوله {هُدًى لِلْمُتَّقِينَ} 2 الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون 3 والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يُوقنون 4 البقرة 4-2 قوله {يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ} البقرة 3 يتناول الغيب الذي يجب الإيمان به لكن فيه إجمال فليس فيه دلالة على أن من الغيب ما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وقد يكون المقصود أنهم يؤمنون بالمخبر به وهو الغيب وبالإخبار بالغيب وهو ما أنزل إليك وما أنزل من قبلك ومن هذا الباب قوله تعالى {إِنَّمَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ} العنكبوت 45 قوله {وَالَّذِينَ يُمْسِكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ} الأعراف 170 وتلاوة الكتاب هي اتباعه كما قال ابن مسعود في قوله تعالى {إِنَّمَا آتَيْنَاكُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقًّا تَلَوَّهُ} البقرة 121 قال يحللون حلاله ويحرمون حرامه ويؤمنون بمتشابهه ويعملون بمحكمه فاتباع الكتاب يتناول الصلاة وغيرها لكن خصها بالذكر لمزيدتها وكذلك قوله لموسى {إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي} طه 14 وإقامة الصلاة لذكره من أجل عبادته وكذلك قوله تعالى {إِنَّمَا أَنْتَ أَنْتَ اللَّهُ وَقُولُوا قَوْلًا سَيِّدًا} الأحزاب 70 قوله {إِنَّمَا اللَّهُ وَابْنُهُ الْوَسِيلَةُ} المائدة 35 قوله {إِنَّمَا اللَّهُ وَكُوئُنَا مَعَ الصَّادِقِينَ} التوبه 119 فإن التوكيل والاستعانة هي من عبادة الله لكن خصت بالذكر ليقصدها المتبع بخصوصها فإنها هي العون على سائر أنواع العبادة إذ هو سبحانه لا يعبد إلا¹ بمعونته

أوجب الله العدل لكل أحد على كل حال

قال تعالى {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ} النحل 90 قال مالك رحمه الله الحكمة معرفة الدين والعمل به ولذلك قال ابن

¹ الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 375

قتيبة الحكمة عند العرب العلم والعمل والحكمة العملية عندهم و عند غيرهم تتضمن علم الأخلاق وسياسة المنزل وسياسة المدنية وبني ذلك كله على هذه القضايا المشهورة بل وكل عمل يؤمر به فلا بد فيه من العدل فالعدل مأمور به في جميع الأعمال والظلم منهى عنه نهاية مطلقاً ولهذا جاءت أفضل الشرائع والمناهج بتحقيق هذا كله وتمكيله فأوجب الله العدل لكل أحد على كل أحد في كل حال كما قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُوْنُوا قَوَامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ اللَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَإِنَّ اللَّهَ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَبَعُوا الْهَوَى أَن تَعْدِلُوا } النساء 135 و قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُوْنُوا قَوَامِينَ اللَّهُ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَن تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى } المائدة 8 وقال تعالى {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُولُوا النَّاسُ بِالْقِسْطِ } الحديد 25 وقال تعالى {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤْمِنُوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ } النساء 58 وقال تعالى {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعْظُمُ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } النحل 90 ومثل هذا كثير وكذلك تحريم الظلم بمجموع أنواعه كثير في النصوص الالهية حتى في الحديث الالهي حديث ابى ذر الذي رواه مسلم في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى أنه قال يا عبادي إنى حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا ظالموا يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهر وأنا أغفر الذنوب جميعاً ولا أبالى فاستغفروني اغفر لكم يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعتمته فاستطعموني أطعكم يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدونى أهدكم يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى يا عبادي لو ان أولكم وأخركم وإنكم وجنم كانوا على أنقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكى شيئاً يا عبادي لو ان أولكم وأخركم وإنكم وجنم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكى شيئاً يا عبادي لو ان أولكم وأخركم وإنكم وجنم قاموا في صعيد واحد فسألونى فأعطيت كل إنسان منهم مسألته ما نقص ذلك من ملكى إلا كما ينقص البحر إذا غمس فيه المحيط يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم او فيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه ¹

الوعظ في القرآن هو الامر والنهي والترغيب والترهيب

قال تعالى {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعْظُمُ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } النحل 90 والوعظ في القرآن هو الامر والنهي والترغيب والترهيب كقوله تعالى {وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوْعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَنْهِيًّا } 66 { وَإِذَا لَأْتَنَاهُمْ مِنْ لُدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا } 67 { وَلَهَدَنَا هُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا } 68 { النساء 66-68 فقوله {مَا يُوْعَظُونَ بِهِ } النساء 66

¹ الرد على المنطقين ج: 1 ص: 425-426

أي ما يؤمرون به وقال {يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبْدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} النور ١٧ أي ينهاكم الله أن تعودوا لمثله^١

الأمر اعم من النهي والأعم أفضل

قال تعالى {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} النحل ٩٠ كل من عصى النهي فقد عصى الأمر لأن الأمر استدعاء الفعل بالقول على وجه الاستعلاء والنهاي مستدعا من النهي فعلاً أما بطريق القصد أو بطريق اللزوم فان كان نوعا منه فالأمر اعم والأعم أفضل وان لم يكن نوعا منه فهو أشرف القسمين ولهذا اتفق العلماء على تقديميه على النهي وبذلك جاء الكتاب والسنّة قال تعالى {يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ} الأعراف ١٥٧ وقال {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ} النحل ٩٠^٢

"والله إن له لحلوة وإن عليه لطلاوة "

وعن ابن عباس أن الواليد بن المغيرة جاء إلى النبي فقرأ عليه من القرآن {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} النحل ٩٠ قال أعد فأعاد النبي فقال والله إن له الحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلىه لمثير وإن أسفله لمعدق وما يقول هذا البشر وفي لفظ أن الواليد بن المغيرة جاء إلى النبي فقرأ عليه القرآن فكانه رق له فبلغ ذلك أبا جهل فتاه فقال يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا قال ولم قال ليعطوكه فإنك أتيت محمدا لتعوض مما قبله قال قد علمت قريش أني من أكثرها مالا قال فقل فيه قوله يبلغ قومك أنك منكر لها وأنك كاره له قال وماذا أقول فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني ولا أعلم برجوه ولا بقصيده مني والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا والله إن لقوله الذي يقوله لحلوة وإن عليه لطلاوة وإن لمثير معدق أسفله وإنه ليعلو وما يعلى وإنه ليحطم ما تحته قال لا ترضى عنك قومك حتى تقول فيه قال فدعني حتى أفك فيك فلما فكر قال هذا سحر يؤثر يأثره عن غيره فنزلت {ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا} المدثر ١١ رواه عبد الرزاق عن معاذ عن أبي هريرة عن عكرمة^٣

^١ الرد على المنطقين ج: ١ ص: 468 و مجموع الفتاوى ج: ٢ ص: 45 والجواب الصحيح ج: ٦ ص: 428
^٢ مجموع الفتاوى ج: ٢٠ ص: 120

^٣ الجواب الصحيح ج: ٥ ص: 373

أعظم العدل التوحيد وأعظم الظلم الشرك

قال تعالى { وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ } 91 وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَرْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَنْخَذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أَمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أَمَّةً أَنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيَبْيَسَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ } 92 وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أَمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتَسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } 93 وَلَا تَنْخَذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَرَزَّلَ قَدْمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } 94 النحل 91-94 وقال تعالى { أَمْرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهُكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لِهِ الدِّينَ } الأعراف 29 أمر مع القسط بالتوحيد الذي هو عبادة الله وحده لا شريك له وهذا أصل الدين وضده هو الذنب الذي لا يغفر قال تعالى { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ } النساء 48 وهو الدين الذي أمر الله به جميع الرسل وأرسلهم به إلى جميع الأمم قال تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونَ } الأنبياء 25 وقال تعالى { وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ الَّهَ يُعْبُدُونَ } الزخرف 45 وهذا التوحيد الذي هو أصل الدين هو أعظم العدل وضده وهو الشرك أعظم الظلم كما أخرجنا في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال لما نزلت هذه الآية { الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُلْسِنُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ } الأنعام 82 شق ذلك على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا أينا لم يظلم نفسه فقال ألم تسمعوا إلى قول العبد الصالح إن الشرك لظلم عظيم وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال قلت يا رسول الله أي الذنب أعظم قال أن يجعل الله ندا وهو خلقك قلت ثم أي قال ثم أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك قلت ثم أي قال أن تزني بحليلة حارك فأنزل الله تصدق ذلك { وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَرْزُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يُلْقَ أثَاماً } الفرقان 68 وقد جاء عن غير واحد من السلف وروي مرفوعا¹

{ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ }

وقد كانوا في الجاهلية يحالف الرجل قبيلة فإذا وجد أقوى منها نقض عهد الأولى وحالف الثانية فأنزل الله تعالى { وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ } 91 وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَرْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَنْخَذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أَمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أَمَّةً أَنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيَبْيَسَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ } 92 وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أَمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتَسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } 93 وَلَا تَنْخَذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَرَزَّلَ قَدْمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } 94 النحل 91-94

¹ الفتوى الكبرى ج: 1 ص: 416

² مجموع الفتاوى ج: 28 ص: 20

وقال الله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُهُودِ} المائدة 1 و العقود هي العهود و قال تعالى {وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا} الأنعام 152 و قال تعالى {وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْوُولًا} الإسراء 34 و قال تعالى {وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلٍ لَا يُؤْلِمُونَ الْأَذْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْوُولًا} الأحزاب 15 فقد أمر سبحانه بالوفاء بالعقود و هذا عام و كذلك أمر بالوفاء بعهد الله وبالعهد و قد دخل في ذلك ما عقده المرء على نفسه بدليل قوله {وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلٍ} الأحزاب 15 فدل على أن عهد الله يدخل فيه ما عقده المرء على نفسه و ان لم يكن الله قد أمر بنفس ذلك المعهود عليه قبل العهد كالنذر و البيع إنما أمر بالوفاء به و لهذا قرنه بالصدق في قوله {وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا} الأنعام 152 لأن العدل في القول خبر يتعلق بالماضي و الحاضر و الوفاء بالعهد يكون في القول المتعلق بالمستقبل كما قال تعالى {وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَتَصَدِّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ} 75 فلما آتاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخَلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ} 76 فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمُ الَّتِي يَوْمَ يُلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهُ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ} 77 و قال سبحانه 75-77 و أتقو الله الذي تساءلونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ} النساء 1

قال المفسرون كالضحاك و غيره تساءلون به تتعاهدون و ذلك لأن كل واحد من المتعاهدين يطلب من الآخر ما أوجبه العقد من فعل او ترك او مال او نفع و نحو ذلك و جمع سبحانه في هذه الآية و سائر السورة أحكام الأسباب التي بين بني آدم المخلوقة كالرحم و المكسوبة كالعقود التي يدخل فيها الصهر و ولایة مال اليتيم و نحو ذلك و قال سبحانه {وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ} 91 و لا تنكحوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً تتخدونَ أيمانكم دخلاً بينكم} 92 النحل 91-92 و الأيمان جمع يمين و كل عقد فانه يمين قيل سمي بذلك لأنهم كانوا يعقدونه بالمصادحة باليمن يدل على ذلك قوله {إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتَمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ} 4 فإذا انسلاخ الأشهر الحرم فاقتلو المشركين حيث وجدهم هم و خدوهم و أحصروهم و أقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا و أقاموا الصلاة و أتوا الزكاة فخلوا سبيلا لهم إن الله غفور رحيم 5 وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بإنهم قوم لا يعلمون 6 كيف يكون للمشركين عهد عند الله و عند رسوله إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين 7 كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا و لا ذمة 8 التوبة 4-8 و الحال هو القرابة و الذمة العهد و بما المذكوران في قوله {تَسَاءلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ} النساء 1 إلى قوله {لَا يَرْقِبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذمَّةً} التوبة 10 فذمهم الله على قطيعة الرحم و نقض الذمة إلى قوله {وَإِنْ نَكُوا أَيْمَانُهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ} التوبة 12 و هذه نزلت في كفار مكة لما صالحهم النبي صلى الله عليه وسلم عام الحديبية ثم نقضوا العهد باعنة بنى بكر على خزاعة¹

جَمِيعُ أَمْوَارِ بَنِي آدَمْ لَا بُدْ لِهِمْ فِيهَا مِنْ عَدْ وَقْرَةٌ

قال الله تعالى { وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ } 91 { وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَرْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَخَذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخْلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةً إِنَّمَا يَبْلُو كُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيَبْيَسْنَ لَكُمْ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ } 92 { وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضْلِلُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَسْأَلَنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } 93 { وَلَا تَتَخَذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخْلًا بَيْنَكُمْ فَتَزَلَّ قَدَمُ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذَوَّقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَّتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } 94 النحل 91-92

فَإِنْ بَنِي آدَمَ لَا يَمْكُنُ عِيشَهُمْ إِلَّا بِمَا يَشْتَرِكُونَ فِيهِ

من جلب منفعتهم ودفع مضرتهم فاتفاقهم على ذلك هو التعاقد والتحالف ولهذا كان الوفاء بالعهود من الأمور التي اتفق أهل الأرض على إيجابها لبعضهم على بعض وإن كان منهم القادر الذي لا يوفي بذلك كما اتفقوا في إيجاب العدل والصدق فإذا اتفقا وتعاقدوا على احتلال الأمر الذي يحبونه ودفع الأمر الذي يكرهونه أعاد بعضهم بعضًا على احتلال المحبوب ونصر بعضهم بعضًا على دفع المكرور ولو لم يتعاقدوا بالكلام فنفس اشتراكهم في أمر يوجب عليهم احتلال ما يصلح ذلك الأمر المشترك ودفع ما يضره كأهل النسب الواحد وأهل البلد الواحد فإن التناصب والتجاور يوجب التعاون على جلب المنفعة المشتركة ودفع الضرر المشترك فصار الاشتراك بينهم تارة يثبت بفعلهم وهو التعاقد على ما فيه خيرهم وتارة يثبت ب فعل الله تعالى وقد جمع الله عز وجل هذين الأصلين في قوله تعالى { وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ } النساء 1 وذكر في هذه السورة الأمور التي بينهم من جهة الخلق وهي من جهة العقود كما قال تعالى { وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءَ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسِيًّا وَصَهْرًا } الفرقان 54 وقال تعالى { الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيَاثِقَ } 20 { وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمْرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ } 21 الرعد 20-21 وقال تعالى { وَمَا يُضْلِلُ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ } 26 { الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيَاثِقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ } البقرة 26-27 وإذا كان لا بد في كل ما يشتركون فيه من تحالف وغير تحالف من التعاون على جلب المحبوب والتناصر لدفع المكرور فالمحبوب هو الموالي والمكرور هو المعادي فلا بد لكل بني آدم من ولایة وعداؤه ولهذا جمعهم يتماذجون بالشجاعة والسماحة فإن السماحة إعانة على وجود المحبوب بالأموال والمنافع وغير ذلك والشجاعة نصر لدفع المكرور بالقتال وغيره ولا قوام لشيء من أمور بني آدم إلا بذلك ومبني ذلك بينهم على العدل في المشاركات والمعاوضات ظهر أن جميع أمور بني آدم لا بد فيها من تعاون بينهم ودفع ومنع لغيرهم فلا بد لهم من عقد وقدرة والعقد أصله الإرادة كما قال تعالى { وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ } النساء 1 أي يتعاونون ويتعاقدون والقدرة القدرة

¹ قاعدة في المحبة ج: 1 ص: 121-122

قال تعالى {وَلُّ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكُنْ يُضْلِلُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلَنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} النحل 93

ولا ريب أن الله على كل شيء قادر كما نطق به القرآن في غير موضع فإن قدرته من لوازمه ذاته والمصحح لها الإمكان فلا اختصاص لها بممكن دون ممكן لكن الممتنع لذاته ليس شيئاً باتفاق العقلاه فلا يعقل وجوده في الخارج فإنه لا يعقل في الخارج كون الشيء موجوداً معدوماً أو متحركاً ساكناً أو كون أجزاء الحركة المتعاقبة مقترنة في آن واحد أو كون اليوم موجوداً مع أمس وغداً وأمثال ذلك ¹ وحينئذ فمثل هذا لا يدخل في عموم الكتاب وأما الممتنع لغيره وهو ما علم الله أنه لا يكون وأخبر أنه لا يكون وكتب أنه لا يكون فهذا لا يكون لعدم إرادته وأنه لا يكون فإنه ما شاء الله كان وما لم يشاً لم يكن فهذا لو شاء لفعله كما أخبر القرآن في غير موضع أنه لو شاء الله لآتى كل نفس هداها ولو شاء لجعل الناس أمة واحدة وأمثال ذلك

قال تعالى {وَلُّ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكُنْ يُضْلِلُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلَنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} النحل 93

قدرة الرب لا يفعل بها إلا مع وجود مشيئته فإن ما شاء كان وما لم يشاً لم يكن وليس كل ما كان قادراً عليه فعله قال تعالى {بِلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسُوِّي بَنَائِهِ} القيامة 4 وقال تعالى {قُلْ هُوَ الْفَقِيرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يُلْسِكُمْ شَيْعاً وَيُنِيبِقَ بَعْضَكُمْ بِأَسْبَعِ الْأَنْعَامِ} الأنعام 65 وقد ثبت في الصحيحين عن جابر رضي الله عنه أنه لما نزلت هذه الآية قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم قال النبي صلى الله عليه وسلم أعود بوجهك أو من تحت أرجلكم قال أعود بوجهك أو يلسككم شيئاً وينبئكم ببعضكم بأسباب بعض قال هاتان أهون وقال تعالى {وَلُّ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً} يومن 99 وقد قال تعالى {وَلُّ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَرَوْنَ وُخْلَافَيْنِ} هود 118 وقال {وَلُّ شَاءَ اللَّهُ مَا افْتَنَّهُ} البقرة 253 ومثل هذا متعدد في القرآن وإذا كان لو شاءه لفعله دل على أنه قادر عليه فإنه لا يمكن فعل غير المقدر وإذا كان كذلك علم أن الفعل لو وجد بمجرد كونه قادراً لوقع كل مقدر بل لا بد مع القدرة من الإرادة ²

ضلال من اعتقدوا تنافي القدر والشرع

قال تعالى {وَلُّ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكُنْ يُضْلِلُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلَنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} النحل 93

¹ الصحفية ج: 2 ص: 109

² منهاج السنة النبوية ج: 3 ص: 271

أنه قد كان أَللهُمَّ الفجور و التقوى و هو خالق فعل العبد فلا بد أن يعلم ما خلقه قبل أن يخلقه كما قال {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ } الملك 14 لأن الفاعل المختار يريد ما يفعله والإرادة مستلزمة لتصور المراد وذلك هو العلم بالمراد المفهوم وإذا كان خلقه للشيء مستلزمًا لعلمه به فذلك أصل القدر السابق وما علمه الله سبحانه بقوله وبكتبه فلا نزاع فيه وهذا بين في جميع الأشياء في هذا وغيره فإنه سبحانه إذا أَللهُمَّ الفجور و التقوى فالمعلم أن لم يميز بين الفجور و التقوى و يعلم أن هذا الفعل الذي يريد أن يفعله هذا فجور و الذي يريد أن يفعله هذا تقوى لم يصح منه إلهام الفجور و التقوى فظاهر بهذا حسن ما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم من تصديق الآية لما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم من القدر السابق و قوله سبحانه {فَاللَّهُمَّ هَذَا فُجُورُهَا وَتَقْوَاهَا } كما يدل على القدر فيدل على الشرع فإنه لو قال فللهمها أفعالها كما يقول الناس خالق أفعال العباد لم يكن في ذلك تمييز بين الخير و الشر و المحبوب و المكره و المأمور به و المنهي عنه بل كان فيه حجة للمشركين من المباحثية و الجبرية الذين يدفعون الأمر و النهي و الحسن و القبح فإنه خلق أفعال العباد فلما قال {فَاللَّهُمَّ هَذَا فُجُورُهَا وَتَقْوَاهَا } الشمس 8 كان الكلام تقريراً بين الحسن المأمور به و القبيح المنهي عنه و أن الأفعال منقسمة إلى حسن و سوء مع كونه تعالى خالق الصنفين وهذه طريقة القرآن في غير موضع يذكر المؤمن و الكافر و أفعالهما الحسنة و السيئة و و عده و وعيده و يذكر أنه خالق الصنفين كقوله {يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} النحل 93 و نحو ذلك و هذا الأصل ضلت فيه الجبرية و القدرة فإن القدرة المجوسية قالوا إن الأفعال تنقسم إلى حسن و قبيح لصفات قائمة بها و العبد هو المحدث لها بدون قدرة الله و بدون خلقه فقالت الجبرية بل العبد مجبور على فعله و الجبر حق يوجب وجود أفعاله عند وجود الأسباب التي يخلقها الله و إمتناع وجودها عند عدم شيء من الأسباب و إذا كان مجبوراً يمتنع أن يكون الفعل حسناً أو قبيحاً لمعنى يقوم به و هذه طريقة أبي عبدالله الرازى و نحوه من الجبرية النافدين لإنقسام الفعل فى نفسه إلى حسن و قبيح والأولى طريقة أبي الحسين البصري و نحوه من القدرة القائلين بأن فعل العبد لم يحدث إلا هو و العلم بذلك ضروري أو نظري و أن الفعل ينقسم فى نفسه إلى حسن و قبيح و العلم بذلك ضروري و أبو الحسين إمام المتأخرین من المعتزلة و له من العقل و الفضل ما ليس لأكثر نظرائه لكن هو قليل المعرفة بالسنن ومعانى القرآن و طريقة السلف و هو و أبي عبدالله الرازى في هذا الباب فى طرفي نقىض و مع كل منهما من الحق ما ليس مع الآخر فابو الحسين يدعى أن العلم بأن العبد يحدث فعله ضروري و الرازى يدعى أن العلم بأن إفتقار الفعل المحدث الممكن إلى مرتجح يجب وجوده عنده و يمتنع عند عدمه ضروري كذلك بل كلاماً صادقاً فيما ذكره من العلم الضروري ثم يعتقد كل فريق أن هذا العلم الضروري يبطل ما ادعاه الآخر من الضرورة و ليس الأمر كذلك بل كلاماً صادقاً فيما ذكره من العلم الضروري و مصيبة في ذلك و إنما وقع غلطه في إنكاره ما مع الآخر من الحق فإنه لا منفأة بين كون العبد محدثاً لفعله و كون هذا الإحداث ممكناً الوجود بمشيئة الله تعالى و لهذا كان مذهب أهل السنة المحضة أن العبد فاعل لفعله حقيقة كما ادعاه أبو الحسين من الضرورة لا يقولون ليس بفاعل حقيقة أو ليس بفاعل كما يقوله المائلون إلى الجبر مثل طائفة أبي عبدالله الرازى يقولون مع ذلك إن الله هو الخالق لهذا الفاعل و لفعله و هو الذي جعله فاعلاً حقيقة و هو خالق أفعال العباد كما يقوله أهل الإثبات من الأشعرية طائفة الرازى و غيرهم لا كما يقوله القدرة مثل أبي الحسين و طائفته إن الله لم يخلق أفعال العباد و لهذا نص الأئمة كالإمام أحمد و من قبله من الأئمة كالأوزاعى و غيره على إنكار إطلاق القول بالجبر نفياً و إثباتاً فلا يقال إن الله جبر العباد ولا يقال لم يجبرهم فإن لفظ الجبر فيه إشتراك و إجمال فإذا قيل جبرهم أشعر بأن الله يجبرهم على فعل الخير و الشر بغير اختيارهم و إذا قيل لم يجبرهم

أشعر بأنهم يفعلون ما يشاؤن بغير اختياره و كلاهما خطأ و قد بسطنا القول في هذا في غير هذا الموضع و المقصود هنا أن هذين الفريقين اعتقدوا تنافي القدر و الشرع كما اعتد ذلك المجروس و المشركون فقالوا إذا كان خالقا للفعل إمتنع أن يكون الفعل في نفسه حسنا له ثواب أو قبيحا عليه عقاب ثم قالت القدرة لكن الفعل منقسم فليس خالقا للفعل و قالت الجبرية لكنه خالق فليس الفعل منقسما ولكن الجبرية المقربون بالرسل يقررون بالإقسام من جهة أمر الشارع و نهيه فقط و يقولون له أن يأمر بما شاء لا لمعنى فيه و ينهى عما يشاء لا لأجل معنى فيه و يقولون في خلقه و في أمره جميرا يفعل ما يشاء و يحكم ما يريد و أما من غلب عليه رأي أو هو فإنه ينحل عن ربوة الشارع إذا عاين الجبر و يقولون ما ي قوله المشركون {لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمَنَا مِنْ شَيْءٍ} الأنعام 148 و من أقر بالشرع والأمر والنهي و الحسن و القبح دون القدر و خلق الأفعال كما عليه المعتزلة فهو من القدرة المجروسية الذين شابهوا المجروس و للمعتزلة من مشابهة المجروس و اليهود نصيب وافر و من أقر بالقضاء و القدر و خلق الأفعال و عموم الربوبية و أنكر المعروف و المنكر و الهدى و الضلال و الحسنات و السيئات ففيه شبه من المشركون و الصابئة¹

"ما من قلب من قلوب العباد إلا و هو بين إصبعين من أصابع الرحمن"

قال تعالى {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أَمَةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلَنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} النحل 93 إن كل ما في الوجود فهو مخلوق له خلقه بمشيئة و قدرته و ما شاء كان و مالم يشا ليم يكن و هو الذي يعطى و يمنع و يخفض و يرفع و يعز و يذل و يغنى و يفتر و يضل و يهدي و يسعد و يشقى و يولى الملك من يشاء و ينزعه من يشاء و يشرح صدر من يشاء للإسلام و يجعل صدر من يشاء ضيقا كأنما يصعد في السماء و هو يقلب القلوب ما من قلب من قلوب العباد إلا و هو بين إصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أن يقيمه أقامه و إن شاء أن يزيجه أزاغه و هو الذي حب إلى المؤمنين الإيمان و زينه في قلوبهم و كره إليهم الكفر و الفسوق و العصيان أولئك هم الراشدون و هو الذي جعل المسلم مسلما و المصلي مصليا قال الخليل {رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمَنْ ذُرَّتْنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ} البقرة 128 و قال {رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي} إبراهيم 40 و قال تعالى {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهُدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا} السجدة 24 و قال عن آل فرعون {وَجَعَلَنَا هُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ} القصص 41 و قال تعالى {إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هُلُوقًا} 19 إذا مسَّهُ الشَّرُّ جُزُوعًا 20 و إذا مسَّهُ الْخَيْرُ مُنْوِعًا 21 المعارض 19-21 و قال {وَاصْنُعْ الْفُلَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْنِنَا} هود 37 و قال {وَيَصْنُعُ الْفُلَكَ} هود 38 و الفلك مصنوعة لبني آدم و قد أخبر الله تبارك و تعالى أنه خلقها بقوله {وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مَثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ} يس 42 و قال {وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُونَهَا يَوْمَ طُعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمَنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينِ} النحل 80 الآيات و هذه كلها مصنوعة لبني آدم و قال تعالى {أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِثُونَ} 95 و الله خلقكم وما تعملون 96 الصافات 95-96 فما معنى الذي و من جعلها مصدرية فقد غلط لكن إذا خلق المحوت كما خلق المصنوع و الملبوس و المبني

¹ مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 235-238

دل على أنه خالق كل صانع و صنعته و قال تعالى { من يهدِ الله فَهُوَ الْمُهَدِّدُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِداً } الكهف 17 و قال { فَمَنْ يُرِدُ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يُشْرِحُ صَدْرَهُ لِإِسْلَامٍ وَمَنْ يُرِدُ أَنْ يُضْلِلَ يَجْعَلُ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً } الأنعام 125 و هو سبحانه خالق كل شيء و ربه و مليكه و له فيما خلقه حكمة باللغة و نعمة سابعة و رحمة عامة وخاصة وهو لا يسأل عما بفعل و هم يسألون لا لمجرد قدرته و قهره بل لكمال علمه و قدرته و رحمته و حكمته فإنه سبحانه و تعالى أحكم الحاكمين و أرحم الراحمين و هو أرحم بعباده من الوالدة بولادها و قد أحسن كل شيء خلقه و قال تعالى { وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَامِدًا وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتَقْنَ كُلَّ شَيْءٍ } النمل 88 و قد خلق الأشياء بأسباب كما قال تعالى { وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا } البقرة 164 و قال { فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الْثَّمَرَاتِ } الأعراف 57 و قال تعالى { يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مِنْ أَنْتَ بَعَ رِضْوَانَهُ سُبْلَ السَّلَامِ } المائدة 16¹

الله سبحانه ما شاء كان وما لم يشاء لم يكن

قال تعالى { وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أَمَّةً وَاحِدَةً وَلَكُنْ يُضْلِلُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } النحل 93

اتفق المسلمون وسائر أهل الملل على أن الله على كل شيء قدير كما نطق بذلك القرآن أى في مواضع كثيرة جدا وأن الشيء إسم لما يوجد في الأعيان ولما يتصور في الأذهان فما قدره الله وعلم أنه سيكون هو شيء في التقدير والعلم والكتاب وأن لم يكن شيئاً في الخارج ومنه قوله { إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } يس 82 ولفظ الشيء في الآية يتناول هذا وهذا فهو على كل شيء ما وجد وكل ماتصوره الذهن موجوداً إن تصور أن يكون موجوداً قديراً لا يستثنى من ذلك شيء ولا يزيد عليه شيء كما قال تعالى { إِلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَاهُ } القيمة 4 وقال { وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يُقْدَرُ فَأَسْكَنَاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابِهِ لَقَادِرُونَ } المؤمنون 18 قال المفسرون لقادرون على أن نذهب به حتى تموتوا عطشا و تهلك مواشيم و تخرب أراضيكم و معلوم أنه لم يذهب به وهذا قوله { أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرُبُونَ } الواقعة 68 إلى قوله { وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ } الواقعة 82 وهذا يدل على أنه قادر على مالا يفعله فإنه أخبر أنه لو شاء جعل الماء أجاجاً وهو لم يفعله ومثل هذا { وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا } السجدة 13 { وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ } يونس 99 { وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَلُوا } البقرة 253 فإنه أخبر في غير موضع أنه لو شاء لفعل أشياء وهو لم يفعلها فلو لم يكن قادراً عليها لكان إذا شاءها لم يمكن فعلها²

¹ مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 80-78

² مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 10

قال تعالى {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} النحل ٩٣ كل ما كان بعد عدمه فانما يكون بمشيئة الله وقدرته وهو سبحانه ما شاء كان وما لم يشاً لم يكن فاما شاء وجب كونه وهو تحت مشيئة الرب وقدرته وما لم يشاً امتنع كونه مع قدرته عليه كما قال تعالى {وَلَوْ شَتَّنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًاهَا} السجدة ١٣ {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَلَوْا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعُلُ مَا يُرِيدُ} البقرة ٢٥٣ {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً} النحل ٩٣ فكون الشيء واجب الوقوع لكونه قد سبق به القضاء على انه لا بد من كونه لا يمتنع ان يكون واقعا بمشيئته وقدرته وارادته وان كانت من لوازمه ذاته كحياته وعلمه فان ارادته للمستقبلات هي مسبوقة بارادته للماضي {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} يس ٨٢ وهو انما اراد هذا الثاني بعد ان اراد قبله ما يقتضى ارادته فكان حصول الارادة اللاحقة بالارادة السابقة^١

اسم اليمين جامع للعقد الذي بين العبد وبين ربه

قال الله تعالى {وَأَوْفُوا بِعِهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ} ٩١ {وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غُرْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةِ أَنْكَاثَ تَنَحِّدُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخْلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةً هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةً إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيَبْيَسَنَ لَكُمْ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} ٩٢ {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} ٩٣ {وَلَا تَنَحِّدُوا أَيْمَانَكُمْ دَخْلًا بَيْنَكُمْ فَتَرِزَّ قَدْمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَنْدُوْفُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} ٩٤ النحل ٩٤-٩١ قال أهل اللغة وهذا لفظ الجوهرى اليمين القسم والجمع أيمان وأيمان فقال سمى بذلك لأنهم كانوا إذا تحالفوا يمسك كل إمرىء منهم على يمين صاحبه^٢

ان اليمين يقال انما سميت بذلك لأن المعاهددين يمد كل منهما يمينه الى الاخر ثم غلبت حتى صار مجرد الكلام بالعهد يسمى يمينا ويقال سميت يمينا لأن اليمين هي القوة والشدة كما قال الله تعالى {لَاَخَذَنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ} الحاقة ٤٥ فلما كان الحلف معقودا مشددا سمي يمينا فاسم اليمين جامع للعقد الذي بين العبد وبين ربه وان كان نذرا ومنه قول النبي النذر حلفه وقوله كفارة النذر كفارة اليمين وقول جماعة من الصحابة للذي نذر النذر لحفله وغضبه كفر يمينك وللعهد الذي بين المخلوقين ومنه قوله تعالى {وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدهَا} النحل ٩١^٣

^١ مجموع الفتاوى ج: ٦ ص: ٢٤٥

^٢ مجموع الفتاوى ج: ٣٥ ص: ٣٤٢

^٣ الصارم المسلول ج: ٢ ص: ٤٣

لم يجيء اعداد العذاب المهين في القرآن إلا في حق الكفار

قال تعالى { وَلَا تَتَّخِدُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَرَلَ قَدْمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَّدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ
اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } 94 { وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثُمَّاً قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
تَعْلَمُونَ } 95 { مَا عِنْدَكُمْ يَنْفُدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ } 96 { النَّحْل } 96 لم يجيء اعداد العذاب المهين في القرآن إلا في حق الكفار كقوله
 { الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْنَدُنَا لِكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا } النساء 37 قوله { وَخُدُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعْدَ لِكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا } النساء 102 قوله { أَوْلَئِكَ
 هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًا وَأَعْنَدُنَا لِكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا } النساء 151 قوله { فَبَأْوُوا بِعَصْبَ عَلَى عَصَبٍ
 وَلِكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ } البقرة 90 { وَلَا يَحْسِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لَأَنَّفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ
 لِيَرْدَادُوا إِنَّمَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ } آل عمران 178 { وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ
 مُهِينٌ } الحج 57 { وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُرُوا أَوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ } الجاثية 9 { وَقَدْ
 أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيْنَاتٍ وَلِكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ } المجادلة 5 { اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَاحًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ
 عَذَابٌ مُهِينٌ } المجادلة 16 { وَمَنْ يَعْصِي اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَ يُدْخِلُهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ
 مُهِينٌ } النساء 14 فهى والله أعلم فيما يعنى حج الفرائض واستخف بها على أنه لم يذكر ان العذاب أعد
 له وأما العذاب العظيم فقد جاء وعيدا للمؤمنين في قوله { لَوْلَا كَتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمْسَكُمْ فِيمَا أَخْذَمْتُمْ
 عَذَابٌ عَظِيمٌ } الأنفال 68 قوله { وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمْسَكُمْ فِي مَا
 أَفْضَلْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ } النور 14 وفي المحارب { ذَلِكَ لَهُمْ خَرْزٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ
 عَذَابٌ عَظِيمٌ } المائدة 33 وفي القاتل { وَغَضِيبَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَلَعْنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا } النساء 93
 قوله { وَلَا تَتَّخِدُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَرَلَ قَدْمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَّدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
 وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } النَّحْل } 94 وقد قال سبحانه { وَمَنْ يُهِنَّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعُلُ مَا يَشَاءُ }
 الحج 18 وذلك لأن الإهانة اذلال وتحقير وخزي وذلك قدر زائد على ألم العذاب فقد يعذب الرجل
 الكريم ولا يهان¹

استعمال لفظ الذوق في ادراك الملام والمنافر

قال تعالى { وَلَا تَتَّخِدُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَرَلَ قَدْمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَّدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ
 اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } 94 { وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثُمَّاً قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
 تَعْلَمُونَ } 95 { مَا عِنْدَكُمْ يَنْفُدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا
 يَعْمَلُونَ } 96 { النَّحْل } 96 ولفظ الذوق وان كان قد يظن انه فى الاصل مختص بذوق اللسان
 فاستعماله فى الكتاب والسنۃ يدل على انه اعم من ذلك مستعمل فى الاحساس باللام والمنافر كما ان
 لفظ الاحساس فى عرف الاستعمال عام فيما يحس بالحواس الخمس بل وبالباطن واما فى

¹ الصارم المسلول ج: 2 ص: 112 و مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 368-366

اللغة فأصله الرؤية كما قال { هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ } مريم 98 و المقصود لفظ الذوق قال تعالى { فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعَ وَالْخُوفِ } النحل 112 فجعل الجوع والخوف مذوقاً واضاف اليهما اللباس ليشعر انه لبس الجائع والخائف فشمله واحاطه به احاطة اللباس باللباس بخلاف من كان الالم لا يستوعب مشاعره بل يختص ببعض الموضع وقال تعالى { إِنَّكُمْ لَذَانِقُ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ } الصافات 38 وقال تعالى { ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ } الدخان 49 وقال تعالى { لَذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ } القمر 48 وقال { لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ } الدخان 56 وقال تعالى { لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا } 24 { إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَاقًا } 25 النبأ 24-25 وقال { وَلَذِيقَتُهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَنْى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ } السجدة 21 وقد قال النبي ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا فاستعمال لفظ الذوق في ادراك الملائم والمنافر كثير¹

قال تعالى { فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعَ وَالْخُوفِ } النحل 112 فان من الناس من يقول الذوق حقيقة في الذوق بالفم واللباس بما يلبس على البدن وإنما استغير هذا وهذا وليس كذلك بل قال الخليل الذوق في لغة العرب هو وجود طعم الشيء والاستعمال يدل على ذلك قال تعالى { وَلَذِيقَتُهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَنْى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ } السجدة 21 وقال { وَلَذِيقَتُهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيلٍ } فصلات 50 وقال { ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ } الدخان 49 وقال { فَذَاقْتُ وَبَالَ أَمْرِهَا } الطلاق 9 وقال { فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ } فاطر 37 وقال النبي ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسوله وفي بعض الادعية أذقنا برد عفوك وحلوة مغفرتك فلفظ الذوق يستعمل في كل ما يحس به ويجد ألمه أو لذته فدعوى المدعى اختصاص لفظ الذوق بما يكون بالفم تحكم منه لكن ذاك مقيد فيقال ذقت الطعام وذقت هذا الشراب فيكون معه من القيود ما يدل على أنه ذوق بالفم وإذا كان الذوق مستعملاً فيما يحسه الإنسان بباطنه أو بظاهره حتى الماء الحميئ يقال ذاق فالشراب إذا كان بارداً أو حاراً يقال ذقت حرمه وبرده ولفظ ذوق الجوع والخوف فإن هذا اللفظ يدل على الاحساس بالمؤلم وإذا أضيف إلى المذى على الاحساس به كقوله صلى الله عليه وسلم ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا فان قيل فلم لم يصف نعيم الجنة بالذوق قبل لأن الذوق يدل على جنس الاحساس ويقال ذاق الطعام لمن وجد طعمه وإن لم يأكله وأهل الجنة نعيمهم كامل تمام لا يقتصر فيه على الذوق بل استعمل لفظ الذوق في النفي كما قال عن أهل النار { لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا } النبأ 24 أي لا يحصل لهم من ذلك ولا ذوق وقال عن أهل الجنة { لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى } الدخان 56²

حصول الهدایة والفلاح للمؤمنين دون غيرهم

¹ الفتوى الكبرى ج: 2 ص: 361 و مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 334

² مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 111

قال تعالى { مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيهِ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرًا هُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } النحل ٩٧ أن أصل العلم الإلهي ومبدأه ودليله الأول عند الذين آمنوا هو الإيمان بالله ورسوله وعند الرسول هو وحي الله إليه كما قال خاتم الأنبياء أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وإن محمدا رسول الله فإذا فعلوا ذلك عصموها من دماءهم وأموالهم إلا بحقها وقال الله تعالى له { قُلْ إِنْ ضَلَّلْتُ فَإِنَّمَا أَضَلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنْ اهْتَدَيْتُ فَإِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي أَنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ } سبا ٥٠ وتقرير الحجة في القرآن بالرسل كثير قوله { رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لَنَّا لَيُكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا } النساء ١٦٥ ولما كان أصل العلم والهدي هو الإيمان بالرسالة المتضمنة للكتاب والحكمة كان ذكره طريق الهدایة بالرسالة التي هي القرآن وما جاءت به الرسل كثيرة جدا وكذلك ذكره حصول الهدایة والفلاح للمؤمنين دون غيرهم ملء القرآن قوله { هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ } ٢ الذين يؤمنون بالغيب { ٣ } البقرة ٣-١ ثم ذم الذين كفروا والذين نافقوا قوله { وَالْعَصْرُ } ١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ { ٢ } إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبَرِ { ٣ } العصر ١-٣ قوله { ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ } ٥ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ { ٦ } الذين ٥-٦ فحكم على النوع كله والأمة الإنسانية جميعها بالخسارة والسفول إلى الغاية إلا المؤمنين الصالحين وكذلك جعل أهل الجنة هم أهل الإيمان وأهل النار هم أهل الكفر فيما شاء الله من الآيات حتى صار ذلك معلوماً علماً شائعاً متواتراً اضطرارياً من دين الرسول عند كل من بلغته رسالته وربط السعادة مع إصلاح العمل به في مثل قوله { مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيهِ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرًا هُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } النحل ٩٧^١

لا يحيط جميع الحسنات إلا الكفر

قال تعالى { مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيهِ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرًا هُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } النحل ٩٧ المعتزلة لهم أصل فاسد وافقوا فيه الخوارج في الحكم وإن خالفوه في الاسم فقالوا إن أصحاب الكبائر يخلدون في النار ولا يخرجون منها بشفاعة ولا غيرها وعندهم يمتنع أن يكون الرجل الواحد ممن يعاقبه الله ثم يتبيه ولهذا يقولون بحبوط جميع الحسنات بالكبيرة وأما الصحابة وأهل السنة والجماعة فعلى أن أهل الكبائر يخرجون من النار ويشفع فيهم وإن الكبيرة الواحدة لا تحبط جميع الحسنات ولكن قد يحيط ما يقابلها عند أكثر أهل السنة ولا يحيط جميع الحسنات إلا الكفر كما لا يحيط جميع السيئات إلا التوبة فصاحب الكبيرة إذا أتى بحسنات يتبعها رضا الله أثابه الله على ذلك وإن كان مستحقة العقوبة على كبيرته وكتاب الله عز وجل يفرق بين حكم السارق والزاني وقتال المؤمنين بعضهم بعضاً وبين حكم الكفار في الأسماء والأحكام والسنة المتواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم وإجماع الصحابة بدل على ذلك كما هو مبسوط في غير هذا الموضع وعلى هذا تنازع الناس في قوله { إِنَّمَا يَتَّقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ } المائدة ٢٧ فعلى قول الخوارج والمعتزلة لا تقبل حسنة إلا من اتقاه مطلقاً فلم يأت كبيرة وعند المرجئة إنما يتقبل

^١ مجموع الفتاوى ج: ٢ ص: ٥

من اتقى الشرك فجعلوا أهل الكبائر داخلين في اسم المتقين وعند أهل السنة والجماعة يتقبل العمل من اتقى الله فيه فعمله خالصاً موافقاً لأمر الله فمن اتقاه في عمل تقبله منه وإن كان عاصياً في غيره ومن لم يتقه فيه لم يتقبله منه وإن كان مطيناً في غيره والتوبة من بعض الذنوب دون بعض كفالة بعض الحسنات المأمور بها دون بعض إذا لم يكن المترافق شرطاً في صحة المفعول بالإيمان المشروط في غيره من الأعمال كما قال الله تعالى {وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانُوا سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا} الإسراء 19 وقال تعالى {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَأُحْيِيهِ حَيَاةً طَيِّبَةً} النحل 97 وقال {وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيُمْتَأْنِثُ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَيْطَنُ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا حَالِدُونَ} البقرة 217¹

الثواب والعقاب إنما يكون على عمل وجودي بفعل الحسنات

والمحض هنا أن الثواب والعقاب إنما يكون على عمل وجودي بفعل الحسنات كعبادة الله وحده وترك السيئات كترك الشرك أمر وجودي و فعل السيئات مثل {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَأُحْيِيهِ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَأَنْجِزِنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِإِحْسَانٍ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} النحل 97 فاما عدم الحسنات والسيئات فجز اوه عدم الثواب والعقاب وإذا فرض رجل آمن بالرسول مجملًا وبقي مدة لا يفعل كثيراً من المحرمات ولا سمع أنها محرمة فلم يعتقد تحريمها مثل من آمن ولم يعلم أن الله حرم الميتة والدم ولحم الخنزير ولا علم أنه حرم نكاح الأقارب سوى أربعة أصناف ولا حرم بالمصاهرة أربعة أصناف حرم على كل من الزوجين أصول الآخر وفروعه فإذا آمن ولم يفعل هذه المحرمات ولا اعتقاده تحريمها لأنه لم يسمع ذلك فهذا لا يثاب ولا يعاقب ولكن إذا علم التحريم فاعتقده أثيب على اعتقاده وإذا ترك ذلك مع دعاء النفس إليه أثيب ثواباً آخر كالذي تدعوه نفسه إلى الشهوات فيهاها كالصلائم الذي تشتهي نفسه الأكل والجماع فيهاها والذي تشتهي نفسه شرب الخمر والفواحش فيهاها فهذا يثاب ثواباً آخر بحسب نهيه لنفسه وصبره على المحرمات واستغفاله بالطاعات التي ضدتها فإذا فعل تلك الطاعات كانت مانعة له عن المحرمات وإذا تبين هذا فالحسنات التي يثاب عليها كلها وجودية نعمة من الله تعالى وما أحبته النفس من ذلك وكرهته من السيئات فهو الذي حب الإيمان إلى المؤمنين وزينه في قلوبهم وكره إليهم الكفر والفسق والعصيان²

الثواب الموعود به في الآخرة لا يكون إلا لمن آمن وعمل صالحاً

¹الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 353 - 361 و مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 323

²الحسنة والسيئة ج: 1 ص: 59

قال تعالى { مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ اُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيهِ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ
بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } النحل 97

أن الإيمان إذا أطلق أدخل الله ورسوله فيه الأعمال المأمور بها وقد يقرن به الأعمال وذكرنا نظائر ذلك كثيرة وذلك لأن أصل الإيمان هو ما في القلب والأعمال الظاهرة لازمة لذلك لا يتصور وجود إيمان القلب الواجب مع عدم جميع أعمال الجوارح بل متى نقصت الأعمال الظاهرة كان لنقص الإيمان الذي في القلب فصار الإيمان متناولاً للملزوم واللازم وإن كان أصله ما في القلب بحيث عفت عليه الأعمال فإنه أريد أنه لا يكتفى بإيمان القلب بل لابد معه من الأعمال الصالحة ثم الناس في مثل هذا قولان منهم من يقول المعطوف علىه أولاً ثم ذكر بإسمه الخاص تخصيصا له لئلا يظن أنه لم يدخل في الأول وقالوا هذا في كل ما عطف فيه خاص على عام قوله {منْ كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجَبْرِيلَ وَمِيكَالَ} البقرة 98 قوله {وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّنَ مِيقَاتَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ} الأحزاب 7 قوله {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ} محمد 2 مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 199 فخص الإيمان بما نزل على محمد بعد قوله {وَالَّذِينَ آمَنُوا} محمد 2 وهذه نزلت في الصحابة وغيرهم من المؤمنين قوله {حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَفُومُوا بِاللَّهِ قَاتِنِينَ} البقرة 238 قوله {وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ} البينة 5 والصلة والزكاة من العبادة فقوله {آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} البقرة 277 قوله {وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ} البينة 5 فإنه قصد أولاً أن تكون العبادة لله وحده لا لغيره ثم أمر بالصلة والزكاة ليعلم أنها عبادتان واجبتان فلا يكتفى بمطلق العبادة الخالصة دونهما وكذلك يذكر الإيمان أولاً لأنه الأصل الذي لابد منه ثم يذكر العمل الصالح فإنه أيضا من تمام الدين لابد منه فلا يظن الظان اكتفاء به مجرد إيمان ليس معه العمل الصالح فعلى قول هؤلاء يقال الأفعال الصالحة المعطوفة على الإيمان دخلت في الإيمان وعطف عليه عطف الخاص على العام إما لذكره خصوصا بعد عموم وإما لكونه إذا عطف كان دليلا على أنه لم يدخل في العام وقيل بل الأفعال في الأصل ليست من الإيمان فإن أصل الإيمان هو ما في القلب ولكن هي لازمة له فمن لم يفعلها كان إيمانه منتفيا لأن انتفاء اللازم يقتضي انتفاء الملزوم لكن صارت بعرف الشارع داخلة في إسم الإيمان إذا أطلق كما تقدم في كلام النبي فإذا عفت عليه ذكرت لئلا يظن الظان أن مجرد إيمانه بدون الأفعال الصالحة الازمة للإيمان يوجب الوعد فكان ذكرها تخصيصا وتنصيصا ليعلم أن الثواب الموعود به في الآخرة وهو الجنـة بلا عذاب لا يكون إلا لمن آمن وعمل صالحا لا يكون لمن إدعـى الإيمـان ولم يـعمل وقد بين سبحانه في غير موضع أن الصادق في قوله آمنت لابد أن يقوم بالواجب وحصر الإيمان في هؤلاء يدل على إنتفائه عنـ سواهم¹

فإن الله لم يعلق وعد الجنـة إلا باسم الإيمـان لم يـعلـقه باسم الإسلام مع إيجـابـه الإسلامـ وـاـخـبارـهـ أنهـ دـينـهـ الذـىـ اـرـتضـاهـ وـأـنـهـ لاـ يـقـبـلـ دـيـنـاـ غـيرـهـ وـمـعـ هـذـاـ فـمـاـ قـالـ انـ الجنـةـ أـعـدـتـ لـالـمـسـلـمـينـ وـلـاـ قـالـ وـعـدـ اللهـ المـسـلـمـينـ بـالـجـنـةـ بـلـ اـنـماـ ذـكـرـ ذـلـكـ بـاسـمـ الإـيمـانـ كـقولـهـ {وـعـدـ اللهـ الـمـؤـمـنـينـ وـالـمـؤـمـنـاتـ جـنـاتـ}

¹ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 204

تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارِ} التوبه 72 فهو يعلقها باسم الايمان المطلق أو المقيد بالعمل الصالح كقوله {مَنْ أَمْنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ أَجْرٌ هُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزُنُونَ} البقرة 62 الآيات في هذا المعنى كثيرة فالوعد بالجنة والرحمة في الآخرة وبالسلامة من العذاب علق باسم الايمان المطلق والمقيد بالعمل الصالح ونحو ذلك وهذا كما تقدم أن المطلق يدخل فيه فعل ما أمر الله به ورسوله ولم يعلق باسم الإسلام فلو كان من اتي من الايمان بما يقدر عليه وعجز عن معرفة تفاصيله قد يسمى مسلما لا مؤمنا لكن من اهل الجنة وكانت الجنة يستحقها من يسمى مسلما وان لم يسم مؤمنا وليس الأمر كذلك بل الجنة لم تعلق الا باسم الايمان وهذا أيضا مما يستدل به من قال إنه ليس كل مسلم من المؤمنين الموعودين بالجنة اذ لو كان الأمر كذلك لكان وعد الجنة معلقا باسم الإسلام كما علق بإسم الايمان وكما علق بإسم التقوى واسم البر في مثل قوله {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ} المرسلات 41 وقوله {إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ} المطففين 22 وباسم أولياء الله قوله {أَلَا إِنَّ أُولَئِكَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزُنُونَ} 62} الذين آمنوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ{63} لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبدل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم {64} يونس 62-64 فلما لم يجر إسم الإسلام هذا المجرى علم أن مساماه ليس ملازما لسمى الايمان كما يلزم اسم البر والتقوى وأولياء الله وأن إسم الإسلام يتناول من هو من أهل الوعيد وان كان الله يثبيه على طاعته مثل أن يكون في قلبه ايمان ونفاق يستحق به العذاب فهذا يعاقبه الله ولا يخلده في النار لأن في قلبه مثقال ذرة أو أكثر من مثقال ذرة من إيمان¹

يعلق الواجب بالشرط لبيان حكم من الأحكام

قال تعالى {فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} 98 {إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} 99 {إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ} 100 {وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةً وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَنْزِلُ} قالوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٌ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} 101 {فَلْ نَزَّلْنَا رُوحُ الْفُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُبَيِّنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدُى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ} 102 {النحل 98-102}

قد يعلق الواجب بالشرط لبيان حكم من الأحكام كقوله {إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا} المائدة 6 وقد قدروا فيه إذا أردتم القيام وقدروا إذا أردت القراءة فاستبعد والطهارة واجبة القراءة في الصلاة واجبة وقد قال {إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرُ لِلْعَالَمِينَ} 27 {لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ} 28 {التكوير 27-28} ومشيئة الإستقامة واجبة²

لو قيل ان الأمير غدا يحكم بين الناس أو يقسم بينهم فمن أحب فالحاضر فهم منه ان الأمر بالحضور لأخذ النصيب من حكمه أو قسمه وهذا ظاهر ثم أن هذا الوصف المقتضى للحكم تارة يكون سببا متقدما على الحكم في العقل وفي الوجود كما في قوله {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطُعُوا}

¹ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 347

² مجموع الفتاوى ج: 23 ص: 165

أَيْدِيهِمَا } المائدة 38 و تارة يكون حكمه متقدما على الحكم في العلم والارادة متأخرة عنه في الوجود كما في قولك الأمير يحضر غدا فان حضر كان حضور الامير يتصور ويقصد قبل الأمر تسمى العلة الغائية وتسميتها الفقهاء حكمة الحكم وهي سبب في الارادة بحكمها وحكمها سبب في الوجود لها و التعليل تارة يقع في اللفظ بنفس الحكمة الموجودة فيكون ظاهره أن العلة متأخرة عن المعلول وفي الحقيقة انما العلة طلب تلك الحكمة وارادتها وطلب العافية وارادتها متقدمة على طلب اسبابها المفعولة واسبابها المفعولة متقدمة عليها في الوجود ونظائره كثير كما قيل {فَإِذَا رَأَتِ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِدْ } النحل 98 { إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا } المائدة 6 ويقال اذا حجت فترود¹

فقوله {فَمَنْ تَمَّثَّعَ بِالْعُمْرَةِ} البقرة 196 يجوز أن يكون معناه فمن أراد التمتع بالعمرة إلى الحج كما قال {فَإِذَا رَأَتِ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِدْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} النحل 98 {وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نَسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّ} المجادلة 3 أي يريدون العود²

المؤمن يبتلى بوساوس الشيطان وبوساوس الكفر

قال تعالى { فَإِذَا رَأَتِ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِدْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ } 98 { إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } 99 { إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ } 100 { وَإِذَا بَدَّلَنَا آيَةً مَكَانَ آيَةً وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُنَا قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْرِنٌ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } 101 { فَلَنْ تَرَلَهُ رُوحُ الْقُدْسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُبَيِّنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ } 102 { النحل 98-102 }

وكثيرا ما تعرض للمؤمن شعبة من شعب النفاق ثم يتوب الله عليه وقد يرد على قلبه بعض ما يوجب النفاق ويدفعه الله عنه والمؤمن يبتلى بوساوس الشيطان وبوساوس الكفر التي يضيق بها صدره كما قالت الصحابة يا رسول الله إن أحدهنا ليجد في نفسه ما لئن يخر من السماء إلى الأرض أحب إليه من أن يتكلم به فقال ذاك صريح الإيمان وفي رواية ما يتعاظم ان يتكلم به قال الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة أي حصول هذا الوسوس مع هذه الكراهة العظيمة له ودفعه عن القلب هو من صريح الإيمان كالمجاهد الذي جاءه العدو فدافعه حتى غلبه فهذا أعظم الجهاد و الصريح الخالص كاللبن الصريح وانما صار صريحا لما كرهوه تلك الوسوس الشيطانية ودفعوها خلص الإيمان فصار صريحا ولابد لعامة الخلق من هذه الوسوس فمن الناس من يجيبها فصير كافرا أو منافقا ومنهم من قد غمر قلبه الشهوات والذنوب فلا يحس بها الا اذا طلب الدين فإذا يصير مؤمنا وأما أن يصير منافقا ولها يعرض للناس من الوسوس في الصلاة ما لا يعرض لهم اذا لم يصلوا لأن الشيطان يكثر تعرضه للعبد إذا أراد الانابة إلى ربه والتقرب إليه والاتصال به فلهذا يعرض للمصلين ما لا يعرض لغيرهم ويعرض لخاصة أهل العلم والدين أكثر مما يعرض لعامة ولها يوجد عند طلاب العلم والعبادة من الوسوس والشبهات ما ليس عند غيرهم لانه لم يسلك شرع

¹ مجموع الفتاوى ج: 6 ص: 423

² شرح العمدة ج: 3 ص: 340
263

الله ومنهاجه بل هو مقبل على هواه في غفلة عن ذكر ربه وهذا مطلوب الشيطان بخلاف المتوجهين إلى ربهم بالعلم والعبادة فانه عدوهم يطلب صدهم عن الله قال تعالى {إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌ فَاتَّخُذُوهُ عَدُوًّا} فاطر 6 ولهذا أمر قارئ القرآن أن يستعذ بالله من الشيطان الرجيم فان قراءة القرآن على الوجه المأمور به تورث القلب الایمان العظيم وتزريده يقينا وطمأنينة وشفاء وقال تعالى {وَنَنْزَلُ مِنَ الْقُرْآنَ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا} الإسراء 82 وقال تعالى {هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمُوَعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ} آل عمران 138 وقال تعالى {هُدًى لِلْمُتَّقِينَ} البقرة 2 وقال تعالى {فَإِمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادُهُمْ إِيمَانًا} التوبة 124 وهذا مما يجده كل مؤمن من نفسه فالشيطان يريد بوساوشه أن يشغل القلب عن الانتفاع بالقرآن فأمر الله القاري اذا قرأ القرآن أن يستعذ منه قال تعالى {فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} 98 {إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} 99 {إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ} 100 النحل 98-100

فإن المستعذ بالله مستجير به لاجيء إليه مستغيث به من الشيطان فاللعنة مستجير به فإذا عاذ العبد بربه كان مستجيرا به متوكلا عليه فيعيذه الله من الشيطان ويجيره منه ولذلك قال الله تعالى {إِذْ دَفَعْتُ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَوَةٌ كَانَهُ وَلَيْ حَمِيمٌ} 34 {وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍ عَظِيمٌ} 35 {وَإِمَّا يَنْزَعُ عَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ} العلّيم 36 فصلت 34-36 وفي الصحيحين عن النبي أنه قال إنى لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فأمر سبحانه بالاستعاذه عند طلب العبد الخير لئلا يعوقه الشيطان عنه وعندما يعرض عليه من الشر ليدفعه عنه عند إرادة العبد للحسنات وعندما يأمره الشيطان بالسيئات ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يزال الشيطان يأتي أحدكم فيقول من خلق كذا حتى يقول من خلق الله فمن وجد ذلك فليستعد بالله ولينته فأمر بالاستعاذه عندما يطلب الشيطان أن يوقعه في شر أو يمنعه من خير كما يفعل العدو مع عدوه وكلما كان الإنسان أعظم رغبة في العلم والعبادة واقدر على ذلك من غيره بحيث تكون قوته على ذلك أقوى ورغبته وإرادته في ذلك أتم كان ما يحصل له أن سلمه الله من الشيطان أعظم وكان ما يفتتن به إن تمكن منه الشيطان أعظم ولهذا قال الشعبي كل أمة علماؤها شرارها إلا المسلمين فإن علماءهم خيارهم وأهل السنة في الإسلام كأهل الإسلام في الملل وذلك ان كل أمة غير المسلمين فهم ضاللون وإنما يضلهم علماؤهم فعلماؤهم شرارهم والمسلمون على هدى وإنما يتبعين الهدي بعلمائهم فعلماؤهم خيارهم وكذلك أهل السنة أئمتهم خيار الأمة وأئمة أهل البدع أضر على الأمة من أهل الذنوب ولهذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل الخوارج ونهى عن قتال الولاية الظلمة وأولئك لهم نهمة في العلم والعبادة فصار يعرض لهم من الوساوس التي تضلهم وهم يظنونها هدى فيطريقونها ما لا يعرض لغيرهم ومن سلم من ذلك منهم كان من أئمة المتقين مصابيح الهدي وينابيع العلم كما قال ابن مسعود لأصحابه كانوا ينابيع العلم مصابيح الحكمة سرج الليل جدد القلوب احلاس البيوت خلقان الثياب تعرفون في أهل السماء وتخونون على أهل الأرض¹

"إذا سألت فسائل الله وإذا استعن فاستعن بالله"

¹ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 272-283

قال تعالى { فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِدْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ } 98 { إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } 99 { أَنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ } 100 { وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةً وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ فَالْأُولَاءِ إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٌ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } 101 { فَلَنْ تَرَأَنَ رُوحُ الْقُدْسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُبَيِّنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ } 102 { النَّحل 98-102 }

وتوحيد الله وإخلاص الدين له في عبادته واستعانته في القرآن كثيراً بل هو قلب الإيمان وأول الإسلام وأخره كما قال النبي صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وقال إنني لأعلم كلمة لا يقولها عند الموت أحد إلا وجده روحه لها روحها وقال من كان آخر كلامه لا إله إلا الله وحيث له الجنة وهو قلب الدين والإيمان وسائل الأعمال كالجوارج له وقول النبي إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل أمرى ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبيها أو إمرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه فيبين بهذا أن النية عمل القلب وهي أصل العمل وإخلاص الدين الله وبعبارة الله وحده ومتابعة الرسول فيما جاء به هو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وهو دين الإسلام العام الذي بعث الله به جميع الرسل كما قال تعالى { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنَّ اَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَبَبُوا الطَّاغُوتَ } النَّحل 36 وقال النبي لمعاذ بن جبل يا معاذ أتدري ما حق الله على عباده قلت يا رسول الله أعلم قال حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك أن لا يعبدتهم وقال لابن عباس إذا سألك فاسألك الله وإذا استعننا فاستعن بالله وقال تعالى { فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِدْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ } النَّحل 98¹

من كان متابعاً للأنبياء نصره الله سبحانه بما نصر به الأنبياء

قال تعالى { فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِدْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ } 98 { إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } 99 { أَنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ } 100 { وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةً وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ فَالْأُولَاءِ إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٌ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } 101 { فَلَنْ تَرَأَنَ رُوحُ الْقُدْسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُبَيِّنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ } 102 { النَّحل 98-102 }

ثبت في الصحيح من حديث أبي هريرة لما قال له الجنى اقرأ آية الكرسي إذا أويت إلى فراشك فإنه لا يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح فقال النبي صدقاً وهو كذوب و منها أن يستعيذ بالله من الشياطين و منها أن يستعيذ بالغوث الشرعية فإن الشياطين كانت تعرض للأنبياء في حياتهم وتريد أن تؤذيهما وتفسد عبادتهم كما جاءت الجن إلى النبي بشعلة من النار ت يريد أن تحرقه فأتاه جبريل بالغوث المعروفة التي تضمنها الحديث المروي عن أبي التياح أنه قال سأله عبد الرحمن بن حبيش وكان شيخاً كبيراً قد أدرك النبي صلى الله عليه وسلم كيف صنع رسول الله حين كادته الشياطين قال تحدرت عليه من الشعاب والأودية وفيهم شيطان معه شعلة من نار يريد أن يحرق بها رسول الله قال فرعب رسول الله فأتاه جبريل عليه السلام فقال يا محمد قل قال ما أقول قال قل أعود بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر

¹ مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 73

ما خلق وذرأ وبرأ ومن شر ما ينزل من السماء ومن شر ما يخرج من الأرض ومن شر ما ينزل فيها ومن شر فتن الليل والنهار ومن شر كل طارق يطرق إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن قال فطفئت نارهم وهزمهم الله عز وجل وثبت في الصحيحين عن أبي هريرة أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن عفريتاً من الجن جاء يفتاك بي البارحة ليقطع على صلاتي فأمكنتني الله عز وجل منه فذعنته فأردت أن آخذه فأربطه إلى سارية من المسجد حتى تصبحوا فنتظروا إليه ثم ذكرت قول سليمان عليه السلام رب اغفر لى وهب لى ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدى فرده الله تعالى خاسداً وعن عائشة أن النبي كان يصلى فاتح الشيطان فأخذه فصرعه فخنقه قال رسول الله حتى وجدت برد لسانه على يدي ولو لا دعوة سليمان لأصبح موثقاً حتى يراه الناس أخرجه النسائي واسناده على شرط البخاري كما ذكر ذلك أبو عبد الله المقدسي في مختاره الذي هو خير من صحيح الحاكم وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله كان يصلى صلاة الصبح وهو خلفه فالتبست عليه القراءة فلما فرغ من صلاته قال لو رأيتوني وإبليس فأهويت بيدي فما زلت أخنقه حتى وجدت برد لعابه بين إصبعي هاتين الإبهام والتى تليها ولو لا دعوة أخي سليمان لأصبح مربوطاً بسارية من سورى المسجد يتلاعب به صبيان المدينة فمن استطاع أن لا يحول بينه وبين القبلة أحد فليفعل رواه الإمام أحمد في مسنده وأبو داود في سننه وفي صحيح مسلم عن أبي الدرداء أنه قال قام رسول الله يصلى فسمعناه يقول أعود بالله منك ثم قال العنك بلعنة الله ثلاثة وبسط يده كأنه يتناول شيئاً فلما فرغ من صلاته قلنا يا رسول الله سمعناك تقول شيئاً في الصلاة لم نسمعك تقوله قبل ذلك ورأيناك بسطت يديك قال إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي فقلت أعود بالله منك ثلاثة مرات ثم قلت العنك بلعنة الله التامة فاستأخر ثم أردت أن آخذه ولو لا دعوة أخيانا سليمان لأصبح موثقاً يلعب به ولدان المدينة فإذا كانت الشياطين تأتي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لتوذيهن وتقدس عبادتهم فيدفعهم الله تعالى بما يؤيد به الأنبياء من الدعاء والذكر والعبادة ومن الجهاد باليد فكيف من هو دون الأنبياء فالنبي قمع شياطين الإنس والجن بما أいで الله تعالى من أنواع العلوم والأعمال ومن أعظمها الصلاة والجهاد وأكثر أحاديث النبي في الصلاة والجهاد فمن كان متبعاً للأنبياء نصره الله سبحانه بما نصر به الأنبياء وأما من ابتدع ديناً لم يشرعه فترك ما أمروا به من عبادة الله وحده لا شريك له وابتاعنبيه فيما شرعه لأمته وابتدع الغلو في الأنبياء والصالحين والشرك بهم فإن هذا تتلاعب به الشياطين قال تعالى {إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} ⁹⁹ {إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَُّونَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ} ¹⁰⁰ قال تعالى {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِيْنَ} الحجر 42 و منها أن يدعو الرائي بذلك ربه تبارك تعالى ليبين له الحال و منها أن يقول لذلك الشخص أنت فلان ويقسم عليه بالقسام المعظمة ويقرأ عليه قوارع القرآن إلى غير ذلك من الأسباب التي تضر الشياطين ¹

الشيطان يأمر بخلاف ما يأمر به الرسول

¹ مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 169-171

قال تعالى { فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِدْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ } 98 إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } 99 إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ } 100 وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةً وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ فَالْأُولَاءِ إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٌ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } 101 قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدْسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُبَيِّنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ } 102 النحل 98-102

فإن الله تعالى أمر المسلمين بالصلة والزكاة فالصلة حق الحق في الدنيا والآخرة والزكاة حق الخلق فالرسول أمر الناس بالقيام بحقوق الله وحقوق عباده بأن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً فالذى شرعه الله ورسوله توحيد وعدل وإحسان وإخلاص وصلاح للعباد في المعاش والمعداد وما لم يشرعه الله ورسوله من العبادات المبتدة في شرك وظلم وإساءة وفساد العباد في المعاش والمعداد فإن الله تعالى أمر المؤمنين بعبادته والإحسان إلى عباده كما قال تعالى { وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْأَوَّلِ الَّذِينَ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى } النساء 36 وهذا أمر بمعالي الأخلاق وهو سبحانه يحب معالي الأخلاق ويكره سفافتها وقد روى عنه أنه قال إنما بعثت لأنتم مكارم الأخلاق رواه الحاكم في صحيحه وقد ثبت عنه في الصحيح صلى الله عليه وسلم أنه قال اليد العليا خير من اليد السفلية وقال اليد العليا هي المعطية واليد السفلية السائلة وهذا ثابت عنه في الصحيح فأين الإحسان إلى عباد الله من إيزانهم بالسؤال والشحادة لهم وأين التوحيد للخلق بالرغبة إليه والرجاء له والتوكيل عليه والحب له من الإشتراك به بالرغبة إلى المخلوق والرجاء له والتوكيل عليه وأن يحب كما يحب الله وأين صلاح العبد في عبودية الله والذل له والافتقار إليه من فساده في عبودية المخلوق والذل له والافتقار إليه فالرسول صلى الله عليه وسلم أمر بتلك الأنواع الثلاثة الفاضلة المحمودة التي تصلح أمور أصحابها في الدنيا والآخرة ونهى عن الأنواع الثلاثة التي تفسد أمور أصحابها ولكن الشيطان يأمر بخلاف ما يأمر به الرسول قال تعالى { فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِدْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ } 98 إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } 99 إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ } 100 وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةً وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ فَالْأُولَاءِ إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٌ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } 101 قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدْسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُبَيِّنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ } 102 النحل 98-102

المبدأ في شعور النفس وحركتها هم الملائكة أو الشياطين

قال تعالى { فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِدْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ } 98 إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } 99 إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ } 100 وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةً وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ فَالْأُولَاءِ إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٌ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } 101 قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدْسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُبَيِّنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ } 102 النحل 98-102

فمبداً العلم الحق والإرادة الصالحة من لمة الملك ومبداً الاعتقاد الباطل والإرادة الفاسدة من لمة الشيطان قال الله تعالى { الشَّيْطَانُ يَعْدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمُ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعْدُكُمْ مَغْفِرَةً مَّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلَيْمٌ } البقرة 268 وقال تعالى { إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أُولَيَاءَهُ } آل عمران 175 أي يخوفكم أولياءه وقال تعالى { وَإِذْ رَأَيْنَاهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنَّ جَارِكُمْ } الأنفال 48 والشيطان وسواس خناس إذا ذكر العبد ربه خنس فإذا غفل عن ذكره

وسوس فلهذا كان ترك الله سبباً ومبدأ لنزول الاعتقاد الباطل والإرادة الفاسدة في القلب ومن ذكر الله تعالى تلاوة كتابه وفهمه ومذكرة العلم كما قال معاذ بن جبل ومذكوريه تسبيح ولكن لا بد أن يعلم ان المبدأ في شعور النفس وحركتها هم الملائكة أو الشياطين فالملك يلقى التصديق بالحق والأمر بالخير والشيطان يلقي التكذيب بالحق والأمر بالشر والتصديق والتکذیب مقوونان بنظر الإنسان كما أن الأمر والنهي مقوونان بإرادته فإذا كان النظر في دليل هاد كالقرآن وسلم من معارضات الشيطان تضمن ذلك النظر العلم والهدى ولهذا أمر العبد بالاستعاذه من الشيطان الرجيم عند القراءة

{فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِدْ بِاللّٰهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} النحل 98¹

كل من عبد غير الله فإنما يعبد الشيطان

قال تعالى { فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِدْ بِاللّٰهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ } 98 { إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } 99 { إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ } 100 { وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةً وَاللّٰهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٌ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } 101 { قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْفُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِتُبَيَّنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدُى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ } 102 { النحل 98-102 }

الإنسان إما عابد الله أو عابد للشيطان ولهذا كان كل من لم يعبد الله وحده فلا بد أنه يكون عابداً لغيره يعبد غيره فيكون مشركاً وليس فيبني آدم قسم ثالث بل إما موحد أو مشرك أو من خلط هذا بهذا كالمبدلین من أهل الملل النصارى ومن أشباههم من الضلال المنتسبين إلى الإسلام قال الله تعالى { فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِدْ بِاللّٰهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ } 98 { إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } 99 { إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ } 100 { النحل 98-100 }

فإليس لا يغوي المخلصين ولا سلطان له عليهم إنما سلطانه على الغاوين وهم الذين يتولونه وهم الذين به مشركون وقوله الذين يتولونه والذين هم به مشركون صفتان لموصوف واحد وكل من تولاه فهو به مشرك وكل من أشرك به فقد تولاه وكل من عبد غير الله فإنه يعبد الشيطان وإن كان يظن أنه يعبد الملائكة والأنبياء²

أولياء الله هم المؤمنون المتفقون

قال تعالى { فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِدْ بِاللّٰهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ } 98 { إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } 99 { إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ } 100 { وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةً وَاللّٰهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٌ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } 101 { قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْفُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِتُبَيَّنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدُى وَبُشْرَى

¹ مجموع الفتاوى ج: 4 ص: 36

² الحسنة والسيئة ج: 1 ص: 56

لِلْمُسْلِمِينَ {102} النَّحْل 98-102 وقد بين سبحانه وتعالى في كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم أن الله أولياء من الناس وللشيطان أولياء ففرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان وإذا عرف أن الناس فيهم أولياء الرحمن وأولياء الشيطان فيجب أن يفرق بين هؤلاء وهؤلاء كما فرق الله رسوله بينهما فأولياء الله هم المؤمنون المتقون كما قال تعالى {أَلَا إِنَّ أُولَيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} 62 {الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ} 63 يومن 63-62 وفي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي قال يقول الله من عادى لي ولها فقد بارزني بالمحاربة أو فقد آذنته بالحرب وما تقرب ألي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنواول حتى أحبه أحبته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبسطها ورجله التي يمشي بها فبقي يسمع وبقي يبصر وبقي يبسط وبقي يمشي ولئن سألني لأعطيك ولئن استعاذ بي لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله تردد عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساعته ولا بد له منه وهذا أصح حديث يروي في الأولياء في بين النبي أنه من عادى ولها فقد بارز الله بالمحاربة وفي حديث آخر وإنني لأنثر لأوليائي كما يثار الليث الحرب أي آخذ ثأرهم من عادهم كما يأخذ الليث الحرب ثأره وهذا لأن أولياء الله هم الذين آمنوا به ووالوه فأحبوا ما يحب وأبغضوا ما يبغض ورضوا بما يرضى وسخطوا بما يسخط وأمرروا بما أمر ونهوا عما نهى وأعطوا لمن يحب أن يعطى ومنعوا من يمنع كما في الترمذى وغيره عن النبي أنه قال أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله وفي حديث آخر رواه أبو داود قال ومن أحب الله وأبغض الله وأعطى الله ومنع الله فقد استكمل الإيمان و الولادة ضد العداوة وأصل الولاية المحبة والقرب وأصل العداوة البغض والبعد وقد قيل أن الولي سمي ولها من موالاته للطاعات اى متابعته لها والأول اصح والولي القريب فيقال هذا يلى هذا اى يقرب منه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم أحقوا الفرائض بأهلها فما ابقل الفرائض فلأولي رجل ذكر اى لأقرب رجل إلى الميت واكده بلفظ الذكر ليبين انه حكم يختص بالذكور ولا يشتر� فيها الذكور والإناث كما قال في الزكاة فابن لبون ذكر فإذا كان ولد الله هو المواقف المتابع له فيما يحبه ويرضاه ويبغضه ويسخطه ويأمر به وينهى عنه كان المعادي لوليء معاديا له كما قال تعالى {لَا تَتَّخِذُوا عَدُوّي وَعَدُوّكُمْ أَوْلَيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ} المتحنة 1 فمن عادى أولياء الله فقد عاداه ومن عاداه فقد حاربه فلهذا قال ومن عادى لي ولها فقد بارزني بالمحاربة¹

أخبر الله سبحانه وتعالى ان الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون بهدى الله الذي بعث به رسلاه²

الشياطين لا سلطان لهم على قلوب الموحدين

¹ مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 158

² الاستقامة ج: 2 ص: 171

قال تعالى { فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِدْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ } 98 { إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } 99 { إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ } 100 { وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةً وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ فَالْأَنْتَ مُفْتَرٌ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } 101 { فَلَنْ نَزِلَهُ رُوحُ الْفُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُبَيِّنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ } 102 { النَّحل 98-102 }

المتولون للشيطان هم الذين يحبون ما يحبه فأخبر سبحانه أن المتوكلين على الله ليس للشيطان عليهم سلطان وإنما سلطانه على المتولين له والمتولي من الولاية وأصله المحبة والموافقة كما أن العداوة أصلها البغض والمختلفة فالمتولون له هم الذين يحبونه ما يحبه الشيطان ويوافقه فهم مشركون به حيث أطاعوه وعبدوه بامتثال أمره كما قال تعالى { أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ } 60 { وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ } 61 { يس 60-61 }

والشياطين شياطين الإنس والجن والعبادة فيها الرغبة والرهبة قال تعالى { قَالَ يَا إِبْرِيلُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدْ لَمَا خَلَقْتُ بِيَدِي أَسْتَكْبِرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالَمِينَ } 75 { قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ } 76 { قَالَ فَأَخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ } 77 { وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ } 78 { قَالَ رَبِّ فَانظُرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبَيَّنُونَ } 79 { قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ } 80 { إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ } 81 { قَالَ فَيُعَزِّزَنِكَ لَا غُوَيْنِهِمْ أَجْمَعِينَ } 82 { إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ } 83 { قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقْوَلُ } 84 { لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبَعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ } 85 { ص 75-85 }

فأقسم الشيطان { لَا غُوَيْنِهِمْ أَجْمَعِينَ } 82 { إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ } 83 { ص 82-83 }

وقد أخبر الله أنه ليس له سلطان على هؤلاء فقال في الحجر { قَالَ فَأَخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ } 34 { وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ } 35 { الحجر 34-35 إلى قوله { قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتِنِي لَأَرْيَنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا غُوَيْنِهِمْ أَجْمَعِينَ } 39 { إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ } 40 { الحجر 39-40 }

قال تعالى { إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ } الحجر 42 وقاله { إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ } الحجر 42 استثناء منقطع في أقوى القولين إذ العباد هم العبادون لا المعبودون كما قال تعالى وقال تعالى { عَيْنَا يَسِرَّبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْحِيرًا } الإنسان 6 وقال تعالى { الْأَخْلَاءِ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَقِنِينَ } 67 { يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْثُمْ تَحْزَنُونَ } 68 { الَّذِينَ آمَنُوا بِإِيمَانِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ } 69 { الزخرف 67-69 }

وقال تعالى { وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللهِ يَدْعُوهُ } الجن 19 وقال تعالى { سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعِنْدِهِ لَيْلًا } الإسراء 1 وقال تعالى { وَادْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ } ص 45 عباد الله المخلصون ليس للشيطان عليهم سلطان وإذا كان عباد الله المخلصون ليس لهم سلطان وأن سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون وقد أقسم أن يغويهم إلا عباد الله المخلصين وأخبر الله أن سلطانه ليس على عباد الله بل على من اتبعه من الغاوين والغي اتباع الأهواء والشهوات وأصل ذلك أن الحب لغير الله كحب الانداد وذلك هو الشرك قال الله تعالى فيه { إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ } النحل 100

فبين أن صاحب الإخلاص مadam صادقا في إخلاصه فإنه يعتصم من هذا الغي وهذا الشرك وإن الغي هو يضعف الإخلاص ويقوى هواء الشرك ¹

¹ قاعدة في المحبة ج: 1 ص: 77-79 و مجموع الفتاوى ج: 13 ص: 220

الشيطان يوالي الإنسان بحسب عدم إيمانه

الإنسان لا يفعل الحرام إلا لضعف إيمانه ومحبته وإذا فعل مكرورات الحق فلضعف بغضها في قلبه أو لقوة محبتها التي تغلب بغضها فالإنسان لا يأتي شيئاً من المحرمات كالفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق والشرك بالله مالم ينزل به سلطاناً والقول على الله بغير علم إلا لضعف الإيمان في أصله أو كماله أو ضعف العلم والتصديق وإما ضعف المحبة والبغض لكن إذا كان أصل الإيمان صحيحاً وهو التصديق فإن هذه المحرمات يفعلها المؤمن مع كراحته وبغضه لها فهو إذا فعلها لغيبة الشهوة عليه فلا بد أن يكون مع فعلها فيه بغض لها وفيه خوف من عقاب الله عليها وفيه رجاء لأن يخلص من عقابها إما بتوبة وإما حسناً وإنما عفو وإنما دون ذلك وإنما لم يبغضها ولم يخف الله فيها ولم يرج رحمته فهذا لا يكون مؤمناً بحال بل هو كافر أو منافق فكل سيئة يفعلها المؤمن لا بد أن تقرن بها حسناً له لكن قوة شهوته للسيئة وما زين له فيها حتى ظن أنها مصلحة له أو جب وقوعها وهو اتباع الظن وما تهوي الأنفس وهذا القدر عارض بعض إيمانه فترجح عليه حتى ما هو ضد لبعض الإيمان فلم يبق مؤمناً بالإيمان الواجب كما قال النبي ﷺ لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن وهو فيما يفعله متبع للشيطان فيما زين له حتى رأه حسناً وفيما أمره به فأطاعه وهذا من الشرك بالشيطان كما قال تعالى {أَفَتَتَخِذُونَهُ وَدُرْرِيَّتَهُ أُولَئِيَّاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ يُنْسَى لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا } الكهف 50 وقال تعالى {أَلَمْ أَعْهَدُ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ } 60 وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ } 61 {يس 60-61 ولهذا لم يخلص من الشيطان إلا المخلصون لله كما قال تعالى عن أبليس {وَلَا غُوَيْثُمْ أَجْمَعِينَ } 39 {إِلَّا عِبَادُكَ مِنْهُمُ الْمُخَلَّصِينَ } 40 الحجر 39-40 وقال تعالى {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَ مِنَ الْغَاوِينَ } الحجر 42 وقال تعالى {إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } 99 {إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَُّونَ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ } 100 {النحل 99-100 فإذا كان الشيطان ليس له سلطان إلا على من أشرك به فكل من أطاع الشيطان في معصية الله فقد تسلط الشيطان عليه وصار فيه من الشرك بالشيطان بقدر ذلك والشيطان يوالي الإنسان بحسب عدم إيمانه كما قال تعالى {إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أُولَائِيَّاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ } الأعراف 27 وقال تعالى {وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْنَاهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ } 36 {وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ } 37 حتى إذا جاءنا قال يا لينت بيبي وبينك بعد المشرقيين فينس القريين {38} الزخرف 36-38 وقال تعالى في قصة يوسف عليه السلام {كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخَلَّصِينَ } يوسف 24 ويشهد لهذا ما ثبت في صحيح مسلم عن جابر عن النبي إن الشيطان ينتصب عرشه على البحر ويبعث سراياه فجميع ما نهى الله عنه هو من شعب الكفر وفروعه كما أن كل

ما أمر الله به هو من الإيمان والإخلاص لدين الله ولهذا قال تعالى {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ¹ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ} البقرة 193

قال الله تعالى {يَا بَنِي آدَمَ لَا يُفْتَنُكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبْوَيْكُمْ مِّنَ الْجَنَّةِ يَنْزَعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيهِمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبْيلَهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أُولَئِكَ اللَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ} 27 {وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمْرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَنَّقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} 28 {قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهُكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لِهِ الدِّينِ كَمَا بَدَأْكُمْ تَعُودُونَ} 29 {فَرِيقًا هَذِي وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أُولَئِكَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ} 30 {الْأَعْرَافِ 27-30} فأخبر سبحانه أنه جعل الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون وهو قوله تعالى {أَفَتَخَذُونَهُ وَدُرْرِيَّتَهُ أَوْلَيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عُدُوٌّ بِسْ لِلظَّالِمِينَ} النحل 100-50 وقال تعالى {إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَُّونَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ} الكهف 82-83 وإذا كان سلطانه على أوليائه الذين تولوه والذين هم به مشركون وهم الذين لا يؤمنون بالله وقال تعالى {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ} الحجر 42 فيكون هؤلاء هم الغاوين وهم الذين قال الشيطان {لَا غُوَيْنَهُمْ أَجْمَعِينَ} 82 {إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ} 83 ص 82-83 ولهذا أخبر سبحانه عن أوليائه أنهم {وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمْرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَنَّقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} 28 فأخبر عن أولياء الشيطان وهم الذين يتولونه والذين هم به مشركون أنهم إذا فعلوا فاحشة احتجوا بالتقليد لأسلافهم وزعموا مع ذلك أن الله أمرهم بها فيتبعون الظن في قوله إن الله أمرهم بها وما تهوي الأنفس في تقليد أسلافهم وأتباعهم²

الكمال المطلق للإنسان هو تكميل العبودية لله علماً وقصدًا

قال تعالى {فَإِذَا قَرَأْتَ الْفُرْقَانَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} 98 {إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} 99 {إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَُّونَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ} 100 {النَّحْل 98-100}

كمال المخلوق في تحقيق عبوديته لله وكلما ازداد العبد تحقيقاً للعبودية ازداد كماله وعلت درجة توحيد المخلوق يخرج من العبودية بوجه من الوجوه او ان الخروج عنها اكمل فهو من اجهل الخلق واضلهم وقال تعالى {وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ} 19 {يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَقْنُرُونَ} 20 الأنبياء 19-20 وقال تعالى {لَنْ

¹ قاعدة في المحبة ج: 1 ص: 105

² قاعدة في المحبة ج: 1 ص: 84-85

يَسْتَكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَكِفُ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكِفُ
 فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا } النساء 172 الى قوله { وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا
 } النساء 173 وهذا ونحوه مما فيه وصف اكابر المخلوقات بالعبادة وذم من خرج عن ذلك متعدد
 في القرآن وقد اخبر انه ارسل جميع الرسل بذلك فقال تعالى { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ
 اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ } النحل 36 وقال { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ } الذاريات 56
 وكل رسول من الرسل افتح دعوته بالدعاء الى عبادة الله كقول نوح ومن بعده عليهم السلام {
 اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٌ غَيْرُهُ } الأعراف 59 وفي المسند عن ابن عمر عن النبي انه قال بعثت
 بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقى تحت ظل رمحى وجعل الذلة
 والصغرى على من خالف امرى وقد بين الله أن عباده هم الذين ينجون من السينيات قال الشيطان {
 رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيْنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ } 39 } الا عبادك منهم المخلصين { 40
 الحجر 40-39 قال تعالى { إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ أَتَيْتَكَ مِنَ الْغَاوِينَ } الحجر
 42 و { قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَا أَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ } 82 } الا عبادك منهم المخلصين { 83 } ص 82-83
 وقال في حق يوسف { كَذَلِكَ لِنَصْرَفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءِ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ } يوسف 24
 وقال { سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ } 159 } الا عباد الله المخلصين { 160 } الصافات 159-160 وقال
 تعالى { فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ } 98 } إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا
 وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } 99 } إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَُّهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ } 100 } النحل 98-99

100

فالكمال المطلق للإنسان هو تكميل العبودية لله علما وقصدًا وقال تعالى { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا
 لِيَعْبُدُونَ } الذاريات 56 وقال تعالى { وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ } الجن 19 وقال تعالى فيما حكاه
 عن إبليس قال { فَبِعِزَّتِكَ لَا أَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ } 82 } الا عبادك منهم المخلصين { 83 } ص 82-83
 قال تعالى { إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ } الإسراء 65 وقال تعالى { كَذَلِكَ لِنَصْرَفَ عَنْهُ
 السُّوءَ وَالْفَحْشَاءِ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ } يوسف 24 وقال تعالى { إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ
 آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } 99 } إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَُّهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ } 100 }
 النحل 99-100 و عبادته طاعة أمره وأمره لنا ما بلغه الرسول عنه فالكمال في كمال طاعة الله
 ورسوله باطنا وظاهرا ومن كان لم يعرف ما أمر الله به فترك هواه وإستسلم للقدر أو إجتهد في
 الطاعة فاختطاً فعل المأمور به إلى ما اعتقاده مأمورا به أو تعارضت عنده الأدلة فتوقف عما هو
 طاعة في نفس الأمر فهو لاء مطيعون لله مثابون على ما أحسنوه من القصد لله واستفرغوه من وسعهم
 في طاعة الله وما عجزوا من علمه فأخطلواه إلى غيره فمحظون لهم وهذا من اسباب فتن تقع بين
 الأمة فإن أقواما يقولون ويفعلون أمورا هم مجتهدون فيها وقد اخطأوا فتبليغ أقواما يظنون أنهم تعمدوا
 فيها الذنب أو يظنون أنهم لا يعذرون بالخطأ وهم أيضا مجتهدون مخطئون فيكون هذا مجتها مخطئا
 في فعله وهذا مجتها مخطئا في إنكاره والكل مغفور لهم وقد يكون أحدهما مذنيا كما قد يكونان

نفسك إن لم تشغليها بالحق شغلتك بالباطل

قال تعالى {فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِدْ بِاللّٰهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} 98 {إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} 99 {إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَُّونَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ} 100 {النَّحْلُ} 100-98

إن ما يبتلى به العبد من الذنوب الوجودية وإن كانت خلافاً لله فهو عقوبة له على عدم فعله ما خلقه الله له وفطره عليه فإن الله إنما خلقه لعبادته وحده لا شريك له ودلالة على الفطرة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة وقال تعالى {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلَّذِينَ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللّٰهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللّٰهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} الروم 30 فهو لاماً فعل ما خلق له وما فطر عليه وما أمر به من معرفة الله وحده وعبادته وحده عوقب على ذلك بأن زين له الشيطان ما يفعله من الشرك والمعاصي قال تعالى {إِذْهَبْ فَمَنْ تَبَعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ حَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا} الإسراء 63 إلى قوله {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا} الإسراء 65 و قال تعالى {إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} 99 {إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَُّونَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ} 100 {النَّحْلُ} 99-100 الآية وقال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ} 201 {وَإِخْوَانُهُمْ يَمْدُونُهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُعْصِرُونَ} 202 {الْأَعْرَافُ} 201-202 فتبين أن الإخلاص يمنع من تسلط الشيطان كما قال تعالى {كَذَلِكَ لِتَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ} يوسف 24 فكان إلهامه لفجوره عقوبة له و عدم فعل الحسنات ليس أمراً موجوداً حتى يقال إن الله خلقه و من تدبر القرآن تبين له أن عامة ما يذكر الله في خلق الكفر والمعاصي يجعله جزاءً لذلك العمل كقوله تعالى {فَمَنْ يُرِدُ اللّٰهُ أَنْ يَهْدِيهِ يُشْرِحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدُ أَنْ يُضْلِلَهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيْقًا حَرَجًا كَانَمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللّٰهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ} الأنعام 125 الآية و قال تعالى {فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاعَ اللّٰهُ قُلُوبَهُمْ} الصاف 5 و قال {وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى} 8 {وَكَذَبَ بِالْحُسْنَى} 9 {فَسَنَيْسِرُهُ لِلْعُسْرَى} 10 {الليل 8-10} وهذا و أمثاله يذكر فيه أعمالاً عاقبهم بها على فعل محظوظ و ترك مأمور و لا بد لهم من حركة و إرادة فلما لم يتحركوا بالحسنات حرکوا بالسيئات عدلاً من الله كما قيل نفسك إن لم تشغليها بالحق شغلتك بالباطل وهذا الوجه إذا حق يقطع مادة كلام طائفى الفدرية المكذبة و المجبرة الذين يقولون خلقها لذلك و التعذيب لهم ظلم يقال لهم إنما أوقعهم فيها و طبع على قلوبهم عقوبة لهم فما ظلمهم و لكن ظلموا أنفسهم يقال ظلمته إذا نقصته حقه قال تعالى

{كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ أَتْ أَكُلُّهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئاً} الكهف 33 وكثير منهم يسلمون أن الله خلق من الأعمال ما يكون جزاء على عمل متقدم ويقولون خلق طاعة المطيع لكن ما خلق شيئاً من الذنوب إبتداء بل جزاء فيقولون أول ما يفعل العبد لم يحدثه الله و ما ذكرنا يوجب أن يكون الله خالق كل شيء لكن أولها عقوبة على عدم فعله لما خلق له و العدم لا يضاف إلى الله فما أحدثه فأوله عقوبة على هذا العدم و سائرها قد يكون عقوبة على ما وجد و قد يكون عقوبة على إستمراره على العدم فما دام لا يخلص الله لا يزال مشركاً و الشيطان مسلط عليه ثم تخصيصه سبحانه لمن هداه بأن إستعمله إبتداء فيما خلق له تخصيص بفضله و هذا منه لا يوجب الظلم و لا يمنع العدل و لهذا يقول تعالى {وَاللهُ يَخْتَصُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ} البقرة 105 و كذلك الفضل هو أعلم به كما خص بعض الأبدان بقوى لا توجد في غيرها و بسبب عدم القوة قد تحصل له أمراض و جودية و غير ذلك من حكمته و تحقيق هذا يدفع شبّهات هذا الباب وما ذكر فيه العقوبة على عدم الإيمان قوله تعالى {وَنَقْلُ أَفْدَنَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ} الأنعام 110 هذا من تمام قوله {وَمَا يُشَعِّرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ} الأنعام 109 فذكر أن هذا التقليل يكون لمن لم يؤمنوا به أول مرة و هذا عدم الإيمان لكن يقال هذا بعد دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم لهم وقد كذبوا و تركوا الإيمان و هذه أمور و جودية لكن الموجب هو عدم الإيمان و ما ذكر شرط في التعذيب بإرسال الرسول فإنه قد يستغل عن الإيمان بما جنسه مباح لا يستحق به العقوبة إلا لأنه شغله عن الإيمان و من الناس من يقول ضد الإيمان هو تركه و هو أمر و جودي لا ضد له إلا ذلك¹

إذا فعل العبد ما يغار عليه فقد يعاقبه على ذلك بقدر ذنبه

قال النبي صلى الله عليه وسلم غيره الله ان يأتي المؤمن ما حرم عليه واعظم الذنوب ان يجعل الله نداً وهو خلقك وتجعل معه الها اخر والشرك منه جليل ومنه دقيق فالمقتصدون قاموا بواجب التوحيد والسابقون المقربون قاموا بمستحبه مع واجبه ولا شيء احب إلى الله من التوحيد ولا شيء ابغض إليه من الشرك ولهذا كان الشرك غير مغفور بل هو اعظم الظلم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن مثل الخامة من الزرع تقىئها الرياح تارة تميلها وتعدلها اخرى ومثل المنافق كمثل شجرة الارز لا تزال ثابته على اصلها حتى يكون انجعافها مرة واحدة فالله تعالى يبتلى عبده المؤمن ليطهره من الذنوب والمعايب ومن رحمته بعده المخلص ان يصرف عنه ما يغار عليه منه كما قال تعالى {إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} النحل 99 فإذا صرف عنه ما يغار عليه منه كان ذلك من رحمته به واصطفائه اياه وان كان في ذلك مشقة عليه فهو تارة يمنعه مما يكره له وتارة ليطهره منه بالابتلاء فإذا كان يغار من ذلك فإذا فعل العبد ما يغار عليه فقد يعاقبه على ذلك بقدر ذنبه²

¹ مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 222 و الحسنة والسيئة ج: 1 ص: 92

² الاستقامة ج: 2 ص: 59

قال تعالى { فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِدْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ } 98 { إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } 99 { إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَُّهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ } 100 { النَّحْلُ } 100-98
فالتوكل فله وحده لا شريك له كما قال { وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } النَّحْل 99¹

خلاصة الدعوة النبوية

قال تعالى { فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِدْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ } 98 { إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } 99 { إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَُّهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ } 100 { النَّحْلُ } 100-98

إن المحبة لله نوعان محبة له نفسه ومحبة لما منهم من الاحسان وكذلك الحمد له نوعان حمد الله على ما يستحقه بنفسه وحمد على إحسانه لعبده فالنوعان للرضا كالنوعين للمحبة وأما الرضا به وبدينه وبرسوله فذلك من حظ المحبة ولهذا ذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا الله ومن كان يكره أن يرجع إلى الكفر بعد إذ انفذه الله منه كما يكره أن يلقي في النار وهذا مما يبين من الكلام على المحبة فنقول محبة الله ورسوله من أعظم واجبات الإيمان وأكبر أوصله وأجل قواعده بل هي أصل كل عمل من أعمال الإيمان والدين كما أن التصديق أصل كل قول من أقوال الإيمان والدين فإن كل حركة في الوجود إنما تصدر عن محبة إما عن محبة محمودة أو عن محبة مذمومة كما قد بسطنا ذلك في قاعدة المحبة من القواعد الكبار فجميع الأعمال الإيمانية الدينية لا تصدر إلا عن المحبة المحمودة وأصل المحبة المحمودة هي محبة الله سبحانه وتعالى إذ العمل الصادر عن محبة مذمومة عند الله لا يكون عملا صالحا بل جميع الأعمال الإيمانية الدينية لا تصدر إلا عن محبة الله فإن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما أريد به وجهه كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يقبل الله تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملا فأشرك فيه غيري فأنا منه برئ وهو كله للذي أشرك وثبت في الصحيح حديث الثلاثة الذين هم أول من تسرع بهم النار القارئ المرائي والمجاهد المرائي والمتصدق المرائي بل إخلاص الدين لله هو الدين الذي لا يقبل الله سواه فهو الذي بعث به الأولين والآخرين من الرسل ونزل به جميع الكتب واتفق عليه أئمة أهل الإيمان وهذا هو خلاصة الدعوة النبوية وهو قطب القرآن الذي تدور عليه رحاه وقال تعالى فيما قصه من قصة آدم وابليس انه قال { فَبِعِزَّتِكَ لَا غُوَيْنَهُمْ أَجْمَعِينَ } 82 { إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ } 83 ص 82-83 وقال تعالى { إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ } الحجر 42 وقال { إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } 99 { إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَُّهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ } 100 { النَّحْلُ } 99-100
فبين ان سلطان الشيطان واغواهه انما هو لغير المخلصين ولهذا قال في قصة يوسف { كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ } يوسف 24

¹ مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 69

وابتع الشيطان هم اصحاب النار كما قال تعالى {لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبَعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ} ص 85 وقد قال سبحانه {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} النساء 48 وهذه الآية في حق من لم يتبع ولها خصص الشرك وقيد ما سواه بالمشيئة فأخبر انه لا يغفر الشرك لمن لم يتبع منه ومادونه يغفره لمن يشاء واما قوله {قُلْ يَا عَبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا} الزمر 53 فتلك في حق التائبين ولها عم واطلق وسياق الآية يبين ذلك مع سبب نزولها وقد اخبر سبحانه ان الاولين والآخرين انما امروا بذلك في غير موضع كالسورة التي قرأها النبي على ابى لما امره الله تعالى ان يقرأ عليه قراءة ابلاغ وإسماع بخصوصه فقال {وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ} 4 وما أمرُوا إلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لِهِ الدِّينَ حُنَفَاءَ} 5 البينة 4-5 الآية وهذا حقيقة قول لا اله إلا الله وبذلك بعث جميع الرسل قال الله تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونَ} الأنبياء 25 وقال {وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ الَّهُمَّ يُعْبُدُونَ} الزخرف 45 وقال تعالى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ} النحل 36 وجميع الرسل افتتحوا دعوتهم بهذا الاصل كما قال نوح عليه السلام {إِعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٌ غَيْرُهُ} الأعراف 59 وكذلك هود وصالح وشعيب عليهم السلام وغيرهم كل يقول {اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٌ غَيْرُهُ} لاسيما افضل الرسل الذين اتخذ الله كلاما خليلا ابراهيم ومحما عليهما السلام فان هذا الاصل بينه الله بهما وأيدهما فيه ونشره بهما فابراهيم هو الامام الذي قال الله فيه {إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا} البقرة 124 وفي ذريته جعل النبوة والكتاب والرسل فأهل هذه النبوة والرسالة هم من الله الذين بارك الله عليهم قال سبحانه {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنِّي بَرَأَءُ مَمَّا تَعْبُدُونَ} 26 إلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدِنِينَ} 27 وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِيْهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} 28 الزخرف 26-28 وهذه الكلمة هي كلمة الاخلاص لله وهي البراءة من كل معبد الامن الخالق الذي فطرنا كما قال صاحب يس {وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} 22 {أَتَتَّخُذُ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنَ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتْهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِدُونَ} 23 {إِنِّي إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} 24 {إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونَ} 25 يس 22-25

القرآن المحتلو هو القرآن العربي الذي نزله روح القدس من الله بالحق

قال تعالى {فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِدْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} 98 {إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَىٰ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} 99 {إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَىٰ الَّذِينَ يَتَوَلَّهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ} 100 {وَإِذَا بَدَّلَنَا آيَةً مَكَانَ آيَةً وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَنْزَلُ} 101 {قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٌ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} 101 {فَلَنْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدْسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُبَيِّنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ} 102 النحل 98-102

اهل السنة متذمرون على أن القرآن المحتلو هو القرآن العربي الذي نزله روح القدس من الله بالحق وهو كلام الله الذي تكلم به ولكن تنازعوا في تلاوة العباد له هل هي القرآن نفسه أم هي الفعل الذي يقرأ به القرآن والتحقيق أن لفظ التلاوة يراد به هذا ولفظ القرآن يراد به المصدر ويراد به الكلام قال الله تعالى {إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ} 17 {فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبَعْ قُرْآنَهُ} 18 ثم إن علينا

¹ مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 50-52 و أمراض القلوب ج: 1 ص: 60 و التحفة العراقية ج: 1 ص: 60

بِيَانَهُ¹⁹ القيامة 19-17 وفي الصحيحين عن ابن عباس قال إن علينا أن نجمعه في قلبك وتقرأه بلسانك وقال أهل العربية يقال قرأت الكتاب قراءة وقرأنا و منه قول حسان ضحوا بأشmet عنوان السجود به يقطع الليل تسبيحا وقرأنا وقد قال تعالى {فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِدْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} النحل 98 وقال تعالى {وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَاباً مَسْتُوراً} الإسراء 45 وقال تعالى {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا} الأعراف 204 وهم إنما يستمعون الكلام نفسه ولا يستمعون مسمى المصدر الذي هو الفعل فإن ذلك لا يسمع وقال {فَإِذَا قَرَأْنَاهُ} القيامة 18 قال ابن عباس أي قراءة حيريل {فَاتَّبَعْ قُرْآنَهُ} القيامة 18 فإستمع له حتى يقضي قراءته المشهور في قوله {فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ} النحل 98 أنه منصوب على المفعول به لكن فيها معنى المصدر أيضا كما تقدم فيه معنى المفعول به ومعنى المصدر جميعا وقد يغلب هذا كما في قوله {إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ} القيامة 17 فالمراد هنا نفس مسمى المصدر وقد يغلب هذا تارة كما في قوله {فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا} الأعراف 204 وقوله {قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ} الإسراء 88 وقوله {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلّٰتِي هِيَ أَقْوَمُ} الإسراء 9 وغالب ما يذكر لفظ القرآن إنما يراد به نفس الكلام لا يراد به التكلم بالكلام الذي هو مسمى المصدر ومثل هذا كثير في اللغة يكون أمران متلازمان إما دائما وإما غالبا فيطلق الإسم عليهم ويغلب هذا تارة وهذا تارة وقد يقع على أحدهما مفردا كلفظ النهر و القرية و الميزاب و نحو ذلك مما فيه حال و محل فالإسم يتناول مجرى الماء والماء الجاري وكذلك لفظ القرية يتناول المساكن والسكان ثم تقول حفر النهر فالمراد به المجرى و تقول حفر النهر فالمراد به الماء وتقول حفر الميزاب تعنى الماء ونصب الميزاب تعنى الخشب و قال تعالى {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغْدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنَّعُمَ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْحَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ} النحل 112 والمراد السكان في المكان وقال تعالى {وَكَمْ مِنْ قَرْيَةً أَهْلَكَنَا هَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَانًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ} الأعراف 4 و قال تعالى {وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا} يوسف 82 و قال تعالى {وَتِلْكَ الْقَرَى أَهْلَكَنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا} الكهف 59 و قال تعالى {وَكَذِلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخْذَ الْقُرَى وَهِيَ طَالِمَةٌ} هود 102 وقال تعالى {لَتُنذَرَ أُمُّ الْقَرَى وَمَنْ حَوْلَهَا} الشورى 7 وقال تعالى {فَكَيْنَ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكَنَا هَا وَهِيَ طَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبَيْرٌ مُعَطَّلَةٌ وَقَصْرٌ مَشِيدٌ} الحج 45 و الخاوي على عروشه المكن لا السكان وقال تعالى {أَوْ كَالَّذِي مَرَ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا} البقرة 259 لما كان المقصود بالقرية هم السكان كان إرادتهم أكثر في كتاب الله وكذلك لفظ النهر لما كان المقصود هو الماء كان إرادته أكثر ك قوله {وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ} الأنعام 6 و قوله {وَفَجَرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا} الكهف 33 فهذا كثير أكثر من قوله حفرنا النهر وكذلك إطلاق لفظ القرآن على نفس الكلام أكثر من إطلاقه على نفس التكلم وكذلك لفظ الكلام والقول والقصص وسائر أنواع الكلام يراد بها نفس الكلام أكثر مما يراد بها فعل المتكلم وهذه الأمور لبسطها موضع آخر¹

¹ مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 40-36

روح القدس هو جبريل وهو الروح الأمين

قال الله تعالى {اللَّهُ يَصْنُطِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ} الحج 75 وقد أخبر تعالى في غير آية أنه أيد المسيح بروح القدس و هو جبريل عند جمهور المفسرين قوله تعالى {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرَّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْتَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدْسِ} البقرة 87 فعند جمهور المفسرين أن روح القدس هو جبريل بل هذا قول ابن عباس و قتادة و الصحاح و السدى وغيرهم و دليل هذا قوله تعالى {وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةً وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٌ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} 101 فلن نزله روح القدس من ربكم بالحق ليثبت الذين آمنوا و هدى و بشرى للمسلمين {وَبِشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ} 102 النحل 101-102¹

وثبت في الصحيح عن أبي هريرة أنه سمع النبي يقول لحسان بن ثابت أجب عني اللهم أいで بروح القدس وفي صحيح مسلم وغيره عن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت النبي يقول لحسان بن ثابت إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله وفي الصحيحين عن البراء بن عازب قال سمعت رسول الله يقول لحسان بن ثابت اهجمهم أو هاجهم وجبريل معك²

وروح القدس قد يراد بها الملك المقدس كجبريل ويراد بها الوحي والهدى والتأييد الذي ينزله الله بواسطة الملك أو بغير واسطته وقد يكونان متلازمين فإن الملك ينزل بالوحي والوحي ينزل به الملك والله تعالى يؤيد رسالته بالملائكة وبالهدى كما قال تعالى عن نبيه محمد {إِلَّا تَتَصْرُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} التوبه 40³

وجبريل الذي نزل بالوحي على محمد هو روح القدس وهو روح الحق⁴

والله سبحانه تكلم بالقرآن العربي وبالتوراة العبرية فالقرآن العربي كلام الله كما قال تعالى {فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} النحل 98 إلى قوله {لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ} 103 النحل 103 فقد بين سبحانه أن القرآن الذي يبدل منه آية نزله روح القدس وهو جبريل وهو الروح الأمين كما ذكر ذلك في موضع آخر من الله بالحق وبين بعد ذلك أن من الكفار من قال

¹ مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 285

² الجواب الصحيح ج: 2 ص: 181

³ الجواب الصحيح ج: 3 ص: 195

⁴ الجواب الصحيح ج: 5 ص: 311

{ إنما يَعْلَمُه بَشَرٌ }¹ النحل 103 كما قال بعض المشركين يعلمه رجل بمكة أعمى فقال تعالى { لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِي }² النحل 103 أي الذي يضيغون إليه هذا التعليم أعمى { وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ }³ النحل 103 ففي هذا ما يدل على أن الآيات التي هي لسان عربي مبين نزلها روح القدس من الله بالحق كما قال في الآية الأخرى { أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغَيْ حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنَزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِّنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونُنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ }⁴ الأنعام 114 والكتاب الذي أنزل مفصلا هو القرآن العربي باتفاق الناس وقد أخبر أن الذين أتاهم الكتاب يعلمون أنه نزل من الله بالحق والعلم لا يكون إلا حقا فقال { يَعْلَمُونَ }⁵ الأنعام 114 ولم يقل يقولون فإن العلم لا يكون إلا حقا بخلاف القول وذكر علمهم ذكر مستشهد به¹

قال تعالى { فَذَكَرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ }⁶ الطور 29 إلى قوله { إن كأنوا صادقين }⁷ الطور 34 فنزله سبحانه وتعالي نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم عن تقرن به الشياطين من الكهان والشعراء والمجانين وبين ان الذي جاءه بالقرآن ملك كريم اصطفاه قال الله تعالى { اللَّهُ يَصْنُطُ فِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ }⁸ الحج 75 وقال تعالى { وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ }⁹ نزل به الروح الأمين }¹⁰ 193 على قلبك لتكون من المندرين }¹¹ بِلِسَانِ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ }¹² 194 الشعراe 192-195 وقال تعالى { قُلْ مَنْ كَانَ عَدُواً لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ }¹³ البقرة 97 الآية وقال تعالى { فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ }¹⁴ إنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ }¹⁵ 98 وإنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ }¹⁶ 99 إنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَُّهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ }¹⁷ 100 وإنَّا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةً وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٌ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ }¹⁸ 101 قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِتَبَيَّنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدُى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ }¹⁹ 102 وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعْلَمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِي وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ }²⁰ النحل 98-102 فسماء الروح الامين وسماء روح القدس²

القرآن الكريم كلام الله ليس لجبريل ولا لمحمد فيه إلا التبليغ والأداء

قال تعالى { فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ }²¹ إنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ }²² 99 إنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَُّهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ }²³ 100 وإنَّا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةً وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٌ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ }²⁴ 101 قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِتَبَيَّنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدُى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ }²⁵ 102 وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعْلَمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِي وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ }²⁶ النحل 98-103

وقد أخبر تعالى بأن القرآن نزل منه فقال { وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ }²⁷ الأنعام 114 وقال { حم }²⁸ 1 تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ }²⁹ فصلت 1-2 { حم }³⁰ 1

¹ مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 38-39 و الجواب الصحيح ج: 3 ص: 273

² مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 273

تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ {2} الْجَاثِيَةُ 1-2 فجبريل رسول الله من الملائكة جاء به إلى رسول الله من البشر والله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس وكلها مبلغ له كما قال {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلَغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ } المائدة 67 وقال {إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدِيهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً } 27 لِيَعْلَمَ أَنَّ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ } 28 الجن 27-28 وهو مع هذا كلام الله ليس لجبريل ولا لمحمد فيه إلا التبليغ والأداء كما أن المعلمين له في هذا الزمان والتاليين له في الصلاة أو خارج الصلاة ليس لهم فيه إلا ذلك لم يحدثوا شيئاً من حروفه ولا معانيه قال تعالى

{فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِدْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ } النَّحْلُ 98 إلى قوله { وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةً وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٌ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } 101 فَلَنْ تَرَكَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُبَيِّنَ الدِّينَ أَمْنُوا وَهُدُى وَبُشِّرَى لِلْمُسْلِمِينَ } 102 وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعْلَمُ بِشَرْ لِسَانَ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمٌ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ } 103 النَّحْلُ 101-103

كان بعض المشركين يزعم أن النبي تعلمه من بعض الأعلام الذين بمكة أما عبد بن الحضرمي وأما غيره كما ذكر ذلك المفسرون فقال تعالى {لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمٌ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ } النَّحْلُ 103 فكيف يتصور أن يعلمه أعمى وهذا الكلام عربي وقد أخبر أنه نزله روح القدس من رب بالحق فهذا بيان أن هذا القرآن العربي الذي تعلم من غيره لم يكن هو المحدث لحروفه ونظمه إذ يمكن لو كان كذلك أن يكون تلقى من الأعمى معانيه وألف هو حروفه وبيان أن هذا الذي تعلم من غيره نزل به روح القدس من رب بالحق يدل على أن القرآن جميعه منزل من رب سبحانه وتعالى لم ينزل معناه دون حروفه ومن المعلوم أن من بلغ كلام غيره كمن بلغ كلام النبي أو غيره من الناس أو أنشد شعر غيره كما لو أنشد منشد قول ليبيد ألا كل شيء ما خلا الله باطل أو قول عبد الله بن رواحة حيث قال شهدت بأن وعد الله حق وإن النار مثوى الكافرينا وإن العرش فوق الماء طاف وفوق العرش رب العالمين أو قوله وفينا رسول الله يتلو كتابه إذا انشق معروف من الفجر ساطع يبيت يجافي جنبه عن فراشه إذا استقلت بالمشركين المضاجع أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا به موقنات أن ما قال واقع وهذا الشعر قاله منشئه لفظه ومعناه وهو كلام لا كلام غيره بحركته وصوته ومعناه القائم بنفسه ثم إذا أنشده المنشد وبلغه عنه علم أنه شعر ذلك المنشيء وكلامه ونظمه و قوله مع أن هذا الثنائي أنشأه بحركة نفسه وصوت نفسه وقام بقلبه من المعنى نظير ما قام بقلب الأول وليس الصوت المسموع من المنشد هو الصوت المسموع من المنشيء والشعر شعر المنشيء لا شعر المنشد والمحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم إذا روى قوله إنما الأ أعمال بالنيات بلغه بحركته وصوته مع أن النبي تكلم به بحركته وصوته وليس صوت المبلغ صوت النبي ولا حركته كحركته وكلام كلام رسول الله لا كلام المبلغ له عنه فإذا كان هذا معلوماً معقولاً فكيف لا يعقل أن يكون ما يقرأ القارئ إذا قرأ {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } 2 الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ } 3 مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ } 4 الفاتحة 2-4 أن يقال هذا الكلام كلام الباريء وإن كان الصوت صوت القارئ فمن ظن أن الأصوات المسموعة من القراء صوت الله فهو ضال مفتر مخالف لتصريح المعقول وصحيح المنقول قائل قوله لم يقله أحد من أئمة المسلمين بل قد أنكر الإمام أحمد وغيره على من قال لفظي بالقرآن غير مخلوق وبدعوه كما جهموا من قال لفظي بالقرآن مخلوق وقالوا القرآن كلام الله غير مخلوق كيف تصرف فكيف من قال لفظي به قديم أو صوتي به قد يبتدع هذا وضلالة أوضح فمن قال إن لفظه بالقرآن غير مخلوق أو صوته أو فعله أو شيئاً من ذلك فهو ضال مبتدع وهو لاء قد يحتجون بقوله حتى يسمع كلام الله ويقولون هذا كلام الله وكلام الله غير مخلوق فهذا غير مخلوق ونحن لا نسمع إلا صوت القارئ وهذا جهل منهم فإن سماع كلام الله بل وسماع كل كلام يكون تارة من المتكلم به بلا واسطة ويكون بواسطة الرسول

المبلغ له قال تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء ومن قال إن الله كلمنا بالقرآن كما كلم موسى بن عمران أو إننا نسمع كلامه كما سمعه موسى بن عمران فهو من أعظم الناس جهلاً وضلالاً ولو قال قائل إننا نسمع كلام النبي صلى الله عليه وسلم كما سمعه الصحابة منه لكان ضلاله واضحاً فكيف من يقول أنا أسمع كلام الله منه كما سمعه موسى وإن كان الله كلم موسى تكليماً بصوت سمعه موسى فليس صوت المخلوقين صوتاً للخالق وكذلك مناداته لعباده بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قربه وتكلمه بالوحى حتى يسمع أهل السموات والأرض صوته كجر السلسلة على الصفا وأمثال ذلك مما جاءت به النصوص والآثار كلها ليس فيها أن صفة المخلوق هي صفة الخالق بل ولا مثلها بل فيها الدلالة على الفرق بين صفة الخالق وبين صفة المخلوق فليس كلامه مثل كلامه ولا معناه مثل معناه ولا حرفة مثل حرفة ولا صوته مثل صوته كما أنه ليس علمه مثل علمه ولا قدرته مثل قدرته ولا سمعه مثل سمعه ولا بصره مثل بصره فإن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاتيه ولا في أفعاله ولما استقر في فطر الخلق كلهم الفرق بين سماع الكلام من المتكلم به ابتداء وبين سماعه من المبلغ عنه كان ظهور هذا الفرق في سماع كلام الله من المبلغين عنه أوضح من أن يحتاج إلى الإطناب وقد بين أئمة السنة والعلم كالإمام أحمد والبخاري صاحب الصحيح في كتابه في خلق الأفعال وغيرهما من أئمة السنة من الفرق بين صوت الله المسموع منه وصوت العباد بالقرآن وغيره ما لا يخالفهم فيه أحد من العلماء أهل العقل والدين¹

القرآن الذى هو لفظ ومعنى كلام الله

قال تعالى { وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٌ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ }¹⁰¹ فُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدْسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُبَيِّنَ لِلنَّاسَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ }¹⁰² النحل¹⁰¹⁻¹⁰² لكن الكلام في القرآن الذي هو لفظ ومعنى هل جميعه كلام الله أم لفظه كلام الله دون معناه أم معناه كلام الله دون لفظه ومن المعلوم بالاضطرار من دين الاسلام أن الجميع كلام الله وقد قال تعالى { وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةً وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٌ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ }¹⁰¹ فُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدْسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُبَيِّنَ لِلنَّاسَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ }¹⁰² وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يَعْلَمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمٌ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ }¹⁰³ النحل¹⁰¹⁻¹⁰³ كان بعض المشركيين يقولون أن محمداً إنما يتعلم القرآن من عبد لبني الحضرمي فقال الله تعالى لسان الذي يضيفون إليه القرآن لسان أعمى وهذا لسان عربي مبين وهذا يبين أن محمداً بلغ القرآن لفظه ومعناه لم ينزل عليه معان مجردة اذ لو كان كذلك لامكن أن يقال تلقى من هذا الأعمى معان صاغها بلسانه فلما ذكر قوله { لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمٌ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ }¹⁰³ النحل¹⁰³ بعد قوله { فُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدْسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ }

النحل¹⁰² دل ذلك على أن روح القدس نزل بهذا اللسان العربي المبين²

¹ دائق التفسير ج: 2 ص: 181 - 183 و مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 260 - 263 و الفتاوى الكبرى ج: 1 ص: 544 - 268 و مجموع الفتاوى ج: 12 ص:

² مجموع الفتاوى ج: 6 ص: 536

قال تعالى { وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةً وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٌ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ }¹ 101 فُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدْسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيَتَبَّتَ الدِّينَ آمَنُوا وَهُدُىٰ وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ }² 102 النحل 101-102 (من) لإبتداء الغاية كما قال { وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ } الجاثية 13 وقال { وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فِيمَنَ اللَّهُ }³ النحل 53 وما أضيف إلى الله أو قيل هو منه فعلى وجهين إن كان عينا قائما بنفسها فهو مملوك له ومن لا بدء الغاية كما قال تعالى { فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا } مريم 17 وقال في المسيح { وَرُوحٌ مِنْهُ } النساء 171 وما كان صفة لا يقوم بنفسه كالعلم والكلام فهو صفة له كما يقال كلام الله وعلم الله وكما قال تعالى { فُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدْسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ }⁴ النحل 102 وقال { وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ }⁵ الأنعام 114

قال تعالى { وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةً وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٌ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ }⁶ 101 فُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدْسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيَتَبَّتَ الدِّينَ آمَنُوا وَهُدُىٰ وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ }⁷ 102 النحل 101-102 وهو أن الله أخبر أن القرآن منزل من الله كما قال { وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ }⁸ الأنعام 114 وقال { فُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدْسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ }⁹ النحل 102 وقال { تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ }¹⁰ الزمر 1 الضمير يتناول اللفظ والمعنى جميعا لا سيما ما في قوله { تَنْزِيلُ الْكِتَابِ }¹¹ الزمر 1 فإن الكتاب عند من يقول ان كلام الله هو المعنى دون الحروف اسم للنظم العربية والكلام عنده اسم للمعنى والقرآن مشترك بينهما فلفظ الكتاب يتناول اللفظ العربي باتفاق الناس فإذا أخبر أن { تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ }¹² الزمر 1 علم أن النظم العربية منزل من الله وذلك يدل على ما قال السلف أنه منه بدأ أي هو الذي تكلم به¹³

قال تعالى { وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةً وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٌ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ }¹⁴ 101 فُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدْسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيَتَبَّتَ الدِّينَ آمَنُوا وَهُدُىٰ وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ }¹⁵ 102 النحل 101-102 وكذلك قد أخبر في غير موضع من القرآن ان القرآن نزل منه وأنه نزل به جبريل منه ردا على هذا المبتدع المفترى وأمثاله من يقول أنه لم ينزل منه قال تعالى { أَفَغَيْرُ اللَّهِ أَتَتْغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنَزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ }¹⁶ الأنعام 114 وقال تعالى { فُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدْسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ }¹⁷ النحل 102 وروح القدس هو جبريل كما قال في الآية الأخرى { نَزَّلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمَيْنُ }¹⁸ 193 على قَبْلِكَ¹⁹ الشعراة 193-194 وقال { فَلْ مَنْ كَانَ عَدُوا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَبْلِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ }²⁰ البقرة 97 وقال هنا { نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدْسِ مِنْ رَبِّكَ }²¹ النحل 102 فيبين ان جبريل نزله من الله لا

¹ مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 285

² مجموع الفتاوى ج: 6 ص: 544 و مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 95

من هواء ولا من لوح ولا غير ذلك وكذلك سائر آيات القرآن ك قوله {تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ} الحكيم {الزمر} 1 و قوله {حَمٌۤ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيِّ} {غافر} 2 و قوله {حَمٌۤ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} {فصلت} 2 و قوله {إِلَمٌۤ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَبَّ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ} {السجدة} 2 و قوله {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلَغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ} {المائدة} 67 فقد بين في غير موضع أنه منزل من الله فمن قال انه منزل من بعض المخلوقات كاللوح والهواء فهو مفتر على الله مكذب لكتاب الله متبع لغير سبيل المؤمنين الا ترى ان الله فرق بين ما نزل منه وما نزله من بعض المخلوقات كالمحظى بأن قال {وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً} {البقرة} 22 ذكر المطر في غير موضع وأخبر أنه نزله من السماء والقرآن أخبر أنه منزل منه وأخبر بتنزيل مطلق في مثل قوله {وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ} {ال الحديد} 25 لأن الحديد ينزل من رؤوس الجبال لا ينزل من السماء وكذلك الحيوان فان الذكر ينزل الماء في الإناث فلم يقل فيه من السماء ولو كان جبريل أخذ القرآن من اللوح المحفوظ لكان اليهود أكرم على الله من أمة محمد لأنه قد ثبت بالنقل الصحيح أن الله كتب لموسى التوراة وأنزلها مكتوبة فيكون بنو إسرائيل قد قرأوا الألواح التي كتبها الله وأما المسلمين فأخذوه عن محمد ومحمد أخذه عن جبريل عن اللوح فيكون بنو إسرائيل بمنزلة جبريل وتكون منزلةبني إسرائيل أرفع من منزلة محمد صلى الله عليه وسلم على قول هؤلاء الجهمية و الله سبحانه جعل من فضائل أمة محمد صلى الله عليه وسلم أنه أنزل عليهم كتابا لا يغسله الماء وأنه أنزله عليه تلاوة لا كتابة وفرقه عليهم لأجل ذلك فقال {وَقُرْآنًا فَرَقْنَا لِتَفَرَّأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَلْنَاهُ تَنْزِيلًا} {الإسراء} 106 وقال تعالى {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمِلَةً وَاحِدَةً كَذِلِكَ لِنُثْبِتَ بِهِ فَوَادِكَ وَرَتَّلَنَاهُ تَرْتِيلًا} {الفرقان} 32 ثم إن كان جبريل لم يسمعه من الله وإنما وجده مكتوبا كانت العبارة عبارة جبريل وكان القرآن كلام جبريل ترجم به عن الله كما يترجم عن الآخرين الذي كتب كلاما ولم يقدر أن يتكلم به وهذا خلاف دين المسلمين¹

النَّزُولُ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ

قال تعالى { وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةً وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٌ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } 101 { قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدْسٍ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُبَيِّنَ الدِّينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ } 102 { النَّحْل } 101-102 النزول في كتاب الله عز وجل ثلاثة أنواع نزول مقيد بأنه منه وننزل مقيد بأنه من السماء وننزل غير مقيد لا بهذا ولا بهذا فالاول لم يرد إلا في القرآن كما قال تعالى { وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ } الأنعام 114 وقال تعالى { قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدْسٍ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ } النَّحْل 102 وقال تعالى { تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ } الزمر 1 وفيها قولان أحدهما لا حذف في الكلام بل قوله { تَنْزِيلُ الْكِتَابِ } الزمر 1 مبتدأ وخبره { مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ } الزمر 1 و الثاني أنه خبر مبتدأ محفوظ أي هذا تنزيل الكتاب وعلى كلا القولين فقد ثبت أنه منزل منه وكذلك قوله { ح } 1

¹ الفتوى الكبرى ج: 1 ص: 302 و مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 520

تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ {2} الْجَاثِيَةُ 1-2 وَكَذَلِكَ {حُمَّ} 1 تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ {2} فَصْلُتِ 1-2 {حُمَّ} 1 تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ {2} غَافِرُ 1-2 وَالتَّنْزِيلُ بِمَعْنَى الْمَنْزِلِ تَسْمِيَةً لِلْمَفْعُولِ بِاسْمِ الْمَصْدِرِ وَهُوَ كَثِيرٌ وَلَهُذَا قَالَ السَّلْفُ الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ لَيْسَ بِمَخْلوقٍ مِنْهُ بَدَأَ قَالَ أَحْمَدٌ وَغَيْرُهُ وَالْيَهُ يَعْوَدُ أَىٰ هُوَ الْمُتَكَلِّمُ بِهِ وَقَالَ كَلَامُ اللَّهِ مِنَ اللَّهِ لَيْسَ بِبَيَانٍ مِنْهُ أَىٰ لَمْ يَخْلُقْ فِيهِ فَيَكُونُ مُبْتَدِأً مَنْزِلًا مِنْ ذَلِكَ الْمَخْلوقِ بَلْ هُوَ مَنْزِلٌ مِنَ اللَّهِ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ وَمِنَ اللَّهِ بَدَأَ لَا مِنْ مَخْلوقٍ فَهُوَ الَّذِي تَكَلَّمُ بِهِ لَخْلُقَهُ وَأَمَّا النَّزُولُ الْمُقِيدُ بِالسَّمَاءِ فَقُولُهُ {وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً} لِقَمَانِ 10 وَالسَّمَاءُ اسْمُ جَنْسٍ لِكُلِّ مَاعِلاً فَإِذَا قَيَدَ بِشَيْءٍ مَعِينٍ تَقِيدُ بِهِ فَقُولُهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنَ السَّمَاءِ مَطْلُقُ أَىٰ فِي الْعُلوِّ ثُمَّ قَدْ بَيْنَهُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ بِقُولُهُ {أَنَّنُّمْ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ الْمُزْنِ} الْوَاقِعَةُ 69 وَقُولُهُ {فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلَاهُ} الرَّوْمَ 48 أَىٰ أَنَّهُ مَنْزِلٌ مِنَ السَّحَابِ وَمَا يُشَبِّهُ نَزُولَ الْقُرْآنِ قُولُهُ {يُنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ} النَّحْلُ 2 فَنَزَولُ الْمَلَائِكَةِ هُوَ نَزُولُهُمْ بِالْوَحْيِ مِنْ أَمْرِهِ الَّذِي هُوَ كَلَامُهُ وَكَذَلِكَ قُولُهُ {تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا إِذْنُ رَبِّهِمْ} الْقَدْرُ 4 يَنْسَبُ قُولُهُ {فِيهَا يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٌ} 4 أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كَنَّا مُرْسِلِينَ {5} الدَّخَانُ 4-5 فَهُدَا شَبِيهُ بِقُولُهُ {قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدْسُ} النَّحْلُ 102 وَأَمَّا الْمَطْلُقُ فِي مَوْضِعَيْنِ مِنْهَا مَا ذَكَرَهُ مِنْ اِنْزَالِ السَّكِينَةِ بِقُولُهُ {تَمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ} التَّوْبَةُ 26 وَقُولُهُ {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ} الْفَتْحُ 4 إِلَى غَيْرِ ذَلِكِ وَمِنْ ذَلِكِ اِنْزَالِ الْمِيزَانِ ذَكَرُهُ مَعَ الْكِتَابِ فِي مَوْضِعَيْنِ وَجَمِيعُ الْمُفَسِّرِينَ عَلَى أَنَّ الْمَرَادَ بِهِ الْعَدْلُ وَعَنْ مَجَاهِدِ رَحْمَةِ اللَّهِ هُوَ مَا يُوزَنُ بِهِ وَلَا مَنَافَةُ بَيْنِ الْقَوْلَيْنِ وَكَذَلِكَ الْعَدْلُ وَمَا يُعْرَفُ بِهِ الْعَدْلُ مَنْزِلٌ فِي الْقُلُوبِ¹

هَذِهِ الْآيَةُ تَبْطِلُ قَوْلَ مَنْ يَقُولُ أَنَّ الْقُرْآنَ الْعَرَبِيَّ لَيْسَ مَنْزِلًا مِنَ اللَّهِ بَلْ مَخْلوقٌ

أَنَّ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ كَلَامُ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ لَيْسَ شَيْءًا مِنْهُ كَلَامًا لِغَيْرِهِ لَا جَبْرِيلٌ وَلَا مُحَمَّدٌ وَلَا غَيْرُهُمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى {فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِدْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} 98 إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ 99 إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَُّهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ 100 وَإِذَا بَدَلُنَا آيَةً مَكَانَ آيَةً وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ فَالْأُولَاءِ إِنَّمَا أَنْتَ مُفَرِّجٌ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ 101 قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدْسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِتُبَيِّنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ 102 وَلَقَدْ تَعْلَمَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يَعْلَمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمٌ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ 103 النَّحْلُ 98-103 فَأَمَّرَهُ أَنْ يَقُولَ {نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدْسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ} النَّحْلُ 102 فَإِنَّ الضَّمِيرَ فِي قُولُهُ {قُلْ نَزَّلَهُ} النَّحْلُ 102 عَائِدٌ عَلَى مَا فِي قُولِهِ {بِمَا يُنَزِّلُ} 101 النَّحْلُ 101 وَالْمَرَادُ بِهِ الْقُرْآنُ كَمَا يَدْلِلُ عَلَيْهِ سِيَاقُ الْكَلَامِ وَقُولُهُ {وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ} 101 النَّحْلُ 101 فِيهِ إِخْبَارُ اللَّهِ بِأَنَّهُ انْزَلَهُ لَكُنْ لَيْسَ فِي هَذِهِ الْلُّفْظَةِ بِيَانٍ أَنَّ رُوحَ الْقُدْسِ نَزَلَ بِهِ وَلَا أَنَّهُ مَنْزِلٌ مِنْهُ وَلَفْظُ الْاِنْزَالِ فِي الْقُرْآنِ قَدْ يَرْدِدُ مَقِيدًا

بالإنزال منه كنزول القرآن وقد يرد مقيداً بالإنزال من السماء ويراد به العلو فيتناول نزول المطر من السحاب ونزول الملائكة من عند الله وغير ذلك وقد يرد مطلاً فلا يختص بنوع من الإنزال بل ربما يتناول الإنزال من رؤوس الجبال قوله {وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ} الحديد 25 والإنزال من ظهور الحيوان كانزال الفحل الماء وغير ذلك قوله {نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ}

النحل 102 بيان لنزول جبريل به من الله فان روح القدس هنا هو جبريل بدليل قوله {قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجَبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ} البقرة 97 وهو الروح الأمين كما في قوله {وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ} 192 {نَزَّلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ} 193 {عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ} 194 بِلِسَانِ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ 195 {الشِّعْرَاءُ} 192-195 وفي قوله {الْأَمِينُ} 193 {الشِّعْرَاءُ} 193 دلالة على أنه مؤمن على ما أرسل به لا يزيد فيه ولا ينقص منه فان الرسول الخائن قد يغير الرسالة كما قال في صفته في الآية الأخرى {إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ} 19 {ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ} 20 {مُطَاعٌ ثُمَّ أَمِينٌ} 21 {الْتَّكَوِيرُ} 21-22 وفي قوله {مُنْزَلٌ مِنْ رَبِّكَ} {الأنعام} 114 دلالة على أمر منها بطلان قول من يقول إنه كلام مخلوق خلقه في جسم من الأجسام المخلوقة كما هو قول الجهمية الذين يقولون بخلق القرآن من المعتزلة والنجارية والضرارية وغيرهم فان السلف كانوا يسمون كل من نفي الصفات وقال ان القرآن مخلوق وان الله لا يرى في الآخرة جهemia فان جهema أول من ظهرت عنه بدعة نفي الأسماء والصفات وبالغ في نفي ذلك فله في هذه البدعة مزية المبالغة في النفي والابتداء بكثرة اظهار ذلك والدعوة إليه وان كان الجعد بن درهم قد سبقه إلى بعض ذلك فان الجعد بن درهم أول من أحدث ذلك في الأسماء فضحى به خالد بن عبد الله القسري بواسطه يوم النحر وقال يا أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فاني مضح بالجعد بن درهم انه زعم ان الله لم يتخد إبراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليماً تعالي الله عما يقول الجعد بن درهم علوا كبيراً ثم نزل فذبه ولكن المعتزلة وان وافقوا جهema في بعض ذلك فهم يخالفونه في مسائل غير ذلك كمسائل القدر والآيمان وبعض مسائل الصفات أيضاً ولا يبالغون في النفي مبالغته وجهم يقول ان الله تعالى لا يتكلم او يقول انه يتكلم بطريق المجاز وأما المعتزلة فيقولون انه يتكلم حقيقة لكن قولهم في المعنى هو قول جهم وجهم ينفي الأسماء أيضاً كما نفتها الباطنية ومن وافقهم من الفلاسفة وأما جمهور المعتزلة فلا ينفون الأسماء و المقصود ان قوله {مُنْزَلٌ مِنْ رَبِّكَ} {الأنعام} 114 فيه بيان انه منزل من الله لا من مخلوق من المخلوقات ولهذا قال السلف منه بدأ اي هو الذي تكلم به لم يبدأ من غيره كما قالت الخلقيه ومنها ان قوله {مُنْزَلٌ مِنْ رَبِّكَ} {الأنعام} 114 فيه بطلان قول من يجعله فاض على نفس النبي من العقل الفعال او غيره كما يقول ذلك طوائف من الفلاسفة والصابئة وهذا القول أعظم كفراً وضلالاً من الذي قبله و منها أن هذه الآية أيضاً تبطل قول من يقول أن القرآن العربي ليس متولاً من الله بل مخلوق أما في جبريل أو محمد أو جسم آخر غيرهما كما يقول ذلك الكلابية والأشعرية الذين يقولون أن القرآن العربي ليس هو كلام الله وإنما كلامه المعنى القائم بذاته والقرآن العربي خلق ليدل على ذلك المعنى ثم اما ان يكون خلق في بعض الأجسام الهواء او غيره او الهمه جبريل فعبر عنه بالقرآن العربي او الهمه محمد فعبر عنه بالقرآن العربي او يكون اخذه جبريل من اللوح المحفوظ او غيره فهذه الأقوال التي تقدمت هي تفريع على هذا القول فان هذا القرآن العربي لا بد له من متكلم تكلم به او لا قبل ان يصل إلينا وهذا القول يوافق قول المعتزلة ونحوهم في اثبات خلق القرآن العربي وكذلك التوراة العبرية ويفارقه من وجهين أحدهما أن أولئك يقولون ان المخلوق كلام الله وهو لا يقولون أنه ليس كلام الله لكن يسمى كلام الله مجازاً وهذا قول أئمتهم وجمهورهم وقالت طائفة من متاخرتهم بل لفظ الكلام يقال على هذا وهذا بالاشتراك اللغطي لكن هذا ينقض أصلهم في ابطال قيام الكلام بغير المتكلم به وهم مع هذا لا يقولون

ان المخلوق كلام الله حقيقة كما تقوله المعتزلة مع قولهم انه كلامه حقيقة بل يجعلون القرآن العربي
 كلاما لغير الله وهو كلام حقيقة وهذا شر من قول المعتزلة وهذا حقيقة قول الجهمية ومن هذا الوجه
 فقول المعتزلة أقرب وقول الآخرين هو قول الجهمية الممحضة لكن المعتزلة في المعنى موافقون
 لهؤلاء وإنما يناظرونهم في اللفظ الثاني ان هؤلاء يقولون لله كلام هو معنى قديم قائم بذاته
 والخلقية يقولون لا يقوم بذاته كلام ومن هذا الوجه فالكلابية خير من الخلقية في الظاهر لكن جمهور
 الناس يقولون أن أصحاب هذا القول عند التحقيق لم يثبتوا له كلاما حقيقة غير المخلوق فانهم يقولون
 انه معنى واحد هو الأمر والنهاي والخبر فان عبر عنه بالعربية كان قرآنا وان عبر عنه بالعبرية كان
 توراة وان عبر عنه بالسريانية كان انجيلا ومنهم من قال هو خمس معان وجمهور العقلا
 يقولون ان فساد هذا معلوم بالضرورة بعد التصور التام والعقلاء الكثيرون لا يتفقون على الكذب
 وجد بالضرورات من غير توافق واتفاق كما في الأخبار المتواترة وأما مع التوافق فقد يتفقون
 على الكذب عمدا وقد يتفقون على جحد الضرورات وان لم يعلم كل منهم انه جاحد للضرورة ولو لم
 يفهم حقيقة القول الذي يعتقد لحسن ظنه فيمن يقدّم قوله ولمحبته لنصر ذلك القول كما اتفقت
 النصارى والرافضة وغيرهم من الطوائف على مقالات يعلم فسادها بالضرورة وقال جمهور
 العقلا نحن إذا عربنا التوراة والإنجيل لم يكن معنى ذلك معنى القرآن بل معنى هذا ليست معنى
 هذا ومعنى هذا ليست معنى هذا وكذلك معنى {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} الإخلاص¹ ليس هو معنى
 {تَبَّأْتَ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ} المسد¹ ولا معنى آية الكرسي هو معنى آية الدين وقالوا إذا جوزتم أن
 تكون الحقائق المتنوعة شيئاً واحداً فجوزوا أن يكون العلم والقدرة والكلام والسمع والبصر صفة
 واحدة فاعترف أئمة هذا القول بأن هذا الالزام ليس لهم عنه جواب عقلى ثم منهم من قال الناس
 في الصفات إما مثبت لها وقاتل بالتعذيب وإما ناف لها وأما اثباتها واتحادها فخلاف الاجماع وهذه
 طريقة القاضي أبي بكر وأبي المعالي وغيرهما ومنهم من اعترف بأنه ليس له عنه جواب كأبي
 الحسن الأحدى وغيره والمقصود هنا أن هذه الآية تبين بطلان هذا القول كما تبين بطلان غيره
 فان قوله {قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُّسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ} النحل¹⁰² يقتضى نزول القرآن من ربه
 والقرآن اسم للقرآن العربي لفظه ومعناه بدليل قوله {إِنَّا قَرَأْنَا الْقُرْآنَ} النحل 98 وإنما يقرأ
 القرآن العربي لا يقرأ معانيه المجردة وأيضاً فضمير المفعول في قوله نزله عائد على ما في قوله
 {وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ} النحل¹⁰¹ فالذى أنزله الله هو الذى نزله روح القدس فإذا كان روح القدس
 نزل بالقرآن العربي لزم أن يكون نزله من الله فلا يكون شيء منه نزله من عين من الأعيان المخلوقة
 ولا نزله من نفسه وأيضاً فانه قال عقب هذه الآية {وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ
 الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمٌ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ} النحل¹⁰³ وهم كانوا يقولون إنما يعلمه هذا
 القرآن العربي بشر لم يكونوا يقولون إنما يعلمه بشر معانيه فقط بدليل قوله {لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ
 أَعْجَمٌ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ} النحل¹⁰³ فانه تعالى أبطل قول الكفار بأن لسان الذى أحردوا
 إليه بأن أضافوا إليه هذا القرآن فجعلوه هو الذى يعلم محمدا القرآن لسان أعمى والقرآن لسان
 عربي مبين وعبر عن هذا المعنى بلفظ {يُلْحِدُونَ} النحل¹⁰³ لما تضمن من معنى ميلهم عن
 الحق وميلهم إلى هذا الذى أضافوا إليه هذا القرآن فان لفظ الالحاد يقتضى ميلاً عن شيء إلى شيء
 بباطل فلو كان الكفار قالوا يعلمه معانيه فقط لم يكن هذا ردًا لقولهم فإن الإنسان قد يتعلم من الأعمى
 شيئاً بلغة ذلك الأعمى ويعبر عنه هو بعبارة وقد اشتهر في التفسير أن بعض الكفار كانوا
 يقولون هو تعلم من شخص كان بمكة أعمى قيل انه كان مولى لابن الحضرمي وإذا كان الكفار
 جعلوا الذى يعلمه ما نزل به روح القدس بشرا والله أبطل ذلك بأن لسان ذلك أعمى وهذا لسان
 عربي مبين علم ان روح القدس نزل باللسان العربي المبين وان محمدا لم يؤلف نظم القرآن بل سمعه

من روح القدس وإذا كان روح القدس نزل به من الله علم انه سمعه منه ولم يؤلفه هو وهذا بيان من الله ان القرآن الذى هو اللسان العربى المبين سمعه روح القدس من الله ونزل به منه ونظير هذه الآية قوله تعالى {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُواً شَيَاطِينَ الْإِنْسَانَ وَالْجِنِّ} الأنعام 112 الى قوله {فَدَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ} الأنعام 112 وكذلك قوله {وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِّنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونُنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ} الأنعام 114 والكتاب اسم للقرآن العربى بالضرورة والاتفاق فان الكلبية أو بعضهم يفرق بين الكلام وكتاب الله فيقول كلامه هو المعنى القائم بالذات وهو غير مخلوق وكتابه هو المنظوم المؤلف العربى وهو مخلوق والقرآن يراد به هذا تارة وهذا تارة والله تعالى قد سمى نفس مجموع اللفظ والمعنى قرآنا وكتابا وكلاما فقال تعالى {الَّرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ} الحجر 1 وقال {طَسْ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ} النمل 1 وقال {وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمْعُونَ الْقُرْآنَ} الأحقاف 29 الى قوله تعالى {قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أَنْزَلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ} الأحقاف 30 وبين ان الذى سمعوه هو القرآن وهو الكتاب وقال {بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّحِيدٌ} 21 في لوح محفوظ 22 البروج 21-22 وقال {إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ} 77 في كتاب مكثون 78 الواقعة 77-78 وقال {يَثْلُو صُحْفًا مُّطَهَّرًا} 2 فيها كتب قيمة 3 البينة 2-3 وقال {وَالْطُورُ} 1 وكتاب مسطور 2 في رق منشور 3 الطور 1-3 وقال {وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمْسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ} الأنعام 7 ولكن لفظ الكتاب قد يراد به المكتوب فيكون هو الكلام وقد يراد به ما يكتب فيه كما قال تعالى {إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ} 77 في كتاب مكثون 78 الواقعة 77-78 وقال {وَنُخْرُجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا} الإسراء 13 وقوله {يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِّنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ} الأنعام 114 إخبار مستشهد بهم فمن لم يقر به منا فهم خير منه هذا الوجه وهذا لا ينافي ما جاء عن ابن عباس وغيره أنه أنزل في ليلة القدر إلى بيت العزة في السماء الدنيا ولا ينافي أنه مكتوب في اللوح قبل نزوله سواء كتبه الله قبل أن يرسل به جبريل أو بعده فإذا أنزل جملة إلى بيت العزة فقد كتبه كله قبل أن ينزله والله يعلم ما كان وما يكون وما لا يكون لو كان كيف يكون وهو قد كتب المقادير وأعمال العباد قبل أن يعملوها ثم يأمر بكتابتها بعد أن يعملوها فيقابل بين الكتابة المتقدمة والمتاخرة فلا يكون بينهما تفاوت هكذا قال ابن عباس وغيره فإذا كان ما يخلقه بائنا عنه قد كتبه قبل أن يخلقه فكيف لا يكتب كلامه الذي يرسل به ملائكته قبل أن يرسل لهم ومن قال إن جبرائيل أخذه عن الكتاب لم يسمعه من الله فهو باطل من وجوه منها انه سبحانه كتب التوراة لموسى بيده فبنوا إسرائيل أخذوا كلامه من الكتاب الذى كتبه محمد عن جبريل عن الكتاب فهم على بدرجة ومن قال أنه ألقى إلى جبريل معانى وعبر بالعربى فمعناه أنه ألهمه إلهاما وهذا يكون لأحاد المؤمنين قوله {وَإِذْ أُوحِيَ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي} المائدة 111 {وَأُوحِيَنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى} القصص 7 فيكون هذا أعلى من أخذ محمد وأيضا فإنه سبحانه قال {إِنَّا أُوحِيَنَا إِلَيْكَ كَمَا أُوحِيَنَا إِلَى نُوحَ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ} النساء 163 إلى قوله {وَكَلَمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} النساء 164 وهذا يدل على أمور على أنه يكلم العبد تكليما زاندا على الوحي الذى هو قسم التكليم والوحي كل منهما ينقسم إلى عام وخاصة فالتكليم العام هو المقسم في قوله {وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوْحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمٌ} الشورى 51 الآية فالتكليم المطلق قسم الوحي الخاص لا قسما منه وكذلك الوحي يكون عاما فيدخل فيه التكليم الخاص قوله {

فَاسْتَمْعْ لِمَا يُوحَى } طه 13 ويكون قسيما له كما في الشورى وهذا يبطل قول من قال إنه معنى واحد قائم بالذات فإنه لا فرق بين العام وما لموسى وفرق سبحانه في الشورى بين الإيحاء وبين التكلم من وراء حجاب وبين إرسال رسول {فَيُوحِي بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ } الشورى 51¹

القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ واليه يعود

والذى اتفق عليه السلف والأئمة أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ واليه يعود وإنما قال السلف منه بدا لأن الجهمية من المعتزلة وغيرهم كانوا يقولون انه خلق الكلام في المحل فقال السلف منه بدا أي هو المتكلم به فمنه بدا لا من بعض المخلوقات كما قال تعالى {تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ } الزمر 1 وقال تعالى { وَلَكِنْ حَقَ الْقَوْلُ مِنِي } السجدة 13 وقال تعالى { وَبَرَى الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ } سباء 6 وقال تعالى { قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدْسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ } النحل 102 ومعنى قوله اليه يعود أنه يرفع من الصدور والمصاحف فلا يبقى في الصدور منه آية ولا منه حرف كما جاء في عدة آثار²

و والله سبحانه إذا ذكر نزول القرآن قيده بأن نزوله منه كقوله {تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ } الزمر 1 {وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ } الأنعام 114 {قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدْسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ } النحل 102 و هذا مما يستدل به الإمام أحمد وغيره من أئمة السنة على أن القرآن كلام الله ليس بمحظوظ خلقه في محل غيره فإنه كان يكون منزلا من ذلك المحل لا من الله و قال إنه نزل بعلم الله و إنه من علم الله و علم الله غير مخلوق و قال أحمد كلام الله من الله ليس شيئا منه ولهذا قال السلف القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدا و إليه يعود فقالوا منه بدا لم يبدأ من غيره كما تقوله الجهمية يقولون بدا من المحل الذي خلق فيه³

و قوله { أَنْزَلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ } البقرة 285 يتضمن انه كلامه الذي تكلم به و منه نزل لا من غيره كما قال تعالى {قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدْسِ مِنْ رَبِّكَ } النحل 102 و قال {تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ } الواقعة 80 وهذا أحد ما احتاج به أهل السنة على المعتزلة القائلين بأن الله لم يتكلم بالقرآن قالوا فلو كان كلاما لغير الله لكان منزلا من ذلك المحل لا من الله فإن القرآن صفة لا تقوم بنفسها بخلاف قوله {وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ } الجاثية 13 فإن تلك أعيان

¹ مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 117-125 و مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 221-225

² مجموع الفتاوى ج: 6 ص: 529

³ مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 469 و مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 164

قائمة بنفسها فهي منه خلقاً و أما الكلام فوصف قائم بالمتكلم فلما كان منه فهو كلامه إذ يستحيل أن يكون منه و لم يتكلم به¹

قال تعالى { وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُتَنزَّلُ فَالْأُولَاءِ إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٌ بِنَّ أَكْثَرِهِمْ لَا يَعْلَمُونَ } 101 فُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُبَيِّنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ } 102 النحل 101-102 قال تعالى { وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ } التوبه 6 وهو منزل من الله كما قال تعالى { أَفَغَيْرُ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفْصَلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونُنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ } الأنعام 114 فأخبر سبحانه أنهم يعلمون ذلك والعلم لا يكون إلا حقاً وقال تعالى { تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ } الزمر 1 { حِمْ } 1 تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ } 2 غافر 1-2 { حِمْ } 1 تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ } 2 فصلت 1-2 وقال تعالى { وَلَكُنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِي لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ } السجدة 13 وقال تعالى { وَلَوْلَا كَلَمَةً سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَاماً وَأَجَلٌ مُسَمٌّ } طه 129 ونحو ذلك وقال تعالى { فُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ } النحل 102 فأخبر سبحانه أنه منزل من الله ولم يخبر عن شيء أنه منزل من الله إلا كلامه بخلاف نزول الملائكة والمطر وال الحديد وغير ذلك ولهذا كان القول المشهور عن السلف أن القرآن كلام الله غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود فإن من قال أنه مخلوق يقول أنه خلق في بعض المخلوقات القائمة بنفسها فمن ذلك المخلوق نزل وببدأ لم ينزل من الله فأخبار الله تعالى أنه منزل من الله يناقض أن يكون قد نزل من غير الله ولهذا فسر الإمام أحمد قوله منه بدأ أي هو المنكلم به وقال أحمد كلام الله من الله ليس ببيان عنه وأيضاً فلو كان مخلوقاً في غيره لم يكن كلامه بل كان يكون كلاماً لذلك المخلوق فيه وكذلك سائر ما وصف به نفسه من الإرادة والمحبة والمشيئة والرضى والغضب والمقت وغير ذلك من الأمور لو كان مخلوقاً في غيره لم يكن الرب تعالى متصفًا به بل كان يكون صفة لذلك المحل فأن المعنى إذا قام بمحل كان صفة لذلك المحل ولم يكن صفة لغيره فيمتنع أن يكون المخلوق أو الخالق موصوفاً بصفة موجة قائمة بغيره لأن ذلك فطري فيما وصف به نفسه من الأفعال الالزمة يمتنع أن يوصف الموصوف بأمر لم يقم به وهذا مبسط في مواضع آخر²

والداد يكتب به الحروف والمداد كله مخلوق ليس منه شيء غير مخلوق والصوت الذي يقرأ به الناس القرآن هو صوت العباد لكن الكلام كلام الله تعالى قال تعالى { وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ } التوبه 6 وقال النبي صلى الله عليه وسلم زينوا القرآن بأصواتكم فالكلام كلام الباري والصوت صوت القارئ وهذا ليس هو الصوت الذي ينادي الله به عباده ويسمعه موسى وغيره كما دل على ذلك الكتاب والسنة وكلام الله غير مخلوق عند سلف

¹ مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 140

² مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 296

الأمة وأئمتها وهو أيضاً يتكلّم بمشيئته وقدرته عندهم لم يزل متكلماً إذا شاء فهو قديم النوع وأما نفس الداء الذي نادى به موسى ونحو ذلك فحينئذ ناداه به كما قال تعالى {فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِي يَا مُوسَى طه ١١} وكذلك نظائره فكان السلف يفرقون بين نوع الكلام وبين الكلمة المعينة قال تعالى {قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَادًا} الكهف ١٠٩ وكلام الله وما يدخل في كلامه من ندائه وغير ذلك ليس بمخلوق بائن منه بل هو منه والقرآن سمعه جبرئيل من الله ونزل به إلى محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى {قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدْسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ} النحل ١٠٢ وقال تعالى {وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ} الأنعام ١١٤ وقال تعالى {تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ} الزمر ١ ونحو ذلك^١

النبي سمع القرآن من جبريل وجبريل سمعه من الله تعالى

القرآن كلام الله تعالى وليس كلام جبرئيل ولا كلام محمد وهذا متفق عليه بين الصحابة والتابعين لهم باحسان وأئمة المسلمين وأصحابهم الذين يفتى بقولهم في الإسلام كأبي حنيفة ومالك والشافعى وأحمد وغيرهم وجبريل سمعه من الله وسمعه محمد من جبريل كما قال تعالى {قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدْسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ} النحل ١٠٢ وروح القدس هو جبريل وقال تعالى {وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ} الأنعام ١١٤ وقال تعالى {تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ} الزمر ١ وقال تعالى {تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ} غافر ٢ فهو منزل من الله كما قال تعالى {وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةً وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَنٌ بِلَّا أَكْثُرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} ١٠١ {قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدْسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِتَبَيَّنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدَى وَبُشِّرَى لِلْمُسْلِمِينَ} ١٠٢ النحل ١٠١-١٠٢

ولم يقل السلف أن النبي سمعه من الله تعالى كما يقول ذلك بعض المتأخرین قال الله تعالى {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنفُسِهِمْ يَأْتِيهِمْ آيَاتِهِ} آل عمران ١٦٤ وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال قال لي النبي أقرأ على القرآن فلت أقرأ عليك وعليك أنزل قال انى أحب أن أسمعه من غيري فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت إلى هذه الآية {فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هُؤُلَاءِ شَهِيدًا} النساء ٤١ قال حسبك فنظرت فإذا عيناه تذرفاً من البكاء والنبي سمعه من جبريل وهو الذى نزل عليه به وجبريل سمعه من الله تعالى كما نص على ذلك أحمد وغيره من الأئمة قال تعالى {قُلْ مَنْ كَانَ عَذُوًا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَبِيلَكَ بِإِذْنِ اللَّهِ} البقرة ٩٧ وقال تعالى {نَزَّلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ} ١٩٣ {عَلَى قَبِيلَكَ لِتَكُونَ مِنْ

¹ مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 577

² مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 554

المُنذِّرِينَ {194} بِلِسَانِ عَرَبِيٍّ مُبِينٌ {195} الشعراة 193-195 وقال تعالى {وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةً وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٌ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} 101 فُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدْسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِتُبَيِّنَ الدِّينَ آمَنُوا وَهُدُى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ} 102 النحل 101-102 فأخبر سبحانه أنه نزله روح القدس وهو الروح الأمين وهو جبريل من الله بالحق ولم يقل أحد من السلف أن النبي سمعه من الله وإنما قال ذلك بعض المتأخرین¹

الملائكة أحياء ناطقون يأتونهم عن الله بما يخبر به

قال تعالى {وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةً وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٌ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} 101 فُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدْسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِتُبَيِّنَ الدِّينَ آمَنُوا وَهُدُى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ} 102 النحل 101-102 إنه من المتواتر عن الانبياء صلوات الله عليهم أن الملائكة

احياء ناطقون يأتونهم عن الله بما يخبر به ويامر به تارة وينصرونهم ويقاتلون معهم تارة وكانت الملائكة احيانا تأتيهم في صورة البشر والحاضرون يرونهم وقد اخبر الله عن الملائكة في كتاب بأخبار متنوعة وذلك ينافق ما يزعمونه من ان الملك ائما هو الصورة الخيالية التي ترسم في الحس المشترك او انها العقول والآنفوس وقد قال سبحانه {إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ} 19 ذي قُوَّةِ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٌ 20 مطاع ثم امين 21 وما صاحبكم بمحجون 22 ولقد رأه بالافق المبين 23 وما هو على الغريب بضئيل 24 وما هو بقول شيطان رجيم 25 التكوير 19-25 فيبين ان الرسول الذي جاء به الى محمد رسول كريم ذو قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين وهذه صفة لا تتطبق على ما في النفس من الخيال ولا على العقل الفعال فانه اخبر انه مطاع والمطاع فوق السموات ليس هذا ولا هذا وكذلك قوله {نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ} 193 على قلبك لتكون من المُنذِّرِينَ 194 الشعراة 193-194 وقوله {فُلْ مَنْ كَانَ عَدُوا لِجَبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدُى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ} 97 من كان عدوا لله وملائكته ورسوله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين 98 البقرة 97-98 وقال تعالى {وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةً وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٌ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} 101 فُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدْسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ} 102 النحل 101-102 وفي الصحيحين عن عائشة ان الحرة بن هشام سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يأتيك الوحي قال احيانا يأتيك في مثل سلسلة الجرس وهو اشدك على فيفصمه عنك وقد وعيت عنه ما قال واحيانا يتمثل لي الملك رجل فيكلمني فأعلى ما يقول قالت عائشة ولقد رأيته ينزل عليه في اليوم الشديد البرد فيفصمه عنه وان جبينه ليتفسد عرقا²

من الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه فلا ينفعون عنه ما وصف به نفسه

¹ مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 298 و مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 480

² الرد على المنطقين ج: 1 ص: 494

قال تعالى { وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةً وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٌ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ }¹⁰¹ فُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِتَبَيَّنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدَى وَبُشِّرَى لِلْمُسْلِمِينَ }¹⁰² فاعتقد الفرقة الناجية المنصورة الى قيام الساعة أهل السنة والجماعة وهو الإيمان بالله ولملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والإيمان بالقدر خيره وشره ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه وبما وصفه به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل بل يؤمنون بأن الله سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه ولا يحرفون الكلم عن مواضعه ولا يلحدون في أسماء الله وأياته ولا يكيفون ولا يمثلون صفاتاته بصفات خلقه لأنه سبحانه لا سمي له ولا كفو له ولا ند له ولا يقاس بخلقه سبحانه وتعالى فإنه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قيلا وأحسن حديثا من خلقه ثم رسله صادقون مصدوقون بخلاف الذين يقولون عليه مالا يعلمنون ولهذا قال سبحانه وتعالى { سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ }¹⁸⁰ وسلام على المُرْسَلِينَ }¹⁸¹ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ }¹⁸² الصافات 180-182 فسبح نفسه عما وصفه به المخالفون للرسل وسلم على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص والعيب وهو سبحانه قد جمع فيما وصف وسمى به نفسه بين النفي والإثبات فلا عدول لأهل السنة والجماعة عما جاء به المرسلون فإنه الصراط المستقيم صراط الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وقد دخل في هذه الجملة ما وصف به نفسه في سورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن وقوله سبحانه { وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةً وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٌ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ }¹⁰¹ فُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِتَبَيَّنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدَى وَبُشِّرَى لِلْمُسْلِمِينَ }¹⁰² وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يَعْلَمُهُ بَشَرٌ لَسَأْلُ الذِّي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمٌ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ }¹⁰³ }¹ النحل 101-103

كل من أرسله الله لا بد أن يكون صادقا في كل ما يبلغه عن الله

قال تعالى { وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةً وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٌ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ }¹⁰¹ فُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِتَبَيَّنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدَى وَبُشِّرَى لِلْمُسْلِمِينَ }¹⁰² فإن كل من أرسله الله لا بد أن يكون صادقا في كل ما يبلغه عن الله لا يكذب فيه عمدا ولا خطأ وهذا أمر اتفق عليه الناس كلهم المسلمين اليهود والنصارى وغيرهم اتفقوا على أن الرسول لا بد أن يكون صادقا معصوما فيما يبلغه عن الله لا يكذب على الله خطأ ولا عمدا فإن مقصود الرسالة لا يحصل بدون ذلك ²

¹ مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 130-131 و العقيدة الواسطية ج: 1 ص: 18

² الجواب الصحيح ج: 1 ص: 142

فإن الرسول لا يقول على الله إلا حقا لا يكذب على الله في شيء ومن كذب على الله ولو في كلمة واحدة فهو من الكاذبين المفترين على الله الكذب مستحق لعقوبة الكاذبين كما قال تعالى {وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةً وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٌ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} 101 {قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدْسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِتَبْيَّنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدَى وَبُشِّرَى لِلْمُسْلِمِينَ} 102 {النحل} 101-102 فمتى كانت كلمة من كلمات هذا الكتاب كذبا على الله لم يكن كتاب الله ولم يكن جاء به رسول الله فإن الكاذب قد يصدق في أكثر ما يقوله لكن إذا كذب في بعض ما يقوله كان كاذبا والله تعالى لا يرسل من يكذب عليه فإن المخلوق لا يرضى أن يرسل من يعلم أنه يكذب عليه ولو فعل ذلك دل على جهله أو عجزه فكيف يرسل رب العالمين من يعلم أنه يكذب عليه¹

الله يصطفى من الملائكة رسلا و من الناس

قال تعالى { وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةً وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٌ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} 101 {قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدْسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِتَبْيَّنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدَى وَبُشِّرَى لِلْمُسْلِمِينَ} 102 {النحل} 101-102

الملائكة تنزل بالوحي على الأنبياء وتعيينهم وتؤيدتهم وإلهذا أخبر الله تعالى أن الذي جاء بالقرآن ملك لا شيطان فقال {قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدْسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِتَبْيَّنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدَى وَبُشِّرَى لِلْمُسْلِمِينَ} 2 {النحل} 102

جبريل رسول ملك و محمد رسول بشر قال تعالى {الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس إن الله سمِيعٌ بصيرٌ} الحج 75 فإِصْطَفَى لِكَلَامِهِ الرَّسُولَ الْمُلْكِيَ فُنِزِلَ بِهِ عَلَى الرَّسُولِ الْبَشَرِيِ الَّذِي إِصْطَفَاهُ وَقَدْ أَضَافَهُ إِلَى كُلِّ مِنْ الرَّسُولِيِّينَ لِأَنَّهُ بَلَغَهُ وَأَدَاهُ لَا لِأَنَّهُ أَنْشَأَهُ وَإِبْتَدَاهُ قَالَ تَعَالَى {إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ} 19 {ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ} 20 {مُطَاعٌ ثُمَّ أَمِينٍ} 21 {التكوير} 19-21 فهذا نعت جبريل الذي قال فيه {قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجَبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ} البقرة 97 و قال {نَزَّلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ} 193 {عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ} 194 {بِلْسَانِ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ} 195 {الشعراء} 193-195 وقال {وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةً وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٌ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} 101 {قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدْسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ} 102 {النحل} 101-102 و قال في الآية الأخرى {إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ} 40 {وَمَا هُوَ بِقُوْلٍ شَاعِرٍ فَلَيْلًا مَا تُؤْمِنُونَ} 41 {وَلَا بِقُوْلٍ كَاهِنٍ فَلَيْلًا مَا تَذَكَّرُونَ} 42 {تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ} 43 {وَلَوْ تَقُولَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ} 44 {لَا خَذَنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ} 45 {ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتَيْنِ} 46 {فَمَا مِنْكُمْ مَنْ أَحَدٌ عَنْهُ حَاجِزِينَ} 47 {الحقة} 47-40 فهذه صفة محمد صلى الله عليه وسلم وأضاف القول إلى كل

¹ الجواب الصحيح ج: 3 ص: 497

² عقيدة الفرقة الناجية ج: 1 ص: 9

منها بإسم الرسول فقال { لَقُولُ رَسُولٌ كَرِيمٌ } الحقة 40 لأن الرسول يدل على المرسل فعل على أنه قول رسول بلغه عن مرسل لم يقل إنه لقول ملك ولا بشر بل كفر من جعله قول بشر بقوله { ذَرْنِي وَمَنْ حَلَقْتُ وَحِيدًا } 11 { وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا } 12 { وَبَنِينَ شُهُودًا } 13 { وَمَهَدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا } 14 { ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ } 15 { كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِإِيَّاتِنَا عَنِيدًا } 16 { سَأْرَهُقَهُ صَعُودًا } 17 { إِنَّهُ فَكَرَ وَقَدَرَ } 18 { فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَرَ } 19 { ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَرَ } 20 { ثُمَّ نَظَرَ } 21 { ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ } 22 { ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ } 23 { فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثِرُ } 24 { إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ } 25 المدثر 25-11 فمن قال إنه قول بشر أو قول مخلوق غير البشر فقد كفر ومن جعله قول رسول من البشر فقد صدق لأن الرسول ليس له فيه إلا التبليغ والأداء كما قال تعالى { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلْغُ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ } المائدة 67 وفي سفن أبي داود عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعرض نفسه على الناس في الموسم ويقول لا رجل يحملني إلى قومه لأبلغ كلام ربى فإن قريشا قد ¹ معنونى أن أبلغ كلام ربى و الذي إتفق عليه السلف أن القرآن كلام الله غير مخلوق

الاسلام هو الاستسلام لله وهو الخضوع له والعبودية له

قال تعالى { وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةً وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ فَأَلَوْا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٌ بِلَّا أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } 101 { فَلَنْ زَلَّهُ رُوحُ الْقُدْسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيَتَبَتَّذَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدُوٌّ وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ } 102 النحل 101-102 وقد صار الناس في مسمى الاسلام على ثلاثة أقوال قيل هو الإيمان وهذا إسمان لمسمي واحد وقيل هو الكلمة وهذا القولان لها وجه سنذكره لكن التحقيق ابتداء هو ما بينه النبي صلى الله عليه وسلم لما سئل عن الاسلام والإيمان ففسر الاسلام بالاعمال الظاهرة والإيمان بالإيمان بالاصول الخمسة فليس لنا اذا جمعنا بين الاسلام والإيمان أن نجيب بغير ما أجاب به النبي وأما اذا أفرد اسم الإيمان فانه يتضمن الاسلام وإذا أفرد الاسلام فقد يكون مع الاسلام مؤمنا بلا نزاع وهذا هو الواجب وهل يكون مسلما ولا يقال له مؤمن قد تقدم الكلام فيه وكذلك هل يستلزم الاسلام للإيمان هذا فيه النزاع المذكور وسنبينه والوعد الذي في القرآن بالجنة وبالنجاة من العذاب إنما هو معلق باسم الإيمان وأما اسم الاسلام مجردا فما علق به في القرآن دخول الجنة لكنه فرضه واخير أنه دينه الذي لا يقبل من أحد سواه وبالإسلام بعث الله جميع النبيين قال تعالى { وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ } آل عمران 85 ووصف الله أنبياء بني اسرائيل بالاسلام في قوله { إِنَّا أَنْزَلْنَا النُّورَةَ فِيهَا هُدُىٰ وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللهِ } المائدة 44 والأنبياء كلهم مؤمنون ووصف الحواريين بالإيمان والاسلام فقال تعالى { وَإِذْ أُوْحِيتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا أَمَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ } المائدة 111 و { قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ آمَنَّا بِاللهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ } آل عمران 52 وحقيقة الفرق أن الاسلام دين و الدين مصدر دان يدين دينا اذا خضع وذل و دين الاسلام الذي ارتضاه الله وبعث به رسلاه هو الاستسلام لله وحده فاصله في القلب هو الخضوع لله وحده بعبادته وحده دون ما سواه

¹ مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 95 و الجواب الصحيح ج: 1 ص: 148 و الجواب الصحيح ج: 5 ص: 347

فمن عبده وعبد معه لها آخر لم يكن مسلماً ومن لم يعده بل استكبر عن عبادته لم يكن مسلماً والاسلام هو الإستسلام لله وهو الخضوع له والعبودية له هكذا قال اهل اللغة اسلم الرجل اذا استسلم فالاسلام في الاصل من باب العمل عمل القلب والجوارح وأما الایمان فاصله تصديق واقرار ومعرفة فهو من باب قول القلب المتضمن عمل القلب والاصل فيه التصديق والعمل تابع له فلهذا فسر النبي صلی الله عليه وسلم الایمان بایمان القلب وبخضوعه وهو الایمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وفسر الإسلام بإسلام مخصوص هو المبني الخمس وهذا في سائر كلامه يفسر الایمان بذلك النوع ويفسر الإسلام بهذا وذلك النوع أعلى وللهذا قال النبي الإسلام علانية والایمان في القلب فان الاعمال الظاهرة يراها الناس وأما ما في القلب من تصدق ومعرفة وحب وخشية ورجاء فهذا باطن لكن له لوازم قد تدل عليه واللازم لا يدل الا اذا كان ملزوماً فلهذا كان من لوازمه ما يفعله المؤمن والمنافق فلا يدل ففي حديث عبدالله بن عمرو وابي هريرة جميرا ان النبي قال المسلم من سلم المسلمين من لسانه ويده والمؤمن من ا منه الناس على دمائهم وأموالهم ففسر المسلم بأمر ظاهر وهو سلامة الناس منه وفسر المؤمن بأمر باطن وهو أن يؤمنوه على دمائهم وأموالهم وهذه الصفة أعلى من تلك فان من كان مأموناً سلم الناس منه وليس كل من سلموا منه يكون مأموناً فقد يترك أذاهم وهم لا يؤمنون اليه خوفاً ان يكون ترك أذاهم لرغبة ورهبة لا لایمان في قلبه وفي حديث عبيد بن عمير عن عمرو بن عبسة عن النبي صلی الله عليه وسلم أن رجلاً قال للنبي ما الاسلام قال اطعام الطعام ولین الكلام قال فما الایمان قال السماحة والصبر فاطعام الطعام عمل ظاهر يفعله الإنسان لمقاصد متعددة وكذلك لين الكلام وأما السماحة والصبر فخلقان في النفس قال تعالى {وَتَوَاصُوا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصُوا بِالْمَرْحَمَةِ} البدر ١٧ وهذا أعلى من ذلك وهو أن يكون صبراً شكوراً فيه سماحة بالرحمة للإنسان وصبر على المكاره وهذا ضد الذي خلق هلوعاً اذا مسه الشر جزواً واما مسه الخير منوعاً فان ذاك ليس فيه عند النعمة ولا صبر عند المصيبة وتمام الحديث فأى الإسلام أفضل قال من سلم المسلمين من لسانه ويده قال يا رسول الله أى المؤمنين أكمل ايماناً قال أحسنهم خلقاً قال يا رسول الله أى القتل اشرف قال من أرق دمه وعقر جواده قال يا رسول الله فأى الجهاد أفضل قال الذين جاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله قال يا رسول الله فأى الصدقة أفضل قال جهد المقل قال يا رسول الله فأى الصلاة أفضل قال طول القنوت قال يا رسول الله فأى الهجرة أفضل قال من هجرسوء وهذا محفوظ عن عبيد بن عمير تارة يروى مرسلاً وتارة يروى مسندًا وفي رواية أي الساعات أفضل قال جوف الليل الغابر وقوله أفضل الایمان السماحة والصبر يروى من وجه اخر عن جابر عن النبي وهكذا في سائر الأحاديث انما يفسر الإسلام بالإسلام بالقلب مع الاعمال الظاهرة كما في الحديث المعروف الذي رواه أحمد عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أنه قال والله يا رسول الله ما أتيتك حتى حلفت عدد أصابعى هذه أن لا آتنيك فبالذى بعثك بالحق ما بعثك به قال الإسلام قال وما الاسلام قال أن تسلم قلبك لله وان توجه وجهك إلى الله وان تصلى الصلاة المكتوبة وتؤدى الزكاة المفروضة أخوان نصيران لا يقبل الله من عبد اشرك بعد إسلامه وفي رواية قال أن تقول أسلمت وجهي لله وخليت وجهي الصلاة وتؤتي الزكاة وكل مسلم على مسلم محرم وفي لفظ تقول أسلمت نفسي لله وخليت وجهي إليه وروى محمد بن نصر من حديث خالد بن معدان عن أبي هريرة قال قال رسول الله أن للإسلام صوى ومناراً كمنار الطريق من ذلك أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وان تقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وتنزل على بني ادم اذا لقيتهم فان ردوا عليك ردت عليهم الملائكة وان لم يردوا عليك ردت

عليك الملائكة ولعنتهم ان سكت عنهم وتسليمه على اهل بيتك اذا دخلت عليهم فمن إنتقاص منهن شيئاً فهو سهم في الإسلام تركه ومن تركهن فقد نبذ الإسلام وراء ظهره^١

ولفظ الإسلام يتضمن الاستسلام والانقياد ويتضمن الإخلاص مأخوذه من قوله تعالى {ضرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءٌ مُتَشَابِكُسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هُلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} الزمر 29 فلا بد في الإسلام من الاستسلام لله وحده وترك الإسلام لما سواه وهذا حقيقة قولنا لا إله إلا الله فمن استسلم لله ولغير الله فهو مشرك والله لا يغفر أن يشرك به ومن لم يستسلم له فهو مستكبر عن عبادته وقد قال تعالى {وَقَالَ رَبُّكُمْ اذْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَآخِرِينَ} غافر 60 وثبت عنه صلى الله عليه وسلم في الصحيح أنه قال لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر ولا يدخل النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان فقيل له يا رسول الله الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنة ونعله حسنة أ فمن الكبر ذلك قال لا إن الله جميل يحب الجمال الكبير بطر الحق وغمط الناس بطر الحق جده ودفعه وغمط الناس ازدواهم واحتقارهم²

{ لِسَانُ الدَّى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمٰيٰ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٰ مُبِينٌ }

قال تعالى { فَإِذَا قَرَأَتِ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِدْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ } 98 { إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } 99 { إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ } 100 { وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةً وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٌ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } 101 { قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْفُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِتَبَيَّنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدَى وَبُشِّرَى لِلْمُسْلِمِينَ } 102 { وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الدَّى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمٰيٰ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٰ مُبِينٌ } 103 { التحل 98-103 }

أنه كان يخبرهم بالأمور الماضية خبراً مفصلاً لا يعلم أحد إلا أن يكون نبياً أو من أخبارهنبي وقومه يعلمون أنه لم يخبره بذلك أحد من البشر وهذا مما قامت به الحجة عليهم وهم مع قوة عداوتهم له وحصرهم على ما يطعنون به عليه لم يمكنهم أن يطعنوا طعناً يقبل منهم وكان علم سائر الأمم بأن قومه المعادين له المجتهدين في الطعن عليه لم يمكنهم أن يقولوا إن هذه الغيبات علمها إياه بشر فوجب على جميع الخلق أن هذا لم يعلمه إياها بشر ولهذا قال تعالى { تَلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيَهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَقْبِلِينَ } سورة هود الآية 49 فأخبر أنه لم يكن يعلم ذلك هو ولا قومه وقومه تقر بذلك ولم يتعلم من أحد غير قومه ولهذا زعم بعضهم أنه تعلم من بشر ظهر كذبه لكل أحد كما قال تعالى { فَإِذَا قَرَأَتِ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِدْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ } 98 { إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } 99 { إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ } 100 { وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةً وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٌ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } 101 { قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْفُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِتَبَيَّنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدَى وَبُشِّرَى لِلْمُسْلِمِينَ } 102 { وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الدَّى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمٰيٰ وَهَذَا }

¹ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 266 - 267

² أقتضاء الصراط ج: 1 ص: 454

لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ {103} سورة النحل الآيات 98-103 فكان بمكة رجل أعمى مملوك لبعض قريش فادعى بعض الناس أن محمدًا كان يتعلم من ذلك الأعمى فبين الله أن هذا كذب ظاهر فإن ذلك رجل أعمى لا يمكنه أن يتكلم بكلمة من هذا القرآن العربي و Mohammad صلى الله عليه وسلم عربي لا يعرف شيئاً من السنة العجم فمن كلامه بغير العربية لا يفقه كلامه فلا ذلك الرجل يحسن التكلم بالعربية ولا محمد صلى الله عليه وسلم يفهم كلاماً بغير العربية فلهذا قال تعالى {وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعْلَمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ} سورة النحل الآية 103 أي يميلون إليه ويضيفون إليه أنه علم محمدًا صلى الله عليه¹

بين سبحانه ظهور كذبهم فيما افتروه

قال تعالى {فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} 98، إنَّمَا لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} 99، إنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ} 100، وَإِذَا يَدْلُنَا آيَةً مَكَانَ آيَةً وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَنْزِلُ فَالْأَعْلَمُ بِمَا أَنْتَ مُفْتَرٌ بِلَمَّا أَنْتَ مُفْتَرٌ هُمْ لَا يَعْلَمُونَ} 101، فَلَنْ تَزَلَّهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِتُبَيِّنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدَى وَبُشِّرَى لِلْمُسْلِمِينَ} 102، وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعْلَمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ} 103 سورة النحل الآية 98-103

(ناقص ن م) يشيع ولو توافقوا بكتمانه كما شاع ما كتم من أمر الدول الباطنية ولكان خواصه في الباطن يعلمون كذبه وكان علمهم بذلك ينافق تصديقه في الباطن كما عرف في مثل ذلك فكيف وكان أخص أصحابه وأعلمهم بحاله أعظمهم محبة وموالاة بخلاف حال من يبيطن خلاف ما يظهر فإن خواص أصحابه لا يعظامونه في الباطن فإنه علم الناس أن قومه الذين كانوا معادين له غایة العداوة وكانوا يطلبون القبح في نبوته بكل طريق يعلمون أنه لم يكن عندهم بشر يعلمه مثل هذا وأنه لم يكن في قومه ولا بلده من يعرف هذا علم الناس ما علمه قومه أن هذا أنبأ به الله وكان هذا من أعلامه وأياته وبراهينه وهذا مما يبين الله في القرآن أنه من آياته وأنه حين أخبر قومه بهذا مع تكذيبهم وفرط عداوتهم له لم يمكن أحداً منهم أن يقول له بل فيما من كان يعلم ذلك وأنت كنت تعلم ذلك وقد تعلمته منا أو من غيرنا فكان إقرارهم بعدم علمه وعلمهم ومع فرط عداوتهم له آية بينة لجميع الأمم أنه لم يكن هو ولا هم يعلمون ذلك ولهذا لما كان بعضهم يفترى عليه فرية ظاهرة كانوا كلهم يعلمون كذبه وإذا اجتمعوا وتشاوروا في أمره يعرفون أن هذا كذب ظاهر عليه كما كان بعضهم يقول إنه مجنون وبعضهم يقول إنه ساحر وبعضهم يقول إنه تعلم من بشر وبعضهم يقول أضغاث أحلام فحكي الله أقوالهم مبيناً لظهور كذب من قال ذلك وأنه قول ضال حائر قد بهره حال الرسول فلم يدر ما يقول كما قال تعالى (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا) 1، الذي له ملك السماوات والأرض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدر تغييراً 2، واتخذوا من دونه الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضرراً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياءً ولا نشوراً 3، وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرؤن فقد جاؤوا ظلماً وزوراً 4، وقلوا أساطير الأولين اكتتبها

¹الجواب الصحيح ج: 1 ص: 404-405

فَهُيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا⁵} قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السَّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا⁶} سورة الفرقان الآيات 1-6 ثم ذكر ما افترحوه فقال { وَقَالُوا مَا لَهَا الرَّسُولُ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ اللَّهُ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا⁷} أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَبَعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا⁸} سورة الفرقان الآيات 6-7 وقال { انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ⁹} الفرقان 9 أمر بالنظر في كيفية ما ضربوه من الأمثال حيث شبهوه بمن يظهر الفرق بينه وبينه ظهورا لا يخفى على الناظر ولهذا قال { فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا⁹} الفرقان 9 إذا كان ظاهرا أن هذا ضلال عن طريق الحق فلا يستطيع الضال عن طريق الحق إليه سبيلا كما قال تعالى { فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِدْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّحِيمِ⁹⁸} إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ⁹⁹} إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ¹⁰⁰} وَإِذَا بَدَّلَنَا آيَةً وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٌ بِلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ¹⁰¹} قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُسُّ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لَيَسِّرَ اللَّهُ أَنْمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ¹⁰²} وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعْلَمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمٌ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ¹⁰³} سورة النحل الآيات 98-103 فأخبر عما افتراه بعضهم من قوله إنما يعلمه هذا القرآن بشر وكان بمكة مولى أعمامي لبعض قريش قيل إنه مولى لبني الحضرمي والنبي لا يحسن أن يتكلم بلسان العمجمي وذاك لا يحسن أن يتكلم بهذا الكلام العربي فلما قالوا إنه افترى هذا القرآن وأنه علمه إياه بشر قال تعالى { لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمٌ } 103 النحل أي يضيفون إليه هذا التعليم وينسبونه إليه وعبر عنه بلفظ الإلحاد لما فيه من الميل فقال لسان هذا الشخص الذي قالوا إنه يعلمه القرآن لسان أعمامي وهم لم يمكنهم أن يضيفوا هذا التعليم إلى رجل عربي بل إلى هذا الأعمامي لكونه كان يجلس أحيانا إلى النبي وذلك الأعمامي لا يمكنه التكلم بهذا الكلام العربي بل هو أعمامي ومحمد لا يعرف بالعمجمية لكن غاية ذلك الأعمامي كعبد بني الحضرمي أن يعرف قليلا من كلام العرب الذي يحتاج إليه في العادة مثل الألفاظ التي يحتاج إليها في غالبية الأوقات لفظ الخبر والماء والسماء والأرض ولا يعرف أن يقرأ سورة واحدة من القرآن فبين سبانه ظهور كذبهم فيما افتروه ولم يقل أحد منهم ما يمكن أن يكون شبهة من تعلمه أنباء الغيب من علماء أهل الكتاب ونحو ذلك وإنما قالوا ما ظهر بطلانه لكل أحد ولم ينقل عن أحد منهم أنه قال قوله يخفي بطلانه بل ما يظهر كذبه لكل أحد فتبين أنه لم يمكنهم أن يقولوا إنه تعلم أخبار الغيب من أحد وهذه القصة قصة نوح لا سيما قصته في سورة هود كما تقدم لا يعلمها إلا النبي أو من تلقاها عن النبي فإذا عرف أنه لم يتلقاها عن أحد علم أنهنبي ولهذا قال تعالى في آخرها { تَلَكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَقْبِلِينَ } هود 49 والقول فيسائر القصص كالقول فيها وكما قال في سورة يوسف { ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ } يوسف 102 وقال في سورة آل عمران لما ذكر قصة زكريا ومريم { ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيْهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ } آل عمران 44¹

اللسان العربي أكمل الألسنة وأحسنها بياناً للمعاني

قال تعالى { وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعْلَمُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمٍ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ } **النحل 103** فالرسول صلى الله عليه وسلم هو الصادق المصدق المبين للناس ما نزل إليهم المبلغ لرسالة ربه المخاطب لهم بلسان عربي مبين قال تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ } إبراهيم 4 وقال تعالى { إِنَّا جَعَلْنَا قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } الزخرف 3 وقال تعالى { وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهُلْ مِنْ مُذَكِّرٍ } **القمر 17**¹

قال تعالى { وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعْلَمُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمٍ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ } **النحل 103** فهذا يتضمن إنعام الله على عباده لأن اللسان العربي أكمل الألسنة وأحسنها بياناً للمعاني فنزل الكتاب به أعظم نعمة علىخلق من نزوله بغيره وهو إنما خوطب به أولاً العرب ليفهموه ثم من يعلم لغتهم يفهمه كما فهموه ثم من لم يعلم لغتهم ترجمه له من عرف لغتهم وكان إقامة الحجة به على العرب أولاً والإنعم به عليهم أولاً لمعرفتهم بمعانيه قبل أن يعرفه غيرهم²

أسماء القرآن

قال تعالى { وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعْلَمُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمٍ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ } **النحل 103** أسماء القرآن الفرقان الكتاب الهدى النور الشفاء البيان الموعظة الرحمة بصائر البلاغ الكرييم المجيد العزيز المبارك التنزيل المنزل الصراط المستقيم حبل الله الذكر الذكرى تذكرة المتشابه المثاني { مُتَشَابِهًا مَثَانِي } **ال Zimmerman 23** قال تعالى { وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ } **النحل 103**³

الكافر يستحقوا الوعيد لزوال التصديق والإيمان من قلوبهم

قال تعالى { إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } **آل عمران 104** { إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ } **آل عمران 105** من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكراه وقلبه

¹ مجموع الفتاوى ج: 13 ص: 264

² الجواب الصحيح ج: 2 ص: 69

³ مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 2

مُطْمَئِنٌ بِالإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ {106} ذلك
بِأَنَّهُمْ اسْتَحْبُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ {107} أولئك الذين طبع الله
عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأَوْلَئِكُ هُمُ الْغَافِلُونَ {108} لا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ

الْخَاسِرُونَ {109} **النَّحْل 106-109** فإن الله سبحانه قال {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْثَوْا نَصْبِيًّا مِّنَ
الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْحِجْنَتِ وَالْطَّاغِوتِ} النساء 51 وقال {فَمَنْ يَكُفِرُ بِالْطَّاغِوتِ وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدْ
اسْتَمْسَكَ بِالْعُرُوزِ الْوُثْقَى} البقرة 256 فتبين أن الطاغوت يؤمن به ويكره به ومعلوم أن مجرد
التصديق بوجوده وما هو عليه من الصفات يشترك فيه المؤمن والكافر فإن الأصنام والشيطان
والسحر يشترك في العلم بحاله المؤمن والكافر وقد قال الله تعالى في السحر {حَتَّى يَقُولُوا إِنَّمَا تَحْنُ
فِتْنَةٌ فَلَا تَكُفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ} البقرة 102 إلى قوله {وَلَقَدْ
عَلِمُوا لَمَنْ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقِ} البقرة 102 فهو لاء الدين اتبعوا ما تتلو الشياطين
على ملك سليمان ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون أنه لا خلاق لهم في
الآخرة ومع هذا فيكرون وكذلك المؤمن بالجنت والطاغوت إذا كان عالما بما يحصل بالسحر
من التفريق بين المرء وزوجه ونحو ذلك من الجب و كان عالما بأحوال الشيطان والأصنام وما
يحصل بها من الفتنة لم يكن مؤمنا بها مع العلم بأحوالها ومعلوم أنه لم يعتقد أحد فيها أنها تخلق
الأعيان وأنها تفعل ما تشاء ونحو ذلك من خصائص الربوبية ولكن كانوا يعتقدون أنه يحصل
بعبادتها لهم نوع من المطالب كما كانت الشياطين تخطبهم من الأصنام وتخبرهم بأمور وكما يوجد
مثل ذلك في هذه الأزمان في الأصنام التي يعبدوها أهل الهند والصين والترك وغيرهم وكان كفرهم
بها الخضوع لها والدعاء والعبادة وإتخاذها وسيلة ونحو ذلك لا مجرد التصديق بما يكون عند ذلك
من الآثار فإن هذا يعلمه العالم من المؤمنين ويصدق بوجوده لكنه يعلم ما يترب على ذلك من
الضرر في الدنيا والآخرة فيبغضه والكافر قد يعلم وجود ذلك الضرار لكنه يحمله حب العاجلة على
الكفر ببين ذلك قوله {مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌ بِالإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ
شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ {106} ذلك **بِأَنَّهُمْ اسْتَحْبُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا**
عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ {107} أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم
وَأَبْصَارِهِمْ وَأَوْلَئِكُ هُمُ الْغَافِلُونَ {108} لا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ {109} **النَّحْل 106-109**

فقد ذكر تعالى من كفر بالله من بعد إيمانه وذكر وعيده في الآخرة ثم قال {ذَلِكَ
بِأَنَّهُمْ اسْتَحْبُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ} **النَّحْل 107** وبين تعالى أن الوعيد يستحقوه بهذا
ومعلوم أن باب التصديق والتکذیب والعلم والجهل ليس هو من باب الحب والبغض وهؤلاء يقولون
إنما يستحقوا الوعيد لزوال التصديق والإيمان من قلوبهم وإن كان ذلك قد يكون سببه حب الدنيا على

الآخرة والله سبحانه وتعالى جعل إستحباب الدنيا على الآخرة هو الأصل الموجب للخسران
وإستحباب الدنيا على الآخرة قد يكون مع العلم والتصديق بأن الكفر يضر في الآخرة وبأنه ما له في
الآخرة من خلاق و أيضا فإنه سبحانه يستثنى المكره من الكفار ولو كان الكفر لا يكون إلا
بتکذیب القلب وجehله لم يستثن منه المكره لأن الإكراه على ذلك ممتنع فعلم أن التكلم بالكفر كفر لا في
حال الإكراه وقوله تعالى {وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا} **النَّحْل 106** أي لإستحبابه الدنيا على
الآخرة ومنه قول النبي يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا يبيع دينه

بعرض من الدنيا والآية نزلت في عمار بن ياسر وبلال بن رباح وأمثالهما من المؤمنين
المستضعفين لما أكرههم المشركون على سب النبي ونحو ذلك من كلمات الكفر فمنهم من أجاب
بلسانه كعمار ومنهم من صبر على المحنـة كبلال ولم يكره أحد منهم على خلاف ما في قلبه بل
أكرهوا على التكلم فمن تكلم بدون الإكراه لم يتكلم إلا وصدره منشرح به وأيضا فقد جاء نفر من

اليهود إلى النبي فقالوا نشهد إنك لرسول ولم يكونوا مسلمين بذلك لأنهم قالوا ذلك على سبيل الاخبار عما في أنفسهم أي نعلم ونجزم أنك رسول الله قال فلم لا تتبعوني قالوا نخاف من يهود فعلم أن مجرد العلم والاخبار عنه ليس بآيمان حتى يتكلم بالإيمان على وجه الإنشاء المتضمن للإلزام والانقياد مع تضمن ذلك الاخبار عما في أنفسهم فالمنافقون قالوا مخبرين كاذبين فكانوا كفارا في الباطن وهؤلاء قالوها غير ملتزمين ولا منقادين فكانوا كفارا في الظاهر والباطن وكذلك أبو طالب قد استقاض عنده أنه كان يعلم بنبوة محمد وأنشد عنه ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية دينا لكن إمتنع من الإقرار بالتوحيد والنبوة حباً لدين سلفه وكراهة أن يعيشه قومه فلما لم يقترن بعلمه الباطن الحب والإنقياد الذي يمنع ما يضاد ذلك من حب الباطل وكراهة الحق لم يكن مؤمناً وأما إبليس وفرعون واليهود ونحوهم فما قام بأنفسهم من الكفر وإرادة العلو والحسد منع من حب الله وعبادة القلب له الذي لا يتم الإيمان إلا به وصار في القلب من كراهية رضوان الله وإتباع ما أسطخته ما كان كفراً لا ينفع معه العلم¹

المكره هو من يدفع الفساد الحاصل بإحتمال أدناهما

قال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} {104} إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ {105} منْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَبْلَهُ مُطْمَئِنٌ بِالإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفُرِ صَدِرَ أَفْعَلُهُمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ {106} ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحْبَوْا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَاذِبِينَ {107} أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعُهُمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ {108} لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ {109} النحل 106-109

فإن هذه الآية نزلت بمكة لما أكره عمار وبلال على الكفر²

و المكره يفعل بمشيئة غيره و هو المكره له فإنه و إن كان قاصداً لما يفعله ليس هو بمنزلة المفعول به الذي لا قدرة له و لا إرادة له في الفعل بحال فإن مقصوده بالقصد الأول دفع الشيء لا نفس الفعل فالمراتب ثلاثة أحدها من يفعل به الفعل من غير قدرة له على الإمتاع كالذي يحمل بغير اختياره و يدخل إلى مكان أو يضرب به غيره أو تضجع المرأة و تفعل بها الفاحشة بغير اختيارها من غير قدرة على الإمتاع فهذا ليس له فعل اختياري و لا قدرة و لا إرادة ومثل هذا الفعل ليس فيه أمر و لانهى و لا عقاب باتفاق العقلاء و إنما يعاقب إذا أمكنه الإمتاع فتركه لأنه إذا لم يتمتع كان مطاوعاً لا مكرهاً و لهذا فرق بين المرأة المطاوعة على الزنا و المكرهه عليه و الثانية أن يكره بضرب أو حبس أو غير ذلك حتى يفعل فهذا الفعل يتعلق به التكليف فإنه يمكنه أن لا يفعل و إن قتل و لهذا قال الفقهاء إذا أكره على قتل المعصوم لم يحل له قتله و إن قتل فقد اختلفوا في القود فقال أكثرهم كمالك و أحمد و الشافعي في أحد قوله يجب القود على المكره و المكره لأنهما جمياً يشتراكان في القتل و قال أبو حنيفة يجب على المكره الظلم لأن المكره قد صار كالآلة و قال زفر بل

¹ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 558-562

² منهاج السنة النبوية ج: 4 ص: 443

على المكره المباشر لأنّه مباشر وذاك متسبّب و قال لو كان كالآلّة لما كان آثما و قد إتفقا على أنه آثم و قال أبو يوسف لاتجب على واحد منها و أما إن أكره على الشرب للخمر و نحوه من الأفعال فأكثرهم يجوز ذلك له و هو مذهب أبي حنيفة و الشافعي و أحمد في المشهور عنه لقوله تعالى { وَلَا تُكْرِهُوا فَتَبَيَّنَكُمْ عَلَى الْبَيْعَاءِ إِنَّ أَرَدْنَ تَحَصُّنَا لَتَبَيَّنُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِهُ هُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } النور 33 و أما إن أكره الرجل على الزنا ففيه قوله تعالى { وَمَن يُكْرِهُ هُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } النور 33 و إذا أكره على كلام الكفر جاز له التكلم مكرها عليه كقول الشافعي و طائفة من أصحاب أحمد و إذا أكره على كلمة الكفر جاز له التكلم بها مع طمأنينة قلبه بالإيمان¹

وفي صحيح مسلم عن عمران ابن حصين حديث المرأة التي لعنت ناقة لها فأمر النبي صلى الله عليه وسلم فأخذ ما عليها وأرسلت وقال لا تصحبنا ناقة ملعونة وفي الصحيحين عنه أنه لما إجتاز بديار ثمود قال لا تدخلوا على هؤلاء المعدبين إلا أن تكونوا باكين فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم لئلا يصيبكم ما اصابهم فنهى عن عبور ديارهم إلا على وجه الخوف المانع من العذاب وهذا السنة في مقارنة الظالمين والزناة وأهل البدع والفجور وسائر المعاishi لا ينبغي لأحد أن يقارنهم ولا يخالطهم إلا على وجه يسلمه به من عذاب الله عز وجل وأقل ذلك أن يكون منكرا لظلمهم ماقتنا لهم شأننا ما هم فيه بحسب الإمكان كما في الحديث من رأى منكم منكرا فليغیره بيده فإن لم يستطع فليسنه فإن لم يستطع فبقبله وذلك اضعف الإيمان وقال تعالى { وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا إِمْرَأَةً فِرْعَوْنَ } التحرير 11 الآية وكذلك ما ذكره عن يوسف الصديق وعمله على خزان الأرض لصاحب مصر كفار وذلك ان مقارنة الفجار إنما يفعلها المؤمن في موضعين أحدهما أن يكون مكرها عليها والثانية أن يكون ذلك في مصلحة دينية راجحة على مفسدة المقارنة أو أن يكون في تركها مفسدة راجحة في دينه فيدفع أعظم المفسدتين بإحتمال أدناهما وتحصل المصلحة الراجحة بإحتمال لمفسدة المرجوحة وفي الحقيقة فالمكره هو من يدفع الفساد الحاصل بإحتمال أدناهما وهو الأمر الذي أكره عليه قال تعالى { إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقْلُبُهُ مُطْمَئِنٌ بِالْإِيمَانِ } النحل 106²

من كفر بالله من بعد إيمانه من غير إكراه فهو مرتد

قال تعالى { إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } 104 { إِنَّمَا يَقْرَئِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ } 105 { مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقْلُبُهُ مُطْمَئِنٌ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنَّ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفُرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } 106 ذلك

¹ مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 504

² مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 325

بِأَنَّهُمْ اسْتَحْبُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ {107} أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعَهُمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ {108} لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ {109}

النحل 106-109 إن القرآن قد بين توبه الكافر وإن كان قد إرتد ثم عاد إلى الإسلام في غير موضع قوله تعالى {كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهَدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ {86} أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسُ أَجْمَعِينَ {87} خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنَظَّرُونَ {88} إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ {89} آل عمران 86-89 قوله {كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ} آل عمران 86 أى أنه لا يهديهم مع كونهم مرتدین ظالمین ولها قال {وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} آل عمران 86 فمن إرتد عن دين الإسلام لم يكن إلا ضالاً لا يحصل له الهدى إلى أي دين إرتد و المقصود أن هؤلاء لا يهديهم الله ولا يغفر لهم إلا أن يتوبوا و كذلك قال في قوله {من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره} النحل 106 و من كفر بالله من بعد إيمانه من غير إكراه فهو مرتد قال {ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فَتَنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ} النحل 110 و هو سبحانه في آل عمران ذكر المرتدین ثم ذكر التائبین منهم ثم ذكر من لا تقبل توبته و من مات كافرا فقال {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تُوبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ {90} إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَأْتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مَلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ {91} آل عمران 90-91 و هؤلاء الذين لا تقبل توبتهم قد ذكروا فيهم أقوالاً قيل لناقفهم و قيل لأنهم تابوا مما دون الشرك و لم يتوبوا منه و قيل لن تقبل توبتهم بعد الموت و قال الأكثرون كالحسن و قتادة و عطاء الخراساني و السدي لمن تقبل توبتهم حين يحضرهم الموت فيكون هذا قوله {وَلَيُسْتَهْلِكَ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدُهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي ثَبَّتُ إِلَآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمْوِثُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ} النساء 18 و كذلك قوله {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آزْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنْ اللَّهُ لِيغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا} النساء 137 قال مجاهد و غيره من المفسرين إزدادوا كفراً ثبتوه عليه حتى ماتوا قلت و ذلك لأن التائب راجع عن الكفر و من لم يتتب فإنه مستمر يزداد كفراً بعد كفره قوله {ثُمَّ ازْدَادُوا} آل عمران 90 بمنزلة قول القائل ثم أصرروا على الكفر و استمرروا على الكفر و داموا على الكفر فهم كفروا بعد إسلامهم ثم زاد كفراً ما نقص فهو لاء لا تقبل توبتهم وهي التوبة عند حضور الموت لأن من تاب قبل حضور الموت فقد تاب من قريب و رجع عن كفره فلم يزدد بل نقص بخلاف المصر إلى حين المعاينة فما بقي له زمان يقع لنقص كفره فضلاً عن هدمه ¹

الكلام والفعل المتضمن للاستخفاف والاستهانة مستلزم لعدم التصديق النافع

قال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ {104} إِنَّمَا يَقْنَطُ الْكَذِبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ {105} مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدَ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَبْلَهُ مُطْمَئِنٌ بِالإِيمَانِ وَلَكِنَّ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلِيَّهُمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ {106}} ذلك

¹ مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 32-27

بِأَنَّهُمْ اسْتَحْبُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ {107} أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعَهُمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ {108} لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ {109}

النحل 106-109 ان الله سبحانه أمرنا بالمعروف وهو طاعته وطاعة رسوله وهو الصلاح والحسنات والخير والبر ونهى عن المنكر وهو معصيته ومعصية رسوله وهو الفساد والسيئات والشر والفجور وقيد الايجاب بالاستطاعة والواسع واباح ما حرم ما يضطر المرء اليه غير باغ ولا عاد فقال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ حَقُّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } آل عمران 102 وقال {فَإِنَّهُمْ مَا مَا اسْتَطَعْتُمْ } التغابن 16 وثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ذروني ما تركتم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على آنبيائهم فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وإذا امرتكم بأمر فأنتوا منه ما استطعتم فلوجب مما امر به ما يستطيعون وكذلك فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال في حديث اخر انكم لن تحصلوا او تستطيعوا كل ما امرتم به ولكن وقال ان هذا الدين يسر ولن يشد الدين احد الا غلبه فسددوا وقاربوا واستعينوا بالغدوة والروحه وشيء من الدلجة والقصد تبلغوا وهذا العام المجمل فصله فقال في محظوظ الكلام بالكفر {مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفُرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } النحل 106 فأباح سبحانه عند الاكراه ان ينطق الرجل بالكفر بلسانه اذا كان قلبه مطمئنا بالإيمان بخلاف من شرح بالكفر صدرا وأباح للمؤمنين ان يتقو من الكافرين تقاة مع نهيه لهم عن مواليتهم وعن ابن عباس ان التقية باللسان¹

ان من قال ان الايمان مجرد معرفة القلب من غير احتياج الى المنطق باللسان يقول لا يفتقر الايمان في نفس الامر الى القول الذي يوافقه باللسان لكن لا يقول ان القول الذي ينافي الايمان لا يبطله فان القول قوله قول يوافق تلك المعرفة وقول يخالفها فهو ان القول المواجب لا يشترط لكن القول المخالف ينافيها فمن قال بلسانه كلمة الكفر من غير حاجة عامدا لها عالما بانها كلمة كفر فانه يكفر بذلك ظاهرا وباطنا ولا يجوز ان يقال انه في الباطن يجوز ان يكون مؤمنا ومن قال ذلك ذلك فقد مرق من الاسلام قال الله سبحانه {مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفُرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } النحل 106 ومعلوم انه لم يرد بالكفر هنا اعتقاد القلب فقط لأن ذلك لا يكره الرجل عليه وهو قد استثنى من اكره ولم يرد من قال واعتقد لأنه استثنى المكره وهو لا يكره على العقد والقول وانما يكره على القول فقط فعلم انه اراد من تكلم بكلمة الكفر فعليه غضب من الله وله عذاب عظيم وانه كافر بذلك الا من اكره وهو مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرا من المكرهين فإنه كافر ايضا فصار كل من تكلم بالكفر كافرا الا من اكره فقال بلسانه كلمة الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان وقال تعالى في حق المستهزئين { وَلَئِنْ سَأَلْنَاهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَحُو ضُلُّ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنُّمْ تَسْتَهْزِئُونَ {65} لَا تَعْذِرُوا أَقْدَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِإِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ {66} } التوبة 65-66 وبين انهم كفار بالقول مع انهم لم يعتقدوا صحته وهذا باب واسع والفقه فيه ما تقدم من ان التصديق بالقلب يمنع اراده التكلم وارادة فعل فيه استهانة واستخفاف كما انه يوجب

المحبة والتعظيم واقتضاؤه وجود هذا وعدم هذا أمر جرت به سنة الله في مخلوقاته كاقتضاء ادراك الموافق للذرة وادراك المخالف للألم فإذا عدم المعمول كان مستلزمًا لعدم العلة وإذا وجد الضد كان مستلزمًا لعدم الضد الآخر فالكلام والفعل المتضمن للاستخفاف والاستهانة مستلزم لعدم التصديق النافع ولعدم الانقياد والاستسلام فلذلك كان كفراً واعلم ان الايمان وان قيل هو التصديق فالقلب يصدق بالحق والقول يصدق ما في القلب والعمل يصدق القول والتکذیب بالقول مستلزم للتکذیب بالقلب ورافع للتصديق الذي كان في القلب اذا اعمال الجوارح تؤثر في القلب كما ان اعمال القلب تؤثر في الجوارح فأيهما قام به كفر تعدى حكمه الى الاخر¹

القرآن يبين أن إيمان القلب يستلزم العمل الظاهر بحسبه

قال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} {104} إنما يقترب إلى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون {105} من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرَّح بالكفر صدرًا فعليهم غضب من الله ولهُم عذاب عظيم {106} ذلك بأنَّهُمْ أَسْتَحْبُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ {107} أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعيهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون {108} لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون {109} النحل 106-109 وليس في الكتاب والسنة المظہرون للإسلام إلا قسمان مؤمن أو منافق فالمنافق في الدرك الأسفل من النار والآخر مؤمن ثم قد يكون ناقص الإيمان فلا يتناوله الإسم المطلق وقد يكون تام الإيمان وهذا يأتي الكلام عليه إن شاء الله في مسألة الإسلام والإيمان وأسماء الفساق من أهل الملة لكن المقصود هنا أنه لا يجعل أحد بمجرد ذنب يذنبه ولا بدعة ابتدعها ولو عاد الناس إليها كافرا في الباطن إلا إذا كان منافقاً فاما من كان في قلبه الإيمان بالرسول وما جاء به وقد غلط في بعض ما تأوله من البدع فهذا ليس بكافر أصلاً والخوارج كانوا من أظهر الناس بدعة وقتala للأمة وتکفیرا لها ولم يكن في الصحابة من يکفرهم لا على بن أبي طالب ولا غيره بل حکموا فيهم بحكمهم في المسلمين الظالمين المعتدين كما ذكرت الآثار عنهم بذلك في غير هذا الموضوع وكذلك سائر الثنين وسبعين فرقة من كان منهم منافقاً فهو كافر في الباطن ومن لم يكن منافقاً بل كان مؤمناً بالله ورسوله في الباطن لم يكن كافراً في الباطن وإن أخطأ في التأويل كائناً ما كان خطأه وقد يكون في بعضهم شعبة من شعب النفاق ولا يكون فيه النفاق الذي يكون صاحبه في الدرك الأسفل من النار ومن قال أن الثنين وسبعين فرقه كل واحد منهم يکفر كفراً ينقل عن الملة فقد خالف الكتاب والسنة وإجماع الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين بل واجماع الأئمة الأربع وغير الأربعة فليس فيهم من کفر كل واحد من الثنين وسبعين فرقة وإنما يکفر بعضهم ببعض المقالات كما قد بسط الكلام عليهم في غير هذا الموضوع وإنما قال الأئمة بکفر هذا لأن هذا فرض ما لا يقع فيما تمعن أن يكون الرجل لا يفعل شيئاً مما أمر به من الصلاة والزكاة والصيام والحج وي فعل ما يقدر عليه من المحرمات مثل الصلاة بلا وضوء والى غير القبلة ونكاح الأمهات وهو مع ذلك مؤمن في الباطن بل لا يفعل ذلك إلا لعدم الإيمان الذي في قلبه ولهذا كان أصحاب أبي حنيفة يکفرون أنواعاً من يقول كذا وكذا لما فيه من الاستخفاف و يجعلونه مرتدًا ببعض هذه الأنواع مع النزاع اللغطي الذي بين

¹ الصارم المسلول ج: 3 ص: 976

أصحابه وبين الجمهور في العمل هل هو داخل في إسم الإيمان أم لا ولهذا فرض متأخروا الفقهاء مسألة يمتنع وقوعها وهو أن الرجل إذا كان مقرأ بوجوب الصلاة فدعى إليها وامتنع واستتب ثالثاً مع تهديده بالقتل فلم يصل حتى قتل هل يموت كافراً أو فاسقاً على قولين وهذا الفرض باطل فإنه يمتنع في الفطرة أن يكون الرجل يعتقد أن الله فرضها عليه وأنه يعاقبه على تركها ويصبر على القتل ولا يسجد لله سجدة من غير عذر له في ذلك هذا لا يفعله بشر قط بل ولا يضرب أحد من يقر بوجوب الصلاة إلا صلي لا ينتهي الأمر به إلى القتل وسبب ذلك أن القتل ضرر عظيم لا يصبر عليه الإنسان إلا لأمر عظيم مثل لزومه لدين يعتقد أنه إن فارقه هلك فيصبر عليه حتى يقتل وسواء كان الدين حقاً أو باطلأ مما مع اعتقاده أن الفعل يجب عليه باطننا وظاهراً فلا يكون فعل الصلاة أصعب عليه من إحتمال القتل قط ونظير هذا لو قيل أن رجلاً من أهل السنة قيل له ترض عن أبي بكر وعمر فامتنع عن ذلك حتى قتل مع محبته لهما واعتقاده فضلهم ومع عدم الاعذار المانعة من الترضي عنهم فهذا لا يقع قط وكذلك لو قيل أن رجلاً يشهد أن محمداً رسول الله باطننا وظاهراً وقد طلب منه ذلك وليس هناك رهبة ولا رغبة يمتنع لأجلها فامتنع منها حتى قتل فهذا يمتنع أن يكون في الباطن يشهد أن محمداً رسول الله ولهذا كان القول الظاهر من الإيمان الذي لا نجاة للعبد إلا به عند عامة السلف والخلف من الأولين والآخرين إلا الجهمية جهماً ومن وافقه فإنه إذا قدر أنه معذور لكونه أخرس أو لكونه خائفاً من قوم ان أظهر الإسلام آذوه ونحو ذلك فهذا يمكن أن لا يتكلم مع إيمان في قلبه كالمكره على كلمة الكفر قال الله تعالى {مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقُلْبُهُ مُطْمَئِنٌ بِإِيمَانٍ وَلَكِنَّ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} النحل 106 وهذه الآية مما يدل على فساد قول جهم ومن اتبעה فإنه جعل كل من تكلم بالكفر من أهل وعيد الكفار {إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقُلْبُهُ مُطْمَئِنٌ بِإِيمَانٍ} النحل 106 فإن قيل فقد قال تعالى {وَلَكِنَّ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا} النحل 106 قيل وهذا موافق لأولها فإنه من كفر من غير إكراه فقد شرح بالكفر صدراً والا ناقض أول الآية آخرها ولو كان المراد بمن كفر هو الشارح صدره وذلك يكون بلا إكراه لم يستثن المكره فقط بل كان يجب أن يستثنى المكره وغير المكره إذا لم يشرح صدره وإذا تكلم بكلمة الكفر طوعاً فقد شرح بها صدراً وهي كفر وقد دل على ذلك قوله تعالى {يَحْذِرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةً تُتَبَّعُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ} 64 {وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِلَّ اللَّهِ وَأَبِلَّهُ وَرَسُولُهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ} 65 {لَا تَعْتَرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ تَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِإِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ} 66 التوبة 64-66 فقد أخبر أنهم كفروا بعد إيمانهم مع قولهم إنا تكلمنا بالكفر من غير اعتقاد له بل كنا نخوض ونلعب وبين أن الإستهزاء بآيات الله كفر ولا يكون هذا إلا من شرح صدره بهذا الكلام ولو كان الإيمان في قلبه منعه أن يتكلم بهذا الكلام والقرآن يبين أن إيمان القلب يستلزم العمل الظاهر بحسبه قوله تعالى {وَيَقُولُونَ أَمَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مَنْ بَعْدَ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ} 47 {وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُعْرِضُونَ} 48 {وَإِنْ يَكُنْ لَّهُمْ حَقٌّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعَنِينَ} 49 النور 49-47 إلى قوله {إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} 51 النور 51 ففي الإيمان عمن تولى عن طاعة الرسول وأخبر أن المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم سمعوا وأطاعوا وبين أن هذا من لوازم الإيمان¹

نَمَّ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ مِنْ يَرْتَدُ وَيَفْتَنُ وَلُوْا كِرَهَ

قال تعالى { إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } 104 إنما يُفْتَرِي الْكَذَبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ } 105 من كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَبْلَهُ مُطْمَئِنٌ بِالإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } 106 ذلك بِأَنَّهُمْ اسْتَحْبُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْفَوْمَ الْكَافِرِينَ } 107 أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعَهُمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ } 108 لا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ } 109 النَّحْلِ 106-109

وقد اوذى النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر وغيرهما بأنواع من الاذى بالضرب وغيره وصبروا على ذلك ولم ينطق احد منهم بكلمة كفر بل قد سعوا في قتل النبي صلى الله عليه وسلم بأنواع مما قدوا عليه من السعي وهو صابر لأمر الله كما امره الله تعالى وان كان النبي صلى الله عليه وسلم قد اخبر في اثناء الامر بان الله يعصمه من الناس فلم يكن قد اخبر اولاً بانه يعصم من انواع الاذى واما السابقون فلم يخبروا بذلك وكذلك خبيب بن عدي الذي صلبهم المشركون حين اخرجوه من الحرم ولم يتكلم بكلمة الكفر وقصته في الصحيح لكن قد يقال ان هذا لم يكن قد صدتهم منه ان يعود الى دينهم فإنه كان من الانصار وكانوا يقتلونه بمن قتل منهم يوم بدر بخلاف اقاربهم وحلفائهم ومواليهم فإنهم كانوا يحبونهم ويكرمونهم ولم يكونوا يريدون منهم الا الكفر بعد الإيمان وقد نم الله في كتابه من يرتد ويفتن ولو اكره وهذا هو الذي ذمه الله بقوله { وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } النَّحْلِ 106 لما ذكر الردة التي استثنى منها المكره وقلبه مطمئن بالإيمان { وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } 106 ذلك بِأَنَّهُمْ اسْتَحْبُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ } 107 أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعَهُمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ } 108 لا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ } 109 النَّحْلِ 106-109 ثم قال { ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتُنُوا ثُمَّ جَاهُدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغُورٌ رَّحِيمٌ } النَّحْلِ 110 نزلت في الذين فتنهم المشركون حتى اصابوهم ثم هاجروا بعد ذلك وجاحدوا وصبروا فأخبر الله انه غفر لهم ورحمهم فعلم ان تلك الفتنة كانت من ذنبهم وذلك اما لعدم الاكراه التام المبيح للنطق بكلمة الكفر واما لعدم الطمأنينة بالإيمان فلا يستحق صاحبه الوعيد وعلى من اكره على الخروج في العساكر الظالمة مثل ان يكره المستضعفون من المؤمنين على الخروج مع الكافرين لقتل المؤمنين كما اخرج المشركون عام بدر معهم طائفة من المستضعفين فهو لاء اذا امكنهم ترك الخروج بالهجرة او بغيرها والا فهم مفتونون وفيهم نزل قوله تعالى { إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمٍ أَنفُسُهُمْ قَاتَلُوا فَيُمَكِّنُ ثُمَّ قَاتَلُوا كُلَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَاتَلُوا أَلْمَنْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا } النساء 97 لأنهم فعلوا المحرم مع القدرة على تركه¹

¹ الاستقامة ج: 2 ص: 338-340

يُوصَفُ اللَّهُ بِمَا وُصِفَ بِهِ نَفْسُهُ وَبِمَا وُصِفَ بِهِ رَسُولُهُ

قال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} {104} إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذَبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ {105} مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَبْلَهُ مُطْمَئِنٌ بِالإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدِرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ {106} ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحْبَوْا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْفَوْقَ الْكَافِرِينَ {107} أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمَعَهُمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ {108} لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ {109} النَّحْلُ 106-109

فَانَّ اللَّهَ تَعَالَى سَمِيَّ نَفْسَهُ بِأَسْمَاءٍ وَوُصِفَ نَفْسَهُ بِصَفَاتٍ سَمِيَّ نَفْسَهُ حِيَا عَلَيْهَا حَكِيمًا قَدِيرًا سَمِيَّعًا بَصِيرًا غَفُورًا رَحِيمًا إِلَى سَائِرِ أَسْمَائِهِ الْحَسَنِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى {فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} النَّحْلُ 106 وَامْثَالُ ذَلِكَ فَالْقُولُ فِي بَعْضِ هَذِهِ الصَّفَاتِ كَالْقُولُ فِي بَعْضِ وَمِذْهَبِ سَلْفِ الْأُمَّةِ وَأَنْتَمُهَا إِنْ يُوصَفَ اللَّهُ بِمَا وُصِفَ بِهِ نَفْسَهُ وَبِمَا وُصِفَ بِهِ رَسُولُهُ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ وَلَا تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ فَلَا يَجُوزُ نَفْيُ صَفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي وُصِفَّ بِهَا نَفْسَهُ وَلَا يَجُوزُ تَمْثِيلُهَا بِصَفَاتِ الْمَخْلوقَيْنِ بَلْ هُوَ سَبَحَانُهُ {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} الشُّورِي١١ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ لَا فِي ذَاتِهِ وَلَا فِي صَفَاتِهِ وَلَا فِي أَفْعَالِهِ وَقَالَ نَعِيمُ بْنُ حَمَادَ الْخَزَاعِيَّ مِنْ شَبَهِ اللَّهِ بِخَلْقِهِ فَقَدْ كَفَرَ وَمِنْ جَهْدِهِ فَقَدْ كَفَرَ وَلَيْسَ مَا وُصِفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ وَرَسُولُهُ تَشَبَّهُ وَمِذْهَبُ السَّلْفِ بَيْنِ مِذْهَبَيْنِ وَهُدَى بَيْنِ ضَلَالَتَيْنِ اثْبَاتُ الصَّفَاتِ وَنَفْيُ مِمَاثِلَةِ الْمَخْلوقَاتِ فَقُولُهُ تَعَالَى {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} الشُّورِي١١ ردُّ عَلَى أَهْلِ التَّشَبِيهِ وَالْتَّمْثِيلِ وَقُولِهِ {وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} الشُّورِي١١ ردُّ عَلَى أَهْلِ النَّفْيِ وَالتَّعْطِيلِ فَالْمَمْتَلُ اعْشَى وَالْمَعْطَلُ أَعْمَى الْمَمْتَلُ يَعْبُدُ صَنْنَمَا وَالْمَعْطَلُ يَعْبُدُ عَدْمًا وَقَدْ اتَّقَقَ جَمِيعُ أَهْلِ الْإِثْبَاتِ عَلَى أَنَّ اللَّهَ حَىٰ حَقِيقَةً عَلِيمًا حَقِيقَةً قَدِيرًا حَقِيقَةً سَمِيعًا حَقِيقَةً بَصِيرًا حَقِيقَةً مَرِيدًا حَقِيقَةً مَتَّكِلًا حَقِيقَةً حَتَّى الْمَعْتَزَلَةُ النَّفَاهُ لِلصَّفَاتِ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ مَتَّكِلٌ حَقِيقَةً كَمَا قَالُوا مَعَ سَائِرِ الْمُسْلِمِينَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَقِيقَةً قَدِيرًا حَقِيقَةً بَلْ ذَهَبَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ كَأَبِي الْعَبَّاسِ النَّاשِيِّ إِلَى أَنَّ هَذِهِ الْأَسْمَاءَ حَقِيقَةُ اللَّهِ مَجَازُ الْخَلْقِ وَأَمَّا جَمِيعُ الْمَعْتَزَلَةِ مَعَ الْمُتَكَلِّمَةِ الصَّفَاتِيَّةِ مِنَ الْإِشْعَرِيَّةِ الْكَلَابِيَّةِ وَالْكَرَامِيَّةِ وَالسَّالِمِيَّةِ وَاتِّبَاعِ الْإِمَامَةِ الْأَرْبَعَةِ مِنَ الْحَنْفِيَّةِ وَالْمَالِكِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ وَالْحَنْبَلِيَّةِ وَأَهْلِ الْحَدِيثِ وَالصَّوْفِيَّةِ فَانَّهُمْ يَقُولُونَ أَنَّ هَذِهِ الْأَسْمَاءَ حَقِيقَةً لِلْخَالِقِ سَبَحَانُهُ وَتَعَالَى وَانْ كَانَتْ تَطْلُقُ عَلَى خَلْقِهِ حَقِيقَةً أَيْضًا وَيَقُولُونَ أَنَّ لَهُ عَلَمًا حَقِيقَةً وَقَدْرَةً حَقِيقَةً وَسَمِعَا حَقِيقَةً وَبَصَرَا حَقِيقَةً¹

اللَّهُ سَبَحَانُهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَرَبُّهُ وَمَلِيكُهُ وَقَدْ خَلَقَ الْأَشْيَاءِ بِأَسْبَابٍ

قال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} {104} إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذَبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ {105} مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَبْلَهُ مُطْمَئِنٌ بِالإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدِرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ {106} ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحْبَوْا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْفَوْقَ الْكَافِرِينَ {107} أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمَعَهُمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ {108} لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ

¹ مجموع الفتاوى ج: 5 ص: 197

الخَاسِرُونَ {109} النَّحْل 106-109 إن كل ما في الوجود فهو مخلوق له خلقه بمشيئته و قدرته و ما شاء كان و مالم يشأ لم يكن و هو الذي يعطى و يمنع و يخفض ويرفع و يعز و يذل و يغنى و يفقر و يضل و يهدى و يسعد و يشقى و يولي الملك من يشاء و ينزعه من يشاء و يشرح صدر من يشاء للإسلام و يجعل صدر من يشاء ضيقاً كأنما يصعد في السماء و هو يقلب القلوب ما من قلب من قلوب العباد إلا و هو بين إصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أن يقيمه أقامه و إن شاء أن يزيجه أزاغه و هو الذي حبب إلى المؤمنين الإيمان و زينه في قلوبهم و كره إليهم الكفر و الفسق و العصيان أولئك هم الراشدون و هو الذي جعل المسلم مسلماً و المصلحي مصلياً قال الخليل {ربنا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتَنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ} البقرة 128 وقال {رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي} إبراهيم 40 وقال تعالى {وَاجْعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهُدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا} السجدة 24 وقال عن آل فرعون {وَاجْعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ} القصص 41 وقال تعالى {إِنَّ إِنْسَانَ خُلُقَ هُلُوقًا} [19] إذا مَسَهُ الشَّرُّ جَزُوعًا [20] وَإِنَّ مَسَهُ الْخَيْرِ مُنْوِعًا [21] المعارج 21-19 وقال {وَاصْنَعْ الْفَلَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْنَا} هود 37 وقال {وَيَصْنَعْ الْفَلَكَ} هود 38 والفالك مصنوعة لبني آدم و قد أخبر الله تبارك و تعالى أنه خلقها بقوله {وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مُنْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ} يس 42 وقال {وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بَيْوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُونَهَا يَوْمَ طَعْنُكُمْ وَيَوْمَ إِقْامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأُوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينِ} النحل 80 الآيات و هذه كلها مصنوعة لبني آدم وقال تعالى {أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِثُونَ} [95] وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} [96] الصافات 95-96 فما بمعنى الذي و من جعلها مصدرية فقد غلط لكن إذا خلق المنحوت كما خلق المصنوع و الملبوس و المبني دل على أنه خالق كل صانع و صنته و قال تعالى {مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهَدَّدُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا} الكهف 17 وقال {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَ يَسْرَحْ صَدَرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدُ أَنْ يُضْلِلْ يَجْعَلْ صَدَرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا} الأنعام 125 و هو سبحانه خالق كل شيء و ربه و مليكه و له فيما خلقه حكمة بالغة و نعمة سابحة و رحمة عامة و خاصة و هو لا يسأل عما بفعل و هم يسألون لا لمجرد قدرته و قهره بل لكمال علمه و قدرته و رحمته و حكمته فإنه سبحانه و تعالى أحکم الحاكمين و أرحم الرحيمين و هو أرحم بعباده من الوالدة بولدها و قد أحسن كل شيء خلقه و قال تعالى {وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ} صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ} النمل 88 وقد خلق الأشياء بأسباب كما قال تعالى {وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا} البقرة 164 وقال {فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ التَّمَرَاتِ} الأعراف 57 وقال تعالى {يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبْلَ السَّلَامِ} المائدة 1¹

يدخل مقصود المسموع وفائدته في مساماه نفيا وإثباتا

قال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} 104 {إِنَّمَا يَقْرَئُ الْكَذَبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكُ هُمُ الْكَاذِبُونَ} 105

¹مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 78-80

مُطَمِئِنٌ بِالإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضْبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ {106} ذَلِكَ
 بِأَنَّهُمْ أَسْتَحْبُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ {107} أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ
 عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعَهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَأَوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ {108} لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ
 الْخَاسِرُونَ {109} النَّحْلُ 106-109

فان البصر يرى غير مباشرة المرئي والذوق والشم واللمس لا يحصل له الاحساس إلا بمباشرة المحسوس والسمع وإن كان يحس الأصوات فالمقصود الأعظم به معرفة الكلام وما يخبر به المخبرون من العلم وهذا سبب تقضيل طائفة من الناس لسمع على البصر كما ذهب إليه ابن قتيبة وغيره وقال الأكثرون البصر أفضل من السمع والتحقيق أن إدراك البصر أكمل كما قاله الأكثرون كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ليس المخبر كالمعاين لكن السمع يحصل به من العلم لنا أكثر مما يحصل ببصر أقوى وأكمل والسمع أعم وأشمل وهاتان الحاستان هما الأصل في العلم بالمعلومات التي يمتاز بها الإنسان عن البهائم استطراد ولهذا يقرن الله بينهما المؤواد في مواضع قوله تعالى {إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادُ كُلُّ أُولَئِكَ
 كَانَ عَنْهُ مَسْؤُلًا} الإسراء 36 وقال تعالى {خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمِعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ
 غِشَاوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} البقرة 7¹

أن المسمع وإن كان أصله نفس السمع الذي يشبه الإدراك لكن إذا كان المسموع طلباً ففائدةه ومحبه الاستجابة والقبول وإذا كان المسموع خبراً ففائدة التصديق والاعتقاد فصار يدخل مقصوده وفائدةه في مسماه نفياً وإثباتاً فيقال فلان يسمع لفلان أى يطيعه في أمره أو يصدقه في خبره وفلان لا يسمع ما يقال له أى لا يصدق الخبر ولا يطيع الأمر كما بين الله السمع عن الكفار في غير موضع قوله {وَمَثُلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثُلُ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً} البقرة 171 قوله {وَلَا
 يَسْمَعُ الصُّمُ الدُّعَاءَ} الأنبياء 45 وذلك لأن سمع الحق يوجب قوله ايجاب الاحساس الحركة وايجاب علم القلب حركة القلب فان الشعور بالملائم يوجب الحركة اليه والشعور بالمنافي يوجب النفرة عنه فحيث انقى موجب ذلك دل على إنقاء مبدئه ولهذا قال تعالى {إِنَّمَا يَسْتَحِيُ الَّذِينَ
 يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ} الأنعام 36 ولهذا جعل سمع الكفار بمنزلة سمع البهائم لأصوات الرعاة أى يسمعون مجرد الأصوات سمع الحيوان لا يسمعون ما فيها من تأليف الحروف المتضمنة للمعنى السمع الذي لا بد أن يكون بالقلب مع الجسم²

قبول توبة من كفر بعد اسلامه وانهم لا يذبون في الدنيا ولا في الآخرة

قال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} 104 {إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذَبَ
 الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ} 105 {مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَبْلَهُ
 مُطَمِئِنٌ بِالإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضْبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} 106 ذَلِكَ

¹ الرد على المنطقيين ج: 1 ص: 97

² مجموع الفتاوى ج: 28 ص: 194-195

بِأَنَّهُمْ اسْتَحْبُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ {107} أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعَهُمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ {108} لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ {109} النحل 106-109

والذى عليه عامة اهل العلم من الصحابة والتابعين انه تقبل توبة المرتد في الجملة وروي عن الحسن البصري انه يقتل وان اسلم جعله كالزاني والسارق وذكر عن اهل الظاهر نحو ذلك ان توبته تنفعه عند الله ولكن لا تدرا القتل عنه وروي عن احمد ان من ولد في الاسلام قتل ومن كان مشركا فاسلم استبيب وكذلك روي عن عطاء وهو قول اسحاق بن راهوية المشهور عن عطاء واحد الاستتابة مطلقا وهو الصواب ووجه عدم قبول التوبة قوله من بدل دينه فاقتلوه رواه البخاري ولم يستثن ما اذا تاب وقال لا يحل دم امرئ مسلم يشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله الا باحدى ثلات التثبت الزانى والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة متყق عليه فاذا كان القاتل والزانى لا يسقط عنهم القتل بالتوبة وكذلك التارك لدينه المفارق للجماعة وعن حكيم بن معاوية عن ابيه ان رسول الله قال لا يقبل الله توبة عبد كفر بعد اسلامه رواه الامام احمد وانه لا يقبل لمجرد الكفر والمحاربة لانه لو كان كذلك لما قتل المترهب والشيخ الكبير الاعمى والمقد عالم المرأة ونحوهم فلما قتل هؤلاء علم ان الردة حد من الحدود والحدود لاتسقط بالتوبة والصواب ما عليه الجماعة لان الله سبحانه وتعالى قال في كتابه {كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهَدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} آل عمران 86 الى قوله تعالى {إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} آل عمران 89 فاخبر الله انه غفور رحيم لمن تاب بعد الردة وذلك يقتضى مغفرته له في الدنيا والآخرة ومن هذه حاله لم يعاقب بالقتل يبين ذلك ما رواه احمد قال حدثنا على بن عاصم عن داود بن ابي هند عن عكرمة عن ابن عباس ان رجلا من الانصار ارتد عن الاسلام ولحق بالمشركين فأنزل الله تعالى {كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ} آل عمران 86 الى اخر الاية فبعث بها قومه اليه فرجع تائبا فقبل

النبي ذلك منه وخلى عنه رواه النسائي من حديث داود مثله وقال الامام احمد حدثنا علي عن خالد عن عكرمة بمعناه وقال والله ما كذبني قومي على رسول الله ولا كذب رسول الله على الله والله اصدق الثلاثة فرجع تائبا فقبل رسول الله ذلك منه وخلى عنه وقد حدثنا حجاج عن ابن جريح حدثت عن عكرمة مولى ابن عباس في قول الله تعالى {كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهَدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ} آل عمران 86 في ابي عامر بن النعمان ووحوح بن الاسلت والحارث بن سعيد بن الصامت في اثنى عشر رجلا رجعوا عن الاسلام ولحقوا بقريش ثم كتبوا الى اهليهم هل لنا من توبة فنزلت {إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} آل عمران 89 في الحارث بن سعيد بن الصامت وقال حدثنا عبد الرزاق اخبرنا جعفر عن حميد عن مجاهد قال جاء الحارث بن سعيد فأسلم مع النبي ثم كفر الحارث فرجع الى قومه فأنزل الله فيه القرآن {كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ} آل عمران 86 الى قوله {غَفُورٌ رَّحِيمٌ} آل عمران 89 قال فحملها اليه رجل من قومه فقرأها عليه فقال الحارث والله انك ما علمت لصادق وان رسول الله لأصدق منك وان الله للأصدق الثلاثة قال فرجع الحارث فأسلم فحسن اسلامه وكذلك ذكر غير واحد من اهل العلم انها نزلت في الحارث بن سعيد وجماعة معه ارتدوا عن الاسلام وخرجوا من المدينة كهيئة البدأ ولحقوا بمكة كفارا فأنزل الله فيهم هذه الاية فندم الحارث وارسل الى قومه ان سلوا رسول الله هل لي توبة ففعلوا ذلك فأنزل الله تعالى {إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} آل عمران 89 فحملها اليه رجل من قومه فقرأها عليه فقال الحارث انك والله ما علمت لصدق وان رسول الله لا صدق منك وان الله عز وجل لا صدق الثلاثة فرجع الحارث الى المدينة

واسلم وحسن اسلامه فهذا رجل قد ارتد ولم يقتله النبي بعد عوده الى الاسلام ولأن الله سبحانه قال في اخباره عن المنافقين {أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْهِرُونَ} 65 {لَا تَعْذِرُوا أَقْدَ كَفَرُوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً} 66 التوبة 65-66 فدل على ان الكافر بعد ايمانه قد يعفى عنه وقد يعذب وانما يعفي عنه اذا تاب فعلم ان توبته مقبولة وذكر اهل التفسير انهم كانوا جماعة وان الذي تاب منهم رجل واحد يقال له مخشي بن حمير وقال بعضهم كان قد انكر عليهم بعض ما سمع ولم يمالئهم عليه وجعل يسير مجانبا لهم فلما نزلت هذه الآيات بريء من نفاقه وقال اللهم اني لا ازال اسمع اية تقر عيني بها تقشعر منها الجلود وتجب منها القلوب اللهم فاجعل وفاتي قتلا في سبيلك وذكروا القصة وفي الاستدلال بهذا نظر ولأن الله تعالى قال {إِنَّمَا الَّذِي جَاهَدَ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ} التوبة 73 الى قوله {يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمُوا بِمَا لَمْ يَنْلَوْا وَمَا نَقْمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُونُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلَىٰ وَلَا نَصِيرٍ} التوبة 74 وذلك دليل على قبول توبه من كفر بعد اسلامه وانهم لا يعذبون في الدنيا ولا في الآخرة عذابا فيما بمفهوم الشرط ومن جهة التعليل ولسياق الكلام والقتل عذاب اليم فعلم ان من تاب منهم لم يعذب بالقتل لأن الله سبحانه قال {مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدِرَأَ فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} 106 ذلك بِأَنَّهُمْ اسْتَحْبَوْا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} 107 أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسماعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون} 108 لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون} 109 ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم} 110 النحل 106-110 فتبين ان الذين هاجروا الى دار الاسلام بعد ان فتنوا عن دينهم بالكفر بعد الاسلام وجاهدوا وصبروا فان الله يغفر لهم ويرحمهم ومن غفر له ذنبه مطلقا لم يعاقبه عليه في الدنيا ولا في الآخرة وقال سفيان بن عيينه عن عمرو بن دينار عن عكرمه خرج ناس من المسلمين يعني مهاجرين فأدركهم المشركون ففتتوهم فاعطوهم الفتنة فنزلت فيهم {وَمَنِ النَّاسُ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ} العنكبوت 10 ونزل فيهم {مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ} النحل 106 الاية ثم انهم خرجوا مرة اخرى فانقلبوا حتى اتوا المدينة فانزل الله فيهم {ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتَنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لغفور رحيم} النحل 110 الى اخر الاية ولأنه سبحانه قال {وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَإِمْتُ وَهُوَ كَافِرٌ} البقرة 217 فعلم ان من لم يمت وهو كافر من المرتدين لا يكون خالدا في النار وذلك دليل على قبول التوبة وصحة الاسلام فلا يكون تاركا لدينه فلا يقتل ولعموم قوله تعالى {فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ} التوبة 5 الى قوله {فَإِنْ تَابُوا وَأَقَمُوا الصَّلَاةَ وَأَتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُوا سَبِيلَهُمْ} التوبة 5 فان هذا الخطاب عام في قتال كل مشرك وتخليه سبيله اذا تاب من شركه واقام الصلاة واتى الزكاة سواء كان مشركا اصليا او مشركا مررتا وايضا فان عبد الله بن سعد بن ابي سرح كان قد ارتد على عهد النبي ولحق بمكة وافتدى على الله ورسوله ثم انه بعد ذلك بايعه النبي وحقق دمه وكذلك الحارث بن سعيد اخو الجلاس بن سعيد وكذلك جماعة من اهل مكة اسلمو ثم ارتدوا ثم عادوا الى الاسلام فحققت دمائهم وقصص هؤلاء وغيرهم مشهورة عند اهل العلم بالحديث والسيره وايضا فالجماع من الصحابة رضي الله عنهم ظاهر على ذلك فان النبي لما توفي ارتد اكثر العرب الا اهل مكة والمدينة والطائف واتبع قوم منهم من تتبوا فيهم مثل مسلمة والعنسي وطلحة الاسدي فقاتلهم الصديق وسائر الصحابة رضي الله عنهم حتى رجع اكثرهم الى الاسلام فأفروهم على ذلك ولم يقتلو واحدا من رجعوا الى الاسلام ومن رؤوس من كان قد ارتد ورجع طليحة الاسدي المتبع

والاشعث بن قيس وخلق كثير لا يحصون والعلم بذلك ظاهر لاخفاء به على احد وهذه الرواية عن الحسن فيها نظر فان مثل هذا لا يخفى عليه ولعله اراد نوعا من الردة كظهور الزنقة ونحوها او قال ذلك في المرتد الذي ولد مسلما ونحو ذلك مما قد شاع فيه الخلاف وأما قوله من بدل دينه فاقتلوه فنقول بموجبه فاما يكون مبدلا اذا دام على ذلك واستمر عليه فاما اذا رجع الى الدين الحق فليس بمبدل وكذلك اذا رجع الى المسلمين فليس بتارك لدينه مفارق للجماعة بل هو متمسك لدينه ملازم للجماعة وهذا بخلاف القتل والزنقى فانه فعل صدر عنه لا يمكن دوامه عليه بحيث اذا تركه يقال انه ليس بزان ولا سارق ولا قاتل فمتى وجد منه ترتب حده عليه وان عزم على ان لا يعود اليه لان العزم على ترك العود لا يقطع مفسدة ما مضى من الفعل على ان قوله التارك لدينه المفارق للجماعة قد يفسر بالمحارب قاطع الطريق كذلك رواه ابو داود في سننه مفسرا عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله لا يحل دم امريء مسلم يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله الا بإحدى ثلاث رجال زنى بعد احسان فانه يرجم ورجل خرج محاربا لله ورسوله فانه يقتل او يصلب او ينفي من الارض او يقتل نفسها فيقتل بها فهذا المستثنى هنا هو المذكور في قوله التارك لدينه المفارق للجماعة ولها وصفه بفراق الجماعة وانما يكون هذا بالمحاربة يؤيد ذلك ان الحديثين تضمنا انه لا يحل دم من يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله والمرتد لم يدخل في هذا العموم فلا حاجة الى استثنائه وعلى هذا فيكون ترك دينه عبارة عن خروجه عن موجب الدين ويفرق بين ترك الدين وتبدلاته او يكون المراد به من ارتدى وحارب كالعربيين ومقيس بن صبابة ومن ارتد وقتل واحد المال فان هذا يقتل بكل حال وان تاب بعد القدرة عليه ولها والله اعلم استثنى هؤلاء الثلاثة الذين يقتلون بكل حال وان اظهروا التوبة بعد القدرة ولو كان اريد المرتد المجرد لما احتاج الى قوله المفارق للجماعة فان مجرد الخروج عن الدين يوجب القتل وان لم يفارق جماعة الناس فهذا وجه يحمله الحديث وهو والله اعلم مقصود هذا الحديث واما قوله لا يقبل الله توبة عبد اشرك بعد اسلامه فقد رواه ابن ماجة من هذا الوجه ولفظه لا يقبل الله من مشرك اشرك بعد اسلامه عملا حتى يفارق المشركين الى المسلمين وهذا دليل على قبول اسلامه اذا رجع الى المسلمين وبيان ان معنى الحديث ان توبته لا تقبل ما دام مقينا بين ظهراني المشركين مكترا لسوادهم كحال اللذين قتلوا ببدر ومعناه ان من اظهر الاسلام ثم قتن عن دينه حتى ارتد فانه لا تقبل توبته وعمله حتى يهاجر الى المسلمين وفي مثل هؤلاء نزل قوله تعالى {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُواٰ فِيمَ كُنْتُمْ قَالُواٰ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُواٰ أَمْ تَكُنُ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَهَا جِرُواٰ فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاعَتْ مَصِيرًا } النساء ٩٧ واياها فان ترك الدين وتبدلاته وفارق الجماعة يدوم ويستمر لانه تاب للاعتقاد والاعتقاد دائم فمتى قطعه وتركه عاد كما كان ولم يبق لما مضى حكم اصلا ولا فيه فساد ولا يجوز ان يطلق عليه القول بأنه مبدل للدين ولا انه تارك لدينه كما يطلق على الزاني والقاتل بان هذا زان وقاتل فان الكافر بعد اسلامه لا يجوز ان يسمى كافرا عند الاطلاق ولا تبدل الدين وتركه فيكونه موجبا للقتل بمنزلة الكفر الاصلي والحراب في كونهما كذلك فاذا كان زوال الكفر بالاسلام او زوال المحاربة بالعهد يقطع حكم الكفر فكذلك اذا زال تبدل الدين وتركه بالعود الى الدين واحد انقطع حكم ذلك التبدل والترك¹

¹ الصارم المسلول ج: 3 ص: 579-611

الردة على قسمين ردة مجردة وردة مغلظة

فإن الردة على قسمين ردة مجردة وردة مغلظة شرع القتل على خصوصها وكلاهما قد قام الدليل على وجوب قتل صاحبها والأدلة الدالة على سقوط القتل بالتوبة لا تعم القسمين بل إنما تدل على القسم الأول كما يظهر لمن ذلك تأمل الأدلة على قبول توبة المرتد فيبقى القسم الثاني وقد قام الدليل على وجوب قتل صاحبه ولم يات نص ولا اجماع بسقوط القتل عنه والقياس متذرع مع وجود الفرق الجلي فانقطع الالحاق والذى يحقق هذه الطريقة انه لم يات في كتاب ولا سنة ولا اجماع ان كل من ارتد باى قول او اي فعل كان فانه يسقط عنه القتل اذا تاب بعد القدرة عليه بل الكتاب والسنة والاجماع قد فرق بين انواع المرتدين كما سنذكره وانما بعض الناس يجعل برأيه الردة جنسا واحدا على تباين انواعه ويقيس بعضها ببعض فإذا لم يكن معه عموم نطقي يعم انواع المرتدين لم يبق الا القياس وهو فاسد اذا فارق الفرع الاصل بوصف له تاثير في الحكم وقد دل على تاثيره نص الشارع وتتبنيه والمناسبة المشتملة على المصلحة المعتبرة وتقرير هذا من ثلاثة اوجه احدها ان دلائل قبول توبة المرتد مثل قوله تعالى {كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ} آل عمران 86 الى قوله {إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا} آل عمران 89 وقوله تعالى {مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ} النحل 106 ونحوها ليس فيها الا توبة من كفر بعد الايمان فقط دون من انضم الى كفره مزيد اذى واضرار وكذلك سنة رسول الله انما فيها قبول توبة من جرد الردة فقط وكذلك سنة الخلفاء الراشدين انما تضمنت قبول توبة من جرد الردة وحارب بعد ارتداده كمحاربة الكافر الاصلية على كفره فمن عزم ان في الاصول ما يعم توبة كل مرتد سواء جرد الردة او غلطها باى شئ كان فقد ابطل وحينئذ فقد قامت الادلة على وجوب قتل الساب وانه مرتد ولم تدل الاصول على ان مثله يسقط عنه القتل فيجب قتلها بالدليل السالم عن المعارض¹

الاعتبار بكمال النهاية لا بنقص البداية

قال الله تعالى {ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فَتَنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ} النحل 110 وما يظنه بعض الناس انه من ولد على الاسلام فلم يكره قط افضل من كان كافرا فأسلم ليس بصواب بل الإعتبار بالعقوبة وايهما كان اتقى الله في عاقبته كان افضل فانه من المعلوم ان السابقين الاولين من المهاجرين والأنصار الذين آمنوا بالله ورسوله بعد كفرهم هم افضل من ولد على الاسلام من اولادهم وغير اولادهم بل من عرف الشر وذاقه ثم عرف الخير وذاقه تكون معرفته بالخير ومحبته له ومعرفته بالشر وبغضه له اكمل من لم يعرف الخير والشر ويدقهما كما ذاقهما بل من لم يعرف الا الخير فقد يأتيه الشر فلا يعرف انه شر فاما ان يقع فيه واما ان لا ينكره كما انكره الذي عرفه ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه انما تنقض عرى الاسلام عروة عروة اذا نشأ في الاسلام من لم يعرف الجاهلية وهو كما قال عمر فان كمال الاسلام هو

¹ الصارم المسلول ج: 3 ص: 697

بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وتمام ذلك بالجهاد في سبيل الله ومن نشأ في المعروف لم يعرف غيره فقد لا يكون عنده من العلم بالمنكر وضرره ما عند من علمه ولا يكون عنده من الجهاد لاهله ما عند الخبير بهم ولهذا يوجد الخبير بالشر وأسبابه اذا كان حسن القصد عنده من الاحتراز عنه ومنع اهله والجهاد لهم ما ليس عند غيره ولهذا كان الصحابة رضي الله عنهم اعظم ايمانا وجهاها ممن بعدهم لكمال معرفتهم بالخير والشر وكمال محبتهم للخير وبغضهم للشر لما علموا من حسن حال الاسلام والايمان والعمل الصالح وقبح حال الكفر والمعاصي ولهذا يوجد من ذاق الفقر والمرض والخوف احرص على الغنى والصحة والامن ممن لم يذق ذلك ولهذا يقال والضد يظهر حسنة الضد ويقال وبضدها تتبيّن الاشياء وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لست بخ ولا يخدعني الخب فالقلب السليم المحمود هو الذي يريد الخير لا الشر وكمال ذلك بان يعرف الخير والشر فاما من لا يعرف الشر فذاك نقص فيه لا يمدح به وليس المراد ان كل من ذاق طعم الكفر والمعاصي يكون اعلم بذلك واكره له ممن لم يذقه مطلقا فان هذا ليس بمطرد بل قد يكون الطبيب اعلم بالامراض من المرضى والانبياء عليهم الصلاة والسلام اطباء الاديان فهم اعلم الناس بما يصلح القلوب ويفسدها وان كان احدهم لم يذق من الشر ما ذاقه الناس ولكن المراد ان من الناس من يحصل له بذوقه الشر من المعرفة به والنفور عنه والمحبة للخير اذا ذاقه مالا يحصل لبعض الناس مثل من كان مشركا او يهوديا او نصراانيا وقد عرف ما في الكفر من الشبهات والاقوال الفاسدة والظلمة والشر ثم شرح الله صدره للإسلام وعرفه محسن الاسلام فانه قد يكون ارغم فيه واكره للكفر من بعض من لم يعرف حقيقة الكفر والاسلام بل هو معرض عن بعض حقيقة هذا وحقيقة هذا او مقدار مدح هذا وذم هذا ومثال ذلك من ذاق طعم الجوع ثم ذاق طعم الشبع بعده او ذاق المرض ثم ذاق طعم العافية بعده او ذاق الخوف ثم ذاق الامن بعده فان محبة هذا ورعبته في العافية والامن والشبع ونفوره عن الجوع والخوف والمرض اعظم من لم يبتل بذلك ولم يعرف حقيقته وكذلك من دخل مع اهل البدع والفجور ثم بين الله له الحق وتاب عليه توبة نصوحا ورزقه الجهاد في سبيل الله فقد يكون بيانه لحالهم وهرجه لمساويهم وجهاده لهم اعظم من غيره قال نعيم بن حماد الخزاعي وكان شديدا على الجهمية انا شديد عليهم لاني كنت منهم وقد قال الله تعالى **{ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا قُتِّلُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ}** {النحل 110} نزلت هذه الآية في طائفة من الصحابة كان المشركون فتنوهم عن دينهم ثم تاب الله عليهم فهاجروا إلى الله ورسوله وجاهدوا وصبروا وكان عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد رضي الله عنهم من أشد الناس على الإسلام فلما أسلموا تقدما على من سبقهما إلى الإسلام وكان بعض من سبقهما دونهما في الإيمان والعمل الصالح بما كان عندهما من كمال الجهاد للكفار والنصر لله ورسوله وكان عمر لكونه أكمل إيمانا واخلاصا وصدقا ومعرفة وفراسة ونوراً أبعد عن هوى النفس وأعلى همة في إقامة دين الله مقدما على سائر المسلمين غير أبي بكر رضي الله عنهم أجمعين وهذا وغيره مما يبين ان الاعتبار بكمال النهاية لا بنقص البداية¹

الأرض لا تقدس احدا وإنما يقدس العبد عمله

¹ الفتوى الكبرى ج: 2 ص: 361 و مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 300 - 319

قال الله تعالى {ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتُنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ} **النحل** 110 وفي السنن عن عثمان عن النبي أنه قال رباط يوم في سبيل الله خير من ألف فيما سواه من المنازل وقال أبو هريرة لأن أرباط ليلة في سبيل الله أحب إلى من أن أقوم ليلة القدر عند الحجر الأسود ولهذا كان أفضل الأرض في حق كل إنسان أرض يكون فيها أطوع الله ورسوله وهذا يختلف بإختلاف الأحوال ولا تتغير أرض يكون مقام الإنسان فيها أفضل وإنما يكون الأفضل في حق كل إنسان بحسب التقوى والطاعة والخشوع والحضور وقد كتب أبو الدرداء إلى سلمان هلم إلى الأرض المقدسة فكتب إليه سليمان أن الأرض لا تقدس أحدا وإنما يقدس العبد عمله وكان النبي قد آخى بين سلمان وابي الدرداء وكان سلمان أفقه من أبي الدرداء في أشياء من جملتها هذا وقد قال الله تعالى لموسى عليه السلام {سَارِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ} الأعراف 145 وهي الدار التي كان بها أولئك العمالقة ثم صارت بعد هذا دار المؤمنين وهي الدار التي دل عليها القرآن من الأرض المقدسة وأرض مصر التي أورثها الله بنى إسرائيل فأحوال البلاد كأحوال العباد فيكون الرجل تارة مسلما وتارة كافرا وتارة مؤمنا وتارة منافقا وتارة براً تقىاً وتارة فاسقاً وتارة فاجراً شقياً وهذا المساكن بحسب سكانها فهجرة الإنسان من مكان الكفر والمعاصي إلى مكان الإيمان والطاعة كتوبته وإنقاله من الكفر المعصية إلى الإيمان والطاعة وهذا أمر باق إلى يوم القيمة والله تعالى قال {وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ} الأنفال 75 قالت طائفة من السلف هذا يدخل فيه من آمن وهاجر وجاهد إلى يوم القيمة وهذا قوله تعالى {لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتُنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ} **النحل** 110 يدخل في معناها كل من فتنه الشيطان عن دينه أو أوقعه في معصية ثم هجر السيئات وجاحد نفسه وغيرها من العدو وجاهد المنافقين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك وصبر على ما اصابه من قول أو فعل والله سبحانه وتعالى أعلم¹

الفتنة الردة والكفر

قال الله تعالى {ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتُنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ} **النحل** 110 والفتنة الردة والكفر قال سبحانه {وَقَاتَلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةً} البقرة 193 وقال {وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ} البقرة 217 وقال {وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَفْطَارِهَا ثُمَّ سُلِّمُوا الْفِتْنَةُ لَآنُوهَا} **الأحزاب** 14²

جميع المؤمنين يخاطبون بالجهاد ابتداء

¹ مجموع الفتاوى ج: 18 ص: 284

² الصارم المسلول ج: 2 ص: 118

قال الله تعالى {إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتُنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغُورٌ رَّحِيمٌ} النحل 110 قال تعالى {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} الحجرات 15 يبين أن الجهاد واجب والجهاد وإن كان فرضا على الكفاية فجميع المؤمنين يخاطبون به ابتداء فعليهم كلهم اعتقاد وجوبه والعزم على فعله اذا تعين ولهذا قال النبي من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بغزو مات على شعبة نفاق رواه مسلم فأخبر أنه من لم يهم به كان على شعبة نفاق واياضا فالجهاد جنس تحته انواع متعددة ولابد ان يجب على المؤمن نوع من انواعه

{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} الحجرات 15
 {يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ ثُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَثُوَّافِي كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} النحل 110 (معنى الهجرة ومواضيع اكثر عن الفتنة والجهاد والصبر)¹

الظلم ممتنع من الله سبحانه وتعالى

قال تعالى {يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ ثُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَثُوَّافِي كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} النحل 110 والظلم ممتنع من الله سبحانه وتعالى بإتفاق المسلمين وقيل الظلم وضع الشيء في غير موضعه فهو سبحانه لا يظلم الناس شيئا قال تعالى {وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا} طه 112 قال المفسرون هو أن يحمل عليه سيئات غيره ويعاقب بغير ذنبه والهضم أن يهضم من حسناته²

لطائف لغوية

1- قال الله تعالى {وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ} 91 {وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَفَضَتْ غَرْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أَمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أَمَّةً أَنَّمَا يَلْوُكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيَبْيَسَنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} 92 {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أَمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُصِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَسَأَلَنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} 93 {وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَرَزِّلَ قَدْمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} 94 النحل 91-94 قال أهل اللغة وهذا لفظ الجوهرى اليمين القسم والجمع أيمان وأيمان فقال سمى بذلك لأنهم كانوا إذا تحالفوا يمسك كل إمرىء منهم على يمين صاحبه³

¹ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 16

² مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 219

³ مجموع الفتاوى ج: 35 ص: 342

ان اليمين يقال انما سميت بذلك لأن المعاهددين يمد كل منهما يمينه الى الآخر ثم غلبت حتى صار مجرد الكلام بالعهد يسمى يمينا ويقال سميت يمينا لأن اليمين هي القوة والشدة كما قال الله تعالى {لَا خَدَنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ} الحاقة 45 فلما كان الحلف معقودا مشددا سمي يمينا باسم اليمين جامع للعقد الذي بين العبد وبين ربه وان كان نذرا ومنه قول النبي النذر حفه وقوله كفارة النذر كفارة اليمين وقول جماعة من الصحابة للذي نذر نذر اللجاج والغضب كفر يمينك وللعهد الذي بين المخلوقين ومنه قوله تعالى {وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا} النحل ٩١^١

2- قال تعالى {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكُنْ يُضْلَلُ مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} النحل ٩٣ عامة الأسماء يتتنوع مسمهاها بالاطلاق والتقييد وكذلك لفظ الهدى اذا اطلق تناول العلم الذى بعث الله به رسوله والعمل به جميرا فيدخل فيه كل ما أمر الله به كما فى قوله {اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} الفاتحة ٦ والمراد طلب العلم بالحق والعمل به جميرا وكذلك قوله {هُدَىٰ لِلْمُتَّقِينَ} البقرة ٢ والمراد به أنهم يعلمون ما فيه ويعملون به ولهذا صاروا مفلحين وكذلك قول أهل الجنة {الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَانَا إِلَيْهَا} الأعراف ٤٣ وانما هداهم بأن لهم العلم النافع والعمل الصالح ثم قد يقرن الهدى اما بالاجتباء كما فى قوله {وَاجْتَبَيْتَهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} الأنعام ٨٧ وكما فى قوله {شَاكِرًا لِأَنْعُمَهُ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ} النحل ١٢١ {اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ} الشورى ١٣ وكذلك قوله تعالى {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ} التوبه ٣٣ والهدى هنا هو الايمان ودين الحق هو الاسلام واذا اطلق الهدى كان كالايمان المطلق يدخل فيه هذا وهذا لفظ الضلال اذا اطلق تناول من ضل عن الهدى سواء كان عمدا او جهلا ولزム أن يكون معذبا كقوله {إِنَّهُمْ أَفْوَأُوا بَأْبَاءُهُمْ ضَالِّينَ} ٦٩ فهم على آثارهم يهربون ٧٠ ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين ٧١ الصافات ٦٩-٧١ وقوله {وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطْعَنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءِنَا فَأَضْلَلُونَا السَّبِيلَا} ٦٧ ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنف لعنة كبيرة ٦٨ الأحزاب ٦٨-٦٩ وقوله {فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَىٰي فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَسْقُى} طه ١٢٣ ثم يقرن بالغى والغضب كما فى قوله {مَا ضلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى} النجم ٢ وفي قوله {غَيْرِ المَغضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} الفاتحة ٧ وقوله {إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُرْعِ} القمر ٤٧^٢

3- قال تعالى {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْبِنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} النحل ٩٧ والضمير يعود تارة إلى لفظ من وتارة الى معناها كقوله {وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ} الأنعام ٢٥ {يُونَس٤٢} {وَمَنْ يَعْمَلُ مِنْ

الصالحات من ذكر أو أنثى النساء 124 {من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلأنه حياءً طيبة ولأن جزئهم أجرهم بمحسن ما كانوا يعملون} الأنحل 97 الآية¹

4- قال تعالى {فإذا قرأت القرآن فاستعد بالله من الشيطان الرجيم} 98 إله ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون 99 إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون 100 وإذا بذلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون 101 فلنزل روح القدس من ربك بالحق ليثبت الدين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين 102 النحل 98-102 القرآن هو في الأصل مصدر قرأ القرآن منه قوله {إن علينا جمعة وقرآن} 17 فإذا قرأناه فاتبع قرآن 18 ثم إن علينا بيانا 19 القيامة 17-19 ويسمى الكلام المقصود نفسه قرآن وهو كثير كما في قوله {فإذا قرأت القرآن فاستعد بالله من الشيطان الرجيم} النحل 98²

5- قال تعالى {قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الدين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين} 102 ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلم بشر لسان الذي يلحدون إليه أعمى وهذا لسان عربى مبين 103 إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهدى لهم الله ولهم عذاب أليم 104 إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون 105 من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شر بالكفر صدراً فعل عليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم 106 ذلك لأنهم استخفوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدى القوم الكافرين 107 النحل 102-107 عامة الأسماء يتتنوع مسمها بالاطلاق والتقييد وكذلك لفظ الهدى اذا أطلق تناول العلم الذي بعث الله به رسوله والعمل به جمياً فيدخل فيه كل ما أمر الله به كما في قوله {اهدنا الصراط المستقيم} الفاتحة 6 والمراد طلب العلم بالحق والعمل به جمياً وكذلك قوله {هدى للمتقين} البقرة 2 والمراد به أنهم يعلمون ما فيه ويعملون به وهذه صاروا مفلحين وكذلك قول أهل الجنة {الحمد للذي هدانا لهذا} الأعراف 43 وإنما هداهم بأن لهم العلم النافع والعمل الصالح ثم قد يقرن الهدى اما بالاجتباء كما في قوله {واجتبناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم} الأنعام 87 وكما في قوله {شاكرا لأنعمه اجتباه وهداء} النحل 121³ الله يحيط بي إليه من يشاء ويهدى إليه من ينيب 13 وكذلك قوله تعالى {هو الذي أرسل رسولاً بالهدى ودين الحق} التوبة 33 والهدى هنا هو الإيمان ودين الحق هو الإسلام وإذا أطلق الهدى كان كالإيمان المطلق يدخل فيه هذا وهذا³

¹ مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 84

² مجموع الفتاوى ج: 13 ص: 11

³ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 166

النحل 112-119

{ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرُتْ بِأَنَّعُمَ اللَّهِ فَادَّاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخُوفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ } 112
 وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ } 113 فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيمَانًا تَعْبُدُونَ } 114 إِنَّمَا حَرَمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنَزِيرِ وَمَا أُهْلَكَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطَرَّ غَيْرَ بَاغِ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } 115 وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصْنَعُ أَسْنَتُكُمُ الْكَذَبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذَبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذَبَ لَا يُفْلِحُونَ } 116 مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } 117 وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمَنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلٍ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلَمُونَ } 118 ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَاهَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ } 119

إن الله ذم الإنسان بكونه كافورا غير شكور

قال تعالى { وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنَّعُمَ اللَّهِ فَادَّاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخُوفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ } النحل 112 فإن الله ذم الإنسان بكونه كافورا غير شكور إذ يقول {إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكُنُودٌ} العادات 6 وقد قال صالح عليه السلام لقومه {وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَاكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأْكُمْ فِي الْأَرْضِ تَشَدُّدُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحُوشُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَادْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ } الأعراف 74 وقال تعالى {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفَرُوا } إبراهيم 28¹

ليس في القرآن لفظ لا مقرؤن بما يبين به المراد

قال تعالى { وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنَّعُمَ اللَّهِ فَادَّاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخُوفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ } النحل 112 والقدر المشترك بين مسميات الأسماء المتواطئة أمر كل عام لا يوجد كلها عاما إلا في الذهن وهو مورد التقسيم بين الأنواع لكن ذلك المعنى العام الكلي كان أهل اللغة لا يحتاجون إلى التعبير عنه لأنهم إنما يحتاجون إلى ما يوجد في الخارج وإلى ما يوجد في القلوب في العادة وما لا يكون في الخارج إلا مضافا إلى

¹ قاعدة في المحبة ج: 1 ص: 159

غيره لا يوجد في الذهن مجرد بخلاف لفظ الإنسان والفرس فانه لما كان يوجد في الخارج غير مضاف تعودت الأذهان تصور مسمى الإنسان ومسمى الفرس بخلاف تصور مسمى الإرادة ومسمى العلم ومسمى القدرة ومسمى الوجود المطلق العام فان هذا لا يوجد له في اللغة لفظ مطلق يدل عليه بل لا يوجد لفظ الإرادة إلا مقيداً بالمريد ولا لفظ العلم إلا مقيداً بالعالم ولا لفظ القدرة إلا مقيداً بالقادر بل وهذا سائر الأعراض لما لم توجد إلا في محلها مقيدة بها لم يكن لها في اللغة لفظ إلا كذلك فلا يوجد في اللغة لفظ السواد والبياض والطول والقصر إلا مقيداً بالأسود والأبيض والطويل والقصير ونحو ذلك لا مجرداً عن كل قيد وإنما يوجد مجرداً في كلام المصنفين في اللغة لأنهم فهموا من كلام أهل اللغة ما يريدون به من القدر المشترك ومنه قوله تعالى **{فَأَدَّاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخُوفِ} النحل 112** فان من الناس من يقول الذوق حقيقة في الذوق بالفم واللباس بما يليس على البدن وإنما استعير هذا وهذا وليس كذلك بل قال الخليل الذوق في لغة العرب هو وجود طعم الشيء والاستعمال يدل على ذلك قال تعالى **{وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ** السجدة 21 وقال **{وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ}** فصلت 50 وقال **{ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ}** الدخان 49 وقال **{فَدَّاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا}** الطلاق 9 وقال **{فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكُفِّرُونَ}** آل عمران 106¹

وكثيراً ما يأتي المدعى إلى الفاظ لها معانٍ معروفة فيدعى استعمالها في غير تلك المعانى بلا حجة ويقول هذا مجاز فهذا لا يقبل ومن قسم الكلام إلى حقيقة ومجاز متقوون على أن الأصل في الكلام هو الحقيقة وهذا يراد به شيئاً يراد به انه اذا عرف معنى اللفظ وقيل هذا الاستعمال مجاز قيل بل الأصل الحقيقة وإذا عرف ان اللفظ مدلولان حقيقي ومجازاً فالاصل ان يحمل على معناه الحقيقي فيستدل تارةً بالمعنى المعروف على دلالة اللفظ عليه وتارةً باللفظ المعروف دلاته على المعنى المدلول عليه فإذا قيل في قوله تعالى **{فَأَدَّاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخُوفِ} النحل 112** ان أصل الذوق بالفم قيل ذلك ذوق الطعام فالذوق يكون للطعام ويكون لجنس العذاب كما قال **{وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}** السجدة 21 وقوله **{ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ}** الدخان 49 وقوله **{ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ}** القمر 48 فقوله **{ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ}** القمر 48 صريح في ذوق مس العذاب لا يتحمل ذوق الطعام ثم الجوع والخوف اذا لبس البدن كان اعظم في الالم بخلاف القليل منه فإذا قال **{فَأَدَّاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخُوفِ} النحل 112** فإنه لم يكن يدل على لبسه لصحابه واحتاط به فهو المعنى تدل عليهما هذه الالفاظ دون ما اذا قيل جاءت وخافت فإنه يدل على جنس لا على عظم كيفيته وكميته فهذا من كمال البيان والجميع إنما استعمل فيه اللفظ في معناه المعروف في اللغة فان قوله ذوق لباس الجوع والخوف ليس هو ذوق الطعام وذوق الجوع ليس هو ذوق لباس الجوع ولهذا كان تحرير هذا الباب هو علم البيان الذي يعرف به الانسان بعض قدر القرآن وليس في القرآن لفظ إلا مقرون بما يبين به المراد ومن غلط في فهم القرآن فمن قصوره أو تقصيره²

¹ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 108

² مجموع الفتاوى ج: 20 ص: 473

قال تعالى { وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مَّنْ كُلَّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِإِنْعَمِ اللَّهِ فَلَادَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخُوفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ } النحل 112 ولفظ الذوق وإن كان قد يظن أنه في الأصل مختص بذوق اللسان فاستعماله في الكتاب والسنة يدل على أنه أعم من ذلك مستعمل في الإحساس بالملائيم والمنافر كما أن لفظ الإحساس في عرف الاستعمال عام فيما يحس بالحواس الخمس بل وبالباطن وأما في اللغة فأصله الرؤيا كما قال { هَلْ تُحْسِنُ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ } مريم 98 والمقصود لفظ الذوق قال تعالى { فَلَادَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخُوفِ } النحل 112 فجعل الخوف والجوع مذوقا وأضاف إليهما اللباس ليشعر أنه لبس الجائع والخائف فشمله وأحاط به إحاطة اللباس باللباس بخلاف من كان الألم لا يستوعب مشاعره بل يختص بعض الموضع وقال تعالى { فَذُوقُوا الْعَذَابَ } آل عمران 106 وقال تعالى { ذُقُّ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ } الدخان 49 وقال تعالى { يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ نُوَفَّوْا مَسَّ سَقَرَ } القمر 48 وقال { لَا يَنْتُوْفُونَ فِيهَا الْمَوْتَ } الدخان 56 وقال تعالى { لَا يَنْتُوْفُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا } 24 { لَا حَمِيمًا وَغَسَاقًا } 25 { النَّبَأُ 24-25 وقال { وَلَنُذِيقَنُّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } السجدة 21 وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ذاق طعم الإيمان من رضي ب الله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا فاستعمال لفظ الذوق في إدراك الملائم والمنافر كثير وقال النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان كما تقدم ذكر الحديث¹

وفي بعض الادعية أذقنا برد عفوك وحلاوة مغفرتك فلفظ الذوق يستعمل في كل ما يحس به ويجد ألمه أو لذته فدعوى المدعى اختصاص لفظ الذوق بما يكون بالفم تحكم منه لكن ذاك مقيد فيقال ذقت الطعام وذقت هذا الشراب فيكون معه من القيود ما يدل على أنه ذوق بالفم وإذا كان الذوق مستعملا فيما يحسه الإنسان بباطنه أو بظاهره حتى الماء الحميم يقال ذاقه فالشراب اذا كان باردا أو حارا يقال ذقت حره وبرده وأما لفظ اللباس فهو مستعمل في كل ما يغشى الإنسان ويأتبس به قال تعالى { وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا } الفرقان 47 وقال { وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ } الأعراف 26 وقال { هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ } البقرة 187 ومنه يقال لبس الحق بالباطل اذا خلطه به حتى غشيه فلم يتميز فالجوع الذي يشمل ألمه جميع الجائع نفسه وبدنه وكذلك الخوف الذي يلبس البدن فلو قيل فلادقاها الله الجوع والخوف لم يدل ذلك على أنه شامل لجميع أجزاء الجائع بخلاف ما اذا قيل لباس الجوع والخوف ولو قال فألبسهم لم يكن فيه ما يدل على أنهم ذاقوا ما يؤلمهم الا بالعقل من حيث أنه يعرف أن الجائع الخائف يأكل بخلاف لفظ ذوق الجوع والخوف فان هذا اللفظ يدل على الإحساس بالمؤلم وإذا أضيف إلى الماذ دل على الإحساس به كقوله صلى الله عليه وسلم ذاق طعم الإيمان من رضي ب الله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا فان قيل فلم لم يصف نعيم الجنة بالذوق قيل لأن الذوق يدل على جنس الإحساس ويقال ذاق الطعام لمن وجد طعمه وان لم يأكله وأهل الجنة نعيمهم كامل تام لا يقتصر فيه على الذوق بل استعمل لفظ الذوق في

¹ مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 334 و الفتوى الكبرى ج: 2 ص: 361

النفي كما قال عن أهل النار {لَا يَدْعُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا} النبأ 24 أي لا يحصل لهم من ذلك ولا ذوق وقال عن أهل الجنة {لَا يَدْعُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَ الْأُولَى} الدخان¹ 56

ضرب الأمثل هو القياس العقلي الذي يهدي به الله من يشاء من عباده

قال تعالى {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغْدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِإِنْعَمِ اللَّهِ فَأَدَّاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخُوفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ} النحل 112 فالحق يظهر صحته بالمثل المضروب له والباطل يظهر فساده بالمثل المضروب له لأن الإنسان قد لا يعلم ما في نفس محبوبه أو مكروهه من حمد وذم إلا بمثل يضرب له فإن حبك الشيء يعمى ويصم والله سبحانه ضرب الأمثال للناس في كتابه لما في ذلك من البيان والإنسان لا يرى نفسه وأعماله إلا إذا مثلت له نفسه بأن يراها في مرآة وتمثل له أعماله بأعمال غيره ولها ضرب الملكان المثل لداود عليه السلام بقول أحدهما {إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلَيَ نَعْجَةً وَاحِدَةً فَقَالَ أَكْفُلْنِيهَا وَعَزَّزْنِي فِي الْخَطَابِ} 23 قال لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نَعَاجِهِ} 24 ص 23-24 الآية وضرب الأمثال مما يظهر به الحال وهو القياس العقلي الذي يهدي به الله من يشاء من عباده قال تعالى {وَلَقَدْ ضَرَبَنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنَ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} الزمر 27 وقال تعالى {وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ} العنكبوت 43 وهذا من الميزان الذي أنزله الله كما قال تعالى {اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ} الشورى 17 وقال {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ} الحديد 25²

كون الأرض دار كفر ودار إيمان ليست صفة لازمة لها بل هي صفة عارضة

قال تعالى {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغْدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِإِنْعَمِ اللَّهِ فَأَدَّاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخُوفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ} النحل 112 وهو سبحانه علق الوعد والوعيد والثواب والعقاب والحمد والذم بالإيمان به وتوحيده وطاعته فمن كان أكمل في ذلك كان أحق بتولي الله له بخير الدنيا والآخرة ثم جميع عباده مسلمهم وكافرهم هو الذي يرزقهم وهو الذي يدفع عنهم المكاره وهو الذي يقصدونه في النوايب قال تعالى {وَمَا بِكُمْ مِّنْ نِعْمَةٍ فَمِنْ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَكْمُ الْضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ} النحل 53 وقال تعالى {قُلْ مَنْ يَكُلُّوكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ} الأنبياء 42 أي بدلا عن الرحمن هذا اصح القولين ك قوله تعالى {وَلَوْ نَشَاءْ لَجَعَنْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً} في الأرض يخلُّون} الزخرف 60 أي لجعلنا بدلا منكم كما قاله عامه المفسرين ومنه قول الشاعر فليت لنا من ماء زرم زرم شربة مبردة باتت على طهيان أي بدلا من ماء زرم فلا يأكلُ الخلق بالليل والنهر فيحفظهم ويدفع عنهم المكاره إلا الله قال تعالى {أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكُمْ

¹ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 110

² منهاج السنة النبوية ج: 2 ص: 347

يَنْصُرُكُمْ مِّنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنَّ الْكَافِرُوْنَ إِلَّا فِي غُرُورٍ {20} أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بِإِلْجَاؤِهِ فِي عُنُوْجٍ وَنُفُورٍ {21} الْمَلِكُ 20-21 وَمِنْ طَنَّ أَرْضًا مَعِينَةً تَدْفَعُ عَنْ أَهْلِهَا الْبَلَاءَ مَطْلَقاً لِخُصُوصِهَا أَوْ لِكُونِهَا فِيهَا قُبُورُ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ فَهُوَ غَالِطٌ فَأَفْضَلُ الْبَقَاعِ مَكَةَ وَقَدْ عَذَّبَ اللَّهُ أَهْلَهَا عَذَابًا عَظِيمًا فَقَالَ تَعَالَى {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنَّعُمِ اللَّهِ فَأَذَّاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْحُرُوبِ وَالْخَوْفُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ {112} وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ {113} النَّحْلُ 112-113¹

وَكَوْنُ الْأَرْضِ دَارُ كَفَرٍ وَدَارُ إِيمَانٍ أَوْ دَارُ فَاسِقِينَ لَيْسَ صَفَةً لَازِمَةً لَهَا بِلْ هِيَ صَفَةٌ عَارِضَةٌ بِحَسْبِ سَكَانِهَا فَكُلُّ أَرْضٍ سَكَانُهَا الْمُؤْمِنُونَ هِيَ دَارُ أَوْلَيَاءِ اللَّهِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ وَكُلُّ أَرْضٍ سَكَانُهَا الْكُفَّارُ فَهِيَ دَارُ كَفَرٍ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ وَكُلُّ أَرْضٍ سَكَانُهَا الْفَسَاقُ فَهِيَ دَارُ فَسَوْفٍ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ إِنْ سَكَنَهَا غَيْرُ مَا ذَكَرْنَا وَتَبَدَّلَتْ بِغَيْرِهِمْ فَهِيَ دَارُهُمْ وَكَذَلِكَ الْمَسْجِدُ إِذَا تَبَدَّلَ بِخُمَارَةٍ أَوْ صَارَ دَارُ فَسَقٍ أَوْ دَارُ ظُلْمٍ أَوْ كَنِيسَةٍ يُشَرِّكُ فِيهَا بِاللَّهِ كَانَ بِحَسْبِ سَكَانِهِ وَكَذَلِكَ دَارُ الْخَمْرِ وَالْفَسُوقِ وَنَحْوُهَا إِذَا جَعَلْتَ مَسْجِدًا يَعْبُدُ اللَّهَ فِيهِ جَلْ وَعَزْ كَانَ بِحَسْبِ وَكَذَلِكَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ يَصِيرُ فَاسِقًا وَالْكُفَّارُ يَصِيرُ مُؤْمِنًا أَوْ الْمُؤْمِنُ يَصِيرُ كَافِرًا أَوْ نَحْنُ ذَلِكَ كُلُّ بِحَسْبِ إِنْتَقَالِ الْأَحْوَالِ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَةً} النَّحْلُ 112 الآية نَزَّلَتْ فِي مَكَةَ لَمَّا كَانَتْ دَارُ كَفَرٍ وَهِيَ مَا زَالَتْ فِي نَفْسِهَا خَيْرًا أَرْضُ اللَّهِ وَأَحَبُّ أَرْضَ اللَّهِ إِلَيْهِ وَإِنَّمَا أَرَادَ سَكَانُهَا فَقَدْ رُوِيَ التَّرْمِذِيُّ مَرْفُوعًا أَنَّهُ قَالَ لِمَكَةَ وَهُوَ وَاقِفٌ بِالْحَزْوَرَةِ وَاللَّهُ إِنَّكَ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ وَأَحَبُّ أَرْضَ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ وَلَوْلَا أَنْ قَوْمًا أَخْرَجُونِي مِنْكَ لَمَا خَرَجْتُ وَفِي رِوَايَةِ خَيْرِ أَرْضِ اللَّهِ وَأَحَبُّ أَرْضَ اللَّهِ إِلَى فِيَّنِ أَنَّهَا أَحَبُّ أَرْضَ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَكَانَ مَقَامُهُ بِالْمَدِينَةِ وَمَقَامُهُ مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُ مِنْ مَقَامِهِمْ بِمَكَةَ لِأَجْلِ أَنَّهَا دَارٌ هَجْرَتْهُمْ وَلَهُذَا كَانَ الْرِّبَاطُ بِالْتَّغُورِ أَفْضَلُ مِنْ مَجاوِرَةِ مَكَةِ وَالْمَدِينَةِ كَمَا ثَبَّتَ فِي الصَّحِيفَةِ رِبَاطٌ يَوْمٌ وَلِيلَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ وَمِنْ مَاتَ مِرَابِطًا مَاتَ مَجَاهِدًا وَجَرِيَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ وَأَجْرِيَ رِزْقُهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَأَمْنَ الْفَقَانِ وَفِي السُّنْنِ عَنْ عُثْمَانَ عَنِ النَّبِيِّ أَنَّهُ قَالَ رِبَاطٌ يَوْمٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ فِيمَا سَوَاهُ مِنَ الْمَنَازِلِ وَقَالَ أَبُو هَرِيْرَةَ لِأَنَّ أَرَابِطَ لَيْلَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ أَقُومَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ عَنِ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ وَلَهُذَا كَانَ أَفْضَلُ الْأَرْضِ فِي حَقِّ كُلِّ إِنْسَانٍ أَرْضٌ يَكُونُ فِيهَا أَطْوَعُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَهَذَا يَخْتَلِفُ بِإِخْتِلَافِ الْأَحْوَالِ وَلَا تَتَعَيَّنُ أَرْضٌ يَكُونُ مَقَامُ الْإِنْسَانِ فِيهَا أَفْضَلُ وَإِنَّمَا يَكُونُ أَفْضَلُ فِي حَقِّ كُلِّ إِنْسَانٍ بِحَسْبِ التَّقْوَى وَالطَّاعَةِ وَالْخُشُوعِ وَالْخُضُوعِ وَالْحَضُورِ وَقَدْ كَتَبَ أَبُو الدَّرَداءَ إِلَى سَلْمَانَ هَلَمْ إِلَى الْأَرْضِ الْمَقْدِسَةِ فَكَتَبَ إِلَيْهِ سَلِيمَانَ أَنَّ الْأَرْضَ لَا تَقْدِسُ أَحَدًا وَإِنَّمَا يَقْدِسُ الْعَبْدُ عَمَلُهُ وَكَانَ النَّبِيُّ قَدْ أَخْرَى بَيْنَ سَلْمَانَ وَابْنِ الدَّرَداءِ وَكَانَ سَلْمَانَ أَفْقَهَ مِنْ أَبْنَى الدَّرَداءِ فِي أَشْيَاءِ مِنْ جَمِلَتِهَا هَذَا²

لَفْظُ الْقَرْيَةِ يَتَنَاوِلُ الْمُسَاكِنَ وَالسَّكَانَ

¹ مَجمُوعُ الْفَتاوَى ج: 27 ص: 442

² مَجمُوعُ الْفَتاوَى ج: 18 ص: 282-283

قال تعالى { وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِإِنْعَمِ اللَّهِ فَدَآقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخُوفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ } النحل 112 كثير في اللغة يكون أمران متلازمان إما دائماً وإما غالباً فيطلق الإسم عليهم ويغلب هذا تارة وهذا تارة وقد يقع على أحدهما مفرداً كلفظ النهر و القرية و الميزاب و نحو ذلك مما فيه حال و محل فالإسم يتناول مجرى الماء والماء الجاري وكذلك لفظ القرية يتناول المساكن والسكن ثم تقول حفر النهر فالمراد به المجرى و تقول جرى النهر فالمراد به الماء و تقول جرى الميزاب تعنى الماء و نصب الميزاب تعنى الخشب و قال تعالى { وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِإِنْعَمِ اللَّهِ فَدَآقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخُوفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ } النحل 112 والمراد السكان في المكان و قال تعالى { وَكَمْ مِنْ قَرْيَةً أَهْلَكَنَا هَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَاتِلُونَ } الأعراف 4 و قال في آية أخرى { أَفَامِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيهِمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَاجِمُونَ } الأعراف 97 فجعل القرى هم السكان و قال { وَكَيْنَ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُ فُؤَادًا مِنْ قَرْيَةٍ أَتْيَكَ الَّتِي أَخْرَجْنَا هُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ } محمد 13 وهم السكان وكذلك قوله تعالى { وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا } يوسف 82 و قال تعالى { وَتَلْكَ الْقَرْيَةَ أَهْلَكَنَا هُمْ لَمَّا ظَلَمُوا } الكهف 59 و قال تعالى { وَكَذِلِكَ أَخْدُ رَبِّكَ إِذَا أَخْدَ الْقُرَى وَهِيَ طَالِمَةٌ } هود 102 وقال تعالى { لَتَنْذِرَ أَمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا } الشورى 7 و قال تعالى { فَكَيْنَ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكَنَا هَا وَهِيَ طَالِمَةٌ فَهُوَ خَاوِيَّ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِنْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ } الحج 45 و الخاوي على عروشه المكان لا السكان و قال تعالى { أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَّ عَلَى عُرُوشِهَا } البقرة 259 فهذا المكان لا السكان لكن لابد أن يلاحظ أنه كان مسكوناً فلا يسمى قرية إلا إذا كان قد عمر للسكنى مأخوذه من القرى وهو الجمع ومنه قولهم قريت الماء في الحوض اذا جمعته فيه ونظير ذلك لفظ الإنسان يتناول الجسد والروح ثم الاحكام تتناول هذا تارة وهذا تارة لتلازمهما وكذلك القرية اذا عذب أهلها خربت وإذا خربت كان عذاباً لأهلها بما يصيب أحدهما من الشر ينال الآخر كما ينال البدن والروح ما يصيب أحدهما فقوله { وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ } يوسف 82 مثل قوله { قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَةً } النحل 112 فاللفظ هنا يراد به السكان من غير اضمار ولا حذف لما كان المقصود بالقرية هم السكان كان إرادتهم أكثر في كتاب الله وكذلك لفظ النهر لما كان المقصود هو الماء كان إرادته أكثر كقوله { وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ } الأنعام 6 و قوله { وَفَجَرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا } الكهف 33 فهذا كثير أكثر من قولهم حفرنا النهر و كذلك إطلاق لفظ القرآن على نفس الكلام أكثر من إطلاقه على نفس التكلم وكذلك لفظ الكلام والقول والقصص و سائر أنواع الكلام يراد بها نفس الكلام أكثر مما يراد بها فعل المتكلم وهذه الأمور لبسطها موضع آخر¹

يثبت الله بالإيمان والتقوى لا بالبلد والنسب

¹ مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 37-39 و مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 113

في كفاية الله له أعداءه وعصمه له من الناس وهذا فيه آية لنبوته من وجوه منها أن ذلك تصدق لقوله تعالى {فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمِنُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ} ٩٤ {إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئَينَ} ٩٥ {الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا أَخْرَ فَسُوفَ يَعْلَمُونَ} ٩٦ الحجر ٩٤-٩٦ فهذا إخبار الله بأنه يكفيه المشركون المستهزئين وأخبر أنه يكفيه أهل الكتاب بقوله {قُولُواْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزَلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزَلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} ١٣٦ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْنَدُوا وَإِنْ تَوَلُوا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسِيَّكَفِيَكُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} ١٣٧ البقرة ١٣٦-١٣٧ فأخبره الله أنه يكفيه هؤلاء الشاقين له من أهل الكتاب وأخبره أنه يعصمه من جميع الناس بقوله تعالى {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلْغُ مَا أُنْزَلَ إِلَيْكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَنَا وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} المائدة ٦٧ فهذا خبر عام بأن الله يعصمه من جميع الناس فكل من هذه الأخبار الثلاثة العامة قد وقع كما أخبر وفي هذا عدة آيات منها أنه كفاه أعداءه بأنواع عجيبة خارجة عن العادة المعروفة ومنها أنه نصره مع كثرة أعدائه وقوتهم وغلبتهم وأنه كان وحده جاهرا بمعاداتهم وسب آبائهم وشتم آهتهم وتسيفيه أحالمهم والطعن في دينهم وهذا من الأمور الخارقة للعادة والمستهزئون كانوا من أعظم سادات قريش وعظماء العرب وكان أهل مكة أهل الحرم أعز الناس وأشرفهم يعظهم جميع الأمم أما العرب فكانوا يدينون لهم وأما غيرهم من الأمم فكانوا يعظموهم به لا سيما من حين ما جرى لأهل الفيل ما جرى كما كانت الأمم تعظم بنى إسرائيل لما ظهر فيهم من الآيات ما ظهر وهؤلاء بنو إسرائيل ابن خليل الله وهؤلاء بنو إسحاق ابن خليل الله وكلاهما ممن وعد الله إبراهيم في التوراة فيهم بما وعده من إنعام الله عليه النعمة التي لم ينعم الله بها على غيرهم فكان أهل مكة معظمين لأنهم جيران البيت ولأنهم أشرف بنى إسماعيل فإن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى هاشم من قريش واصطفى محمدا من بنى هاشم وكان قد عاده أشراف هؤلاء كما عادى المسيح أشراف بنى إسرائيل وبدل هؤلاء وهؤلاء نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار وكفى الله رسوله المسيح من عاده منهم ولم ينفعهم نسبهم ولا فضل مدینتهم وكذلك كفى الله محمدا من عاده وانتقم منهم ولم ينفعهم أنسابهم ولا فضل مدینتهم فإن الله إنما يثبت بالإيمان والتقوى لا بالبلد والنسب وقال تعالى {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا مَنْ كُلَّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِإِنْعَامِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخُوفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ} ١١٢ {وَلَقَدْ جَاءُهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ} ١١٣ {النَّحْلُ ١١٢-١١٣}

محبة الله وتوحيده هو الغاية التي فيها صلاح للنفس

قال تعالى {فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا وَنِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهَا تَعْبُدُونَ} النحل ١١٤ ومحبة الله وتوحيده هو الغاية التي فيها صلاح للنفس وهو عبادة الله وحده لا شريك له فلا صلاح للنفس ولا كمال لها إلا في ذلك وبدون ذلك تكون فاسدة لا صلاح لها ولهذا كان هذا هو دين الإسلام الذي اتفقت عليه الرسل قال الله تعالى {وَمَنْ يَبْتَغَ غَيْرَ الإِسْلَامِ بِينَا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ

¹الجواب الصحيح ج: 6 ص: 274-276

من الخاسرين { آل عمران 85 وقد قال تعالى { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ } الذاريات 56 فالغاية الحميدة التي بها يحصل كمالبني آدم وسعادتهم ونجاتهم عبادة الله وحده وهي حقيقة قول القائل لا إله إلا الله ولهذا بعث الله جميع الرسل وأنزل جميع الكتب ولا تصلح النفس وتزكي وتكلما إلا بهذا لفظ العبادة يتضمن كمال الذل بكمال الحب فلا بد أن يكون العابد محبًا للإله المعبد كمال الحب ولا بد أن يكون ذليلا له كمال الذل فمن أحب شيئا ولم يذل له لم يعبده ومن خضع له ولم يحبه لم يعبده وكمال الحب والذل لا يصلح إلا الله وحده فهو الإله المستحق للعبادة التي لا يستحقها إلا هو وذلك يتضمن كمال الحب والذل والإجلال والإكرام والتوكيل والعبادة فالنفس محتاجة إلى الله من حيث هو معبودها ومتنهى مرادها وبغيتها ومن حيث هو ربها وخلقها فمن آمن بالله رب كل شيء وخالقه ولم يعبد إلا الله وحده بحيث يكون الله أحب إليه من كل ما سواه وأخشى عنده من كل ما سواه وأعظم عنده من كل ما سواه وأرجى عنده من كل ما سوى بل من سوى بين الله وبين بعض المخلوقات في الحب بحيث يحبه مثل ما يحب الله ويخشأه مثل ما يخشى الله ويرجوه مثل ما يرجو الله ويدعوه مثل ما يدعوه فهو مشرك الشرك الذي لا يغفره الله ولو كان مع ذلك عفيفا في طعامه ونكاحه وكان حكيمًا شجاعا

قال تعالى { فَكُلُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمُ اللَّهُ حَلَالاً طَيِّباً وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيمَانًا تَعْبُدُونَ } النحل 114¹

مسائل فقهية

1-الأصل في جميع الأعيان أن تكون حلالا وأن تكون طاهرة

قال تعالى { إِنَّمَا حَرَمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنَزِيرِ وَمَا أُهْلَكَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } النحل 115

فاطمأن أن الأصل في جميع الأعيان الموجودة على اختلاف أصنافها وتبانين أو صافتها أن تكون حلالا مطلقا للأدميين وأن تكون طاهرة لا يحرم عليهم ملابستها و مباشرتها و ممساتها و دل على ذلك قوله تعالى { هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً } البقرة 29 والخطاب لجميع الناس لافتتاح الكلام بقوله { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ } البقرة 21 ووجه الدلالة أنه أخبر أنه خلق جميع ما في الأرض للناس مضافا إليهم باللام واللام حرف الإضافة وهي توجب اختصاص المضاف بالمضاف إليه واستحقاقه إياه من الوجه الذي يصلح له وهذا المعنى يعم موارد استعمالها كقولهم المال لزيد والسرج للدابة وما أشبه ذلك فيجب إذا أن يكون الناس مملكون ممكينين لجميع ما في الأرض فضلا من الله ونعمته وخصوص من ذلك بعض الأشياء وهي الخبائث لما فيها من الإفساد لهم في معاشهم أو معادهم فيبقىباقي مباحا بموجب الآية وقوله تعالى { قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا } الأنعام 145 الآية فما لم يجد تحريمها ليس بمحرم

¹الجواب الصحيح ج: 6 ص: 32

وما لم يحرم فهو حل ومثل هذه الآية قوله {إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ} البقرة 173 الآية لأن حرف إنما يوجب حصر الأول في الثاني فيجب انحصر المحرمات فيما ذكر¹

2-المحرمات نوعان

قال تعالى {إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} النحل 115

أن المحرمات نوعان محرم لوصفه ومحرم لكسبه كالظلم والربا والميسر والمحرم لوصفه كالميته والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والأول أشد تحريمها والتورع فيه مشهور ولها كان السلف يحترزن في الأطعمة والثياب من الشبهات الناشئة من المكاسب الخبيثة وأما الثانية فانما حرم لما فيه من وصف الخبث وقد أباح الله لنا طعام أهل الكتاب مع إمكان أن لا يذكوه التذكرة الشرعية أو يسموا عليه غير الله وإذا علمنا أنهم سموا عليه غير الله حرم ذلك في أصح قولى العلماء وقد ثبت في الصحيح من حديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن قوم يأتون باللحوم ولا يدرى أسموا عليه أم لا فقال سموا أنتم وكلوا²

-تحريم الشيء مطلقاً يقتضي تحريم كل جزء منه

قال تعالى {إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} النحل 115

فإن تحريم الشيء مطلقاً يقتضي تحريم كل جزء منه كما أن تحريم الخنزير والميته والدم اقتضى ذلك³

وكل ميته نجسة إلا الآدمي أما نجاسة الحيوان بالموت في الجملة فاجماع وقد دل على ذلك قوله تعالى {إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ} النحل 115 وذلك يعم أكلها والانتفاع بها وغير ذلك لما روی جابر بن عبد الله انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول إن الله حرم بيع الخمر والميته والخنزير والاصنام فقيل يا رسول الله أرأيت شحوم الميته فإنه يطلى بها السفن ويدهن بها الجلود ويصبح بها الناس فقال لا هو حرام ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك قاتل الله اليهود إن الله لما حرم شحومها جملوه ثم باعوه وأكلوا ثمنه رواه الجماعة والكلام في فصلين في أجزاء الميته وفي اجناسها

¹الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 118

²مجموع الفتاوى ج: 21 ص: 57

³مجموع الفتاوى ج: 21 ص: 85

أما أجزاءها فاللحم نجس وكذلك الجلد وقد تقدم القول في العظم والشعر وأما ما لا يموت بموتها كالبيض واللبن فإنه لا ينجس بالموت لكن هل ينجس بنجاسة وعائه أما البيض فإذا كان قد تصلب قشره فهو ظاهر مباح لانه لا يصل اليه شيء من النجاسة كما لو غمس في ماء نجس وكما لو طبخ في خمر أو ماء نجس وكذلك لو سلقه في ماء ملح أو مر لم يتغير طعمه وقال ابن عقيل هو ظاهر مباح وإن لم يتصلب لأن جمودها وغضائها الذي هو كالجلد مع لينه يمنع نفاذ النجاسة إليها كما لو وقعت في مائع نجس المشهور أنها تنتجس إذا لم تتصلب لأنها في النمور والحاجز غير حصين فلا ينفك غالباً من أن يشرب إجزاء عقيب الموت قبل ذهاب حرارة الحياة وأما اللبن والإنفحة فظاهر في أحد الروايتين لأن الصحابة فتحوا بلاد الم Gors وأكلوا من جبنهم مع علمهم بنجاسة ذيائهم وأن الجن إنما يصنع الإنفحة وإن اللبن لم ينجس بالموت إذا لا حياة فيه ولا بملائكة وعائه لأن الملاقة في الباطن لا حكم لها اذ الحكم بالتجيس إنما يتسلط على الأجسام الظاهرة ولذلك لم ينجس المني والنجاسة تخرج من مخرج المني وعلى هذه الرواية فجلد الإنفحة نجس كجلد الضرع وإنما الكلام فيما فيهما والرواية الأخرى هما نجس وهي المنصورة ولأنه مائع في وعاء نجس فأشبهه ما لو أعيد في الضرع بعد الحلب أو حلبت في آناء نجس وما علوا به ينتقض بالمخ في العظم فإنه نجس وأما المني والنجاسة فميز له اللبن الخارج في الحياة لأنه لو نجس ما خلق ظاهراً في الباطن بما يلاقيه لنفسه أبداً بخلاف ما بعد الموت فإنه خروجه نادر كما لو خرج المني والنجاسة بعد الموت وما ذكر عن الصحابة لا يصح لأنهم وإن أكلوا من جبن بلاد فارس فلانة كان بينهم يهود ونصارى

يذبحون لهم فحينئذ لا تتحقق نجاسة الجن ولهذا كتب أبو موسى الأشعري إلى عمر يذكر أن الم Gors لما رأوا أن المسلمين لا يشترون جبنهم وإنما يشترون جبن أهل الكتاب عمد الم Gors وصلبوا على الجن كما يصلب أهل الكتاب ليشتري جبنهم فكتب إليه عمر ما تبين لكم انه من صنعتهم فلا تأكلوه وما لم يتبين لكم فكلوه ولا تحرموا على انفسكم ما أحل الله لكم رواه عبد الملك بن حبيب وقال قد تورع عمرو بن مسعود وابن عباس في خاصة انفسهم من أكل الجن إلا ما يقتلونه الجن بإنفحة الميّة فقال ما علمت انه ميّة فلا تأكل وأما اجناس الميّت فكل ميت نجس إلا ما يباح أكله ميّتاً وما ليس له دم سائل وما حرم لشرفه وقد استثنى الشّيخ رحمة الله كذلك لعموم الآية والقياس سواء كان ظاهراً في الحياة أو نجساً لكن يبقى نجساً لسبعين كما حرم السبعين أما الانسان فلا ينجس في ظاهر المذهب وعنده رواية أخرى ينجس لعموم الآية ووقع زنجي في بئر زمز فمات فأمر ابن عباس بها تنزح رواه الدارقطني ولأنه ذو نفس سائلة لا تباح ميّته فنجس بالموت كالشاة والآول اصح لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال المؤمن لا ينجس متفق عليه وفي لفظ الدارقطني المؤمن لا ينجس حيا ولا ميّتاً وروى الدارقطني أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم ليس عليكم في ميّتهم غسل إذا غسلتموه فإنه ليس بنجس ولأن ذلك منقول عن ابن مسعود وابن عباس وعائشة في قضيّاً متعددة ولم يعرف لهم مخالف ولأنه آدمي مسلم فلم ينجس بالموت كالشهيد فإنه مسلم على القولين ولأنه لو نجس لم يظهر بالغسل ولأن الموجب لظهوره شرفه وكذلك لا حيا ولا ميّتاً وإن قلت ينجس بالموت بحسب أعضائه بالانفصال كسائر الحيوان فاما الشعر فهو ظاهر في اصح الروايتين لأنه ليس بمحل للحياة وفي رواية أخرى انه نجس بناء على انه من الجملة كاليد سواء جز أو تساقط بخلاف شعر المأكول فإنه لما احتجي اليه كان جزه كتدذكرة وهذا ضعيف كما سبق ويظهر بالغسل في اصح الروايتين ولا ينجس الشهيد كما لا ينجس دمه وإن قلنا لا ينجس بالموت فكذلك أعضاؤه على الاصح وقيل تنجز وان لم ينجس في الجملة لأن الحرمة انما تثبت لها اذا كانت تابعة وهو ضعيف لأن حرمة الاعضاء كحرمة الجملة وهذا يختص بالمسلم وأما الكافر فينجس على الروايتين

لان المقتفي للطهارة من الاثر والقياس مفقود فيه وسبب التجيس موجود فعمل عمله وعموم كلام بعض اصحابنا يقتفي التسوية كما في الحياة¹

4-حكم عظم الميّة وقرنها وظفرها وما هو من جنس ذلك

اما عظم الميّة وقرنها وظفرها وما هو من جنس ذلك كالحافر ونحوه وشعرها وريشها ووبرها في هذين النوعين للعلماء ثلاثة أقوال أحدها نجاست الجميع كقول الشافعي في المشهور عنه وذلك رواية عن أحمد والثاني أن العظام ونحوها نجاست والشعور ونحوها طاهرة وهذا هو المشهور من مذهب مالك وأحمد والثالث أن الجميع طاهر كقول أبي حنيفة وهو قول في مذهب مالك وأحمد وهذا القول هو الصواب وذلك لأن الأصل فيها الطهارة ولا دليل على النجاست وأيضاً فإن هذه الأعيان هي من الطيبات ليست من الخبائث فتدخل في آية التحليل وذلك لأنها لم تدخل فيما حرم الله من الخبائث لا لفظاً ولا معنى فان الله تعالى حرم الميّة وهذه الأعيان لا تدخل فيما حرم الله لا لفظاً ولا معنى أما اللفظ فلان قوله تعالى {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ} المائدة 3 لا يدخل فيها الشعور وما أشبهها وذلك لأن الميت ضد الحي والحياة نوعان حياة الحيوان وحياة النبات فحياة الحيوان خاصتها الحس والحركة الإرادية وحياة النبات خاصتها النمو والإغتناء وقوله {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ} المائدة 3 إنما هو بما فارقته الحياة الحيوانية دون النباتية فإن الشجر والزرع إذا بيس لم ينجس باتفاق المسلمين وقد قال تعالى {وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا} النحل 65 وقال {إِعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحِبِّي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا} الحديد 17 فموت الأرض لا يوجب نجاستها باتفاق المسلمين وإنما الميّة المحرمة ما فارقها الحس والحركة الإرادية وإذا كان كذلك فالشعر حياته من جنس حياة النبات لا من جنس حياة الحيوان فإنه ينمو ويغتدى ويطول كالزرع وليس فيه حس ولا يتحرك بارادته فلا تحله الحياة الحيوانية حتى يموت بفارقته فلا وجه لتجسيه وأيضاً فلو كان الشعر جزءاً من الحيوان لما أبىح أخذه في حال الحياة فإن النبي سئل عن قوم يحبون أسنمة الأبل وأليات الغنم فقال ما أبین من البهيمة وهي حية فهو ميت رواه أبو داود وغيره وهذا متفق عليه بين العلماء فلو كان حكم الشعر حكم السنام والأليلة لما جاز قطعه في حال الحياة ولا كان طاهراً حلالاً فلما اتفق العلماء على أن الشعر والصوف إذا جز من الحيوان كان طاهراً حلالاً علم أنه ليس مثل اللحم وأيضاً فقد ثبت أن النبي أعطى شعره لما حلق رأسه للMuslimين وكان يستجمي ويستجمر فمن سوى بين الشعر والبول والعدرة فقد أخطأ خطأً بينا وأما العظام ونحوها فإذا قيل إنها داخلة في الميّة لأنها تحس وتتألم قيل لمن قال ذلك أنت لم تأخذوا بعموم اللفظ فإن ما لا نفس له سائلة كالذباب والعقارب والخنفساء لا ينجس عندكم وعند جمهور العلماء مع أنها ميّة موتاً حيوانياً وقد ثبت في الصحيح أن النبي قال إذا وقع الذباب في إماء أحدكم فليغمسه ثم لينزلعه فإن في أحد جناحيه داء وفي الآخر شفاء ومن نجس هذا قال في أحد القولين إنه لا ينجس المائعتات الواقع فيها لهذا الحديث وإذا كان كذلك علم أن علة نجاست الميّة إنما هو إحتباس الدم

¹شرح العمدة ج: 1 ص: 129

فيها فما لا نفس له سائل ليس فيه دم سائل فإذا مات لم يحتبس فيه الدم فلا ينجز فالعظم ونحوه أولى بعد التنجيس من هذا فان العظم ليس فيه دم سائل ولا كان متحركا بالارادة إلا على وجه التبع فإذا كان الحيوان الكامل الحساس المتحرك بالارادة لا ينجز لكونه ليس فيه دم سائل فكيف ينجز العظم الذي ليس فيه دم سائل **وَمَا يَبْيَنُ صِحَّةَ قَوْلِ الْجَمْهُورِ أَنَّ اللَّهَ سَبَّحَنَهُ إِنَّمَا حَرَمَ عَلَيْنَا الدَّمُ الْمَسْفُوحُ** كما قال تعالى **{قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا}** {الأنعام 145} فإذا عفي عن الدم غير المسفوح مع أنه من جنس الدم علم أنه سبحانه فرق بين الدم الذي يسيل وبين غيره ولهذا كان المسلمون يضعون اللحم في المرق وخطوط الدم في القدور بين ويأكلون ذلك على عهد رسول الله كما أخبرت بذلك عائشة ولو لا هذا لاستخرجوا الدم من العروق كما يفعل اليهود والله تعالى حرم ما مات حتف انفه أو بسبب غير جارح فحرم المنخقة والموقدة والمتردية والنطحة وحرم النبي ما صيد بعرض المعارض وقال إنه وقيذ دون ما صيد بحده والفرق بينهما إنما هو سفح الدم فدل على أن سبب التنجيس هو احتقان الدم واحتباسه وإذا سفح بوجه خبيث بأن يذكر عليه غير اسم الله كان الخبر هنا من جهة أخرى فإن التحرير يكون تارة لوجود الدم وتارة لفساد التذكية كذكاة المجوسي والمرتد والذكاة في غير محل محل وإذا كان كذلك فالعظم والقرن والظفر والظلف وغير ذلك ليس فيه دم مسفوح فلا وجه لتنجيسه وهذا قول جمهور السلف قال الزهري كان خيار هذه الأمة يمتنعون بأمساط من عظام الفيل وقد روی في العاج حديث معروف لكن فيه نظر ليس هذا موضعه فانا لا نحتاج الى الاستدلال بذلك وايضا فعد ثبت في الصحيح عن النبي أنه قال في شاة ميمونة هلا أخذتم إهابها فانتفعتم به قالوا انها ميتة قال إنما حرم أكلها وليس في صحيح البخاري ذكر الدباغ ولم يذكره عامة أصحاب الزهري عنه ولكن ذكره ابن عيينة ورواه مسلم في صحيحه وقد طعن الإمام أحمد في ذلك وأشار الى غلط ابن عيينة فيه وذكر أن الزهري وغيره كانوا يبيحون الانتفاع بجلود الميتة بلا دباغ لاجل هذا الحديث وحينئذ فهذا النص يقتضي جواز الانتفاع بها بعد الدباغ بطريق الأولى لكن إذا قيل إن الله حرم بعد ذلك الانتفاع بالجلود حتى تدبغ أو قيل إنها لا تطهر بالدباغ لم يلزم تحريم العظام ونحوها لأن الجلد جزء من الميتة فيه الدم كما في سائر أجزائها والنبي جعل دباغه ذكاته لأن الدباغ ينشف رطوباته فدل على أن سبب التنجيس هو الرطوبات والعظم ليس فيه رطوبة سائلة وما كان فيه منها فإنه يجف ويبس وهو يبقى ويحفظ أكثر من الجلد فهو أولى بالطهارة من الجلد و العلماء تنازعوا في الدباغ هل يطهر فذهب مالك وأحمد في المشهور عنهم أنه لا يطهر ومذهب أبي حنيفة والشافعي والجمهور أنه يطهر وإلى هذا القول رجع أحمد كما ذكر ذلك عنه الترمذى عن أحمد بن الحسن الترمذى عنه وحديث ابن عكيم يدل على أن النبي نهاهم أن ينتفعوا من الميتة باهاب أو عصب بعد أن كان أذن لهم في ذلك لكن هذا قد يكون قبل الدباغ فيكون قد أرخص فان حديث الزهري الصحيح يبين أنه كان قد رخص في جلود الميتة قبل الدباغ فيكون قد أرخص لهم في ذلك ثم لما نهى عن الانتفاع بها قبل الدباغ نهاهم عن ذلك ولهذا قال طائفه من أهل اللغة ان الاهاب اسم لما لم يدبغ ولهذا قرن معه العصب والعصب لا يدبغ فصل وأما لبن الميتة وانفتحتها ففيه قوله مشهور ان للعلماء أحدهما أن ذلك ظاهر كقول أبي حنيفة وغيره وهو إحدى الروايتين عن أحمد والثاني أنه نجس كقول مالك والشافعي والرواية الأخرى عن أحمد وعلى هذا النزاع ابني نزاعهم في جبن المقوس فان ذبائح المقوس حرام عند جماهير السلف والخلف وقد قيل إن ذلك مجمع عليه بين الصحابة فإذا صنعوا جبنا والجبن يصنع بالأنفحة كان فيه هذان القرآن والأظهر أن جبنهم حلال وان أنفحة الميتة ولبنها ظاهر وذلك لأن الصحابة لما فتحوا بلاد العراق أكلوا جبن المقوس وكان هذا ظاهرا شائعا بينهم وما ينقل عن بعضهم من كراهة ذلك فيه نظر فإنه من نقل بعض الحجازيين

وفيه نظر وأهل العراق كانوا أعلم بهذا فان المجروس كانوا ببلادهم ولم يكونوا بأرض الحجاز ويدل على ذلك ان سلمان الفارسي كان هو نائب عمر بن الخطاب على المدائن وكان يدعو الفرس الى الإسلام وقد ثبت عنه أنه سئل عن شيء من السمن والجبن والفراء فقال الحلال ما احل الله في كتابه والحرام ما حرم الله في كتابه وما سكت عنه فهو مما عفى عنه وقد رواه أبو داود مرفوعا الى النبي ومعلوم أنه لم يكن السؤال عن جبن المسلمين وأهل الكتاب فان هذا امر بين وإنما كان السؤال عن جبن المجروس فدل ذلك على ان سلمان كان يقتى بحلها وإذا كان روى ذلك عن النبي انقطع النزاع بقول النبي وأيضا فاللين والأفحة لم يمota وإنما نجسهما من نجسهما لكونهما في وعاء نجس فيكون مائعا في وعاء نجس فالتجيس مبني على مقدمتين على ان المائع لا ينبع بسلامة النجاسة وقد تقدم على أنه إذا كان كذلك صار نجسا فيقال أولا لا نسلم ان المائع ينبع بسلامة النجاسة كما قال ان السنة دلت على طهارة لا على نجاسته ويقال ثانيا إن الملاقة في الباطن لا حكم لها كما قال تعالى { نُسْقِيْكُمْ مَمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدِمَ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغاً لِلشَّارِبِينَ } النحل 66 ولهذا يجوز حمل الصبي الصغير في الصلاة مع ما في بطنه والله أعلم¹

5-حكم التداوى

قال تعالى { إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنَزِيرِ وَمَا أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } النحل 115

فإن الناس قد تنازعوا في التداوى هل هو مباح أو مستحب أو واجب والتحقيق أن منه ما هو محرم ومنه ما هو مكره ومنه ما هو مباح ومنه ما هو مستحب وقد يكون منه ما هو واجب وهو ما يعلم أنه يحصل به بقاء النفس لا بغيره كما يجب أكل الميته عند الضرورة فإنه واجب عند الأئمه الأربعه وجمهور العلماء وقد قال مسروق من إضطر من إضطر إلى أكل الميته فلم يأكل حتى مات دخل النار فقد يحصل أحيانا للإنسان إذا استحر المرض ما إن لم يت تعالج معه مات والعلاج المعتمد تحصل معه الحياة كالتغذية للضعف وكاستخراج الدم أحيانا²

6-إذا وقع الذبح حقيقة غير الله كانت حقيقة التحرير قد وجدت فيه

قال تعالى { إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنَزِيرِ وَمَا أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } النحل 115

¹ مجموع الفتاوى ج: 21 ص: 97-104

² مجموع الفتاوى ج: 18 ص: 12

قال الخلال في باب التوقي لأكل ما ذبحت النصارى وأهل الكتاب لأعيادهم وذبائح أهل الكتاب لكتائسهم كل من روی عن أبي عبد الله روى الكراهة فيه وهي متفرقة في هذه الأبواب وما قاله حنبل في هاتين المسألتين ذكر عن أبي عبد الله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وما أهل لغير الله به فإنما الجواب من أبي عبد الله فيما أهل لغير الله به وأما التسمية وتركها فقد روی عنه جميع أصحابه أنه لا بأس بأكل مالم يسموا عليه إلا في وقت ما يذبحون لأعيادهم وكتائسهم فإنه في معنى قوله تعالى {وَمَا أَهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ} النحل 115 وعند أبي عبد الله أن تفسير {وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكُرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ} الأنعام 12 إنماعني به الميتة وقد أخرجه في موضعه ومقصود الخلال أن نهي أحمد لم يكن لأجل ترك التسمية فقط فإن ذلك عنده لا يحرم وإنما كان لأنهم ذبحوه لغير الله سواء كانوا يسمون غير الله أو لا يسمون الله ولا غيره ولكن قصدهم الذبح لغير الله لكن قال ابن أبي موسى ويحتجب أكل كل ما ذبحه اليهود والنصارى لكتائسهم وأعيادهم ولا يؤكل ما ذبح للزهرة والرواية الثانية أن ذلك مكرهه غير حرام وهذا الذي ذكره القاضي وغيره وأخذوا ذلك فيما أظنه مما نقله عبد الله بن أحمد قال سأله أبي عن ذبح للزهرة قال لا يعجبني فلت أحرام أكله قال لا أقول حراما ولكن لا يعجبني وذلك أنه أثبت الكراهة دون التحرير ويمكن أن يقال إنما توقف عن تسميتها حراما لأن ما اختلف في تحريمها وتعارضت فيه كالجمع بين الأخرين ونحوه هل يسمى حراما على روایتين كالروایتين عنده في أن ما اختلف في وجوبه هل يسمى فرضا على روایتين ومن أصحابنا من أطلق الكراهة ولم يفسر هل أراد التحرير أو التنزيه قال أبو الحسن الأدمي ما ذبح لغير الله مثل الكنائس والزهرة والشمس والقمر فقال أحمد هو مما أهل به لغير الله أكرهه كل ما ذبح لغير الله والكنائس وما ذبحوا في أعيادهم أكرهه فأما ما ذبح أهل الكتاب على معنى الذكاة فلا بأس به وكذلك مذهب مالك يكره ما ذبحه النصارى لكتائسهم أو ذبحوا على اسم المسيح أو الصليب أو أسماء من مضى من أighborsهم وربانهم وفي المدونة وكراهه مالك أكل ما ذبحه أهل الكتاب لكتائسهم أو لأعيادهم من غير تحرير وتأول قول الله أو فسقا أهل لغير الله به قال ابن القاسم وكذلك ما ذبحوا وسموا عليه اسم المسيح وهو بمنزلة ما ذبحوا لكتائسهم ولا أرى أن يؤكل ونقلت الرخصة في ذبائح الأعياد ونحوها عن طائفة من الصحابة رضي الله عنهم وهذا فيما لم يسموا عليه غير الله فإن سموا غير الله في عيدهم أو غير عيدهم حرم في أشهر الروایتين وهو مذهب الجمهور وهو مذهب الفقهاء الثلاثة فيما نقله غير واحد وهو قول علي بن أبي طالب وغيره من الصحابة منهم أبو الدرداء وأبو أمامة والعرباض بن سارية وعبادة بن الصامت وهو قول أكثر فقهاء الشام وغيرهم والثانية لا يحرم وإن سموا غير الله وهو قول عطاء ومجاهد ومكحول والأوزاعي واللبث ووجه الاختلاف أن هذا قد دخل في عموم قوله عز وجل

{وَطَعَامُ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ حَلٌّ لَّكُمْ} المائدة 5 وفي عموم قوله تعالى {وَمَا أَهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ} المائدة 3 لأن هذه الآية تعم كل ما نطق به لغير الله يقال أهله إذا تكلمت به وإن كان أصله الكلام الرفيع فإن الحكم لا يختلف برفع الصوت وخفضه وإنما لما كانت عادتهم رفع الصوت في الأصل خرج الكلام على ذلك فيكون المعنى وما تكلم به لغير الله وما نطق به لغير الله ومعلوم أن ما حرم أن يجعل غير الله مسمى فكذلك منويا إذ هذا مثل النيات في العبادات فإن اللفظ بها وإن كان أبلغ لكن الأصل القصد إلا ترى أن المتقرب بالهدايا والضحايا سواء قال أذبحه الله أو سكت فإن العبرة بالنسبة وتسميتها الله على الذبيحة غير ذبحها الله فإنه يسمى على ما يقصد به اللحم وأما القرابان فيذبح الله سبحانه ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في قربانه اللهم منك ولك بعد قوله باسم الله والله أكبر لقوله تعالى {فُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} الأنعام 162

والكافرون يصنعون بالهتّم كذلك فتارة يسمون الّهتّم على الذبائح وتارة يذبحونها قربانا إليهم وتارة يجمعون بينهما وكل ذلك والله أعلم يدخل فيما أهل لغير الله به فإن من سمي غير الله فقد أهل به لغير الله فقوله باسم كذا استعانة به و قوله لكذا عبادة له ولهذا جمع الله بينهما في قوله {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} الفاتحة⁵ وأيضا فإنه سبحانه حرم ما ذبح على النصب وهي كل ما ينصلب ليعبد من دون الله وأما احتجاج أحمد على هذه المسألة بقوله تعالى {وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكُرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ} الأئمّة¹²¹ فحيث اشترطت التسمية في ذبيحة المسلم هل تشترط في ذبيحة الكافي على روایتين وإن كان الحال هنا قد ذكر عدم الاشتراط فاحتجاجه بهذه الآية يخرج على إحدى الروایتين فلما تعارض العموم الحاضر وهو قوله تعالى {وَمَا أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ} المائدة³ والعموم المبيح وهو قوله {وَطَعَامُ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ} المائدة⁵ اختلف العلماء في ذلك والأشبه بالكتاب والسنة ما دل عليه أكثر كلام أحمد من الحظر وإن كان من متأخري أصحابنا من لا يذكر هذه الروایة بحال وذلك لأن عموم قوله تعالى {وَمَا أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ} المائدة³ و {وَمَا ذُبْحَ عَلَى النُّصُبِ} المائدة³ عموم محفوظ لم تخص منه صورة بخلاف طعام الذين أوتوا الكتاب فإنه يشرط له الذكاة المبيحة فلو ذكر الكافي في غير المحل المشروع لم تبح ذكاته ولأن غاية الكافي أن تكون ذكاته كالمسلم والمسلم لو ذبح لغير الله أو ذبح باسم غير الله لم يبح وإن كان يكره بذلك فذلك الذي لا يذكره تعالى {وَطَعَامُ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ} المائدة⁵ سواء وهم وإن كانوا يستحلون هذا ونحن لا نستحله فليس كل ما استحلوه يحل لنا ولأنه قد تعارض دليلا حاضر ومبيح فالحاضر أولى أن يقدم ولأن الذبح لغير الله أو باسم غيره قد علمنا يقينا أنه ليس من دين الأنبياء عليهم السلام فهو من الشرك الذي أحدهوه فالمعنى الذي لأجله حلت ذبائحهم منتف في هذا والله تعالى أعلم فإن قيل أما إذا سموا عليه غير الله بأن يقولوا باسم المسيح ونحوه فتحريم ظاهر أما إذا لم يسموا أحدا ولكن قصدوا الذبح للمسيح أو للكوكب ونحوهما فما وجه تحريمه قيل قد تقدمت الإشارة إلى ذلك وهو أن الله سبحانه قد حرم ما ذبح على النصب وذلك يقتضي تحريمها وإن كان ذابحه كتابيا لأنه لو كان التحرير لكونه وثنيا لم يكن فرق بين ذبحة على النصب وغيرها وأنه لما أباح لنا طعام أهل الكتاب دل على أن طعام المشركين حرام فتخصيص ما ذبح على الوثن يقتضي فائدة جديدة وأيضا فإنه ذكر تحريم ما ذبح على النصب وما أهل به لغير الله وقد دخل فيما أهل به لغير الله ما أهل به أهل الكتاب لغير الله فذلك كل ما ذبح على النصب فإذا ذبح الكافي على ما قد نصبوه من التماشيل في الكنائس فهو مذبوح على النصب ومعلوم أن حكم ذلك لا يختلف بحضور الوثن وغيته فإنما حرم لأنه قصد بذبحه عبادة الوثن وتعظيمه وهذه الأنصاب قد قيل هي من الأصنام وقيل هي غير الأصنام قالوا كان حول البيت ثلاثة وستون حمرا كان أهل الجاهلية يذبحون عليها ويشربون اللحم عليها ويذبحون عليها وكانوا يعظمون هذه الحجارة ويعبدونها ويذبحون عليها وكانوا إذا شاءوا أبدلوا هذه الأحجار بحجارة هي أعجب إليهم منها ويدل على ذلك قول أبي ذر في حديث إسلامه حتى صرت كالنصب الأحمر يريد أنه كان يصير أحمر من تلوثه بالدم وفي قوله {وَمَا ذُبْحَ عَلَى النُّصُبِ} المائدة³ قوله أدهمها أن نفس الذبح كان يكون عليها كما ذكرناه فيكون ذبهم عليها تقربا إلى الأصنام وهذا على قول من يجعلها غير الأصنام فيكون الذبح عليها لأجل أن المذبوح عليها مذبوح للأصنام أو مذبوح لها وذلك يقتضي تحريم كل ما ذبح لغير الله ولأن الذبح في البقعة لا تأثير له إلا من جهة الذبح لغير الله كما كرهه النبي صلى الله عليه وسلم من الذبح في مواضع أصنام المشركين ومواضع أعيادهم وإنما يكره المذبوح في البقعة المعينة لكونها محل شرك فإذا وقع الذبح حقيقة لغير الله كانت حقيقة التحرير قد وجدت فيه والقول الثاني أن الذبح على النصب أي لأجل النصب كما قيل أولم رسول الله صلى الله عليه وسلم على

زينب بخبز ولحم وأطعم فلان على ولده وذبح فلان على ولده ونحو ذلك ومنه قوله تعالى { لِتُكَبِّرُوا
 اللَّهَ عَلَى مَا هَدَأْكُمْ } الحج 37 وهذا ظاهر على قول من يجعل النصب نفس الأصنام ولا منافاة بين
 كون الذبح لها وبين كونها كانت تلوث بالدم وعلى هذا القول فالدلالة ظاهرة واختلاف هذين
 القولين في قوله تعالى على النصب نظير الاختلاف في قوله تعالى { وَلَكُلُّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا
 لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ } الحج 34 وقوله تعالى { لِيَشْهُدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ
 وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ } الحج 28 فإنه قد قيل
 المراد بذكر اسم الله عليها إذا كانت حاضرة وقيل بل يعم ذكره لأجلها في معيتها وشهادتها
 بمنزلة قوله تعالى { لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَأْكُمْ } الحج 37 وفي الحقيقة مآل القولين إلى شيء
 واحد في قوله تعالى { وَمَا ذَبَحَ عَلَى النُّصُبِ } المائدة 3 كما قد أورنا إليه وفيها قول ثالث
 ضعيف أن المعنى على اسم النصب وهذا ضعيف لأن هذا المعنى حاصلًا من قوله تعالى { وَمَا أَهْلَ
 لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ } المائدة 3 فيكون تكريراً لكن اللفظ يحمله كما روى البخاري في صحيحه عن موسى بن
 عقبة عن سالم عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه
 لقي زيد بن عمرو بن نفیل بأسفل بلدح وذلك قبل أن ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي
 فقدمت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سفرة فيها لحم فأبى أن يأكل منها ثم قال زيد إني لست أكل
 مما تذبحون على أنصابكم ولا أكل إلا ما ذكر اسم الله عليه وفي رواية له وإن زيد بن عمرو بن نفیل
 كان يعيّب على قريش ذبائحهم ويقول الشاة خلقها الله وأنزل لها من السماء الماء وأنبت لها من
 الأرض الكلأ ثم أنت تذبحونها على غير اسم الله إنكاراً لذلك وإعظاماً له وأيضاً فإن قوله تعالى
 { وَمَا أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ } المائدة 3 ظاهره أنه ما ذبح لغير الله مثل أن يقال هذا ذبيحة لهذا وإذا كان
 هذا هو المقصود فسواء لفظ به أو لم يلفظ وتحريم هذا أظهر من تحريم ما ذبحه النصراني للحم وقال
 فيه باسم المسيح ونحوه كما أن ما ذبحناه نحن متقربين به إلى الله سبحانه كان أزركي وأعظم مما
 ذبحناه للحم وقلنا عليه باسم الله فإن عبادة الله سبحانه بالصلاه له والنسل له أعظم من الاستعانة باسمه
 في فواتح الأمور فكذلك الشرك بالصلاه لغيره والنسل لغيره أعظم شركاً من الاستعانة باسم هذا
 الغير في فواتح الأمور فإذا حرم ما قيل فيه باسم المسيح والزهرة فلن يحرم ما قيل فيه لأجل المسيح
 والزهرة أو قصد به ذلك أولى وهذا يبين لك ضعف قول من حرم ما ذبح باسم غير الله ولم يحرم
 ما ذبح لغير الله كما قاله طائفة من أصحابنا وغيرهم بل لو قيل بالعكس لكان أوجهه فإن العبادة لغير
 الله أعظم كفراً من الاستعانة بغير الله وعلى هذا فلو ذبح لغير الله متقرباً به إلى الله لحرم وإن قال فيه
 باسم الله كما يفعله طائفة من منافقي هذه الأمة الذين يتقربون إلى الأولياء والكواكب بالذبح والبخور
 ونحو ذلك وإن كان هؤلاء مرتدین لا تباح ذباحتهم بحال لكن يجتمع في الذبيحة مانعان ومن هذا
 الباب ما قد يفعله الجاهلون بمكة شرفها الله وغيرها من الذبح للجن ولهذا روي عن النبي صلى الله
 عليه وسلم أنه نهى عن ذبائح الجن ويدل على المسألة ما قدمناه من أن النبي صلى الله عليه وسلم
 نهى عن الذبح في مواضع الأصنام ومواضع أعياد الكفار ويدل على ذلك أيضاً ما رواه أبو داود في
 سننه حدثنا هارون بن عبد الله حدثنا حماد بن مساعدة عن عوف عن أبي ريحانة عن ابن عباس
 رضي الله عنهما قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معاقرة الأعراب قال أبو داود غدر
 وقفه على ابن عباس وروى أبو بكر بن أبي شيبة في تفسيره حدثنا وكيع عن أصحابه عن عوف
 الأعرابي عن أبي ريحانة قال سئل ابن عباس عن معاقرة الأعراب فقال إني أخاف أن تكون مما أهل
 لغير الله به وروى أبو إسحاق إبراهيم دحيم في تفسيره حدثنا أبي حدثنا سعيد بن منصور عن
 ربعي عن عبد الله بن الجارود قال سمعت الجارود قال كان منبني رباح رجل يقال له ابن وثيل
 شاعر نافر أبا الفرزدق غالباً الشاعر بما بظهر الكوفة على أن يعقر هذا مائة من إبله وهذا مائة من

إبله إذا وردت الماء فلما وردت الإبل الماء قاما إليها بأسيافهم فجعلها ينسفان عراقيبها فخرج الناس على الحمر والبغال يريدون اللحم وعلى رضي الله عنه بالكوفة فخرج على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضاء وهو ينادي يا أيها الناس لا تأكلوا من لحومها فإنها أهل بها لغير الله فهؤلاء الصحابة قد فسروا ما قصد بذبحه غير الله داخلا فيما أهل به لغير الله فعلم أن الآية لم يقتصر بها على التلفظ باسم غير الله بل ما قصد به التقرب إلى غير الله فهو كذلك وكذلك تفاسير التابعين على أن ما ذبح على النصب هو ما ذبح لغير الله وروينا في تفسير مجاهد المشهور عنه الصحيح من روایة ابن أبي نجیح فی قوله تعالى {وَمَا ذُبْحَ عَلَى النُّصُبِ} المائدة 3 قال كانت حجارة حول الكعبة يذبح لها أهل الجاهلية ويبذلونها إذا شاعوا بحجارة أعجب إليهم منها وروى ابن أبي شيبة حدثنا محمد بن فضيل عن فضيل عن أشعث عن الحسن في قوله تعالى {وَمَا ذُبْحَ عَلَى النُّصُبِ} المائدة 3 قال هو بمنزلة ما ذبح لغير الله وفي تفسير قتادة المشهور عنه وأما ما ذبح على النصب فالنصب حجارة كان أهل الجاهلية يبعدونها وينبذون لها فنهى الله عن ذلك وفي تفسير علي بن أبي طلحة عن ابن عباس النصب أصنام كانوا يذبحون ويهلكون عليها فإن قيل فقد نقل إسماعيل بن سعيد قال سألت أحمد عما يقرب لآلهتهم يذبحه رجل مسلم قال لا بأس به قيل إنما قال أحمد ذلك لأن المسلمين إذا ذبحه سمي الله عليه ولم يقصد ذبحه لغير الله ولا يسمى غيره بل يقصد منه غير ما قصده صاحب الشاة فتصير نية صاحب الشاة لا أثر لها والذابح هو المؤثر في الذبح بدليل أن المسلمين لو وكل كتابيا في ذبيحة فسمى عليها غير الله لم تنج ولهذا لما كان الذبح عبادة في نفسه كره علي رضي الله عنه وغير واحد من أهل العلم منهم أحمد في إحدى الروايتين عنه أن يوكل المسلم في ذبح نسيكته كتابيا لأن نفس الذبح عبادة بدنية مثل الصلاة ولهذا تختص بمكان وزمان ونحو ذلك بخلاف تفرقة اللحم فإن عبادة مالية ولهذا اختلف العلماء في وجوب تخصيص أهل الحرم بلحوم الهدايا المذبوحة في الحرم وإن كان الصحيح تخصيصهم بها وهذا بخلاف الصدقة فإنها عبادة مالية محضة فلهذا قد لا يؤثر فيها نية الوكيل على أن هذه المسألة منصوصة عن أحمد محتملة¹

7-موارد الشريعة ومصادرها مبنية على قوله تعالى {فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ}

قال تعالى {إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنَزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ
وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} النحل 115

قال الله تعالى {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ} الحج 78 و قال تعالى {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ
الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} البقرة 185 و قال تعالى {يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفَّفَ عَنْكُمْ} النساء 28 و
في الصحيحين إنما بعثتم ميسرين يسرعوا و لا تعسروا ليعلم اليهود أن في ديننا سعة
فكل ما لا يتم المعاش إلا به فتحريم حرج و هو منتف شرعا ومن استقرأ الشريعة في مواردها و

¹اقتضاء الصراط: 1 ص: 252-259

مصادرها وجدتها مبنية على قوله تعالى {فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَحْمَصَةٍ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ} البقرة 173 و قوله {فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَحْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} المائدة 3 فكل ما احتاج الناس إليه في معاشهم ولم يكن سببه معصية هي ترك واجب أو فعل محرم لم يحرم عليهم لأنهم في معنى المضطر الذي ليس بباغ ولا عاد وإن كان سببه معصية كالمسافر سفر معصية اضطر فيه إلى الميتة و المنفق للمال في المعاصي حتى لزمه الديون فإنه يؤمر بالتوبة و يباح له ما يزيل ضرورته فتباح له الميتة و يقضى عنه دينه من الزكاة و إن لم يتتب فهو الظالم لنفسه المحتال و حاله كحال الذين قال الله فيهم {إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَيْئَتِهِمْ شُرًّا وَيَوْمَ لا يَسْتُوْنَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوْهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُوْنَ} الأعراف 163 قوله {فِيظُلُّمٌ مِّنَ الَّذِينَ هَدُوا حَرَّمَنَا عَلَيْهِمْ طَبَيَّاتٍ أَحَلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدَّهُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا} النساء 160 الآية وهذه قاعدة عظيمة ربما ننبه إن شاء الله عليها¹

8-لا يبغى في أكله ولا يتعدى

قال تعالى {إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنَزِيرِ وَمَا أُهْلَكَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} النحل 115 قوله {غَيْرَ بَاغٍ} حال من {اضْطُرَّ} فيجب أن يكون حال اضطراره وأكله الذي يأكل فيه غير باغ ولا عاد فإنه قال {فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ} و معلوم أن الإنم انما ينفي عن الأكل الذي هو الفعل لا عن نفس الحاجة إليه فمعنى الآية فمن اضطر فأكل غير باغ ولا عاد وهذا يبين ان المقصود أنه لا يبغى في أكله ولا يتعدى والله تعالى يقرن بين البغي والعدوان فالبغي ما جنسه ظلم والعدوان مجاوزة القدر المباح كما قرن بين الإنم والعدوان في قوله {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبَرِّ وَالْتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدُوْنَ} المائدة 2 فالإنم جنس الشر والعدوان مجاوزة القدر المباح فالبغي من جنس الإنم قال تعالى {وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءُهُمُ الْعِلْمُ بَعْدًا بَيْنَهُمْ} آل عمران 19 وقال تعالى {فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوْصَ جَنَّفَا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ} البقرة 182 فإثم جنس لظلم الورثة إذا كان مع العمد وأما الجنف فهو الجنف عليهم بعد وبغير عمد لكن قال كثير من المفسرين الجنف الخطأ والإثم العمد لأنه لما خص الإنم بالذكر وهو العمد بقى الداخل في الجنف الخطأ ولحفظ العدوان من باب تعدد الحدود كما قال تعالى {تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} البقرة 229 ونحو ذلك ومما يشبه هذا قوله {رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا} آل عمران 147 والإسراف مجاوزة الحد المباح وأما الذنوب فما كان جنسه شر وإثم²

9-أكل الميتة للمضطر واجب عليه

¹مجموع الفتاوى ج: 29 ص: 65
²مجموع الفتاوى ج: 24 ص: 114

أن أكل الميّة للمضطرب واجب عليه في ظاهر مذهب الأئمة وغيرهم كما قال مسروق من اضطر إلى الميّة فلم يأكل حتى مات دخل النار¹

ان الله لما حرم الميّة والدم ولحم الخنزير وغيرها لم يبح ذلك الا لمن اضطر اليها غير باع ولا عاد وفي آية أخرى { فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَحْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِلَّمْ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } المائدة 3²

10-الخائث جميعاً تباح للمضطرب

فإن الخائث جميماً تباح للمضطرب فله أن يأكل عند الضرورة الميّة والدم ولحم الخنزير وله أن يشرب عند الضرورة ما يرويه كالمياه النجسة والأبوال التي ترويه وإنما منعه أكثر الفقهاء عن شرب الخمر قالوا لأنها تزيده عطشاً وأما التوضؤ بما الولوغ فلا يجوز عند جماهير العلماء بل يعدل عنه إلى التيمم ويجب على المضطرب أن يأكل ويشرب ما يقيم به نفسه فمن اضطر إلى الميّة أو الماء النجس فلم يشرب ولم يأكل حتى مات دخل النار ولو وجد غيره مضطرباً إلى ما معه من الماء الطيب أو النجس فعليه أن يسقيه إياه ويعدل إلى التيمم سواء كان عليه جناية أو حدث صغير ومن إغتسل وتوضأ وهناك مضطرب من أهل الملة أو الذمة أو دوابهم المعصومة فلم يسقه كان آثماً عاصياً والله أعلم³

11-الضرورة بسبب محظوظ لا تستباح بها المحرمات

قال تعالى { إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنْزِيرِ وَمَا أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ باعِ لَا عَادِ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } النحل 115

سائر العبادات من الصلاه والجهاد وغير ذلك كل ذلك واجب مع القدرة فاما مع العجز فان الله لا يكلف نفسها إلا وسعها ولهذا أمر الله المصلى ان يتظاهر بالماء فان عدمه او خاف الضرر باستعماله لشدة البرد او جراحته او غير ذلك تيمم صعيده طيباً فمسح بوجهه ويديه منه وقال النبي لعمران بن حصين صل قائماً فان لم تستطع فقاعداً فان لم تستطع فعلى جنب فقد أوجب الله فعل الصلاة في الوقت على أي حال أمكن كما قال تعالى { حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةَ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَائِنِتَيْنَ } 238 { فَإِنْ خَفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكَبًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَمْكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ } 239-238 البقرة فأوجب الله الصلاة على الآمن والخائف والصحيح والمريض والغني والفقير والمسافر وحفظها على المسافر والخائف والمريض كما جاء به الكتاب والسنة

¹ مجموع الفتاوى ج: 24 ص: 269 و مجموع الفتاوى ج: 21 ص: 563

² مجموع الفتاوى ج: 24 ص: 276

³ مجموع الفتاوى ج: 21 ص: 79

وكذلك أوجب فيها واجبات من الطهارة والستارة واستقبال القبلة وأسقط ما يعجز عنه العبد من ذلك فلوا انكسرت سفينة قوم او سلبهم المحاربون ثيابهم صلوا عراة بحسب احوالهم وقام امامهم وسطهم لئلا يرى الباقيون عورته ولو اشتبهت عليهم القبلة اجتهدوا في الاستدلال عليها فلو عميت الدلائل صلوا كيماً كيماً كما قد روى أنهم فعلوا ذلك فهكذا الجهاد والولايات وسائر أمور الدين وذلك كله في قوله تعالى {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا أَسْتَطَعْتُمْ} ¹ التغابن 16 وفي قول النبي إذا امرتم بأمر فأتوا منه ما تستطعتم كما ان الله تعالى لما حرم المطاعم الخبيثة قال {فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} ² النحل 15 وقال تعالى {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَاجٍ} ³ الحج 78 وقال تعالى {مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَاجٍ} ⁴ المائدة 6 فلم يوجب مالاً يستطيع ولم يحرم ما يضطر إليه إذا كانت الضرورة بغير معصية من العبد ⁵

قال تعالى {إِنَّمَا حَرَمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنَزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} ⁶ النحل 115 فالضرورة بسبب محظوظ لا تستباح بها المحرمات ⁷ بخلاف الضرورة التي هي بسبب غير محظوظ ⁸

قال تعالى {إِنَّمَا حَرَمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنَزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} ⁹ النحل 115 ثم انه بعد هذا حرم الله أشياء فلم يكن بين نفي تحريمها في الزمان الأول وإثبات تحريمها في الزمان الثاني منافاة ولكن يظهر الدين إذا أوجب شيئاً ثم نسخ إيجابه كما نسخ إيجاب الصدقة بين يدي النجوى ففي مثل هذا يتمسك بالنص الناسخ دون المنسوخ كما يتمسك بالإقرار بالوفاء الناسخ للإقرار بالدين ¹⁰

ان هذا الدين يسر ولن يشد الدين احد الا غلبه

قال تعالى {إِنَّمَا حَرَمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنَزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} ¹¹ النحل 115

قد أمر الله رسوله بأفعال واجبة ومستحبة وإن كان الواجب مستحبًا وزيادة ونهي عن أفعال محرمة أو مكرهه والدين هو طاعته وطاعة رسوله وهو الدين والتقوى والبر والعمل الصالح والشرعية والمناهج وإن كان بين هذه الأسماء فروق وكذلك حمد أفعالاً هي الحسنات ووعدها وذم أفعالاً هي السيئات وأوعد عليها وقيد الأمور بالقدرة والاستطاعة والواسع والطاقة فقال تعالى {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا أَسْتَطَعْتُمْ} ¹² التغابن 16 وقال تعالى {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ} ¹³ البقرة 286 وقال تعالى {وَمَنْ قُدْرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلَيُنْفَقْ مِمَّا أَتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا أَتَاهَا} ¹⁴ الطلاق 7 وكل من الآيتين وإن كانت عامة فسبب الأولى المحاسبة على ما في النفوس وهو من

¹ مجموع الفتاوى ج: 28 ص: 389 و السياسة الشرعية ج: 1 ص: 136

² مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 347

³ الجواب الصحيح ج: 2 ص: 41

جنس أعمال القلوب وسبب الثانية الاعطاء الواجب وقال {لَيْسَ عَلَى الْضُّعْفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى
وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِهِ وَرَسُولِهِ} التوبة 91 وقد ذكر في
الصوم والاحرام والطهارة والصلة والجهاد من هذا أنواعاً وقال في المنهايات {فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ
بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} النحل 115¹

ان الله سبحانه أمرنا بالمعروف وهو طاعة رسوله وهو الصلاح والحسنات والخير والبر
ونهى عن المنكر وهو معصيته ومعصية رسوله وهو الفساد والسيئات والشر والفساد وقيد الإيجاب
بالاستطاعة والواسع واباح ما حرم ما يضطر المرء اليه غير باع ولا عاد فقال تعالى انتقوا الله
حق تقاته سورة آل عمران 102 وقال فاتقوا الله ما استطعتم سورة التغابن 16 وثبت في
الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ذروني ما تركتم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة
سوأهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وإذا امرتكم بأمر فاتوا منه ما استطعتم
فأوجب مما امر به ما يستطاع وكذلك فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال في حديث اخر انكم لن
تحصوا او تستطعوا كل ما امرتم به ولكن وقال ان هذا الدين يسر ولن يشاد الدين احد الا غلبه
فسدوا وقاربوا واستعينوا بالغدوة والروحه وشيء من الدلجة والقصد القصد تبلغوا وهذا العام
المجمل فصله فقال في المحرمات {إِنَّمَا حَرَمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنَزِيرِ وَمَا أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ
فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ باعِ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} النحل 115 فهذا في تحريم المطاعم قد رفع
الاثم عن اضطر غير باع ولا عاد والباغي والعادي قد قيل انهما صفة للشخص مطلقا فالباغي
كالباغي على امام المسلمين واهل العدل منهم كما قال تعالى {فَإِنْ بَعْثَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى
فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَبْغِي إِلَى أَمْرِ اللَّهِ} الحجرات 9 والعادي كالصالئ قاطع الطريق الذي يريد
النفس او المال وقيل انهما صفة لغير المضرر فالباغي الذي يبغى المحرم مع قدرته على الحلال
والعادي الذي يتتجاوز قدر الحاجة كما قال {فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ} المائدة 3²

التحريم باق على اليهود بعد مبعث محمد لا يزول إلا بمتابعته

قال تعالى { يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَبَعُوا حُطُوطَ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ
عَذُولٌ مُبِينٌ } البقرة 168 خاطب الناس بأكل ما في الأرض حلاً طيباً وأن لا يتبعوا خطوات الشيطان
في خلاف ذلك فإنه إنما يأمر بالسوء والفحشاء وأن يقولوا على الله مالا يعلمون فيقولوا هذا حرام
وهذا حلال أو غير ذلك مما يقولونه على الله في الأمور الخبرية والعملية بلا علم كما قال تعالى {
وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَتَفَرُّوْا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَقْتَرُونَ
عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ } 116 متابع قليل ولهم عذاب أليم } 117 النحل 116-117 ثم إن هؤلاء

¹ مجموع الفتاوى ج: 20 ص: 50

² الاستقامة ج: 2 ص: 316

الذين يقولون على الله بغير علم إذا قيل لهم { اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءِنَا } البقرة 170 فليس عندهم علم بل عندهم اتباع سلفهم وهو الذي اعتادوه وتربيوا عليه ثم خاطب المؤمنين خصوصا فقال { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُّاً مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ إِيمَانَ تَعْبُدُونَ } 172 { إِنَّمَا حَرَمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمْ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ } 173 { البقرة 173 فأمرهم بأكل الطيبات مما رزقهم لأنهم هم المقصودون بالرزق ولم يشترط الحل هنا لأنه إنما حرم ما ذكر فما سواه حلال لهم والناس إنما أمرهم بأكل ما في الأرض حلا طيبا وهو إنما أحل للمؤمنين والكافر لم يحل لهم شيئا فالحل مشروط بالإيمان ومن لم يستعن ببرزقه على عبادته لم يحل له شيئا وإن كان أيضا لم يحرمه فلا يقال إن الله أحله لهم ولا حرمه وإنما حرم على الذين هادوا ما ذكره في سورة الأنعام ولهذا أنكر في سورة الأنعام وغيرها على من حرم ما لم يحرمه كقوله { قُلْ الَّذِكَرَيْنِ حَرَمَ أَمِ الْأَنْثَيْنِ } الأنعام 143 ثم قال { وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرِ } الأنعام 146 ثم قال تعالى { قُلْ تَعَالَوْا أَتُنْ مَا حَرَمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ } الأنعام 151 الآيات وقال في سورة النحل { وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلٍ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفَسَهُمْ يَظْلَمُونَ } النحل 118 الآية وأخبر أنه حرم ذلك ببغفهم فقال { فَيُظْلَمُ مَنْ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أَحَلْتُ لَهُمْ } النساء 160 وقال { ذَلِكَ جَرِيَّنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ } الأنعام 146 وهذا كله يدل على أصح قولى العلماء وهو أن هذا التحرير باق عليهم بعد مبعث محمد لا يزول إلا بمتابعته لأنه تحرير عقوبة على ظلمهم وبغفهم وهذا لم ينزل بل زاد وتغلوظ فكانوا أحق بالعقوبة واياضا فان الله تعالى أخبر بهذا التحرير بعد مبعث محمد ليبين أنه لم يحرم إلا هذا وهذا فلو كان ذلك التحرير قد زال لم يستثنه وأياضا فان التحرير لا يزول الا بتحليل منه وهو إنما أحل أكل الطيبات للمؤمنين بقوله { لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا } المائدة 93 الآية و قوله { أَحَلْتُ لَكُمْ بَهِيمَةَ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتَّلِي عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحْلِي الصَّيْدِ } المائدة 1 و قوله { يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَ لَهُمْ قُلْ أَحَلَ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ } المائدة 4 إلى قوله { وَطَعَامُ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ } المائدة 5 وهذا خطاب للمؤمنين ولهذا قال { وَطَعَامُ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ } المائدة 5 ثم قال { وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ } المائدة 5 فلو كان ما أحل لنا حلا لهم لم يحتاج الي هذا و قوله { وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ } المائدة 5 لا يدخل فيه ما حرم عليهم كما أن قوله { وَطَعَامُ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ } المائدة 5 لا يدخل فيه ما حرم علينا مما يستحلونه هم كصيد الحرم وما أهل به لغير الله و هل يدخل في طعامهم الذي أحل لنا ما حرم عليهم ولم يحرم علينا مثل ما إذا ذكروا الإبل هذا فيه نزاع معروف فالمشهور من مذهب مالك هو أحد القولين في مذهب أحمد تحريره ومذهب أبي حنيفة والشافعى والقول الآخر في مذهب أحمد حله و هل العلة انهم لم يقصدوا ذكاته أو العلة انه ليس من طعامهم فيه نزاع وإذا ذبحوا للمسلم فهل هو كما اذا ذبحوا لأنفسهم فيه نزاع وفي جواز ذبحهم النسك اذا كانوا من يحل ذبحهم قوله مما رواني عن أحمد فالمنع مذهب مالك والجواز مذهب ابى حنيفة والشافعى فإذا كان الذاجح يهوديا صار في الذاجح علنات وليس هذا موضع هذه المسائل¹

¹ مجموع الفتاوى ج: 19 ص: 264-266

يجىء الوصف فى القرآن مستعملاً فى الكذب

قال تعالى { وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ الْسِّنَّكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَتَقْرُرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَقْرُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ } 116 { مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } 117 { النحل }

فالواصف ان لم يكن قوله مطابقاً كان كاذباً ولهذا انا نجيء الوصف في القرآن مستعملاً في الكذب بأنه وصف يقوم بالواصف من غير أن يقوم بالموصوف شيء كقوله سبحانه { سَيَجْزِيهِمْ وَصَفْهُمْ } الأنعام 139 { وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ الْسِّنَّكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَتَقْرُرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَقْرُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ } النحل 116 { وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ الْسِّنَّهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى } النحل 62 { سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ } الصافات 180 وقد جاء مستعملاً في الصدق فيما أخر جاه في الصحيحين عن عائشة أن رجلاً كان يكثر قراءة قل هو الله أحد ف قال النبي سلوه لم يفعل ذلك فقال لأنها صفة الرحمن فأننا أحبهما فقال النبي صلى الله عليه وسلم أخبروه أن الله يحبه

قال تعالى { وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ الْسِّنَّكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَتَقْرُرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَقْرُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ } 116 { مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } 117 { النحل }

ما حرم المشركون لم يحرمه على لسان موسى ولا لسان محمد

قال تعالى { وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمَنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكِ مِنْ قَبْلٍ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفَسُهُمْ يَظْلِمُونَ } النحل 118 ما كان يحرمه أهل الجاهلية مما ذكره الله في القرآن كالسائبنة والوصلية والحام وغير ذلك هو من الدين المبدل ولهذا لما ذكر الله ذلك عنهم في سورة الأنعام بين ان من حرم ذلك فقد كذب على الله وذكر تعالى ما حرم على لسان محمد وعلى لسان موسى في الانعام فقال { قُلْ لَا أَحِدٌ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوْحًا أَوْ لَحْمً خَنَزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } الأنعام 145 وكذلك قال بعد هذا { وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمَنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنِمِ حَرَمَنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلْتُ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَارِيَا أَوِ مَا اخْتَلَطَ بِعَظِيمٍ ذَلِكَ جَزِيَّنَاهُمْ بِبَعِيْهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ } الأنعام 146 فيبين ان ما حرم المشركون لم يحرمه على لسان موسى ولا لسان محمد وهذا هما اللذان جاءا بكتاب فيه الحلال والحرام كما قال تعالى { قُلْ فَأَتُوا بِكِتابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَثْقَلُهُ } القصص 49 وقال تعالى { وَمَنْ قَبْلِهِ كِتابٌ مُوسَى إِمَاماً وَرَحْمَةً } هود 17 ان هذا والذى جاء به موسى ليخرجان من مشكاة واحدة وكذلك قال النجاشى فالقرآن والتوراة هما كتابان جاءا من عند الله لم يأت من عنده كتاب أهدى منها كل منها أصل مستقل والذى فيهما دين واحد وكل منها يتضمن اثبات صفات الله تعالى والأمر بعبادته وحده لا شريك له وفيه التوحيد قوله عملاً كما في سورة الاخلاص قل يا أيها الكافرون و قل هو الله احد وأما الزبور فان داود لم يأت بغير شريعة التوراة وإنما في الزبور ثناء على الله ودعاء وأمر ونهى بدينه وطاعته وعبادته

¹ مجموع الفتاوى ج: 6 ص: 319

مطلاً واما المسيح فانه قال {وَلَا حِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ} آل عمران 50 فاحل لهم بعض المحرمات وهو في الاكثر متبع لشريعة التوراة ولهذا لم يكن بد لمن اتبع المسيح من ان يقرأ التوراة ويتابع ما فيها اذ كان الانجيل تبعا لها وأما القرآن فانه مستقل بنفسه لم يحوج أصحابه الى كتاب آخر بل اشتمل على جميع ما في الكتب من المحسن وعلى زيادات كثيرة لا توجد في الكتب فلهذا كان مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهما فينا عليه يقرر ما فيها من الحق ويبيطل ما حرف منها وينسخ ما نسخه الله فيقرر الدين الحق وهو جمhour ما فيها ويبيطل الدين المبدل الذي لم يكن فيها والقليل الذي نسخ فيها فان المنسوخ قليل جدا بالنسبة الى المحكم المقرر¹

الله سبحانه الحكم العدل الذي لا يظلم مثقال ذرة

قال تعالى { وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمَنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكُمْ مِنْ قَبْلٍ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكُنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ } النحل 118 وقد قال تعالى { وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْنَمًا } طه 112 قال المفسرون الظلم هو أن يحمل عليه سيدات غيره ويعاقب بغير ذنبه والهضم أن يهضم من حسناته وقال تعالى { وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكُنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ } النحل 118 وفي الحديث الصحيح عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي قال يقول الله تعالى يا عبادي انى حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا يا عبادي كلكم ضال الا من هديته فاستهدوني اهدكم عبادي كلكم جائع الى من اطعنته فاستطعتموني اطعمكم يا عبادي كلهم عار الا من كسوته فاستكسوني اكسكم يا عبادي انكم تذنبون بالليل والنهار وانا اغفر الذنوب ولا ابالى فاستغفروني اغفر لكم يا عبادي لو ان اولكم وأخركم وانكم وجنكم كانوا على اتقى قلب رجل واحد منكم مازاد ذلك في ملكي شيئا يا عبادي لو ان اولكم وأخركم وانكم وجنكم كانوا على افجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا يا عبادي لو ان اولكم وأخركم وانكم وجنكم اجتمعوا في وصعيد واحد فسألوني فأعطيت كل واحد منهم مسألته ما نقص ذلك من ملكي الا كما ينقص المحيط الا اذا غمس في البحر يا عبادي انما هي اعمالكم احصيها لكم ثم او فيكم ايها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلوم من الا نفسه²

فالله سبحانه وتعالى حرم على نفسه الظلم والظلم ممتنع من الله سبحانه وتعالى باتفاق المسلمين وقيل الظلم وضع الشيء في غير موضعه فهو سبحانه لا يظلم الناس شيئا³

¹ مجموع الفتاوى ج: 19 ص: 183-185

² مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 87 و أمراض القلوب ج: 1 ص: 78 و التحفة العراقية ج: 1 ص: 78-79

³ مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 219

الجهمية وغيرهم يقولون بان الله عز وجل يخلق ما هو شر محض لا نفع فيه ولا رحمة ولا حكمة لأحد وإنما يتصف بإرادة ترجح مثلا على مثل لا فرق عنده بين أن يرحم أو يعذب وليس نفسه ولا إرادته مرجة للإحسان إلى الخلق بل تعذيبهم وتعنيتهم سواء عنده وهو مع هذا يخلق ما يخلق لمجرد العذاب والشر ويفعل ما يفعل لا لحكمة ونحو ذلك مما يقوله الجهمية وهم لا يقيمون حجج إيليس وأتباعه على الله ويجعلون الرب ظالما لهم وهو خلاف ما وصف الله به نفسه في قوله تعالى { وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ } النحل 118 كيف يكون ظالما وهم فيما بينهم لو اساء بعضهم إلى بعض أو قصر في حقه لكان يؤاخذه ويعاقبه وينتقم منه ويكون ذلك عدلا إذا لم يعتد عليه ولو قال إن الذي فعلته قدر علي فلا ذنب لي فيه لم يكن هذا عذرا له عندهم باتفاق العقلاء فإذا كان العقلاء متقيين على أن حق المخلوق لا يجوز إسقاطه احتجاجا بالقدر فكيف يجوز إسقاط حق الخالق احتجاجا بالقدر وهو سبحانه الحكم العدل الذي لا يظلم مثقال ذرة وإن تلك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنها أجرًا عظيمًا¹

الأمر الذي كتبه الله على نفسه أو حرمه على نفسه لا يكون إلا مقدورا له

سبحانه

قال تعالى { وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلٍ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ } النحل 118 أن سائر أهل السنة الذين يقررون بالقدر ليس فيهم من يقول إن الله تعالى ليس بعد ولا من يقول إنه ليس بحكيم ولا فيهم من يقول إنه يجوز أن يترك واجبا ولا أن يفعل قبيحا فليس في المسلمين من يتكلم بمثل هذا الكلام الذي أطلقه ومن أطلقه كان كافرا مباح الدم باتفاق المسلمين ولكن هذه مسألة القدر والنزاع فيها معروف بين المسلمين فأمام نفاة القدر كالمعتزلة ونحوهم فقولهم هو الذي ذهب إليه متأخرو الإمامية وأما المثبتون للقدر وهو جمهور الأمة وأئمتها كالصحابة والتابعين لهم بإحسان وأهل البيت وغيرهم فهو لاء تزارعوا في تفسير عدل الله وحكمته والظلم الذي يجب تنزييه عنه وفي تعليل أفعاله وأحكامه ونحو ذلك فقللت طائفة إن الظلما ممتنع منه غير مقدر وهو محال لذاته كالجمع بين النقيضين وإن كل ممكن مقدر فليس هو ظلما وهم الظلة هم الذين قصدوا الرد عليهم وهو لاء يقولون إنه لو عذب المطيعين ونعم العصاة لم يكن ظالما وقلوا الظلم التصرف فيما ليس له والله تعالى له كل شيء أو هو مخالفة الأمر والله لا أمر له وهذا قول كثير من أهل الكلام المثبتين للقدر ومن وافقهم من الفقهاء أصحاب الأئمة الأربعه وقال طائفة بل الظلم مقدر ممكن والله تعالى منزه لا يفعله لعدله ولهذا مدح الله نفسه حيث أخبر أنه لا يظلم الناس شيئا والمدح إنما يكون بترك المقدر عليه لا بترك الممتنع قالوا وقد قال تعالى

¹ الحسنة والسيئة ج: 1 ص: 79

{وَمَن يَعْمَل مِن الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا} طه 12 قالوا الظلم أن يحمل عليه سيئات غيره والهضم أن يهضم حسناته وقال تعالى {ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْفُرْقَى نَقْصُهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ} 100 وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لاما جاء أمر ربك وما زادوهم غير تثبيب 101 هود 100-101 فأخبر أنه لم يظلمهم لما أهلتهم بل أهلتهم بذنبهم وقال تعالى {وَجِيءَ بِالنَّبِيِّنَ وَالشَّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} الزمر 69 فدل على أن القضاء بينهم بغير القسط ظلم والله منزه عنه وقال تعالى {وَنَاصِعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ} الأنبياء 47 أي لا تتقص من حسناتها ولا تعاقب بغير سيئاتها فدل على أن ذلك ظلم ينزله الله عنه وقال تعالى {فَلَمَّا تَخَصِّمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ} 28 ما يبدل القول لدى وما أنا بظلام للغبيدين 29 وإنما نزه نفسه عن أمر يقدر عليه لا عن الممتنع لنفسه ومثل هذا في القرآن في غير موضع مما يبين أن الله ينتصف من العباد ويقضي بينهم بالعدل وأن القضاء بينهم بغير العدل ظلم ينزله الله عنه وأنه لا يحمل على أحد ذنب غيره وقال تعالى {وَلَا تَزِرُ وَازْرَةً وِزْرَ أُخْرَى} الأنعام 164 فإن ذلك ينزله الله عنه بل لكل نفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى يقول يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا فقد حرم على نفسه الظلم كما كتب على نفسه الرحمة في قوله {كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ} الأنعام 54 وفي الحديث الصحيح لما قضى الله الخلق كتب في كتاب فهو موضوع عنده فوق العرش إن رحمتي غلت غضبي والأمر الذي كتبه الله على نفسه أو حرمه على نفسه لا يكون إلا مقدور الله سبحانه فالممتنع لنفسه لا يكتبه على نفسه ولا يحرمه على نفسه وهذا القول أكثر أهل السنة والمثبتين للقدر من أهل الحديث والتفسير والفقه والكلام والتصوف من أتباع الأئمة الأربعه وغيرهم¹

قال تعالى {وَعَلَى الدِّينِ هَادُوا حَرَمَنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلٍ وَمَا ظَلَمَنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفَسُهُمْ يُظْلَمُونَ} النحل 118 قال كثير من أهل السنة والحديث والنظر الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه ومن ذلك أن يبخس المحسن شيئاً من حسناته أو يحمل عليه من سيئات غيره وهذا من الظلم الذي نزه الله نفسه عنه كقوله تعالى {وَمَن يَعْمَل مِن الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا} طه 12 قال غير واحد من السلف الهضم أن يهضم من حسناته والظلم أن يزداد في سيئاته وقد قال تعالى {أَمْ لَمْ يَبْنَا بِمَا فِي صُحْفٍ مُوسَى} 36 وإبراهيم الذي وفي 37 {الآتَزْرُ وَازْرَةً وِزْرَ أُخْرَى} 38 وأن ليس للإنسان إلا ما سعى 39 النجم 36-39 وقال {فَلَمَّا تَخَصِّمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ} 28 ما يبدل القول لدى وما أنا بظلام للغبيدين 29 وإنما حديث البطاقة الذي رواه الترمذى وغيره وحسنه ورواه الحاكم فى صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ي جاء يوم القيمة برجل من أمنى على رؤوس الخلاق فينشر له تسعة وتسعون سجلا كل سجل منها مد البصر ثم يقول الله تعالى له أتتكر من هذا شيئاً فيقول لا يارب فيقول الله عز وجل ألك عذراً أو حسنة فيهاب الرجل فيقول لا يارب فيقول الله تعالى بلى إن لك عندنا

¹ منهاج السنة النبوية ج: 1 ص: 137-139

حسنات و أنه لا ظلم عليك فتخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فيقول يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقول أنك لا تظلم قال فتوضع السجلات في كفة و البطاقة في كفة فطاشت السجلات و ثقلت البطاقة **وقال تعالى {اليوم ثُجْرَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمُ الْيَوْمِ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ** {غافر} 17 و قال تعالى {وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ} {الزخرف} 76 و قال **{وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}** {النحل} 118 و مثل هذه النصوص كثيرة و معلوم أن الله تعالى لم ينف بها الممتنع الذي لا يقبل الوجود كالجمع بين الضدين فإن هذا لم يتوهم أحد و جوده و ليس في مجرد نفيه ما يحصل به مقصود الخطاب فإن المراد بيان عدل الله و أنه لا يظلم أحدا كما قال تعالى **{وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا}** {الكهف} 49 بل يجازيهم بأعمالهم و لا يعاقبهم إلا بعد إقامه الحجة عليهم كما قال الله تعالى **{وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا}** {الإسراء} 15 و قال **{رَسُولاً مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لَنَّا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرَّسُولِ}** {النساء} 165 و قال تعالى **{وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقَرَى حَتَّىٰ يَبْيَعَثَ فِي أُمَّهَا رَسُولاً يَتَلَوَّ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقَرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ}** {القصص} 59 و في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال **ما أحد أحب إليه العذر من الله من أجل ذلك بعث الرسل و أنزل الكتب**¹

ظلم النفس جنس عام يتناول كل ذنب

قال تعالى **{وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمَنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكِ مِنْ قَبْلٍ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}** {النحل} 118 والتحقيق أن **ظلم النفس جنس عام يتناول كل ذنب** وفي الصحيحين أن أبي بكر قال يا رسول الله علمني دعاء أدعوه به في صلاتي فقال **قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم وفي صحيح مسلم وغيره أن النبي كان يقول في استفتاحه **اللهم أنت ربى وأنا عبدك ظلمت نفسي** واعترفت بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت واهدى لأحسن الأخلاق فإنه لا يهدى لأحسنها إلا أنت واصرف عنى سينها فإنه لا يصرف عنى سينها إلا أنت**

وقد قال أبوالبشر وزوجته **{قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ}** {الأعراف} 23 وقال موسى **{رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي}** {القصص} 16 وقال ذو النون **يونس** **{لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ}** {الأنبياء} 87 وقالت بليقيس **{رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمانَ اللَّهَ رَبِّ الْعَالَمِينَ}** {النمل} 44 وقد قال عن أهل القرى المعذبين **{وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ**

{ هود 101 }²

¹ مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 506-508

² مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 693

الانسان هو فاعل السيئات وانه يستحق عليها العقاب

قال تعالى { وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلٍ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ } **النحل 118** قال تعالى { مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا } **النساء 79** فهذه الاية بيان أن الإنسان هو فاعل السيئات وأنه يستحق عليها العقاب والله ينعم عليه بالحسنات عملها وجزائها فإنه إذا كان ما أصابهم من حسنة فهو من الله فالنعم من الله سواء كانت ابتداء أو كانت جزاء وإذا كانت جزاء وهي من الله فالعمل الصالح الذي كان سببها هو أيضا من الله أنعم بهما الله على العبد وإلا فلو كان هو من نفسه كما كانت السيئات من نفسه لكان كل ذلك من نفسه والله تعالى قد فرق بين النوعين في الكتابة والسنة كما في الحديث الصحيح الإلهي عن الله يا عبادي إنما هي أعمالكم وفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه قال تعالى { وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلٍ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ } **النحل 1**

وقال تعالى عموما عن أهل القرى المهلكة { وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ } **هود 101**
فظلموا أنفسهم بإرتکابهم ما نهوا عنه وبعصيانهم لأنبيائهم وبتركهم التوبة إلى ربهم²

السيئات فمنشأها الجهل والظلم

قال تعالى { ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ } **النحل 119** وأما السيئات فمنشأها الجهل والظلم فإن أحدا لا يفعل سيئة قبيحة إلا لعدم علمه بكونها سيئة قبيحة أو لهواه وميل نفسه إليها ولا يترك حسنة واجبة إلا لعدم علمه بوجوبها أو لبعض نفسه لها وفي الحقيقة فالسيئات كلها ترجع إلى الجهل وإلا فلو كان عالما علما نافعا بأن فعل هذا يضره ضررا راجحا لم يفعله فإن هذا خاصية العاقل ولهذا إذا كان من الحسنات ما يعلم أنه يضره ضررا راجحا كالسقوط من مكان عال أو في نهر يغرقه أو المرور بجانب حائط مائل أو دخول نار متأجة أو رمي ماله في البحر ونحو ذلك لم يفعله لعلمه بأن هذا ضرر لا منفعة فيه ومن لم يعلم أن هذا يضره كالصبي والمجنون والساهي والغافل فقد يفعل ذلك ومن أقدم على ما يضره مع علمه من الضرر عليه فلظنه أن منفعته راجحة فاما أن يجزم بضرر مرجوح أو يظن أن

¹ مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 248 والحسنة والسيئة ج: 1 ص: 31

² مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 572

الخير راجح فلا بد من رجحان الخير إما في الظن وإما في المظنون كالذي يركب البحر ويصادر الأسفار البعيدة للربح فإنه لو جزم بأنه يغرق أو يخسر لما سافر لكنه يترجح عنده السلامة والربح وإن كان مخطئاً في هذا الظن وكذلك الذنب إذا جزم السارق بأنه يؤخذ ويقطع لم يسرق وكذلك الزاني إذا جزم بأنه يرجم لم يزن والشارب يختلف حاله فقد يقدم على جلد أربع وثمانين ويدين الشرم مع ذلك ولهذا كان الصحيح أن عقوبة الشارب غير محددة بل يجوز أن تنتهي إلى القتل إذا لم ينته إلا بذلك كما جاءت بذلك الأحاديث كما هو مذكور في غير هذا الموضع وكذلك العقوبات متى جزم طالب الذنب بأنه يحصل له به الضرر الراجح لم يفعله بل إما أن لا يكون جازماً بتحريره أو يكون غير جازم بعقوبته بل يرجو العفو بحسنات أو توبة أو بعفو الله أو يغفل عن هذا كله ولا يستحضر تحريماً ولا وعداً فيبقى غافلاً غير مستحضر للتحريم والغفلة من أضداد العلم فالغفلة والشهوة أصل الشر قال تعالى {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاءِ وَالْعَشَيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلَنَا قُلْبُهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا} الكهف 28 والهوى وحده لا يستقل بفعل السيئات إلا مع الجهل والإفصاح الهوى إذا علم قطعاً أن ذلك يضره ضرراً راجحاً انصرفت نفسه عنه بالطبع فإن الله تعالى جعل في النفس حباً لما ينفعها وبغضها لما يضرها فلا تفعل ما تجزم بأنه يضرها ضرراً راجحاً بل متى فعلته كان لضعف العقل ولها يوصف هذا بأنه عاقل وذو نهى وذو حجي ولهاذا كان البلاء العظيم من الشيطان لا من مجرد النفس فإن الشيطان يزين لها السيئات ويأمرها بها ويذكر لها ما فيها من المحاسن التي هي منافع لا مضار كما فعل إبليس بأدم وحواء فأصل ما يوقع الناس في السيئات الجهل وعدم العلم بكونها تضرهم ضرراً راجحاً أو ظن أنها تنفعهم نفعاً راجحاً ولهاذا قال الصحابة رضي الله عنهم كل من عصى الله فهو جاهل قال تعالى {ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغُفُورٌ رَّحِيمٌ} النحل 119 ولهاذا يسمى حال فعل السيئات الجاهليه فإنه يصاحبها حال من حال جاهليه وعن قادة قال أجمع أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم على أن كل من عصى ربه فهو في جهالة عمداً كان أو لم يكن وكل من عصى الله فهو جاهل وكذلك قال التابعون ومن بعدهم قال مجاهد من عمل ذنباً من شيخ أو شاب فهو بجهالة وقال من عصى ربه فهو جاهل حتى ينزع عن معصيته وقال أيضاً هو إعطاء الجهل العمد وقال مجاهد أيضاً من عمل سوءاً خطأ أو إنما عمداً فهو جاهل حتى ينزع منه وراهن ابن أبي حاتم ثم قال روى عن قادة وعمرو ابن مرة والثوري ونحو ذلك خطأ أو عمداً وروى عن مجاهد والضحاك قالاً ليس من جهالته أن لا يعلم حلالاً ولا حراماً ولكن من جهالته حين دخل فيه وقال عكرمة الدنيا كلها جهالة وعن الحسن البصري أنه سئل عنها فقال لهم لم يعلموا ما لهم مما عليهم قيل له أرأيت لو كانوا قد علموا قال فليخرجوا منها فإنها جهالة¹

قال تعالى {ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغُفُورٌ رَّحِيمٌ} النحل 119 والأمور التي حرمتها الله ورسوله من الشرك والسحر والقتل والزنا وشهادة الزور وشرب الخمر وغير ذلك من المحرمات قد يكون للنفس فيها حظ مما تعدد منفعة أو دفع مضره

¹ الحسنة والسيئة ج: 1 ص: 62-63

ولولا ذلك ما أقدمت النفوس على المحرمات التي لا خير فيها بحال وإنما يوقع النفوس في المحرمات الجهل أو الحاجة فاما العالم بقبح الشيء والنهى عنه فكيف يفعله والذين يفعلون هذه الأمور جميعها قد يكون عندهم جهل بما فيه من الفساد وقد تكون بهم حاجة إليها مثل الشهوة إليها وقد يكون فيها من الضرر أعظم مما فيها من اللذة ولا يعلمون ذلك لجهلهم أو تغلبهم أهواؤهم حتى يفعلوها والهوى غالبا يجعل صاحبه كأنه لا يعلم من الحق شيئا فإن حبك للشيء يعمى ويصم ولهذا كان العالم يخشى الله وقال أبو العالية سأله أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن قول الله عز وجل {إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ} النساء 17 الآية فقالوا كل من عصى الله فهو جاهل وكل من تاب قبل الموت فقد تاب من قريب وليس هذا موضع البسط لبيان ما في المنهيات من المفاسد الغالبة وما في المأمورات من المصالح الغالبة بل يكفي المؤمن أن يعلم أن ما أمر الله به فهو لمصلحة محسنة أو غالبة وما نهى الله عنه فهو مفسدة محسنة أو غالبة وإن الله لا يأمر العباد بما أمرهم به ل حاجته إليهم ولا نهاهم عما نهاهم بخلافه عليهم بل أمرهم بما فيه صلاحهم ونهاهم عما فيه فسادهم ولهذا وصف نبيه صلى الله عليه وسلم بأنه {يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيَحْرِمُ عَنْهُمُ الْخَبَائِثَ} الأعراف 157¹

المغفرة لكل ذنب للتائب منه

قال تعالى {ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ} النحل 119 قوله يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا وفي رواية وأنا أغفر الذنوب ولا أبالى فاستغفرونني أغفر لكم فالمفترة العامة لجميع الذنوب نوعان أحدهما المغفرة لمن تاب كما في قوله تعالى {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَّحْمَةِ اللَّهِ} 53 وآتينيوا إلى ربكم وأسلموه من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون {54} الزمر 54-53 فهذا السياق مع سبب نزول الآية يبين أن المعنى لا يتأس مذنب من مغفرة الله ولو كانت ذنبه ما كانت فإن الله سبحانه وتعالى لا يتغاضمه ذنب أن يغفره لعبدة التائب وقد دخل في هذا العموم الشرك وغيره من الذنوب فإن الله تعالى يغفر ذلك لمن تاب منه قال تعالى {فَإِذَا اسْلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ} التوبة 5 إلى قوله {فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُوا سَبِيلُهُمْ} التوبة 5 وقال في الآية الأخرى {فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَلَا خُواْنُكُمْ فِي الدِّينِ} التوبة 11 وقال {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ} المائدة 73 إلى قوله {أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} المائدة 74 وهذا القول الجامع بالمغفرة لكل ذنب للتائب منه كما دل عليه القرآن والحديث هو الصواب عند جماهير أهل العلم وإن كان من الناس من يستثنى بعض الذنوب كقول بعضهم إن توبه الداعية إلى البدع لا تقبل باطننا للحديث الإسرائيلي الذي فيه فكيف من أضللت وهذا غلط فإن الله قد بين في كتابه وسنة رسوله أنه يتوب على أئمة الكفر الذين هم أعظم من أئمة البدع وقد قال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ

¹ مجموع الفتاوى ج: 27 ص: 91 و زيارة القبور ج: 1 ص: 52

جَهَنَّمْ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ } البروج 10 قال الحسن البصري إنظروا إلى هذا الكرم عذبوا أولياءه وفتنوهم ثم هو يدعوهم إلى التوبة وكذلك توبة القاتل ونحوه وحديث أبي سعيد المتفق عليه في الذي قتل تسعة وتسعين نفساً يدل على قبول توبته وليس في الكتاب والسنة ما ينافي ذلك ولا نصوص الوعيد فيه وفي غيره من الكبار بمنافاة لنصوص قبول التوبة فليست آية الفرقان بمنسوبة بأية النساء إذ لا منافاة بينهما فإنه قد علم يقيناً أن كل ذنب فيه وعید فإن لحقوق الوعيد مشروط بعدم التوبة إذ نصوص التوبة مبينة لتلك النصوص كالوعيد في الشرك وأكل الربا وأكل مال اليتيم والسرور وغير ذلك من الذنوب ومن قال من العلماء توبته غير مقبولة فحقيقة قوله التي تلائم أصول الشريعة أن يراد بذلك أن التوبة المجردة تسقط حق الله من العقاب وأما حق المظلوم فلا يسقط بمجرد التوبة وهذا حق ولا فرق في ذلك بين القاتل وسائر الظالمين فمن تاب من ظلم لم يسقط بتوبته حق المظلوم لكن من تمام توبته أن يعوضه بمثل مظلمته وإن لم يعوضه في الدنيا فلا بد له من العوض في الآخرة فينبغي للظالم التائب أن يستكثر من الحسنات حتى إذا استوفى المظلومون حقوقهم لم يبق مفلاً ومع هذا فإذا شاء الله أن يعوض المظلوم من عنده فلا راد لفضلة كما إذا شاء أن يغفر ما دون الشرك لمن يشاء ولهذا في حديث القصاص الذي ركب فيه جابر بن عبد الله إلى عبد الله بن أنيس شهرًا حتى شافهه به وقد رواه الإمام أحمد وغيره وإشتهد به البخاري في صحيحه وهو من جنس حديث الترمذى صاحبه أو حسانه قال فيه إذا كان يوم القيمة فإن الله يجمع الخلائق في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الملك أنا الديان لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولا لأحد من أهل النار قبله مظلمة ولا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار ولا لأحد من أهل الجنة حتى اقصه منه فيبي في الحديث العدل والقصاص بين أهل الجنة وأهل النار وفي صحيح مسلم من حديث أبي سعيد إن أهل الجنة إذا عبروا الصراط وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتصر بعضهم من بعض فإذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة وقد قال سبحانه وتعالى لما قال { وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا } الحجرات 12 والإغتياب من ظلم الأعراض قال { أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهُنْمُوْهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَابُ رَحِيمٌ } الحجرات 12 فقد نبههم على التوبة من الإغتياب وهو من الظلم وفي الحديث الصحيح من كان عنده لأخيه مظلمة في دم أو مال أو عرض فليأته فليستحل منه قبل أن يأتي يوم ليس فيه درهم ولا دينار إلا الحسنات والسيئات فإن كان له حسنات وإلا اخذ من سيئات صاحبه فطرحت عليه ثم يلقى في النار أو كما قال وهذا فيما علمه المظلوم من العوض فاما إذا إغتابه أو قذفه ولم يعلم بذلك فقد قيل من شرط توبته إعلامه وقيل لا يشترط ذلك وهذا قول الأكثرين وهما روایتان عن أحمد لكن قوله مثل هذا أن يفعل مع المظلوم حسنات كالدعاء له والإستغفار وعمل صالح يهدى إليه يقوم مقام إغتيابه وقذفه قال الحسن البصري كفارة الغيبة أن تستغفر لمن إغتبته وأما الذنوب التي يطلق الفقهاء فيها نفي قبول التوبة مثل قول أكثرهم لا تقبل توبة الزنديق وهو المنافق وقولهم إذا تاب المحارب قبل القدرة عليه تسقط عنه حدود الله وكذلك قول كثير منهم أو أكثرهم في سائر الجرائم كما هو أحد قوله الشافعى واصح الروایتين عن أحمد وقولهم في هؤلاء إذا تابوا بعد الرفع إلى الإمام لم تقبل توبتهم فهذا إنما يريدون به رفع العقوبة المشروعة عنهم أى لا تقبل توبتهم بحيث يخلى بلا عقوبة بل يعاقب أما لأن توبته غير معلومة الصحة بل يظن به الكذب فيها ولما لأن رفع العقوبة بذلك يفضى إلى إنتهاك المحارم وسد باب العقوبة على الجرائم ولا يريدون بذلك إن من تاب من هؤلاء توبة صحيحة فإن الله لا يقبل توبته في الباطن إذ ليس هذا قول أحد من أئمة الفقهاء بل هذه التوبة لا تمنع إلا إذا عاين أمر الآخرة كما قال تعالى { إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَاهَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمًا } 17

وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدُهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تَبَّأْتُ إِلَآنَ وَلَا الَّذِينَ يُمُونُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ {18} النساء 17-18 الآية قال أبو العالية سألت اصحاب محمد عن ذلك فقالوا لى كل من عصى الله فهو جاهل وكل من تاب قبل الموت فقد تاب من قريب وأما من تاب عند معاينة الموت فهذا كفر عنون الذى قال أنا الله فلما أدركه الغرق { قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَإِنَّا مِنَ الْمُسْلِمِينَ } يومنس 90 قال الله تعالى {الآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ } يومنس 91 وهذا إستفهام إنكار بين به أن هذه التوبة ليست هي التوبة المقبولة المأمور بها فإن إستفهام الإنكار إما بمعنى النفي إذا قابل الأخبار وإما بمعنى الذم والتهى إذا قابل الإنشاء وهذا من هذا ومثله قوله تعالى {فَلَمَّا جَاءَنَّهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَحُوا بِمَا عِنْدُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ } 83 فَلَمَّا رَأَوْا بِأَسْنَانِهِمْ أَمَانًا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرُنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ } 84 فَلَمْ يَكُنْ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بِأَسْنَانِهِمْ سُنْنَتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ } 85

غافر 83-85 بين أن التوبة بعد رؤية البأس لا تنفع وإن هذه سنة الله التي قد خلت في عباده

كفر عنون وغيره وفي الحديث إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغري وروى مالم يعاين وقد ثبت في الصحيحين أنه عرض على عمه التوحيد في مرضه الذي مات فيه وقد عاد يهوديا كان يخدمه فعرض عليه الإسلام فأسلم فقال الحمد لله الذي انقذه بي من النار ثم قال لأصحابه آدوا أحكام وما يبيين ان المغفرة العامة في الزمر هي للثائبين أنه قال في سورة النساء {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ } النساء 48 فقيد المغفرة بما دون الشرك وعلقها على المشيئة وهناك أطلق وعمم فدل هذا التقيد والتعليق على أن هذا في حق غير التائب ولهذا يستدل أهل السنة بهذه الآية على جواز المغفرة لأهل الكبائر في الجملة خلافاً لمن أوجب نفوذ الوعيد بهم من الخوارج والمعتزلة وإن كان المخالفون لهم قد أسرف فريق منهم من المرجئة حتى تووقفوا في لحق الوعيد بأحد من أهل القبلة كما يذكر عن غالاتهم أنهم نفوه مطلقاً وبين الله وسط بين الغالى فيه والجافى عنه ونصوص الكتاب والسنة مع إتفاق سلف الأمة وأئمتها متطابقة على أن من

أهل الكبائر من يعذب وأنه لا يبقى في النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان¹

من قال إنه لا يقبل توبة مبتدع مطلقاً فقد غلط غلطاً منكراً

قال تعالى {ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ} النحل 119 وقد قال سبحانه {وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } الأنعام 54 وقال {إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا } النساء 17 فهذا وان كان قال الصحابة والتبعون ان كل عاص فهو جاهل كما قد بسط في موضع آخر فهو متداول لمن يكون علم التحرير أيضاً فدل على انه يكون عملاً سوءاً وان كان لم يسمع الخطاب المبين المنهى عنه وانه يتوب من ذلك فيغفر الله له ويرحمه وان كان لا يستحق العقاب إلا بعد بلوغ الخطاب وقيام الحجة وإذا كانت التوبة والاستغفار تكون من ترك الواجبات وتكون مما لم يكن علم انه ذنب تبين كثرة ما يدخل في التوبة

¹ مجموع الفتاوى ج: 18 ص: 189-192

والاستغفار فان كثيرا من الناس إذا ذكرت التوبة والاستغفار يستشعر قبائح قد فعلها فعلم بالعلم العام أنها قبيحة كالفاحشة والظلم الظاهر فاما ما قد يتخذ دينا فلا يعلم أنه ذنب إلا من علم أنه باطل كدين المشركين وأهل الكتاب المبدل فانه مما تجب التوبة والاستغفار منه وأهله يحسبون أنهم على هدى وكذلك البدع كلها ولهذا قال طائفة من السلف منهم الثوري البدعة أحب إلى إبليس من المعصية لأن المعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها وهذا معنى ما روى عن طائفة أنهم قالوا إن الله حجر التوبة على كل صاحب بدعة بمعنى أنه لا يتوب منها لأنه يحسب أنه على هدى ولو تاب لتاب عليه كما يتوب على الكافر ومن قال إنه لا يقبل توبة مبتدع مطلقا فقد غلط غلطا منكرا ومن قال ما اذن الله لصاحب بدعة في توبة فمعناه ما دام مبتداها يراها حسنة لا يتوب منها فأما إذا أراه الله أنها قبيحة فإنه يتوب منها كما يرى الكافر أنه على ضلال والا فمعلوم أن كثيرا من كان على بدعة تبين له ضلالها وتاب الله عليه منها وهؤلاء لا يحصيهم إلا الله و الخوارج لما أرسل إليهم ابن عباس فاظظرهم ورجع منهم نصفهم أو نحوه وتابوا وقوف منهم آخرون على يد عمر بن عبد العزيز وغيره ومنهم من سمع العلم فتاب وهذا كثير فهذا القسم الذي لا يعلم فاعلوه قوله قبحه قسم كثير من أهل القبلة وهو في غيرهم عام وكذلك ما يترك الإنسان من واجبات لا يعلم وجوبها كثيرة جدا ثم إذا علم ما كان قد تركه من الحسنات من التوحيد والإيمان وما كان مأمورا بالتوبة منه والاستغفار مما كان سيئة والتائب يتوب مما تركه وضيعه وفرط فيه من حقوق الله تعالى كما يتوب مما فعله من السيئات وإن كان قد فعل هذا وترك هذا قبل الرسالة فالرسالة يستحق العقاب على ترك هذا وفعل هذا والا فكونه كان فاعلا للسيئات المذمومة وتاركا للحسنات التي يذم تاركها كان تائبا قبل ذلك كما تقدم وذكرنا القولين قول من نفي الذم والعقاب وقول من أثبت الذم والعقاب فان قيل إذا لم يكن معاقبا عليها فلا معنى لقبحها قيل بل فيه معنيان أحدهما أنه سبب للعقاب لكن هو متوقف على الشرط وهو الحجة قال تعالى { وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُرْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذْتُمْ مَنْهَا } آل عمران 103 فلولا انقاده لسقطوا ومن كان واقفا على شفير فهلاكه موقفه على سقوطه بخلاف ما اذا بان وبعد عن ذلك فقد بعد عن الهلاك فأصحابها كانوا قربين إلى الهلاك والعذاب الثاني أنهم مذمومون منقوصون معيبون فدرجتهم منخفضة بذلك ولا بد ولو قدر أنهم لم يعذبو لا يستحقون ما يستحقه السليم من ذلك من كرامته ايضا وثوابه بهذه عقوبة بحرمان خير وهي احد نوعي العقوبة وهذا وان كان حاصلا لكل من ترك مستحيانا فانه يفوته خيره ففرق بين ما يفوته مالم يحصل له وبين ما ينقص ما عنده وهذا كلام عام فيما لم يعاقب عليه من الذنب وأما من لم يرسل اليه رسول في الدنيا فقد رويت آثار أنهم يرسل اليهم رسول في عرصات القيمة كما قد بسط في مواضع¹

فالتنورة قد يكون من تمامها عمل صالح يعمله

قال تعالى { ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغُفُورٌ رَّحِيمٌ } النحل 119 فالتنورة قد يكون من تمامها عمل صالح يعمله فيبتلى بعد التوبة لينظر دوام

¹ مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 684-686

طاعته قال الله تعالى {إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} آل عمران 89
 في التائب من الردة وقال في كاتم العلم {إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَنُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا
 التَّوَابُ الرَّحِيمُ} البقرة 160 وقال {وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِإِيمَانِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ
 عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}
 الأنعام 54 وقال في القذف {إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} النور 5
 وقال {إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا
 رَّحِيمًا} 70 {وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَإِنَّهُ يُثُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا} 71 الفرقان 70-71 وقال {وَإِنِّي
 لِغَفَارٍ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى} طه 82 ولما تاب كعب بن مالك وصاحبه أمر
 رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين بهجرهم حتى نسائهم ثمانين ليلة وقال النبي صلى الله عليه
 وسلم في الغامدية لما رجمها لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له وهل وجدت أفضل من
 أن جادت بنفسها الله وقد أخبر الله عن توبته علىبني إسرائيل حيث قال لهم موسى {يَا قَوْمَ
 إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنَّدَ بَارِئِكُمْ
 } البقرة 54 وإذا كان الله تعالى قد يبتلى العبد من الحسنات والسيئات والسراء والضراء بما يحصل
 معه شكره وصبره أم كفره وجز عنه وطاعته أم معصيته فالتأييد أحق بالإبتلاء فadam أهبط إلى
 الأرض إبتلاء له ووفقه الله في هبوطه لطاعته فكان حاله بعد الهبوط خيرا من حاله قبل الهبوط¹

"أن الله يحب البصر النافذ عند ورود الشبهات ويحب العقل الكامل عند حلول الشهوات"

قال تعالى {ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهِ
 لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ} النحل 119 فليس مجرد العلم موجباً لحب المعلوم إن لم يكن في النفس قوة أخرى
 تتلائم بالمعلوم وهذه القوة موجودة في النفس وكل من القوتين تقوى بالآخر فالعلم يقوي العمل
 والعمل يقوي العلم فمن عرف الله وقلبه سليم أحبه وكلما إزداد له معرفة إزداد حبه له وكلما إزداد
 حبه له إزداد ذكره له ومعرفته بأسمائه وصفاته فإن قوة الحب توجب كثرة ذكر المحبوب كما أن
 البعض يوجب الاعراض عن ذكر المبغض فمن عادي الله ورسوله واحد الله ورسوله كان ذلك
 مقتضايا لإعراضه عن ذكر الله ورسوله بالخير وعن ذكر ما يوجب المحبة فيضعف علمه به حتى قد
 ينساه كما قال تعالى {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} الحشر 19
 وقال تعالى {وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلَنَا قُلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا} الكهف 28
 وقد يحصل مع ذلك تصديق وعلم مع بعض ومعاداة لكن تصديق ضعيف وعلم ضعيف ولكن لولا
 البعض والمعاداة لأوجب ذلك من محبة الله ورسوله ما يصير به مؤمناً فمن شرط الإيمان وجود
 العلم التام ولهذا كان الصواب أن الجهل ببعض أسماء الله وصفاته لا يكون صاحبه كافراً إذا كان
 مقرأ بما جاء به الرسول ولم يبلغه ما يوجب العلم بما جهله على وجه يقتضي كفره إذا لم يعلمه
 ك الحديث الذي أمر أهله بتحريمه ثم تذريره بل العلماء بالله يتغاضلون في العلم به ولهذا يوصف من لم

¹ مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 322-324

يعلم بعلمه بالجهل وعدم العلم قال تعالى {إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ} النساء 17 قال أبو العالية سألت أصحاب محمد عن هذه الآية فقالوا لي كل من عصى الله فهو جاهل وكل من تاب قبل الموت فقد تاب من قريب ومنه قول ابن مسعود كفى بخشية الله علما وكفى بالإغترار بالله جهلا وقيل للشعبى أيها العالم فقال العالم من يخسي الله وقد قال تعالى {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءِ} فاطر 28 وقال أبو حيان التميمي العلامة ثلاثة عالم بالله وبأمر الله وعالم بالله ليس عالما بأمر الله وعالم بأمر الله ليس عالما بالله فالعالم بالله الذي يخشاه والعالم بأمر الله الذي يعلم حدوده وفرائضه وقد قال تعالى {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءِ} فاطر 28 وهذا يدل على أن كل من خشي الله فهو عالم وهو حق ولا يدل على أن كل عالم يخشاه لكن لما كان العلم به موجبا للخشية عند عدم المعارض كان عدمه دليلا على ضعف الأصل إذ لو قوى لدفع المعارض وهكذا لفظ العقل يراد به الغريزة التي بها يعلم ويراد بها أنواع من العلم ويراد به العمل بموجب ذلك العلم وكذلك لفظ الجهل يعبر به عن عدم العلم ويعبر به عن عدم العمل بموجب العلم كما قال النبي إذا كان أحدكم صائم فلام يرفث ولا يجهل فإن امرؤ شاتمه أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم والجهل هنا هو الكلام الباطل بمنزلة الجهل المركب ومنه قول الشاعر ألا لا يجهل أحد علينا فجهل فوق جهل الجاهلين

ومن هذا سميت **الجاهلية** جاهلية وهي متضمنة لعدم العلم أو لعدم العمل به ومنه قول النبي لأبي ذر إنك امرؤ فيك جاهلية لما سأب رجلا وغيره بأمه وقد قال تعالى {إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيمَةَ حَمِيمَةً الْجَاهِلِيَّةَ} الفتح 26 فإن الغضب والحمية تحمل المرء على فعل ما يضره وترك ما ينفعه وهذا من الجهل الذي هو عمل بخلاف العلم حتى يقدم المرء على فعل ما يعلم أنه يضره وترك ما يعلم أنه ينفعه لما في نفسه من البغض والمعاداة لأشخاص وأفعال وهو في هذه الحال ليس عديم العلم والتصديق بالكلية لكنه لما في نفسه من بغض وحسد غالب موجب ذلك لموجب العلم فدل على ضعف العلم لعدم موجبه ومقتضاه ولكن ذلك الموجب والنتيجة لا توجد عنه وحده بل عنه وعما في النفس من حب ما ينفعها وبغض ما يضرها فإذا حصل لها مرض ففسدت به أحبت ما يضرها وأبغضت ما ينفعها فتصير النفس كالمريض الذي يتناول ما يضره لشهوة نفسه له مع علمه أنه يضره قلت هذا معنى ما روي عن النبي أن الله يحب البصر النافذ عند ورود الشبهات ويحب العقل الكامل عند حلول الشبهات رواه البيهقي مرسلا وقد قال تعالى {وَأَذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَئِمَّةِ وَالْأَبْصَارِ} ص 45 فوصفهم بالقوة في العمل وال بصيرة في العلم وأصل القوة قوة القلب الموجبة لمحبة الخير وبغض الشر فإن المؤمن قوته في قلبه وضعفه في جسمه والمنافق قوته في جسمه وضعفه في قلبه فإليمان لابد فيه من هذين الأصلين التصديق بالحق والمحبة له فهذا أصل القول وهذا أصل العمل¹

من عمل بخلاف الحق فهو جاهل وإن علم أنه مخالف للحق

¹ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 538-539

قال تعالى {ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ} النحل 119 تقول طائفة جاهلية وشاعر جاهلي وذلك نسبة إلى الجهل الذي هو عدم العلم أو عدم اتباع العلم فإن من لم يعلم الحق فهو جاهل جهلاً بسيطاً فإن اعتقد خلافه فهو جاهل جهلاً مركباً فإن قال خلاف الحق عالماً بالحق أو غير عالم فهو جاهل أيضاً كما قال تعالى {وَإِذَا حَاطَبُهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا} الفرقان 63 وقال النبي صلى الله عليه وسلم إذا كان أحدكم صائماً فلا يرفث ولا يفسق ولا يجهل ومن هذا قول بعض الشعراء ألا لا يجهل أحد علينا فتجهل فوق جهل الجاهلين وهذا كثير وكذلك من عمل بخلاف الحق فهو جاهل وإن علم أنه مخالف للحق كما قال سبحانه {لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ} النحل 119 قال أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كل من عمل سوءاً فهو جاهل وسبب ذلك أن العلم الحقيقي الراسخ في القلب يمتنع أن يصدر معه ما يخالفه من قول أو فعل فمتي صدر خلافه فلا بد من غفلة القلب عنه أو ضعف القلب عن مقاومة ما يعارضه وتلك أحوال تناقض حقيقة العلم فيصير جهلاً بهذا الاعتبار¹

لطائف لغوية

1- قال تعالى {إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنَزِيرِ وَمَا أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغِرٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} النحل 115

قال الشاعر يهيل بالفرقـد ركبـانـها كما يهـل الراكـبـ المعـتمـرـ أـى يصـوتـونـ بالـفرـقـدـ فـجـعـلـهـمـ مـهـلـينـ بـهـ وـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ { وـمـاـ أـهـلـ بـهـ لـغـيـرـ اللـهـ } البـقـرةـ 173ـ اـى صـوتـ بـهـ وـسـوـاءـ كـانـ التـصـوـيـتـ بـهـ رـفـيـعـاـ اوـ خـفـيـضاـ فـانـهـ مـاـ تـكـلـمـ بـهـ وـجـهـرـ بـهـ لـغـيـرـ اللـهـ وـنـطـقـ بـهـ²

2- قال تعالى {إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنَزِيرِ وَمَا أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغِرٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} النحل 115 العـدوـانـ مـجاـوزـةـ قـدـرـ الحاجـةـ³

3- قال تعالى {ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ} النحل 119 تقول طائفة جاهلية وشاعر جاهلي وذلك نسبة إلى الجهل الذي هو عدم العلم أو عدم اتباع العلم فإن من لم يعلم الحق فهو جاهل جهلاً بسيطاً فإن اعتقد خلافه فهو جاهل جهلاً مركباً فإن قال خلاف الحق عالماً بالحق أو غير عالم فهو جاهل أيضاً كما قال تعالى {وَإِذَا حَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا} الفرقان 63 وقال النبي صلى الله عليه وسلم إذا كان أحدكم صائماً فلا

¹اقضـاءـ الـصـراـطـ جـ: 1ـ صـ: 78

²مـجمـوعـ الفتـاوـىـ جـ: 25ـ صـ: 113

³مـجمـوعـ الفتـاوـىـ جـ: 11ـ صـ: 695

يرث ولا يفسق ولا يجهل ومن هذا قول بعض الشعراء ألا لا يجهلن أحد علينا فجهل فوق
جهل الجاهلينا وهذا كثير وكذلك من عمل بخلاف الحق فهو جاهل وإن علم أنه مخالف للحق
كما قال سبحانه { لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ } النحل 119 قال أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كل
من عمل سوءاً فهو جاهل وسبب ذلك أن العلم الحقيقي الراسخ في القلب يمتنع أن يصدر معه ما
يخالفه من قول أو فعل فمتنى صدر خلافه فلا بد من غفلة القلب عنه أو ضعف القلب عن مقاومة ما
يعارضه وتلك أحوال تناقض حقيقة العلم فيصير جهلاً بهذا الاعتبار¹

¹ اقتضاء الصراط ج: 1 ص: 78

النحل-120-128

{ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَاتِلًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } 120 شَاكِرًا لَأَنْعُمَهُ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ { 121 } وَأَتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ } 122 ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنَّ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } 123 إِنَّمَا جَعَلَ السَّبْتَ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ } 124 ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهَتَّدِينَ } 125 وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوكُمْ بِمِثْلِ مَا عَوْقَبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ } 126 وَاصْبِرْ وَمَا صَبَرْكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزُنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَأْكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ } 127 إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقُوا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ } 128

شرع من قبلنا شرع لنا لا سيما شرع إبراهيم

قال تعالى { إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَاتِلًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } 120 شَاكِرًا لَأَنْعُمَهُ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ { 121 } وَأَتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ } 122 ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنَّ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } 123 } النحل 120-123

وشرع من قبلنا شرع لنا لا سيما شرع إبراهيم فإنما مأمورون باتباع ملته بقوله تعالى { ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنَّ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } النحل 123 وقوله تعالى { إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَاتِلًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } النحل 120¹

إبراهيم الخليل إمام الحنفاء المخلصين

قال تعالى { إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَاتِلًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } 120 شَاكِرًا لَأَنْعُمَهُ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ { 121 } وَأَتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ } 122 ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنَّ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } 123 } النحل 120-123

فإن إبراهيم صاحب الملة و إمام الأمة قال الله تعالى { ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنَّ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } النحل 123 و قال { وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفَهَ نَفْسَهُ }

¹ شرح العمدة ج: 2 ص: 201

{ البقرة 130 وقال { وَمَنْ أَحْسَنْ دِيْنًا مِّمْنَ أَسْلَمْ وَجْهَهُ اللَّهُ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةً إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا } النساء 125 و قال { جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا } البقرة 124¹

وقال الله تعالى { إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَاتِنًا لِّهُ حَنِيفًا } النحل 120 أى كان مؤمناً وحده وكان الناس² كفراً جميراً وفي صحيح البخاري أنه قال لسارة ليس على الأرض اليوم مؤمن غيري وغيرك

ابراهيم و محمد كل منهما خليل الله

قال تعالى { إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَاتِنًا لِّهُ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } 120 شاكراً لأنعمه اجتنباه وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ { 121 } وَاتَّيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ { 122 } ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَن تَتَّبِعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ { 123 } } النحل 120-123

وابراهيم و محمد كل منهما خليل الله فإنه قد ثبت في الصحاح من غير و جه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً وقد ثبت في الصحيح أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا خير البرية قال ذاك إبراهيم فإبراهيم أفضل الخلق بعد محمد صلى الله عليه وسلم و قوله ذاك إبراهيم توافع منه فإنه قد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال أنا سيد ولادم ولا فخر آدم فمن دونه تحت لوائي يوم القيمة ولا فخر إلى غير ذلك من النصوص المبينة أنه أفضل الخلق وأكرمه على ربه وإبراهيم هو الإمام الذي قال الله فيه { إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا } البقرة 124 وهو الأمة أي القدوة الذي قال الله فيه { إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَاتِنًا لِّهُ حَنِيفًا } النحل 120 وهو الذي بوأه الله مكان البيت و أمره أن يؤذن في الناس بالحج إليه وقد حرم الله الحرم على لسانه و إسماعيل نبأ معه و هو الذبيح الذي بذل نفسه لله و صبر على المحن كما بينا ذلك بالدلائل الكثيرة في غير هذا الموضوع و أمي هاجر هي التي أطاعت الله و رسوله إبراهيم في مقامها مع ابنها في ذلك الوادي الذي لم يكن به أنيس كما قال الخليل { رَبَّنَا إِنَّى أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمَ } إبراهيم 37 وكان لإبراهيم و لآل إبراهيم من محبة الله و عبادته والإيمان به و طاعته ما لم يكن لغيرهم فخصهم الله بأن جعل بيته الذي بنوه له خصائص لا توجد لغيره و جعل ما فعله من أفعالهم قدوة للناس و عبادة يتبعونهم فيها و لا ريب أن الله شرع لإبراهيم السعي و رمى الجمار و الوقوف بعرفات بعد ما كان من أمر هاجر و إسماعيل و قصة الذبح و غير ذلك ما كان كما شرع لمحمد الرمل في الطواف حيث أمره أن ينادي في الناس بحج

¹ مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 202

² مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 436

بكمال عبودية القلب لله يبرئه من الكبر والشرك

قال تعالى { إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّهُ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُنْ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ } 120 { شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ } 121 { وَاتَّيَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمَنِ الصَّالِحِينَ } 122 { ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } 123 { النحل 120-123 }

ولن يستغنى القلب عن جميع المخلوقات الا بأن يكون الله هو مولاه الذي لا يعبد إلا إياه ولا يستعين إلا به ولا يتوكلا عليه ولا يفرج إلا بما يحبه ويرضاه ولا يكره إلا ما يبغضه الرب ويكرهه ولا يوالى إلا من والاه الله ولا يعادى إلا من عاداه الله ولا يحب إلا الله ولا يبغض شيئا إلا الله ولا يعطي إلا الله ولا يمنع إلا الله فكلما قوى اخلاص دينه الله كملت عبوديته واستغناوه عن المخلوقات وبكمال عبوديته لله يبرئه من الكبر والشرك والشرك غالب على النصارى والكبر غالب على اليهود قال تعالى في النصارى { اتَّخَذُوا أَحَبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أَمْرُوا إِلَّا يَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانُهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ } التوبة 31 وقال في اليهود { أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبِرُتُمْ فَفَرِيقًا كَدَّبُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ } البقرة 87 وقال تعالى { سَاصْرَفْ عَنِ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا } الأعراف 146 ولما كان الكبر مستلزم للشرك والشرك ضد الاسلام وهو الذنب الذي لا يغفره الله { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَ إِنَّمَا عَظِيمًا } النساء 48 وقال { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا } النساء 116 كان الانبياء جميعهم مبعوثين بدين الاسلام فهو الدين الذي لا يقبل الله غيره لا من الاولين ولا من الآخرين قال في حق ابراهيم { وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مَلَةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفَهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَنِيَ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ } 130 { إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ } 131 { البقرة 130-131 } الى قوله { فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } البقرة 132 وقال { وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ إِسْلَامَ دِينًا فَأُنَّ يُفْسَدَ مِنْهُ } آل عمران 85 وقال تعالى { أَفَغَيْرُ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا } آل عمران 83 فذكر اسلام الكائنات طوعا وكرها لأن المخلوقات جميعها متعددة له التعبد العام سواء اقر المقر بذلك او انكره وهم مدينون مدبرون فهم مسلمون له طوعا وكرها ليس واحد من المخلوقات خروج عما شاءه وقدره ولا حول ولا قوة الا به وهو رب العالمين وملائكتهم يصرفهم كيف يشاء وهو خالقهم كلهم وبارئهم ومصورهم وكل من سواه فهو مربوب مصنوع ومفطور فقير محتاج معبد مقهور وهو الواحد القهار الخالق الباري المصور وهو ان كان قد خلق ما

¹ مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 483-484

خلقه بأسباب فهو خالق السبب والمقدر له وهو مفتقر اليه كافتقار هذا وليس في المخلوقات سبب مستقل بفعل ولا دفع ضرر بل كل ما هو سبب فهو محتاج الى سبب اخر يعاونه والى ما يدفع عنه الضد الذي يعارضه ويعارضه وهو سبحانه وحده الغنى عن كل ما سواه ليس له شريك يعاونه ولا ضد يناؤه ويعارضه قال تعالى { قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَذَكَّرُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِي اللَّهُ بِضُرٍّ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرَّهُ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ } الزمر 38 وقال تعالى { وَإِنْ يَمْسِسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسِسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } الأنعام 17 وقال تعالى عن الخليل { يَا قَوْمَ إِنِّي بِرَبِّي أَمَّا تُشْرِكُونَ } 78 { إِنِّي وَجَهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ } 79 { وَحَاجَةُ قَوْمٌ قَالَ أَتُحَاجُونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا } 80 { الانعام 78-80 الى قوله تعالى { الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلِسُو إِيمَانُهُمْ بِظُلْمٍ أَوْ لِنَّا لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ } 82 { الانعام 82 }

وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه ان هذه الاية لما نزلت شق ذلك على اصحاب النبي وقالوا يا رسول الله اينا لم يلسان ايمانا بظلم فقال انما هو الشرك المتسمعوا الى قول العبد الصالح { إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ } لقمان 13 وابراهيم الخليل امام الحنفاء المخلصين حيث بعث وقد طبق الارض دين المشركين قال الله تعالى { وَإِذْ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعَلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمَنْ دُرِّيَتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ } البقرة 124 فيبين ان عهده بالامامة لا يتناول الظالم فلم يأمر الله سبحانه ان يكون الظالم اماما واعظم الظلم الشرك وقال تعالى { إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أَمَّةً قَاتِلَتِ اللَّهَ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } النحل 120 و الامة هو معلم الخير الذي يؤتمن به كما ان القدوة الذي يقتدى به والله تعالى جعل في ذريته النبوة والكتاب وانما بعث الانبياء بعد بملته قال تعالى { إِنَّمَا أُوحِيَنَا إِلَيْكَ أَنَّ أَثْيَعَ مِلَّةً إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } النحل 123 وقال تعالى { إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ } آل عمران 68 وقال تعالى { مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصَارَائِيًّا وَلِكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } آل عمران 67 وقال تعالى { وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَائِي تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } 135 { قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَمَا أَنْزَلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مَذْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } 136 { البقرة 135-136 وقد ثبت في الصحيح عن النبي ان ابراهيم خير البرية فهو افضل الانبياء بعد النبي وهو خليل الله تعالى وقد ثبت في الصحيح عن النبي من غير وجہ انه قال ان الله اخذني خليلا كما اخذ ابراهيم خليلا¹

حب الله تعالى هو من تمام عبادته

قال تعالى { إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أَمَّةً قَاتِلَتِ اللَّهَ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } 120 { شَاكِرًا لَا تُعِمِهِ اجْتِبَاهُ وَهَذَا إِلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ } 121 { وَأَتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ } 122 { ثُمَّ أُوْحِيَنَا إِلَيْكَ أَنَّ أَثْيَعَ مِلَّةً إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } 123 { النحل 120-123 }

¹ مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 198-203 و الفتوى الكبرى ج: 2 ص: 391 و الصحفية ج: 2 ص: 302

أن النفس لها قوتها علمية وقوتها الشعور والعلم والإحسان وقوتها الحب والإرادة والطلب والعمل فالنفس ليس كمالها في أن تعلم ربها فقط بل في أن تعرفه وتحبه وإنما إذا قدر أن النفس تعرف الواجب وهي تتغضنه وتتفرق عنه وتندمه كانت شقيقة معدبة بل هذا الضرب من أعظم الناس شقاء وعداها وهي حال إيليس وفرعون وكثير من الكفار فإنهم عرفوا الحق ولم يحبوه ولم يتبعوه وكانوا أشد الناس عذابا بل حب الله تعالى هو الكمال المطلوب من معرفته وهو من تمام عبادته فإن العبادة متضمنة لكمال الحب مع كمال الذل وهذا حقيقة دين إبراهيم الخليل عليه السلام إمام الحنفاء الذي قال الله تعالى فيه **{إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أَمَّةً فَانِتَأْتِ اللَّهَ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}**

النحل 120 والأمة هو الذي يؤتى به كما أن القدوة هو الذي يقتدى به كما قال في الآية الأخرى **{وَإِذَا ابْنَتِي إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمَنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ}** البقرة 124 وإبراهيم الخليل هو الذي عادى هؤلاء كالنمرود وغيره فنفس عبادة الله وحده ومحبته وتعظيمه هو من أعظم كمال النفس وسعادتها لا أن سعادتها في مجرد العلم الخالي عن حب وعبادة وتتأله مم يعلم أن أمة محمد أكمل الأمم عقلا وعلما وخلقها ودينا ويعلم أن من كان أعظم علما وعقلا كان أعلم بعظمة قدر الرسول فهذا العلم والتعظيم والمحبة القائمة في قلوب الخلق من أعظم الأمور الخارقة للعادة وهي أمور خارجة عن قوى البشر¹

وليس للقلوب سرور ولا لذة تامة إلا في محبة الله والتقرب إليه بما يحبه ولا تمكن محبته إلا بالاعراض عن كل محبوب سواه وهذا حقيقة لا إله إلا الله وهي ملة إبراهيم الخليل عليه السلام وسائر الأنبياء والمرسلين صلاة الله وسلامه عليهم أجمعين وكان النبي يقول لأصحابه قولوا أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الأخلاص ودين نبينا محمد وملة أبيينا إبراهيم حنيفا مسلما وما كان من المشركين والحنيف السلف فيه ثلاثة عبارات قال محمد ابن كعب مستقيما وقال عطاء مخلصا وقال آخر متبعا فهو مستقيم القلب إلى الله دون ما سواه قال الله تعالى **{فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَرِئِنَ لِلْمُشْرِكِينَ}** فصلت 6 وقال تعالى **{إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا}** الأحقاف 13 قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه فلم يلتقطوا عنه يمينه ولا يسرة فلم يلتقطوا بقلوبهم إلى ما سواه لا بالحب ولا بالخوف ولا بالرجاء ولا بالسؤال ولا بالتوكل عليه بل لا يحبون إلا الله ولا يحبون معه أندادا ولا يحبون إلا إياته لا لطلب منفعة ولا لدفع مضره ولا يخافون غيره كائنا من كان ولا يسألون غيره ولا يتشرفون بقلوبهم إلى غيره²

القنوت في اللغة دوام الطاعة

¹ الصدفية ج: 2 ص: 234

² مجموع الفتاوى ج: 28 ص: 33

قال تعالى { إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَاتِنًا لِّهُ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُنْ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ } 120 { شَاكِرًا لَا نُعْمِهِ اجْتِيَاهُ وَهَذَا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } 121 { وَاتَّيْنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمَنِ الصَّالِحِينَ } 122 { ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَن تَتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } 123 { النحل 120-123 }

والقنوت في اللغة دوام الطاعة والمصلى إذا طال قيامه أو رکوعه أو سجوده فهو قانت في ذلك كله
 وقال تعالى **إن إبراهيم كان أمة قانتا الله حنيفا** سورة النحل 120 قال ابن قتيبة لا أرى أصل
 القنوت إلا الطاعة لأن جميع الخلل من الصلاة والقيام فيها والدعاء وغير ذلك يكون عنها وقال أبو الفرج
 قال الزجاج القنوت هو في اللغة بمعنىين أحدهما القيام والثاني الطاعة والمشهور في اللغة والإستعمال أن القنوت
 الدعاء في القيام فالقانت القائم بأمر الله ويجوز أن يقع في جميع الطاعات لأنه وإن لم يكن قياما على الرجلين فهو
 قيام بالنية قلت هذا ضعيف لا يعرف في اللغة أن مجرد القيام يسمى قنوتا والرجل يقوم ماشيا وقائما في أمور
 ولا يسمى قانتا وهو في الصلاة يسمى قانتا لكونه مطينا عابدا ولو قنت قاعدا ونائما سمي قانتا وقوله تعالى
 وقاموا لله قانتين سورة البقرة 238 يدل على أنه ليس هو القيام وإنما هو صفة في القيام يكون بها القائم
 قانتا وهذه الصفة تكون في السجود أيضا كما قال أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما
 فقول القائل إن المشهور في اللغة أنه الدعاء في القيام إنما اخذه من كون هذا المعنى شاع في اصطلاح
 الفقهاء إذا تكلموا في القنوت والصلاحة وهذا عرف خاص ومع هذا فالفقهاء يذكرون القنوت سواء صلى قائما أو
 قاعدا أو مضطجعا لكن لما كان الفرض ليس يصح أن يصليه إلا قائما وصلاة القاعد على النصف من صلاة
 القائم صار القنوت في القيام أكثر وأشهر وإلا فلفظ القنوت في القرآن واللغة ليس مشهورا في هذا المعنى بل ولا
 أريد به هذا المعنى ولا هو أيضا مشتركا بل لللفظ بمعنى الطاعة أو الطاعة الدائمة ولهذا يفسره المفسرون بذلك
 وقد روى في ذلك حديث مرفوع رواه ابن أبي حاتم من النسخة المصرية التي يروى منها الترمذى وغيره من حديث
 ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث أن دراجا أبا السمح حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قال كل حرف في القرآن يذكر فيه القنوت فهو الطاعة وفي تفسير ابن أبي طلحة عن ابن
 عباس فالصالحت قانتات سورة النساء 34 مطیعات قال ابن أبي حاتم وروى عن مجاهد
 وعكرمة وأبي مالك وعطاء وقتادة السدي مثل ذلك وروى عن مقاتل بن حيان قال مطیعات الله ولا زواجهن في
 والقانتين والقانتات قال يعني المطیعين والمطیعات ¹ المعروف وروى عن سعيد بن جبير في قوله

القنوت هو دوام الطاعة و الثبات عليه²

¹ رسالة في قنوت الأشياء ج: 1 ص: 5-8

² شرح العمدة ج: 4 ص: 157 و الفتاوى الكبرى ج: 1 ص: 224

تُوحِّدُ الْمَلَةَ وَتَعْدُدُ الشَّرَائِعَ وَتَنْوِعُهَا

قال تعالى { إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَاتَنَتَا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } 120 { شَاكِرًا لَأَنْعُمَهُ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } 121 { وَاتَّيَنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ } 122 { ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } 123 } النحل 120-123

في توحيد الملة وتعدد الشرائع وتنوعها وتتوسعها دون الشرعى وما فى ذلك من اقرار ونسخ وجريان ذلك في اهل الشريعة الواحدة بنوع من الاعتبار قال الله تعالى { وَإِذَا ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا } البقرة 124 فهذا نص في انه امام الناس كلهم وقال { إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً } النحل 120 وهو القدوة الذي يؤتم به وهو معلم الخير وقال تعالى في آل عمران { شَهَدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمُ قَائِمًا بِالْقُسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } 18 { إِنَّ الدِّينَ عِنَّ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الظَّنَّى أُولَئِنَّا الْكِتَابَ إِلَّا مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعْدَهُمْ } 19 { آل عمران 18-19 فاخبر ان الدين عند الله الاسلام وان الذين اختلفوا من اهل الكتاب وصاروا على ملل شتى ما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم وفيه بيان ان الدين واحد لا اختلف فيه وقال { إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَاتَنَتَا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } 120 { شَاكِرًا لَأَنْعُمَهُ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } 121 { وَاتَّيَنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ } 122 { ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } 123 } النحل 120-123

ونذكر في النحل دعوة المسلمين جميعهم واتفاقهم على عبادة الله وحده لا شريك له فقال { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنَّ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَبَبُوا الطَّاغُوتَ فَمَنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالُ } النحل 36 الاية وهذا في القرآن مذكور في مواضع كثيرة وكذلك في الأحاديث الصحيحة مثل ما ترجم عليه البخاري فقال باب ما جاء في أن دين الأنبياء واحد وذكر الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة عن النبي قال أنا معاشر الأنبياء أخوة لعلات ومثل صفتة في التوراة لن أقبحه حتى أقيم به الملة العوجاء فافتتح به أعيننا عميا وأذانا صما وقلوبنا غلفا ولهذا وحد الصراط والسبيل في مثل قوله تعالى { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } 6 صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضاللين } 7 الفاتحة-6 والاسلام دين جميع المسلمين¹

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم انا معاشر الانبياء ديننا واحد وهو الاسلام وهو الاسلام الله لا لغيره بأن تكون العبادة والطاعة له والذل وهو حقيقة لا اله الا الله ولا ريب أن ما سوى هذا لا يقبل وهو سبحانه يطاع في كل زمان بما امر به في ذلك الزمان فلا اسلام بعد مبعث محمد الا فيما جاء به وطاعته وهي ملة ابراهيم التي لا يرحب عنها الا من سفة نفسه وهو الأمة الذي يؤتم به كما أن القدوة هو الذي يقتدى به وهو الامام كما في قوله { إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا } البقرة 124 وهو القانت والقنت دوام الطاعة وهو الذي يطيع الله دائما والحنيف المستقيم الى ربه دون ما سواه²

¹ مجموع الفتاوى ج: 19 ص: 107

² مجموع الفتاوى ج: 5 ص: 240

قال تعالى {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ} الأنبياء 92 و قال {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيَّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلَيْمٌ} 51 و إنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ} 52 المؤمنون 51-52 الآية قال قتادة أى دينكم واحد و ربكم واحد و الشريعة مختلفة و كذلك قال الضحاك و عن ابن عباس أى دينكم واحد قال ابن أبي حاتم و روی عن سعيد بن جبير و قتادة و عبد الرحمن نحو ذلك قال الحسن بين لهم ما يتقوون و ما يأتون ثم قال إن هذه سنتكم سنة و احدة و هكذا قال جمهور المفسرين والأمة الملة والطريقة كما قال {إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةً} الزخرف 22 كما تسمى الطريق إماما لأن السالك فيها يؤتم به فكذلك السالك يومه و يقصده و الأمة أيضا معلم الخير الذي يأتى به الناس كما أن الإمام هو الذي يأتى به الناس و إبراهيم عليه السلام جعله الله إماما و أخبر أنه كان أمة {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَاتَنَتِ اللَّهَ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} النحل 120¹

تنوع الشرائع لا يمنع أن يكون الدين واحدا

قال تعالى {شَاكِرًا لَّا نَعْمَهُ اجْبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} النحل 121 وقد ذكر في غير موضع أن دين الأنبياء كلهم الإسلام كما قال تعالى عن نوح {وَأَمْرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ} النمل 91 وقال عن إبراهيم وقال عن إبراهيم {إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} 131 و وصى بها إبراهيم بنيه و يعقوب يا بنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموثن إلا و أنتم مسلمون {البقرة 132-131} وقال يوسف {فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفِّنِي مُسْلِمًا وَالْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ} يوسف 101 {وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمَ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ} يونس 84 وقال عن السحرة {رَبَّنَا أَفْرَعْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ} الأعراف 126 وقال عن بلقيس {رَبِّنِي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} النمل 44 وقال {يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ} المائدة 44 وقال {وَإِذْ أُوْحِيَ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِإِنَّنَا مُسْلِمُونَ} المائدة 111 وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إننا معاشر الأنبياء ديننا واحد وتنوع الشرائع لا يمنع أن يكون الدين واحدا وهو

الإسلام كالدين الذي بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم فإنه هو دين الإسلام أولا وآخرها وكانت القبلة في أول الأمر بيت المقدس ثم صارت القبلة الكعبة وفي كلا الحالين الدين واحد وهو دين الإسلام فهكذا سائر ما شرع للأنبياء قبلنا ولهذا حيث ذكر الله الحق في القرآن جعله واحدا وجعل الباطل متعددا قوله {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَنْتَبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ} صراط عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تنترون الأنعام 153 قوله {ا هَدَنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} 6 صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضاللين 7 الفاتحة 6-7 قوله {شَاكِرًا لَّا نَعْمَهُ اجْبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} النحل 121 قوله {وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا} الفتح 2 قوله

¹ مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 220 و الحسنة والسيئة ج: 1 ص: 89

{اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ } البقرة 257¹

احسان العمل سبب لاحسان الله

قال تعالى { وَآتَيْنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ } النحل 122 ومن المعلوم بما أرنا الله من آياته في الآفاق وفي انفسنا وبما شهد به في كتابه أن المعاصي سبب المصائب فسيئات المصائب والجزاء من سيئات الأعمال وان الطاعة سبب النعمة فالحسان العمل سبب لاحسان الله قال تعالى { مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ } النساء 79 وقال { وَإِنْ ثُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمْتُ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كُفُورٌ } الشورى 48 وقد أخبر سبحانه بما عاقب به أهل السيئات من الأمم كقوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين وقوم فرعون في الدنيا وأخبر بما يعاقبهم به في الآخرة ولهاذا قال مؤمن آل فرعون { يَا قَوْمَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مُّثُلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ } 30 مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود و الذين من بعدهم وما الله يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَبَادِ } 31 { وَيَا قَوْمَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ } 32 { يَوْمَ ثُوَلُونَ مُذْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِّنَ اللَّهِ فَمَا لَهُ مِنْ هَادِ } 33 غافر 30-33 وقال تعالى { كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ } الفلم 33 وقال { سَنَعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ } التوبة 101 ولهاذا يذكر الله في عامة سور الانذار ما عاقب به أهل السيئات في الدنيا وما أعد لهما في الآخرة وقد يذكر في السورة وعد الآخرة فقط اذ عذاب الآخرة أعظم وثوابها أعظم وهي دار القرار وانما يذكر ما يذكره من التواب والعذاب في الدنيا تبعا لقوله في قصة يوسف { وَكَذَلِكَ مَكَّنَاهُ اللَّهُوَسْفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ } 56 { وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ } يوسف 56-57 وقال عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام { وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ يَتَّقُونَ } يوسف 57 في الآخرة لمن الصالحين العنكبوت 27²

قال تعالى { وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَتَقَوَّلُوا لَمَتُوبَةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ } البقرة 103 فاخبر أن أولياءه الذين آمنوا و كانوا يتقوون يتباهي لهم على أن في ذلك ما هو خير لهم مما طلبوه في الدنيا لو كانوا يعلمون فيحصل لهم في الآخرة من الخير الذي هو المنفعة ودفع المضر ما هو أعظم مما يحصلوه بذلك من خير الدنيا كما قال تعالى { وَكَذَلِكَ مَكَّنَاهُ اللَّهُوَسْفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ } يوسف 56 ثم قال { وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ } يوسف 57 وقال تعالى { وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَتَبَّتْ أَقْدَامُنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ } 147 فاتأهُم الله تواب الدنيا وحسن

¹ منهاج السنة النبوية ج: 5 ص: 270

² مجموع الفتاوى ج: 28 ص: 140

ثَوَابُ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ {148} آل عمران 148 وقال عن إبراهيم { وَاتَّيْنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ } النحل 122¹

الصالح هو الذي أصلح جميع أمره فاستوت سريرته وعلانيته على ما

يرضى ربه

قال تعالى { وَاتَّيْنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ } النحل 122 وكذلك لفظ الصالح و الشهيد و الصديق يذكر مفردا فيتناول النبيين قال تعالى في حق الخليل { وَاتَّيْنَا أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ } العنكبوت 27 وقال { وَاتَّيْنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ } النحل 122 وقال الخليل { رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ } الشعراء 83 وقال يوسف { تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَالْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ } يوسف 101 وقال سليمان { وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ } النمل 19 وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح المتفق على صحته لما كانوا يقولون في آخر صلاتهم السلام على الله قبل عباده السلام على فلان فقال لنا رسول الله ذات يوم إن الله هو السلام فإذا قعد أحدكم في الصلاة فليقل التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فإذا أصابت كل عبد صالح الله في السماء والأرض الحديث وقد يذكر الصالح مع غيره قوله تعالى { فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسْنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا } النساء 69 قال الزجاج وغيره الصالح القائم بحقوق الله وحقوق عباده ولفظ الصالح خلاف الفاسد فإذا أطلق فهو الذي أصلح جميع أمره فلم يكن فيه شيء من الفساد فاستوت سريرته وعلانيته وأعماله على ما يرضى ربه وهذا يتناول النبيين ومن دونهم²

ما عليه اليهود والنصارى ينافي ملة إبراهيم

قال تعالى { ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } النحل 123

قال تعالى { وَقَالُوا كُونُوا هُوَدًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } البقرة 135 إلى قوله { فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلُّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } البقرة 137 قوله { قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا } البقرة 135 يبين أن ما عليه اليهود والنصارى ينافي ملة إبراهيم وهذا بعد مبعث محمد مما لا ريب فيه فإنه هو الذي بعث بملة إبراهيم و الطائفتان كانتا خارجتين عنها بما وقع منهم من التبدل قال تعالى { إِنَّ أُولَئِكَ النَّاسَ بِإِبْرَاهِيمَ لَذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالذِينَ آمَنُوا } آل عمران 68 وقال { قُلْ إِنَّمَا هَذَا نَبِيٌّ رَّبِّي

¹ قاعدة في المحبة ج: 1 ص: 186

² مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 57

إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِّلَةً إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا } الأَنْعَام 161 الآية و قال تعالى { ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ }¹ النحل 123

لا اسلام بعد مبعث محمد الا فيما جاء به وطاعته وهي ملة ابراهيم

مجموع الفتاوى ج: 5 ص: 239

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم أنا معاشر الانبياء ديننا واحد وهو الاسلام وهو الاستسلام الله لا لغيره بأن تكون العبادة والطاعة له والذل وهو حقيقة لا اله الا الله ولا ريب أن ما سوى هذا لا يقبل وهو سبحانه يطاع في كل زمان بما أمر به في ذلك الزمان فلا اسلام بعد مبعث محمد الا فيما جاء به وطاعته وهي ملة ابراهيم التي لا ير غب عنها الا من سفه نفسه وهو الأمة الذي يؤتم به كما أن القدوة هو الذي يقتدى به وهو الامام كما في قوله { إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً } البقرة 124 وهو القانت والقنتوت دوام الطاعة وهو الذي يطيع الله دائمًا والحنيف المستقيم إلى ربه دون ما سواه

أصح الطرق وأبعدها من الشبه اتباع الكتاب والسنة قولًا وفعلا

قال تعالى { ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ }¹ النحل 123

وقال شيخ الإسلام وأخبرني أحمد بن حمزة حدثنا محمد بن الحسين وهو أبو عبد الرحمن السلمي يقول بلغني أن بعض أصحاب أبي علي الجوزاني سأله كيف الطريق إلى الله قال أصح الطرق وأعمراها وأبعدها من الشبه اتباع الكتاب والسنة قولًا وفعلا وعقدا ونية لأن الله يقول وتطيعوه تهتدوا سورة النور 54 فسأله كيف طريق اتباع السنة قال بمجانية البدع واتباع ما اجتمع عليه الصدر الأول من علماء الإسلام وأهله والتبعاد عن مجالس الكلام وائله ولزوم طريقة الاقداء والاتباع بذلك أمر النبي ص بقوله تعالى ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا سورة النحل 123 وتحقيق توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية وهو أن يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً فهذا التوحيد الذي جاءت به الرسل هو يسعد صاحبه ويدخل الجنة لا محالة له من دعوة مجابة ومن فاته هذا التوحيد فإن الله لا يغفر أن يشرك به فلا ينفعه الدعاء²

أهل الكتاب تفرقوا واختلفوا قبل إرسال محمد إليهم

فإن أهل الكتاب تفرقوا و اختلفوا قبل إرسال محمد إليهم كما أخبر الله بذلك في غير موضع فقال تعالى و قال تعالى { إِنَّمَا جَعَلَ السَّبَّتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لِيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ }¹ النحل 124 وقال تعالى { وَلَقَدْ بَوَأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأً صِدْقٌ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيَّابَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ }

مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 572¹
الاستقامة ج: 1 ص: 180²

{يونس 93} ثم قال تعالى {فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَئُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ} لقد جاءك الحق من ربك فلا تكون من الممترىء {يونس 94} وقد جاءت الأحاديث في السنن والمسند من وجوه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال تفرق اليهود على إحدى وسبعين فرقة وستفترق هذه الأمة على ثلات وسبعين فرقة وإن كان بعض الناس كابن حزم يضعف هذه الأحاديث فأكثر أهل العلم قبلوها وصدقواها وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ذروني ما تركتم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سوءهم وإختلافهم على أنبيائهم فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وإذا أمرتكم بأمر فاتوا منه ما تستطعتم وفي الصحيحين عنه أنه قال نحن الآخرون السابعون يوم القيمة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم فهذا يومهم الذي إختلفوا فيه فهدانا الله له الناس لنا فيه تبع غدا لليهود وبعد غد للنصارى وهذا معلوم بالتواتر أن أهل الكتاب إختلفوا وتفرقوا قبل إرسال محمد صلى الله عليه وسلم بل اليهود إفترقا قبل مجيء المسيح ثم لما جاء المسيح إختلفوا فيه ثم إختلف النصارى إختلافا آخر¹

قال تعالى {إِنَّمَا جَعَلَ السَّبَبَ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لِيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} النحل 124

{ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلُهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ }

قال تعالى {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلُهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} النحل 125 ليس في الرسل من قال أول ما دعا قومه إنكم مأمورون بطلب معرفة الخالق فانظروا واستدلوا حتى تعرفوه فلم يكفووا أولا بنفس المعرفة ولا بالأدلة الموصولة إلى المعرفة إذ كانت قلوبهم تعرفه وتقرب به وكل مولود يولد على الفطرة لكن عرض للفطرة ما غيرها والإنسان إذا ذكر ما في فطرته ولهذا قال الله في خطابه لموسى {فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيْنًا لَّعْلَهُ يَتَذَكَّرُ} طه 44 ما في فطرته من العلم الذي به يعرف ربه ويرى إنعماته عليه وإحساناته إليه وإفتقاره إليه فذلك يدعوه إلى الإيمان {أَوْ يَخْشَى} طه 44 ما ينذر به من العذاب فذلك أيضا يدعوه إلى الإيمان كما قال تعالى {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ} النحل 125 فالحكمة تعريف الحق فيقبلها من قبل الحق بلا منازعة ومن نازعه هواه وعظ بالترغيب والترهيب فالعلم بالحق يدعو صاحبه إلى إتباعه فإن الحق محبوب في الفطرة وهو أحب إليها وأجل فيها وأذ عندها من الباطل الذي لا حقيقة له فإن الفطرة لا تحب ذاك فإن لم يدعه الحق والعلم به خوف عاقبة الجحود والعصيان وما في ذلك من العذاب فالنفس تخاف العذاب بالضرورة فكل حي يهرب مما يؤذيه بخلاف النافع فمن الناس من يتبع هواه فيتبع الأدنى دون الأعلى كما أن منهم من يكذب بما خوف به أو يتغافل عنه حتى يفعل ما يهواه فإنه إذا صدق به واستحضره لم يبعث نفسه إلى هوتها بل لابد من نوع من الغفلة والجهل حتى يتبعه ولهذا كان كل عاص لله جاهلا كما قد بسط هذا في مواضع²

¹ مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 489-490

² مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 338

قال تعالى { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلُهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهَتَّدِينَ } النحل 125 فأمره تعالى أن يجادل أهل دعوته مطلقاً من المشركين وأهل الكتاب والتي هي أحسن وقد قال تعالى { وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } العنكبوت 46 فإن الظالم باع مستحق للعقوبة فيجوز أن يقابل بما يستحقه من العقوبة لا يجب الاقتصار معه على التي هي أحسن بخلاف من لم يظلم فإنه لا يجادل إلا والتي هي أحسن والظالم يكون ظالماً بترك ما تبين له من الحق وابتاع ما تبين له أنه باطل والكلام بلا علم فإذا ظهر له الحق فعند عنه كان ظالماً وذلك مثل الأدلة في الخصم قال تعالى { وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعِجِّلُ كَوْلَهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَشْهُدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَّا يَخْسِمُ } البقرة 204 وقال { يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَانُوكَمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْتَظِرُونَ } الأنفال 6 وقال { هَآئُنُّمْ هَوْلَاءَ حَاجِجُهُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَمِمْ ثُحَاجُونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } آل عمران 166

و يكون الكتاب أو السنة نهى عن معرفة المسائل التي تدخل فيما يستحق أن يكون من أصول دين الله فهذا لا يكون اللهم إلا أن ننهى عن بعض ذلك في بعض الأحوال مثل مخاطبة شخص بما يعجز عنه فهمه فيفضل كقول عبد الله بن مسعود ما من رجل يحدث قوماً حدثاً لا يبلغه عقولهم إلا كان فتنته لبعضهم وكقول علي عليه السلام حدثوا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون أتحبون أن يكذب الله ورسوله أو مثل قول حق يستلزم فساد أعظم من تركه فيدخل في قوله صلى الله عليه وسلم من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان رواه مسلم²

الحكمة والموعظة الحسنة والجدل الاحسن تجمع نوعي العلم والعمل

قال تعالى { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلُهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهَتَّدِينَ } النحل 125 فأهل العلم والإيمان فجامعون بين الأمرين بين التصديق العلمي والعمل الحبلى ثم ان تصديقهم عن علم وعملهم وحبهم عن علم فسلموا من آفتش منحرفة المتكلمة والمتصوفة وحصلوا ما فات كل واحدة منها من النقص فإن كلام المنحرفين له مفسدتان أحدهما القول بلا علم ان كان متكلماً والعمل بلا علم إن كان متصوفاً وهو ما وقع من البدع الكلامية والعملية المخالفة للكتاب والسنة والثانى فوت المتكلم العمل وفوت المتصوف القول والكلام وأهل السنة الباطنة والظاهرة كان كلامهم وعملهم باطننا وظاهراً بعلم

¹الجواب الصحيح ج: 3 ص: 72-73
²الفتاوى الكبرى ج: 1 ص: 455

وكان كل واحد من قولهم وعملهم مقراناً بالآخر وهو لاءٌ هم المسلمون حقاً الباقيون على الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين فإن منحرفة أهل الكلام فيهم شبه اليهود ومنحرفة أهل التصوف فيهم شبه النصارى ولها غلب على الأولين جانب الحروف وما يدل عليه من العلم والإعتقاد وعلى الآخرين جانب الأصوات وما يتثيره من الوجد والحركة ومن تمام ذلك أن الله أمر نبيه أن يدعوا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ويجادلهم بالتى هي أحسن وهذه الطرق الثلاثة هي النافعة في العلم والعمل وتشبه ما يذكره أهل المنطق من البرهان والخطابة والجدل بقى الشعر والسفسطة التي هي الكذب المموه فنفي الله ذلك بقوله { هل أَنْبُكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ }²²¹ { تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثْيَمٍ }²²² { يُلْقَوْنَ السَّمَعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَانِبُونَ }²²³ الشعراء²²¹⁻²²³ إلى آخر السورة فذكر الأفاكين وهم المفسطون وذكر الشعراء وكذلك أبو بكر الصديق قال لعمر بن الخطاب لما قال له يا خليفة رسول الله تألف الناس فأخذ بلحيته وقال يا ابن الخطاب أجياباً في الجاهلية خواراً في الإسلام علام أتألفهم أعلى حديث مفترى أم على شعر مفتول ذكر الحديث المفترى والشعر المفتول كما ذكر الله الأفاكين والشعراء وكان الإفك في القوة الخبرية والشعر في القوة العملية الطلبية فذلك ضلال وهذه غواية والحكمة والموعظة الحسنة والجدل الأحسن فإنه يعطى التصديق والعمل فهو نافع منفعة عظيمة وهي تجمع نوعي العلم والعمل الخبر والطلب على أكمال الوجوه وأما الحكمة في القرآن فهي معرفة الحق وقوله والعمل به كما كتبت تفسيرها في غير هذا الموضع والموعظة الحسنة تجمع التصديق بالخبر والطاعة للأمر ولها يحيى الوعظ في القرآن مراداً به الأمر والنهي بترغيب وترهيب بقوله { وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوَعَظُونَ بِهِ } النساء⁶ قوله { يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا مِثْلَهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } النور¹⁷ قوله { فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدِيهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ } البقرة⁶⁶ أى يتبعون بها فينتبهون وينزجرون وكذلك الجدل الأحسن يجمع الجدل للتصديق والطاعة الوجه الثاني ويمكن أن يقسم هذا إلى وجه آخر بأن يقال الناس ثلاثة أقسام إما أن يعترف بالحق ويتبعه وهذا صاحب الحكمة وإما أن يعترف به لكن لا يعمل به فهذا يوطّن حتى يعمل واما أن لا يعترف به فهذا يجادل بالتى هي أحسن لأن الجدال في مظنة الإغضاب فإذا كان بالتى هي أحسن حصلت منفعته بغاية الإمكان كدفع الصائل أن كلام الله لا يشتمل إلا على حق يقين لا يشتمل على ما تمتنز به الخطابة والجدل عن البرهان تكون المقدمة مشهورة أو مسلمة غير يقينية بل اذا ضرب الله مثلاً مشتملاً على مقدمة مشهورة أو مسلمة فلا بد وأن تكون يقينية فاما الاكتفاء بمجرد تسليم المنازع من غير أن تكون المقدمة صادقة أو بمجرد كونها مشهورة وان لم تكن صادقة فمثل هذه المقدمة لا يشتمل عليها كلام الله الذي كله حق وصدق وهو أصدق الكلام وأحسن الحديث فصاحب الحكمة يدعى بالمقدمات الصادقة سواء كانت مشهورة أو مسلمة أو لم تكن لما فيه من ادراك الحق واتباع الحق وصاحب الموعظة يدعى من المقدمات الصادقة بالمشهورة لأنه قد لا يفهم الخفية من الحق ولا ينزع في المشهورة وصاحب الجدل يدعى بما يسلمه من المقدمات الصادقة مشهورة كانت أو لم تكن اذ قد لا ينقاد إلى ما لا يسلمه هذا فإنه نافع جداً أن هنا نكتة ينبغي التقطن لها فإنها نافعة وذلك أن المقدمة المذكورة في القياس الذي هو مثل لها وصف ذاتي ووصف إضافي فالوصف الذاتي لها أن تكون مطابقة فتكون صدقاً أولاً تكون مطابقة ف تكون كذلك وجميع المقدمات المذكورة في أمثل القرآن هي صدق والحمد لله رب العالمين وأما الوصف الإضافي فكونها معلومة عند زيد أو مظنونة أو مسلمة أو غير مسلمة فهذا أمر لا ينضبط فرب مقدمة هي يقينية عند شخص قد علمها وهي مجهرة فضلاً عن أن تكون مظنونة عند من لم يعلمه فكون المقدمة يقينية أو غير يقينية أو مشهورة أو غير مشهورة أو مسلمة أو غير مسلمة أمور نسبية واضافية لها تعرض بحسب شعور

الانسان بها ولهذا تقلب المظنة بل المجهولة في حقه يقينية معلومة والممنوعة مسلمة بل والمسلمة ممنوعة والقرآن كلام الله الذي أنذر به جميع الخلق لم يخاطب به واحداً بعينه حتى يخاطب بما هو عنده يقيني من المقدمات أو مشهور أو مسلم فمقدمات الأمثال فيه اعتبر فيها الصفة الذاتية وهي كونها صدقاً وحقاً يجب قبوله وأما جهة التصديق فتعدد وتتنوع اذ قد يكون لهذا من طرق التصديق بتلك المقدمة ما ليس لعمرو مثل أن يكون هذا يعلمها بالإحساس والرواية وهذا يعلمه بالسماع والتواتر كآيات الرسول وقصة أهل الفيل وغير ذلك فما كان جهة تصدقه عاماً للناس أمكن ذكره جهة التصديق به كآيات الربوبية المعلومة بالإحساس دائمًا وما كان جهة تصدقه مت nonzero ما هو عنده يقيني أو مشهور من اليقين أو مسلم منه²

بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادُلُهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ { النحل 125 }

الرد على من يقول آيات المجادلة والمحاجة للكفار منسوخات بآية السيف

أن ما ذكره الله تعالى من مجادلة أهل الكتاب والتي هي أحسن إلا الذين ظلموا محكم لم ينسخه شيء وكذلك ما ذكره تعالى من مجادلة الخلق مطلقاً بقوله { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادُلُهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهَتَّدِينَ } النحل 125

فإن من الناس من يقول آيات المجادلة والمحاجة للكفار منسوخات بآية السيف { فإذا انسلاخ الأشهر الحرم فاقتلو المشركيين حيث وجدتهم هم وخدعواهم وأخسروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكوة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم } 5 التوبة 5 لا عتقاده ان الامر بالقتل المشروع ينافي المجادلة المنشورة وهذا غلط فإن النسخ إنما يكون إذا كان الحكم الناسخ مناقضاً للحكم المنسوخ كمناقضة الأمر باستقبال المسجد الحرام في الصلاة للأمر باستقبال بيت المقدس بالشام ومناقضة الأمر بصيام رمضان للمقيم للتخيير بين الصيام وبين إطعام كل يوم مسكوناً ومناقضة نهيه عن تعدي الحدود التي فرضها للورثة للأمر بالوصية للوالدين والآقربين ومناقضة قوله لهم كفوا أيديكم عن القتال لقوله قاتلوك كما قال تعالى { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُوا أَيْدِيهِمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشُونَ النَّاسَ كَخْشِيَةَ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لَمْ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخْرَجْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَّاعُ الدَّنَيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلِمُونَ فَقَبِيلًا } 77 سوره النساء الآية 77 فأمره لهم بالقتال ناسخ لأمره لهم بكف أيديهم عنهم فاما قوله { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادُلُهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهَتَّدِينَ } النحل 125 قوله { وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا

¹ مجموع الفتاوى ج: 2 ص: 42-49

² ملاحظة: ذكر ابن تيمية تفسير هذه الآية يتسع كبير مقارن لأسلوب الفلسفه فلم اعرضها كلها تكميلته في مجموع الفتاوى ج: 2 ص: 49)

وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ {46} سورة العنكبوت الآية 46 فهذا لا ينافى الأمر بجهاد من أمر بجهاده منهم ولكن الأمر بالقتال ينافى النهي عنه والاقتدار على المجادلة فاما مع إمكان الجمع بين الجدال المأمور به والقتال المأمور به فلا منافاة بينهما وإذا لم يتناقلا بل أمكن الجمع لم يجز الحكم بالنسخ ومعلوم أن كلاً منها ينفع حيث لا ينفع الآخر وأن استعمالهما جميعاً أبلغ في إظهار الهدى ودين الحق وما يبيّن ذلك وجوه أحدها أن من كان من أهل الذمة والعهد والمستأمن منهم لا يجاهد بالقتال فهو داخل فيمن أمر الله بدعوته ومجادلته بالتالي هي أحسن وليس هو داخل فيمن أمر الله بقتاله الثاني أنه قال { وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابَ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أَنْزَلْنَا وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } {46} سورة العنكبوت الآية 46 فالظلم لم يؤمر بجداله بالتالي هي أحسن فمن كان ظالماً مستحقاً للقتال غير طالب للعلم والدين فهو من هؤلاء الظالمين الذين لا يجادلون بالتالي هي أحسن بخلاف من طلب العلم والدين ولم يظهر منه ظلم سواء كان قصده الاسترشاد أو كان يظن أنه على حق يقصد نصر ما يظنه حقاً ومن كان قصده العناد يعلم أنه على باطل ويجادل عليه فهذا لم يؤمر بمجادلته بالتالي هي أحسن لكن قد نجادله بطرق أخرى نبيّن فيها عناده وظلمه وجهله جراء له بموجب عمله الثالث انه سبحانه قال { وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلَغْهُ مَأْمَنَةً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ } {6} سورة التوبه الآية 6 فهذا مستجير مستأمن وهو من أهل الحرب أمر الله بإيجاره حتى تقوم حجة الله عليه ثم يبلغه مأمنه وهذا في سورة براءة التي فيها نقض العهود وفيها آية السيف وذكر هذه الآية في ضمن الأمر بنقض العهود ليبيّن سبحانه أنه مثل هذا يجب مأمانه حتى تقوم عليه الحجة لا تجوز محاربته كمحاربة من لم يطلب أن يبلغ حجة الله عليه قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ثم أبلغه مأمنه إن لم يوافقه ما نقص عليه ونخبر به فأبلغه مأمنه قال وليس هذا بمنسوخ وقال مجاهد من جاءك واستمع ما أنزل إليك فهو آمن حتى يأتيك وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يجاج الكفار بعد نزول الأمر بالقتال وقد أمره الله تعالى أن يجير المستجير حتى يسمع كلام الله ثم يبلغه مأمنه والمراد بذلك تبليغ رسالات الله وإقامة الحجة عليه وذلك قد لا يتم إلا بتقسيمه له الذي تقوم به الحجة ويجب به عن المعارضه وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب علم بطلان قول من ظن أن الأمر بالجهاد ناسخ الأمر بالمجادلة مطلقاً الوجه الرابع إن القائل إذا قال إن آية مجادلة الكفار أو غيرها مما يدعى نسخه منسوخة بآية السيف قيل له ما تعني بآية السيف اتعنى آية بعينها أم تعني كل آية فيها الأمر بالجهاد فإن أراد الأول كان جوابه من وجهين أحدهما أن الآيات التي فيها ذكر الجهاد متعددة فلا يجوز تخصيص بعضها وإن قال أريد قوله تعالى سورة التوبه الآية 5 قيل له هذه في قتال المشركين وقد قال بعدها في قتال أهل الكتاب { قاتلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ بِالْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدِهِمْ صَاغِرُونَ } {29} سورة التوبه الآية 29 فلو لم تكن آية السيف إلا واحدة لم تكن هذه أولى من هذه وإن قال كل آية فيها ذكر الجهاد وقيل له الجهاد شرع على مراتب فأول ما أنزل الله تعالى فيه الأذن بقوله { أَذِنْ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ } {39} سورة الحج الآية 39 فقد ذكر غير واحد من العلماء أن هذه أول آية نزلت في الجهاد ثم بعد ذلك نزل وجوبه بقوله { كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهَ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكُرَّهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } {216} سورة البقرة الآية 1

¹ الجواب الصحيح ج: 1 ص: 217-233

الجدل لا يدعى به بل هو من باب دفع الصائل

قال تعالى { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلُهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهُدِّدِينَ } النحل 125 والوعظ في القرآن هو الامر والنهي والترغيب والترهيب كقوله تعالى { وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوَعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَشْبِيهً } 66 وَإِذَا لَآتَيْنَاهُمْ مِّنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا } 67 { وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا } 68 النساء 66-68 قوله { مَا يُوَعَظُونَ بِهِ } النساء 66 أي ما يؤمرون به وقال { يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبْدًا إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ } النور 17 أي ينهاكم عن ذلك وايضا فالقرآن ليس فيه انه قال ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة والجدل بل قال **{ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلُهُمْ }** النحل 125 وذلك لأن الانسان له ثلاثة احوال اما ان يعرف الحق ويعمل به واما ان يعرفه ولا يعمل به واما ان يجده فأفضلها ان يعرف الحق وي العمل به والثاني أن يعرفه لكن نفسه تخافه فلا توافقه على العمل به والثالث من لا يعرفه بل يعارضه فصاحب الحال الاول هو الذي يدعى بالحكمة فأن الحكمة هي العلم بالحق والعمل به فالنوع الاكميل من الناس من يعرف الحق وي العمل به فيدعون بالحكمة والثاني من يعرف الحق لكن تختلفه نفسه فهذا يوعظ الموعظة الحسنة فهاتان هما الطريقان الحكمة والموعظة وعامة الناس يحتاجون الى هذا وهذا فأن النفس لها اهواء تدعوها الى خلاف الحق وان عرفته فالناس يحتاجون الى الموعظة الحسنة والحكمة فلا بد من الدعوة بهذا وهذا الجدل فلا يدعى به بل هو من باب دفع الصائل فإذا عارض الحق معارض جوبل والتي هي أحسن ولهذا قال وجادلهم فجعله فعلا مأمورا به مع قوله ادعهم فأمره بالدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة وأمره ان يجادل والتي هي أحسن وقال في الجدال والتي هي أحسن ولم يقل بالحسنة كما قال في الموعظة لأن الجدال فيه مدافعة ومغاضبة فيحتاج أن يكون والتي هي احسن حتى يصلح ما فيه من الممانعة والمدافعة والموعظة لا تدافع كما يدافع المجادل بما دام الرجل قابلا للحكمة أو الموعظة الحسنة أو لها جميعا لم يحتاج الى مجادلة فإذا مانع جوبل والتي هي أحسن والمجادلة يعلم كما أن الحكمة بعلم وقد ذم الله من يجادل بغير علم فقال تعالى { هَأَنْتُمْ هَوْلَاء حَاجِجُتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلَمْ تُحَاجُّوْنَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } آل عمران 66 والله لا يأمر المؤمنين أن يجادلوا بمقديمة يسلّمها الخصم إن لم تكن علما فلو قدر انه قال باطلأ لم يأمر الله ان يحتاج عليهم بالباطل لكن هذا قدر يفعل لبيان فساد قوله وبيان تناقضه لا لبيان الدعوة الى القول الحق والقرآن مقصوده بيان الحق ودعوة العباد إليه وليس المقصود ذكر ما تناقضوا فيه من أقوالهم لبيان خطأ أحدهما لا يعنيه فالمقدمات الجدلية التي ليست علمًا هذا فائدتها وهذا يصلح لبيان خطأ الناس مجملًا¹

القرآن يحتاج بالمقدمات البرهانية لتقرير المخاطب بالحق

¹ الرد على المنطقيين ج: 1 ص: 468

والقرآن جاء بالبينات والهدى بالآيات اليقينيات وقد قال الله تعالى لرسوله {
 ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمُوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلُهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ
 عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهَتَّدِينَ} النحل 125 والمتفلسفة يفسرون ذلك بطرقهم المنطقية في البرهان
 والخطابة والجدل وهو ضلال من وجوه قد بسطت في غير هذا الموضع بل الحكمة هي معرفة الحق
 والعمل بها فالقلوب التي لها فهم وقد تدعى بالحكمة فيبين لها الحق علماً وعملاً فتقبله وتعمل به
 وأخرون يعترفون بالحق لكن لهم أهواء تصدّهم عن اتباعه فهو لاءً يدعون بالموعظة الحسنة
 المشتملة على الترغيب في الحق والترهيب من الباطل والوعظ أمر ونهى بترغيب وترهيب كما قال
 تعالى { وَلَوْ أَنَّهُمْ قَعُلُوا مَا يُوْعَظُونَ بِهِ} النساء 66 وقال تعالى {يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا}
 } النور 17 فالدعوة بهذه الطريقة لمن قبل الحق ومن لم يقبله فإنه يجادل بالتي هي أحسن
 والقرآن مشتمل على هذا وهذا ولها إذا جادل يسأل ويستفهم عن المقدمات البينة البرهانية التي لا
 يمكن أحد أن يجدها لتقرير المخاطب بالحق ولا اعترافه بانكار الباطل كما في مثل قوله {أَمْ خُلُقُوا
 مِنْ عَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ} الطور 35 قوله {أَفَعَيْنَا بِالْخُلُقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خُلُقِ
 حَدِيدٍ} ق 15 قوله {أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ
 الْخَالِقُ الْعَلِيمُ} يس 81 قوله {أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُنْزَكَ سُدَّى} 36 {أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ
 يُمْنَى} 37 ثم كان علقة فخلق فسوئي 38 فجعل منه الزوحين الذكر والأنثى 39 {أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ
 عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى} 40 القيامة 36-40 قوله {أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَمْنَعُونَ} 58 {أَلَتْمَ تَخْلُقُونَهُ أَمْ تَحْنُنُ
 الْخَالِقُونَ} 59 الواقعه 58-59 قوله {وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِنَا بِآيَةً مِنْ رَبِّهِ أَوْلَمْ تَأْتِهِمْ بَيْنَهُ مَا فِي الصُّحْفِ
 الْأُولَى} طه 133 قوله {أَوْلَمْ يَكُفِّهُمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْكِتَابَ يُتَلَى عَلَيْهِمْ} العنكبوت 5 قوله {أَوْلَمْ
 يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمُهُ عُلَمَاءُ بَنْيِ إِسْرَائِيلَ} الشعراة 197 قوله {أَلَمْ تَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ} 8 وليسانا
 وشقيان 9 {وَهَدَيْنَاهُ النَّجَدَيْنِ} 10 البلد 8-10 إلى أمثل ذلك مما يخاطبهم باستفهام التقرير
 المتضمن اقرارهم واعترافهم بالمقدمات البرهانية التي تدل على المطلوب فهو من أحسن جدل
 بالبرهان فإن الجدل إنما يشترط فيه أن يسلم الخصم المقدمات وإن لم تكن بينة معروفة فإذا كانت بينة
 معروفة كانت برهانية والقرآن لا يحتاج في مجادلته بمقدمة لمجرد تسليم الخصم بها كما هي
 الطريقة الجدلية عند أهل المنطق وغيرهم بل بالقضايا والمقدمات التي تسلمها الناس وهي برهانية
 وإن كان بعضهم يسلّم بها وبعضهم ينزع فيها ذكر الدليل على صحتها كقوله {وَمَا قَدَرُوا اللَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ
 إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ
 تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ ثِبَّدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعَلِمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا أَبَاوْكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي
 حَوْضِهِمْ يَلْعَبُوْنَ} الأنعام 91 فإن الخطاب لما كان مع من يقر بنبوة موسى من أهل الكتاب ومع من
 ينكرها من المشركيين ذكر ذلك بقوله { قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى} الأنعام 91 وقد بين
 البراهين الدالة على صدق موسى في غير موضع وعلى قراءة من قرأ بيدهونها كابن كثير وابي
 عمر وجعلوا الخطاب مع المشركيين وجعلوا قوله { وَعَلِمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا} الأنعام 91 احتجاجاً
 على المشركيين بما جاء به محمد فالحججة على أولئك بنبوة موسى وعلى هؤلاء بنبوة محمد وكل منهما
 من البراهين ما قد بعضه في غير موضع وعلى قراءة الأكثرين وبالتالي هو خطاب لأهل الكتاب
 وقوله {عَلِمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا} الأنعام 91 بيان لما جاءت به الأنبياء مما انكروه فعلمهم الأنبياء ما
 لم يقبلوه ولم يعلموه فاستدل بما عرفوه من أخبار الأنبياء وما لم يعرفوه ¹

قال تعالى { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهَتَّدِينَ } النحل 125 الجدال قد يكون واجباً أو مستحبة كما قال تعالى { وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } النحل 125 وقد يكون الجدال محرماً في الحج و غيره كالجدال بغير علم و كالجدال في الحق بعد ما تبين¹

أصل الدعوة إلى الله وحقيقةها ومقصودها

قال تعالى { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهَتَّدِينَ } النحل 125 أنه سبحانه يذكر أنه أمره بالدعوة إلى الله تارة كما قال تعالى { قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَذْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ } يوسف 108 وتارة بالدعوة إلى سبيله كما قال تعالى { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ } النحل 125 وذلك أنه قد علم أن الداعي الذي يدعو غيره إلى أمر لا بد فيما يدعو إليه من أمررين أحدهما المقصود المراد و الثاني الوسيلة والطريق الموصل إلى المقصود فلهذا يذكر الدعوة تارة إلى الله وتارة إلى سبيله سبحانه هو المعبد المراد المقصود بالدعوة والعبادة إسم يجمع غاية الحب له وغاية الذل له فمن ذل لغيره مع بغضه لم يكن عابداً ومن أحبه من غير ذل له لم يكن عابداً والله سبحانه يستحق أن يحب غاية المحبة بل يكون هو المحبوب المطلق الذي لا يحب شيء إلا له وإن يعظم ويذل له غاية الذل بل لا يذل لشيء إلا من أجله ومن أشرك غيره في هذا وهذا لم يحصل له حقيقة الحب والتعظيم فإن الشرك يوجب نقص المحبة قال تعالى { وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُ حُبًّا لِّهِ } البقرة 165 أي أشد حب الله من هؤلاء لأندادهم وقال تعالى { ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءٌ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلِمًا لَرَجُلٍ هُلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا } الزمر 29 وكذلك الإستكبار يمنع حقيقة الذل لله بل يمنع حقيقة المحبة لله فإن الحب التام يوجب الذل والطاعة فإن المحب لمن يحب مطيع ولهذا الحب درجات أعلىها التنيم وهو التعبد وتنيم الله أي عبدالله فالقلب المتيم هو المعبد لمحبوبه وهذا لا يستحقه إلا الله وحده والإسلام أن يستسلم العبد لله لا لغيره كما ينبيء عنه قول لا إله إلا الله فمن يستسلم له ولغيره فهو مشرك ومن لم يستسلم له فهو مستكير وكلاهما ضد الإسلام والشرك غالب على النصارى ومن ضاهاه من الضلال والمتسببين إلى الأمة وقد بسطنا الكلام على ما يتعلق بهذا الموضوع في موضع متعدد وذلك يتعلق بتحقيق الألوهية لله وتوحيده وإمتناع الشرك وفساد السموات والأرض بتقدير الله غيره والفرق بين الشرك في الربوبية والشرك في الألوهية وبيان أن العباد فطروا على الإقرار به ومحبته وتعظيمه وأن القلوب لا تصلح إلا بأن تعبد الله وحده ولا كمال لها ولا صلاح ولا لذة ولا سرور ولا فرح ولا سعادة بدون ذلك وتحقيق الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدقين والشهداء والصالحين وغير ذلك مما يتعلق بهذا الموضوع الذي في تحقيق مقصود الدعوة النبوية والرسالة الإلهية وهو لب القرآن وزبدته وبيان التوحيد العلمي القولي المذكور في قوله { قُلْ هُوَ اللَّهُ

أَحَدٌ {1} اللَّهُ الصَّمَدُ {2} الْأَخْلَاصُ 1-2 والتَّوْحِيدُ الْقَصْدِيُّ الْعُلْمِيُّ الْمُذَكُورُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى {فُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} {1} الْكَافِرُونَ 1 وَمَا يَتَصلُّ بِذَلِكَ فَإِنْ هَذَا بَيْانٌ لِأَصْلِ الدُّعَوَةِ إِلَى اللَّهِ وَحْقِيقَتِهَا وَمَقْصُودُهَا لَكِنَّ الْمَقْصُودَ فِي الْجَوَابِ ذَلِكَ عَلَى طَرِيقِ الْأَجْمَالِ إِذَا لَا يَتَسَعُ الْجَوَابُ لِتَفْصِيلِ ذَلِكَ وَكَلَمًا أَحَبَّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ وَاجْبٍ وَمُسْتَحْبٍ مِنْ بَاطِنٍ وَظَاهِرٍ فَمِنْ الدُّعَوَةِ إِلَى اللَّهِ الْأَمْرُ بِهِ وَكَلَمًا أَبْغَضَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ بَاطِنٍ وَظَاهِرٍ فَمِنْ الدُّعَوَةِ إِلَى اللَّهِ النَّهْيُ عَنِهِ لَا تَتَمَّ الدُّعَوَةُ إِلَى اللَّهِ إِلَّا بِالْدُّعَوَةِ إِلَى أَنْ يَفْعُلَ مَا أَحَبَّهُ اللَّهُ وَيَتَرَكَ مَا أَبْغَضَهُ اللَّهُ سَوَاءٌ كَانَ مِنَ الْأَقْوَالِ أَوِ الْأَعْمَالِ الْبَاطِنَةِ أَوِ الظَّاهِرَةِ كَالْتَصْدِيقِ بِمَا أَخْبَرَ بِهِ الرَّسُولُ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصَفَاتِهِ وَالْمَعَادِ وَتَفْصِيلِ ذَلِكَ وَمَا أَخْبَرَ بِهِ عَنِ السَّائِرِ الْمَخْلوقَاتِ كَالْعَرْشِ وَالْكَرْسِيِّ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَأَمْمَهُمْ وَأَعْدَائِهِمْ وَكَالْأَخْلَاصِ الدِّينِ اللَّهُ وَأَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مَا سَوَاهُمَا وَكَالْتَوْكِلَ عَلَيْهِ وَالرَّجَاءُ لِرَحْمَتِهِ وَخَشْيَةُ عَذَابِهِ وَالصَّبْرُ لِحَكْمِهِ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ وَكَصَدْقِ الْحَدِيثِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ وَصَلَةِ الْأَرْحَامِ وَحَسْنِ الْجَوَارِ وَكَالْجَهَادِ فِي سَبِيلِهِ بِالْقَلْبِ وَالْيَدِ وَاللِّسَانِ إِذَا تَبَيَّنَ ذَلِكَ فَالْدُّعَوَةُ إِلَى اللَّهِ وَاجِبَةٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَهُ وَهُمْ أَمْتَهُ يَدْعُونَ إِلَى اللَّهِ كَمَا دَعَا إِلَى اللَّهِ وَكَذَلِكَ يَتَضَمَّنُ أَمْرَهُمْ بِهِ وَنَهِيهُمْ عَمَّا يَنْهَا عَنْهُ وَأَخْبَارُهُمْ بِمَا أَخْبَرَ بِهِ إِذَا الْدُّعَوَةُ تَضَمِّنُ الْأَمْرَ وَذَلِكَ يَتَنَاهُ الْأَمْرُ بِكُلِّ مَعْرُوفٍ وَالنَّهِيِّ عَنِ كُلِّ مُنْكَرٍ وَقَدْ وَصَفَ أَمْتَهُ بِذَلِكَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ كَمَا وَصَفَهُ بِذَلِكَ فَقَالَ تَعَالَى {كُنْتُمْ خَيْرَ أَمَّةٍ أَخْرَجْتُ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ} آل عمران 110 وَقَالَ تَعَالَى {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمُ أُولَئِيَّاءِ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ} التوبه 71 الآية كفاية إِذَا قَامَ بِهِ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ سَقَطَ عَنِ الْبَاقِينَ فَالْأُمَّةُ كُلُّهَا مُخَاطِبَةٌ بِفَعْلِ ذَلِكَ وَلَكِنْ إِذَا قَامَتْ بِهِ طَائِفَةٌ سَقَطَ عَنِ الْبَاقِينَ قَالَ تَعَالَى {وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} آل عمران 104 فَمَجْمُوعُ أَمْتَهُ تَقْوَمُ مَقَامَهُ فِي الدُّعَوَةِ إِلَى اللَّهِ وَلِهَذَا كَانَ إِجْمَاعُهُمْ

حَجَةٌ قَاطِعَةٌ فَأَمْتَهُ لَا تَجْتَمِعُ عَلَى ضَلَالٍ وَإِذَا تَنَازَعُوا فِي شَيْءٍ رَدُوا مَا تَنَازَعُوا فِيهِ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْأُمَّةِ يَجْبُ عَلَيْهِ أَنْ يَقُومَ مِنَ الدُّعَوَةِ بِمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِذَا لَمْ يَقُمْ بِهِ غَيْرُهُ فَمَا قَامَ بِهِ غَيْرُهُ سَقَطَ عَنْهُ وَمَا عَجَزَ لَمْ يَطْلُبْ بِهِ وَأَمَّا مَا لَمْ يَقُمْ بِهِ غَيْرُهُ وَهُوَ قَادِرٌ عَلَيْهِ فَعَلَيْهِ أَنْ يَقُومَ بِهِ وَلِهَذَا يَجْبُ عَلَى هَذَا أَنْ يَقُومَ بِمَا لَا يَجْبُ عَلَى هَذَا وَقَدْ تَقْسَطَتِ الدُّعَوَةُ عَلَى الْأُمَّةِ بِحَسْبِ ذَلِكَ تَارِةً وَبِحَسْبِ غَيْرِهِ أُخْرَى فَقَدْ يَدْعُوا هَذَا إِلَى إِعْتِقَادِ الْوَاجِبِ وَهَذَا إِلَى عَمَلِ ظَاهِرِ الْوَاجِبِ وَهَذَا إِلَى عَمَلِ بَاطِنِ الْوَاجِبِ فَتَنَوَّعَ الدُّعَوَةُ يَكُونُ فِي الْوَجُوبِ تَارِةً وَفِي الْوَقْعَ أُخْرَى وَقَدْ تَبَيَّنَ بِهَذَا أَنَّ الدُّعَوَةَ إِلَى اللَّهِ تَجْبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ لِكُلِّهَا فَرْضٌ عَلَى الْكَفَايَةِ وَإِنَّمَا يَجْبُ عَلَى الرَّجُلِ الْمُعِينِ مِنْ ذَلِكَ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِذَا لَمْ يَقِيمْ بِهِ غَيْرُهُ وَهَذَا شَأْنُ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهِيِّ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتَبْلِيغُ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ وَالْجَهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَتَعْلِيمِ الإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ وَقَدْ تَبَيَّنَ بِهَذَا أَنَّ الدُّعَوَةَ نَفْسَهَا أَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ فَإِنَّ الدَّاعِيَ طَالِبٌ مُسْتَدِعٌ مُقْتَضِيًّا لِمَا دَعَى إِلَيْهِ وَذَلِكُ هوَ الْأَمْرُ بِهِ إِذَا الْأَمْرُ طَلَبَ الْفَعْلَ الْمَأْمُورَ بِهِ وَاسْتِدْعَاءُ لَهُ وَدُعَاءُ إِلَيْهِ فَالْدُّعَاءُ إِلَى اللَّهِ الدُّعَاءُ إِلَى سَبِيلِهِ فَهُوَ أَمْرٌ بِسَبِيلِهِ وَسَبِيلِهِ تَصْدِيقَهُ فِيَا أَخْبَرَ وَطَاعَتْهُ فِيمَا أَمْرَى وَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّهُمَا وَاجِبَانِ عَلَى كُلِّ فَرِدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَجُوبُ فَرْضِ الْكَفَايَةِ لَا وَجُوبُ فَرْضِ الْأَعْيَانِ كَالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ بِلَ كَوْجُوبِ الْجَهَادِ وَالْقِيَامِ بِالْوَجِبَاتِ مِنَ الدُّعَوَةِ الْوَاجِبَةِ وَغَيْرُهَا يَحْتَاجُ إِلَى شَرْوُطٍ يَقَامُ بِهَا كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ يَنْبَغِي لِمَنْ أَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ أَنْ يَكُونَ فَقِيَهَا فِيمَا يَأْمُرُ بِهِ فَقِيَهَا فِيمَا يَنْهَا عَنِهِ رَفِيقًا فِيمَا يَأْمُرُ بِهِ رَفِيقًا فِيمَا يَنْهَا عَنِهِ حَلِيمًا فِيمَا يَأْمُرُ بِهِ حَلِيمًا فِيمَا يَنْهَا عَنِهِ فَالْفَقْهُ قَبْلَ الْأَمْرِ لِيَعْرِفَ الْمَعْرُوفَ وَيَنْكِرَ الْمُنْكَرَ وَالرَّفِقُ عَنِ الْأَمْرِ لِيَسْلِكَ أَقْرَبَ الْطَرِقَ إِلَى تَحْصِيلِ الْمَقْصُودِ وَالْحَلُمُ بَعْدَ الْأَمْرِ لِيَصِيرَ عَلَى أَذْنِ الْمَأْمُورِ الْمَنْهِيِّ فَإِنَّهُ كَثِيرًا مَا يَحْصُلُ لَهُ الْأَذْنِ بِذَلِكَ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى {وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهُ عَنِ الْمُنْكَرِ

وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ { لقمان 17 } وقد أمر نبينا بالصبر في مواضع كثيرة كما قال تعالى في أول المدثر { قُمْ فَأَنذِرْ } 2 { وَرَبَّكَ فَكِبِرْ } 3 { وَثِيَابَكَ فَطَهَرْ } 4 { وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ } 5 { وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْرُ } 6 { وَلَرَبِّكَ فَاصْبِرْ } 7 { المدثر 2-7 } وقال تعالى { وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا } الطور 48 وقال { وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ } المزمول 10 وقال تعالى { وَلَقَدْ كُذِبَتْ رُسُلٌ مِّنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا } الأنعام 34 وقال { فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ } القلم 48 وقد جمع سبحانه بين التقوى والصبر في مثل قوله { اتَّبِلُوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفَسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِّنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَقَوَّا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأَمْوَارِ } آل عمران 186 والمؤمنون كانوا يدعون إلى الإيمان بالله وما أمر به من المعروف وبينهم عما نهى الله عنه من المنكر فيؤذن لهم المشركين وأهل الكتاب وقد أخبرهم بذلك قبل وقوعه وقال لهم { وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَقَوَّا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأَمْوَارِ } آل عمران 186 وقد قال يوسف عليه السلام { أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقَ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ } يوسف 90 فالتفوى تتضمن طاعة الله ومنها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر يتناول الصبر على المصائب التي منها أذى المأمور المنهي للأمر الناهي لكن للأمر الناهي أن يدفع عن نفسه ما يضره كما يدفع الإنسان عن نفسه الصائب فإذا أراد المأمور المنهي ضربه أو أخذ ماله ونحو ذلك وهو قادر على دفعه فله دفعه عنه بخلاف ما إذا وقع الأذى وتاب منه فإن هذا مقام الصبر والحلم والكمال في هذا الباب حال نبينا كما في الصحيحين عن عائشة أنها قالت ما ضرب رسول الله بيده خادما له ولا إمرأة ولا دابة ولا شيئاً قط إلا أن يجاهد في سبيل الله ولا نيل منه فانتقم لنفسه إلا أن تنتهاك محارم الله فإذا انتهكت محارم الله لم يتم لغضبه شيء حتى ينتقم الله فقد تضمن خلقه العظيم أنه لا ينتقم لنفسه إذا نيل منه وإذا انتهكت محارم الله لم يتم لغضبه شيء حتى ينتقم الله ومعلوم أن أذى الرسول من أعظم المحرمات فإن من آذاه فقد آذى الله وقتل سابه واجب باتفاق الأمة سواء قيل إنه قتل لكونه ردة أو لكونه ردة مغلوطة أو جبت أن صار قتل الساب حدا من الحدود والمنقول عن النبي في إحتماله وعفوه عنمن كان يؤذنه كثير كما قال تعالى { وَدَكَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرِدُونَكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحُقْقَ فَاغْفُوْ وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ } البقرة 109 فالامر الناهي إذا أوذى وكان آذاه تعدياً لحدود الله وفيه حق الله يجب على كل أحد النهي عنه وصاحبه مستحق للعقوبة لكن لما دخل فيه حق الآدمي كان له العفو عنه كما له أن يعفو عن القاذف والقاتل وغير ذلك وعفوه عنه لا يسقط عن ذلك العقوبة التي وجبت لحق الله لكن يكمل لهذا الأمر الناهي مقام الصبر والعفو الذي شرع الله لمثله حتى يدخل في قوله تعالى { وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَقَوَّا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأَمْوَارِ } آل عمران 186 وفي قوله { فَاعْفُوْ وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ } البقرة 109 ثم هنا فرق لطيف أما الصبر فإنه مأمور به مطلقاً فلا ينسخ وأما العفو والصفح فإنه جعل إلى غاية وهو أن يأتي الله بأمره فلما أتى الله بأمره وب�能ه بتمكين الرسول ونصره صار قادر على الجهاد لأولئك والزمامهم بالمعروف ومنعهم عن المنكر صار يجب عليه العمل باليد في ذلك ما كان عاجزا عنه وهو مأمور بالصبر في ذلك كما كان مأمور بالصبر أولاً والجهاد مقصوده أن تكون كلمة الله هي العليا وأن يكون الدين كله الله فمقصوده إقامة دين الله لا إستيفاء الرجل حظه ولهذا كان ما يصاب به المجاهد في نفسه وماليه أجره فيه على الله ف { إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ } التوبه 111 حتى إن الكفار إذا أسلموا أو عاهدوا لم يضمنوا ما اتلفوه للMuslimين من الدماء والأموال بل لو أسلموا وبأيديهم ما غنموه من أموال المسلمين كان ملكاً لهم عند جمهور العلماء كما كمالك وأبى حنيفة وأحمد وهو الذي مضت به سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنة خلفائه الراشدين فالامر الناهي إذا نيل منه وأوذى ثم إن ذلك المأمور المنهي تاب وقبل

الحق منه فلا ينبغي له أن يقتضي منه ويعاقبه على أذاته فإنه قد سقط عنه بالتوبة حق الله كما يسقط عن الكافر إذا أسلم حقوق الله تعالى كما ثبت في الصحيح عن النبي أنه قال الإسلام يهدم ما كان قبله والتوبة تهدم ما كان قبلها والكافر إذا أسلم هدم الإسلام ما كان قبله دخل في ذلك ما اعنى به على المسلمين في نفوسهم وأموالهم لأنه ما كان يعتقد ذلك حراما بل كان يستحله فلما تاب من ذلك غفر له هذا الإسحاق وغفرت له توابعه فالمأمور المنهى أن كل مستحل لأذى الأمر الناهي كأهل البدع والأهواء الذين يعتقدون أنهم على حق وأن الأمر الناهي لهم معنون عليهم فإذا تابوا لم يعاقبوا بما اعندوا به على الأمر الناهي من أهل السنة كالرافضي الذي يعتقد كفر الصحابة أو فسقهم وسبهم على ذلك فإن تاب من هذا الاعتقاد وصار يحبهم ويتولاهم لم يبق لهم عليه حق بل دخل حقهم في حق الله ثبوتا وسقوطا لأنه تاب لاعتقاده ولهذا كان جمهور العلماء كأبي حنيفة ومالك وأحمد في أصح الروايتين والشافعي في أحد القولين على أن أهل البغي المتأولين لا يضمنون ما أتلفوه على أهل العدل بالتأويل كما لا يضمن أهل العدل أتلفوه على أهل البغي بالتأويل باتفاق العلماء وكذلك أصح قولي العلماء في المرتد والباغي المتأول والمبتدع كل هؤلاء يعتقد أحدهم أنه على حق في فعل ما يفعله متأولا فإذا تاب من ذلك كان كتبة الكافر من كفره فيغفر له ما سلف مما فعله متأولا وهذا بخلاف من يعتقد أن ما يفعله بغي وعدوان كال المسلم إذا ظلم المسلم والذمي إذا ظلم المسلم والمرتد الذي اختلف مال غيره وليس بمحارب بل هو في الظاهر مسلم أو معاهد فإن هؤلاء يضمنون ما أتلفوه بالاتفاق فالمأمور المنهى إن كان يعتقد أن أذى الأمر الناهي جائز له فهو من المتأولين وحق الأمر الناهي داخل في حق الله تعالى فإذا تاب سقط الحقان وإن لم يتبع كان مطلوبا بحق الله المتضمن حق الأدمي فاما ان يكون كفرا وأما أن يكون فاسقا وإما أن يكون غاصبا فهو لاء كل يستحق العقوبة الشرعية بحسبه وإن كان مجتهدا مخطئا فهذا قد عفى الله عنه خطأه فإذا كان قد حصل بسبب إجتهاده الخطأ أذى للأمر الناهي بغير حق فهو كالحاكم إذا إجتهد فأخطأ وكان في ذلك ما هو أذى للمسلم أو كالشاهد أو كالفتوى فإذا كان الخطأ لم يتبيّن لذلك المجتهد المخطيء كان هذا مما ابتنى الله به هذا الأمر الناهي قال تعالى {وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَنَصِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا} الفرقان 20 فهذا مما يرتفع عنه الإثم في نفس الأمر وكذلك الجزاء على وجه العقوبة ولكن قد يقال قد يسقط الجزاء على وجه القصاص الذي يجب في العمد ويثبت الضمان الذي يجب في الخطأ كما تجب الدية في الخطأ وكما يجب ضمان الأموال التي يتلفها الصبي والمجنون في ماله وإن وجبت الدية على عاقلة القاتل خطأ معاونة له فلا بد بإستيفاء حق المظلوم خطأ فكذلك هذا الذي ظلم خطأ لكن يقال يفرق بين ما كان الحق فيه لله وحق الأدمي تبع له وما كان حقا لأدمي محضا أو غالبا والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد من هذا الباب موافق لقول الجمهور الذين لا يوجبون على أهل البغي ضمان ما أتلفوه لأهل العدل بالتأويل وإن كان ذلك خطأ منهم ليس كفرا ولا فسقا وإذا قدر عليهم أهل العدل لم يتبعوا مدبرهم ولم يجهزوا على جريتهم ولم يسبوا حريمهم ولم يغنو أموالهم فلا يقاتلونهم على ما أتلفوه من النفوس والأموال إذا أتلفوه مثل ذلك أو تملکوا عليهم فتبيّن أن القصاص ساقط في هذا الموضع لأن هذا من باب الجهاد الذي يجب فيه الأجر على الله وهذا مما يتعلق بحق العبد للأمر الناهي وأما قول السائل هل يقتضي منه ثلاثة يؤدي إلى طمع منه في جانب الحق فيقال متى كان فيما فعله إفساد لجانب الحق كان الحق في ذلك الله ورسوله فيفعل فيه ما يفعل في نظيره وأن لم يكن فيه أذى للأمر الناهي والمصلحة في ذلك تتتنوع فتارة تكون المصلحة الشرعية القتال وتارة تكون المصلحة المهادنة وتارة تكون المصلحة الإمساك والإستعداد بلا مهادنة وهذا يشبه ذلك لكن الإنسان تزين له نفسه أن عفوه عن ظالمه يجريه عليه وليس كذلك بل قد ثبت عن النبي في الصحيح أنه قال ثلثة أنت لحالفا عليهم ما زاد الله عبادا بعفو إلا عزا وما نقصت صدقة من

مال وما تواضع أحد الله إلا رفعه الله فالذي ينبغي في هذا الباب أن يعفو الإنسان عن حقه ويستوفى حقوق الله بحسب الامكان قال تعالى {وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَتَصْرِفُونَ} الشورى 39 قال إبراهيم النخعي كانوا يكرهون أن يستذلوا فإذا قدروا عفوا قال تعالى {هُمْ يَتَصْرِفُونَ} الشورى 39 يمدحهم بأن فيهم همة الإنصرار للحق والحمية له ليسوا بمنزلة الذين يغفون عجزاً وذلاً بل هذا مما يلزم به الرجل والمدح العفو مع القدرة والقيام لما يجب من نصر الحق لا مع إهمال حق الله وحق العباد والله تعالى أعلم¹

دخول الأعمال في مسمى الإيمان حقيقة لا مجازا

قال تعالى {إِذْءُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلُهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهَتَّدِينَ} النحل 125 قال أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كل من عمل سوءاً فهو جاهل وسبب ذلك أن العلم الحقيقى الراسخ في القلب يمتنع أن يصدر معه ما يخالفه من قول أو فعل فمتي صدر خلافه فلا بد من غفلة القلب عنه أو ضعف القلب عن مقاومة ما يعارضه وتلك أحوال تناقض حقيقة العلم فيصير جهلاً بهذا الاعتبار ومن هنا تعرف دخول الأعمال في مسمى الإيمان حقيقة لا مجازا وإن لم يكن كل من ترك شيئاً من الأعمال كافراً أو خارجاً عن أصل مسمى الإيمان وكذلك اسم العقل ونحو ذلك من الأسماء ولهذا يسمى الله تعالى أصحاب هذه الأحوال موته وعمياً وصمماً وبكما وضالين وجاهلين ويصفهم بأنهم لا يعقلون ولا يسمعون ويصف المؤمنين بأولي الألباب والنبي وأنهم مهتدون وأن لهم نوراً وأنهم يسمعون ويعقلون²

الشرع جاء بتحصيل المصالح وتمكيلها وتعطيل المفاسد وتقليها

قال تعالى {إِذْءُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلُهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهَتَّدِينَ} النحل 125 والشرع جاء بتحصيل المصالح وتمكيلها وتعطيل المفاسد وتقليها فهي تأمر بما تترجح مصلحته وإن كان فيه مفسدة مرجوحة كالجهاد وتنهى عما ترجمت مفسدته وإن كان فيه مصلحة مرجوحة كتناول المحرمات من الخمر وغيرها ولهذا أمر تعالى أن نأخذ بأحسن ما أنزل إلينا من ربنا فالأخشن إما واجب وإما مستحب قال تعالى {وَأَمْرٌ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأْرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ} الأعراف 145 وقال {وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِّنْ رَبِّكُمْ} الزمر 55 فأمر باتباع الأحسن والأخذ به وقال تعالى {الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمُ أُولُوا الْأَلْبَابِ} الزمر 18 فاقضى أن غيرهم لم يهد و هذا يقتضي وجوب الأخذ بالأحسن وهو مشكل وقد تكلم الناس فيه ونظيره قوله تعالى

¹ مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 162-174

² اقتضاء الصراط ج: 1 ص: 78

{ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلُهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} النحل 125 ونظائر هذا كثيرة مما يذكر فيه أن المأمور به خير وأحسن من المنهي عنه وإن كان الأول واجبا والثاني محرما وذلك لأن المأمور به قد يشتمل على مفسدة مرجوحة والمنهي عنه يشتمل على مصلحة مرجوحة فيكون باعتبار ذلك في هذا خير وحسن وفي هذا شر وسيء لكن هذا خير وأحسن وإن كان واجبا فقوله تعالى {وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِّنْ رَبِّكُمْ} الزمر 55 هو أمر بالأحسن من فعل المأمور أو ترك المحظور وهو يتناول الأمر بالواجب والمستحب فإن كلاهما أحسن من المحرم والمكره لكن يكون الأمر أمر إيجاب وأمر استحباب كما أمر بالإحسان في قوله تعالى {وَأَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى النَّهْلَكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} البقرة 195 والإحسان منه واجب ومنه مستحب¹

والإنسان لو أنه يناظر المشركيين وأهل الكتاب لكان عليه أن يذكر من الحجة ما يبين به الحق الذي معه والباطل الذي معهم فقد قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلُهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} النحل 125 وقال تعالى {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْنَاكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} العنکبوت 46²

الشريعة مبناه على العدل

قال تعالى {وَإِنْ عَاقِبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُؤُلَاءِ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ} النحل 126 **أن** كل خير فهو داخل في القسط والعدل وكل شر فهو داخل في الظلم ولهذا كان العدل أمرا واجبا في كل شيء وعلى كل أحد والظلم محرما في كل شيء ولكن أحد فلا يحل ظلم أحد أصلا سواء كان مسلما أو كافرا أو كان ظالما بل الظلم إنما بياح أو يجب فيه العدل عليه أيضا قال تعالى {إِنَّمَا أَيَّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءِ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمُنَّكُمْ شَنَآنُ} المائدة 8 أي يحملنكم شنآن أي بغض قوم وهم الكفار على عدم العدل {قَوْمٌ عَلَى أَلَا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} المائدة 8 وقال تعالى {فَمَنْ اعْنَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا أَعْلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْنَدَى عَلَيْكُمْ} البقرة 194 وقال تعالى {وَإِنْ عَاقِبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ} النحل 126 وقال تعالى {وَجَزَاءَ سَيِّئَةً سَيِّئَةً مِّثْلَهَا} الشورى 40 وقد دل على هذا قوله في الحديث يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظلموا فإن هذا خطاب لجميع العباد أن لا يظلم أحد أحدا وأمر العالم في الشريعة مبني على هذا وهو العدل في الدماء والأموال والأبعاض والأنساب والأعراض ولهذا جاءت السنة بالقصاص في ذلك ومقابلة العادي بمثل فعله لكن المماثلة قد يكون علمها أو عملها متعدرا ومتعرضا ولهذا يكون أقرب إليها بحسب الإمكان ويقال هذا أمثل وهذا أشبه وهذه الطريقة المثل لاما كان أمثل بما هو العدل والحق في نفس الأمر إذ ذاك

¹الجواب الصحيح ج: 6 ص: 18

²مجموع الفتاوى ج: 4 ص: 187

محجوز عنه ولهذا قال تعالى {وَأُوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} الأنعام 152
 فذكر أنه لم يكفل نفسها إلا وسعها حين أمر بتوفيق الكيل والميزان بالقسط لأن الكيل لا بد له أن يتفضل أحد المكيلين على الآخر ولو بحجة أو حبات وكذلك التفاضل في الميزان قد يحصل بشيء يسير لا يمكن الاحتراز منه فقال تعالى {لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} الأنعام 152 ولهذا كان القصاص مشروعًا إذا أمكن استيفاؤه من غير جنف كالاقتاصاص في الجروح التي تنتهي إلى عظم وفي الأعضاء التي تنتهي إلى مفصل فإذا كان الجنف واقعاً في الاستيفاء عدل إلى بدله وهو الديمة لأنه أشبه بالعدل من اتلاف زيادة في المقصص منه وهذه حجة من رأى من الفقهاء أنه لا قود إلا بالسيف في العنق قال لأن القتل بغير السيف وفي غير العنق لا نعلم فيه المماثلة بل قد يكون التحرير والتغريق والتوضيظ ونحو ذلك أشد إيلاماً لكن الذين قالوا يفعل به مثل ما فعل قولهم أقرب إلى العدل فإنه مع تحري التسوية بين الفعلين يكون العبد قد فعل ما يقدر عليه من العدل وما حصل من تفاوت الألم خارج عن قدرته وأما إذا قطع يديه ورجليه ثم وسطه فقبول ذلك بضرب عنقه بالسيف أو رض رأسه بين حجرين فضرب بالسيف فهنا قد تيقنا عدم المعادلة والمماثلة وكنا قد فعلنا ما تيقنا انتقاء المماثلة فيه وأنه يتعدز معه وجودها بخلاف الأول فإن المماثلة قد تقع إذ التفاوت فيه غير متيقن وكذلك القصاص في الضربة واللطممة ونحو ذلك عدل عنه طائفة من الفقهاء إلى التعزيز لعدم إمكان المماثلة فيه والذي عليه الخلفاء الراشدون وغيرهم من الصحابة وهو من موصى به ما جاءت به سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثبوت القصاص به لأن ذلك أقرب إلى العدل والمماثلة فإننا إذا تحرينا أن نفعل به من جنس فعله ونقرب القدر من القدر كان هذا أمثل من أن نأتي بجنس من العقوبة تخالف عقوبته جنساً وقدراً وصفة وهذا النظر أيضاً في ضمان الحان والعقار ونحو ذلك بمثله تقريباً أو بالقيمة كما نص أحمد على ذلك في مواضع ضمان الحيوان وغيره ونص عليه الشافعي فيمن خرب حائط غيره أنه يبنيه كما كان وبهذا قضى سليمان عليه السلام في حكومة الحرش التي حكم فيها هو وأبوه كما قد بين ذلك في موضعه فجميع هذه الأبواب المقصود للشريعة فيها تحري العدل بحسب الإمكان وهو مقصود العلماء لكن أفهمهم من قال بما هو أشبه بالعدل في نفس الأمر وإن كان كل منهم قد أورتي علمًا وحكمًا لأنه هو الذي أنزل الله به الكتب وأرسل به الرسل وضده الظلم كما قال سبحانه يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محrama فلا تظالموا ولما كان العدل لابد أن يتقدمه علم إذ من لا يعلم لا يدرى ما العدل والإنسان ظالم جاهل إلا من تاب الله عليه فصار عالماً عادلاً صار الناس من القضاة وغيرهم ثلاثة أصناف العالم العادل والجاهل والظالم فهذان من أهل النار كما قال النبي صلى الله عليه وسلم القضاة ثلاثة قاضيان في النار وقاض في الجنة رجل علم الحق وقضى به فهو في الجنة ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار ورجل علم الحق وقضى بخلافه فهو في النار فهذان القسمان كما قال من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ ومن قال في القرآن برأيه فأخطأ فليتبواً مقعده من النار وكل من حكم بين الاثنين فهو قاض سواء كان صاحب حرب أو متولي ديوان أو منتصباً للاحتساب بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى الذي يحكم بين الصبيان في الخطوط فإن الصحابة كانوا يعذونه من الحكم ولما كان الحكم مأموريين بالعدل بالعلم وكان المفروض إنما هو بما يبلغه جهد الرجل قال النبي صلى الله عليه وسلم إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله

أجر¹

¹ الفتوى الكبرى ج: 1 ص: 419-421 و مجموع الفتاوى ج: 18 ص: 167

درجة الحلم والصبر والعفو عن الظلم افضل اخلاق اهل الدنيا والآخرة

قال تعالى { وَإِنْ عَاقِبُتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ } النحل 126
كان النبي وغيره من الانبياء عليهم السلام يغفون ويصفحون عنم قاله امثالا لقوله تعالى { حُذِّفَ }
العُفُورُ وَأَمْرٌ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ } الأعراف 199 ولقوله تعالى { أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ }
السَّيِّئَةَ } المؤمنون 96 قوله { وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِنَّمَا ذَيْنِي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَانَهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ } 34 وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ
عظيم { 35 فصلت 34- 35 ولقوله تعالى { وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيلًا قُلْبٍ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ }
عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَارِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ } آل عمران 159 ولقوله تعالى { وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ } الأحزاب 48 ذلك لأن درجة الحلم والصبر على الاذى والغفو عن الظلم
افضل اخلاق اهل الدنيا والاخرة يبلغ الرجل بها ما لا يبلغه بالصيام والقيام قال تعالى { وَالْكَاطِمِينَ }
الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ } آل عمران 134 وقال تعالى { وَجَزَاء سَيِّئَةً سَيِّئَةً }
مُنْهَا فَمَنْ عَفَ وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ } الشورى 40 وقال تعالى { إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوا
عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوا قَدِيرًا } النساء 149 وقال تعالى { وَإِنْ عَاقِبُتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ }
ولئن صبرتم لهؤلئه خير للصابرين } النحل 126 والاحاديث في هذا الباب كثيرة مشهورة ثم الانبياء
احق الناس بهذه الدرجة لفضلهم واحوج الناس اليها لما ابتلوا به من دعوة الناس ومعالجتهم وتغيير
ما كانوا عليه من العادات هو امر لم يات به احد الا عودي فالكلام الذي يؤذيهم يكرر به الرجل
فيصير به محاربا ان كان ذا عهد ومرتد او منافقا ان كان من يظهر الاسلام ولهم فيه ايضا حق
الادمي يجعل الله لهم ان يعفوا عن مثل هذا النوع ووسع عليهم ذلك لما فيه من حق الادمي تغليبا لحق
الادمي على حق الله كما جعل لمستحق القود وحد القذف ان يعفو عن القاتل والقاذف واولى لما في
جواز عفو الانبياء ونحوهم من المصالحة العظيمة المتعلقة بالنبي والامة وبالدين وهذا معنى قول
عائشة رضي الله عنها ما ضرب رسول الله بيده خادما له ولا امراة ولا دابة ولا شيئاً قط الا ان
يجاهد في سبيل الله ولا انتقم لنفسه قط وفي لفظ ما نيل منه شئ فانتقم من صاحبه الا ان تنتهك محaram
الله اذا انتهكت محaram الله لم يتم لغضبة شئ حتى ينتقم الله متفق عليه و معلوم ان النيل منه اعظم
من انتهك المحaram لكن لما دخل فيها حقه كان الامر اليه في العفو او الانتقام فكان يختار العفو وربما
امر بالقتل اذا راي المصلحة في ذلك بخلاف ما لاحق له فيه من زنى او سرقة او ظلم لغيره فانه
يجب عليه القيام به وقد كان اصحابه اذا راوا من يؤذيه ارادوا قتلته لعلمهم بأنه يستحق القتل فيعفو
هو عنه ويبين لهم ان عفوه اصلاح مع اقراره لهم على جواز قتيله ولو قتيله قاتل قبل عفو النبي لم
يعرض له النبي لعلمه بأنه قد انتصر الله ورسوله بل يحمده على ذلك ويثنى عليه كما قتل عمر رضي
الله عنه الرجل الذي لم يرضى بحكمه وكما قتل رجل بنت مروان واخر اليهودية السابعة فاذا تعذر
عفوه بموته بقي حقا محسنا للرسول وللمؤمنين لم يعف عنه مستحقة فتجب اقامتة ويبين ذلك
ما روى ابراهيم بن الحكم بن ابان حدثني ابي عن عكرمه عن ابي هريرة رضي الله عنه ان اعرابيا
جاء الى النبي يستعينه في شيء فاعطاه شيئا ثم قال احسنت اليك قال الاعرابي لا ولا اجملت قال
غضب المسلمين وقاموا اليه فأشار اليهم ان كفوا ثم قام فدخل منزله ثم ارسل الى الاعرابي فدعاه

الى البيت يعني فاعطاه فرضي فقال انك جئتنا فسألتنا فاعطيناك فقلت ما قلت وفي انفس المسلمين
 شئ من ذلك فان احبيت فقل بين ايديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب من صدورهم ما فيها عليك قال
 نعم فلما كان الغد او العشي جاء قال رسول الله ان صاحبكم هذا جاء فسألنا فاعطيناه فقال ما قال وانا
 دعوناه الى البيت فاعطيناه فزعم انه قد رضي اذن ذلك قال الاعرابي نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة
 خيرا فقال النبي الا ان مثلي ومثل هذا الاعرابي كمثل رجل كانت له ناقة فشردت عليه فاتبعها الناس
 فلم يزيدوها الا نفورا فناداهم صاحب الناقة خلوا بيسي وبين ناقتي فأنا أرفق بها فتوجه لها صاحب
 الناقة بين يديها فأخذ لها من قمام الأرض فجاءت فاستاخت فشد عليها رحلها واستوى عليها واني
 لو تركتم حين قال ارجل ما قال فقتلتهموه دخل النار ورواه ابو احمد العسكري بهذا الاسند قال
 جاء اعرابي الى النبي فقال يا محمد اعطني فانك لا تعطي من مالك ولا من مال ابيك فاغلظ للنبي
 فوثب اليه اصحابه فقالوا يا عدو الله تقول هذا لرسول الله وذكره فهذا يبين لك ان قتل ذلك الرجل
 لاجل قوله ما قال كان جائز قبل الاستتابة وانه صار كافرا بتلك الكلمة ولو لا ذلك لما كان يدخل النار
 اذا قتل على مجرد تلك الكلمة بل كان يدخل الجنة لانه مظلوم شهيد وكان قاتله يدخل النار لانه
 قتل مؤمنا متعمدا ولكن النبي يبين ان قتله لم يحل لان سفك الدم بغير حق من اكبر الكبائر وهذا
 الاعرابي كان مسلما ولهاذا قال صاحبكم ولهاذا جاءه الاعرابي يستعينه ولو كان كافرا محاربا له لما
 جاء يستعينه في شئ ولو كان النبي اعطيه ليسلم لذكر في الحديث انه اسلم فلما لم يجر للإسلام ذكر
 دل على انه كان من دخل الاسلام وفيه جاءه الاعراب ومن دخل في قوله تعالى {فَإِنْ أَعْطُوْاْ مِنْهَا
 رَضُوْاْ وَإِنْ لَمْ يُعْطُوْ مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُوْنَ} التوبه 58 وما يوضح ذلك انه كان يعفو عن المنافقين
 الذين لا يشك في نفاقهم حتى قال لو اعلم اني لوزدت على السبعين غفر له لزدت حتى نهاه الله عن
 الصلاة عليهم والاستغفار لهم وامرهم بالاغلاظ عليهم فكثير مما كان يحمله من المنافقين من الكلام
 وما يعاملهم من الصفح والعفو والاستغفار كان قبل نزول براءة لما قيل له {وَلَا تُطِعُ الْكَافِرِينَ
 وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ} الأحزاب 48 لاحتياجه اذ ذاك الى استعطافهم وخشية نفور العرب عنه اذا
 قتل احدا منهم وقد صرخ لما قال ابن ابي {لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِيْنَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعْزُزُ مِنْهَا الْأَذَلَّ}
 المنافقون 8 ولما قال ذو الخويصرة اعدل فانك لم تعدل وعند غير هذه القضية انه انما لم يقتلهم لثلا
 يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه فان الناس ينظرون الى ظاهر الامر فيرون واحدا من الصحابة
 قد قتل فيظنون الطحان انه يقتل بعض اصحابه على غرض او حقد او نحو ذلك فينفر الناس عن الدخول
 في الاسلام واذا كان من شريعته ان يتآلف الناس على الاسلام بالاموال العظيمة ليقوم دين الله وتعلو
 كلمته فلان يتآلفهم بالعفو اولى واحرى فلما انزل الله براءة ونهاه عن الصلاة على المنافقين
 والقيام على قبورهم وامرهم ان يجاهد الكفار والمنافقين ويغلظ عليهم نسخ جميع ما كان المنافقون
 يعاملون به من العفو كما نسخ ما كان الكفار يعاملون به من الكف عن سالم ولم يبقى الا اقامة

¹ الحدود واعلاء كلمة الله في حق الانسان

"ما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً"

قال تعالى {وَإِنْ عَاقِبُوكُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ} النحل 126

القسط الذي أرسل الله له الرسل وأنزل له الكتب وهو مقابلة الحسنة بمثلها والسيئة بمثلها كما قال تعالى {هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ} الرحمن 60 وقال {وَإِذَا حُبِّيْمَ بِتَحْيَةٍ فَحَيُّوْا بِأَحْسَنِ مِنْهَا أَوْ رُدُّوْهَا} النساء 86 وقال {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ مِّثْلُهَا} الشورى 40 وقال {كُتُبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى} البقرة 178 وقال {فَمَنْ اعْنَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْنَدَى عَلَيْكُمْ} البقرة 194 وقال {وَإِنْ عَاقِبُوكُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ} النحل 126 لكن مقابلة الحسنة بمثلها عدل واجب والزيادة إحسان مستحب ونقص ظلم محرم ومقابلة السيئة بمثلها عدل جائز والزيادة محرم ونقص إحسان مستحب فالظلم للظالم و العدل للمقتضى و الإحسان المستحب للسابق بالخيرات والأمة ثلاثة ظالم لنفسه و مقتضى و سابق بالخيرات¹

لا يكون العفو عن الظالم ولا قليله مقطعا لأجر المظلوم عند الله ولا منقصا له بل العفو عن الظالم يصير أجره على الله تعالى فإنه إذا لم يعف كان حقه على الظالم فله أن يقتضي منه بقدر مظلومته وإذا عفا وأصلح فأجره على الله وأجره الذي هو على الله خير وأبقى قال تعالى {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} الشورى 40 فقد أخبر أن جراءة السيئة مثلك بلا عدوان وهذا هو القصاص في الدماء والأموال والأعراض ونحو ذلك ثم قال {فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} الشورى 40 وقد ذكر عن الإمام أحمد لما ظلم في محنته المشهورة أنه لم يخرج حتى حل من ظلمه وقال ذكرت حديثا ذكر عن مبارك بن فضالة عن الحسن قال إذا كان يوم القيمة نادى منادا لا ليقم من وجب أجره على فلا يقوم إلا من عفا وأصلح وقد قال تعالى {وَإِنْ عَاقِبُوكُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ} النحل 126 وأباح لهم سبحانه وتعالى إذا عاقبوا الظالم أن يعاقبوا بمثل ما عاقب به ثم قال {وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ} النحل 126 فعلم أن الصبر عن عقوبته بالمثل خير من عقوبته فكيف يكون مسقطا للأجر أو منقصا له وقد قال تعالى {وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَارَةٌ لَهُ} المائدة 45 فجعل الصدقة بالقصاص الواجب على الظالم وهو العفو عن القصاص كفارنة للعافي والإقصاص ليس بكفارة له فعلم أن العفو خير له من الإقصاص وهذا لأن ما أصابه من المصائب مكرر الذنب ويؤجر العبد على صبره عليها ويرفع درجة برضاه بما يقضيه الله عليه منها قال الله تعالى {مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ فَلَبَّهُ} التغابن 11 قال بعض السلف هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضي ويسلم وفي الصحيحين عن النبي أنه قال ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا هم ولا حزن ولا غم ولا أذى حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه وفي المسند أنه لما نزل قوله تعالى {مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ} النساء 123 قال أبو بكر يا رسول الله نزلت قاصمة الظهر وأينا لم يعمل سوءا فقال يا أبا بكر ألسنت تتصبب ألسنت تحزن ألسنت تصيبك الألواء بذلك ما تجزون به وفيه أيضا المصائب حطة

¹ مجموع الفتاوى ج: 29 ص: 521

تحط الخطايا عن صاحبها كما تحط الشجرة القائمة ورقها والدلائل على أن المصائب كفارات كثيرة إذا صبر عليها أثيب على صبره فالثواب والجزاء إنما يكون على العمل وهو الصبر وأما نفس المصيبة فهي من فعل الله لا من فعل العبد وهي من جراء الله للعبد على ذنبه وتکفیره ذنبه بها وفي المسند أنهم دخلوا على أبي عبيدة بن الجراح وهو مريض فذکروا أنه يؤجر على مرضه فقال مالى من الأجر ولا مثل هذه ولكن المصائب حطة فيبين لهم أبو عبيدة رضي الله عنه أن نفس المرض لا يؤجر عليه بل يکفر به عن خطایاه وكثيرا ما يفهم من الأجر غفران الذنوب فيكون فيه أجر بهذا الإعتبار ومن الناس من يقول لا بد فيه من التعويض والأجر والإمتنان وقد يحصل له ثواب بغير عمل كما يفعل عنه من أعمال البر وأما الصبر على المصائب ففيها أجر عظيم قال تعالى {وَبَشِّرُ الصَّابِرِينَ} ١٥٥ {الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} ١٥٦ أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ١٥٧ البقرة ١٥٥-١٥٧ فالرجل إذا ظلم بجرح ونحوه فتصدق به كان الجرح مصيبة يکفر بها عنه ويؤجر على صبره وعلى إحسانه إلى الظالم بالغفو عنه فإن الإحسان يكون بجلب منفعة ودفع مضره ولهذا سماه الله صدقة وقد قال تعالى {وَسَارُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أَعْدَتْ لِلنَّاسِ} ١٣٣ {الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} ١٣٤ آل عمران ١٣٤-١٣٣ ذكر أنه يحب المحسنين والعافين عن الناس وتبين بهذا أن هذا من الإحسان والإحسان ضد الإساءة وهو فعل الحسن سواء كان لازما لصاحبه أو متعديا إلى الغير ومنه قوله {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزِي الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} القصص ٨٤ وقال {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهِ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزِي إِلَّا مِثْلَهَا} الأنعام ١٦٠ فالكافر للغيظ والعافي عن الناس قد أحسن إلى نفسه وإلى الناس فإن ذلك عمل حسنة مع نفسه ومع الناس ومن أحسن إلى الناس فإلى نفسه كما يروى عن بعض السلف أنه قال ما أحسنت إلى أحد وما أساءت إلى أحد وإنما أحسنت إلى نفسى وأساءت إلى نفسى قال تعالى {إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنَتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا} الإسراء ٧ وقال تعالى {مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَأَ فَعَلَيْهَا} فصلات ٤٦ ولو لم يكن الإحسان إلى الخالق إحسانا إلى المحسن يعود نفعه عليه لكان فاعلا إثما أو ضررا فإن العمل الذي لا يعود نفعه على فاعله إما حيث لم يكن فيه فائدة وإما شر من العبث إذا ضر فاعله والعفو عن الظالم أحد نوعي الصدقة المعروفة والإحسان إلى الناس وجماع ذلك الزكاة والله سبحانه دائما يأمر بالصلاوة والزكاة وهي الصدقة وقد ثبت في الصحيح عن النبي من غير وجه أنه قال كل معروف صدقة وذلك نوعان أحدهما اتصال نفع إليه الثاني دفع ضر عن فإذا كان المظلوم يستحق عقوبة الظلم ونفسه تدعوه إليه فكف نفسه عن ذلك ودفع عنه ما يدعوه إليه من إضراره فهذا إحسان منه إليه وصدقة عليه والله تعالى {يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ} يوسف ٨٨ و {لَا يُضِيغُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} التوبة ١٢٠ فكيف يسقط أجر العافي وهذا عام في سائر ما للعبد من الحقوق على الناس ولهذا إذا ذكر الله في كتابه حقوق العباد وذكر فيه العدل ندب فيها إلى الإحسان فإنه سبحانه يأمر بالعدل والإحسان كما قال تعالى {وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرْهُ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَإِنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} البقرة ٢٨٠ فجعل الصدقة على المدين الميسر بإسقاط الدين عنه خيرا للمتصدق من مجرد إنتظاره وقال تعالى {وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقْبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٍ مُسْلَمَةً إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدِّقُوا} النساء ٩٢ فسمى إسقاط الديمة صدقة وقال تعالى {وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوْهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِیضَةً فَنَصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُوْنَ أَوْ يَعْفُوْذُ الَّذِي بَيْدِهِ عُذْدَةُ النَّكَاحِ وَأَنْ ثَعْفُوا أَفْرَبُ لِلتَّقْوَى} البقرة ٢٣٧ فجعل العفو عن نصف الصداق الواجب على الزوج بالطلاق قبل الدخول أقرب للتقوى من إستيفائه وعفو المرأة إسقاط نصف الصداق باتفاق

الأمة وأما عفو الذى بيده عقدة النكاح فقيل هو عفو الزوج وأنه تكميل للصداق للمرأة وعلى هذا يكون هذا العفو من جنس ذلك العفو فهذا العفو إعطاء الجميع وذلك العفو إسقاط الجميع والذى حمل من قال هذا القول عليه انهم رأوا أن غير المرأة لا تملك إسقاط حقها الواجب كما لا تملك إسقاط سائر ديونها وقيل الذى بيده عقدة النكاح هو ولى المرأة المستقل بالعقد بدون استئذانها كالأب للبكر الصغيرة وكالسيد للأمة وعلى هذا يكون العفوان من جنس واحد لهذا لم يقل إلا أن يعفون أو يعفوهm والخطاب فى الآية للأزواج وقال تعالى حكاية عن لقمان أنه قال لابنه {وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأَمْوَارِ} لقمان 17 وقل تعالى {وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ} 41 {إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَىٰ الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْعُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ} أهل الحق 42 {وَلَمَنِ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأَمْوَارِ} 43 الشورى 43-41 فهناك فى قول لقمان ذكر الصبر على المصيبة فقال {إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأَمْوَارِ} لقمان 17 وهذا ذكر الصبر والعفو فقال {إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأَمْوَارِ} الشورى 43 وذكر ذلك بعد قوله {وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ} 41 {إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَىٰ الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْعُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ} 42 الشورى 41-42 ذكر سبحانه الأصناف الثلاثة فى باب الظلم الذى يكون بغير اختيار المظلوم وهم العادل والظالم والمحسن فالعادل من انتصر بعد ظلمه وهذا جزاوه انه ما عليه من سبيل فلم يكن بذلك ممدوها ولكن لم يكن بذلك مذموما وذكر الظالم بقوله {إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَىٰ الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْعُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ} الشورى 42 فهو لاء عليهم السبيل للعقوبة والإقصاص وذكر المحسنين

قال {وَلَمَنِ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأَمْوَارِ} الشورى 43 والقرآن فيه جوامع الكلم وهذا كما ذكر فى آخر البقرة أصناف الناس فى المعاملات التى تكون باختيار المتعاملين وهم ثلاثة محسن وظالم وعادل فالمحسن هو المتصدق والظالم هو المرمى والعادل هو البائع فذكر هنا حكم الصدقات وحكم الربا وحكم المبايعات والمداينات وكما أن من توهم أنه بالعفو يسقط حقه أو ينقض غلط جاهل ضال بل بالعفو يكون أجره أعظم فذلك من توهم أنه بالعفو يحصل له ذل ويحصل للظالم عز واستطالة عليه فهو غالط فى ذلك كما ثبت فى الصحيح وغيره عن النبي أنه قال ثلاث إن كنت لحالفا عليهم ما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا وما نقصت صدقة من مال وما تواضع أحد الله إلا رفعه الله فيبين الصادق المصدق إن الله لا يزيد العبد بالعفو إلا عزا وأنه لا تنقص صدقة من مال وأنه ما تواضع أحد الله إلا رفعه الله وهذا رد لما يظنه من يتبع الظن وما تهوى الأنفس من أن العفو يذله والصدقة تنقص ماله والتواضع يخضسه وفي الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت ما ضرب رسول الله خادما له ولا إمراة ولا دابة ولا شيئاً قط إلا أن يجاهد فى سبيل الله ولا ينيل منه قط شيء فانتقم لنفسه إلا أن تنتهك محaram الله فإذا إنتهكت محaram الله لم يقم لغضبه شيء حتى ينتقم الله وخلق رسول الله القرآن أكمل الأخلاق وقد كان من خلقه أنه لا ينتقم لنفسه وإذا انتهكت محaram الله لم يقم لغضبه شيء حتى ينتقم الله فيعفو عن حقه ويستوفى حق ربها والناس فى الباب أربعة أقسام منهم من ينتصر لنفسه ولربه وهو الذى يكون فيه دين وغضب ومنهم من لا ينتصر لا لنفسه ولا لربه وهو الذى فيه جهل وضعف دين ومنهم من ينتقم لنفسه لا لربه وهم شر الأقسام وأما الكامل فهو الذى ينتصر لحق الله ويعفو عن حقه كما قال أنس ابن مالك خدمت رسول الله عشر سنين فما قال لى أفالى لشيء فعلته لم فعلته ولا لشيء لم أفعله لم لا فعلته وكان بعض أهله إذا عتبني على شيء يقول دعوه لو قضي شيء لكان فهذا فى العفو مما يتعلق بحقوقه وأما فى حدود الله فلما شفع عنده أسمة بن زيد وهو الحب ابن الحب وكان هو أحب

إليه من أنس وأعز عنده في امرأة سرقت شريفة أن يعفو عن قطع يدها غضب وقال يا أسماء أتشفع في حد من حدود الله إنما أهلك من كان قبلكم انهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف ترکوه وإذا سرق فيهم
 فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد والذى نفس محمد بيده لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها
 غضب على أسماء لما شفع في حد الله وعفا عن أنس في حقه وكذلك لما أخبره أسماء أنه قتل رجلا
 بعد أن قال لا إله إلا الله قال أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله فما زال يكررها حتى قلت ليته سكت
 والأحاديث والآثار في إستحباب العفو عن الظالم وأن أجره بذلك أعظم كثيرة جدا وهذا من العلم
 المستقر في فطر الأدميين وقد قال تعالى لنبيه {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ}
 {الأعراف} 199 فأمره أن يأخذ بالعفو في أخلاق الناس وهو ما يقر من ذلك قال ابن الزبير أمر الله
 نبيه أن يأخذ بالعفو من أخلاق الناس وهذا كقوله {وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنِفِّقُونَ قُلِ الْعَفْوَ} البقرة 219
 من أموالهم هذا من العفو ويأمر بالمعروف ويعرض عن الجاهلين وهذه الآية فيها جماع الأخلاق
 الكريمة فإن الإنسان مع الناس إما أن يفعلوا معه غير ما يحب أو ما يكره فأمر أن يأخذ منهم ما يحب
 ما سمحوا به ولا يطالبهم بزيادة وإذا فعلوا معه ما يكره أعرض عنهم وأما هو فيأمرهم بالمعروف
 وهذا باب واسع¹

الله سبحانه أوجب على عباده العدل في الصلح كما أوجبه في الحكم

قال تعالى {وَإِنْ عَاقِبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عَوَقْبَتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ} النحل 126
 فإذا اختلف رجلان بقول أو فعل وجب أن يقام في أمرهما بالقسط قال الله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
 كُونُوا قَوَامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءِ اللَّهِ} النساء 135 وقال {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ
 بِالْقِسْطِ} المائدة 8 وقال {وَإِنْ طَائِقَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ أَفْتَنَتْهُنَّا فَأَصْلِحُوهُنَّا بَيْنَهُنَّا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُنَّا عَلَى
 الْآخِرَى فَقَاتَلُوا الَّتِي تَبَغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ} الحجرات 9 الآية وقد روى أن اقتتالهما كان
 بالجريدة والنعال وقد قال تعالى {لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ
 إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ} النساء 114 الآية وقال {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤْدُوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا
 حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعُدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعَمًا يَعْظُمُ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا} النساء 58
 وقال {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مُّتَلِّهَا فَمَنْ عَفَ وَأَصْلَحَ فَاجْرُهُ عَلَى اللَّهِ} الشورى 40 وقال {وَإِنْ عَاقِبْتُمْ
 فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عَوَقْبَتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ} النحل 126 الآية فإن كان

الشخصان قد اختلفا نظرهما فان تبين ظلم أحدهما كان المظلوم بال الخيار بين الاستيفاء والعفو
 والعفو أفضل فان ظلمه بضرب أو لطم فله أن يضربه أو يلطميه كما فعل به عند جماهير السلف
 وكثير من الأنماة وبذلك جاءت السنة وقد قيل انه يؤدب ولا قصاص في ذلك وان كان قد سبه فله
 أن يسبه مثل ما سبه إذا لم يكن فيه عداوة على حق محض الله أو على غير الظالم فإذا لعنه او سماه
 باسم كلب ونحوه فله أن يقول له مثل ذلك فإذا لعن اباه لم يكن له أن يلعن اباه لأنه لم يظلمه وان
 افترى عليه كذبا لم يكن له ان يفترى عليه كذبا لأن الكذب حرام لحق الله كما قال كثير من العلماء في

القصاص فى البدن أنه اذا جرحة أو خنقه أو ضربه ونحو ذلك يفعل به كما فعل فهذا أصح قولى
 العلماء الا ان يكون الفعل محurma لحق الله كفعل الفاحشة أو تجريعه الخمر فقد نهى عن مثل هذا
 أكثرهم وان كان بعضهم سوغا بنظير ذلك وادا اعترف الظالم بظلمه وطلب من المظلوم ان
 يغفو عنه ويستغفر الله له فهذا حسن مشروع كما ثبت فى الصحيح عن أبي الدرداء انه كان بين
 أبي بكر وعمر كلام وان أبي بكر طلب من عمر ان يستغفر له فأبى عمر ثم ندم طلب أبي بكر فوجده
 قد سبقه إلى النبي وذكر له ذلك فقال النبي يغفر الله لك يا أبي بكر ثم قال ايها الناس انى قد جئت إليكم
 فقلت انى رسول الله فقلتم كذبت وقال أبو بكر صدقت فهل انتم تاركوا الى صاحبى وادا طلب من
 المظلوم العفو بعد اعتراف الظالم فأجاب كان من المحسنين الذين اجرهم على الله وان أبي الا طلب
 حقه لم يكن ظالما لكن يكون قد ترك الأفضل الأحسن فليس لأحد ان يخرجه عن أهل الطريق بمجرد
 ذلك كما قد يفعله كثير من الناس قال الله تعالى { وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِّنْ
 سَيِّئِ } 41 { إِنَّمَا السَّيِّئُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ
 أَلِيمٌ } 42 { وَلَمَنِ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأَمُورِ } 43 { الشورى 41-43 فانه لو كان من ترك
 الاحسان الذى لا يجب عليه يحسب خارجا عن الطريق خرج عنه جمهور أهله و
 أولياء الله على صنفين مقربين وأصحاب يمين مقتضيين كما روى البخارى فى صحيحه
 عن أبي هريرة عن النبي قال يقول الله تعالى من عادى لي ولها فقد بارزنى بالمحاربة وما
 تقرب إلى عبدى بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا
 أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها
 فبى يسمع وبى يبصر وبى يبطش وبى يمشى ولئن سألنى لأعطيه ولئن استعاذهنى لأعينه وما
 تردت عن شيء أنا فاعله ترددى عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت واكره مساءته ولا بد له
 منه ثم أكثر هؤلاء الذين يذمون تارك العفو إنما يذمونه لأهوانهم لكون الظالم صديق أحدهم أو
 وريثه أو قرينه ونحو ذلك والله سبحانه أوجب على عباده العدل فى الصلح كما أوجبه فى الحكم
 فقال تعالى { فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } الحجرات 9 وقيد الاصلاح
 الذى يثبت عليه بالأخلاق فقال تعالى { وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتَغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ تُؤْتَيْهِ أَجْرًا
 عَظِيمًا } النساء 114 اذ كثير من الناس يقصدون الاصلاح إما لسمعة وإما لرياء ومن العدل أن
 يمكن المظلوم من الانتصاف ثم بعد ذلك الشفاعة إلى المظلوم فى العفو ويصالحة الظالم وترغيبه فى
 ذلك فان الله تعالى إذا ذكر فى القرآن حقوق العباد التى فيها وزر الظالم ندب فيها إلى العفو كقوله
 سبحانه { وَالْجُرُوحَ قَصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةً لَّهُ } المائدة 45 قوله { وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ
 سَيِّئَةً مُّتْلِهًةً فَمَنْ عَفَّ وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّمَا لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ } الشورى 40 وعن أنس قال ما
 رفع إلى رسول الله صلى عليه وسلم شيء في القصاص إلا أمر فيه بالعفو وليس من شرط طلب
 العفو من المظلوم ان الظالم يقوم على قدميه ولا يضع نعليه على رأسه ونحو ذلك مما قد يتزمه
 بعض الناس وإنما شرطه التمكين من نفسه حتى يستوفى منه الحق فإذا أمكن المظلوم من استيفاء
 حقه فقد فعل ما وجب عليه ثم المستحق بالخيار ان شاء عفى وان شاء استوفى وللمظلوم أن
 يهجره ثلاثة وأما بعد الثالث فليس له أن يهجره على ظلمه إياه لقوله صلى الله عليه وسلم لا يحل
 لمسلم ان يهجر أخاه فوق ثلاثة يلتقيان فيصدق هذا ويخيرهما الذى يبدأ بالسلام
 واما إذا كان الذنب لحق الله كالكذب والفواحش والبدع المخالفة للكتاب والسنن أو اضاعة الصلاة
 بالتقريظ وواجباتها ونحو ذلك فهذا لابد فيه من التوبة وهل يشترط مع التوبة اظهار الاصلاح فى
 العمل على قولين للعلماء وإذا كان لهم شيخ مطاع فان له ان يعزز العاصي بحسب ذنبه تعزيزا يليق
 بمثله أن يفعله بمثله مثل هجره مدة كما هجر النبي صلى الله عليه وسلم الثلاثة المخلفين وقد كان

النبي صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه الراشدون يسوسون الناس في دينهم ودنياهم ثم بعد ذلك تفرقت الأمور فصار أمراء الحرب يسوسون الناس في أمر الدنيا والدين الظاهر وشيوخ العلم والدين يسوسون الناس فيما يرجع إليهم فيه من العلم والدين وهؤلاء أولوا أمر تجب طاعتهم فيما يأمرون به من طاعة الله التي هم أولوا أمرها وهو كذلك فسر أولوا الأمر في قوله { أطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ } النساء 59 بأمراء الحرب من الملوك ونوابهم وبأهل العلم والدين الذين يعلمون الناس دينهم ويأمرونهم بطاعة الله فان قوام الدين بالكتاب والحديد كما قال تعالى {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا إِلَيْبِنَاتٍ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَاسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعٌ لِلنَّاسِ } الحديد 25 وإذا كان ولاة الحرب عاجزين ومفرطين عن تقويم المنتسبين إلى الطريق كان تقويمهم على رؤسائهم وكان لهم من تعزيزهم وتأديبهم ما يتمكنون منه إذا لم يقم به غيرهم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فلبسانه فان لم يستطع فقلبه وهو اضعف الايمان وقد يكون تعزيزه بنفيه عن وطنه مدة كما كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ينفي من شرب الخمر وكما نفي نصر بن حجاج إلى البصرة لخوف فتنة النساء به وقد مضت سنة رسول الله بالنفي في الزنا ونفي المختن¹

القرآن جمع بين العدل والفضل على غاية الكمال

قال تعالى { وَإِنْ عَاقِبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ } النحل 126 أن الدماء والأموال وإن كان يستحب للمظلوم أن يعفو فيها عن ظالمه فالحاكم الذي يحكم بين الناس متى حكم على المظلوم بترك حقه كان حاكما بالظلم لا بالعدل ولو أمرنا كل ولبي مقنول أن لا يقتضي من القاتل وكل صاحب دين أن لا يطالب غريميه بل يدعه على اختياره وكل مشتوم ومضروب أن لا ينتصف من ظالمه لم يكن للظالمين زاجر يزجرهم وظلم الأقوباء الضعفاء وفسدت الأرض قال تعالى { وَلَوْلَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ } البقرة 251 فلا بد من شرع يتضمن الحكم بالعدل ولا بد مع ذلك من ندب الناس إلى العفو والأخذ بالفضل وهذه شريعة الإسلام مثل قوله { وَإِنْ عَاقِبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ } النحل 126 وقال أنس ما رفع للنبي أمر فيه القصاص إلا أمر فيه بالعفو فكان يأمر بالعفو ولا يلزم الناس به ولهذا لما عتق بريرة وكان لها أن تفسخ النكاح وطلب زوجها أن لا تقارقه شفع إليها أن لا تقارقه فقالت أمأرنى قال لا إنما أنا شافع فلم يوجب عليها قبول شفاعته²

والقرآن جمع بين العدل والفضل على غاية الكمال فالقرآن بين أن السعداء أهل الجنة وهم أولياء الله نوعان أبرار مقتضدون ومقربون سابقون فالدرجة الأولى تحصل بالعدل وهي أداء الواجبات وترك المحرمات والثانية لا تحصل إلا بالفضل وهو أداء الواجبات والمستحبات وترك المحرمات

¹ مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 546-552

² الجواب الصحيح ج: 5 ص: 106-107

والمكروهات فالشريعة الكاملة تجمع العدل والفضل كقوله تعالى {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ} النحل 126 فهذا عدل واجب من خرج عنه استحق العقوبة في الدنيا والآخرة ثم قال {وَلَئِنْ صَرَّתُمْ لَهُؤُلَاءِ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ} النحل 126 فهذا فضل مستحب مندوب إليه من فعله أثابه الله ورفع درجته ومن تركه لم يعاقبه وهو سبحانه دائمًا يحرم الظلم ويوجب العدل ويندب إلى الفضل¹

شرع القصاص في النفوس والأموال والاعراض بحسب الامكان

قال تعالى {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَرَّتُمْ لَهُؤُلَاءِ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ} النحل 126 فان الشريعة مبنها على العدل كما قال تعالى {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا إِلَيْبِنَاتٍ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ} الحديد 25 {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} البقرة 286 والله قد شرع القصاص في النفوس والأموال والاعراض بحسب الامكان فقال تعالى {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ} البقرة 178 الآية وقال تعالى {وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ} المائدة 45 الآية وقال تعالى {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مُّتَلِّهَا} الشورى 40 الآية وقال تعالى {فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ} البقرة 194 فإذا قتل الرجل من يكافئه عمداً عدواً كان عليه القود ثم يجوز أن يفعل به مثل ما فعل كما ي قوله أهل المدينة ومن واففهم كالشافعي وأحمد في إحدى الروايتين بحسب الامكان إذا لم يكن تحريمه بحق الله كما إذا رضخ رأسه كما رضخ النبي رأس اليهودي الذي رضخ رأس الجارية كان ذلك أتم في العدل بمن قتله بالسيف في عنقه وإذا تعذر القصاص عدل إلى الديمة وكانت الديمة بدلاً لتعذر المثل وإذا اتلف له مالاً كما لو تلفت تحت يده العارية فعليه مثله ان كان له مثل وان تعذر المثل كانت القيمة وهي الدراهم والدنانير بدلاً عند تعذر المثل ولهذا كان من أوجب المثل في كل شيء بحسب الامكان مع مراعاة القيمة اقرب إلى العدل من أوجب القيمة من غير المثل وفي هذا كانت قصة داود وسليمان وقد بسطنا الكلام على هذه الأبواب كلها في غير هذا الموضع وإنما المقصود هنا التبيه وحينئذ فتجويف العرايا ان تباع بخرصها لأجل الحاجة عند تعذر بيعها بالكيل موافق لأصول الشريعة مع ثبوت السنة الصحيحة فيه وهو مذهب أهل المدينة وأهل الحديث ومالك جوز الخرص في نظير ذلك للحاجة وهذا عين الفقه الصحيح ومذهب أهل المدينة ومن واففهم كالشافعي وأحمد في جزاء الصيد انه يضمن بالمثل في الصورة كما مضت بذلك السنة وقضية الصحابة فان في السنن أن النبي قضى في الضبع بكبس وقضت الصحابة في النعامة ببدنة وفي الظبي بشاة وأمثال ذلك ومن خالفهم من أهل الكوفة انما يوجب القيمة في جزاء الصيد وأنه يشتري بالقيمة الانعام والقيمه مختلفة باختلاف الأوقات²

قال تعالى {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَرَّتُمْ لَهُؤُلَاءِ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ} النحل 126 ان جميع المخالفات تتضمن بالجنس بحسب الامكان مع مراعاة القيمة حتى الحيوان كما انه في الفرض

¹الجواب الصحيح ج: 5 ص: 61

²مجموع الفتاوى ج: 20 ص: 351

يجب فيه رد المثل وإذا افترض حيواناً رد مثله كما افترض النبي بکرا ورد خيراً منه وكذلك في المغorer يضمن ولده بمثلهم كما قضت به الصحابة وكذلك اذا استثنى رأس المبيع ولم ينبعه فان الصحابة قضوا بشرائه اي برأس مثله في القيمة وهذا احد القولين في مذهب احمد وغيره وقصة داود وسليمان عليهما السلام من هذا الباب فان الماشية كانت قد اختلفت حرث القوم وهو بستانهم قالوا وكان عيناً والحرث اسم للشجر والزرع فقضى داود بالغم لاصحاب الحرث كانه ضمنهم ذلك بالقيمة ولم يكن لهم مال الا الغنم فأعطاهم الغنم بالقيمة واما سليمان فحكم بأن اصحاب الماشية يقومون على الحرث حتى يعود كما كان فضمنهم اياديه بالمثل واعطاهم الماشية يأخذون منفعتها عوضاً عن المنفعة التي فاتت من حين تلف الحرث الى ان يعود وبذلك افتى الزهرى لعمر بن عبد العزيز فيما كان اتلف له شجراً فقال يغرسه حتى يعود كما كان وفي ربيعة وابو الزند قال عليه القيمة فغلوظ الزهرى القول فيهما وهذا وجوب الأدلة فان الواجب ضمان المثل بالمثل بحسب الامكان قال تعالى {وَجَرَاءٌ سَيِّئَةٌ سَيِّئَةٌ مُّثُلُّهَا} الشورى 40 وقال {فَمَنْ أَعْنَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْنَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْنَدَى عَلَيْكُمْ} البقرة 194 وقال {وَإِنْ عَاقِبْتُمْ فَعَاقِبُوهُ بِمِثْلِ مَا عَوَقِبْتُمْ بِهِ} النحل 126 وقال {وَالْحُرْمَاتُ قِصَاصٌ} البقرة 194 فإذا اتلف نقداً او حبوباً ونحو ذلك امكن ضمانها بالمثل وان كان المثل ثياباً او آنية او حيواناً فهنا مثله من كل وجه وقد يتذرع فالامر دائر بين شيبتين اما ان يضمنه بالقيمة وهي دراهم مخالفة للمثل في الجنس والصفة لكنها تساويه في الماليه واما ان يضمنه بثياب من جنس ثياب المثل او آنية من جنس آنته او حيوان من جنس حيوانه مع مراعاة القيمة بحسب الامكان ومع كون قيمته بقدر قيمته فهنا الماليه مساوية كما في النقد وامتاز هذا بالمشاركة في الجنس والصفة فكان ذلك امثال من هذا وما كان امثل فهو اعدل فيجب الحكم به اذا تعذر المثل من كل وجه ونظير هذا ما ثبت بالسنة واتفاق الصحابة من القصاص في اللطمة

والضربة وهو قول كثير من السلف وقد نص عليه احمد في رواية اسماعيل بن سعيد الشالنجي التي شرحها الجوزجاني في كتابه المسمى بالترجم ف قال طائفة من الفقهاء المساواة متعدرة في ذلك فيرجع إلى التعزير فيقال لهم ما جاءت به الآثار هو وجوب القياس فان التعزير عقاب غير مقدر الجنس ولا الصفة ولا القدر والمرجع فيه إلى اجتهد الوالى ومن المعلوم الأمر بضرب يقارب ضربة وان لم يعلم انه مساو له اقرب إلى العدل والمماثلة من عقوبة تخالفه في الجنس والوصف غير مقدرة اصلاً واعلم ان المماثلة من كل وجه متعدرة حتى في المكيالت فضلاً عن غيرها فانه اذا اتلف صاعاً من بر فضمن بصاع من بر لم يعلم ان احد الصاعين فيه من الحب ما هو مثل الآخر بل قد يزيد احدهما على الآخر ولهذا قال تعالى {وَأُوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} الأنعام 152 فان تحديد الكيل والوزن مما قد يعجز عنه البشر ولهذا يقال هذا امثل من هذا اذا كان اقرب إلى المماثلة منه اذا لم تحصل المماثلة من كل وجه¹

التمثيل في القتل فلا يجوز إلا على وجه القصاص

¹ مجموع الفتاوى ج: 20 ص: 561-565

قال تعالى { وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوْقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ } النحل 126
 التمثيل في القتل فلا يجوز إلا على وجه القصاص وقد قال عمران بن حصين رضي الله عنهم ما خطبنا رسول الله خطبة إلا أمرنا بالصدقة ونهانا عن المثلة حتى الكفار إذا قتلناهم فانا لانمثل بهم بعد القتل ولا نجع آذانهم وإنوفهم ولا نبقر بطونهم إلا أن يكونوا فعلوا ذلك بنا فنفعل بهم مثل ما فعلوا والترك أفضل كما قال الله تعالى { وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوْقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ } 126 { وَاصْبِرْ وَمَا صَبِرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ } 127 النحل 127-126 قيل إنها نزلت لما مثل المشركون بمحنة وغيره من شهداء أحد رضي الله عنهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لمن أطفرني الله بهم لأمثلن بضعفى ما مثلوا بنا فأنزل الله هذه الآية وإن كانت قد نزلت قبل ذلك بمكة مثل قوله { وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي } الإسراء 85 وقوله { وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهِنُ السَّيِّئَاتِ } هود 114 وغير ذلك من الآيات التي نزلت بمكة ثم جرت بالمدينة سبب يقتضى الخطاب فأنزلت مرة ثانية فقال النبي بل صبر وفي صحيح مسلم عن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه قال كان النبي إذا بعث أميرا على سرية أو جيش أو في حاجة نفسه أو صاح في خاصة نفسه بتقوى الله تعالى وبمن معه من المسلمين خيرا ثم يقول أغزوا باسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله ولا تغلو ولا تغروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليديا¹

الأمور منها ما يباح فيه القصاص ومنها مالا يباح فيه القصاص

قال تعالى { وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوْقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ } النحل 126
 فإن الأمور منها ما يباح فيه القصاص كالقتل وقطع الطريق وأخذ المال ومنها مالا يباح فيه القصاص كالفواحش والكذب ونحو ذلك قال تعالى في الأول { وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ مِّثْلُهَا } الشورى 40 وقال { وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوْقِبْتُمْ بِهِ } النحل 126 وقال { فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ } البقرة 194 فباب العقوبة والاعتداء بالمثل فلما قال صلى الله عليه وسلم ه هنا ولا تخن من خانك علم ان هذا مما لا يباح فيه العقوبة بالمثل²

{ وَاصْبِرْ وَمَا صَبِرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ }

كان نبينا صلى الله عليه وسلم متبعاً ما أمر به من الصبر على أذى الخلق ففي الصحيحين عن عائشة قالت ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده خادماً له ولا دابة ولا شيئاً قط إلا أن يجاهد في سبيل الله ولا نيل منه شيء قط فإنتقم لنفسه إلا أن تنتهك محaram الله فإذا إنتهكت محaram الله لم يقم لغضبه شيء حتى ينتقم الله و قال أنس خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لشيء فعلته لم فعلته ولا لشيء لم أفعله لم لا فعلته وكان بعض أهله إذا عتبني على شيء يقول

¹ مجموع الفتاوى ج: 28 ص: 313-315 و السياسة الشرعية ج: 1 ص: 70

² مجموع الفتاوى ج: 30 ص: 375

دعوه دعوه فلو قضى شيء لكان و في السنن عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه ذكر للنبي صلى الله عليه و سلم قول بعض من آذاه فقال دعنا مناك فقد أودي موسى بأكثر من هذا فصبر فكان يصبر على أذى الناس له من الكفار و المنافقين و أذى بعض المؤمنين كما قال تعالى { إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ } الأحزاب 53 و كان يذكر أن هذا مقدر و المؤمن مأمور بأن يصبر على المقدور و لذلك قال { وَإِنْ تَصْبِرُوْا وَتَتَّقُوا لَا يَضْرُكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا } آل عمران 120 فالتفوى فعل المأمور و ترك المحظور و الصبر على أذاهم ثم أنه حيث أباح المعاقبة قال { وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عَوَّقْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ } 126 { وَاصْبِرْ وَمَا صَبَرْكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزُنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ } 127 { إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقُوا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ } 128

النحل 126-128 فأخبر أن صبره بالله هو الذي يعينه عليه فإن الصبر على المكاره بترك الإنقام من الظلم ثقيل على الأنفس لكن صبره بالله كما أمره أن يكون الله في قوله { وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ } المدثر 7 لكن هناك ذكره في الحملة الطلبية الأمريكية لأنه مأمور أن يصبر الله لا لغيره و هنا ذكره في الخبرية فقال { وَمَا صَبَرْكَ إِلَّا بِاللَّهِ } 127 النحل 127 فإن الصبر و سائر الحوادث لا تقع إلا بالله ثم قد يكون ذلك وقد لا يكون فما لا يكون بالله لا يكون و ما لا يكون الله لا ينفع و لا يدوم و لا يقال و اصبر بالله فإن الصبر لا يكون إلا بالله لكن يقال إستعينوا بالله و اصبروا فنستعين بالله على الصبر و كما أن الإنسان مأمور بشهود القدر و توحيد الروبيبة عند المصائب فهو مأمور بذلك عند ما ينعم الله عليه من فعل الطاعات فيشهد قبل فعلها حاجته و فقره إلى إعانة الله له و تحقق قوله { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } الفاتحة 5 و يدعو بالأدعية التي فيها طلب إعانة الله له على فعل الطاعات كقوله أعني على ذكرك و شكرك و حسن عبادتك و قوله يامقلب القلوب ثبت قلبى على دينك و يا مصرف القلوب أصرف قلبى إلى طاعتك و طاعة رسولك و قوله ربنا لا تزع قلوبنا بعد إذ هديتنا و حب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب و قوله ربنا آتنا من لدنك رحمة و هيء لنا من أمرا رشدا و مثل قوله اللهم الهمني رشدي و اكتفي شر نفسي ورأس هذه الأدعية وأفضلها قوله إهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم و لا الضالين فهذا الدعاء أفضل الأدعية و أوجبها على الخلق فإنه يجمع صلاح العبد في الدين و الدنيا و الآخرة و كذلك الدعاء بالتوبة فإنه يتضمن الدعاء بأن يلهم العبد التوبة و كذلك دعاء الإستخارة فإنه طلب تعليم العبد مالم يعلمه و تيسيره له و كذلك الدعاء الذي كان النبي صلى الله عليه و سلم يدعو به إذا قام من الليل و هو في الصحيح اللهم رب جبرائيل و ميكائيل و إسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب و الشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا يختلفون إهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم وكذلك الدعاء الذي فيه اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا و بين معصيتنا و من طاعتك ما تبلغنا به جنتك و من اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا و كذلك الدعاء باليقين و العافية كما في حديث أبي بكر و كذلك قوله اللهم أصلح لي قلبى و نيتى و مثل قول الخليل و إسماعيل واجعلنا مسلمين لك و من ذريتنا أمة وهذه أدعية كثيرة تتضمن إفتقار العبد إلى الله في أن يعطيه الإيمان و العمل الصالح مسلمة لك وهذا أدعية كثيرة تتضمن إفتقار العبد إلى الله في أن يشهد إنعم الله فيه و فهذا إفتقار و إستعانه بالله قبل حصول المطلوب فإذا حصل بدعاء أو بغير دعاء شهد إنعم الله فيه و كان في مقام الشكر و العبودية لله و إن هذا حصل بفضله و إحسانه لا بحول العبد و قوته فشهود القدر في الطاعات من أدنى الأمور للعبد و غيته عن ذلك من أضر الأمور به فإنه يكون قدريا منكرا لنعمة الله عليه بالإيمان و العمل الصالح و إن لم يكن قدربي الإعتقداد كان قدربي الحال و ذلك يورث العجب و الكبر و دعوى القوة و المنة بعمله و إعتقداد إستحقاقجزاء على الله به فيكون من يشهد العبودية مع الذنوب و الإعتراف بها لا مع الإحتجاج بالقدر عليها خيرا من هذا الذي يشهد الطاعة

منه لا من إحسان الله إليه و يكون أولئك المذنبون بما معهم من الإيمان أفضل من طاعة بدون هذا الإيمان و أما من أذنب و شهد أن لا ذنب له أصلاً لكون الله هو الفاعل و عند الطاعة يشهد أنه الفاعل فهذا شر الخلق و أما الذي يشهد نفسه فاعلا للأمراء و الذي يشهد ربها فاعلا للأمراء و لا يرى له ذنباً فهذا أسوء عاقبة من القدري و القدري أسوء بداية منه كما هو مبسط في موضع آخر والناس في هذا المقام أربعة أقسام من يغضب لربه لا لنفسه و عكسه و من يغضب لهما و من لا يغضب لهما كما أنهم في شهود القدر أربعة أقسام من يشهد الحسنة من فعل الله و السيدة من فعل نفسه و عكسه و من يشهد الشتتين من فعل ربه و من يشهد الشتتين من فعل نفسه وهذه الأقسام الأربع في شهود الربوبية نظير تلك الأقسام الأربع في شهود الإلهية فهذا تقييم العباد فيما الله و لهم و ذلك تقسيمهم فيما هو بالله و بهم و القسم المحض أن يعمل الله بالله فلا يعمل لنفسه و لا بنفسه و المقصود هنا تقسيمهم فيما الله فأعلاهم حال النبي صلى الله عليه وسلم و من يتبعه أن يصبروا على أذى الناس لهم باليد واللسان و يجاهدون في سبيل الله فيعاقبون و يغضبون و ينتقمون الله لا لنفسهم يعاقبون لأن الله يأمر بعقوبة ذلك الشخص و يحب الإنقاص منه كما في جهاد الكفار و إقامة الحدود و أدناهم عكس هؤلاء يغضبون و ينتقمون و يعاقبون لنفسهم لا لربهم فإذا أوذى أحدهم أو خولف هواه غضب و انتقام و عاقب و لو إنْتَهَكَ محرام الله أو ضيّعَتْ حقوقه لم يهمه ذلك و هذا حال الكفار و المنافقين و بين هذين و هذين قسمان قسم يغضبون لربهم و لنفسهم و قسم يميلون إلى العفو في حق الله و حقوقهم فموسى في غضبه على قومه لما عبدوا العجل كان غضبه الله و قد مثل النبي صلى الله عليه وسلم في حقوق الله أبا بكر و عمر وإبراهيم و عيسى و نوح و موسى فقال إن الله يلين قلوب رجال فيه حتى تكون ألين من اللبن و يشدد قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجر و مثل ذلك يا أبا بكر كمثل إبراهيم و عيسى و مثل ذلك يا عمر كمثل نوح و موسى و أما عفو الإنسان عن حقوقه فهذا أفضل و إن كان الإقصاص جائزاً و كذلك غضبه لنفسه تركه أفضل و إن كان الإقصاص جائزاً و أما ما كان من باب المصائب الحاصلة بقدر الله و لم يبق فيها مذنب يعاقب فليس فيها إلا الصبر و التسلية للقدر و قصة آدم و موسى كانت من هذا الباب فإن موسى لأمه لأجل ما أصابه و الذريه و آدم كان قد تاب من الذنب و غفر له و المصيبة كانت مقدرة فحج آدم موسى و هكذا قد يصيب الناس مصائب بفعل أقوام مذنبين تابوا مثل كافر يقتل مسلماً ثم يسلم و يتوب الله عليه أو يكون متؤولاً لبدعة ثم يتوب من البدعة أو يكون مجتهداً أو مقلاً مخطئاً فهؤلاء إذا أصاب العبد أذى بفعلهم فهو من جنس المصائب السماوية التي لا يطلب فيها قصاص من آدمي ومن هذا الباب القتال في الفتنة قال الزهري و قفت الفتنة وأصحاب رسول الله متوارون فأجمعوا أن كل دم أو مال أو فرج أصيب بتأويل القرآن فهو هدر وكذلك قتال البغاة المتأنلين حيث أمر الله بقتالهم إذا قاتلهم أهل العدل فأصابوا من أهل العدل نفوساً وأموالاً لم تكن مضمونة عند جماهير العلماء كأبي حنيفة ومالك و الشافعى في أحد قوله وهذا ظاهر مذهب أحمد وكذلك المرتدون إذا صار لهم شوكة قتلوا المسلمين وأصابوا من دمائهم وأموالهم كما إنفق الصحابة في قتال أهل الردة أنهم لا يضمنون بعد إسلامهم ما أتلفوا من النفوس والأموال فإنهم كانوا متأنلين وإن كان تأويلهم باطلاً كما أن سنة رسول الله المتواترة عنه مضت بأن الكفار إذا قتلوا بعض المسلمين وأتلفوا أموالهم ثم أسلموا لم يضمنوا ما أصابوه من النفوس والأموال وأصحاب تلك النفوس والأموال كانوا يجاهدون قد اشتري الله منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة فعوض ما أخذ منهم على الله لا على أولئك الظالمين الذين قاتلهم المؤمنون وإذا كان هذا في الدماء والأموال فهو في الأعراض أولى فمن كان مجاهداً في سبيل الله باللسان بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبيان الدين وتبيين ما في الكتاب والسنة من الأمر والنهي والخير وبيان الأقوال المخالفة لذلك والرد على من خالف

الكتاب والسنّة أو باليد كقتل الكفار فإذا أؤذى على جهاده بيد غيره أو لسانه فأجره في ذلك على الله لا يطلب من هذا الظالم عوض مظلمته بل هذا الظالم إن تاب وقبل الحق الذي جوهر عليه فالتوبة تجب ما قبلها {قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَهْوَأُ يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ} الأنفال 38 وإن لم يتبع بل أصر على مخالفة الكتاب والسنّة فهو مخالف لله ورسوله والحق في ذنبه لله ولرسوله وإن كان أيضاً للمؤمنين حق تبعاً لحق الله وهذا إذا عوقب عقوبة لحق الله ولتكون كلمة الله هي العليا ويكون الدين كله لله لا لأجل القصاص فقط والكافر إذا اعتدوا على المسلمين مثل أن يمثلوا بهم فللMuslimين أن يمثلوا بهم كما مثلوا والصبر أفضل وإذا مثلوا كان ذلك من تمام الجهاد والدعاء على الجنس الظالمين الكفار مشروع مأمور به وشرع القنوت والدعاء للمؤمنين والدعاء على الكافرين وأما الدعاء على معينين كما كان النبي يلعن فلاناً وفلاناً فهذا قد روي أنه منسوخ بقوله {لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ} آل عمران 128 كما قد بسط الكلام على ذلك في غير هذا الموضوع فيما كتبته في قلعة مصر وذلك لأن المعين لا يعلم أن رضي الله عنه أن يهلك بل قد يكون من ينوب الله عليه بخلاف الجنس فإنه إذا دعي عليهم بما فيه عز الدين وذل عدوه وقمعهم كان هذا دعاء بما يحبه الله ويرضاه فإن الله يحب الإيمان وأهل الإيمان وعلوه أهل الإيمان وذل الكفار فهذا دعاء بما يحب الله وأما الدعاء على المعين بما لا يعلم أن الله يرضاه غير مأمور به وقد كان يفعل ثم نهى عنه لأن الله قد ينوب عليه أو يعذبه ودعاه نوح على أهل الأرض بالهلاك كان بعد أن أعلمته الله أنه لا يؤمن من قومك إلا من قد آمن ومع هذا فقد ثبت في حديث الشفاعة في الصحيح أنه يقول أني دعوت على أهل الأرض دعوة لم أمر بها فإنه وإن لم ينبه عنها فلم يأمر بها فكان الأولى أن لا يدعوا إلا بدعاً مأمور به واجب أو مستحب فإن الدعاء من العبادات فلا يبعد الله إلا بمحاربته وهذا لو كان مأموراً به لكن شرعاً لنوح ثم ننظر في شرعتنا هل نسخه أم لا يرضاه غير مأمور به وقد كان يفعل ثم نهى عنه لأن الله قد ينوب عليه أو يعذبه ودعاه نوح على أهل الأرض بالهلاك كان بعد أن أعلمته الله أنه لا يؤمن من قومك إلا من قد آمن ومع هذا فقد ثبت في حديث الشفاعة في الصحيح أنه يقول أني دعوت على أهل الأرض دعوة لم أمر بها فإنه وإن لم ينبه عنها فلم يأمر بها فكان الأولى أن لا يدعوا إلا بدعاً مأمور بها فكان الأولى أن لا يدعوا إلا بدعاً مأمور به واجب أو مستحب فإن الدعاء من العبادات فلا يبعد الله إلا بمحاربته وهذا لو كان مأموراً به واجب أو مستحب وهذا لو كان مأموراً به لكن شرعاً لنوح ثم ننظر في شرعتنا هل نسخه أم لا وكذلك دعاء موسى بقوله {رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا} حَثَّ يَرَوُ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ} يونس 88 إذا كان دعاء مأموراً به بقي النظر في موافقة شرعتنا له والقاعدة الكلية في شرعتنا أن الدعاء إن كان واجباً أو مستحبـاً فهو حسن يثاب عليه الداعي وإن كان محـماً كالعدوان في الدماء فهو ذنب ومعصية وإن كان مكرـواً فـهو ينقـص مرتبـة صاحـبه وإن كان مباحـاً مستوىـ الطـرفـين فلا له ولا عليهـ فـهـذا هـذا واللهـ سبحانـه أعلم¹

من عبد الله بغير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح

مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 329-336^١

قال عمر بن عبد العزيز من عبد الله بغير علم كان ما يفسد اكثراً مما يصلح وكما في حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه العلم امام العمل والعمل تابعه وهذا ظاهر فان القصد والعمل ان لم يكن بعلم كان جهلاً وضلالاً واتباعاً للهوى كما تقدم وهذا هو الفرق بين أهل الجاهلية وأهل الاسلام فلابد من العلم بالمعروف والمنكر والتمييز بينهما ولا بد من العلم بحال المأمور والمنهي ومن الصلاح ان يأتى بالأمر والنهى بالصراط المستقيم وهو اقرب الطرق الى حصول المقصود ولا بد في ذلك من الرفق كما قال النبي ما كان الرفق في شيء الا زانه ولا كان العنف في شيء الا شانه وقال إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله ويعطى عليه ما لا يعطى على العنف ولا بد أيضاً أن يكون حليماً صبوراً على الأذى فإنه لا بد ان يحصل له أذى فان لم يحل ويصبر كان ما يفسد اكثراً مما يصلح كما قال لقمان لابنه {وَأَمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} لقمان 17 ولهذا أمر الله الرسل وهم أئمة الامر بالمعروف والنهى عن المنكر بالصبر كقوله لخاتم الرسل بل ذلك مقرون بتبلیغ الرسالة فانه أول ما أرسل أنزلت عليه سورة يا أيها المدثر بعد ان أنزلت عليه سورة اقرأ التي بها نبئ فقال {يَا أَيُّهَا الْمُدَثَّرُ} 1 قُمْ فَانِدِرْ 2 وَرَبَّكَ فَكَبِيرْ 3 وَثِيَابَكَ فَطَهَرْ 4 وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ 5 وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرْ 6 وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ 7 المدثر 1-7 فافتتح آيات الارسال الى الخلق بالأمر بالنذارة وختمتها بالأمر بالصبر ونفس الانذار أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فعلم انه يجب بعد ذلك الصبر وقال لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا الطور 48 وقال تعالى {وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا} المزمل 10 {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ} الأحقاف 35 {فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ} القلم 48 {وَاصْبِرْ وَمَا صَبَرْتُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزُنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مَّا يَمْكُرُونَ} النحل 127 {وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} هود 115 فلا بد من هذه الثلاثة العلم والرفق والصبر العلم قبل الأمر والنهى والرفق معه والصبر بعده وان كان كل من الثلاثة مستصحباً في هذه الاحوال وهذا كما جاء في الآثار عن بعض السلف ورووه مرفوعاً ذكره القاضي أبو يعلى في المعتمد لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا من كان فقيها فيما يأمر به فقيها فيما ينهى عنه رفيقاً فيما يأمر به رفيقاً فيما ينهى عنه حليماً فيما يأمر به حليماً فيما ينهى عنه ولعله أن الأمر بهذه الخصال في الأمر بالمعروف والنوى عن المنكر مما يوجب صعوبة على كثير من النفوس فيظن أنه بذلك يسقط عنه فيدعيه وذلك مما يضره أكثر مما يضره الأمر بدون هذه الخصال أو أقل فان ترك الأمر الواجب معصية فالمنتقل من معصية إلى معصية أكبر منها كالمستجير من الرمضاء بالنار والمنتقل من معصية إلى معصية كالمنتقل من دين باطل إلى دين باطل وقد يكون الثاني شرًا من الأول وقد يكون دونه وقد يكونان سواء فهكذا تجد المقصر في الأمر والنوى والمعتمد فيه قد يكون ذنب هذا أعظم وقد يكون ذنب هذا أعظم وقد يكونان سواء¹

لايختلف المؤمن من الكفار والمنافقين ولا يحزن عليهم

¹ مجموع الفتاوى ج: 28 ص: 128 و الاستقامة ج: 2 ص: 233

أن لا يخاف المؤمن من الكفار و المنافقين فانهم لن يضروه إذا كان مهتما و أن لا يحزن عليهم و لا يرجع عليهم فان معاشرهم لا تضره إذا اهتمى و الحزن على ما لا يضر عبث و هذان المعنيان مذكوران في قوله **{وَاصْبِرْ وَمَا صَبَرْتُ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مَّمَّا يَمْكُرُونَ**¹ النحل 127

و هذه الأفعال الباطنة كمحبة الله والإخلاص له والتوكيل عليه والرضا عنه ونحو ذلك كلها مأمور بها في حق الخاصة والعامة لا يكون تركها ممودا في حال أحد وإن ارتقى مقامه واما الحزن فلم يأمر الله به ولا رسوله بل قد نهى عنه في مواضع وان تعلق بأمر الدين قوله تعالى {وَلَا تَهْنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} آل عمران 139 و قوله **{وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مَّمَّا يَمْكُرُونَ}** النحل 127 و قوله **{وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مَّمَّا يَمْكُرُونَ}** النمل 70 و قوله **{إِذْ يَقُولُ لصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا}** التوبة 40 و قوله **{وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ}** يونس 65 و قوله **{لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ}** المائدة 41 و قوله **{إِكْيَلًا تَأْسُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَكُمْ}** الحديد 23 و أمثل ذلك كثير و ذلك لأنه لا يجلب منفعة ولا يدفع مضره فلا فائدة فيه و مالا فائدة فيه لا يأمر الله به نعم لا يأثم صاحبه اذا لم يقترب بحزنه محرم كما يحزن على المصائب كما قال النبي ان الله لا يؤاخذ على دمع العين ولا على حزن القلب ولكن يؤاخذ على هذا او يرحم وأشار بيده الى لسانه وقال تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول الا ما يرضي رب ومنه قوله تعالى **{وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَأَبْيَضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَطِيمٌ}** يوسف 84 وقد تبين بالحزن ما يثاب صاحبه عليه ويحمد عليه فيكون ممودا من تلك الجهة لا من جهة الحزن كالحزين على مصيبة في دينه وعلى مصائب المسلمين عموما فهذا يثاب على ما في قلبه من حب الخير وبغض الشر وتتابع ذلك ولكن الحزن على ذلك اذا افضى الى ترك مأمور من الصبر والجهاد وجلب منفعة ودفع مضره نهى عنه والا كان حسب صاحبه رفع الاتهم عنه من جهة الحزن واما ان افضى الى ضعف القلب واشتغاله به عن فعل ما امر الله ورسوله به كان مذموما عليه من تلك الجهة وان كان ممودا من جهة اخرى واما المحبة لله والتوكيل عليه والاخلاص له ونحو ذلك فهذه كلها خير محض وهي حسنة محبوبة في حق كل احد من النبئين والصديقين والشهداء والصالحين ومن قال ان هذه المقامات تكون للعامة دون الخاصة فقد غلط في ذلك ان اراد خروج الخاصة عنها فان هذه لا يخرج عنها مؤمن قط وانما يخرج عنها كافر او منافق وقد تكلم بعضهم في ذلك بكلام بينا غلطه فيه وانه تقدير في تحقيق هذه المقامات بكلام مبسوط وليس هذا موضعه²

إ Barbarهم بـأن الله معهم يوجب زوال الضيق من مكر عدوهم

¹ مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 481

² أمراض القلوب ج: 1 ص: 42 و مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 16 و مجموع الفتاوى ج: 34 ص: 16 و التحفة
العراقية ج: 1 ص: 42

إنه أمر أن يطمئن ويثبت لأن الخوف يحصل بغير اختيار العبد إذا لم يكن له ما يوجب الأمان فإذا حصل ما يوجب الأمان زال الخوف فقوله تعالى لموسى { وَلَا تَحْفُظْنَاهَا سِيرَتَهَا الْأَوَّلَى } طه 21 هو أمر مقرون بخبره بما يزيل الخوف وكذلك قوله { فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً } موسى { 67 } قُلْنَا لَا تَحْفَظْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى } طه 67-68 هو نهي عن الخوف مقرون بما يوجب زواله وكذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم لصديقه { لَا تَحْزُنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا } التوبية 40 نهى عن الحزن مقرون بما يوجب زواله وهو قوله { إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا } التوبية 40 وإذا حصل الخبر بما يوجب زوال الحزن والخوف زال وإن فهو تهجم على الإنسان بغير اختياره وهكذا قول صاحب مدین لموسى لما قص عليه القصص { لَا تَحْفَظْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ } القصص 25 وكذلك قوله { وَلَا تَهُنُوا وَلَا تَحْرَزُنَا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } آل عمران 139 قرن النهي عن ذلك بما يزيله من إخباره أنهم هم الأعلون إن كانوا مؤمنين وكذلك قوله { وَلَا تَحْزُنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَلُّ فِي ضَيْقٍ مَمَّا يَمْكُرُونَ } **النحل** 127 مقرون بقوله { إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقُوا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ } **النحل** 128 وإنكارهم بأن الله معهم يوجب زوال الضيق من مكر عدوهم وقد قال لما أنزل الله الملائكة يوم بدر { وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشِّرَى لِكُمْ وَلِتَطْمَئِنَ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } آل عمران 126¹

"أكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق"

قال تعالى { قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوْا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ } **النور** 30 فالغض من البصر وحفظ الفرج يتضمن البعد عن نجاسة الذنوب ويتضمن الأعمال الصالحة التي يزكي بها الإنسان وهو أزكي والزكاة تتضمن الطهارة فإن فيها معنى ترك السيئات ومعنى فعل الحسنات ولها تفسير تارة بالطهارة وتارة بالزيادة والنماء ومعناها يتضمن الأمرين وإن قرن الطهارة معها في الذكر مثل قوله { خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا } **التوبية** 103 فالصدقة توجب الطهارة من الذنوب وتنوي الزكاة التي هي العمل الصالح كما ان الغض من البصر وحفظ الفرج هو أزكي لهم وهمما يكونان بإجتناب الذنوب وحفظ الجوارح ويكونان بالتوبية والصدقة التي هي الإحسان وهذا هما التقوى والإحسان وقال تعالى { إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقُوا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ } **النحل** 128 وقد روى الترمذى وصححه أن النبي سئل ما أكثر ما يدخل الناس النار فقال الأجوافان الفم والفرج وسئل عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال تقوى الله وحسن الخلق فيدخل في تقوى الله حفظ الفرج وغض البصر ويدخل في حسن الخلق الإحسان إلى الخلق يكون عن الرحمة والله تعالى يقول { وَتَوَاصَوْا بِالصَّبَرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ } **البلد** 17²

المعية في كتاب الله على وجهين

¹ منهاج السنة النبوية ج: 8 ص: 464
² مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 388

و قال تعالى {إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا} التوبة 40 فأخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أن الله معه ومع صاحبه كما قال لموسى وهارون {إِنَّمِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى} طه 46 وقد أخرجا في الصحيحين من حديث أنس عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال نظرت إلى إقدام المشركين على رؤوسنا ونحن في الغار فقلت يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا فقال يا أبي ما ظنك باثنين الله ثالثهما وهذا الحديث مع كونه مما اتفق أهل العلم بالحديث على صحته وتلقيه بالقبول والتصديق فلم يختلف في ذلك اثنان منهم فهو مما دل القرآن على معناه يقول {إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا} التوبة 40 والمعية في كتاب الله على وجهين عامة وخاصة فالعلامة كقوله تعالى {هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزَلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعْكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ} الحديد 4 وقوله {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةِ إِلَّا هُوَ رَأَيْهُمْ وَلَا خَمْسَةِ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُبَيِّنُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} المجادلة 7 فهذه المعية عامة لكل متاجين وكذلك الأولى عامة لجميع الخلق ولما أخبر سبحانه في المعية أنه رابع الثلاثة وسادس الخمسة قال النبي صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما فإنه لما كان معهما كان ثالثهما كما دل القرآن على معنى الحديث الصحيح وإن كان هذه معية خاصة وتلك عامة وأما المعية الخاصة فكقوله تعالى لما قال لموسى وهارون {لَا تَخَافَا إِنَّمِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى} طه 46 فهذا تخصيص لهما دون فرعون وقومه فهو مع موسى وهارون دون فرعون وكذلك لما قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر {لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا} التوبة 40 كان معناه إن الله معنا دون المشركين الذين يعادونهما ويطلبونهما كالذين كانوا فوق الغار ولو نظر أحدهم إلى قدميه لأبصر ما تحت قدميه وكذلك قوله تعالى {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقُوا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ} النحل 128 فهذا تخصيص لهم دون الفجار والظالمين وكذلك قوله تعالى {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} البقرة 153 تخصيص لهم دون الجازعين وكذلك قوله تعالى {وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ الْثَّمَنِيْنَ عَشَرَ نَفِيْبِيَا وَقَالَ اللَّهُ أَنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقْمَمْتُ الصَّلَةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي} المائدة 12 وقوله {إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَتَبَثُّوا الَّذِينَ آمَنُوا} الأنفال 12 وفي ذكره سبحانه للمعية عامة تارة وخاصة أخرى ما يدل على أنه ليس المراد بذلك أنه بذاته في كل مكان أو أن وجوده عين وجود المخلوقات ونحو ذلك من مقالات الجهمية الذين يقولون بالحلول العام والاتحاد العام أو الوحدة العامة لأنه على هذا القول لا يختص بقوم دون قوم ولا مكان دون مكان بل هو في الحشوش على هذا القول وأحوال البهائم كما هو فوق العرش فإذا أخبر أنه مع قوم دون قوم كان هذا مناقضا لهذا المعنى لأنه على هذا القول لا يختص بقوم دون قوم ولا مكان دون مكان بل هو في الحشوش على هذا القول كما هو فوق العرش والقرآن يدل على اختصاص المعية تارة وعمومها أخرى فعلم أنه ليس المراد بلفظ المعية اختلاطه وفي هذا أيضا رد على من يدعى أن ظاهر القرآن هو الحلول لكن يتعين تأويله على خلاف ظاهره و يجعل ذلك أصلا يقيس عليه ما يتأوله من النصوص فيقال له قوله إن القرآن يدل على ذلك خطأ كما أن قوله قرينك الذي اعتقاد هذا المدلول خطأ وذلك لوجوه أحدتها أن لفظ مع في لغة العرب إنما تدل على المصاحبة والموافقة والاقتران ولا تدل على أن الأول مختلط بالثاني في عامة موارد الإستعمال كقوله تعالى {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ} الفتح 29 لم يرد أن ذاتهم مختلطة بذاته وقوله {أَتَقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} التوبة 11 و كذلك قوله {وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهُوْمَا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ} الأنفال 75 وكذلك قوله عن نوح {وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ} هود 40 و قوله عن نوح أيضا {فَانْجِنِيَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلَكِ} الأعراف 64 و قوله

عن هود {فَانْجِنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مَّنَا} الأعراف 72 وقول قوم شعيب {لَنْخُرْ جَنَّكَ يَا شُعَيْبُ} والَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ من قريتنا {الأعراف} 88 قوله {إِلَّا الَّذِينَ تَأْبُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ} وأخلصوا بينهم الله فأولئك مع المؤمنين النساء 146 قوله {وَامَّا يُنْسِينَكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ} بعد الذكرى مع القوم الظالمين الأنعام 68 قوله {وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهْوَاءُ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ} جهد أيمانهم إنهم لمعكم المائدة 53 قوله {أَلَمْ تَرِ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْرَاهِ الَّذِينَ كَفَرُوا} من أهل الكتاب لئن أخر جنم لمعكم الحشر 11 قوله عن نوح {اَهْبِطْ بِسْلَامٌ مَّنَا وَبَرَكَاتٍ} عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سمعتهم هود 48 قوله {وَإِذَا صُرِفتْ أَبْصَارُهُمْ تَلَقَّأَ اصْحَابُ النَّارِ قَلُولًا رَّبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} الأعراف 47 قوله {فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِي أَبَدًا} ولن نقاتلوا مع عي عدوا إنكم رضيتم بالفعود أول مرأة فاقعدوا مع الخالفين التوبة 83 قوله {رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَافِ} التوبة 87 وقال {لَكِنَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا} بآموالهم وأنفسهم التوبة 88 ومثل هذا كثير في كلام الله تعالى وسائر الكلام العربي وإذا كان لفظ مع إذا استعملت في كون المخلوق مع المخلوق لم تدل على اختلاط ذاته فهذا أن لا تدل على ذلك في حق الخالق بطريق الأولى فدعوى ظهورها في ذلك باطل من وجهين أحدهما أن هذا ليس معناها في اللغة ولا اقترب بها في الاستعمال ما يدل على الظهور فكان الظهور منتقيا من كل وجه الثاني أنه إذا انتفى الظهور فيما هو أولى به فانتفاوه فيما هو أبعد عنه أولى الثاني أن القرآن قد جعل المعية خاصة أكثر مما جعلها عامة ولو كان المراد اختلاط ذاته بالمخلوقات ل كانت عامة لا تقبل التخصيص الثالث أن سياق الكلام أوله وأخره يدل على معنى المعية كما قال تعالى في آية المجادلة {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةِ إِلَّا هُوَ رَأَيْهُمْ وَلَا خَمْسَةِ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا إِنَّمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلَيْهِ} المجادلة 7 فافتتحها بالعلم وختمها بالعلم فعلم أنه أراد عالم بهم لا يخفى عليه منهم خافية وهذا فسرها السلف الإمام أحمد ومن قبله من العلماء كابن عباس والضحاك وسفيان الثوري وفي آية الحديد قال {ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزَلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ} الحديد 4 فختمتها أيضا بالعلم وأخبر أنه مع استواره على العرش يعلم هذا كله كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الأوالى والله فوق عرشه وهو يعلم ما أنتم عليه فهناك أخبر بعموم العلم لكل نجوى وهنا أخبر أنه مع علوه على عرشه يعلم ما يلتج في الأرض وما يخرج منها وهو من العباد أينما كانوا يعلم أحوالهم والله بما يعملون بصير وأما قوله {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا} والَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ} النحل 128 فقد دل السياق على أن المقصود ليس مجرد علمه وقدره بل هو معهم في ذلك بتائيده ونصره وأنه يجعل للمتقين مخرجا ويرزقهم من حيث لا يحتسبون وكذلك قوله لموسى وهارون {لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى} طه 46 فإنه معهما بالتاييد والنصر والإعانة على فرعون وقومه كما إذا رأى الإنسان من يخاف فقال له من ينصره نحن معك اي معاونوك وناصروك على عدوك¹

¹ منهاج السنة النبوية ج: 8 ص: 373 - 390

المعية الالهية المتضمنة للنصر هي لما جاء به الى يوم القيمة

قال تعالى {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقُوا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ} النحل 128 والكتاب هو الحكم بين الناس شرعاً وينصر القائم نصراً وقد قال الله تعالى {إِنَّ وَلِيَّ إِنَّ اللَّهَ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّ الصَّالِحِينَ} الأعراف 196 وقال تعالى {ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا} الجاثية 18 إلى قوله {وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ} الجاثية 19 وقال تعالى {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا إِلَيْبِنَاتٍ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُولُوا النَّاسُ بِالْقِسْطِ} الحديد 25 إلى قوله {إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} الحديد 25 و الميزان هو العدل به يعرف العدل وأنزل الحديد لينصر الكتاب فان قام صاحبه بذلك كان سعيدها مجاهداً في سبيل الله فان الله نصر الكتاب بأمر من عنده وانتقم من خرج عن حكم الكتاب كما قال تعالى {إِلَّا تَتَصْرُّرُهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذَا أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ الْتَّيْنِ} التوبة 40 إلى قوله {وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} التوبة 40 وقوله لأبي بكر {إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا} التوبة 40 وقال تعالى {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقُوا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ} النحل 128 وقال تعالى {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} البقرة 153 وكل من وافق الرسول في أمر خالف فيه غيره فهو من الذين اتبعوه في ذلك وله نصيب من قوله {لَا تَحْزُنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا} التوبة 40 فان المعية الالهية المتضمنة للنصر هي لما جاء به الى يوم القيمة وهذا قد دل عليه القرآن وقد رأينا من ذلك وجربنا ما يطول وصفه وقال تعالى {سَتُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوْ لَمْ يَكُفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} فصلات 53 الى آخر السورة وقال تعالى {وَالْعَاقِبةُ لِلْمُتَّقِينَ} القصص 83¹

إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقُوا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ بِالهُدَى وَالنَّصْرِ وَالإِعْانَةِ

قال تعالى {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقُوا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ} النحل 128 بالهداية والنصر والإعانة² قال تعالى {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ} 4 الحديد 4 فلفظ مع لا تقتضى في لغة العرب أو يكون أحد الشيئين مختلطاً بالأخر كقوله تعالى {اَتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} التوبة 119 وقاله تعالى {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءٌ عَلَى الْكُفَّارِ} الفتح 29 وقوله تعالى {وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهُوْا مَعَكُمْ} الأنفال 75 ولفظ مع جاءت في القرآن عامة وخاصة فالعامة في هذه الآية وفي آية المجادلة {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٌ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٌ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَذَنَّ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا نَمَّ يُبَيِّنُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} المجادلة 7 فافتتح الكلام بالعلم وختمه بالعلم ولهذا قال ابن عباس والضحاك وسفيان الثوري واحمد بن حنبل هو معهم بعلمه وأما المعية الخاصة ففي قوله تعالى {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقُوا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ} النحل 128 وقوله تعالى لموسى {إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى} طه 46 وقال تعالى {إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ

¹مجموع الفتاوى ج: 28 ص: 37

²الجواب الصحيح ج: 3 ص: 405

معنا } التوبة 40 يعني النبى وأبا بكر رضى الله عنه فهو مع موسى وهارون دون فرعون ومع محمد وصاحبه دون أبى جهل وغيره من أعدائه ومع الذين اتقوا والذين هم محسنون دون الظالمين المعدين فلو كان معنى المعية انه بذاته فى كل مكان تناقض الخبر الخاص والخبر العام بل المعنى انه مع هؤلاء بنصره وتاييده دون اولئك قوله تعالى {وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ} الزخرف 84 اي هو إله من فى السموات وإله من فى الأرض كما قال الله تعالى {وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْغَرِيزُ الْحَكِيمُ} الروم 27 وكذلك قوله تعالى {وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ} الأنعام 3 كما فسره أئمة العلم كالامام احمد وغيره انه المعبود فى السموات والأرض واجمع سلف الأمة وأئمتها على ان الرب تعالى بائن من مخلوقاته يوصف بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحرير ولا تعطيل ومن غير تكيف ولا تمثيل يوصف بصفات الكمال دون صفات النقص ويعلم انه ليس كمثله شيء في صفات الكمال كما قال الله تعالى {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} 1 {اللَّهُ الصَّمَدُ} 2 {لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ} 3 {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ} 4

الاخلاص 4-1 قال ابن عباس الصمد العليم الذى كمل فى علمه العظيم الذى كمل فى عظمته القدير الكامل فى قدرته الحكيم الكامل فى حكمته السيد الكامل فى سؤده وقال ابن مسعود وغيره هو الذى لا جوف له و الاحد الذى لا نظير له فاسمه الصمد يتضمن اتصافه بصفات الكمال ونفى الناقص عنء واسمه الاحد يتضمن اتصافه انه لا مثل له¹

المعية تختلف أحكامها بحسب الموارد

وجماع الأمر فى ذلك أن الكتاب والسنة يحصل منها كمال الهدى والنور لمن تدبر كتاب الله وسنة نبئه وقد اتباع الحق واعرض عن تحريف الكلم عن مواضعه والالحاد فى اسماء الله وآياته ولا يحسب الحاسب أن شيئاً من ذلك يناقض بعضه بعضاً أليته مثل ان يقول القائل ما فى الكتاب والسنة من أن الله فوق العرش يخالفه الظاهر من قوله {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ} الحديد 4 وقوله اذ قام أحدكم الى الصلاة فان الله قبل وجهه ونحو ذلك فان هذا غلط وذلك أن الله معنا حقيقة وهو فوق العرش حقيقة كما جمع الله بينهما فى قوله سبحانه وتعالى {هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} الحديد 4 فأخبر أنه فوق العرش يعلم كل شيء وهو معنا أينما كنا كما قال النبي في الحديث الأول والله فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه وذلك أن كلمة مع في اللغة اذا أطلقـت فليس ظاهرـها في اللغة الا المقارنة المطلقة من غير وجوب مجازة عن يمين او شمال فإذا قيدـت بمعنى من المعانـى دلت على المقارنة في ذلك المعنى فإنه يقال ما زلنا نسير والقمر معنا او النجم معنا ويقال هذا المتعـى لمحاجـته لك وان كان فوق رأسك فالله مع خلقـه حقيقة وهو فوق عرشه حقيقة ثم هذه المعـية تختلف أحكـامـها بحسب الموارـد فـلما قال {يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا} الحـديد 4 الى قوله {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ} الحـديد 4 دل ظـاهر الخطـاب على أن حـكم هذه المعـية ومقتضـاها أنه

¹ مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 249-251

مطلع عليكم شهيد عليكم ومهيمن عالم بكم وهذا معنى قول السلف أنه معهم بعلمه وهذا ظاهر الخطاب وحقيقة وكذلك في قوله {مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَىٰ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ} المجادلة 7 الى قوله {إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا} المجادلة 7 الآية ولما قال النبي لصاحبه في الغار {الَّتِي تَحْرَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا} التوبة 40 كان هذا أيضا حقا على ظاهره ودللت الحال على أن حكم هذه المعية هنا معية الاطلاع والنصر والتأييد وكذلك قوله تعالى {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الظِّينَ أَتَقْوَا وَالظِّينَ هُمْ مُحْسِنُونَ} النحل 128 وكذلك قوله لموسى وهارون {إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى} طه 46 هنا المعية على ظاهرها وحكمها في هذه المواطن النصر والتأييد وقد يدخل على صبي من يخيفه فيبكي فيشرف عليه أبوه من فوق السقف فيقول لا تخاف أنا معك أو أنا هنا أو أنا حاضر ونحو ذلك ينبعه على المعية الموجبة بحكم الحال دفع المكره ففرق بين معنى المعية وبين مقتضاهما وربما صار مقتضاهما من معناها فيختلف باختلاف الموضع فلفظ المعية قد استعمل في الكتاب والسنة في موضع يقتضى في كل موضع أمورا لا يقتضيها في الموضع الآخر فاما ان تختلف دلالتها بحسب الموضع او تدل على قدر مشترك بين جميع مواردتها وان امتاز كل موضع بخاصية فعلى التقديرین ليس مقتضاها أن تكون ذات الرب عز وجل مختلطة بالخلق حتى يقال قد صرفت عن ظاهرها ونظيرها من بعض الوجه الربوبية والعبودية فانهما وان اشتراكنا في أصل الربوبية والعبودية فلما قال {رَبُّ الْعَالَمِينَ} 121 {رَبُّ مُوسَى وَهَارُونَ} 122 الاعراف 121-122 كانت ربوبية موسى وهارون لها اختصاص زائد على الربوبية العامة للخلق فان من أعطاه الله من الكمال أكثر مما أعطى غيره فقد ربه ورباه ربوبية وتربيه أكمل من غيره وكذلك قوله {عَيْنًا يَشَرِّبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُ وَنَهَا تَفْجِيرًا} الانسان 6 و {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ أَيْلًا} الإسراء 1 فان العبد تارة يعني به المعبد فيعم الخلق كما في قوله {إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَيَ الرَّحْمَنَ عَبْدًا} مريم 93 وتارة يعني به العابد فيخص ثم يختلفون فمن كان عبد علما وحالا كانت عبوديته أكمل فكانت الاضافة في حقه أكمل مع أنها حقيقة في جميع الموضع ومثل هذه الالفاظ يسمىها بعض الناس مشككة لتشكك المستمع فيها هل هي من قبيل الاسماء المتواتئة أو من قبيل المشتركة في اللفظ فقط والمحققون يعلمون أنها ليست خارجة عن جنس المتواتئة اذ واسع اللغة انما وضع اللفظ بازاء القدر المشترك وان كانت نوعا مختصا من المتواتئة فلا بأس بتخصيصها بل لفظ ومن علم أن المعية تضاف الى كل نوع من أنواع المخلوقات كإضافة الربوبية مثلا وأن الاستواء على الشيء ليس الا للعرش وأن الله يوصف بالعلو والفوقيه الحقيقية ولا يوصف بالسفول ولا بالتحتية قط لا حقيقة ولا مجازا علم أن القرآن على ما هو عليه من غير تحريف ثم من توهم أن كون الله في السماء بمعنى أن السماء تحيط به وتحويه فهو كاذب ان نقله عن غيره وضال ان اعتقاده في ربه وما سمعنا أحدا يفهم هذا من اللفظ ولا رأينا أحدا نقله عن واحد ولو سئل سائر المسلمين هل تفهمون من قول الله ورسوله ان الله في السماء ان السماء تحويه لبادر كل أحد منهم الى أن يقول هذا شيء لعله لم يخطر ببالنا اذا كان الأمر هكذا فمن التكليف أن يجعل ظاهر اللفظ شيئا محالا لا يفهمه الناس منه ثم يريد أن يتأنله بل عند الناس ان الله في السماء وهو على العرش واحد اذ السماء انما يراد به العلو فالمعنى أن الله في العلو لا في السفل وقد علم المسلمون أن كرسيه سبحانه وتعالى وسع السموات والأرض وان الكرسي في العرش كحلقة ملقة بأرض فلأة وان العرش خلق من مخلوقات الله لا نسبة الى قدرة الله وعظمته فكيف يتواهم بعد هذا أن

خلفا يحصره ويحويه وقد قال سبحانه {وَلَا أَصْلَبُكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ} طه 71 وقال {فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ} النحل 36 معنى على ونحو ذلك وهو كلام عربي حقيقة لا مجازا وهذا يعلم من عرف حقائق معانى الحروف وانها متواطئة في الغالب لا مشتركة¹

الجمع بين علو الرب عز وجل وبين قربه من داعيه وعابديه

في الجمع بين علو الرب عز وجل وبين قربه من داعيه وعابديه فنقول قد وصف الله نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله بالعلو والاستواء على العرش والفوقيه في كتابه في آيات كثيرة حتى قال بعض كبار اصحاب الشافعى في القرآن ألف دليل أو ازيد تدل على أن الله عال على الخلق وأنه فوق عباده وقال غيره فيه ثلاثة دليل تدل على ذلك مثل قوله {إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكُمْ} الأعراف 206 {وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ} الأنبياء 19 فلو كان المراد بأن معنى عنده في قدرته كما يقول الجهمية لكن الخلق كلهم في قدرته ومشيئته لم يكن فرق بين من في السموات ومن في الأرض ومن عنده كما ان الاستواء لو كان المراد به الاستيلاء لكن مستويًا على جميع المخلوقات ولكن مستويًا على العرش قبل أن يخلقه دائمًا والاستواء مختص بالعرش بعد خلق السموات والأرض كما أخبر بذلك في كتابه فدل على أنه تارة كان مستويًا عليه وتارة لم يكن مستويًا عليه ولهذا كان العلو من الصفات المعلومة بالسمع مع العقل عند أئمة المثبتة وأما الاستواء على العرش فمن الصفات المعلومة بالسمع لا بالعقل والمقصود أنه تعالى وصف نفسه أيضًا بالمعية والقرب والمعية معيتان عامة وخاصة فال الأولى قوله {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ} الحديد 4 والثانية قوله {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ} النحل 128 إلى غير ذلك من الآيات وأما القرب فهو قوله {فَإِنِّي قَرِيبٌ} البقرة 186 وقوله {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ} ق 16 {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكُنْ لَا تُبْصِرُونَ} الواقعة 85 وسلف الأمة وأئمتها أئمة العلم والدين من شيوخ العلم والعبادة فانهم اثبتو وآمنوا بجميع ما جاء به الكتاب والسنة كله من غير تحريف الكلم أثبتو ان الله تعالى فوق سمواته وانه على عرشه بائن من خلقه وهم منه بائنوون وهو ايضا مع العباد عموما بعلمه ومع أنبيائه وأوليائه بالنصر والتأييد والكافية وهو ايضا قريب مجتب ففي آية النجوى دلالة على أنه عالم بهم وكان النبي يقول اللهم انت الصاحب في السفر وال الخليفة في الأهل فهو سبحانه مع المسافر في سفره ومع أهله في وطنه ولا يلزم من هذا أن تكون ذاته مختلطة بذواتهم كما قال {مُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ} الفتح 29 أي معه على الايمان لا أن ذاتهم في ذاته بل هم مصاحبو له وقوله {فَأَوْلَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ} النساء 146 يدل على موافقتهم في الايمان وموافقتهم مواليتهم فالله تعالى عالم بعباده وهو معهم أينما كانوا وعلمه بهم من لوازم المعية كما قالت المرأة زوجي طويل النجاد عظيم الرماد قريب البيت من الناد فهذا كله حقيقة ومقصودها أن تعرف لوازم ذلك وهو طول القامة والكرم بكثرة الطعام وقرب البيت من موضع الضياف وفي القرآن {أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلِّي وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ} الزخرف 80 فإنه يراد برؤيته وسمعه اثبات علمه بذلك وأنه يعلم هل ذلك خير أم شر

¹ مجموع الفتاوى ج: 5 ص: 106-103

فيثيب على الحسنات ويعاقب على السيئات وكذلك اثبات القدرة على الخلق قوله {وما أنت
يمعجزين في الأرض ولا في السماء} العنكبوت 22 قوله {أم حسب الذين يعملون السَّيِّئاتِ أَنْ
يسُقُّونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} العنكبوت 4 والمراد التخويف بتوابع السيئات ولوازمها من العقوبة والانتقام
وهذا كثيرا ما يصف الرب نفسه بالعلم وبالاعمال تحذيرا وتخويفا وترغيبا للنفوس في الخير
ويصف نفسه بالقدرة والسمع والرؤية والكتاب مدلول اللفظ مراد منه وقدر أريد أيضا لازم ذلك
المعنى فقد أريد ما يدل عليه اللفظ في أصل اللغة بالمطابقة وبالالتزام فليس اللفظ مستعملا في اللازم
فقط بل أريد به مدلوله الملزم وذلك حقيقة وأما لفظ القرب فقد ذكره تارة بصيغة المفرد
وتارة بصيغة الجمع فالأول إنما جاء في اجابة الداعي {وإذا سألك عبادي عنِّي فلنَّي قرِيبٌ
أَجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ} البقرة 186 وكذلك في الحديث أربعوا على أنفسكم فانكم لا تدعون
اسم ولا غائبنا إنما تدعون سميا قريبا إن الذي تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته وجاء
بصيغة الجمع في قوله {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ} ق 16 وهذا مثل قوله {تَنْلُوا عَلَيْكَ
القصص 3 {نَحْنُ نَقْصُ عَلَيْكَ} الكهف 13 {فَإِذَا قَرَأْنَاهُ} القيمة 18 و {إِنَّ عَلَيْنَا جَمِيعَهُ
وَقَرَأْنَاهُ} القيمة 17 و {عَلَيْنَا بَيَانَهُ} القيمة 19 فالقرآن هنا حين يسمعه من جبريل والبيان هنا
بيانه لمن يبلغه القرآن ومذهب سلف الأمة وأئمتها وخلفها أن النبي صلى الله عليه وسلم
سمع القرآن من جبريل وجبريل سمعه من الله عز وجل وأما قوله نتلوا و نقص
فإذا قرأناه بهذه الصيغة في كلام العرب للواحد العظيم الذي له أعون يطیعونه فإذا فعل أعوانه
فعلا بأمره قال نحن فعلنا كما يقول الملك نحن فتحنا هذا البلد وهزمنا هذا الجيش ونحو ذلك لأنه إنما
يفعل بأعوانه والله تعالى رب الملائكة وهم لا يصدقونه بالقول وهم بأمره يعملون ولا يعصون الله ما
أمرهم ويفعلون ما يؤمرؤن وهو مع هذا خالقهم وخلقهم وقدرتهم وهو غنى عنهم وليس هو
الملك الذي يفعل أعوانه بقدرة وحركة يستغفرون بها عنه فكان قوله لما فعله بملائكته نحن فعلنا أحق
وأولى من قول بعض الملوك¹

الله مع الخلق كلهم بالعلم والقدرة والسلطان ويخص بعضهم بالاعانة والنصر
والتأييد

فان لفظ المعية في سورة الحديد والجادلة في قوله تعالى {هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزَلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ إِنَّمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} الحديد 4 وقوله تعالى {مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا حَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرٌ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُبَيِّنُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} الجادلة 7 وقد ثبتت عن السلف أنهم قالوا هو معهم بعلمه وقد ذكر ابن عبد البر وغيره أن هذا إجماع من الصحابة والتبعين لهم باحسان ولم يخالفهم فيه أحد يعتد بقوله وهو مأثور عن ابن عباس والضحاك ومقاتل بن حيان وسفيان الثورى وأحمد بن حنبل وغيرهم قال ابن أبي حاتم في تفسيره حدثنا أبي ثنا اسماعيل بن ابراهيم بن

¹مجموع الفتاوى ج: 5 ص: 227-132

مُعْمَرٌ عَنْ نُوحِ بْنِ مِيمُونَ الْمَضْرُوبِ عَنْ بَكِيرٍ بْنِ مَعْرُوفٍ عَنْ مَقَاتِلَ بْنِ حَيَانَ عَنْ عَكْرَمَةَ عَنْ أَبِيهِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ { وَهُوَ مَعْكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ } الْحَدِيدَ 4 قَالَ هُوَ عَلَى الْعَرْشِ وَعْلَمَهُمْ قَالَ وَرَوَى عَنْ سَفِيَانَ الثُّوْرَى أَنَّهُ قَالَ عَلَمَهُمْ وَقَالَ حَدَثَنَا أَبْيَ قَالَ حَدَثَنَا أَحْمَدَ بْنَ ابْرَاهِيمَ الدُّورِقِيَّ حَدَثَنَا نُوحٌ بْنُ مِيمُونَ الْمَضْرُوبِ ثَنَا بَكِيرٌ بْنِ مَعْرُوفٍ عَنْ مَقَاتِلَ بْنِ حَيَانَ عَنْ الضَّحَّاكَ بْنَ مَزَاحِمَ فِي قَوْلِهِ { مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ } الْمَجَادِلَةَ 7 قَالَ هُوَ عَلَى الْعَرْشِ وَعْلَمَهُمْ وَرَوَاهُ بِاسْنَادٍ آخَرَ عَنْ مَقَاتِلَ بْنِ حَيَانَ هَذَا وَهُوَ ثَقَةٌ فِي التَّفْسِيرِ لَيْسَ بِمُجْرَوْحٍ كَمَا جَرَحَ مَقَاتِلَ بْنَ سَلِيمَانَ وَقَالَ عَبْدَاللهِ بْنَ أَحْمَدَ ثَنَا أَبْيَ ثَنَا نُوحٌ بْنُ مِيمُونَ الْمَضْرُوبِ عَنْ بَكِيرٍ بْنِ مَعْرُوفٍ ثَنَا أَبْوَ مَعَاوِيَةَ عَنْ مَقَاتِلَ بْنِ حَيَانَ عَنْ الضَّحَّاكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى { مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعْهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا } الْمَجَادِلَةَ 7 قَالَ هُوَ عَلَى الْعَرْشِ وَعْلَمَهُمْ وَقَالَ عَلَى بْنَ الْحَسَنِ بْنَ شَقِيقٍ حَدَثَنَا عَبْدَاللهِ بْنَ مُوسَى صَاحِبِ عِبَادَةِ ثَنَا مَعْدَانَ قَالَ أَبْنَ الْمَبَارِكَ أَنَّ كَانَ أَحَدَ بَخْرَاسَانَ مِنَ الْأَبْدَالِ فَمَعْدَانَ قَالَ سَأَلْتُ سَفِيَانَ الثُّوْرَى عَنْ قَوْلِهِ { وَهُوَ مَعْكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ } الْحَدِيدَ 4 قَالَ عَلَمَهُ وَقَالَ حَنْبَلُ بْنَ اسْحَاقَ فِي كِتَابِ السَّنَةِ قَلْتُ لِأَبِي عَبْدَاللهِ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلَ مَا مَعْنِي قَوْلِهِ تَعَالَى { وَهُوَ مَعْكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ } الْحَدِيدَ 4 وَ { مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ } الْمَجَادِلَةَ 7 إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى { إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا } الْمَجَادِلَةَ 7 قَالَ عَلَمَهُ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ شَاهِدٌ عَلَامُ الْغَيْبِ يَعْلَمُ الْغَيْبَ رَبُّنَا عَلَى الْعَرْشِ بِلَا حَدٍ وَلَا صَفَةٍ وَسَعْ كَرْسِيهِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَقَدْ بَسَطَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ الْكَلَامَ عَلَى مَعْنَى الْمُعِيَّةِ فِي الرَّدِّ عَلَى الْجَهَمِيَّةِ وَلَفْظِ الْمُعِيَّةِ فِي كِتَابِ اللَّهِ جَاءَ عَامًا كَمَا فِي هَاتِينِ الْآيَتَيْنِ وَجَاءَ خَاصًا كَمَا فِي قَوْلِهِ { إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ } النَّحْلَ 128 وَقَوْلِهِ { إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى } طَهَ 46 وَقَوْلِهِ { لَا تَحْزُنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا } التَّوْبَةَ 40 فَلَوْ كَانَ الْمَرَادُ أَنَّهُ بِذَاتِهِ مَعَ كُلِّ شَيْءٍ لَكَانَ التَّعْمِيمُ يَنْاقِضُ التَّخْصِيصَ فَإِنَّهُ قَدْ عَلِمَ أَنَّ قَوْلَهُ { لَا تَحْزُنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا } التَّوْبَةَ 40 أَرَادَ بِهِ تَخْصِيصَهُ وَابْنَ بَكْرَ دُونَ عَدُوِّهِمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ { إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ } النَّحْلَ 128 خَصَّهُمْ بِذَلِكَ دُونَ الظَّالِمِينَ وَالْفَجَارِ وَأَيْضًا فَلَفْظُ الْمُعِيَّةِ لَيْسَ فِي لِغَةِ الْعَرَبِ وَلَا شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ يَرَادُ بِهَا اخْتِلاطُ أَحَدِ الْدَّائِتِينَ بِالْأُخْرَى كَمَا فِي قَوْلِهِ { مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ } الْفَتْحَ 29 وَقَوْلِهِ { فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ } النَّسَاءَ 146 وَقَوْلِهِ { اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ } التَّوْبَةَ 119 وَقَوْلِهِ { وَجَاهُوا مَعَكُمْ } الْأَنْفَالَ 75 وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ فَامْتَنَعَ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ { وَهُوَ مَعَكُمْ } الْحَدِيدَ 4 يَدِلُ عَلَى أَنَّ ذَاتَهُ مُخْتَلَطَةٌ بِذَنَوَاتِ الْخُلُقِ وَأَيْضًا فَإِنَّهُ افْتَحَ الْآيَةَ بِالْعِلْمِ وَخَتَمَهَا بِالْعِلْمِ فَكَانَ السِّيَاقُ يَدِلُ عَلَى أَنَّهُ أَرَادَ أَنَّهُ عَالِمٌ بِهِمْ وَقَدْ بَسَطَ الْكَلَامُ عَلَيْهِ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ وَبَيْنَ أَنْ لَفْظَ الْمُعِيَّةِ فِي الْلِّغَةِ وَانْ اقْتَضَى الْمُجَامِعَةُ وَالْمُصَاحِبَةُ وَالْمُقَارَنَةُ فَهُوَ إِذَا كَانَ مَعَ الْعِبَادِ لَمْ يَنافِ ذَلِكَ عَلَوْهُ عَلَى عَرْشِهِ وَيَكُونَ حُكْمُ مَعِيَّتِهِ فِي كُلِّ مُوْطَنٍ بِحَسْبِهِ فَمَعَ الْخُلُقِ كُلُّهُمْ بِالْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ وَالسُّلْطَانِ وَيَخْصُّ بَعْضَهُمْ بِالْأَعْانَةِ وَالنَّصْرِ وَالتَّأْيِدِ¹

مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ الْإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسُهُ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ

¹ مَجمُوعُ الْفَتاوَى ج: 5 ص: 495-497

فاعتقد الفرقة الناجية المنصورة الى قيام الساعة أهل السنة والجماعة وهو الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والايمان بالقدر خيره وشره ومن الايمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه وبما وصفه به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكليف ولا تمثيل بل يؤمنون بأن الله سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فلا ينفعون عنه ما وصف به نفسه ولا يحرفون الكلم عن موضعه ولا يلحدون في أسماء الله وآياته ولا يكفيون ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه لأن الله سبحانه لا سمي له ولا كفو له ولا ند له ولا يقاس بخلقه سبحانه وتعالى فإنه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قيلاً وأحسن حديثاً من خلقه ثم رسله صادقون مصدوقون بخلاف الذين يقولون عليه مالا يعلمون ولهمذا قال سبحانه وتعالى {سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ} 180 {وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ} 181 {وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} 182 {الصلوات} 180-182 فسبح نفسه بما وصفه به المخالفون للرسل وسلم على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص والعيب وهو سبحانه قد جمع فيما وصف وسمى به نفسه بين النفي والإثبات فلا عدول لأهل السنة والجماعة مما جاء به المرسلون فإنه الصراط المستقيم صراط الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وقد دخل في هذه الجملة ما وصف به نفسه في سورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن وقوله سبحانه {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ} ¹ النحل 128

عامة الأشفاع التي في القرآن انقسم الناس فيها قسمة رباعية

قد ذكر الله سبحانه في البقرة و النساء الأقسام الأربع في العطاء إما أن لا يعطي فهو البخيل المذموم في النساء أو يعطي مع الكراهة و المن والأذى فلا يكون بتثبيت و هو المذموم في البقرة أو مع الرياء فهو المذموم في السورتين فبقي القسم الرابع ابتغاء رضوان الله و تثبيتاً من أنفسهم ونظيره الصلاة أما أن لا يصلى أو يصلى رياء أو كسان أو يصلى مخلصاً والأقسام الثلاثة الأولى مذمومة وكذلك الزكاة و نظير ذلك الهجرة و الجهاد فإن الناس فيهما أربعة اقسام و كذلك {إِذَا لَقِيْتُمْ فِئَةً فَاثْبِتُوْا وَادْكُرُوْا اللَّهَ كَثِيرًا} 45 الأنفال في الثبات و الذكر وكذلك {وَتَوَاصُّوْا بِالصَّبَرِ وَتَوَاصُّوْا بِالْمَرْحَمَةِ} 17 البقرة في الصبر و المرحمة أربعة أقسام وكذلك {وَاسْتَعِنُوْا بِالصَّبَرِ وَالصَّلَاةِ} 45 البقرة في الصبر و الصلاة فعامة هذه الأشفاع التي في القرآن إما عملان و إما وصفان في عمل انقسم الناس فيها قسمة رباعية ثم إن كانوا عملين منفصلين كالصلاوة و الصبر و الصلاة و الزكاة و نحو ذلك نفع أحدهما و لو ترك الآخر و إن كانوا شرطين في عمل كالاخلاص و التثبت لم ينفع أحدهما فإن المن والأذى محبط كما أن الرياء محبط كما دل عليه القرآن و من هذا تقوى الله و حسن الخلق ف {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ} ¹ النحل 128 و البر و النقوى و الحق و الصبر و أفضل الإيمان السماحة و الصبر بخلاف الأشفاع في الذهن كالافک و الاثم والاختيال و الفخر و الشج و الجن و الاتهام و العداوة فإن الذهن ينال أحدهما مفرداً و مقرضاً لأن

¹ مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 136 و العقيدة الواسطية ج: 1 ص: 17

الخير من باب المطلوب وجوده لمنفعته فقد لا تحصل المنفعة الا بتمامه و الشر يطلب عدمه لمضرته
و بعض المضار يضر في الجملة غالباً¹

الإحسان يجمع كمال الإخلاص لله ويجمع الإتيان بالفعل الحسن

قال تعالى { إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقُوا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ } النحل 128 وأما الإحسان فقوله أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك قد قيل أن الإحسان هو الإخلاص والتحقيق أن الإحسان يتناول الإخلاص وغيره والإحسان يجمع كمال الإخلاص لله ويجمع الإتيان بالفعل الحسن الذي يحبه الله قال تعالى { إِلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهُهُ اللَّهُ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرٌ وَلَا خُوفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } البقرة 112 وقال تعالى { وَمَنْ أَحْسَنَ دِينًا مَمْنَ أَسْلَمَ وَجْهُهُ اللَّهُ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهَ إِبْرَاهِيمَ حَلِيلًا } النساء 125 ذكر إحسان الدين أولًا ثم ذكر الإحسان ثانية²

جماع الدين العام التعظيم لأمر الله والرحمة لعباد الله

قال { فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى } الليل 5 وقال { إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقُوا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ } النحل 128 و هذان الأصلان هما جماع الدين العام كما يقال التعظيم لأمر الله والرحمة لعباد الله فالتعظيم لأمر الله يكون بالخشوع والتواضع و ذلك اصل التقوى و الرحمة لعباد الله بالاحسان إليهم و هذان هما حقيقة الصلاة و الزكاة فان الصلاة متضمنة للخشوع لله و العبودية له و التواضع له و الذل له و ذلك كله مضاد للخياء و الفخر و الكبر و الزكاة متضمنه لنفع الخلق و الاحسان إليهم و ذلك مضاد للبخل³

لا تتم السياسة الدينية إلا بالجمع بين التقوى والإحسان إلى الناس

الأمة الوسط وهم أهل دين محمد صلى الله عليه وسلم وخلفائه على عامة الناس وخاصتهم إلى يوم القيمة وهو إنفاق المال والمنافع للناس وإن كانوا رؤساء بحسب الحاجة إلى صلاح الأحوال وإلقاء الدين والدنيا التي يحتاج إليها الدين وعفته في نفسه فلا يأخذ مالا يستحقه فيجمعون بين التقوى والإحسان قال تعالى { إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقُوا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ } النحل 128 ولا تتم السياسة الدينية إلا بهذا ولا يصلح الدين والدنيا إلا بهذه الطريقة وهذا هو الذي يطعم الناس ما يحتاجون إلى

¹ مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 95-97

² مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 622

³ مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 214

طعامه ولا يأكل هو إلا الحلال الطيب ثم هذا يكفيه من الانفاق أقل مما يحتاج إليه الأولون فإن الذي يأخذ لنفسه تطمع فيه النفوس مala تطمع في العفيف ويصلح به الناس في دينهم مala يصلحون بالثانية فإن العفة مع القدرة تقوى حرمة الدين وفي الصحيحين عن أبي سفيان بن حرب أن هرقل ملك الروم قال له عن النبي صلى الله عليه وسلم بماذا يأمركم قال يأمرنا بالصلة والصدق والعفاف والصلة وفي الأثر أن الله أوحى إلى إبراهيم الخليل عليه السلام يا إبراهيم اتدرى لم أخذتك خليلا لأنني رأيت العطاء أحب احب إليك من الأخذ هذا الذي ذكرناه في الرزق والعطاء الذي هو السخاء وبذل المنافع نظيره في الصبر والغضب الذي هو الشجاعة ودفع المضار¹

لطائف لغوية

1- قال تعالى {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَاتِنًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } النحل 120 و الأمة هو معلم الخير الذي يؤتم به كما أن القدوة الذي يقتدي به و الله تعالى جعل في ذريته النبوة والكتاب وإنما بعث الأنبياء بعده بملته قال تعالى { ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } النحل 123²

والأمة الملة والطريقة كما قال { إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ } الزخرف 22 كما تسمى الطريقة إماما لأن السالك فيها يؤتم به فكذلك السالك يؤمه و يقصده والأمة أيضا معلم الخير الذي يأتى به الناس كما أن الإمام هو الذي يأتى به الناس و إبراهيم عليه السلام جعله الله إماما وأخبر أنه كان أمة { إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَاتِنًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } النحل 120³

قال الله تعالى {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَاتِنًا لِّلَّهِ حَنِيفًا } النحل 120 أى كان مؤمنا وحده وكان الناس كفرا جميرا وفي صحيح البخاري أنه قال لسارة ليس على الأرض اليوم مؤمن غيرك وغيرك⁴

2- قال تعالى { إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَاتِنًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } النحل 120

¹ السياسة الشرعية ج: 1 ص: 52

² الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 391

³ مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 220 و الحسنة والسيئة ج: 1 ص: 89

⁴ مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 436
410

والقتوت دوام الطاعة لله عز وجل سواء كان في حال الإنتصاب أو في حال السجود كما قال تعالى
﴿أَمَنْ هُوَ قَاتِنُ آنَاءِ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذِرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ الزمر ٩^١

والقتوت دوام الطاعة وهو الذي يطيع الله دائمًا والحنيف المستقيم إلى ربه دون ما سواه^٢

3- قال تعالى {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أَمَّةً قَاتِنًا بِهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} ١٢٠ شاكراً لأنعمه اجتباه
وَهَذَا إِلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ {١٢١} وَاتَّبَعَهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ {١٢٢} ثُمَّ
أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ {١٢٣} النحل ١٢٠-١٢٣

كان النبي يقول لأصحابه قولوا أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الأخلاق ودين نبينا محمد
وملة أبيينا إبراهيم حنيفا مسلما وما كان من المشركين والحنيف للسلف فيه ثلاثة
عبارات قال محمد ابن كعب مستقيما وقال عطاء مخلصا وقال آخر مخلصا وقبلاً فهو مستقيم القلب إلى
الله دون ما سواه قال الله تعالى {فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَرِيلَ لِلْمُشْرِكِينَ} فصلت ٦ وقال
تعالى {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا} الأحقاف ١٣ قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه فلم
يلتفتوا عنه يمنه ولا يسره فلم يلتقطوا بقلوبهم إلى ما سواه لا بالحب ولا بالخوف ولا بالرجاء ولا
بالسؤال ولا بالتوكل عليه بل لا يحبون إلا الله ولا يحبون معه أحداً ولا يحبون إلا إياه لا لطلب منفعة
ولا لدفع مضره ولا يخافون غيره كانوا من كان ولا يسألون غيره ولا يتشرفون بقلوبهم إلى غيره^٣

4- قال تعالى {شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَذَا إِلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ} النحل ١٢١ وقال تعالى {ادْعُ إِلَى
سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحَكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ
وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهَتَّدِينَ} النحل ١٢٥ عامة الأسماء يتتنوع مسماؤها بالاطلاق والتقييد وكذلك لفظ
الهدي اذا أطلق تناول العلم الذي بعث الله به رسوله والعمل به جميعاً فيدخل فيه كل ما أمر الله به
كما في قوله {اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} الفاتحة ٦ والمراد طلب العلم بالحق والعمل به جميماً
وكذلك قوله {هُدِيَ لِلْمُتَّقِينَ} البقرة ٢ والمراد به أنهم يعلمون ما فيه ويعملون به ولهذا صاروا
مفلحين وكذلك قوله {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا} الأعراف ٤٣ وانما هداهم بأن لهم
العلم النافع والعمل الصالح ثم قد يقرن الهدي اما بالاجتباء كما في قوله {وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ
إِلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ} الأنعام ٨٧ وكما في قوله تعالى {شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَذَا إِلَى صِرَاطِ
مُسْتَقِيمٍ} النحل ١٢١ {اللَّهُ يَجْبَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ} الشورى ١٣ وكذلك قوله
تعالى {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ} التوبة ٣٣ والهدي هنا هو الإيمان ودين
الحق هو الإسلام وإذا أطلق الهدي كان كالإيمان المطلق يدخل فيه هذا وهذا لفظ الضلال اذا
أطلق تناول من ضل عن الهدي سواء كان عمداً أو جهلاً ولزム أن يكون معذباً كقوله {إِنَّهُمْ أَفَّوْا
آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ} ٦٩ {فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهَرَّعُونَ} ٧٠ {وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثُرُ الْأَوَّلِينَ} ٧١

^١ مجموع الفتاوى ج: ٢٢ ص: ٥٤٨

^٢ مجموع الفتاوى ج: ٢٨ ص: ٣٣

الصافات 69-71 قوله {وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطْعَنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءِنَا فَأَضْلَلُونَا السَّبِيلَا} 67 {رَبَّنَا آتَهُم ضَعِيفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا} 68 الأحزاب 67-68 قوله {فَمَنِ اتَّبَعَ هُدًى يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى} 123 ثم يقرن بالغى والغضب كما فى قوله {مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى} النجم 2 وفي قوله {غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} الفاتحة 7 قوله {إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ} ¹ القمر 47

5-ف أن المفسرة التى تأتى بعد فعل من معنى القول لا من لفظه كما فى قوله **{ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ} النحل 123** {وَلَقَدْ وَصَّيَّنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ} النساء 131 والمعنى قلنا لهم اتقوا الله²

6-قال تعالى **{ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} النحل 123** عامه الأسماء يتتنوع مسمها بالاطلاق والتقييد وكذلك لفظ اتباع ما أنزل الله يتناول جميع الطاعات كقوله {اتَّبَعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أُولَئِكَ} الأعراف 3 قوله {فَمَنِ اتَّبَعَ هُدًى يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى} طه 123 قوله {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ} الأنعام 153 وقد يقرن به غيره كقوله {وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعْنَكُمْ تُرْحَمُونَ} الأنعام 155 قوله {اتَّبِعْ مَا أَوْحَيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ} الأنعام 106 قوله {وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ} ³يونس 109

7- قال تعالى **{إِنَّمَا جُعِلَ السَّبُّتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لِيَحْكُمْ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} النحل 124** لفظ الاختلاف فى القرآن يراد به التضاد والتعارض لا يراد به مجرد عدم التمايز كما هو اصطلاح كثير من النظار ومنه قوله {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} النساء 82 قوله {إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ} 8 يُؤْفِكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ⁴ الذاريات 8 قوله {وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ} البقرة 253

¹مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 166

²مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 20

³مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 168

⁴مجموع الفتاوى ج: 13 ص: 19

8- قال تعالى {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ} النحل 128 عامة الأسماء يتتوعد مسامها بالاطلاق والتقييد وكذلك اذا أفرد اسم طاعة الله دخل في طاعته كل ما أمر به وكانت طاعة الرسول داخلة في طاعته وكذا اسم التقوى اذا افرد دخل فيه فعل كل مأمور به وترك كل محظور قال طلق بن حبيب التقوى ان تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو رحمة الله وأن ترك كل معصية الله على نور من الله تخاف عذاب الله وهذا كما في قوله {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ} 54 في مقعد صدق عند مليك مقتدر {55} القمر 54-55 وقد يقرن بها اسم آخر كقوله {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلَ لَهُ مَخْرَجًا} 2 {وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} 3 الطلاق 2-3 وقوله {إِنَّمَا يَنْهَا مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرُ} يوسف 90 وقوله {وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ} النساء 1¹

¹ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 164

{ رَبٌّ }

أَوْزِغْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالَّذِي
وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي

إِنِّي ثُبْتُ إِلَيْكَ

وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ } الْأَحْقَاف 15

####